محمد جلال كشك

كلمتي للمغفلين

الطبعة الثالثة

الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشــر

ص.ب ١٠٢ مدينة نصر القاهرة تلغرافياً زهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوإن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾

صدق الله العظيم
فصلت / ٣٣

الطبعة الثالثة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الإهداء

إلى جيل النكسة والغفلة !

M .G . Keshk 1989

خطبة الطبعة الثالثة

الحمد لله يرزق من يشاء بغير حساب ..

ماكان في خاطرنا أن نربح ماليا من الكتابة عن عبد الناصر وروزفلت وانقلابهما المسمى بثورة يوليو .. ولكن سبحان من لايضيع أجر من أحسن عملا .. فقد انفجر الكتاب في السوق كأنه فيضان النيل قد عاد بعد أن خنقه عبد الناصر وحدد إقامته خلف السد .. واندفع الناس يتخاطفونه رغم الصمت التام الذي اعتصمت به الجوقة الناصرية فلم يجروٌ واحد منهم على توجيه كلمة نقد واحدة لحقيقة واحدة في الكتاب (ولاجل الحلفان انفرد زلمة الشيخ بسبنا بعد أن سطا على العديد مما كتبناه ولكننا نعرف لماذا كتب ومن ثم نعذره بكل احتقار حتى لو قيل طالب القوت ماتعدى !!) ..ولقد أسعفتهم جهة ما ، يزعجها أن يروج كتابي وأن يدور الحديث عنه ، أسعفتهم بكتاب الست خورشيد فاندفعوا في نقده و « الاسم لطوبة والفعل لأمشير » .. ويبدو أن أمشير قد فعل بهم الأفاعيل فخرست أصواتهم .. وأنا لم أقرا بعد كتاب الست خورشيد فقد انشغلنا في الطلب المتلاحق على كتاب « ثورة يوليو الأمريكية » الذي نفدت طبعته الأولى خلال شهر واحد وداخل مصر . وها هى ذى الطبعة الثانية على وشك النفاد ، ولعلنا نكون قد أصدرنا الطبعة الثالثة عندما يصل هذا الكتاب للقارىء الكريم .. وما أحلى أن تنفد الطبعات وتنهال الأموال من القارىء المصري الكريم دون أن تشتري « جهة » ما نسخة واحدة من الكتاب ! فليمت عملاء ليبيا وكابول بغيظهم .. خسروا الدنيا والآخرة ورفض الشعب فكرهم ولو بالمجان ..

ورغم الشوشرة المقصودة بكتاب الست .. غير أنى لا أملك إلا أن ابدي دهشتي لموقفهم من كتابها الذى كما تشير التعليقات التى معه والتى ضده أنه قد أكد سلامة تحليلنا السياسي القائل بأن اخر ما كان يشغل بال هؤلاء الرجال هو مواجهة إسرائيل .. بل إن رجال هذا العهد الناصري (وأقاوم نفسي لكيلا اقول العهر الناصري) كانوا حفنة من عباد الشهوات حولوا مصر وشعبها إلى فريسة لاستبدادهم وشهواتهم فعربدوا وفسقوا كما هو معروف ومتداول وورد بعضه في محاكماتهم حتى نقل عن حسين الشافعي

الذي عينه عبد الناصر رئيسا للمحكمة التي حاكمت وأدانت وسجنت نفس الأشخاص الذين يدافع عنهم الناصريون الآن .. روي عن الشافعى قوله لما اطلع على خباياهم .. « إن كان ده حصل يبقى اللى جرى لنا من اليهود شوية علينا .. » لولا أن اسكته شمس بدران عندما ذكره بأنه وإن لم يشترك في حفلات خورشيد – شفيق إلا انه لم يسلم من نجاسة العهد .

سارع الشيوعيون واليساريون والناصريون يحتجون على كشف الستار عن الحياة الجنسية لحكام مصر .. وتحلوا بحياء الغوازي وتساءلوا كيف يسمح بنشر هذا العيب الذي ارتكب في أعراضنا ألا يفسد ذلك الأطفال ؟ كأن العيب ليس في وقوعه بل في معرفته ! وتساءلوا ما أهمية أن نعرف التاريخ الجنسي للعصابة التى كانت تحكم مصر .. ؟ كأنها مسائل شخصية لأفراد عاديين وليس سلوك عناصر مسئولة تركت الوطن يهوى للضياع ، وباسم المعركة ووعد بفتح عكا استخدمت السلطات الرهيبة التى حازتها باسم هذه المعركة في فتح زجاجات الخمر وهتك الأعراض وغرس أعلامهم بين النهود والافخاذ .

.. فهو فساد سلطة يجب أن يكشف ويدرس للأجيال حتى يعرف الناس كيف كانت تـ .. ولاً بلاش ، خليها كيف كانت تحكم مصر . وكيف كان البعض والبعضات يصلون ويصلن للقرب من السلطة ؟ ولماذا بهم شبق لعودة هذا العهد ورعب من كشف حقائقه ... وأهم من ذلك حتى يتعاهد الأشراف لمنع عودتهم ولو كلفنا ذلك حياتنا فقد عُلمنا أن الشرف أغلى من الحياة وأن الوطن أغلى حتى من الشرف الفردي .
أما أن يستنكر التقدميون أن تنتقد فنانة أو راقصة أو حتى بغي والعياذ بالله السادة الحكام فهي مرحلة جديدة من الفكر الثوري الارستقراطي .. أكانوا يتوقعون أن تكشف فضائحهم الجنسية رابعة العدوية ؟ ! ..

هيك ثوار بدهم هيك مؤرخة .. « ولكل شيء آفة من جنسه » كما قال فنان مصر نجيب محفوظ .. ونصل إلى الإسفاف عندما يهاجمونها لأنها سكتت والطغاة أحياء بل حتى خضعت فلماذا تتكلم الآن ؟ ! ياسبحان الله على فجورهم .. ألا يذكر الناس في بلادي كيف تنصل عبد الناصر وكُتابه من

مسئولية ما جرى بادعاء أنه كان مسلوب الحيلة ضعيفا أمام إرهاب مجموعة عامر ونصر وعليش .. إلخ ومن ثم آثر الصمت فلم يتكلم ولم يعارض حتى خلّصه جيش إسرائيل منهم فاستجمع شجاعته وتكلم .. فهل يطالب هؤلاء الست بأن تكون أشجع أو أشرف وأحرص على مصلحة مصر من جمال عبد الناصر الذى آثر سلامة رأسه على سلامة الوطن والعرض والشرف ؟

واخيرا لقد قلنا من سنوات إن هؤلاء ليسوا بناصريين ولا يؤمنون أو يدافعون عن عبد الناصر .. بل يدافعون عن ارتباطهم بعصابات صلاح نصر ، وما تورطوا فيه من أعمال مع هذه العصابات ، وماحصلوا عليه من مكاسب في ذلك العهد من هذه العصابات .. ثمن ما فرطوا .. ومن ثم فهم مع صلاح نصر ضد عبد الناصر ، وهم يعتمدون على جهل قارئيهم إذ المعروف تاريخيا أن عبد الناصر قبض على صلاح نصر وقدمه للمحاكمة ، وأطلق عليه كُتّابه ينهشون سمعته وسمعة جهازه ، ولعلنا نذكر مقالة زوار الفجر التي لم تكتب إلا بعد أن قال لهم عبد الناصر : « بسك عليه » وحكم على صلاح نصر بالأشغال الشاقة أو السجن لا أذكر ، ولكن بعد أن أدين بتهم تخل بشرف أمة كاملة ووقف في بلكونته يهدد بنشر فضائح عبد الناصر .. فكيف يكون الناصري مع ناصر ونصر في نفس الوقت إلا إذا كان من الذين أوتوا سعة في الضمير لا تفوقها سعة إلا رحمة الله .

أعود لحديثنا فأقول إن رواج كتاب « ثورة يوليو الأمريكية » قد خلق طلبا شديدا على كتابي هذا « كلمتي للمغفلين » الذي كانت في الأسواق منه بعض نسخ الطبعة الثانية السيئة الإخراج والطبع حتى ضاعت منه فقرات ، وتلقيت طلبا كريما بإصدار الطبعة الثالثة فحررناها وضبطناها وأصدرناها لتنعم بالرواج مع أخواتها ويصيبها من العز جانب خاصة أنها تضم قسما عن تفريط عبد الناصر في الوحدة العربية وجريمة فصل السودان لم يردا في الكتاب الآخر الذي ينفرد بدوره ببعض الفصول الجديدة .

وهذا الرواج إن عبر عن شيء فإنما يعبر عن فهم ووعي القارىء وأن محاولاتهم وسيطرتهم على أجهزة الإعلام والملايين التي ترصد لهم لم

تؤثر في سلامة هذا الفهم ولا استطاعوا قتل الرغبة في معرفة الحقيقة من الأقلام الشريفة .

فالشكر لله أولا وأخيرا .. والرحمة لوالدة طالما كررت على مسامعي .. « امشى صح يحتار عدوك فيك » .. وللوالد الحبيب الذي كان يقول لي اتخذ الموقف الذي يمليه عليك ضميرك فإن خسرت كان ربحك رضاء الضمير وإن ربحت كان ربحك مضاعفا .. وشكرى واعتذاري لسيدة فاضلة ، وأولادها يعرفون أن أحب الناس يحرمهم من بقايا سنوات عمره ، بل ويستعجل نهاية هذا العمر بما يكتب ، ولكنهم يشهد الله ما حاولوا لحظة واحدة صرفي عن الكتابة كأنهم يعلمون أنني أكتب لكى أجنب جيلهم مانزل بجيلنا ووطننا ..

وأتقدم بشكرى لمناضل أصيل ومدافع عن حرية الكلمة ، دفع ثمنا غاليا لمواقفه ضد الطغيان وعانى ما يكفي لفك رقبة جيل بأكمله .. هو الأستاذ « محمود عبد المنعم مراد » الذي - كعادته - لم يخف في الحق لومة لائم فتحدى قرار الصمت .

وأيضا للرجل الذى كانت مكالمته في فجر اليوم الثاني لصدور الكتاب ، وحماسته للكتاب رغم ما كان بيننا من جفوة ، درسا تعلمته في الموضوعية والحب في الحق وحده ..

وإلى اللقاء ياقارئي في طبعات جديدة وكتب جديدة ليغيظ الله بها الكافرين ويشفي صدور قوم مؤمنين منهم من قتل ومنهم من سجن ومنهم من عذب .. وفي النهاية تجرعوا كأس الذل على يد إسرائيل حربا وسلاما ... ويريدونهم أن يهتفوا للرامي .. من مشى على تاريخهم مستهزئا ولو استطاع لمشى على الأهرام !

رجب ١٤٠٩ هـ
فبراير ١٩٨٩ م

محمد جلال كشك
٣ ب بهجت على ـ الزمالك

مدخل

لم يكن في خاطري الكتابة عن «عبد الناصر» في هذا الوقت، فهذا العمل الكبير حجما وتأثيراً يأتي على قائمة التسعينات باذن الله، لعدة أسباب تكونت عندي قناعة بها عند ترتيب ما اتمنى انجازه، وذلك في عيد ميلادي الخمسين، عندما قررت أنه قد حان وقت التخلي عن الصحافة، والتفرغ للعمل الفكري والتاريخي، في شكل كتب أو نشرة محدودة التوزيع، بعيدة عن التعليق المباشر على الاحداث اليومية، فقد كان علي ان افرغ من وضع تاريخ صحيح للحركات الاسلامية، بعيدا عن تشويهات التاريخ الصليبي ـ الاستعماري، وكان على أن افرغ من سلسلة تاريخ مصر الحديث التي اصدرت منها كتابيّ عن الحملة الفرنسية، والحركة الوطنية في السودان، وكان علي ان اطرح تصوري لفكر الحركة الاسلامية المنشودة. . وكان المقدر ان افرغ من ذلك كله في نهاية الثمانينات. . ثم يأتي الدور على تحليل الناصرية بعد التمهيد التاريخي لفهمها كظاهرة أو مرحلة في تاريخ مصر، ذلك أن عنصراً أساسياً في تخبط جيل الناصرية وحيرته انه قد تعرض لعملية تجهيل مقصودة بما سبقها من قرون في تاريخ مصر بل وتاريخ العرب وربما كان هذا «التفريغ» ضروريا لكي تبر ز «المنجزات» فلم يكن أمام ابطال ليلبوت من فرصة للحوار مع «غاليفار» الا بتقييده بالحبال وطرحه أرضا. .

كما كان ذلك التجهيل والتشويه ضروريا حتى يمكن سلب رجالات التاريخ المصري افضالهم وحتى يجلس «احمد فؤاد» في مقعد «طلعت حرب» ويعتبر ذلك انجازا ثوريا ومكسبا شعبيا. . وحتى يعتبر الجيل المبتور التاريخ ان بناء سد على النيل بقرض اجنبي وخبرة اجنبية بل وتنفيذ أجنبي ودون مساهمة مصرية تذكر من الناحية التكنولوجية، يعتبر عملا خالد بطوليا عجائبيا يكفي لمحو كل ما حدث من اخطاء وخطايا. . . ! لأنهم لا يعرفون أن «محمد علي» مثلا بنى «القناطر الخيرية» التي كانت في ظروفها وظروف مصر منذ ما يقرب من مائتي سنة عملا خارقا «لم يتأت للملوك الكبار» وكانت نتائجها ولاتزال على جغرافية مصر واقتصاد مصر وانسان مصر ما لا سبيل الى مقارنته بأية احلام معلقة على السد العالي. .

بناها محمد علي قبل ان يوجد في مصر مهندس مصري واحد! وبناها بدون أن يقترض مليما من الخارج يرهق به ميزانية عدة اجيال لا يعلم الا الله عددها. ولم يهتف مرة واحدة «حنبني القناطر» ولا سجل التاريخ له خطبة واحدة حول بناء القناطر أو المؤامرة الدولية ضد بنائها.. كما لا يعرف هذا الجيل انه في ظل الاستعمار البريطاني أمكن ان تقيم مصر خزان اسوان - ١٩٠٣ - ونتائجه المحققة حتى الآن تفوق التوقعات المحتملة للسد العالي...

كان الأمل أن يفرج عن التاريخ المصري، حتى يمكن تقييم «حركة ٢٣ يوليو» على ضوء منجزات الشعب المصري، بل والحكومات التي سيطرت على مصر سواء في عصور الاستقلال او الاحتلال وما استطاعت تحقيقه بفضل امكانيات مصر ولزيادة حصتها من ثروة شعب مصر.

وكان القصد ايضاً أن تتاح وثائق اكثر، باعتبار أن مصادر تاريخنا لا تزال في ارشيفات الدول الكبرى، وكان الظن أن يبدأ الافراج عن الوثائق الامريكية ابتداء من عام ١٩٨٣ أي بعد مرور الثلاثين سنة القانونية، فاذا ما وصلنا الى التسعينات كان متاحا لنا على الاقل الفترة بين ١٩٥٢ الى ١٩٦٠ وهي كافية جدا، وليست حاجتنا للوثائق للاقتناع أو الاكتشاف، فنحن كنا ومازلنا شهود عيان، وما توصلنا إليه من معرفة تؤكده الحقائق كل يوم، وانما نحتاج الوثائق للذين لايؤمنون الا بعد أن يدسوا أصابعهم في الجرح.. او بالاحرى حتى ندس اصابعنا في جرحهم!! وعلى اية حال لم يعد الانتظار ضروريا، فالتطورات الجارية في الدولة الامريكية منذ وصول الرئيس ريغان وسيطرة اليمين، قد فرضت من القيود على نشر الوثائق وخاصة المتعلقة بنشاط المخابرات الامريكية ما يؤكد انه لن يتاح للمعرفة وللمؤرخين الا النذر اليسير بعد أن ألغي مفعول «قانون حرية المعلومات» الذي صدر في فترة «الثورة الليبرالية» التي اجتاحت امريكا عقب حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت...

اما السبب الاهم في نظري لقراري السابق بتأجيل الكتابة، فهو ان يفعل عامل الزمن فعله في الكاتب والقارىء، فتبرد حدة الاحداث وتتحول الى تاريخ، له سلبياته وايجابياته.. ولا يمكن لكاتب مثلي أن يدعي الحياد في الكتابة عن «انقلاب ٢٣ يوليو» وانا كمواطن مصري، عاش احداثها كاملة واثرت في حياتي ومستقبلي الشخصي والمهني والوطني والقومي.. يستحيل أن يكون المرء محايدا في الحديث عن حركة، أعطته احلى ايام عمره، واتعس نكسات وطنه...

كيف ادعى الحياد، ازاء تصفية الاستعمارين البريطاني والفرنسي وقد دام احتلالهما وامتهانهما لأمتنا العربية مايقرب من قرن ونصف قرن..؟ كيف وقد ضحيت بأحلى سنوات عمري في سبيل تحقيق الجلاء عن مصر، اكون محايدا ازاء هذا الجلاء وقد تحقق بل

ومرتين!! وقد عشت حتى رأيت بريطانيا تهزم في غزو مصر دما لم تهزم في عام ١٨٨٢ برغم كل اعجابنا وحبنا للبطل احمد عرابي ؟! وما اظن ان فرحة قد غمرت قلبا مثل فرحتي بقيام الثورة الجزائرية مع التسليم وقتها باستحالة انتصارها في عمر جيلنا. فما بالك بتحقيق ذلك الاستقلال في اقل من عشر سنوات؟

هل استطيع ان انسى «الهزة» الوطنية والقومية التي غمرت القلب والروح والعقل باعلان تأميم قناة السويس، وتصفية المصالح الاجنبية في الاقتصاد المصري وتخليص القطن من قرداحي ومزراحي، واعلان الوحدة المصرية السورية، وسقوط حكم نوري السعيد وطرد غلوب باشا.. وكلها كانت احلام المراهقة، وعرائس الشباب؟!

وكيف اكون محايدا ازاء خروجنا من دائرة النفوذ الانجلو- فرنسي ودخولنا في عصر الهيمنة الاسرائيلية والنفوذ الامريكي - الروسي؟!

وكيف اكون محايدا وقد كان ثمن الجلاء فصل السودان، ولو خيرت في مطلع الخمسينات بين بقاء الاحتلال الف عام وقبول فصل السودان لما اخترت أبداً فصَل السوادن.. وقد كان شعار مصر من رئيس الوزراء الى اصغر مصري «تقطع يدي ولا يقطع السودان» قالها زعيم وادي النيل الخالد، ووفى بها.

هزمنا بريطانيا وفرنسا وتركنا غولدا مائير تقول عن حرب سيناء الأولى «ومن بين الثلاثين الف عسكري مصري الذين انطلقوا هائمين كالمجانين في الرمال، التقطنا خمسة الآف أسير فقط لكي نبادلهم جميعا بالاسير الاسرائيلي الوحيد الذي اسره المصريون»[1]

أهذا جرح يشفى؟ لا والله.. سيصحبني الى القبر، ولولا انه غسل بالدم وببرقية «غولدا» في حرب رمضان «ايقظ كسينغر الآن. لأننا نريد المساعدة اليوم فغداً ربما يكون قد فات الأوان»![2] لولا ذلك لبعث جيل بأكمله مجروح العرض يوم القيامه!

ايمكن ان اكون محايدا وانا اكتب عن هزيمة ١٩٦٧ التي لم تترك قيادتنا ثغرة واحدة يمكن ان ينفذ منها النصر العربي الا وسدتها، ولا غلطة يمكن ان يستفيد منها العدو لم ترتكبها ؟ !

ما بين فرحة تأميم القناة.. وبين الحسرة وعبد الرحمن البيضاني يعد رجاله بأنه اتفق مع مصر على تخصيص دخل القناة لدعم ثورة عبد الله السلال؟!

ما بين الفرحة بالوحدة، ومرارة الانفصال وانتكاسة ثورة العراق.. وتمزق الوطن العربي وتحول ثورة الجزائر الى قوة نشطة معادية لمصر وانهيار مكانة مصر ودور المصريين بل واحترامهم في سائر الدول العربية..

ما بين تمصير الاقتصاد المصري وتدمير هذا الاقتصاد والقضاء على فرصة مصر لبناء الوحدة الاقتصادية العربية حول مصر وبقيادة مصر، حتى لم يبق في السوق العربية، الا الخادمة المصرية وفول مدمس «قها» ونحن الذين اقمنا أول شركة طيران عربية، وأول بنك

عربي، وأول مصنع سماد عربي وأول صحيفة عربية وأول جامعة عربية واول صناعة عربية. بل نحن الذين كانت نقود العالم العربي تسمى على اسمنا «المصاري»! والمدهش ان ذلك كله حصل في الفترة من ٢٤ الى ١٩٥٢ ودمر في فترة أقل من ١٩٥٤ الى ١٩٨١ !؟

كيف اكون محايدا وقد تحولت مصر الى سجن كبير، اختفت فيه كل مظاهر وشكليات الديموقراطية، وضرب فيه رئيس مجلس الدولة «علقة» ونودي فيها على شيخ كلية دينيه في سجن حمزة السيوني «يا شيخ شُادية» فيرد مجيبا من هول مانزل بانسانيته من اذلال وشنقت السلطة. لأول وآخر مرة في تاريخها ـ باذن الله ـ كتابا ومؤلفين وجها بذه في الفقه والأدب والتفسير.. وهو مالم يجرؤ الاستعمار البريطاني الملقب بعدو الانسانية، على ارتكابه وهو يحتل مصر بثمانين الف جندي؟! كيف اكون أنا محايدا. والقانون في اجازة؟!

ما بين ذكريات «امجاد يا عرب امجاد» وشكوى بريطانيا سيدة فن الاعلام، من ضراوة ونجاح الاعلام المصري، وبين تراجع صحافة مضر الى المرتبة الثالثة في كل البلاد العربية حتى التي تعلمت القراءة على يد المصريين؟! وبين «توارى» مدير صوت العرب، وكأنه قد حمل كل خطايا الاعلام الناصري بل أصبح رمزا لكل ما هو سيء اعلاميا!

مستحيل ان يدعي المرء «الحياد» في الكتابة عن «زعيم» وصل الى السلطة وكل شيء في مصر اكبر منه، ومات وهو اكبر من مصر وكل ما فيها!!

مستحيل.

ولذلك كنت اتهرب، واحاول ان اكسب وقتا بتأجيل الكتابة، الى ان كانت عودتي لمصر بعد غيبة دائمة خمس سنوات، وهجرة قاربت على الخمسة عشر عاما.. ورأيت البعث الناصري في كل مكان.. فالحوار الخاطيء الذي يدور حول من هو الأسوأ «الرئيس الراحل ام الرئيس الارحل» قد رجح كفة الرئيس الارحل جمال عبد الناصر.. ونسى المتحاورون ان عبد الناصر هو الذي اختار السادات نائبا له، بل الأحرى أنه هو وحده الذي بقى الى جانبه حتى الرمق الاخير، بعد أن تمت تصفية واقصاء كل رجالات مصر واعضاء مجلس الثورة... وان انور السادات جزء لايتجزأ من «حركة ٢٣ يوليو» مفهوما وأسلوبا وأنه المتمم لمرحلة عبد الناصر، مع الفارق بين انفاق الوارث والدنيا مقبلة، واستجداءه وقد جدبت الموارد وافلست الخزائن.

جمعت عددا من الكتب الناصرية التي تزخر بها المكتبات والارصفة المصرية، وهالني ما قرأيت، فالتجهيل والتشويه، مستمران ولكن بشكل اكثر سوقية واكثر ابتذالا.

وسمعت عن محاولات انشاء حزب ناصري يستأنف المسيرة ورأيت «الجامعة الامريكية» بالقاهرة تتحول الى اكبر مركز للناصرية؟!

ولم ادهش ، بل لعلى رأيت ما توقعتــه بالحـرف ، ولـو كان غير ذلـك لكـان للدهشـة ما يستوجبها وللحيرة ما يبررها . . «فالجامعة الامريكية» في بيروت هي مركز «اليسار هذا» . . ومن دراستنـا هذه ان شاء الله سيجـد القـارىء ما يقتنـع به انـه من الطبيعي جدا ان تكون «الجـامعـة الامـريكيـة» هي قلعـة النـاصـرية ، ومركز تفريخ الجيل الجديد من الناصريين ، ومعهد تنظير وتنميق وترويج الفكر الناصري .

وقـررت ان اقـول «كلمتي للمغفلين» وليس للتـاريـخ كما فعل محمد نجيب واذا كنت لا استطيـع ان اعـد القـارىء بأن اكون محايدا أو غير منفعل في كتاباتي اذلا يملك القلوب الا الله ، فإني اعده بما يرضيه وينصفني معه . .

١ ـ الا اقدم واقعة واحدة غير مثبتة المرجع

٢ ـ ان اعتمد بالدرجة الاولى على شهادات الناصريين . . والمصادر الاجنبية التي لاتحتمل الشك . . على الاقل في الواقعة التي نستشهد بها فعندما تقول غولدا مائير أن ايزنهاور اصر على الانسحـاب بلا قيـد ولاشـرط ويؤكد نفس الحقيقة سلوين لويد ، لايمكن ان نتهمهما بالشيـوعيـة وتشويه سمعة امريكا؟! خاصة عندما تؤكد الوثائق هذه الحقيقة . وعندما تتفق رواية مصطفى امين ومايلز كوبلاند على دوركيرمت روزفلت في مصر ، من حقنا ان نرفض انكار هيكل المتهم الأول .

٣ ـ ان التزم بالموضوعية ـ وهي غير الحياد ـ في عرض سلبيات وايجابيات العهد الناصري .

مع التأكيد ان ما اقدمه من وقائع قد تحريت صدقه بكل ما في طاقة باحث اومؤرخ ، أما التحليل الذي وصلت اليه فهوبلا شك معرض للخطأ ، قابل للرفض والنقض . . ومقارعة الحجة بالحجة .

ولا ازعم انني اشيـد بعبـد النـاصر أو ادينه فذلك متروك للقارىء ولا ازعم انني سأهدى جيلا من الضـلال ، بل غاية ما اصبو اليه هو أن اسجل خبرتي ومعايشتي وقراءاتي للجيل القارىء اليوم ، فإذا كان مقدرا لمصر والعرب ان يخوضوا تجربة ناصرية جديدة ، فعلى الاقل ندخلها عن وعي هذه المرة .

وقد يتساءل القارىء لماذا اركز على «هيكل» والجواب ليس فقط للمكانة التي احتلها في العصر الناصري تلك المكانة التي تشكل في حد ذاتها سؤالا ضخما بل عريضة اتهام حافلة للنظـام النـاصري ، ولا لأنه هو المتصدي الاكبر للترويج للناصرية . بل لأنه احد الحلقات الرئيسية في العلاقة الامريكية ـ الناصرية ، لأن «هيكل» كما جاء في كتاب «حبال الرمال» ـ ولم يعـترض هو ولا اتخـذ اي اجـراء ضد المـؤلف والنـاشر ـ قد جندته المخابرات الامريكية كعميل في أوائل الخمسينات . . وأصبح بطريقة ما المتحدث الرسمي باسم الوطنية الناصرية والقومية العربية . ومن ثم فإنه يعرض قصة الناصرية من زاوية يهمنا التصدي لها .

كذلك استعنت بشهادات رجالات ٢٣ يوليو. . ومن المؤيدين لها في اطارها العام حتى وان اختلفوا في تفاصيل تدور حول أشخاصهم في الغالب أوحول كارثة وطنية لامجال لقبولها الامن مأجور.

وقد ركزت على قضية العلاقة مع الامريكان والمواجهة مع اسرائيل ومعركة ١٩٥٦ والسودان والوحدة والانفصال، فلم اتعرض الا بحكم الضرورة للاوضاع الداخلية والاستبداد السياسي باعتبار ان هذه قضية اشبعت بحثا، ويعترف بها الناصريون انفسهم ويعتذرون عنها بما تحقق من انتصارات في ميادين محاربة الاستعمار والوحدة العربية، والتصدي لاسرائيل. . . الخ.

وربما يرى البعض ان فصل «الامريكان باريس» كان اجدر به لو أخر الى نهاية الكتاب على اساس انه النتيجة التي تثبتها هذه الدراسة، ففيه نتحدث عن علاقة الامريكان بحركة ٢٣ يوليو. . ومن ثم فلا بد ان نمهد للقارىء، حتى يصل الى القناعة بما ندعيه عبر الحقائق والتحليلات لتاريخ الناصرية ومواقفها والتي كشفنا فيها مدى التزوير الذي تعرض له هذا التاريخ.

ولكنني رأيت ان ابدأ به فصول الكتاب حتى وان صدمت القارىء، وحجتي في ذلك انني لم استهدف ابدا اثبات تهمة التآمر بين الناصرية والامريكان، حتى يمكن ان يكون ذلك هو عبرة الكتاب ونتيجته المنطقية!

لاليس هذا هدفي ولا هو بالهدف الذي يستحق ان يقتصر عليه الجهد، وأنا اكرر ما قلته في اكثر من موضع أنه ليس من اهدافي ان اسيء الى عبد الناصر أو ان أدينه بتهمة ما. . تماما كما لم يكن بيني وبين الشريف حسين ثأر شخصي ولا مصلحة ممكنة أو ممنوعة، والرجل قد مات قبل أن أولد، انما أردت بتحليل العلاقة بين ما اسموه بالثورة العربية الكبرى، والمخابرات البريطانية، القاء الضوء على ما تولد عن هذه العلاقة وترتب عليها من نتائج مازالت امتنا تعاني آثارها الى اليوم. كذلك اردت بكشف العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو والمخابرات الامريكية، ان اكشف للشعب العربي، التاريخ السري الذي اشار اليه رجل المخابرات الامريكية ومدير شئون ثورة ٢٣ يوليو عندما قال «ان المؤرخين والدارسين الذين لاتتاح لهم معرفة التاريخ السرى للاحداث، لايمكنهم أن يفسروا مثلا لماذا تجنب عبد الناصر الحرب مع اسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملا، بينما قاد بلاده الى حرب محتومة الخسارة»[٣]

وهذا الجهل بالتاريخ السري، اوقع البعض في تفسيرات مجنونة مثل اتهام عبد الناصر بانه عميل اسرائيل، أو أمه يهودية. . هذا الاسفاف بل السخف الاحمق.

ان سلوك عبد الناصر، والاحداث التي مرت، والمواقف التي تبدو كالالغاز، والتي تجعل

بعض الناصريين «المخلصين» يرفعون ايديهم في حيرة العاجز، يطرحون السؤال ويعترفون باستحالة الاجابة عليه في اطار المنطق المفترض للناصرية. كل هذا لايمكن فهمه بدون معرفة «مفتاح» شخصية عبد الناصر، بدون الاطلاع على التاريخ السري لناصرية، بدون اكتشاف المعامل «س» الذي به وحده يمكن حل كل المعادلات المجهولة في الحقبة الناصرية..

والمعامل «س» هو تلك العلاقة التي انعقدت بين مجموعة جمال عبد الناصر في تنظيم الضباط الاحرار من جهة، وبين المخابرات الامريكية من جهة اخرى، عشية الثورة وبعد نجاحها وربما الى عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.

وهكذا كان من الطبيعي والمنطقي أن نبدأ بهذا الفصل حتى ولو شكل ذلك صدمة للقارىء، بل ربما دفع البعض، ممن يخشون الحقيقة، فيبغضونها، الى التوقف عن متابعة بقية الفصول.. لأننا نبحث عن تفسير لا عن ادانة، ولايمكن فهم مواقف الرئيس عبد الناصر من السودان والجلاء والعدوان الثلاثي واسرائيل وصفقة السلاح إلا على ضوء هذه العلاقة.. فضلنا ان نطرح التفسير أولا ثم نستخدمه في تحليل الاحداث، فتتأكد صحته مرتين، مرة كحقيقة موضوعية، ومرة بتطابقه مع النظرية العامة.. تماما كما امكن اكتشاف بعض الكواكب بالحساب، ثم ثبتت صحة الاستنتاج بتقدم الآت الرصد، مع الفارق في حالتنا، هو اننا اتبعنا الاسلوب العكسي، اي رأينا بالدليل الحسي علاقة الثورة بالامريكان، فلما استخدمنا هذه العلاقة في تفسير الاحداث، تأكدت صحتها.. لأنها قدمت التفسير المعقول.

ويجدر أن نأكد هنا، ما اكدناه في فصول الكتاب، من أن تنظيم الضباط الاحرار، **كان في مجموعه تنظيما مصريا وطنيا خالصا، نشأ من دوافع مصرية، وبنوايا وطنية صادقة، وان غالبيته العظمى لم تعرف لاوقتها، وربما الى الآن، هذه الصفقة التي عقدت مع المخابرات الامريكية، بل إننا نذهب الى أن عددا كبيراً من اعضاء مجلس الثورة لم تكن لهم معرفة بذلك.**

وقد اشرنا لذلك في غير هذا الموضع.. ولكننا نرجح هنا أنه لا يوسف صديق ولا البغدادي ولا حسين الشافعي، ولا رشاد مهنا ولا كمال الدين حسين، كان لهم علم بذلك، كما نقطع أن خالد محي الدين لم يشترك فيها. اما انه احس بها أولم يحس فتلك قضية لانجزم فيها.. كذلك نعتقد ان صلاح سالم اكتشفها مبكرا وفي خلال أزمته في السودان وحاول أن يوازنها بعلاقة مع الروس فاحترق.. وان جمال عبد الناصر وعامر وزكريا وأنور كانوا على علم بها منذ البداية، وان كان «انور» قد بقي بعيدا، سواء عن ذكاء منه، أو خوفا منه، او اهمالا لشأنه.. يضاف اليهم في حدود ما وصلنا اليه ـ على صبري وحسن التهامي.. غير

أن على صبري قصة اخرى تماما . . اذ نعتقد ان له دورا أخطر من ذلك . .

كما نؤكـد هنـا ان «جمال عبـد الناصر» لم يكن عميلا للامريكان، ولا كانوا يصدرون اليه الأوامـر، بل كما قال «مـايلز كوبـلانـد» المسئول من قبل الـ CIA عن مصر وعبد الناصر في الفترة من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ . «ولو أن كرميت روزفلت والمستشارون الذين بعثهم الى مصر ستيف ميد وجيمس ايكلدغر، ويول ليبرغر، وآخرون، لم يكونوا يديرون عبد الناصر باكثر مما يسيطـر عليـه الـروس اليـوم . . الا ان تلاقي افكـارهم مع افكـاره، جعل فلسفته تلقى عطفهم وتأييـدهم ، ومن ثم فإن ما فعله عبـد النـاصـر بصرف النظر عن موافقة الغربيين أو عدم موافقتهم، فهـذا لايهم ازاء حقيقـة ان هذا الـذي فعله قد نال تأييد فريق من الغربيين لاشـك في اخـلاصهم المطلق لمصـالح بلادهم، وان هؤلاء الذين ايدوا عبد الناصر، كانت توجههم المبادىء المقبولة، في الغرب».

انهـا لعبـة شديـدة التعقيـد ، اراد عبـد الناصر فيها أن يوظف «الولايات المتحدة» لخدمة اهدافه، التي كانت بلا شك وطنية في جوهرها، شريفة في مقصدها، ولكنه اخطأ وخسر، لسبب بسيط هو عدم التكافؤ بين اللاعبين . . وهذه هي العبرة التي نهدف الى استخلاصها وتقديمها للمشتغلين بالسياسة والذين سيشتغلون بها يوما ما . . انه لايمكن ان تنجز ثورة «بمـؤامـرة» وانـه لايمكن ان تتحقق مصـالح الشعـوب من خلال التعـاون مع اعـرق الاستعماريات ، المتعارضة المصالح والمواقف مع الأمة العربية وخاصة منذ سيطرة اسرائيل على السياسة في الولايات المتحدة.

إن هذه الصلة التي بدت في البداية، صحية وضرورية وحققت نتائج باهرة . . مثل النجاح المدهش في سهولته ، للانقلاب، ومثل شل القوات البريطانية ومنعها من التدخل، ثم اجبـار بريطـانيـا العظمى على قبـول الانسحـاب من السـودان، ثم خلع محمـد نجيب وتثبيت «نـاصر» ثم احبـاط الغزو البريطاني ـ الفرنسي . . وطرح عبد الناصر زعيما للقومية العـربيـة . . بل والمسـاعدة في تحرير الوطن العربي من الاستعمارين البريطاني والفرنسي . .

الا ان هذه العـلاقـة أو الحبـل السـري بين النـاصـرية والمخابرات الامريكية، كان يدمر في الجـذور، بقـدر ما يبهج بالزهور الوقتية، وخاصة فيما يتعلق بالصدام العربي ـ الاسرائيلي، والوحدة العربية، والبناء الحقيقي لقدرة مصر الذاتية . ففي هذه الميادين، عملت هذه العلاقة على تدمير ما كان قائما، وقـادتنـا الى الأفـلاس المطلق في الحقـول الثـلاثة، فقد خرجت اسـرائيـل في المواجهة الاسرائيلية ـ الناصرية باعظم نصر تحقق في اي صدام من نوعه، منذ انهيـار الامبراطـوريـة البيزنطية امام العرب . . ودمرت اسس الوحدة العربية، وتحولت من امكانية قبل ظهور ناصر الى مستحيل عند وفاته والى اليوم . . كذلك تدهور مصر من مكانة الدولة الاولى في الشرق الاوسط في كل شيء الى . . . ما نعرفه . . .

وهذا السر الخفي، هو الذي جعل بعض تصرفات النظام الناصري، تبدو وكأنها تصدر من جهة اسرائيلية. اذ لا شك في انها كانت، من حيث نتائجها، لمصلحة اسرائيل. مما جعل البعض كما قلنا يتخبط فيضع تفسيراً «بروتوكوليا» لها. ولا ننكر ان المخابرات الاسرائيلية كان لها وجودها في بعض المراكز الحساسة في النظام الناصري، بدليل «بعض» ما حدث في ١٩٦٧. ولكن التفسير الذي وصلنا اليه عن هذه التأثيرات الاسرائيلية على القرار المصري، هو انها تمت عبر المخابرات الامريكية. وما كانت تتمتع به هذه المخابرات من ثقة الزعيم. فاذا أضفنا الى ذلك، الحقيقة المعروفة، وهي ان المخابرات الامريكية هي اكثر الاجهزة الامريكية تعرضا لتأثير «الموساد» أو المخابرات الاسرائيلية، امكننا ان نتوقع ان تكون بعض النصائح التي قدمتها المخابرات CIA، والتي اربكت القيادة الناصرية، واسقطتها في اخطاء أجادت اسرائيل، الاستفادة منها، يمكن ان نتوقع انها موعز بها من عناصر الموساد داخل المخابرات الامريكية، ومن استرعى الذئب ظلم . . .

واعترف ان العنصر الاسرائيلي قد الح على الحاحا شديدا في هذه الدراسة عندما كنت أجد معظم الخيوط والاحداث، والقرارات الناصرية تصب في قناة واحدة هي: «مصلحة اسرائيل». حتى فكرت أن اجعل عنوان الكتاب: «كلمات على قاعدة التمثال» وسيجد القارىء آثار ذلك في بعض الصفحات مشيرا بذلك الى ما ذكره توفيق الحكيم، عندما شكل لجنة لاقامة تمثال لعبد الناصر بعد وفاته. فبعث اليه مصري مهاجر يقترح اقامة التمثال في اسرائيل، انطلاقا من حقيقة انه اذا روجعت خريطة المنطقة، على ضوء ما حققته من مكاسب في العهد الناصري، فستفوز اسرائيل بكل الجوائز من الميدالية الذهبية، الى الخشبية. فخطر لي ان تكون فصول هذه الدراسة هي الحيثيات لاقامة التمثال أو الكلمات أو المنجزات التي تنقش على قاعدته!

ولكن عندما تعمقت في الدراسة تأكد لي صدق وطنية ومصرية عبد الناصر وأنه فعلا أحس بخطر اسرائيل ابتداء من عام ١٩٥٤ ولكن علاقته بالمخابرات الامريكية وما اثاروه في نفسه من خوف، وما ربطوه به من تعهدات، وما أوهموه من وعود بتسويات. كل هذا أفسد فكره وشل يده واجبره على شن معارك واتخاذ قرارات، كانت كلها ـ للاسف ـ في صالح اسرائيل! ومعظمها لم يكن يهدف الا الى تجنب المواجهة الحقيقية، ومحاولة كسب الوقت حتى يأتي الحل الامريكي.

أما كيف فسدت علاقة عبد الناصر بالامريكان، ولماذا انهارت استراتيجيته في التعاون المصري ـ الامريكي، والذي كان يحمل امكانية ـ ولو نظريا ـ لتحجيم الدعم الامريكي لاسرائيل ومن ثم ترجيح كفة القوى المحلية في المنطقة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي. . . ؟ فالسبب في اعتقادي، هو ايضاً تلك الصلة الخفية مع الامريكان. فلو كانت هذه الصلة

استراتيجية معلنة، ومتفق عليها من جانب القوى الوطنية في مصر، لاتخذت مساراً اخر غير الـذي اتخـذتـه تلك العـلاقـة السـرية المشبوهة بالحتمية، والتي ظلت شبهتها تطارد الزعامة النـاصـريـة حتى فيـما بينهـا وبـين نفسهـا، والتي كانت تحتاج باستمرار الى «المهرجان» ضد امـريكـا في العلن، لاخفـاء ما يجري في الخفـاء، وللحصـول على الشعبية المطلوبة كشرط استثمار والاستفـادة من هذه العـلاقـة، وهـو أمـر لا يعـرفه الا عدد محدود من الامريكان لا يمكنهم التحكم في الـرأي العـام الامـريكي بمـؤسسـاتـه الـدستـوريـة والـديمـوقـراطية والصهيونية. واذا كان زكريا محي الدين، قد اعترف ان «اللعبة» كانت محتومة الفشل، وفسر ذلـك بالمـؤسسـات الامـريكيـة وعصبية عبد الناصر فاننا نفسر قوله ـ وهو الذي اعتاد ان لا يتكلم فاذا نطق لا يكلم النـاس الا رمـزا! ـ نقـول أنـه يقصد التأثير اليهودي على الاجهزة الامـريكيـة، وبـالتـالي صعـوبـة أو استحالة تأييدها لمصر أو لبلد عربي الا في اطار ما يخدم اسـرائيـل. وايضـا صراع هذه الاجهزة وعدم «انضباطها» من وجهة نظر أعتى وزير داخلية حكم مصـر منـذ جوهر الصقلي. ومن ثم لا يمكن التحكم في تصريحات اعضاء الكونغرس ولا في تصـرفـات المسـؤولين مما يثير «عصبية» عبد النـاصر، وبالتالي يقع في الاستفزاز، فيرد عليه باستفزاز أشد.. فهويقول: «ان مصادقة الامريكيين هو أمر قريب من المستحيل، لان البناء السياسي لها يؤثر على استراتيجيتها، ويدلل على ذلك بأنه خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الاولى للثورة. استطاعت اسرائيل ان تكون عامـلا مؤثـرا في زعـزعة هذه العلاقات، ويضيـف قائلا: خصوصا اذا كنا نستجيب بسرعة للاحداث وتكون انفعالاتنا هي اساس سياستنا»[4]

وهـذا يرجـع الى «العلاقة السرية».. الى تصورعبد الناصر ان «المخابرات» ستحل له مشكلة النفـوذ الاسـرائيـلي في الاجهـزة الامـريكيـة، وستحقق مطالبه من وراء الكونغرس ووزارة الخـارجيـة، كما سنـرى، ومن ناحية اخرى فان هذه العصبية كانت مقصودة لاخفاء العلاقة السـرية. كان من الضروري التطرف في سب امريكا، ورصد كل حركة أو تصريح في جميـع ارجـاء العـالم والـرد عليـه باكثـر الصـور علانيـة، على اساس ان هذا التطرف في «التصريحات» يخفي العلاقة، ويساعد على القيام «بالدور الايجابي البناء»

ثم تطـورت الأمـور فأصبـح هذا هو مورد مصـر الاسـاسي، عنـدمـا كفت عن الانتاج والتصـديـر، ولم يبق امـامنـا من مصـدر للعملة الصعبـة الا «المهـرجان» او السيرك المفتوح لكسب متفرجين أو رأي عام عالمي، ومن ثم نبتز بهم الدول الكبرى لتدفع ثم سكوتنا أو كما كتب هيكل في عام ١٩٦٤ «ان سياسة مصر الخارجية هي استثمارات لانها تعود بفوائد عملية وسياسية لمصر في شكل مساعدات اقتصادية من امريكا وعسكرية من روسيا»[5] ولم يكن امام النظـام النـاصـري من حل آخـر، بعـدمـا رفض طريق الثورة الحقيقية وبناء القوة الذاتية، معتمداً على طاقات المصريين ووحدة عربية حقيقية تجمع الامكانيات العربية في اتجاه واحد

بناء.. ولأنه صدق ما قاله له الخبراء الامريكان: «حتى لو حصلت على البليون دولار التي تحتاجها لخطتك الخمسية، وحتى لو نجحت هذه الخطة حرفيا، وحتى لو عمل كل مصري بأقصى طاقته، وتحت اشراف افضل الخبراء الاجانب، فان افضل ما تتوقعه هو منع هذا البلد من التقهقر للوراء، لن تقدم لهم لقمة عيش افضل ولا تعليم افضل ولا رفاهية للشعب لا شيء افضل لان زيادة النسل تأكل الفرق»[6].

ووصل عجز مصر التجاري الى ٤٠٠ مليون دولار سنويا وهبط الاحتياطي الى ٤٠ مليون دولار من الغطاء الذهبي و٤٦ مليون عملة صعبة في البيانات الرسمية - بينما لم يكن الموجود الحقيقي يزيد عن ثلاثة ملايين دولار وفي ١٩٦٦ جاء في تقرير امريكي ان مصر لو باعت ذهبها كله لما كفى لدفع استيراد شهر واحد..

وقد اشار «مصطفى امين» في رسالته لعبد الناصر الى قناعة الرئيس المصري بسياسة «المهرجان» أو لعب دور الدولة الكبرى لكي تدفع لنا الدول الكبرى بصحيح وذلك عندما قال: ان الامريكي قال له «لو اهتم جمال عبد الناصر بشؤون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل في الكونغو والعراق واليمن فان الحكومة الامريكية مستعدة لان تساعد مصر ماليا مساعدات ضخمة، فقلت له على لسان سيادتكم انكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجي لما اهتمت امريكا بنا ولما اعطتنا دولارا واحدا. ولو اننا بقينا على حالنا في الداخل ما استطعنا ان نتحول الى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك بمواقفنا في الخارج»[7].

وهكذا فحتى عام ١٩٦٥ كانت امريكا تقدم ثمانين بالمائة من الخبز الذي يأكله المصريون أو الرغيف المدعوم[8]، ودخلت مصر في الحلقة المفرغة التي اشار اليها «مايلز كوبلند» عندما قال: «كان استمرار المهرجان ضروريا للحصول على الدعم، كما اصبح الحصول على الدعم ضروريا لتمويل المهرجان» يعني لابد أن تتدخل مصر في الكونغو لتحصل على دعم من امريكا وروسيا، ولكن جانبا مهما من الدعم ينفق على حملة الكونغو، وهكذا من الكونغو للعراق لسوريا للجزائر.. للمغرب.. لغانا.. لليمن حتى جفت الاعتمادات وانفض المهرجان.. ولم يبق الا الافلاس[9]..

ان رجال المخابرات الامريكية الذين اتصلوا بتنظيم الضباط الاحرار وتعاونوا مع مجموعة عبد الناصر كانت تحركهم ثلاثة اهداف:

١- منع قيام ثورة راديكالية حقيقية في مصر.

٢- حماية اسرائيل.

٣- تصفية الامبراطوريتين، البريطانية والفرنسية في العالم العربي، واحلال النفوذ الامريكي وليس الروسي محلهما..

ولا جدال في انهم حققوا الهدف الاول والثاني بتفوق ولكن الجدل حول الهدف الثالث، لما يبدو لبعض المؤرخين، وكأن النفوذ الروسي قد دخل المنطقة بفضل الناصرية، وهذا صحيح جزئيا ولكن يجب الا ننسى عنصر «الوفاق» بين الروس والامريكان الذي ظهر في عنفوان الناصرية، وان الصدام الحقيقي في المنطقة كان بين امريكا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة اخرى، وان الامريكان اكتفوا بتدمير كل القوى التي يمكن أن تحول المنطقة الى دول شيوعية ترتبط الى الابد مع الاتحاد السوفيتي، وقد صفى عبد الناصر الحركة الشيوعية في العالم العربي. وتاكتيكات لعبة الامم، فرضت على الانجليز أو الامريكان، الاستعانة بالدب الروسي نكاية في النسر الامريكي أو الاسد البريطاني، مع اطمئنان كل من المتصارعين الاستعماريين، الى ان التخلص من الدب الروسي سهل وممكن في اللحظة المناسبة، كما حدث في حالة مصر والصومال والعراق على سبيل المثال. . . وسنرى خلال هذه الدراسة ان اهم خطوة في العلاقات المصرية ـ الروسية كانت بعلم الامريكان ان لم نقل تشجيعهم.

ويجدر أن نشير هنا الى تجربة مماثلة حدثت في العالم العربي، وللاسف فان نفس التزوير، والرغبة في خداع النفس، والتشبث بالاوهام، منعت من دراستها الدراسة الواجبة، ولو حدثت هذه الدراسة، لربما تجنب قادة حركة ٢٣ يوليو الوقوع في نفس الخطأ. . ولربما تجنبوا أن يأتي مؤرخ فيطلق على حركة ٢٣ يوليو اسم «ثورة كيرميت روزفلت» كما اطلقنا نحن على ثورة الشريف حسين أو «الثورة العربية الكبرى» لقب «ثورة لورنس».

ففي الحرب العالمية الاولى كانت بريطانيا تحتل معظم العالم العربي، ومصر والسودان، وتعتبر الجزيرة العربية في منطقة نفوذها، وكان العدو هو تركيا، وهي ايضا الامبراطورية الآفلة التي تستعد بريطانيا لوراثتها، وكانت بريطانيا تخشى أن ينضم العرب للاتراك تحت تأثير الرابطة الدينية، أو حتى بالحس السياسي الذي كشف لهم ما تدبره لهم بريطانيا وفرنسا. .

ولذلك قامت المخابرات البريطانية بتدبير، ما وصف بعد ذلك، بالحدث الفريد من نوعه، وهو الاتفاق مع الشريف حسين على اعلان «الثورة العربية» ضد دولة الخلافة. . وبقية القصة معروفة، اذ كانت هذه «الثورة». احد العوامل في تمكين الاستعماريين: البريطاني والفرنسي في المنطقة، فتقاسما الوطن العربي كأنه فريسة بلا حول ولا طول. . واعطيت فلسطين لليهود بلا اعتراض جدي من «الثوار».

وسيجد المؤرخ تشابها غريبا في احداث الثورتين، الشريفية والناصرية، وبعض المؤرخين يسلكهما في خيط واحد في سجل تشريفات القومية العربية! . . سيجد نفس

الـلامبـالاة بالصهيـونيـة في البـدايـة، بل والامل في التصالح معها . . وسيجد هذه العلاقة «العاتبة»، «المتوقعة». . «الشاكية». . «المتوترة». . والتي ستنتهي بهزيمة عسكرية فادحة هنا وهناك، وفي المرتين يتساءل المؤرخ . . لماذا اندفع الشريف حسين الى محاربة عدو اقوى منه وأقدر على انزال الهزيمة الساحقة به وفق كل المعلومات المتاحة . وذلك في عام ١٩٢٦ ضد السعوديين. ولماذا انساق عبد الناصر الى هزيمة ١٩٧٦ بعد نصف قرن ؟ . . . ويستحيل الـوصول الى جواب مقنع، اذا ما أصر المؤرخ على اغفال هذا العنصر في الحالتين، . الارتباط مع المخابرات البريطانية، ومن ثم تصور استحالة تخلي الانجليز عنه، وفي الحالة الثانية الارتباط مع المخابرات الامريكية، والظن بأن الولايات المتحدة ستتقدم بحل آخر لحظة ولن تسمح بقيام الحرب . .

أوجـه كثـيرة للشبـه يمكن أن يجدهـا المـؤرخ أوحتى القـارىء الـذكي . . وقـد اشـرنا بالتفصيل لثورة لورنس في كتابنا «القومية والغزو الفكري» الصادر عام ١٩٦٦ . . وكذلك في كتابنا «السعوديون والحل الاسلامي» الصادر عام ١٩٨٠ . . ويمكن لمن شاء الرجوع اليهما . .

وبعد . . .

فقـد كانت في مصـر ثورة حقيقية وطنية تجمعت خلال الحرب العالمية الثانية، وتفجرت بقرار الوفد التاريخي بالغاء المعاهدة . . وكان تنظيم الضباط الاحرار جزءاً من هذه الثورة، وكان عبد الناصر وطنيا مصريا يتطلع لانجاز هذه الثورة، ولكنه بطبيعته الانطوائية، فضل الانقلاب العسكري على الثورة، وبطبيعة الشك في نفسه، والتقدير الزائد لأهمية سلامته الشخصيـة، أراد أن يؤمن هذا الانقـلاب بالاتفـاق مع المخـابـرات الامريكية، وبتعطشه الزائد للسلطة وقناعته بأن مصير مصر والامة العربية رهين باستمراره في هذه السلطة مهما كان الثمن . . . حدث ما حدث . . .

مما تتلو عليك بعضه

الفصل الاول

الامريكان ياريس !

رأى هيكل ، بمناسبة «الحديث عن دور امريكا أو الشريك الرابع في حرب السويس» فرصة لكي يتعرض «لخرافة تقول بأن الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها. وانها كانت في سرها قبل اذاعته.»

وقد بدأ تعرضه لهذه «الخرافة» التي هي ـ للأسف ـ اقوى من الحقيقة ، بقوله : «ان بعض الذين يروجون لهذه الخرافة ، يعتمدون ، لسوء الحظ على رواية أوردها المستر مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم ، دون أن يسألوا انفسهم سؤالا بسيطا ، هو ، من هو مايلز كوبلاند»؟

ولا أظن أن القارىء لكتاب لعبة الأمم ، وما كتب عنه في الصحف الامريكية والعالمية ، كان بحاجة الى طرح هذا السؤال «البسيط» فالرجل قد عرف بنفسه وبوظائفه والمهمات التي عهد له بها ، واتصالاته في مصر مع هيكل نفسه والرئيس عبد الناصر والعديد من المسؤولين المصريين ، وكلها اسماء رسمية وذات صفة عليا في الجهازين الامريكي والمصري ، وكان الاحرى بهيكل ان يرد أولا على تعريف الكاتب والناشر بمايلزكوبلاند ، قبل أن يقرعنا على عدم السؤال ، وقبل أن يعرفنا هو بمن هو مايلز كوبلند . . فإن فضح الرجل كان اسهل الف مرة ، لو قال هيكل «بصراحة» : يقول مايلز كوبلند انه كان يعمل في السفارة الامريكية من كذا وهذا غير صحيح . . والدليل كذا وكذا . . أو انه كان عضوا في لجنة تخطيط سياسة الشرق الاوسط بوزارة الخارجية الامريكية ، وهذه هي وثيقة من الخارجية الامريكية تثبت أنه لم يعمل بها . . أو انه يدعى انه سلم حسن التهامي ، مبلغ الثلاثة ملايين دولار هدية المخابرات الامريكية لعبد الناصر ، وهذا تكذيب من حسن التهامي يؤكد أنه لايعرف الرجل ، ولم يحدث ان استقبله في شقته بالمعادي . . الخ . .

لو فعل هيكل ذلك لحق له أن يقرعنا بسؤال : من هو ما يلزكوبلاند ، ولكنه لايملك ان يكذب معلومة واحدة مما قاله الرجل عن نفسه ، فلجأ الى اساليب «الردح» المعتادة في البلدان المتخلفة . . «دا كان عايز يشتغل ولم نقبل تعينه»! وعندنا جوابات منه . . . الخ» . .

يقول هيكل : «مايلزكوبلاند ـ وهو يعترف بذلك في كتابه أحد موظفي ادارة المخابرات

المركزية الامريكية الذين عملوا في مصر فترة من الزمن.» . .

صحيح!! وهذا ما قاله الرجل وافتخر به، بل قدمه كوثيقة ودليل على صدق معلوماته، ولكن هيكل يقفز فوق هذه الحقيقة ليستنتج انه لايمكن أن يؤلف وينشر الا بموافقة المخابرات الامريكية، وبالتالي فالهدف هو تلطيخ سمعة جمال عبد الناصر كجزء من حملة «الدعاية السوداء» كما يسمونها ضد الثورة وقائدها.

ثم يؤكد أن للرجل ملفات كاملة في الحكومة المصرية تضم خطابات بامضاءه «يطلب فيها اموالا من الحكومة المصرية لينشيء لحسابها ادارة مخابرات. وهناك «تأشيرات على هذه الخطابات بالرفض.» «وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من أن جميع المصريين المسؤولين لايقابلونه ولايردون عليه، بينما هو يريد أن يخدم، ولا يطلب من مصر الا ما يستطيع أن يعيش به ويحافظ على مستواه. وتأشيرات على هذه الخطابات بمنع دخوله الى مصر وبعدم حاجتها الى خدماته، وبأنها ليست مسؤولة لا عن معيشته ولا عن مستوى معيشته».

«وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدى فيها استعداده لحذف وتغيير كل ما لاترضى عنه مصر في كتابه «لعبة الامم» وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه.»

ويتساءل هيكل في النهاية: ولست اعرف لماذا لاتنشر كلها أوينشر بعضها (؟!ج) في مواجهة ما يكتبه وينشره كوبلاند»؟!

سؤال مهم جدا. . .

وهو ـ بالمناسبة ـ ليس موجها ضد نظام السادات أو غيره، حتى لا نقول بمؤامرة لتشويه سمعة الزعيم، وان السلطة المصرية تخفي هذه الادلة التي تبرىء ساحته وساحة ثورته، فالخطابات موجودة من ايام عبد الناصر على رواية هيكل ـ والكتاب عرض للتنقيح والحذف على حكومة عبد الناصر، وصدر والزعيم حي يحكم، فكان الاحرى أن تبادر السلطات الناصرية بنشر تلك الخطابات، إن كانت حقا تكشف زيف كوبلاند، ولا تعزز روايته؟! وهو مالم تفعله الزعامة الناصرية ولا حكومة السادات. . مما يجعل سؤال هيكل يثير اكثر من سؤال. . على ان الادلة التي أوردها السيد هيكل، وهو طرف مباشر في الموضوع ، تؤكد صحة المعلومات التي اوردها مايلز كوبلاند، ولا تضعفها فضلا عن أن تنفيها. . لهذه الاسباب:

١ ـ الرجل كان موظفا في المخابرات الامريكية، وليس موظفا عاديا كما سنرى، ومن ثم فهو ليس بالصحفي الذي يستنتج أوينقل من مصدر آخر مثلنا، بل هو شاهد عيان، عاشر الاحداث. وساهم فيها، وهو يروي ما عاشه بدقة تفصيلية مثل اين كان الاجتماع. . ومع من. . . وماذا حدث عندما دق الباب وعرف انه السفير البريطاني فخرج له عبد الناصر. .

وهـو لايـروي فقـط عن المصريين الذين قد لايملكون الرد ولاندري لماذا، ولا عن الاموات كما يفعـل هيكـل، بل عن مسؤ ولـين امـريكيـين احياء، ولهم اجهزة مهمتها الرد على كل حرف خاطىء يتعلق بهم. . ولا يعقل أن يصدر موظف كبير في وزارة الخارجية والمخابرات مثل مايلز كوبلاند كتابا في امريكا ينسب فيه لقاءات واحاديث واجتماعات لكبار المسؤ ولين الامـريكيـين، كلهـا من نسـج الخيال أويزيف ماجرى فيها ولا يصدر تعليق في هذه الوقائع الاساسية، وان كان اكثر من مصدر قد صحح له وقائع تفصيلية. .

ولولا انه كان موظفا في المخابرات الامريكية ـ وليس عميلا ـ لما كان لكتابه اوشهادته هذه الأهمية، التي تنبع فقط من انه موظف في المخابرات الامريكية.

٢ ـ الرجل على صلة وثيقة بالحكومة المصرية، ويعتبرها مسؤلة ـ ولواديبا ـ عن الحفاظ على مستـوى معيشتـه ـ اذا قبلنـا روايـة هيكل ولا دليل عليها الاشهادته وهي اكثر من مجروحة ـ ولايعقـل ان يأتي افـاق من فرنســا مثـلا، ليس له أيـة صلة بالحكومة المصرية، ويشكوانها لاتعطيه ما يحفظ له مستوى معيشته الذي اعتاد عليه!

هذا كلام صاحب عشم وصـاحب افضـال سابقة، وصـاحب اسرار يحذر من أن «الجوع كافر» وان ذلك قد يضطره الى مالا يجب «ويضرك يابيه»!

ولا أحد يأتي بكتاب كله اكاذيب، ثم يساومك على حذف بعض الاكاذيب؟! لا ليس هكـذا فن البـلاك مايـل. . والاستـاذ هيكـل خير من يعـرف اسـاليب الابتزاز الاعلامي، والدعاية السوداء، والرمادي، والكروهات. الابتزاز لايكون الا على «فضائح» والفضيحة لابـد لها من أصـل حقيقي. ومن ثم لايمكن الا ان يكون مايلزكوبلاند شاهد مهم، ولديه وقائع تمس سمعة النظام المصري، وبالذات بعض الاشخاص. وانه وثيق الصلة بالحكومة المصـريـة الى حد كتـابة الخطابات واقتراح انشاء «جهاز مخابرات خاص لهم» على ضوء ما شاهـدوه وعـرفـوه من خبرتـه، ويشكـومن اهمالهم، ويسـاوم على حذف بعض مالديه من معلومـات . . هذا كله يؤكـد ان «لعبـة الأمم» لم يكن قصـة خيالية، وهذا ما نصل اليه من ادلة نفي هيكل. . اما الادلة الحقيقية فصبرا علينا. .

يبقى سؤال: لماذا سمحت المخابرات الامريكية بنشر هذا الكتاب؟ ويبادر هيكل فيسد علينـا الطـريق بطـرح اجـابـة: انهـا مؤامـرة لتشويه سمعة الزعيم. . ونحن لانرفض هذا التفسير ابدا، بل بالعكس نجد أنه محتمل جدا، فالعلاقات منذ ١٩٦٤ أو١٩٦٥ كانت قد تدهـورت تمامـا بين وشنطن والقـاهـرة، والأجهزة الامريكية المؤيدة لناصر كانت قد هُزمت امـام الاجهـزة النفطيـة والاسرائيلية والامريكية المعادية لنظام حكمه. . . وكانت الولايات المتحـدة قد اتخـذت قرار تحجيمـه ان لم يكن اسقـاطـه. . فلا عجب ولا غرابـة أن تحاول الاجهزة الامـريكيـة تشـويـه سمعته. . ولكن الاستاذ «هيكل» وهوخبير يعرف ان اجهزة

المخابرات عندما تقرر تشويه سمعة «زعيم» فهي تلجأ الى احد اسلوبين اوهما معا: الاشاعات . . وهذه لايعرف مصدرها، ولايمكن الدفاع عنها، ولكنها تخلق التشويش المطلوب، وهذه قد تكون كاذبة وملفقة. لايهم . . فلا أحد يتحمل مسئوليتها . وهذا ما استخدم ضد محمد نجيب والنحاس وصلاح سالم . . الخ . .

الاسلوب الثاني . . هو نشر وثائق تدين هذا الزعيم، وتسئ الى سمعته، واحيانا ـ نادرة ـ تكون الوثائق مزورة باتقان بالغ، ولكنها في هذه الحالة لاتنسب أولا تصدر بشكل واضح من الجهة التي تريد ترويجها، لسبب بسيط هو ان الزعيم او المسؤ ل، يستطيع بما يملك من سلطات ، اثبات تزويرها، وبالتالي تفقد هذه الجهة التي اصدرتها مصداقيتها عند الناس، وهو عنصر مهم جدا لنجاح حملاتها بل حتى اكاذيبها في الظروف الحرجة . . لايمكن أن تصدر وثيقة علنية على لسان المخابرات الامريكية ضد رئيس دولة تتحدث عن اجتماعه وتنسيقه برجالها، دون ان يكون لذلك أصلا . . لأن الناس لن تصدق المخابرات الامريكية بعد ذلك . . وجانب مهم من نجاح هذه الاجهزة وقدرتها في السيطرة على العملاء والمتعاونين، هو هذه الوثائق التي تملك نشرها والتي تفقد قيمتها، اذا طعن فيها بالكذب، أو اذا قبلنا منطق هيكل بأنه يستحيل نشرها، وهو المنطق الذي يغررون به بالعملاء عند بادية تجنيدهم للعمل، بأن خطيئتهم في الحفظ والصون! . .

نعود للسؤال . . لماذا نشر هذا الكتاب؟ . .

والجواب لابد أن يشمل العديد من الكتب والاخبار والقوائم والتقارير التي نشرت ابتداء من هذه الفترة، وكلها تتضمن معلومات «حقيقية» عن نشاط المخابرات الامريكية، واجهزتها وعملاءها . . ثبتت صحتها، أو على الاقل لم يقدم حتى الآن ـ دليل ينفيها . . . وفي حالات قليلة جدا قام المعنيون برفع قضايا ضد الناشرين . .

ولسنا ندعي اننا نملك القدرة على تحديد «كل» الاسباب التي تدفع المخابرات الامريكية، الى نشر بعض وثائقها، في فترة من الوقت . . فهذه الأجهزة وصلت الى مستوى من التكنيك والتعقيد، يفوق الفهم العادي، وأحيانا يخرج عن دائرة حسابات منظميه!

ولكن عجزنا عن الفهم، لايدفعنا الى نفي وجود هذه المخططات، فليس كل الناس بوسعهم فهم نوعية العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة، ولا كيف تكون انجولا شيوعيه، ومع السوفيت وحكومتها تعيش على حماية الكوبيين، ومصدر دخلها الوحيد الذي تدفع منه مرتبات الكوبيين، هو النفط الذي يملكه الامريكيون.

ومرة قلت ان السياسة هي الآن رياضة عليا، أو مايسمى في المدارس بالرياضة الحديثة، والذين يحاولون فهمها بمبادىء الحساب او الرياضيات القديمة، يفشلون فشلا ذريعا . .

ولكنها علم موجود وضروري ، وهو وحده يفسر الكثير من غرائب العلم . فنحن نواجه قضايا كالفيروسات ، قد لانستطيع رؤيتها ، بل ولا نملك تحصين انفسنا ضدها . . ولكن، تجاهلها هو انتحار . .

فلنسلم اولا ان جانبا من الاجابة ، على سؤال : لماذا تنشر المخابرات الامريكية أو موظف سابق في المخابرات الامريكية . . هذه الاسرار؟ هو سؤال ، فوق مستوى فهمنا . واذا كنا نفتح افواهنا في بلاهة اليوم ، عندما نقرأ ان ثورة ٢٣ يوليو بكل شعاراتها ومغامراتها وامجادها ، بدأت بعلاقة خفية مع المخابرات الامريكية . . فلا يجوز ان نرفض هذه الحقيقة ، لمجرد ان جانبا من الاجابة على سؤال : لماذا يخبروننا؟! صعب الفهم . . .

ثم نضيف هذه الحقائق :

١ ـ قانون حرية المعلومات . . وقد صدر عام ١٩٦٦ وهو لايمنح الشعب فقط حرية نشر المعلومات ، بل يجبر الأجهزة الحكومية على تقديم المعلومات لمن يطلبها . . وهو النص المكمل لحرية الاعلام ، اذ انه طالما ظلت المعلومات محظورة ، فلا سبيل لمعرفة الحقيقة ، ومن ثم لا ممارسة حقيقية لحرية الاختيار . . وصدور هذا القانون ليس كما وصفه «وليم شوكروس» الكاتب البريطاني ومؤلف كتاب : «نيكسون ـ كسينغر وتدمير كمبوديا» وهو الكتاب الذي نشر اكبر مجموعة من الوثائق السرية الامريكية عن تآمر الحكومة الامريكية على تدمير كمبوديا رغم حيادها . . فقد وصف الكاتب البريطاني قانون حرية المعلومات بأنه «تحية لثقة المجتمع الامريكي بنفسه» .

نحن لانرى ذلك . . بل نعتقد انه كان تعبيرا عن ثورة ، وفي نفس الوقت محاولة لاجهاض هذه الثورة ، التي تنامت في الستينات ، ضد الاخطاء الفادحة التي ارتكبتها «المؤسسة» الامريكية وتوجت بكارثة فيتنام ، والتي لولا هذا الانفراج ، ولولا الانفتاح الليبرالي ، الذي خفف الضغط عن المثقفين الامريكيين ، لربما ادى الى تغييرات اكثر عمقا في التركيبة الامركية .

ولكن هذه «الحريات» التي تتابعت ، من حرية المعلومات الى حرية الفاحشة ، وما ادى اليه من مبالغات ، لعل بعضها كان مقصودا ومدبرا ، مثل نشر قائمة باسماء موظفي المخابرات الامريكية (الامريكان) في الخارج مما ادى الى تعرضهم لحوادث اغتيال ، ومثل نشر أو احباط بالنشر ، لكثير من عمليات أمريكا . . مما ادى الى ردة فعل سنتعرض لها . .

المهم انه في هذه الفترة من ١٩٦٦ الى وصول ريغن للحكم وبداية الهجمة اليمينية ، لاعادة الهيبة والجدية والسرية لاجهزة الدولة ، تسربت ونشرت حقائق كثيرة جدا . . كان الشرق الاوسط هو اقلها ـ للأسف ـ كما شهد هيكل نفسه بأن ما نشر عن الشرق الاوسط لايكاد يذكر مما نشر من اسرار ونشاط المخابرات الامريكية في مناطق اخرى من العالم ، ولهذا

اسبابه - التي تؤكد ان قبضة المخابرات الامريكية لم تحطم تماما حتى في هذه الفترة، والمعروف ان هذه الاجهزة تتقن فن مقاومة الانفجارات أو التغييرات المفاجئة والمؤقتة و اذا كانت بريطانيا العظمى أم الديموقراطية تمكنت من حرق (خطأ!!) مسودة الاتفاق البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي، فلم يعدلها وجود، واستحال عثور أي محقق أومؤرخ عليها، فإن الموظفين المخلصين في المخابرات الامريكية، يستطيعون في تلك الفترة الشاذة اخفاء بعض الملفات، أو التعلل بعدم وجودها، او البحث عن ثغرة في القانون. . . الخ . .

وهناك ايضا تفسيرات اخرى، فالمخابرات الامريكية تهتم بحفظ الوثائق عن عملائها في الشرق الاوسط، لأن العملاء يعمرون في السلطة وفي الخدمة اكثر، ولأن وهو السبب الأهم في اعتقادي، ان الحريصين على الاستفادة من قانون حرية المعلومات في بلدان العالم الاكثر تقدما، اكثر بكثير جدا من الذين حاولوا الاستفادة منه في الشرق الاوسط، أومن العالم العربي بالذات، فانشط العناصر وأقدرها وابرزها على الساحة العربية هي صاحبة المصلحة في عدم نشر هذه الوثائق. والا فأين هي المؤسسة التي توجهت فوراً الى واشنطن وطلبت هذه المعلومات؟! العجز والكسل واللامبالاة والجهل كلها حجمت الخسائر، فلم ينشر الا النذر اليسير ولأسباب عديدة، قد تكون منها الاسباب الشخصية التي نسبها هيكل لمؤلف «لعبة الأمم» الذي اكد ما جاء في كتابه، اكثر من وثيقة. . منها على سبيل المثال كتاب «حبال الرمال» لمؤلف لا يمكن أن تعلق ذرة من الغبار على سمعته، ومدافع مخلص عن الحق العربي، وكذلك ما جاء في رسالة «مصطفى امين» الصحفي المعروف ورئيس هيكل، الى الرئيس جمال عبد الناصر. . وعندما يقول مصطفى امين لعبد الناصر في خطاب لم يتصور أنه سينشر يوما ما. «كلفتني ان اذهب انا وهيكل وأقول لمايلز كوبلند كذا وكذا. . » فان من حقنا لا ان نصدق رواية كوبلاند عن نفسه فقط، بل وان نطرح اكثر من علامة استفهام حول تجاهل «هيكل» لمايلز كوبلاند، ومحاولة نفي أي علاقة به أوحتى انه قابله، أو انه كان يشغل مكانة مهمة، وعلى اتصال وثيق بالسلطة المصرية على اعلى مستوياتها . .

لماذا هذا الانكار؟! الا ان كان هيكل يعرف ان فيه شبهة؟! وما الشبهة في الاتصال بمسئول امريكي؟. . الا ان كان مسئولا من نوع خاص؟!

وقد ثبت ان ما نشر في هذه الفترة عن عملاء امريكا في اوروبا صحيح، وان ما نشر عن دور المخابرات الامريكية وبالذات «كيرميت روزفلت» في خلع حكومة مصدق بايران واعادة الشاة، حقيقي مائة بالمائة، ومن الحقائق المسلم بها[1] ، كذلك ما نشر عن دور هذه المخابرات في انقلاب حسني الزعيم، وما نشر عن الصحف التي كانت تصدرها او تمولها المخابرات الامريكية مثل مجلة «حوار». واذا كان من الممكن ان يتسرب من المخابرات

الامريكية نبأ عمالة رئيس وزراء الهند، بل ومرتبه الذي يتقاضاه من المخابرات الامريكية، وهو لايزال يعمل في السياسة الهندية؟! بل ويعرف المبلغ الذي يصرف من المخابرات الامريكية لا حد رؤساء الدول العربية الاحياء ـ وقت كتابة هذه السطور ـ فلماذا نستغرب نشر عمالة أحد الصحفيين خاصة وان اتصالاته بالامريكيين وتقديمه المعلومات لهم سابقة على الثورة، وواردة في وثائق رسمية تحمل طابع وزارة الخارجية الامريكية؟!..

٢ـ يجب أن نضع في الاعتبار ايضا، ان المخابرات الامريكية مثل المجتمع الامريكي، غربية التكوين غربية الفلسفة، قد تكون على درجة عالية في التكنيك والتكنولوجيا، ولكنها تفتقر الى التقاليد، الى شرف المهنة، الى الالتزام من قبل العاملين فيها، وذلك لافتقار المجتمع كله لروح وطنية.. فلا مجال لمقارنتها بالمخابرات البريطانية أو الروسية حيث يسودهما نظام أشبه بالرهبنة والتبتل.. في المخابرات الامريكية، عدد كبير من العاملين بها ينشقون، ويفضحون اسرارها، ربما عن نزعات ليبرالية، وهي صفة اصيلة في الانسان الامريكي الى جانب العنصرية والغرور والاجرام والعنف.. الخ.. وبعضهم لمجرد الكسب فهم يستغلون مراكزهم للعب في البورصة! أو عقد صداقات لتكوين شركات بعد تقاعدهم مع عملائهم في البلدان الاخرى! ولذلك لا نستبعد أن يكون مايلز كوبلند قد تحرك بدافع انتهازي، وانه حاول فعلا مساومة السلطات المصرية التي لم تصدق انه يستطيع نشر هذه الاسرار، أو انه اراد ان ينشر كتابا ناجحا فاستغل ما لديه من معلومات وحقائق..

٣ـ يجب ان نضع في الاعتبار ايضا ان اعلان دور المخابرات الامريكية في تدبير ثورة العصر، وخلق اكبر زعيم في العالم الثالث، هو نوع من الترويج والدعاية للمخابرات الامريكية، في وقت كانت تتعرض فيه لحملات نقد قاسية، وفقدان ثقة.. فقد كان يهمها أن تروج عن عملياتها الناجحة، والأجدر ان يتساءل هيكل، لماذا نشر «كيرميت روزفلت» عراب الثورة المصرية، وهو ليس «مجرد» موظف في المخابرات الامريكية، بل نائب مدير المخابرات، ورئيس العمليات في الشرق الاوسط كله.. لماذا نشر دوره في الانقلاب على مصدق؟.. هل كان ذلك جزءاً من «الدعاية السوداء» لتشويه سمعة الشاة!.. لا.. بل دعاية للمخابرات الامريكية، وجذب للحكام والراغبين في العمالة.. وايضا من قصور وعجز النظام الامريكي، وقد احتج الانكليز الاعرق في فن الافساد والتآمر على زهو الامريكيين علنا بدورهم في خلع مصدق.

٤ـ القانون الامريكي حتى قبل صدور قانون حرية المعلومات، كان يحدد فترة زمنية معينة، يتحتم بعدها نشر الوثائق، وبالطبع تستطيع هذه الاجهزة ان تخفي الى حد ما، وثيقة ترى ان نشرها يشكل ضررا فادحا للمصالح الامريكية، اما العملاء فلا أهمية لهم، انتهى دورهم فيقذف بهم الى مزبلة التاريخ كالليمونة بعد عصرها..

٥ـ كما سنرى من عرض كتاب «مايلز كوبلاند» ان عملية الثورة المصرية كانت من تدبير جانب معين في الادارة الامريكية، وان العملية في النهاية من وجهة نظر دافع الضرائب الامريكي، والسياسي العادي، كانت عملية فاشلة خاطئة اضرت بامريكا ولم تفدها، ومن هنا كان من مصلحة المخابرات الامريكية أن تدافع عن نفسها، والكتاب كله يدور حول هذه النقطة ـ ولا تنسى انه مكتوب للامريكيين، فلا يزيد عدد من قرأه من المصريين عن بضع مئات ـ هذه النقطة هي: ان خطة المخابرات الامريكية في انجاح ودعم ثورة ٢٣ يوليو كانت صائبة، ولكن الاجهزة الامريكية الاخرى افسدت المخطط.. وتسببت فيما حدث من تناقض ثم صدام بين القاهرة وواشنطن.

فهو دفاع عن المجموعة التي بدأت لعبة الانقلابات العسكرية في المنطقة من سوريا ومصر وايران ثم ثلاث دول عربية اخرى ـ على الاقل ـ لا نستطيع ذكرها بسبب الجبن ولكي لا يتسع الخرق على الراتق، ولا شيء اكثر من ذلك، وان كان يستحيل على متوسط الذكاء إلا أن يخمنها!..

٦ـ ثم لا يخفى التعقيد الذي تمت به عملية ٢٣ يوليو، فهي كما سنشرح ليست انقلابا امريكيا من طراز انقلابات امريكا الجنوبية أو الانقلابات السورية، وقد غضب عبد الناصر جداً، عندما ظن ان وزارة الخارجية الامريكية تريد معاملته على هذا الاساس..

وقد حدث انشقاق بالغ في السنوات الاخيرة بين مصر والولايات المتحدة، كما لعبت التناقضات الشخصية دورها بين العناصر المشتركة في اللعبة، وربما كان نشر «بعض» الحقائق عن شخص «ما»، هو فرصة اذن لصحفي كبير خرج عن اصول اللعبة بدافع الحقد الشخصي فغدر بعميل اكبر منه ـ تاريخيا وأقدم منه ـ فكان أن سربت المخابرات الامريكية، معلومات جديدة لحقيقة قديمة كانت قد نسيت تماما.

٧ـ واخيراً فان السؤال الذي يمر بالخاطر، هو أن نشر معلومات مايلز كوبلاند، وكراين و غيرهما.. هل ادى الى أي تغيير أو حتى تساؤل، أو اضعاف لمركز ومناصب ودور الاشخاص الذين تناولتهم هذه المعلومات واكدت دورهم في التعامل مع المخابرات الامريكية؟!

ان هذه الاجهزة تتعامل مع البلدان المتخلفة، كما يتعامل الانسان مع الحيوانات لا يهمه ان يتحدث باسراره امامها، أو أن يتعرى امامها، فهي غير قادرة على الاستفادة من ذلك، ونحن نعرف مقدما ان الكثير سيلقون بهذا الكلام جانبا ويستعيذون بالله من تشويه سمعة الزعيم الخالد..

وقبل ان ننتقل لقصة الثورة والمخابرات الامريكية ودفاع هيكل المتهافت، نشير الى ان الموجة الليبرالية قد انحسرت في الولايات المتحدة، بزوال ذكريات فيتنام، ومع الازمة

الاقتصادية وارتفاع معدل البطالة، والردة المحافظة بعد موجة الانحلال، مما ادى كله الى انتشار موجة «وطنية» «دينية» محافظة، دفعت بالجناح اليمني في الحزب اليميني (الجمهوري) الى السلطة، وبدأت حكومة ريغن تعيد تنظيم الاجهزة وتفرض احترام المؤسسات واسرارها

قدم ريغن مشروعا للكونغرس باستثناء المخابرات الامريكية من قانون حرية المعلومات، كما كسبت المخابرات الامريكية - في عهد ريغن - كل القضايا التي رفعتها ضد موظفين سابقين فيها أو ناشرين حاولوا نشر معلومات عن نشاطها دون موافقتها. وفي ١٩٨٠ حكمت المحكمة الدستورية العليا الامريكية بـ ٦ أصوات ضد ٣ في قضية «سنيب ضد الولايات المتحدة» قضت بحق المخابرات الامريكية في مراقبة ما ينشره موظفوها السابقون مدى الحياة، للتأكد من انهم لم يذيعوا معلومات سرية. وحكمت المحكمة أن أي شخص وقع هذا العقد عند التحاقه بالخدمة، ولم يعرض مؤلفاته على المخابرات قبل نشرها حتى ولو كانت تتضمن معلومات غير سرية يكون قد خرق أو اخل بتعهده. وعلى هذا اجبر «فرانك سنيب» وهو محلل سابق لشئون شمال فيتنام في المخابرات الامريكية، اجبر على ان يعيد للحكومة كل ما حصل عليه من عائدات كتابه: «Decent Interval»، وجاء في حكم المحكمة مبادىء عامة تجعل من الممكن تطبيق شروط الرقابة المسبقة على النشر على عشرات الالوف من الموظفين حتى خارج CIA الذين لهم اتصال بالمعلومات المحظورة».

وكان «كارتر» آخر الليبراليين، أو آخر مرحلة الانقلاب والتسيب، أو ان شئت تطويق الثورة بالانفراج.. قد اصدر قانونا عام ١٩٧٨ بترجيح حق الجمهور في المعرفة عند تصنيف الوثائق الى محظور ومباح، فيقتصر الحظر على ما لا مجال للشك في خطورته على الامن الوطني، أما ما يحتمل الشك فيفرج عنه للجمهور.

وقد الغى ريغن هذا القرار في ٢ ابريل ١٩٨٢، فاعفي الموظفون من أي اعتبار لحق الجمهور في المعرفة، والزموا في حالة الشك بترجيح الحظر، والغى شرط «خطر على الأمن الوطني».

وفي ١١ مارس ١٩٨٣ صدر قانون رئاسي أي لا يعرض على الكونغرس، يحظر على طائفة كبيرة من الموظفين العاملين والسابقين «نشر أي معلومات قد تكون سرية» وقد لاحظ الرئيس نيكسون ان قائمة الطعام في البيت الابيض يكتب عليها «سري».

وقال «ريتشارد ويللر» نائب المدعي العام ان هدف تشريعات الرقابة المسبقة على النشر، هو تقديم اسلوب معقول لمنع الموظفين الذين على اتصال بالمعلومات السرية من نشرها».

كما اصدر الرئيس ريغن، قانون «حماية الاشخاص العاملين في المخابرات». وهو يمنع نشر اسماء الاشخاص المتعاونين بطريقة ما مع المخابرات الامريكية حتى ولو كانوا قد ارتكبوا

جرائم معاقب عليها بموجب القوانين الامريكية». وقد وصفه فيليب كيرلاند، استاذ القانون في جامعة شيكاغو بأنه أوضح عدوان قام به الكونغرس على الحرية الاولى في وثيقة الحقوق»[2].

وفي اكتوبر ١٩٨٣ حكمت المحكمة العليا بحق المخابرات في رقابة أي مادة تنشر عنها، وحذف ما تراه مخلا بالأمن.

وتقرر اعادة تسجيل تاريخ المخابرات على شرط ألا يتاح لأحد خارج المؤسسة على الاطلاق، والى الأبد.. أوكما صرح المتحدث باسم الـ CIA «دال بترسو» «سيبقى هذا سري الى الابد» (واشنطن بوست ١٩/١٠/٨٣).

ويوصف «ستانسفيلد تيرنر» رئيس المخابرات الامريكية الاسبق «بالهمجي» لأنه كان من انصار الانفتاح ونشر المعلومات..

ووصف التشريع الجديد، بأنه «سيحرر الـ CIA من العبء الثقيل والفريد من نوعه المتأتي من قانون حرية المعلومات» فان الوكالة ستحتفظ بجميع ملفاتها عن العمليات تحت الحظر على مدى المستقبل المنظور»[3].

ولعل هذا يوضح ان الولايات المتحدة مرت بفترة انفلات ولا اقول ثورة ولا راديكالية، وان كان طلبة امريكا في الستينات شكلوا اكبر قوة ثورية في العالم وقتها.. أدت الى رغبة في معرفة ما يجري في احشاء المجتمع الامريكي، ثورة الفرد الامريكي، أو المؤسسات الليبرالية ضد النمو السرطاني لاجهزة الأمن، وهؤلاء هم الذين آمنوا ـ عن حق ـ بتصفية المؤسسة السلطوية الامريكية، لانها اذا كانت تبني الامبراطورية الامريكية في الخارج بهذه الاساليب القذرة، فانها لابد ـ كما تؤكد عبرة التاريخ ـ ان تمتد الى الداخل وبنفس الاساليب، وتسلب المواطن حريته وأمنه واستقلاليته أوخصوصياته.. وهذا ما اكدته فضائح المباحث الفيدرالية، وفضيحة ووترغيت، وتغلغل المخابرات الامريكية في الصحافة والجامعات، واجراء تجارب بشعة على مواطنين امريكيين.. فرأى هؤلاء ان نشر فضائحها وسيلة من وسائل تصفيتها أو تطهيرها، أو تطوير اعمالها الى مستوى اكثر اخلاقية..

وكان هناك ـ كما ذكرنا ـ الذين نشروا هذه الاسرار، كوسيلة من وسائل الكسب بنشر كتب أومقالات مثيرة، وهناك من استخدموها كنوع من البلاك ميل، أولحساب صراعات مراكز القوى، وهوما حدث بالنسبة للشرق الاوسط، فالخلاف بين وكلاء السلاح أدى الى استعانتهم بموظفين سابقين في المخابرات الامريكية نشروا معلومات عن عمالة وعمولات الوكلاء المنافسين..

في تلك الفترة الشاذة في تاريخ امريكا وتاريخ الامبراطوريات عموماً نشر الكثير من

حقائق الممارسات الامريكية المخالفة للشعارات المعلنة عن المبادىء والقيم الامريكية، مثل مذبحة «ماي لاي» في فيتنام ومثل كتاب «لعبة الامم» ومثل دور امريكا في الانقلاب الايراني والانقلاب اليوناني. . ولكن القوى المضادة استطاعت ان تنظم حملة ضخمة لم تقتصر على الولايات المتحدة، بل اتخذت طابعا عالميا، من قبل الحكومات والمؤسسات والعملاء الذين ثاروا ضد هذا «الانقلاب» وهددوا بمنع التعاون مع امريكا التي لا تستطيع أن تحفظ سرا. . مما ساعد على تقوية التيار الداخلي، فأعيد الانضباط وانتهى المهرجان. . فهل نستفيد من القليل الذي تسرب في لحظة الفوضى؟!

هيهات فقد استولى الثوار في طهران على وثائق السفارة الامريكية كاملة، واعادوا لصقها بعدما قطعت، وبها اسماء الكثير من العملاء، والمثير من المعلومات. . فأين هي؟ ومن استفاد منها؟!

الم يشاهد قوم ابراهيم اصنامهم محطمة وملقاة على الأرض مجرد نفايات، فهل شكوا فيها، أو كفروا بها، فضلا عن الايمان بابراهيم؟ بالعكس راحوا يجمعون الحطام ويلصقونه لاعادة تركيب «الالهة» وكان همهم الأول وشغلهم الشاغل هو البحث «عمن فعل ذلك بآلهتنا» لا لمكافأته على كشف الحقيقة لهم، بل لحرقه في النار تأكيداً لايمانهم بالنفايات الملقاة على الارض، بالاصنام المحطمة. . وتأكيدا لابراهيم ان كل ما بذله لاثبات كذب هذه الآلهة لم يزدهم الا يقينا بالاصنام الخالدة الذي تآمر ابراهيم على تشويه سمعتها!

وتأمل كل الاسماء التي وردت في كتاب «لعبة الأمم» كمتصلين بالمخابرات الامريكية، تجدها مازالت بعد ١٩٦٩ في مكانها على القمة، أو عادت للتألق بعد فترة خفوت. . وكأن ساحرا ما يجدد حيويتها ويدفع بها الى قمة الاحداث.

خذ مثلا «حسن التهامي» الذي يعد من الحلقة الضيقة التي كانت تعرف كل شيء، والتي تعاونت تعاونا مطلقا مع المخابرات الامريكية وبالذات مع «مايلز كوبلند» حتى انه هو الذي عد وتسلم الثلاثة ملايين دولار التي قدمت رشوة أو هدية للزعيم الخالد. هذا الحسن تهامي، يتساءل رجل طيب من الذين نكتب لهم هذا الحديث، يتساءل في حيرة ما الذي جعله يظهر من جديد، ويأتي به عبد الناصر وزيرا في حكومته بعد هزيمة ١٩٦٧؟! والحاج «أمين هويدي» كان مديرا للمخابرات، ويعرف انه ما من سبب منطقي أو معقول يجعل عبد الناصر يتخطى الاربعين مليونا ويختار هذا الذي يتظاهر بالجنون المطلق، وزيراً، والذي لا يملك أية مؤهلات ـ ظاهرة ـ تصلح لتوليه ناظر مدرسة فضلا عن وزير، والذي سقط في منطقة الظل، وهي المنطقة التي يسميها المصريون ـ وراء الشمس ـ ولا أحد يعود منها. . ولكنه عاد، وأصبح وزيرا في عهد عبد الناصر بل ولعب دورا حاسما في تحديد خليفة عبد الناصر؟!

الحـاج امـين هويـدي، يحكي لنـا بعض الطـرائف عن سلوك التهـامي هذا في مجلس الـوزراء، منهـا أنـه كان ينصحهـم الا يتعبـوا أنفسهم في بحث ازالة اثار العدوان، لأنه رأى سيدنـا الخضـر الـذي اكد له ان اليهود سينهزمون وسيخرجون من مصر.. ويضرب الحاج هويـدي كفـا بكف ويقـول: «ولا تسألوني.. لم استوزره عبد الناصر؟ فهذا سؤال يضاف الى عشـرات الاسئلة التي تحير ني ولا أجـد لها جوابـا!!! وعـزائي انني لست وحـدي في حيرتي!!!(ص ٨٠ من كتاب: مع عبد الناصر لامين هويدي)...

بئس العـزاء هذا... ومـا تشفـع لك كل علامات التعجب هذه، واذا لم يسألك القراء التفسـير فسيسألـك ضمـيرك والتـاريـخ.. وليتـك توقفت عنـد هذه الحيرة التي تشير الى الشكوك في نفسك مما تخشى أن تهمس به لنفسك.. ولكنك حاولت أن تلتمس بارد العذر، أو تافه التفسير لتعيين هذا الدجال الذي لا يستحي في اجتماع مجلس الوزراء من السخرية من جهـود المجلس في «اجـلاء العـدو عن اراضينـا» فيبتسم قائـلا: «لم تجهـدون انفسكم هكذا.. انني موقن من انسحابهم، وسيرسل الله عليهم طيراً أبابيل» وترتسم على شفتيه الابتسامة الهازئة»!

يقول هويدي، وهو يستعيذ بالله من محاولة كشف النوايا: «ربما جاء به عبد الناصر وفاء للزمالة القديمة وربما لجمع الشـمل»!

وكان عبد النـاصر في تلك الفترة، قد مزق آخر بقايا الزمالة القديمة، ويقوم باكبر عملية تمزيق للشمل عرفتها مصر منذ مذبحة القلعة، ما بين منتحر ومسجون، حتى داخل اسرته لم يحترم زمالة ولا مصاهرة ولا عشرة العمر والشقة اياها! ومن ثم فلا مجال للحديث عن عاطفة نبيلة تجعله يقبل ويصبر على هذا الرجل في ظروف ما بعد النكسة..

وهـويـدي قرأ مايلز كوبـلانـد، وقرأ حديثه عن السلوك غير المنطقي في سياسات الشرق الاوسـط، وانـه لا يمكن فهمـه الا باضـافة المعامل «س» اي عنصر المخابرات الامريكية. ويعرف ان التهامي هو أحد اعمدة المعامل «س» هذا، ولكنه يرفض ان يواجه هذا التفسير فيغمض عينيه ويصرخ كالعذراء التي يحدثونها عن خيانة حبيبها: «مش عاوزه اعرف»!

لقـد جاء حسن التهـامي بعـد النكسـة لكي يعيـد ترميم الجسـور مع القوى الخفية التي سانـدت النظـام أطـول مدة ممكنة، الى أن استحال عليها الدفاع عنه. وها هو عبد الناصر يثبت أنـه مستعـد للحـوار، رغـم ما فعلوه فيه بحرب ١٩٦٧.. وها هو صديقكم في مجلس وزرائي يمارس الشيطنـة على الاستهبـال، ويتحـدث عن تأكيـدات «الخضـر» بانسحـاب اليهود، والذي معناه «الاس» يعرف من هو «سيدنا» الخضر المقصود، ومن اين تأتي احلام التهامي عن الفانتوم ابابيل!

امـا الـرئيس السـادات الذي كانت استراتيجيته تقوم اساسا، على اقناع الامريكان بان

النظام المصري على استعداد لأن يكون الممثل رقم واحد لامريكا في المنطقة، ولا داعي للبحث عن اصدقاء آخرين. . وان مصر تابت وانابت بعد علقة ١٩٦٧ . ولن تشك ولن تتذمر، ولن تساوم أو تتدلل، كما فعل المرحوم، بل امريكيون كنا، وامريكيون نبقى ابدا. . السادات ابرز التهامي وصوره في كل مكان ومناسبة، وأطلقه يساوم ويدبر ويفاوض حتى قاده الى كامب ديفيد، وجلس خلفه يصلي. . وقد تحقق الهدف الذي اتفق عليه قبل ٢٥ سنة حافلة بالآلام والخداع!. .

وبنفس التفسير يمكن ان نفهم اخراج مصطفى امين من السجن واحضار علي امين من البدو وتسليمهما الاهرام واخبار اليوم معا. . وعجلت اليك ربي لترضى!. .

فهل أضر نشر كتاب «مايلز كوبلند» أحداً؟!. .

يقرر هيكل: «لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو»[4]، وقد صاغها بحذر ـ تحوطا للمستقبل ـ فلم يقل «المخابرات الامريكية» وهي موضوع الحديث، ونحن نستبعد بل ننفي ان تقوم «الولايات المتحدة» بهذا الاتصال قبل الثورة، والاتصال الذي يحمل هذه الصفة «الولايات المتحدة» هو الذي يتم عن طريق السفير الامريكي أو مبعوث من وزارة الخارجية. .

لا. . مصر ليست اليمن، حيث يدير القائم بالاعمال المصري، الانقلاب اليمني بالتليفون، ويعطي المال والحبوب المنشطة لقائد الانقلاب بشكل شبه علني!. . لا. . . في حالة مصر، لا يمكن تصور قيام اتصال مع «الولايات المتحدة» لأن الولايات المتحدة لا تخاطر بمثل هذا الاتصال، لما يترتب على اكتشافه من مشاكل مع السلطة المصرية، بل مع الكونغرس والرأي العام الامريكي. .

ولكن المخابرات الامريكية اتصلت. . وهذا ما سنثبته من الوقائع والمعلومات. . ومنها تعمد هيكل اخفاء حقائق لاحساسه بما فيها من ادانة مثل تاريخ أول زيارة لكرميت روزفلت.

ويبرر هيكل انفتاح الثورة ـ المدهش والمخالف لكل الشعارات والافتراضات اذا ما كانت ثورة ـ يبرره بأن «الولايات المتحدة الامريكية، لها وضع مختلف عن بقية القوى الكبرى وقتها، وكانت صورة الولايات المتحدة في ذلك الوقت من سنة ١٩٥٢ مازالت صورة مقبولة، خصوصا اذا قورنت بغيرها. لم يكن لها دور استعماري في المنطقة، بينما كانت بريطانيا وفرنسا غارقتين في تاريخ استعماري طويل وقديم. وفوق ذلك فان الولايات المتحدة كانت خارجة من الحرب العالمية ضد هتلر (كان قد مضى على ذلك سبع سنوات تخللتها فلسطين وحرب كوريا والتهديد النووي. . . الخ ولكنه افاق فاجر) والعالم كله يلتفت بالاعجاب لطاقاتها الهائلة التي كسبت الحرب ضد النازية ولاسلوب حياتها الذي كانت السينما الامريكية ترسم صورة جذابة له».

وستلاحظ ان الافاق قد حذف اية اشارة الى دور امريكا في خلق اسرائيل، وما اثاره ذلك من كراهية عامة ضدها في العالم العربي، وهو مضطر لذلك حتى يستقيم دفاعه بأن الصورة كانت أكثر من وردية في العالم العربي عن امريكا ومن ثم اندفع الشبان الاغرار من اعضاء مجلس الثورة الى احضان امريكا..

كذب بالطبع، وان يكن حذف اسرائيل من تحديد الموقف مع امريكا، ظاهرة فسرها «مايلز كوبلند» بأن هذه المجموعة من الناصريين لم تكن تعير قضية فلسطين اهتماماً كبيراً..

وقد رد حروش على هيكل في هذه النقطة فأغفل اسرائيل ايضا عندما قال: «لم تكن صورة الولايات المتحدة عند المصريين كما حاول ان يرسمها محمد حسنين هيكل، في كتاب «عبد الناصر والعالم» بقوله كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معاني النجاح والفتنة براقة متسامية على الفشل الذريع الذي منى به الاستعماريون القدامى، وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الامريكيين بدور رئيسي في الشرق الاوسط، ومستعدين لقبولها، لم يكن هذا التصور صحيحا، فان كافة القوى الوطنية كانت ضد السماح للامريكيين باداء دور سياسي بديل لدور انجلترا، ظهر ذلك في سياسة الوفد، واحزاب مصر الفتاة والوطني الجديد، والتنظيمات الشيوعية والجماهيرية، فقد كشفت امريكا الستار عن موقفها اثناء عرض النقراشي لقضية مصر على مجلس الأمن»[٥].

واذا كنا سننقد رأي هيكل، فاننا لا نعارضه كما سنشرح، بل نركز على أهمية تفسيره هذا...

الولايات المتحدة كانت قد خرجت بهزيمة فادحة في كوريا.. وكانت سمعتها في الحضيض في العالم العربي بتحيزها لاسرائيل وللدور الذي لعبته في اقامة اسرائيل.. حتى ان تنظيم الضباط الاحرار كان يصدر منشوراته بالشعار الذي ساد الجماهير المصرية وقتها، وهو «يسقط الاستعمار الانجلو- امريكي».. الى ان تم الاتصال بالامريكان وطلب جمال عبد الناصر من خالد محي الدين حذف كلمة «امريكي».. وقد أدلى خالد محي الدين بهذه الشهادة، وهو على اتم الوفاق والولاء والاشادة بالزعيم الخالد، فلا مجال للشك في روايته، خاصة وقد ايدها كبار «الحدتاويين»[٦] الذين ساهموا في تلك الفترة في طبع المنشورات، ولاحظوا التغيير.. فالحق مع حروش عندما قال ان «احدا من المثقفين أو السياسيين المصريين الوطنيين لم ينظر الى امريكا بنظرة محمد حسنين هيكل».. والحق مع هيكل لأنه بر عن وجهة نظر العملاء والمتعاونين والمراهنين على دور للولايات المتحدة في مصر والعالم عربي[٧]، لأن المثقفين اكتشفوا منذ اواخر الاربعينات الدور الذي لعبته امريكا في دعم لصهيونية، وتأييد الاستعمار القديم، ومعاداة حركات التحرير، ثم كان احتلال اليونان وحرب كوريا التي مزقت صورة بطل الحريات، بل وايضا المارد الذي ثبت أنه نمر من ورق

امام جحافل الصينيين، وقد زادت شعبية الوفد عندما رفض دخول حرب كوريا الى جانب الامريكيين المكروهين. . ولقد رفضت الحكومة السعودية، تجديد اتفاقية قاعدة الظهران: «لأن ذلك يستفز مشاعر المواطنين العرب لموقف «امريكا من فلسطين»[٨] . . .

ولكن قيادة الامة العربية المقبلة، لم تكن مشاعرها مستفزة والحمد لله، بل كانت متأثرة بافلام امريكا. . هكذا يقول محمد حسنين هيكل!!

واليك رأي الامريكان في الامريكان! فقد جاء في تقرير مجلس الامن القومي الامريكي، الصادر في واشنطن بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ (اي قبل سبعة شهور من الثورة) وتحت عبارة سري جدا: «اصبحت الدول العربية تنظر بعدم ثقة الى الولايات المتحدة في السنين القليلة الاخيرة بسبب مسئوليتها في اقامة اسرائيل».

وفي اجتماع سفراء الولايات المتحدة باسطمبول في الفترة من ١٤ - ٢١ فبراير ١٩٥١ جاء الآتي في تقرير وزارة الخارجية الامريكية عن الاجتماع:

«ان نفوذ الولايات المتحدة في البلاد العربية ربما لا يكون في مثل سوءه في عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨، ولكن على أية حال ليس قويا كما كان في ١٩٤٥ اما بالنسبة لاسرائيل وليبيا فان نفوذنا لايزال عاليا»[٩].

بل ان عام ١٩٥١ بالذات شهد المزيد من التدهور في موقف امريكا، وتصاعد الموجة المعادية لها في العالم العربي كله، ومصر بالذات لاسباب عديدة منها موقفها من الغاء المعاهدة، ومشاريع الدفاع المشترك ورفض تسليح مصر، أيضاً للدعم الذي قدمته لاسرائيل وقد ورد في مذكرة «هنري فيلارد» من ادارة التخطيط السياسي الى مدير الهيئة الآتي:

سري واشنطن

١ يونيه ١٩٥١

التلغرافات الواردة من الشرق الادنى تشير الى ردود الفعل الاولية لسياستنا الجديدة الجريئة للمساعدات الاقتصادية والعسكرية للدول العربية واسرائيل كما اقرها الرئيس (ترومان ج) في ١٧ مارس ١٩٥١ . . وردود الفعل هذه يمكن وصفها بأي شيء الا انها مقبولة . . فالمسئولون العرب ينتقدون بشدة حصول اسرائيل على نفس القدر من المساعدة التي يحصل عليها كل العرب مجتمعين . . (٢٥ مليون دولار) بالاضافة الى ان العرب ينظرون الى الخمسين مليون دولار التي اعتمدت لتوطين اللاجئين كوسيلة لتحرير اسرائيل من مشكلتهم. وعلى سبيل المثال قال وزير الخارجية المصري (محمد صلاح الدين ج) لكافرى (السفير الامريكي في مصر ج) أنه صعق لاقتراح ٢٥ مليون دولار لاسرائيل و ٢٥ مليون للعرب. رئيس وزراء الأردن ووزير خارجيتها عبرا عن «دهشتهما وخيبة املهما».

وزير خارجية العراق، ركز كثيرا على عدم التوازن وانتقد بشدة غير عادية سياستنا في مساعدة اسرائيل. . والصحافة السورية نظرت للبرنامج بالشك في انه خطط لمحاباة اسرائيل. ان المرارة الاساسية والاصيلة بالنسبة لسياستنا نحو اسرائيل، مازالت كما هي، وتلون كل تفكير العرب». . . .

. . . إلا هيكل وصحبه من رجال ثورة ٢٣ يوليو، لم تكن في قلوبهم اية مرارة، تحول دون فتح قلوبهم والتعاون مع الولايات المتحدة في «تحرير» مصر. . والحق مع هيكل، فان احد المفاتيح الرئيسية لفهم تاريخ الناصرية، هو انها لم تنبعث ابدا من التناقض المصري ـ الاسرائيلي ولم يكن في اهدافها الجادة، محاربة اسرائيل حتى يونيه ١٩٦٧ . . .

وهيكل حريص على تأكيد ان الاتصال بين الامريكان والريس تم بعد الثورة، ولكن الصورة التي يقدمها لهذا الاتصال تثير اكثر من شبهة، فهو يقول: «كلف أحد اعضاء مجلس الثورة، عبد المنعم امين بتولي عملية فتح الباب مع الامريكان، فدبر لقاء في منزله على النيل بين جمال عبد الناصر والسفير الامريكي جيفرسون كافري».

ولا يفسر لنا سر هذا اللقاء الغريب، فالثورة في الحكم، وجمال عبد الناصر حاكم مصر، والسفير الامريكي هو ممثل الحكومة الامريكية الرسمي امام مجلس الثورة او في بلاط جمال عبد الناصر. . فلماذا لا يستقبل عبد الناصر السفير الامريكي بصفة رسمية أو حتى غير رسمية في مكتبه، ويبحث معه السياسة المصرية ـ الامريكية؟! اذا كان الاجتماع باسم مجلس الثورة، وسمعة الامريكان ممتازة كما شهد هيكل، لماذا يتم الاجتماع في شقة؟. . وعن طريق شخص يقول المؤرخون الناصريون الآن انه كان وثيق الصلة بالسفارة الامريكية. . ؟ لماذا هذا الجو الغريب والمريب؟!. .

ويقول هيكل: «انه في هذا اللقاء قال عبد الناصر للسفير الامريكي انه يريد مساعدة الولايات المتحدة في اقناع بريطانيا بالجلاء» «كما طلب مساعدة اقتصادية وسلاح، أما عن اسرائيل فقال: «ان اسرائيل ليست شاغله الآن، ونظرته اليها ـ على أي حال ـ انها ليست خطراً يهدد مصر».

وقد قال «مايلز كوبلاند» ان نجم هيكل تألق لأنه كان بارعا في تحلية اراء الامريكان، وآراء عبد الناصر. . ومن ثم لا يجوز ان نتوقف كثيرا عند التحلية والصنعة في العرض، وانما يكفينا الاتفاق في الجوهر بين ما قرره كوبلاند، وما اثبتته الاحداث، من ان السودان لم يكن في برنامج عبد الناصر فهو طلب المساعدة في «الجلاء» فقط، وأهم من ذلك ان نقطة اللقاء بين الريس والامريكان، هي استبعاد الخطر الاسرائيلي، قبول عبد الناصر أو تطوعه باعلان انه لا يشغل باله. . وهذا ما قاله كوبلاند بالضبط الذي نسب الى هذه اللامبالاة بفلسطين انفتاح قلب المسئولين في واشنطن لاقتراح «الـ CIA» [١١] تأييد الانقلاب المنتظر.

واذا كان هيكل يؤ يد رواية كوبلاند وغيره عن حضور «كيرميت روزفلت» الى مصر بعد الثـورة وفي تحديـد صفتـه بأنـه المسـؤ ول الاول في ادارة المخـابـرات المركزية الامريكية عن الشرق الاوسط» إلا أنه يحاول ايها منا ـ دون أن يتورط صراحة ـ بأن هذه هي الزيارة الاولى لكـرميت روزفلت، وهـو غير صحيـح، بل مثـير للريبـة، فكـيرميت كما تؤكد كل الوقائع والوثائق جاء الى القاهرة منذ ١٩٤٣ على الاقل، وكان في مصر من يناير الى مارس أومايو ١٩٥٢ حيث اجـرى اللقـاء التـاريخي مع فاروق، ثم مجموعة عبد لناصر في تنظيم الضباط الاحرار وقرر دعم انقلاب هذه المجموعة، والتخلي عن فاروق، كما سنرى تفصيله . .

وهيكل يؤكد هنا ـ باطمئنان ـ أن أول لقاء بين جمال عبد الناصر وكيرميت روزفلت تم في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر ١٩٥٢».

ونحن لا نجـادل في هذه لاننـا لا نملك دليـلا قاطعا على وقوع هـذا اللقاء، فقد حرص كتاب «مايلز كوبلاند» على تعمية هذه النقطة، ولو انه اكد وقوع اكثر من لقاء بين كيرميت روزفلت والمخابرات الامريكية من جهة، ورجال ثورة ٢٣ يوليو، أو أعوان عبد الناصر. الا انه لم يشر صراحة لوقوع لقاء مباشر بين الرجلين، ولا يمكننا الاعتماد على ما جاء في تقرير كيرميت روزفلت الشفوي لرؤسائه من انه وجد في مصر الرجل المناسب الذي تتوفر فيه كل الصفات المطلوبة لجعل السلطة في مصر مستقرة، ومتجاوبة مع المصالح الامريكية . . وربما لم يصـل علم ذلـك اللقاء بين الرأسين، الى مايلز كوبلاند. . فهو من الاسرار العليا جدا، ونحن نستبعـد أن يقـدم رجـل في خبرة ومكـانـة كيرميت روزفلت، على المخـاطـرة بدعم انقـلاب في مصـر من مجرد المعلومـات التي قدمها عملاء المخابرات الامريكية، ولقاءات مع اعوان زعيم هذا الانقلاب. . الا اننا التزمنا الا نأخذ بالشبهات والتصورات، بل بالحقائق أو الاقوال المنسوبة صراحة لاشخاص محل ثقة. . . ومن ثم سنسقط من ادلتنا واقعة اجتماع مباشر بين ناصر وروزفلت قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . .

ويشير هيكل في هذا الموضوع الى واقعة غريبة تثير اكثر من سؤال، فهو يقول ان الرئيس عبـد النـاصر كلفه بمهمة خاصة في الولايات المتحدة في نوفمبر ١٩٥٢ وقال له «ان كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا» (ص ٧١).

وكـل المصـادر التي كتبت عن ليلة الثورة، اكدت هـذا اللقاء الغريب الشديد البرود بين عبـد النـاصر وهيكـل في منـزل محمـد نجيب، وان هيكـل تظاهر بأنه لا يعرف عبد الناصر وطلـب تعـريفـه به، وان عبد الناصر سأل من هذا؟ . . الخ . . . فهل يتفق ذلك مع وصول الثقـة بين الاثنـين في أقـل من شهـرين الى حد تكليفـه بمهمة سرية في امريكا؟! . . وهذه العبارة الغريبة، «الكثيرون سيحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا؟! . . » من هم الكثـيرون في الـولايـات المتحـدة، الـذين كانـوا «يعرفون الصداقة بين عبد الناصر

وهيكل في نوفمبر ١٩٥٢» والكثيرون «في مصر» لم يكونوا يعرفون عبد الناصر ولا اهميته في الثورة في هذا التاريخ المبكر جدا فضلا عن معرفة أهمية هيكل، بحكم صداقته مع عبد الناصر؟!...

لا بد ان نفترض لكي يستقيم هذا الادعاء أو لتفسير هذا القول أحد الفروض التالية:

١ـ ان رواية المؤرخين عن لقاء بيت محمد نجيب صحيحة، ومن ثم فرواية هيكل اكذوبة كاملة، اختلقها، وهكذا يمكن القول ان هيكل لديه الجرأة على ان ينسب لجمال عبد الناصر حوارا بين اقواس للتدليل على انه نص حرفي، وهو بلا اساس لا حدث ولا يمكن حدوثه.. وهذا ينسف كل رواياته..

٢ـ ان يكون هيكل صادقا، وهذه زلة لسان، وتكون مقابلة محمد نجيب تمثيلية بارعة من الاثنين، «هيكل» الجيد التدريب، وناصر المشهور بقدرته على الكتمان والحذر الشديد فيما يتعلق بسلامته الشخصية وسمعته السياسية. ومن ثم فالصلة بينهما قديمة، ومن ايام حصار «الفالوجا» كما كان الشائع، قبل نشر تلك الرواية السخيفة عن لقاء الغرباء في منزل محمد نجيب.. وعبد الناصر كان يتحدث عن «الكثيرين» الذين يعلمون كل شيء.. مثل كون عبد الناصر هو الزعيم الحقيقي للثورة، وان هيكل هو صديقه الحميم.. فمن هم؟.. لا يعقل أنهم رجال الكونغرس، آخر من يعلم، ولا الصحفيون بل فئة خاصة...

٣ـ ان تكون رواية هيكل صحيحة، واستنتاجات شهود لقاء منزل محمد نجيب صحيحة، ولكن الذين سيقابلون هيكل في امريكا، قدموا «هيكل» «لعبد الناصر» بعد الانقلاب، وعملوا على سرعة قيام «الصداقة بيننا».

ونحن نميل للتفسير رقم ٢.. والصورة التي في ذهننا ان المخابرات الامريكية عرفت من هيكل ومصطفى أمين بوجود تنظيم الضباط الأحرار ونظم هؤلاء اللقاء بين هذا التنظيم وكيرميت روزفلت.. وان «هيكل» كان الاوثق صلة بعبد الناصر بحكم سنه، وبراعته في تنفيذ دور التابع الذي ربط نفسه بمصير سيده، في نفس الوقت الذي يقدم فيه المعلومات والافكار لهذا السيد، بينما كان «مصطفى امين» يتمتع باحترام اكثر عند الجانب الامريكي، وشك وتوتر من جانب عبد الناصر. واخيراً فلا أدل على تناقض مشاعر رجال الثورة مع الموجة الشعبية العامة في مصر، أنه فور قيام الثورة، كان التصرف الطبيعي من رجالها الذين لم يؤتوا من العلم الا قليلا.. انهم قاموا باعتقال مصطفى وعلي امين، ليتدخل أولو العلم ويفرجون عنهم مع الاعتذار بعد ست ساعات!..

أما ان الاوان أن نترك ثرثرة هيكل ونعود الى الجذور، وحديث المعلمين لا الصبيان؟!

لقد شاعت رائحة الدور الامريكي منذ اللحظات الأولى للانقلاب، عندما رأى الناس السفير الامريكي «جيفرسون كافري» خبير الانقلابات كما عرف منذ تعينه في القاهرة وكتبت عنه الصحف التقدمية، رأوه يتصرف كعراب النظام الجديد، ويشرف على ترحيل الملك فاروق ويتعهد بسلامته، ثم ربطوا ذلك بما كتبه الصحفي الامريكي الوثيق الصلة بالمخابرات الامريكية «جوزف السوب» في صحف الولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو عن انقلاب عسكري قادم في مصر، وقد بعث مصري مقيم في الولايات المتحدة ـ وقتها ـ بالمقال الى مصر كدليل على ما تدبره المخابرات الامريكية، ليصبح هو بعد سنوات من المفتين بثورية الناصرية، تماما كالكاتب الذي استقبل كافري بعرض تاريخه في تدبير الانقلابات واجهاض الثورات.. ثم افتى بان هذا الخبير خاب تدبيره في مصر!!

ورأى الناس الثورة تبعد الصحفيين الوطنيين وتعتقلهم، وتقرب رجال «اخبار اليوم» المؤسسة الرجعية الموالية للاستعمار باجماع الحركة الوطنية في هذا الوقت حتى اصبح تلميذها البكر «محمد حسنين هيكل» هو الذي يحدد الوطنية من المحيط للخليج! ورأوا قبول النقطة الرابعة وتجميد قضية فلسطين وضرب المؤسسات والاحزاب والحركات الوطنية... ثم ساد الارهاب وانعدمت الرؤيا، وتعقدت الرواية.. وكانت فترة التيه..

فلما ظهر كتاب «لعبة الامم» هربوا منه لانهم لا يريدون ان يتذكروا.. الى أن مات المارد، وحطمت الاقفال، فبدأت تتسرب بعض الاقوال، ولكن يسيطر على الجميع الرعب من هول الحقيقة، خاصة انه ما من احد الا وقد تورط في ٢٣ يوليو بموقف ما أو تأييد أو مساهمة... نعم كلنا كنا للاسف «اشباه المثقفين» أو المثقفون المزيفون الذين توقع تقرير المخابرات ان يهبوا لتأييد «الثورة» بغباء أو انتهازية...

قيل على لسان خالد محي الدين ان عبد الناصر طلب منه حذف عبارة الاستعمار الانجلو ـ امريكي، واستخدام عبارة «الاستعمار» فقط أو الاستعمار البريطاني، وذلك في منشورات الضباط الاحرار قبل الثورة..

وكتب في حادثة الثلاثة ملايين دولار التي دفعتها المخابرات الامريكية للرئيس جمال عبد الناصر، وكان هيكل قد حاول أن «يلبسها» لمحمد نجيب ففشل واليك ما كتبه أحمد حمروش:

«على قدر ما طالت مفاوضات التسليح، على قدر ما انتهت في سرعة عملية تقديم ٣ مليون دولار كمنحة شخصية من المخابرات المركزية (الامريكية ج) الى رئيس الدولة، وهي قصة اثارت اهتمام الكثيرين لما أحاط بها من جدل. بدأت القصة باقتراح من عميل[١٦] المخابرات الامريكية مايلز كوبلاند. التي كشف اسرارها في كتابه «لعبة الامم» عندما قال انه لولا نشره لها لظلت خمسة الآف سنة تحير علماء الآثار، ذلك انها انتهت الى بناء برج

القاهرة. ويحدد مايلز كوبلاند تاريخ اعطاء المبلغ لضابط المخابرات (ابهاج؟) حسن التهامي الذي اخذه واحصاه في منزله بالمعادي ووجده ناقصا عشرة دولارات في شهر نوفمبر ١٩٥٤ اي نفس الشهر الذي حصلت مصرفيه على الاربعين مليون كمعونة اقتصادية وينفي هذا التحديد ما نشره «محمد حسنين هيكل» في كتابه «عبد الناصر والعالم» من القول بأن المبلغ قد سلم الى اللواء محمد نجيب وان جمال عبد الناصر لما علم بذلك استشاط غضبا وطلب تفسيرا من محمد نجيب الذي كان انذاك رئيسا للوزراء. وأصر نجيب على انه فهم انه ليس للمخابرات الامريكية علاقة بذلك المبلغ وأنه ارسل من الرئيس ايزنهاور الذي خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقيدة بالميزانية من اجل الدفاع عن انفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية، وهنا طلب عبد الناصر على حد قول هيكل ايداع المال في خزينة ادارة المخابرات وأمر بعدم صرف اي شيء الا باذن مجلس قيادة الثورة.

ينفي تحديد تاريخ تسليم المبلغ ذلك لسبب بسيط هو ان محمد نجيب لم يكن رئيسا للوزارة في هذه الفترة بل كان رئيسا للجمهورية بلا عمل حتى ١٤ نوفمبر ثم معتقلا في المرج بعد ذلك وكان حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يحضر كافة مقابلاته ويراقب كل تصرفاته.. مما يبعد تماما فكرة عدم معرفة جمال عبد الناصر بوقوع مثل هذا الحادث.

هذا من ناحية... ومن ناحية اخرى فان الامريكيين ما كانوا ليعطوا مثل هذا المبلغ لمحمد نجيب وهو رجل معزول عن الحياة العامة تدفقت عليه الهجمات عقب اطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر وربطت بينه وبين الاخوان المسلمين وكان على وشك ان يحاكم معهم.

هذا اذا أردنا استبعاد رأي مايلز كوبلند كما ورد في كتابه.

وعندما قرأ محمد نجيب ما نشره هيكل في كتابه رفع عليه قضية امام محكمة الجيزة واضطر هيكل للاعتذار على صفحات الاهرام، واثبت محمد نجيب امام المحكمة قوله بأن الواقعة موضوع الادعاء غير صحيحة على الاطلاق... وصمت هيكل مؤثرا الانسحاب من خطأ اساء به الى سمعة الرجل».

والواقعة كما رواها مايلز كوبلاند حافلة بالتفاصيل وهي كالآتي على لسانه في كتابه المنشور بالولايات المتحدة، والذي لولاه، لما عرفت قصة الملايين الثلاثة، ولا تعرض لها هيكل ابدا... قال: «إنه شخصيا عاد الى نيويورك في اواخر صيف ١٩٥٣» حيث قدمت اقتراحا باعطاء ناصر مبلغا بصفة شخصية لتطوير حراسته وحل بعض المشاكل الداخلية الصعبة، وان ترسل الحكومة الامريكية لعبد الناصر سيارة كاديلاك مصفحة، واحد رجال البوليس لتنظيم حرسه الخاص، وجهاز انذار على بيته، ومعدات تحطيم المظاهرات.. «كما

اقترح اعطاء مصر اربعين مليون جنيه وعبد الناصر ثلاثة ملايين، وقد تمت الموافقة، ولما جاء الخبر الى القاهرة باعتماد المبلغين، «اعتبر السفير الامريكي فكرة الهدية الشخصية، فكرة سخيفة، وقال لي انه لن يسلم هذا المبلغ لعبد الناصر الا أنت، وقام كافري بزيارة محمد فوزي، في اليوم التالي وحدثه عن الاربعين مليونا ولم يشر بحرف الى الثلاثة ملايين، ولما كان موقف كافري، قد اثار الشكوك في نفسي، فقد ذهبت الى «حسن التهامي» ابحث معه مسألة الثلاثة ملايين، وقلت له ان الحكومة الامريكية لا تلح عليكم، وانما اريد ان اخبرك انها تحت تصرفكم اذا شئتم. وحسن التهامي الذي كان يشغل ضمن مناصب اخرى مركز رئيس الحرس الخاص لعبد الناصر (وهو بالمناسبة الذي اشار اليه عبد الناصر في حادثة محاولة الاغتيال في فلسفة الثورة) قال لي: «مش حنغلب في الاستفادة بثلاثة ملايين دولار خلينا نشوفهم»، وبعد الحصول على تأكيد شخصي من عبد الناصر بأن الثلاثة ملايين مقبولة فعلا. ابلغت كافري الذي قال لي بلهجة حانقة ان المبلغ قد وصل هذا الصباح مع رسول من بيروت، وبعد مشاورة المختصين بالسفارة، اتفقنا على ان تحركي تحت الحراسة مسافة خمسة اميال الى منزل حسن التهامي في المعادي سيثير الشبهات، ولذلك اتجهت في سيارة احمل حقيبتين فيهم ثلاثة ملايين دولار نقدا. واستقبلني حسن التهامي في منزله بالمعادي يحيط به حارسان مصريان، دون اهتمام أو حماسة، وبدأنا نعد النقود، عددناهم مرتين لنكتشف انهم ٢,٩٩٩,٩٩٠ دولارا وعلق حسن اخيرا: لن نتعارك على عشرة دولارات.. وركب ومساعداه سيارة مرسيدس الى بيت عبد الناصر».

ثم حكى قصة برج القاهرة الذي بنى من المبلغ وقال ان حسن التهامي كان يسميه «وقف روزفلت» وقد كتب العبارة بالعربية بالحروف الانجليزية، ولكنه عندما ترجمها للانجليزية ـ وهو يتقن العربية ولكن بالطبع كمستشرق ـ ترجمها «انتصاب روزفلت» «Roosevelt's Erection» وهذا دليل انه لم يخترع العبارة ولكن اخطأ ترجمة كلمة «وقف».. أو ترجمها له مساعد لا يعرف ما هو «الوقف» و «الاوقاف»..

ماذا تثبت هذه القصة؟!

تثبت اولا الروحية التي يتعامل بها هيكل مع وقائع تلك الفترة وهي استعداده للكذب الكامل، وتزوير التاريخ وتبديل الاشخاص.. وهي ليست مسلكية خلقية، بل شعور بالاثم، شعور بخطورة ما تنطوي عليه الحادثة ولذلك لا يتورع عن الكذب ونقل التهمة الى محمد نجيب، وكان ظنه ان الرجل شاخ، أو أن ذاكرته أو شجاعته ستخونه.. ولكن عندما جره الى القضاء وهو يعرف انه كاذب مزور، وأن أمره سيفضح في المحكمة، واخطر من ذلك ان المحكمة قد تقلب الدفاتر، وتفتح الملفات خاصة وان «محمد نجيب» قد اتهمه علنا وفي كلام مكتوب ومنشور بأن المخابرات المصرية قدمت له ولعبد الناصر تقريرا بأن

محمد حسنين هيكل عميل للسفارة الامريكية فلم يستطع ان يلجأ للقضاء كما فعل الطاهر الذيل محمد نجيب (في هذه الواقعة على الاقل) لذلك آثر محمد حسنين هيكل ان ينسحب مرة اخرى وذيله بين رجليه، الاولى نصحه «محمد فوزي» الا يلجأ للقضاء و«محمود فوزي» رجل ارقم يعرف السر، وصدقه النصح، والمرة الثانية عندما اعتذر لمحمد نجيب وتراجع . .

فهذه الواقعة لا تثبت فقط تزوير وكذب محمد حسنين هيكل وانما تشير الى وجود سر خطير يحرص هيكل على اخفائه لو بالتزوير.

كذلك ثبتت الرواية، ان المخابرات الامريكية قدمت ثلاثة ملايين دولار لرئيس ثورة ٢٣ يوليو ولسنا نتحدث هنا عن رشوة أو فساد . . فالكل متفق ونحن في مقدمتهم على سخافة العمل، وعلى ان عبد الناصر رفض ان يمس المبلغ أو أن يحتفظ منه بدولار واحد، ولو فعل لما استحق ان يوجد اسمه في التاريخ، ولا شغل بالنا دقيقة واحدة . . فلا أحد يتحدث عن رشوة ولا فساد، وانما مغزى الواقعة هو طبيعة العلاقة بين المخابرات الامريكية وثورة ٢٣ يوليو، وان استطعت ان تصدق وقوع هذه القصة بين المخابرات الامريكية وهوشي منه أو حتى فيدل كاسترو . . فهي ثورة ووجب قطع لساننا! . . فالسؤال هو لماذا تهتم المخابرات الامريكية والحكومة الامريكية بحماية قائد ثورة يوليو؟ . . والمفروض والمشاع ان كل المؤامرات على حياته هي من تدبير هذه المخابرات؟! لماذا كانت الحقيقة مخالفة تماما للشائع والذائع في اجهزة الاعلام الناصرية؟!

لماذا . .

كذلك اورد حمروش، نقلا عن خالد محي الدين. رواية تعزز القول بان المخابرات الامريكية لعبت دورا حاسما في تصفية نجيب. اذ قال خالد محي الدين «ان ممثل صحيفة «نوفيل او بزر فاتور» قال له (خلال فترة الصراع يوم لم يكن الكثيرون في الشارع السياسي المصري يراهنون على انتصار جمال عبد الناصر واحد ضد عشرة) ان جمال سيكسب المعركة ضد نجيب، وان مجلس القيادة قد اعطى اشارة للامريكيين بانهم سيوافقون على المعاهدة وادخال تركيا في بند السماح بعودة قوات الانجليز للقناة» وسنجد في رواية كوبلاند وايفيلاند، ومصطفى امين ما يؤكد ان المخابرات الامريكية رجحت كفة ناصر على نجيب . . بل ان احد اساطين الاجهزة السرية الامريكية يشك في تآمر هذه المخابرات مع ناصر في حادثة المنشية للقضاء على نجيب.

وينقل حمروش سراً خطيراً همس له به زكريا محي الدين وهو: «ان هذه السرعة في توقيع الاتفاق كانت نتيجة وساطة امريكية، كما ذكر لي زكريا محي الدين، استهدفت حل المشكلة بين البريطانيين والمصريين لخلق جو مناسب لربط مصر بسياسة جديدة في المنطقة».

اما «مايلز كوبلاند» فلا يهمس بل يقدم لنا قصة الوساطة كاملة واسم الوسيط . . ترى

من يكون؟ إلا عراب الثورة نفسه؟!

وتخيل هذا المشهد في «هافانا»، وقد اجتمع مجلس الثورة الكوبي في الايام الاولى للثورة، وبعدما استقرت اقدامها، واعلن «فيدل كاسترو» انه قرر تعيين رئيس المحكمة العليا رئيسا للوزراء، فيهمس جيفارا في اذن راؤ ول كاسترو.. فاذا براؤ ول يقول: آسف لا نستطيع تعيين المرشح لأن السفارة الامريكية تعترض عليه فهو من انصار السلام!

أو اذا شئت مزيدا من الفكاهة فتخيل حدوث ذلك في هانوي في مجلس قيادة الثورة الذي يرأسه هوشي منه!..

المنظر طبيعي في سايغون، أو «سيول» عاصمة كوريا الجنوبية، أو القاهرة للاسف فهذا ما يرويه حمروش عن رفض تعيين السنهوري.. قال:

«بعد قرار عزل «علي ماهر» بدأ البحث عن اسم رئيس وزراء جديد. ويبدو أن السنهوري كان المرشح الاول» ولكن «علي صبري» همس في أذن جمال سالم، وكان حاضرا لهذا الاجتماع باعتباره سكرتيرا لمجموعة الطيران. وقال «جمال سالم» إنه يجل السنهوري ويعرف قدرته، ويعترف بجدارته، ويثق في اخلاصه للحركة، كما بدا واضحا في تأييده لقانون الاصلاح الزراعي،ولكنه لايستطيع إلا الصراحة والاخلاص في عرض السبب الذي يجعله مرغما على العدول عن ترشيحه. وكان السبب كما قال جمال سالم، هو ان الامريكان سوف يعترضون على الترشيح لان بعض الصحف العربية نسبت اليه في اواخر عهد الملك السابق واثناء حكم الوفد أن له ميولا يسارية» وفسر السنهوري ذلك بأنه وقع نداء ستوكلهم للسلام».

والرواية الى هنا توحي بانه اجتهاد من «علي صبري» مسئول الاتصال بالامريكان في ذلك الوقت، ولكن خالد محي الدين يكمل القصة: «ان الامريكيين كانوا قد ابلغوا «علي صبري» بذلك عندما شعروا باقتراب السنهوري من مجلس القيادة ورجوع الاعضاء اليه في كافة مشاكلهم الدستورية».

فنحن امام «فيتو» امريكي صريح على مجرد الاقتراب من موقع «نداء استكهلم» للسلام.. وكراهية الامريكان لمن يوقع «نداء السلام» في ذلك الوقت مفهومة، ولكن رضاهم وثقتهم عن مجلس الثورة، غير مفهومه، اما انصياع مجلس «الثورة» لهم فهو المحير العجيب.. اذا لم نعترف بالمعامل «س».

وايضا قصة «يوسف صديق» الذي يعد تاريخيا وباعتراف الجميع الآن، انه هو الذي نفذ الانقلاب ووضعهم في السلطة، ولولاه لما قامت الثورة، كان عمره في هذه الثورة قصيرا جدا.. والسبب هو الامريكان ياريس!

يوسف صديق، هو من المجموعة التي لم تكن لها علاقة بالامريكان ولا علم بما جرى

معهم من اتفاق، وما كان له ان يكون، فهو يساري، اوحتى عضو في تنظيم ماركسي، اذ صدقنا رواية حروش، او اذا اخذنا عضوية «حدتو» على محمل الجد، ولكن لا جدال في وطنيته ويساريته، ومعاداته للاستعمار الامريكي . . وهكذا توجه «يوسف صديق» الى «بني سويف» وخطب كما كان يخطب الوطنيون المصريون في عام ١٩٥٢ وقال «ان الحركة لا شرقية ولا غربية». فلم تذع الاذاعة تسجيل خطابه، واحتج اولو العلم من اعضاء مجلس قيادة الثورة، على اعلان هذا الموقف الذي اثار رجال السفارة الامريكية، وبعث الضيق في نفوسهم ـ على حد قولهم ـ وكان الحياد مرفوضا في هذه الفترة من الغرب. وتعرض «يوسف صديق» بعد ذلك لمضايقات من زملائه اعضاء المجلس» وسرعان ما خرج يوسف صديق من المجلس (يناير ١٩٥٣) واضطهد.

حروش ومن قبله محمد عوده، لديهم الوعي والمعلومات، ولكنهما يخشيان الاعتراف بالحقيقة التي تؤيدها المعلومات التي يقدمونها هم، الثاني وصف «جيفرسون كافري».

«من اشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية الامريكية، ويضم سجله سلسلة طويلة من الأنقلابات تقارب الثلاثين في امريكا الجنوبية والوسطى، وكان كافري أول سفير امريكي في فرنسا بعد التحرير، في فترة ازيح ديجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزاري وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة، واصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الأطلنطي»[١٣] . . .

هذا الذي قهر ديجول، وطرد الحزب الشيوعي الفرنسي، وجذب الاشتراكيين الفرنسيين لامريكا وحول فرنسا . . فرنسا ذاتها، لقاعدة لحلف مارشال، ونظم ثلاثين انقلابا في امريكا الجنوبية والوسطى . . عينته امريكا في مصر ليجرب حظه، فخاب فأله وذهب سحره، وبطل مكره! ولا ندري ايضحك علينا حروش أم يضحك على نفسه وهو يقول: «ولكن كافري جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة اضعفت من فرص القدرة على احداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا.»

انقلاب سوريا امريكاني . . وانقلاب فرنسا اميركاني . . اما مصر فهي ام الدنيا!

ولكن المعلومات تحرق اصابع حروش، فهو يعرضها ولو من باب اعطاء كتابة مسحة منطقية، ولكن يستعيذ بالله بعد كل فقرة فهو يؤكد لنا اتصال المخابرات الامريكية بالضباط الاحرار، ولكنه يقسم على ان جمال عبد الناصر لم يتصل شخصيا . . وهو يؤكد حدوث التقاء الاهداف، ولكن ينفي انهم سيطروا علينا . . حيرة المتورط والنادم والمشدوه لغفلته التي تبينها متأخرا جدا، أو بالأحرى لانتهازيته التي جعلته يخفي ما يعلم، ويخدع نفسه . .
يقول: «ان الولايات المتحدة كانت ترقب انتفاضات (الفلاحين) في حذر شديد، لأنها رأت فيها ارهاصات ثورة شعبية جامحة يمكن ان تنتهي الى تغييرات اجتماعية جذرية تتناقض

فتتعارض في داخلها مع اهداف الاستعمار والامبريالية العالمية، ولذا كانت فكرة الاصلاح الزراعي، واردة في احاديث المسئولين الامريكيين الذين تدفقوا على مصر بعد حريق القاهرة، كانوا يطلبون اصلاحات اجتماعية تمنع اشتعال (ثورة) شعبية. وانبرى الدكتور احمد حسين احد المقتنعين بهذه السياسة والشديد القرب من الامريكيين يدعو الى الاصلاحات الاجتماعية ويشكل (جمعية الفلاح) ويطلب من على ماهر أن يدعو الملك الى التنازل عن نصف ارضه للشعب وكون جمعية الفلاح» و «قد اكتشف اليساريون ان مثل هذه الجمعية انما تستهدف اطلاق البخار من المرجل الشعبي حتى لا يتفجر في وجه الاستعمار فأطلقوا عليها اسم «جمعية الفلاح الامريكاني» وذلك لما احاط بالدكتور احمد حسين من سمعة تربط بينه وبين المسئولين الامريكيين المتدفقين على مصر. ووضح من اتصالات الامريكيين برجال السياسة المصرية ان «الاصلاح الزراعي» كان أحد العروض التي يقترحونها كما روى مصطفى مرعي، عندما اتصلوا به قبل ٢٣ يوليو ورفض الموافقة على فكرتهم في تحديد الملكية عن أي طريق يتعارض مع الدستور».

الأعمى يستطيع أن يستنتج من هذا ان قانون «الاصلاح الزراعي» الذي اصدرته الثورة كان مطلبا امريكيا.. ولكن صاحبنا اعمى القلب ولذلك فهو يتبع هذا التحليل الذى أرضى به الاذكياء بشهادة ترضي المغفلين «ولكن لما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو لم تكن فكرة القضاء على الاقطاع نابعة من فكر امريكي»!!

ليه؟

لنراجع ما لدينا من حقائق طبقا لشهادته:

١- مصر تغلي بنذر ثورة فلاحية تحمل شتى الاحتمالات، ليس فقط تصفية الاقطاع أو كبار الملاك التصفية الثورية الجذرية، بل - ايضا - اطلاق تلك القوة الاسطورية التي لم تتحرك الا بضعة شهور في ثورة ١٩ وعلى نطاق جزئي. ولو ثار الفلاح المصري ثورة شاملة ذات ابعاد وطنية وطبقية لتغير وجه المنطقة.

٢- كان الامريكيون، أو اجهزتهم تتدفق على مصر وتراقب هذا بحذر شديد، وتصميم على منع هذه الثورة التي تتناقض مع اهداف الاستعمار والامبريالية.

٣- ولذلك فكروا في حل يجهض هذه الثورة، ويحمي أولا يتناقض مع الاهداف الاستعمارية والامبريالية، فطرحوا حل «الاصلاح الزراعي» ولا جديد في ذلك فقد طبقوه في كل بلد نجحوا في تنفيذ انقلاب عسكري فيه، وآخرها ايران... فالانقلاب الامريكي يقترن غالبا بالاصلاح الزراعي، حتى يمكن اعتبار اعلانه قرينة على امريكية الانقلاب..

٤- تحدث المسئولون الامريكيون الذين تدفقوا على مصر بعد حرق القاهرة عن الاصلاح الزراعي لمنع الثورة، وتبني مطلبهم السياسي «الشديد القرب منهم» بل اتصلوا

بمصطفى مرعي واقترحوا عليه تطبيق الاصلاح الزراعي أو تحديد الملكية «بغير الطريق الدستوري» يعني باجراء ثوري . . فرفض . . واكتشف اليساريون ما يجري وعرفوا انها لعبة امريكية، وانها ضد الثورة، وليست ثورة . .

ثم جاءت ٢٣ يوليو «ولم تكن قد اعدت للقضاء على الاقطاع مشروعا أو خطة كاملة». وفجأة تبنى مجلس الثورة المشروع وقاتل عليه!

ثم يقسم لنا انه لا صلة بين ذلك وبين الجهد الامريكي لفرض الاصلاح الزراعي! عظيم! . . . وموافقون . . ولكن الا يسمح لنا ان نستنتج الآتي على الاقل:

١- الاصلاح الزراعي لم يكن يتعارض مع الاهداف الاستعمارية والامبريالية بل على العكس كان على هوى الامبريالية الامريكية على الاقل. فهي اقترحته قبل الثورة.

٢- الاصلاح الزراعي كان عملا مضادا للثورة الفلاحية وليس عملا ثوريا . . ويجدر أن نشرح قليلا للمغفلين من خريجي مدرسة التجهيل السياسي، فهم لا يعرفون الفرق بين الثورية والاصلاحية، وبين الاستعمار القديم، والاستعمار الجديد . .

الاستعمار الامريكي بحكم تكوينه ومصالحه يعادي أية ثورة طبقية، ثورة تحرر قوى الشعب، وتحقق تغييرا جذريا في النظام الاجتماعي والسياسي بما يكفل تعبئة واطلاق طاقة الامة في بناء الدولة والمجتمع، تصفية المصالح الاستعمارية، واقتطاع حصة من السوق العالمية التي تستثمرها هذه المصالح. وهذا هو جوهر الصراع بين الدول الاستعمارية والدول المستعمرة، ويمكن ان تضاف عوامل محلية لكل بلد، منها في حالتنا النفط واسرائيل . .

ولذا فان اي اجراء يحول دون الثورة، هو أهون ضررا، ولاشك ان «الاصلاح الزراعي» بالأسلوب الامريكي يحقق هذا الهدف، لما يخلقه من تعقيدات في العلاقات الاجتماعية والطبقية في الريف، تشغل الجماهير عن الثورة الحقيقية . . فالعلاقة القديمة . . كانت بسيطة ومفهومة . طبقة كبار الملاك تملك الارض والسلطة . . وفي مواجهتها الفلاحون بلا ارض ولا سلطة . . ومطلبهم واضح : الحصول على الاثنين معا : الارض والسلطة . . والعدو واضح . . والصدام معه سيجر الى الصدام مع الاستعمار الذي يسنده . . ومن ثم تصبح الثورة الطبقية، وطنية في نفس الوقت.

اما بعد قانون الاصلاح الزراعي، فقد ارتبكت الصورة - رغم ضآلة ما تم توزيعه - فقد ظهر طابور من الملاك، ولا أحد يعرف موقعه من السلطة ولا أحد يساهم أو يشارك في السلطة، وايضا لا أحد يستطيع اتهام السلطة بوضوح بأنها مع العدو . . والكل في حرب ضد بعضهم البعض . . . وقبل الاصلاح الزراعي، كان الفلاح الصغير هو قائد الثورة مرتبط ومتحالف مع فقراء الفلاحين، ضد المالك الكبير، أما الآن بعد الاصلاح الزراعي، فإن العداء الذي يمزق الريف الآن، هو بين المالك الصغير والمستأجر، حيث اصبح

المستأجر هو الـذي يستغـل المالك الصغير المغبون!! وبذلك يستحيل اتفاق الطبقتين على موقف من السلطة وهذا سر خروج الريف من خريطة الثورة في المستقبل القريب على الاقل. . .

ويمكن ان نضيف أن طبقـة كبـار المـلاك كانت قد ارتبطت تاريخيـا واقتصاديا بالاستعمار القـديم، ومن ثم ثم فان الاستعمار الجـديـد يهمه تحطيمها لاقتلاع جذور الاستعمار القديم ومراكز نفوذه، وامكانيات تحركه. .

ثم اليك ما اضافه حمروش لمعلومات «مايلز كوبلند» وما اعتذر به عن حقائق «مايلز كوبلاند»:

اتصالات خارجية

«ولم يقتصـر اتصـال الضباط الاحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية فقط، ولكنه امتد ليشمل ايضا مندوبي وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الامريكية الذين استثارتهم منشورات الضباط الاحرار، وانتصارهم في انتخابات نادي الضباط، فبذلوا غاية جهدهم للتعرف عليهم، واكتشاف آرائهم ومحاولة اجتذابهم.

وكانت حلقة الاتصال مع ضابط في المخابرات المصرية طبيعة عمله تسمح له بالاتصال بالملحقين العسكريين الاجانب، بينما هو مرتبط بالضباط الاحرار وبجمال عبد الناصر شخصيا.

ولم تتسع حلقة الاتصال بين المسؤولين الامريكيين وبين الضباط الاحرار رغم اعتمادهم على الصحفي المقـرب منهم محمـد حسنين هيكـل رئيس تحريـر آخر ساعة في ذلك الوقت ورئيس تحريـر الاهـرام فيما بعد، لانه لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الاحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم.

وكان حريق القاهرة حافزا لنشاط الامريكيين في المنطقة فقد ارسل دين اتشيسون وزير الخـارجيـة مندوبـا عنه استعاره من وكالة المخابرات المركزية هو كيرميت روزفلت لدراسة الاحوال في مصر.

ونشـرت مجلة التـايم في اكتـوبـر ١٩٥١ مقالا جاء فيه «أن الموقف في مصر اشبه ما يكون بالموقف في اليونان سنة ١٩٤٧، حين اضطرت انجلترا نظرا لضعفها الى سحب قواتها من اليـونـان، فحلت امـريكـا محلهـا، واستأنفت القيام بدورها حتى لاتترك فراغا يتسرب منه النفوذ السوفييتي. . وامريكا اعدت عدتها للموقف منذ زمن بعيد حتى لا تفاجأ كما فوجئت في ايران ووضعت مشروع الشرق الاوسط».

«ويبدأ الصراع الخفي بين بريطانيا وأمريكا . . ونجحت المخابرات المركزية في تدبير انقلاب حسني الزعيم في سوريا، وهو اول محاولة لنقل اسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الامريكية والذي مارسته لزمن طويل في أمريكا اللاتينية . . وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقلاقل الداخلية، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الامريكية .

وابتدأ الصراع الانجلو امريكي بانقلاب دبرته بريطانيا، هو انقلاب اللواء سامي الحناوي، وردت عليه الولايات المتحدة بانقلاب ثالث بقيادة اللواء اديب الشيشكلي .

وركزت الولايات المتحدة اهتمامها بعد ذلك على مصر، فعينت جيفرسون كافري سفيرا لها بالقاهرة، وهو من اشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية الامريكية، ويضم سجله سلسلة طويلة منها تقارب الثلاثين في امريكا الجنوبية والوسطى (كما ذكر محمد عودة في كتابه «ميلاد ثورة» .

«وكان كافري اول سفير أمريكي في فرنسا بعد التحرير . . في فترة ازيح فيها ديجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزاري، وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة، واصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الاطلنطي .

ولكن كافري جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة، اضعفت من فرص القدرة على احداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا ، وقد اسرع هو وسفراء انجلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة الى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصري التي تدعو الى اقامة دفاع مشترك فور الغاء المعاهدة . . وهي المذكرة التي اعلن مجلس الوزراء المصري رفضها امام البرلمان . .

ولذا كان حريق القاهرة فرصة مواتيه انعشت آمال الامبريالية الامريكية في التسرب الى مصر، ووضع قبضتها على مركز الحركة السياسية فيها . . أعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الامريكي ، في ٣١ يناير قوله «أن قيادة الشرق الاوسط ليست اقتراحا يمكن قبوله أو رفضه وحكومته مازالت تقر بريطانيا على عدم اعترافها بالغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦» . ويقول تشرشل وترومان في بلاغ مشترك : «ان افضل وسيلة لازالة التوتر الراهن في مصر هي قبول قيادة الشرق الاوسط» .

ولم يكن رجل المخابرات المركزية كيرميت روزفلت مندوب وزارة الخارجية الامريكية ورئيس بعثتها الى مصر بعد حريق القاهرة، غريبا على المجتمع المصري، فقد عمل في مصر خلال الحرب، وتوطدت صلته بالملك فاروق، ووقف الى جانبه خلال أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، واعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ .

ولم يبدأ كيرمت روزفلت مهمته الجديدة من فراغ . . فأن السياسة الامريكية كانت لها

نقـط ارتكـاز اقـامتهـا خلال فترة ما بعـد الحـرب العالمية الثانية . . كانت الوزارة الوفدية قد وافقت على مشروع (النقطة الرابعة) الامريكي الذي يتيح للولايات المتحدة التغلغل باسم المعـونـات الاقتصـاديـة والخبرة الفنيـة لها، وتعـرضت بسببه الى هجمات عنيفة ظهرت في الصحف خلال عام ١٩٥١ ، ووصلت الى حد مهـاجمـة الطليعـة الوفدية له في بيان نشرته (الاشتراكية) يوم ٢٢ يونيو ١٩٥١ تتهم فيه امريكا بأنها سند الاستعمار البريطاني في مصر.

وكـان جيفـرسـون كافـري نشيطـا في مقـابلاته وعلاقاته . . فقد نشرت الصحف ـ مجلة الجمهور المصري عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ ـ ان هناك مشروعا لانشاء مكتب أمريكي انجليزي مصري لمقاومة الشيوعية، ردا على المظاهرات المعادية التي تهتف بسقوط الاستعمار الانجلو أمريكي، وان مكتب الصحافة الامريكي يعمل على كسب بعض كبار الصحفيين ويطالب بمبالغ كبيرة لزيادة نشاطه.

وكان مصطفى أمين صاحب دار اخبار اليوم قد اصدر كتابا باسم (أمريكا الضاحكة) فيه دعـايـة للمجتمـع الامـريكي، يمكن مقـارنته بكتاب (الانجليز في بلادهم) الذي اصدره حافظ عفيفي.

وكانت السفارة الامريكية قد نشطت في الاتصال بعدد كبير من السياسيين المصريين في محاولـة لاجتـذابهم الى صفهـا . . كان حافـظ رمضـان لايخفي صلته بالامريكيين، ويقول فتحي رضوان ان حافظ رمضان كان يتصل بمستر ايرلاند مستشار السفارة الامريكية، بأمل الضغط على البريطانيين كما صرح عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية بقوله «اننا على استعداد للتحالف مع أمريكا».

ويقـول مصطفى مرعي ان الامـريكيـين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعـاون معهم على أسس رفضهـا، قال لهم أنـه ضد الملك وليس ضد النظـام . . وانـه مع الـديموقراطية وضد الحكم الفـردي . . ورفض اقـتراحـا خاصة بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي، وابلغهم انه يفضل تطوير قانون عضو الشيوخ محمد خطاب بحيث يضطر كل من يملك اكثر من ٣٠٠ فدان الى بيعها.

ويـدل اتصـال الامـريكيـين بمصطفى مرعي على انهم كانـوا يمهدون لنوع جديد من الحكم كان يرفضـه ، ولتشجيعـه للاصـلاح الـزراعي بطـرق غير دستورية . . وهذا يفسر سيـاستهم التمهيـديـة لقبـول انقـلاب يتفـادى اخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض انجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للامبريالية الامريكية، المهددة للديموقراطية الشعبية.

وكـان أحمـد حسـين وزير الشؤن الاجتماعية في وزارة الوفد والذي استقال منها في صيف ١٩٥١ هو احد أصفياء السياسة الامريكية . . يدعو لسياسة اصلاح اجتماعي تتفادى خطر

الثورة. . وقد اقترح على (على ماهر) ان يطلب الى الملك ـ مكافحة للشيوعية وتصفية للسخط الشعبي ـ اعلان تنازله عن املاكه أوعن نصفها للشعب مثلما فعل شاه ايران فيما بعد أثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك. . كما انه اعتذر عن عدم الاشتراك في وزارة على ماهر عندما عارض في رفع شعار (التطهير قبل التحرير).

كان أحمد حسين يؤدي دورا نشطا بين الساسة المستقلين بدعوى محاربة الفساد، وقد اتصل بعد خروجه من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالي واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد.

ولكن كيرميت روزفلت كان قد كون من دراسته لمصر رأيا آخر. . وجد ان الملك أعجز من ان يؤدي دورا ايجابيا في اصلاح النظام. . لم يكن الملك من ذلك النوع من الرجال الذين كان روزفلت يبحث عنهم فقد كان الملك فاقدا القدرة على تركيز افكاره، وكم من جلسة ابدى فيها تفهما عميقا لما يدور في مملكته، ووافق على اتخاذ بعض الاجراءات الاساسية في خطة روزفلت، ولكنه في اليوم التالي يختفي عن الانظار مفضلا ممارسة هوايته في العربدة والجنس وضاربا عرض الحائط بكل ما اتفق عليه في اليوم السابق، ولا يحرج في الاسبوع التالي من اتخاذ اجراء ينسف خطة روزفلت برمتها، وقد أمضى روزفلت في القاهرة الشهرين الاولين من سنة ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخططا (الثورة السلمية) وذلك بأن دفعا رجلي الحكم القويين مرتضي المراغي وزكي عبد المتعال لخلق ازمة وزارية، بينما اوعز الملك الى البوليس السري لجمع الادلة والوثائق ضدهما ليثبت ـ حين تحين الفرصة ـ انهما عميلان للمخابرات المركزية الامريكية، ثم قام الملك بتكليف نجيب الهلالي ذي الشهرة الواسعة والسمعة الجيدة بتولي مهام رئاسة الوزراء، ولكن الملك لم يستدعه بلباقة كافية، مما جعل الهلالي يرفض تسلم الوزارة حتى اتصل به روزفلت سرا واسر له بأنه اذا لم يتسلم رئاسة الوزارة، ويقوم بتطهير جهاز الدولة من المرتشين والفاسدين، ويكون رائدا للثورة السلمية فأن الثورة لن تبقى سلمية ابدا.

وهكذا يفسر مايلز كوبلند في كتابه (لعبة الامم) موقع وحركة مرتضى المراغي وزكى عبد المتعال. . ويلقى الضوء على حقيقة الدور الذي كان مفروضا ان يؤديه نجيب الهلالي ويكشف محاولة التمسك بثورة سلمية تحاشيا لثورة غير سلمية.

ويحاول مايز كوبلند في كتابة (لعبة الامم) الايحاء بأن جمال عبد الناصر كان على اتصال بكيرميت روزفلت عندما ذكر «وقد اخبر عبد الناصر كيرميت روزفلت صراحة انه مع ضباطه لن ينسوا ذلك الاذلال الذي لاقوه على ايدي الاسرائيليين عام ١٩٤٨، الا ان نقمتهم ستنصب بالدرجة الاولى على كبار ضباط الجيش المصري ثم بقية حكام العرب والبريطانيين، واخيرا على الاسرائيليين».

وكان ذلك في معرض حديثه عن اهتمام الامريكيين بتوضيح موقف المصريين من قضيتين هامتين اولاهما اسرائيل وثانيتهما القومية العربية. ويبدو حديث جمال عبد الناصر كأنما وجهه لروزفلت قبل ٢٣ يوليو، اذ ان كبار ضباط الجيش جميعا عدا قلة محدودة جدا منهم قد عزلوا وأحيلوا الى التقاعد فور نجاح حركة الجيش.

ولكنه لايوجد دليل واحد على ان جمال عبد الناصر قد اتصل شخصيا بكيرميت روزفلت قبل الحركة.. ولو أن اتصالات بعض زملائه بالامريكيين قد جعلته يطلب من خالد محيي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الانجلو امريكي) في منشورات الضباط الاحرار، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني، وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢ [١٤]، وذلك للتأييد الذي لمسه هؤلاء الزملاء، من المسؤولين الامريكيين في المنطقة.

والمقطوع به ان الامريكيين قد وجدوا في النشاط السري لحركة الضباط الاحرار بعض ما يحقق لهم اهدافهم في المنطقة، ولكنهم لم يستطيعوا ابدا ان يكونوا مسيطرين عليه.

وعندما عاد كيرميت روزفلت الى واشنطن في مايو ١٩٥٢ بعد اقامة امتدت ثلاثة اشهر قدم تقريرا الى وزير الخارجية الامريكية دين اتشيسون حسب رواية مايلز كوبلند في كتابه (لعبة الامم) تضمن النقاط الآتية:

١ ـ لم تعد الثورة الشعبية التي كان يسعى اليها كل من الاخوان المسلمين والشيوعيين ـ وتخشاها وزارة الخارجية الامريكية ـ واردة في الحسبان.

٢ ـ لم يعد هناك اي أمل في ابعاد الجيش عن القيام بانقلاب قريب واثنائه عن عزمه على استلام السلطة، رغم كل التحفظات التي كان يبديها واضعو مخططاتنا في واشنطن من ان تكون النتائج مشابهة لما جرى في سوريا على ايدي العسكريين.

٣ ـ ان قادة الانقلاب المحتمل، يرفعون شعارات قياسية تخالف ما اقترحه كثير من المراقبين الدبلوماسيين وتجعل منهم وهم في السلطة طرفا لينا ومرنا في ايه مفاوضات نخوضها معهم كما انها تزيد من فرصتهم في النجاح.

٤ ـ يجب ان توافق الحكومة الامريكية على اقصاء الملك فاروق، وربما النظام الملكي نهائيا في مصر، ولايمنع هذا من اتباع بعض الشكليات للدبلوماسيين بارسال مذكرة احتجاج رقيقة تفسح المجال امام السفير كافري لاظهار قلقه المصطنع على سلامة الملك فاروق.

واذا صح ان كيرميت روزفلت قد وصل الى هذه النتائج فان هذا لا يعني ارتباط تنظيم (الضباط الاحرار) بالمسؤولين الامريكيين ارتباطا عضويا، ولا يدل على ان حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الامريكية، وانما يدل على اتساع دائرة معرفتهم، وخبرتهم السياسية في دول تتعرض لازمات وطنية وحركة جيوشها في مواجهة هذه الازمات.

وفي هذه المرحلة أيضا كانت صيحة المناداة بالحاكم (العاقل المستبد) قد علت وترددت ووصلت الى الذروة... سواء في الخارج او الداخل.

نشر الكاتب الامريكي ستيوارت السوب مقالا في صحيفة (شيكاغوصن تايمز) يقول فيه «اذا كانت بريطانيا قد استطاعت فيما مضى ان تحافظ على سيادتها على مصر بخلق الباشوات وجعلهم أصحاب النفوذ، ويرشوتهم بعد ذلك ليكونوا اداة تسهيل مصالح بريطانيا الاستعمارية فان هذه الطريقة لم تعد عملية ولا مجدية اليوم، ان الشعب الفقير قد اخذ يستيقظ ويشعر بالضيق الفاحش اللاحق به» ثم أنهى مقاله بقوله «ان الحديث عن انعاش الديموقراطية في بلد كمصر يعيش فيه اغلبية الشعب عيشة أحط من عيشة الحيوانات، هو لغو فارغ، ان مصر لاتحتاج الى ديموقراطية بل تحتاج الى رجل فرد، الى رجل ككمال اتاتورك ليقوم بالاصلاحات الضرورية اللازمة للبلاد، لكن مشكلة مصر في كيفية العثور على الديكتاتور، فليس بين رجاله من لديه المؤهلات اللازمة للديكتاتور».

وكتب احسان عبد القدوس مقالا بعنوان (ان مصر في حاجة الى ديكتاتور. فهل هو على ماهر؟) تحمس فيه للدفاع عنه وقال انه معروف عنه انه يعتد برأيه الى حد لا يسمح معه للوزراء بالتفكير ثم قال: «ومصر تقبل معه ان يعتد برأيه الى حد ان يصبح ديكتاتورا للشعب لا على الشعب، ديكتاتورا للحرية لا على الحرية، ديكتاتورا يدفعها الى الامام ولا يشدها الى الوراء».

«وفي نفس الوقت تقريبا ظهرت عدة مقالات كتبها جوزيف السوب (من نادي الجزيرة بالقاهرة) قال فيها ان فاروق قد فقد اهليته، وان الوفد حزب لايمكن الاعتماد عليه، وان الامل الوحيد في الجيش. وقد اثارت هذه المقالات التي نشرت في امريكا اهتمام المبعوثين المصريين هناك، ودفعت الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ومسؤول معهد الدراسات الاشتراكية فيما بعد الى كتابة مقال لمجلة (الكاتب) دون توقيع، تحدث فيه عن احتمال وقوع انقلاب عسكري».

وكانت صحف دار اخبار اليوم هي المنبر الذي تنطلق منه الدعاية للسياسة الامريكية، فهي تمدح السراى والملك، وتهاجم الوفد وتحاول التشهير به، ثم تنقلب الى غمز السراى عندما تتبلور السياسة الامريكية وتفقد الثقة في قدرة الملك على الاصلاح. وقد اوضح موسى صبري ذلك في كتابه ملك واربع وزارات، اتخذت موقفا معاديا للشيوعية في وضوح وقوة ونادت بالاصلاح، وكان منطقها في محاربة الانجليز، خذ منهم ما تستطيع ثم حارب من جديد، ولعل صحافة اخبار اليوم كانت تمثل حيرة الشباب في البحث عن بطل، وعبرت في كثير من مقالاتها وتحقيقاتها عن هذا الامل الذي تجمع حوله الناس.

وفي غمرة البحث الامريكي وراء خفايا الحياة السياسية في مصر، ومحاولة معرفة (البطل) الذي تحدثت عنه صحف (اخبار اليوم)، وقف جهاز اكتشافهم الحساس عند ظاهرة، لم تكن وقتها ذات اثر كبير في حياة الجماهير اليومية، ولكنها اظهرت بادرة مثيرة في اخطر جهاز

منظم في مصر . . . وهي انتخابات نادي ضباط الجيش التي دفعت اسم محمد نجيب الى الضوء. »[15] أهـ

نلخص ما جاء في نقل وتعليق حمروش على كلام مايلز كوبلند:

١ ـ حمروش يعترف، وهو لا يملك غير ذلك امام الادلة الدامغة، على وقوع اتصال بين الضباط الاحرار «ومندوبي وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الامريكية». قبل ٢٣ يوليو

التنظيمات الثورية، لاتتصل بالمخابرات الامريكية، بل تحاول المخابرات الامريكية الوصول اليها، لتدميرها وتسليمها للسلطة.

ولكننا امام تنظيم «ثوري» في القوات المسلحة. يسعى للاتصال بالمخابرات الامريكية! ومن الظلم البين اشاعة الاتهام هكذا بين «الضباط الاحرار» فمعلوماتنا والوقائع والادلة تؤكد ان حلقة محدودة جداً هي التي اتصلت، وهي التي كانت تعرف بهذا الاتصال، بينما كان التنظيم في اغلبيته الساحقة وطنيا، لايدور بخيال أحد من افراده أن يتم اتصال مع المخابرات الامريكية.

٢ ـ المخابرات الامريكية اتصلت بتنظيم الضباط الاحرار، ولم تشي به لا الى الانجليز ولا الى السراى!

٣ ـ يتطوع الاستاذ حمروش فيضرب عصفورين بحجريتهم هيكل بأنه كان اداة أو وسيلة الامريكان «الصحفي المقرب منهم محمد حسنين هيكل «ولكنه يؤكد ان حلقة الاتصال بين المسؤولين الامريكيين وبين الضباط الاحرار لم تتسع، وحجته على ذلك ان هيكل «لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت او اكتسب ثقتهم». قد اوضحنا وجهة نظرنا في علاقة هيكل وعبد الناصر، ونضيف ان الامريكان لم يكونوا تحت رحمة معرفة هيكل بالضباط الاحرار لأن هؤلاء باعتراف حمروش هم الذين سعوا للاتصال بالمخابرات الامريكية، وفي رأينا ان اكثر من ضابط في المجموعة الملتصقة بعبد الناصر كانت له اتصالات مع الامريكان، بينما كان دور هيكل هو حلقة الوصل بين المخابرات الامريكية وعبد الناصر. . .

٤ـ اعترف بوصول كيرميت روزفلت الى مصر في الفترة ما بين حريق القاهرة و٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتبنى معلومات مايلز كوبلاند كاملة في أن:

٥ـ قرار الحكومة الامريكية بتولي الامور في مصر بدلا من الانجليز.

٦ـ المخابرات الامريكية نظمت انقلاب حسني الزعيم في سوريا. «وهو أول محاولة لنقل اسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الامريكية والذي مارسته لزمن طويل في امريكا اللاتينية. وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقلاقل الداخلية، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الامريكية»!

ولم يقل لنا لماذا تضن علينا امريكا بهذا النظام المفضل لها؟!
٧ـ تبادلت بريطانيا وامريكا الانقلابات في سوريا. . فلماذا ليس في مصر؟! لأ. . . عيب!
٨ـ ركزت امريكا على مصر فعينت فيها كافري وهو خبير انقلابات كما رأينا. .
٩ـ الحركة الشعبية في مصر اضعفت قدرة كافري على احداث انقلاب مماثل لما جرى في سوريا، ولكن اماله وآمال جماعته انتعشت بحريق القاهرة.
١٠ـ اتصالات الامريكان مع «مصطفى مرعي» تدل على انهم كانوا يمهدون لنوع جديد من الحكم يتنافر مع الديموقراطية، وتطبيق الاصلاح الزراعي بطرق غير دستورية. وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى اخطار الانتفاضات الشعبية»
فلما وقع انكروه!
١١ـ حاول الامريكان القيام بثورة سلمية في اطار النظام الملكي وهنا غير كيرميت روزفلت رأيه، وحروش مازال يتبنى كل معلومات «مايلز كوبلاند» إلا «الحرام»! وقرر روزفلت ان الملك حالة ميئوسة وانه لا سبيل لمنع الجيش من الاستيلاء على السلطة.
١٢ـ يصر حروش على نفي الاتصال الشخصي بين روزفلت وعبد الناصر قبل الحركة ـ وهذه لا نصر عليها ـ ولكنه يؤكد وقوع اتصال بين بعض زملاء عبد الناصر والامريكان ادت الى طلب عبد الناصر (بناء على طلب الامريكان أو لتسهيل المفاوضات لا ندري ج) «من خالد محي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الانجلو ـ امريكي) في منشورات الضباط الاحرار، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني. وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢» وهو كما قلنا ينطبق مع تاريخ الاتفاق الذي ذكره كيرميت روزفلت.
١٣ـ «يقطع بأن النشاط السري لحركة الضباط الاحرار يحقق بعض اهداف الامريكان في المنطقة» ولكنه يبادر فيقسم بانهم «لم يستطيعوا ابدا ان يكونوا مسيطرين عليه» ما علينا.
المهم اتفقت اهداف الامبريالية الامريكية ونشاط الضباط الاحرار كما عرضته عليهم مجموعة عبد الناصر قبيل الثورة. اما حكاية السيطرة فهذه حديثها يطول جدا.
١٤ـ يقول ان صح ان كيرميت وصل الى هذه النتائج (تقريره الى وشنطن المنقول من «لعبة الامم») فان هذا لا يعني ارتباط تنظيم (الضباط الاحرار) بالمسئولين الامريكيين ارتباطا عضويا، ولا يدل على ان حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الامريكية».
دفاعه اسوأ من الاتهام!
من قال ان الضباط الاحرار إرتبطوا عضويا بالمخابرات الامريكية. . ؟!
حروش لا يؤمن الا بالارتباط «العضوي»؟!
واين في العالم ارتبط نظام حكم «ارتباطا عضويا» بمخابرات اجنبية إلا اذا تصورنا حكومة من مايلز كوبلاند ومبيد «وايكلبرغر» و «هيكل» و «مصطفى امين» و «التهامي»؟!. .

١٥ـ بدأ الحـديث علنـا في الصحف الامـريكيـة عن انقـلاب عسكـري ، وخطأ ممارسـة الديموقراطية في مصر، ولابد أن يسبقها اعداد ورفع مستوى الشعب في ظل حكم قوي . . وهو نفس ما قال «مايلز كوبلند» انه تم الاتفاق عليه بين الثورة والمخابرات الامريكية . . .

ما رأيكم ان نستدعي «مايلز كوبلاند» نفسه للشهادة، من خلال كتابه لعبة الأمم؟!

«لعبة الامم» كتاب. صدر في عام ١٩٦٩ لمؤلفه «مايلز كوبلاند» ورغم الشهرة الذائعة التي نالها الكتاب، والاشارة اليه، والنقل منه في سائر المؤلفات العربية التي صدرت بعده، وتعرضت بشكل أو آخر لنظام عبد الناصر، أو للفترة التي تحدث عنها المؤلف، الا انه ما من ترجمة كاملة أمينة قد جرت للكتاب، ولا هو متاح للقارىء في مصر. ولا نال حقه من الدراسة والتحليل، أو حتى الرد والتفنيد..، وانما اكتفت السلطات الناصرية بحظر دخوله الى مصر. ولم يتغير القرار بعد وفاة ناصر. واكتفى الاستاذ «محمد حسنين هيكل» باصدار بلاغ من طائفة البيانات التي تعود ان يصدرها في الاهرام، فأعلن ان الكتاب مرفوض لأن مؤلفه يعمل ـ باعترافه ـ في المخابرات الامريكية!!

و«لعبة الامم» هو اسم اطلق على جهاز اقيم في وشنطن في فترة من الوقت، تابع للمخابرات الامريكية، كانت تجري فيه «لعبة» أو مسرحية سياسية، أو قل فكرة شيطانية من الاعيب المخابرات العالمية، اذ يتقمص موظف، شخصية زعيم من زعماء الدول التي تهم سياستها الولايات المتحدة، وتجمع له الاجهزة كل المعلومات عن هذا الزعيم، يوما بيوم، فضلا عن تاريخ حياته منذ طفولته، وعقده، ومكونات نفسيته، وثقافته، وقراءاته وابطاله، ومستشاريه.. ومن ثم تصبح مهمة هذا الرجل أن يتنبأ بردة فعل هذا الزعيم ازاء فعل من قبل الولايات المتحدة أو غيرها..

واذا كانت الاثارة هي في هذه الفكرة، أعني قدرة هذه الشخصية على التنبؤ مقدما بتصرف الزعيم الذي يمثله، فان الأهمية أو العائد في نظري هو في اهتمام وقدرة الاجهزة، من خلال هذه اللعبة، على تجميع المعلومات عن الزعيم موضوع الاهتمام.. وربما تكون هذه اللعبة قد لعبت دورا في دفع الاحداث في عالمنا في اتجاه معين، من خلال دراسة شخصية الزعيم. ومعرفة مفتاح هذه الشخصية مثل حب المال أو النساء أو التمسك بالسلطة مهما كان الثمن، أو كراهية مزاحم على الزعامة سواء أكان هذا المزاحم من الداخل أو الخارج. أو معرفة نوعية العلاقة داخل المجموعة الحاكمة... الخ

المهم والذي يعنينا هنا، ان «مايلز كوبلند» مؤلف الكتاب، كان الشخص المكلف بتمثيل أو تقمص شخصية الرئيس «جمال عبد الناصر» ومن ثم فهو ليس الغريب المتطفل الذي صوره لنا هيكل، لغرض اكثر من واضح.. وهو كما عرفه الناشر الامريكي أحد الذين ساهموا في تنظيم المخابرات الامريكية» كلها!.. وهو رئيس المخابرات الامريكية في مصر.. اذ المعروف أن المخابرات الامريكية لها وحدات اقليمية تسمى «محطة»، ومصر في تلك الفترة كانت أهم ومركز الشرق الاوسط كله، وقيادة العالم العربي.

واليك كلمة الناشر على غلاف كتاب «لعبة الامم» وقد تكون فيها مبالغة، وانما لا يمكن ان تضم الاكاذيب، لأنها موجهة للقارىء الامريكي أولا..

«مـايلز كوبـلانـد الـذي كان موظفـا في وزارة الخـارجية، والرجل الذي ساعد في تنظيم المخـابـرات الامـريكيـة، دبلوماسي سابق ورجل إعمال، وخبير في شئون الشرق الاوسط. واحيـانـا لاعب في «لعبـة الامم» كتب كتـابـا مثيرا طريفا عن الدبلوماسية الدولية السرية. ولكي يبر ز فكرته عن لعبة الامم اختار مستر كوبلاند واقعة تاريخية هي وصول عبد الناصر الى السلطـة، حيث كان مسـتر كوبـلانـد لاعبـا في هذه الـدرامـا. انـه يشرح كيف تدبر الانقـلابـات والاغتيـالات والـرشـاوي، ويسمى الاشيـاء باسمائها. ويشرح كيف تعمل الاجهزة الامـريكيـة مع وضـد بعضها، ويشرح بالتفصيل الجانب التآمري والمخادع الذي تمارسـه الاجهزة الحكومية غير الرسمية (مثل نشاط السي آي ايه) وان هذا الجانب هو دائما الاكثـر فعـاليـة وأن يكن مجهـولا من الـرأي العام. كما يوضح كيف استطاع قائد مصر (عبد الناصر ج) أن يطور فرعه الخاص بلعبة الأمم.

«لكـل الـذين يريـدون معرفة كيف تدار السياسة الخارجية فعلا يقدم مايلز كوبلند كتابا وثائقيا لاخيالات فيه. اكثر اثارة من قصص الجواسيس الخيالية.

كتـاب «لعبـة الامم» يكشف المناورات والالاعيب التي تميـز سيـاسـة الدول الكبر ى، ويكشف الافعال السرية التي لا علاقة لها بما يقوله السياسيون والرسميون للشعب».

وفي المقدمة يقول المؤلف أن المؤ رخين يعجزون مثلا عن تفسير «لماذا احجم عبد الناصر عن شن الحرب على اسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملا، بينما قاد بلاده الى هزيمة محققة في ١٩٦٧.. » ويرد على تساؤله بأن المؤ رخين لا يعرفون «القصة خلف القصة» أوما وراء الستار، لأن هذه القصة السرية تحجب عنهم».

ويقول انه عندما عرض مسودات الكتاب على احد الدبلوماسيين نصحه بعدم النشر، لأنه لا يجوز ان نُسيء الى صورة حكومتنا في أعين الجمهور». ولكنه لم يوافقه. لعدة اسباب منها «ان من حق المواطنين (الامريكان ج) أن يعرفوا الحقيقة عن حكومتهم. وان رجال هذه الحكـومـة هم مجرد بشـر». وأنـه اذا كان المـواطن الامريكي يشعر بالفخر لأن حكومته ذات مسلكية اخلاقية عالية، الا ان هذا المواطن سيكون نومه أهدأ اذا ما عرف ان خلف الستار يوجد له رجال قادرون على مواجهة خسة السوفيت بخسة مماثلة».

«لقد ركزت على الشرق الاوسط ومصر بالذات، اساسا لأنني كنت هناك كثيرا كضيف لم يدعـوه أحـد (!) ولأنني ساهمت في كثـير من الـدبلومـاسية السرية، التي حكمت السلوك الـلامنطقي في تعـامـل زعـماء الشرق الاوسط مع الغرب، ودبلوماسي الغرب مع حكومات الشرق الأوسط».

وانه أراد أن يوضح «انه اذا كانت سياستنا الخارجية قد تعثرت بعض الوقت، فان السبب لم يكن بسبب قرارات غير حكيمة اتخذها المسئولون، بقدرما كانت بسبب خطأ الفهم وسوء

استخدام اجهزتهم في التعامل مع مشاكل لا يمكن ان تحل بالوسائل العادية، . ان الاخطاء التي ارتكبتها حكومتنا في التعامل مع الرئيس ناصر هي نموذج شديد الوضوح هنا».

«اردت ان اقدم للقراء والمؤرخين في المستقبل صورة لمعالجة حكومتنا لسياستها الخارجية بالوسيلة ـ التي هي دائما ـ الاكثر حسما ولو كانت غير معروفة للجمهور. وقد حذفت كل الاسرار المحظورة بموجب نظم الأمن الحكومية، الا التي اصبحت فعلا في علم قوى أجنبية بسبب تسربها من قبل أو بفعل الجاسوسية، أو بسبب نشرها. على اية حال لم اكتم شيئا من أجل الوفاء للشلة»[١٦].

«لاسباب عديدة فانني اعتبر ان عمليتنا التي تشمل الرئيس ناصر، هي افضل حادثة تاريخية لعرض كيف تعمل استراتيجيتنا المزدوجة القيم الاخلاقية».

«عندما كنا نجلس حول الطاولة في الفترة التي كنت فيها ألعب دور عبد الناصر. كان يبدو لنا جميعا أنه لا يمكن ان تستمر اللعبة بدون عبد الناصر».

«ان دراسة كيف ادرنا اللعبة مع ناصر تقدم لنا دروسا قيمة حول استراتيجيتنا في التعامل مع امثاله».

وهو يعتقد ـ واثبتت الاحداث منذ تاريخ نشر الكتاب صدق توقعه ان «نموذج ناصر من القادة الافروآسيويين سيأتون باستمرار للعب الدور الذي سنحدد معالمه في ما يلي من الصفحات».

«لأنه في هذه البلدان التي تبدو حالتها ميئوسة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، ليس امام القائد المحلي الا احد حلين: اما ان يصرخ يسقط الاستعمار وتهتف له الغوغاء بينما بلدهم يسير الى الدمار، أو أن يقبل المعونة ويرضى بمركز العميل للاستعمار أو لموسكو».

وقال ان النموذج الناصري هو الاقدر على البقاء بين زعماء الدول المفلسة هذه، وان عبد الناصر كان تسعين بالمائة «ناصري» ولذلك كان اطولهم عمرا، بينما نكروماه كان «سبعين بالمائة . . » فقط . .

ودعنا من فلسفته وزهوه كالطاووس لأنه جعل منطقة مثل الوطن العربي، وبلداً ولد فيه التاريخ، وولدت أول حكومة، جعله حقل تجارب يسخر من شعبه على هذا النحو الفاضح والمؤلم الى حد البكاء . . دعنا من هذا، الفكرة ببساطة هي ان الدول المتخلفة لا أمل لها من وجهة نظر المخابرات او الادارة الامريكية، في الخروج من التخلف وتلبية احتياجات شعبها، أو كما قالوا هم لعبد الناصر بصريح العبارة: «انه لا امل لمصر في الخروج من الفقر».

ولذا فان زعماء هذه الدول الذين يريدون الاستمرار في السلطة ليس امامهم الا استجداء الدول الغنية أو ابتزازها، وهذا الكتاب هو دليل التعامل مع هذه النماذج، أو خلق

بعضها فعلا عندما تقتضي الضرورة، وفي الاماكن الاستراتيجية والظرف التاريخي المعين. ولنعفي القارىء من فلسفته.

واليك المزيد من تعريف الرجل بنفسه ولاحظ ان هذا نشر في كتاب صدر في الولايات المتحدة، فلا يمكن ان يكذب فيه ويدعي مناصب ووظائف ومهمات لم يقم بها، وتحن ملزمون بتصديق ما يقوله عن وظائفه، واتصالاته بناصر:

«في فبراير ١٩٤٧ عندما اعلنت بريطانيا استعفاءها[١٧] «كنت من المجموعة الادارية الاستشارية المكلفة بدراسة الفوضى التنظيمية الموجودة وقتها في دوائر الاستخبارات، ولتقديم توصيات لاصلاحها».

«وصلت الى مصر في يوليو ١٩٥٣».

«نكتي عن الانقلابات في سوريا هي التي جعلتني الشخص المفضل في منزل عبد الناصر[١٨]».

«في يوليو ١٩٥٤ قال لي ناصر: لكي تشكل نفوذا معتدلاً (في العالم العربي) فيجب ان تكون صاحب نفوذ».

«وانا وحسن التهامي كنا نتحدث مع عبد الناصر في حديقته».

«زرت نيويورك في اواخر صيف ١٩٥٣ واقترحت اعطاء ناصر مبلغا بصفة شخصية لتطوير حراسته، وتزويده بسيارة كاديلاك مصفحة، وخبير لتنظيم حرسه الخاص، وجهاز انذار على بيته، ومعدات لتفريق المظاهرات».

«في اغسطس ١٩٥٣ وكنت ذاهبا للغداء مع عبد الناصر، طلب مني السفير كافري أن استمزج رأيه في المفاوضات (مع بريطانيا) وقال لي: اعرف لنا أقصى مطالبه، وادنى ما يمكن أن يقبل به، وقل له اننا سنحتفظ بهذا سرا فيما بيننا. وكانت هذه هي أول مرة يطلب مني ان اناقش سياسة أو بالاحرى سياسة دولية مع عبد الناصر».

ويقول انه في هذا الاجتماع اقترح على عبد الناصر الاستعانة بوسيط امريكي . . «وورد أسم «كيرميت رزوفلت» الذي اعتبره عبد الناصر اختيارا ممتازا، فلما تشككت في ان علاقته بالمخابرات قد تشكل عقبة، قال عبد الناصر بالعكس. . ان هذه الصلة ميزة، فهو يستطيع ان يكون رسميا بالقدر الذي نريده. وكان رأيه ان موظفا في المخابرات الامريكية، في الوقت الذي لا يمثل الحكومة الامريكية، وبالتالي فهو غير ملزم بتوضيح موقفه أو دوره الحقيقي للانجليز، الا انه في نفس الوقت يتمتع بثقة الحكومة الامريكية، ومن ثم فهو يعرف ما يقول، ثم ان علاقة روزفلت الوثيقة بالاخوين دلاس[١٩] كانت مهمة ايضا عند ناصر، كذلك كان ناصر يعرف ان كافري سيوافق على هذا الاختيار. وكانت خبرة عبد الناصر السابقة (؟!ج) مع روزفلت قد اقنعته ان روزفلت هو من النوع الذي يجيد تدبير الأمور»[٢٠].

«وقد قام روزفلت فعلا بدور الوساطة في عقد اتفاقية الجلاء..».

هل عرفت الآن من هو الوسيط الامريكي الذي تحدث عنه زكريا محي الدين؟.. انه عراب ٢٣ يوليو كما سنرى.

«وقد اخبرت كافري، على الفور، بعد الغداء (مع عبد الناصرج) بمحادثتي مع عبد الناصر، فابرق بالفكرة الى وشنطن بعد ظهر نفس اليوم ووصل روزفلت في نهاية الاسبوع، بعد ان توقف في لندن للحصول على ملخص من وزارة الخارجية لمعرفة ما هي النقاط المهمة في المفاوضات وما هي غير المهمة».

«وفي اول اجتماع بين ناصر وروزفلت راجعا المرحلة الاولى والثانية (انظر الصفحات من ١٢٠ الى ١٣١ من الكتاب عن الخطة التي وضعت لمسيرة الثورة بين الامريكان وممثلي مجلس الثورة والتي تتضمن تحقيق تسوية بين مصر وبريطانيا وامريكا (!؟ج) ومن هنا اصبح عمله هو تحديد ما الذي يريده فعلا البريطانيون والمصريون بصرف النظر عما يقولون.. ثم صياغة ذلك.

«لعبت دور عبد الناصر في مركز لعبة الامم من صيف ١٩٥٥ الى ربيع ١٩٥٧ وفي نفس الوقت كنت اعمل مستشاراً لمجموعة تسمى «لجنة تخطيط سياسة الشرق الاوسط» في وزارة الخارجية الامريكية. وهي وظيفة اعطتني الفرصة لزيارة القاهرة وعواصم اخرى في الشرق الاوسط، حيث تمكنت من مناقشة حركات ناصر مع ناصر نفسه وغيره من القادة في الشرق الاوسط الذين تأثروا بافعاله. والى جانب ذلك كنت قد عرفت ناصر نفسه منذ عدة سنوات، وفي أفضل الظروف الممكنة، وكنت على علاقة جيدة مع قادة الشرق الاوسط المهمين سواء الذين ضد أو مع ناصر».

في ١٦ يوليو ١٩٥٥ انهيت سنتي خدمتي في مصر، واتجهت مبطئا الى وطني، واستغرقت رحلة العودة شهرا. وعندما وصلت أخيرا في آخر اغسطس وجدت في انتظاري خطابات من كل من بايرود[٢١] وناصر، الى جانب مراسلات من رؤسائي تخبرني بأنني سأعار لوزارة الخارجية لفترة غير محدودة لتشكيل وحدة عمل تسمى «لجنة تخطيط سياسة الشرق الاوسط».

«نقلت انا «وجيم ايكلبرغر» خبر انضمام العراق لحلف بغداد الى عبد الناصر مساء اليوم الذي وقعت فيه الاتفاقية، وكان السفير الامريكي بايرود قد وصل، ولكنه لم يقدم بعد، اوراق اعتماده. وعبد الناصر يريد أن يبحث معه حلف بغداد الذي أعلن (وهو لا يستطيع استقباله بصفة رسمية ج) فاتفق على أن يأتي الى بيتي ناصر وبايرود وعبد الحكيم عامر وحسن التهامي للعشاء، ثم اعقب العشاء اجتماع آخر حضره تهامي وأنا وعبد الناصر وبايرود نوقشت فيه كل جوانب علاقات بلدنا».

لعلنـا ساهمنـا في تخفيف بعض حيرة الحـاج هويـدي في البحث عن سر أهمية الدرويش حسن التهامي . . وزدنا من حيرة الناصريين في تفسير محاولة هيكل التقليل من شأن الرجل الذي يسعى ناصر الى بيته لمقابلة سفير امريكا! . .

«في فبراير كنت اعيش في القاهرة واتردد على دمشق».

«وقع المصريون والانجليز، الاتفاقية في اكتوبر ١٩٥٤ وبعد شهر واحد ارسل البنتاغون كولـونيلين: الـبرت جيرهارد، وويلبر (بيل) ايفلاند، الى القاهرة، لبحث ما هي الاسس التي يمكن بمـوجبهـا لحكـومتنـا اعطـاء المصـريين الاسلحة التي يطلبونها لاغراض الأمن الـداخـلي؛ على أن يعقـد الاجتماع مع ناصر نفسه بحضور كبار مساعديه، وعلى أن يكون سريا، وبدون محاضر. وطلب مني السفير كافري، ان انظم الاجتماع واشترك فيه، وانقل اليه ما يحدث. ولذا فقد كان واضحا، أن دوري هو دور مراقب بدون صفة رسمية. وقد تم الاجتـماع في السـاعـة الثـامنـة من مسـاء يوم ما، في منـزل حسن التهـامي كبـير مساعدي ناصـر[٢٢]، واشـترك فيـه عبـد النـاصـر، ورئيس الاركـان عبـد الحكيم عامر، والكولونيلان الامـريكـان، والتهـامي وأنـا . . وكان الجوديا وغير رسمي. خلعت فيه الجاكتات وعلقت على ظهـر المقـاعـد، وجـرى استخـدام الاسم الاول: آل . . بيـل . . بل حتى «جمال» . وتناولنا وجبة بيتي رائعة، وبعد ذلك بدأنا ما عرف بعد ذلك «بمحاولة صريحة مما اعتدنا عليه».

وروايتـه تتفق تمامـا مع روايـة ايفـلانـد في كتـابه حبال الرمال والذي ستعرضه بعد هذا الكتاب «لعبة الامم».

المحادثات التي يحضرها تهامي، ولا يسمع بها فضلا عن أن يشترك فيها بغدادي وكمال الـدين حسـين . . فضـلا عن هويـدي . . لا تعطيـه الحق في ان يتسـاءل لماذا استوزر عبد الناصر هذا الوزير . . انه حقا لم الشمل ولكن أي شمل؟! . .

وهـذا يفسـر لنـا الـدور «غير المبر ر الحجم» الذي لعبه تهامي في المفاوضات مع اسرائيل التي انتهت بكامب ديفيد . .

ويقول ان المناقشة في هذا الاجتماع كانت صريحة لدرجة ان الامريكان لم يستخدموا ولو مرة واحدة تعبير : «العالم الحر» كما لم يستخدم المصريون كلمة «الاستعمار».

يعني لا احنا «عالم حر» ولا انتم ضد الاستعمار . . فلا داعي للتهريج بالالفاظ!

«في منتصف سبتمبر تسلم كيرميت روزفلت رسالة شخصية من ناصر بأنه سيوقع اتفاقية مع الروس، وانه اذا كان روزفلت يريد أن يجرب اقناعه بالعدول عنها فمرحبابه، وفي اليوم التـالي سافـر كيرميت وانـا الى القاهرة، وقد قابلنا في المطار معاونو عبد الناصر واخذونا رأسا الى شقة عبد الناصر في اعلى مبنى مجلس الثورة».

«قضيت وقتا طويلا في اواخر ١٩٥٦ وبداية ١٩٥٧ اعطي محاضرات لمجموعات من الموظفين الامريكان، اقوم فيها بدور عبد الناصر، واشرح لهم مواقفه، وكثيرا ما كنت استدعى الى مكتب وزير الخارجية دلاس أو نائبه هوبرت هوفر الابن، لكي اساعدهم على التنبؤ بردود فعل عبد الناصر لبعض القرارات التي ستتخذها حكومتنا. وكنت اجعل مواقف عبد الناصر مفهومة بل ومقبولة، حتى ان احد الموظفين قال: انا لا اثق في هذا الشخص، إنه ناصري اكثر من ناصر نفسه». . ومرة التفت الي آلن دلاس وقال: اذا كان هذا البكباشي بتاعك (أو بتاعكم) سيزعجنا اكثر من ذلك فسنشطره الى نصفين».

«عندما سألني «فرانك ويزنر» نائب مدير المخابرات الامريكية، قبل اسبوع من ازمة السويس، اذا ما كنت اتوقع أن يؤمم عبد الناصر القناة ردا على رفض تمويل السد العالي، اجبته انني في تمثيل دوره في لعبة الامم، أممت القناة فعلا منذ عدة شهور. . ولكن ناصر لم يفعل ولذا لا أدري ما الذي سيفعله الآن. . وعندما ناقشت مشكلة السويس مع عبد الناصر بعد ذلك كان واضحا انه توقع ردة فعل أشد من جانب الانجلو- امريكان. . . الخ».

في اوائل عام ١٩٥٦ قضى الرئيس عبد الناصر والسفير فوق العادة ايريك جونسون، وانا، مساء طويلا في حديقة عبد الناصر نناقش ما الذي يمكن لعبد الناصر ان يقوم به، وماذا لا يمكنه، لمساعدة جونسون على وضع خطة حول مياه نهر الاردن».

«مايو ١٩٥٧ استقلت من وزارة الخارجية، واسست مكتب استشارات للعلاقات الحكومية، لشركة نفط وشركة طيران وبنك، في بيروت في يوليو ١٩٥٧»[٢٣].

«في ١٩٥٧ كنت في وشنطن اعمل في لجنة، يفترض انها المسئولة عن كل ما له علاقة بعبد الناصر. واذكر انني حضرت يوما الى المكتب صباح يوم من أيام شهر يناير لاعرف ان مشروع ايزنهاور. . الخ».

«عبر السنين رأيت «ناصر» اكثر من اي غربي آخر، والى الآن بعدما لم يصبح من المستطاع مفاجأته بزيارة بدون دعوة والبقاء لتناول الغداء، مازلت اجري معه مناقشة طويلة مرة كل شهر او شهرين يسترخي فيها تماما، ويكون طبيعيا جدا. وقد قمت بهذه الزيارات مرات عديدة. كمجرد علاقة شخصية أو مرات لحساب بعض الشركات التي اعمل لها، ومرات بعد تلقين عنيف من اطباء المخابرات الامريكية لكي اسجل لهم أية ظاهرة من ظواهر المرض الجسمي أو العقلي على عبد الناصر».

«ناصر اخبرني في ١٩٦٤ انه كف عن محاولة فهم تصرفات الامريكان». ويقول انه اهدى لعبد الناصر مرة، بدلة على الطراز الامريكي فلم يعجبه ذوقها».

والآن ماذا عن الكتاب؟

لقد وضع في بدايته قائمة بالاحداث التاريخية التي يعتقد أنها تحدد خريطة التطورات السياسية في موضوعه وهي كالآتي :

٢١ فبراير ١٩٤٧ سلمت السفارة البريطانية في وشنطن رسالة لوزارة الخارجية حول اليونان وتركيا تعلن انتهاء مرحلة السلام البريطاني (اي مرحلة حفظ السلام في المنطقة بقوة بريطانيا ج)

١٢ مارس ١٩٤٧ اعلان مبدأ ترومان.

١٤ مايو ١٩٤٨ اعلان دولة اسرائيل.

٣٠ مارس ١٩٤٩ انقلاب حسني الزعيم.

٢٦ يناير ١٩٥٢ حريق القاهرة وتوجه كيرميت روزفلت الى القاهرة لتنظيم «ثورة سلمية» تحت قيادة فاروق.

مارس ١٩٥٢ كيرميت روزفلت يتخلى عن فكرة «الثورة السلمية» ويجتمع بالضباط الاحرار المصريين (وهو التاريخ الذي اتفق خالد محي الدين وحروش على طلب عبد الناصر فيه وقف الهجوم على الامريكان في منشوراتهم. ج).

٢٢ يوليو ١٩٥٢ انقلاب ناصر في مصر.

وفي شرح هذه النقاط وتسلسلها، تقول الوثائق «انه في عام ١٩٤٧ ابلغت بريطانيا الحكومة الامريكية انها لا تستطيع الاستمرار في تحمل مبلغ الخمسين مليون دولار اللازمة لدعم اليونان وتركيا ضد الشيوعية، فاما ان تتولى امريكا المهمة، أو تترك للفراغ»..

وكان هذا التطور طبيعيا ومنتظرا بلهفة من الولايات المتحدة، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية اكبر قوة في العالم غير الشيوعي، وكانت ترى نفسها الوريث الشرعي والطبيعي والكفء للامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، اللتين بعجزهما تسيطران على مساحات شاسعة وثروات هائلة، بدون مبرر، في قانون الغابة الاستعمارية، وبدون قدرة على ضبط هذه المناطق واخضاعها كما كان الحال قبل الحرب العالمية الاولى، أو حتى فيما بين الحربين، وكان نفط الشرق الاوسط، واسرائيل يمثلان أهمية حيوية، وجائزة مطلوبة من قبل الادارة الامريكية، واصحاب المصالح الحقيقية، كما كان موقع الشرق الاوسط يمثل أهمية بالغة لاستراتيجية السيطرة على العالم، أو احتواء الشيوعية العالمية، والدفاع عن غرب اوروبا وافريقيا.. وربما خطر ب لانجليز رشوة الامريكان بتركيا واليونان، مقابل ترك بريطانيا تتمتع بالجزء الاقل سخونة واكثر ليونة واغزر نفطا في شرق وجنوب البحر الابيض.. ولكن امريكا ـ كما رأينا ـ كانت عينها على ذات هذه المناطق التي تريد بريطانيا، الاحتفاظ بها، ولا أحد يدافع عن تركيا واليونان من اجل الاتراك واليونانيين فهما من أفقر

الشعوب، وزيت الزيتون لا يغني عن زيت النفط، وانما اهمية اليونان وتركيا في انهما الخط الامامي في الدفاع عن «الكنز» أو الشرق الاوسط العربي وإيران. . كما ان الدفاع عنهما يصبح مستحيلا بدون عمق في الوطن العربي وايران. .

وهكذا قررت امريكا أن تأخذ الجمل بما حمل. . فتكونت المخابرات الامريكية CIA سنة ١٩٤٧، وتشكل مركز «لعبة الامم» سنة ١٩٤٨ يقول مايلز كوبلاند: «كان برنامجنا هو ملء الفراغ الذي تركه رحيل البريطانيين من اليونان وتركيا، الفراغ الذي لا يقتصر على تركيا واليونان بل الشرق الاوسط كله. وتنفيذ ذلك باسلوب يتفق مع وسائلنا وطرقنا. . كنا ندخل في لعبة جديدة، اللاعبون فيها هم حكومات منطقة الفراغ، وليس الاتحاد السوفيتي. . وكما قال موظف كبير بوزارة الخارجية، لم تكن لدينا اهداف بل مشاكل، مشاكل من عزم الصهيونية على خلق دولة يهودية في فلسطين، وتصميم العرب على منعهم، مشاكل خلافاتنا مع حلفائنا. وفي داخل البنتاغون نفسه (وزارة الدفاع الامريكية ج) حول الدور الذي سيلعبه الشرق الاوسط في مشاريع الدفاع. . ومن القضايا التي اثيرت هي الى اي مدى ندعم رسميا شركات النفط الامريكية التي زاد نشاطها في المنطقة، واخيرا تحددت اهدافنا في الآتي:

١ـ منع الصراعات الاقليمية من جرنا الى مواجهة مع السوفيت، اي منع تحول الحرب الباردة الى ساخنة.

٢ـ تمكين حكومات المنطقة من المساهمة في العالم الحر. . .

٣ـ خلق ظروف محلية مناسبة للاستثمارات الامريكية. . »

«وكان الصراع الاقليمي الوحيد الذي يلوح في الافق، هو الصراع العربي ـ الاسرائيلي. كما كنا نعتقد ان مصالحنا التجارية تلقى الترحيب من اهل المنطقة فالنفط سيجعلهم اغنياء. .

«وكان الموقف في نظرنا، انه لو وجدت قيادات غير فاسدة وذكية بما يكفي لادراكها ما العمل الذي يحقق مصلحة بلادهم، ولديهم عزم لانجازه، فاننا سنحقق اهدافنا مهما تكن. . . ولكن هذه البلاد باستثناء بلد أو اثنين كانت تفتقد الى مثل هؤلاء القادة، ولذا فحتى يحين الوقت لارساء اهداف راسخة بعيدة المدى، فقد كان علينا تركيز اهتمامنا لايجاد الوسائل التي تضمن تولي «النوع المطلوب من القادة» كما كنا نسميهم في هذا الوقت. وتؤكد الوثائق الحكومية (الامريكية) السرية في مطلع ١٩٤٧ على اجهزتنا الدبلوماسية والمخابراتية، العمل على اجراء تغييرات في قيادات عدد معين من بلدان الشرق الاوسط، وهو الامر الذي يتجاهله المؤرخون اليوم عندما يقيمون اعمالنا في العشرين عاما الماضية. »

كان بودي ان اعلق على هذه الفقرة، بانها تغني عن التعليق! ولكن لا حيلة لنا فنحن

نكتب للمغفلين . . !

١ـ امريكا قررت ملء الفراغ في تركيا واليونان والشرق الاوسط كله . . «بوسائل تتفق مع وسائلنا واساليبنا» . .

٢ـ اللاعبون أو المحاورون أو الطرف الآخر، ليس الاتحاد السوفيتي، غير الموجود وقتها في المنطقة، بل حكومات المنطقة، وهذا يعني بوضوح بريطانيا وفرنسا . . فهما الحكومة، وما تحتهما مجرد أدوات تتفاوت نسبة تبعيتها وانصياعها وكفاءتها، وهي بالتأكيد موجودة على مائدة اللعب، ولكن من يريد أن يلعب في مصر أو العراق، يخطىء خطأ فادحا اذا لم يعرف انه يلعب اساسا مع بريطانيا. ونفس الشيء عن فرنسا بالنسبة لمراكش والجزائر وتونس . . . الخ . .

وهذه النقطة مهمة جدا، ولو انها طمست في تاريخ المنطقة عن وعي لأنها مفتاح فهم «ثورية» بعض الثوريين، بل حتى ماركسية بعضهم، فالانجليز مثلا لم يترددوا في اطلاق الشيوعيين في العراق، وتسليمهم الحكم في عدن لمنع وقوع البلدين في يد الامريكان . . وهذا سيساعدنا على فهم بعض التصرفات التي تبدو غريبة في ظل المفهوم الساذج الذي يتصور ان الصراع الاول في المنطقة، كان في تلك الفترة، بين الغرب والاتحاد السوفيتي أو بين امريكا والاتحاد السوفيتي . .

وأهمية هذا الاعتراف أيضا، هو تحديد طبيعة الوسائل، فاذا كانت الولايات المتحدة تسعى الى احتلال بلد أو منطقة في دائرة نفوذ «حليف» مثل بريطانيا أو فرنسا، فان الموقف يختلف عنه في حالة ما اذا كان البلد في دائرة نفوذ الروس، لأن اسلوب الاستيلاء يختلف بالطبع، ففي الحالة الاولى يستحيل الضرب المباشر، يستحيل غزو البلد أو مقاتلة بريطانيا، أو حتى الهجوم الرسمي عليها الا في ظروف نادرة، عندما يخرج احد الاطراف عن قواعد اللعبة . . كما حدث في حرب القناة عام ١٩٥٦ اذ جاءت بريطانيا بالاسطول لقلب حكومة عبد الناصر واعادة غزو المنطقة، وهنا اختل ميزان القوى في اللعبة، وكان لابد من تدخل امريكا . . اما فيما دون ذلك فان «وسائلنا وطرقنا» هي قلب الحكومات العميلة لبريطانيا العظمى، واقامة حكومات «صديقة» للولايات المتحدة، ومن ثم تصدر قرارات «شرعية» بتصفية مصالح بريطانيا وتعزيز مصالح امريكا، ولا تملك بريطانيا ان ترد الا بانقلاب مضاد كما حدث في سوريا، أو بمحاولة «لخبطة» اللعبة باحداث انقسام داخلي، أو الرضوخ وطلب اعادة تقسيم المنطقة مع الاعتراف بحق امريكا في نصيب اكبر مما خرجت به بعد الحرب العالمية، كما حدث في ايران.

٣ـ نقفز على حكاية ليس لنا اهداف لأن ما ذكره كمشاكل هو اهداف . . مثل افشال تصميم العرب على منع قيام اسرائيل. على اية حال، لقد اعترف بأنهم وضعوا أهدافهم

في ثلاثة مطالب تغطي كل شيء: لمنع تحول الشرق الاوسط الى منطقة مجابهة ساخنة مع الاتحاد السوفيتي، وفي اطار هذا الهدف المحدد بدقة كأول الاهداف، يمكن أيضا تفسير موقف امريكا من احداث اكتوبر ١٩٥٦ . . والهدف الثاني يغطي مشاريع الدفاع المشترك وغيرها . . اما الهدف الثالث فصارخ الوضوح: خلق الظروف الملائمة للاستثمارات الامريكية . .

٤ ـ الصراع الاقليمي المقبل هو الصراع العربي ـ الاسرائيلي . . الاستثمارات الامريكية كل ما تحتاجه هو قيادة ذكية، تفهم مصلحتها في الارتباط بالاستثمارات الامريكية، غير فاسدة برشوات الانجليز والارتباطات بهم، ومن ثم سترى المصلحة العامة التي ستغمر الجميع . .

وبالطبع هذا كلام استعماري مخابراتي يعمل لحساب مصاصي دماء الشعوب وفي اكثر الاجهزة دموية واجراما . . فلا يجوز أن نتوقف عند «اصلاحيلته» وشعار «التطهير» الذي سيطرح في بلادنا وسيسجن وينكل باسمه بكل الوطنيين . . ولا أدل على كذبه، أن البلدين اللذين نالا «بركة» التغيير كانا اكثر بلدين في العالم العربي ديموقراطية وتقدما، وأقلهما فسادا . . مصر وسوريا . . . ومن اجل هذا كان التركيز عليهما . . !

٤ـ حتى يتوفر الوقت للاستعمار الامريكي لخلق قواعد راسخة وطبقات متعاونة، ومصالح استراتيجية متشابكة كتلك التي خلقها الانجليز والفرنسيون في اكثر من قرن، فلم يكن امامهم الا ان يدفعوا بالأسلوب التآمري «قيادات من النوع المطلوب» للسلطة ويحدثون بهم التغيير المطلوب، سواء تصفية الحركة الوطنية، وتصفية القواعد والمصالح الانجلو- فرنسية، أو ارساء المصالح الامريكية، وخلق قاعدة واسعة تتقبل هذه المصالح . . وانظر كيف استقبل نيكسون في مصر بعد ٢٢ سنة من ارتقاء «النوع المطلوب» . . بينما لم يكن مسئول امريكي يجرؤ على زيارة مصر ايام القيادات «الفاسدة» وضرب رئيس الولايات المتحدة «تيودور روزفلت» بالطماطم عندما زار مصر قبيل الحرب العالمية الأولى . .

ويخرج المؤلف لسانه للمتطهرين الامريكيين في الستينات الذين ابدوا ارتياعهم من تدخل الاجهزة الامريكية في الشئون الداخلية للبلدان الاخرى، لما عرف عن الانقلابات التي دبرتها امريكا، ومنها انقلاب سوريا وايران ومصر . . يخرج لسانه، ويقول لهم «طالعوا الوثائق الرسمية»، وستجدون ان الحكومة طالبتنا (اجهزتنا الدبلوماسية والمخابراتية) بالعمل على تغيير قيادات عدد معين من بلدان الشرق الاوسط . . فلماذا يتجاهل ذلك المؤرخون عندما يدينون أو يقيمون أعمالنا . . ؟! لقد نفذنا التعليمات . . وكيف كنا سنغير القيادة في بلد لا يخضع لحكمنا الا بالتآمر السري والانقلاب أو الثورة؟! . .

وفي اجتماع مشترك لوزارة الخارجية ورئاسة الاركان الامريكية بتاريخ ٢ مايو ١٩٥١ جرى هذا الحوار الذي ننقله من الوثائق المنشورة لوزارة الخارجية الامريكية .

جنـرال كولينـز ممثـل وزارة الخـارجية : «كل ما قلته اليوم يوحي الى انك تقترح علينا أن نستولى على الشرق الاوسط (أو نتولى الأمر فيه) .Take Over in the M.E .

مستر ماكغي : هذا يتـوقف على ما تريـد تحقيقـه في المنطقـة . اذا كانت لدينـا القـوى اللازمة، فقد يكون من المرغوب فيه ان نتولى الأمر، ولكني فهمت انه ليس لدينا القوى اللازمة .

جنـرال فانـدنـبرغ : ان هؤلاء الناس في الشرق الاوسط يفهمون منطق القوة اكثرمنا، لقـد كنـا دائـما نرفض استخـدام سياسة القوة في علاقاتنا الخارجية، بينما هذه الدول معتادة على القـوة. نحن نحـاول ان ننفـذ اغـراضنـا في الشرق الاوسط عن طريق الرشوة، وهذا سيـؤدي الى افـلاسنـا، واكثـر من هذا تحرمنـا من استخـدام القوة. ربما يجب ان نستخدم العصـا الغليظـة، ونستخـدم قوتنـا، وربما يجب ان نملي على هذه الدول ما يجب أن تفعله على الطـراز العتيق اكثـر مما نحققـه باستخـدام برامج المساعدات. بارسال اسطولنا وتحليق قاذفاتنا سنحصل على تعاون اكبر وتكلفة أقل . . » .

جنـرال برادلي : يجب أن نعـترف ان الـزمن تغير ولم يعـد من الممكن استخـدام القـوة بالطريقة القديمة .

مستر ماثيو : نحن في عصر جديد لا يجعل استخدام القوة بالاسلوب القديم مجدياً[٢٤] .

وهكـذا أمكن الجـام الجنرالات ذوي الادمغة الحديدية، وافهامهم ان الاستيلاء سيتم، وبـاستخـدام القـوة ولكن بالاسلوب الحـديث . . اسلوب «الكاراتيه» وهو فن استخدام قوة الخصم في قهـره . . فلا حاجـة لارسال الجيش الامريكي لضرب الحكومة في شيلي، الجيش الشيـلي بقليـل من التـآمـر والـرشـوة والدعـم، يقوم بالمهمة، بل وهو اجرأ على اراقة الدم، والفتك بالمعارضين، وتحمى سلامة «الاولاد» الامريكان، وتبقى امريكا يدهـا بيضاء من دم الشعب الشيلي، بل لا بأس من اظهار غضبها على الحكم الديكتاتوري في شيلي . . هذا هو الاستعمار الجديد . . .

ثمانـون الف عسكـري بريطـاني في مصـر لم يستطيعـوا اجبار الشعب المصري على قبول الـدفـاع المشترك عن تركيا ولا فصل السودان، ولا كان بوسعهم حل حزب الوفد، ومحاكمة وزيـر الـداخليـة الـذي تآمـر وهو في السلطة على نسف قناة السويس لاخراج الانجليز من مصر . . ولكن ذلك كله تحقق على يد الجيش المصري ووسط هتاف الجماهير وباسم الثورة الخـالـدة؟! فمن خدم امـريكا اكثر . . الجنرالات المهوسون الذين كانوا يطالبون باستخدام الاسطول والطيران؟! ام رجال المخابرات الامريكية الذين وضعوا «النوع المطلوب» في قمة السلطة المصرية؟!

جاء في تقرير لنائب وزير خارجية الولايات المتحدة بعد جولة قام بها في الشرق الاوسط

عام ١٩٥١ · «باستثناء اسرائيل فان جميع الانظمة السياسية في الشرق الاوسط، هي انظمة رجعية أو يمينية بالمقارنة بنظامنا»[٢٥].

فلا تملأوا الدنيا صياحا بكلمات «رجعي» و«يميني» وكأنكم اكتشفتم البارود أو اخترعتموه. . فهي من ملفات الاستعمار الامريكي ، وكل غزوة استعمارية، وصفت القوى الوطنية الحاكمة بالرجعية والتخلف والفساد لتبر رغزوها، والقضاء عليها. . وكل عملاء الاستعمار، كانوا يتحركون تحت شعارات التقدم واليسارية. .

ويقول كوبلاند : «في محاضرة خلال برنامج مشترك لوزارة الخارجية والمخابرات جاء فيها «ان السياسيين في سوريا ولبنان والعراق ومصر، يبدو كأنهم انتخبوا للسلطة. . ولكن أية انتخابات؟ الفائزون جميعا هم من مرشحي القوى الاجنبية وكبار ملاك الأرض الذين يأمرون مزارعيهم وفلاحيهم كيف يصوتون أو الاغنياء الاوغاد الذين يستطيعون شراء الاصوات (حزب تابع للشرق. . الخ الاستعمار والاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم. . يخيل لك انك في المعهد الاشتراكي وليس في دهاليز اكبر قوة امبريالية عرفها التاريخ ج). ولكن شعوب هذه البلاد اذكياء ولهم ميل طبيعي للسياسة. واذا كان هناك جزء من العالم يصرخ طالبا الاجراءات الديموقراطية فهو العالم العربي».

ولكن مايلز كوبلاند ومجموعته، كما سنرى، كان رأيهم انه مع ضرورة التأكيد على رغبتهم في منح الديموقراطية للبلاد العربية الا ان الشعوب العربية غير ناضجة لها. . ولابد من اجراءات جذرية تمهد لها، وسنرى ذلك يطبق حرفيا في برنامج وشعارات وممارسة كل «الثورات» الامريكية النكهة في المنطقة.

«عندما تتعارض «الاخلاق» مع مصالحنا الحيوية، فان الخسارة ستكون بالتأكيد من نصيب الاخلاق. يمعنى اننا لا نتردد في ازاحة القائد الذي نعتقد اننا سنخسر معه، وان هذه الخسارة ستضر مصالحنا الوطنية، لنضع مكانه قائدا، تكون لدينا معه فرصة اكبر للتعاون. وكانت وجهة نظر الامريكيين ـ والى حد ما البريطانيين ـ انه من بين كل نماذج القيادات التي يمكن أن تظهر في افريقيا وآسيا، فان النموذج الناصري هو الطراز الذي يتيح لنا اكبر فرصة لكسب لعبتنا، أو على الاقل، تقليل الخسائر. فاحراز مكسب ضد واحد من زعماء سوريا الدجالين، هو نصر اجوف، لأنه سرعان ما سيقلب ، ويحل محله شخص أسوأ. اما ناصر فهو الذي بوسعه أن يتحمل الخسارة، ويستطيع الى حد ما ان يتلاءم مع نصرنا بحيث لا يصبح من الضرورة هزيمة له»[٢٦].

تماما كما حدث في هزيمة سيناء ١٩٥٦ و١٩٦٧ ، والانفصال ، وحرب اليمن. . وانتكاسة ثورة العراق. .

«انه يستطيع ان يتخذ قرارا غير شعبي تكسب منه نحن الاثنين، بينما جماهيره تراه

بمنظار آخر. . مثل عقد صلح مع اسرائيل».
أو فتح خليج العقبة، أو تجميد الحدود عشر سنوات، أو قبول الدفاع المشترك أو فصل السودان.
وهكذا تحددت خريطة العمل السياسي الامريكي المطلوب في الشرق الاوسط: قلب الحكومات القائمة، وفرض حكومات جديدة تتفق والمواصفات المطلوبة. . وهي: زعيم يحكم حكما مطلقا وله من الشعبية ما يمكنه من فرض القرارات والاجراءات أو بمعنى اصح قبول طلبات الامريكان التي يرفضها شعبه، والتي يعجز أي سياسي آخر في ظروف عادية عن طرحها على الشعب.
وهذا الزعيم على ضوء المعلومات والحقائق والتحاليل الواردة في كتاب لعبة الأمم صفاته هي:
١ـ «كنا بحاجة الى زعيم عربي، يتمتع بسلطة في يديه أكبر مما اتيح لأي حاكم عربي قبله. . «سلطة اتخاذ قرار غير شعبي»، كما اعتدنا ان نكرر، والقائد الوحيد الذي يمكن ان يستحوذ على هذه السلطة، هو قائد متعطش للسلطة، متطلع للسلطة من أجل السلطة. لقد ذهب بعض موظفي الادارة (المخابرات الامريكية ج) الى أن نقطة الخطأ في حسني الزعيم انه كان مجنون سُلطة، ولكن الدراسة العميقة أثبتت أنه على عكس ذلك لم يكن راغبا في السلطة كما يجب، أو كان راغبا فيها لاسباب خاطئة. فقد كان يكفيه ان نهب له واقفين اذا دخل وناديه ياصاحب السعادة، لكي يقبل دور الدمية الامريكية! «نريد شخصا تعطشه للسلطة، أقل تفاهة، وكنا على قناعة اننا ما أن تساعد هذا الشخص على تولي المنصب، فيجب ان نتخلى عن اي حق اخلاقي في الجدل حول عقدة السلطة عنده، ولو اننا بالطبع يمكن ان نثير هذا الموضوع يوما ما لاسباب تكتيكية.
٢ـ نحتاج لشخص ليس مثل حسني الزعيم، بل على استعداد لاقتسام انتصاراته مع اتباعه، ولذلك كان علينا الى جانب دراسة الزعيم المقترح، ان ندرس ايضا معاونيه، النخبة التي يرتكز عليها، بل والصف الثاني تحت النخبة والقاعدة في الصف الثالث، على اساس أن يبقوا جميعا حزمة واحدة مرتبطة بالمصالح المشتركة والاهداف»[٢٧].
ويبدأوا يستعرضون الشرق الاوسط لاختيار المكان الذي يبدأون فيه لعبتهم، أي الانقلاب العسكري. .
«قررنا ان نمشي قبل ان نجري وان يكون تدخلنا في الشئون الداخلية لدولة مستقلة هو تدخل متواضع، ويتوفر اكبر مبر ر ويدون مساعدة، أوحتى معرفة البر يطانيين. . ولكن اين نحاول ذلك؟.
مع الاتراك واليونانيين؟. لم يكن لنا معهم أي خلاف، كانوا يريدون ما نريد ولديهم

قيادات مناسبة، الى حد ان لعبتنا معهم كانت لعبة تعاون.
مع الايرانيين؟ كنا نؤيد قيادتهم ايضا. . كانت لعبتنا معهم ٩٠٪ منها تعاون، في البداية على الاقل».
لاحظ انه في تركيا واليونان كانت بريطانيا قد انسحبت من هناك وسلمتها بيضة مقشرة، فلم تكن هناك معركة نفوذ، بالاضافة الى انه لم تقم في البلدان حركة وطنية لعدم وجود استعمار، وانما كان الخطر الماثل هو الخطر الشيوعي، أو السوفيتي . . . وبالتالي كانت الطبقات الحاكمة في البلدين متجاوبة للغاية مع الدور الامريكي.
وايران ١٩٤٩ كانت مشكلتها مع الروس الذين كانوا يثيرون الشعب على الحدود وفي كردستان. . . ولم تكن الحركة الوطنية قد تبلورت بعد وحول مطلب محدد ضد شركة النفط البريطانية. .
يكمل مايلز كوبلاند:
«انها الدول العربية التي كنا معها على خلاف كامل، والسبب ـ في اعتقادنا هو سوء قياداتهم، واعتقدنا انه تحت قيادة اكثر استنارة، واكثر فعالية، سيصبحون حلفاء لنا فالعرب لديهم كل المبررات للخوف من السوفيت، وليس منا، وكان الواجب عليهم ان يرحبوا بجهودنا في حمايتهم، وشركاتنا النفطية ستجعلهم اغنياء. وسيكونون المستفيد الاول من تسوية سلمية للقضية الفلسطينية. ومن ثم فان رفض قيادتهم النظر للأمور بهذه النظرة، كان مبررا كافيا لدى مخططينا لكي نطيح بهم، أو بالأحرى تمكين شعوبهم من الاطاحة بهم. فاذا كانت القيادات الوطنية في اي جزء من العالم، تشكل مبررا لتدخلنا في شئونها، فاننا رأينا أنها هي هذه القيادات العربية».
قلنا ان الكتاب موجه للامريكيين، ومؤلفه، رغم كل البراعة في التآمر، يمثل اكثر اجزاء الامبريالية الامريكية تخلفا ورجعية ووحشية وعنصرية. . ولذا لا تعنينا مبرراته، ونظرته الذئبية للمصالح التي ستعود على الدجاجة من وحدة المصير مع الثعلب. . ! المهم هو الواقع الذي يسجله، وهو وجود خلاف بين القيادات في العالم العربي من ناحية (٤٩ ـ ١٩٥٢) والولايات المتحدة والغرب عموما من الناحية الأخرى. والاسباب التي يطرحها صحيحة تماما:
١ ـ رفض هذه القيادات أن تتعامى عن العدوان الجاثم على ارضها وسيادتها ومصيرها منذ عشرات السنين، وهو عدوان الاستعمار الغربي، والعدوان الوليد المتمثل في اسرائيل، للجري وراء المشاريع الامريكية الموجهة ضد الخطر السوفيتي المزعوم، ولذلك كانت هذه القيادات تنادي بالحياد، ورفضت كل مشاريع الدفاع المشترك الموجهة ضد السوفيت، وارتفعت الاصوات تنادي بمعاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي. .

٢ ـ هذه القيـادات لم تكن مستعدة لتقبل نتيجة حرب ١٩٤٨ التي انتهت باغتيال وطن عربي، وتشريد شعب عربي وهزيمة مذلة لسبع دول عربية، أو ان شئنا لم تكن تستطيع أن تقنع شعوبها بقبول هذا الواقع الذي ساهم الغرب وبالذات الولايات المتحدة في تقريره. والسياسة الامريكية قد ارتبطت بوجود اسرائيل وحماية هذا الوجود ومن ثم فلا حل الاضرب العرب، ضرب قياداتهم الغبية التي لاترى مزايا الحل السلمي.

٣ ـ العرب لديهم نظرة خاصة للنفط لاترتاح اليها الشركات الامريكية، السوريون يعارضون مد خط التابلاين في أرضهم، والمصريون والعراقيون والسعوديون، يتحدثون عن استغلال الشركات ويطالبون بوظائف اكثر للعرب، ويطلبون نصيبا اكبر في العائدات، وشروطاً افضل وطنيا لعقود الامتياز فهناك تناقض اساسي وجذري لايجبر بين مصالح الشعوب العربية، ومصالح ومشروعات الامريكيين في العالم العربي. والعرب لديهم نوعان من القيادات:

● قيادات وطنية ثورية، واعية بذلك، رافضة له، راغبة في التغيير الحقيقي بازالة الاستعمار واسرائيل وامتلاك الثروة العربية.. وهذه القيادات من الطبيعي ان تستهدف السياسة الامريكية قمعها واستئصالها. ومنع اية فرصة لاستمرارها في العمل السياسي، فضلا عن وصولها للسلطة.

●● والنوع الثاني، هو القيادة التقليدية الحاكمة فعلا، وهي قيادات محبة للامريكان، مخلصة لهم، تمنحهم ثقتها الكاملة، معادية للسوفيت، شاكرة جهود الشركات الامريكية.. وهي حتى وان كانت تكره اليهود، وتخاف من قيام وطن قومي لليهود، ورغم تدربها على قبول الظلم الامبريالي، فهي تستفظع ما نزل بشعب فلسطين وتتحسب لما يمكن ان يحدث في بلادها، الا انها مستعدة للسكوت، كما سكتت وتسكت على استعمار وطنها هي.. ولكنها قيادات عاجزة عن فرض السكوت على شعبها. عاجزة اكثر عن القبول الرسمي لهذا الوضع، بل احيانا تضطر للمزايدة على منافسيها، لترضية شعوبها، واخفاء المشاكل الداخلية.. ومن ثم فالاوضاع في بلادها خطرة، تهدد بثورة حقيقية، تتسلم فيها القيادة، قيادات النوع الاول، كما حدث في الصين وفيتنام.. الخ أو ينهار الوضع وتظهر حالة فراغ غير محسوب العواقب والاحتمالات، أو على الاقل فإن هذه الاوضاع غير المنضبطة تشل القوى الراغبة في التعاون مع الامريكيين، وتعطل المشاريع الامريكية.

فهذه القوى، وان كانت تحكم تحت المظلة الامريكية، أو الغربية عموما الا انها بعجزها، تخلق مناخا يهدد مصالح الولايات المتحدة، وتشكل عبئا على الولايات المتحدة بعجزها وتملقها للجماهير.

وقد قال مايلز كوبلاند أنه عندما تتعارض المصالح والاخلاق، يلقى بالاخلاق في أول بالوعه، وانهم لا يترددون في الاطاحة بالقائد الذي لا يحقق لهم النصر عليه . . وهكذا أطاحوا بشكري القوتلي والملك فاروق رغم صداقتهما للامريكيين، بل استغلوا هذه الصداقة وهذه الثقة البلهاء من جانب الرئيس السوري والملك المصري في احكام خطة الاطاحة بهما . .

وكان الحل، هو الذي طبق في امريكا اللاتينية عشرات المرات: (كافري وحده بشهادة الناصري المجهول اشترك ودبر ثلاثين انقلابا!!) انقلاب عسكري يطيح بهذه القيادات العاجزة، ويأتي بقيادة لاتتعفف عن التعامل مع الامريكان ، ولاتتردد في ضرب وسحق القوى الوطنية المعارضة. وهذا الاسلوب كان يتم في بعض البلدان في شكل حكومة عسكرية يمينية مفضوحة لايهمها حتى ستر عمالتها، وآخر نماذجها هو حكومة «بختياري» في ايران ثم حكومة العسكر في شيلي. وهذا اللون مهما كانت استبداديته وبطشه، قصير العمر، وايضا محدود النفوذ، ففي خارج دائرة بطشه البوليسية يكون مفضوحا منبوذا.

الصيغة الاكثر قدرة على الاستمرار والتي اتقن الامريكيون صناعتها بعد تجربة سوريا، هي : الصيغة الثورية، الانقلاب المدعوم، الذي يركب موجة ثورية موجودة فعلا لتصفية الثورة الحقيقية، يتبنى شعارات الجماهير ليستأصل المنادين المخلصين بها . . ويسب امريكا كلما سنحت مناسبة، بينما يصفي كل الاتجاهات والتشكيلات والمؤسسات التي تشكل خطرا حقيقيا على المصالح الامريكية والاستراتيجية الامريكية.

وكما ان هذا الطراز اكثر نفعا وأطول عمراً، فهو أيضا اكثر تعقيدا وافدح ثمنا، وغالبا ما ينقلب في النهاية على مبدعيه، كما حدث في قصة فرانكشتين، أو قصص الف ليلة . . لأنه كما سنرى في تحديد مايلزكوبلند، لابد ان يحكم مستندا الى قوة قمع لها شعبية وبالتالي فهو يحتاج الى تقديم وجبة يومية للجماهير، ليست مادية فحسب، وهو ما تتكفل به المعونات الاقتصادية، (منذ ازمة لبنان عام ١٩٥٨ الى ١٩٦٦ قدمت امريكا لمصر نصف مليار دولار (دولارات الستينات) وهذه المساعدات تبرر للجماهير على انها الجزية تدفعها امريكا عن يد وهي صاغرة، خوفا من غضب الزعيم) وانما يحتاج ايضا الى وجبة روحية أو معنوية، الى استمرار تغذية الالتهاب الثوري الديماغوغي للجماهير، استمرار قناعة الجماهير بأنه المكافح الثوري ـ الوحيد ـ ضد الاعداء، حتى يقطع الطريق على ظهور قائد حقيقي، أو متعاون آخر منافس، وتنحصر الوكالة فيه . . . ولأن من شروط قيامه واستمراره، تجنب مقاتلة العدو الحقيقي، فلا بد ان تركب له أو يصنع هو طواحين الهواء التي ينتصر عليها باستمرار وسط تهليل الجماهير. ويتساءل السذج المخلصون، لماذا يبعثر الجهد في المعارك الجانبية؟ لماذا لا تركز الجهود على العدو الواضح المعروف؟ . . لماذا هذا الخلاف وعدم الاتفاق؟!

ونظـرة الى تاريـخ النظم الثـوريـة في العـالم العـربي تجدها جميعا قد اتفقت على حقيقة واحدة، هي الاصرار على ان الطريق الى فلسطين يمر عبر الرجاء الصالح أو طريق اللبانة في السموات، أو الثـورة الاجتماعيـة أو الاشتراكية، أو هزيمة الامبريالية العالمية وانتصار الثـورة التحـرريـة في كوستاريكا، أو قصور الرجعية.. الخ المهم ان الطريق الى القدس لايمكن ان يكـون عنـد ثوار مايلزكوبلاند، عبر حدودنا اسرائيل.. اي الصدام المباشر مع اسرائيل.. هم باستمرار يحضرون للمعركة ولا يسمحون لاسرائيل بجرهم اليها.. الخ..

فالشعـار لايتغـير، وهـو ازالـة اسـرائيـل، ولكن الدليل الماكر المتآمر يطوف بالجماهير في مجاهل الصحراء حتى يموتون جوعا وعطشا ومللا ويأسا وجنونا فيندفعون لأول «كامب»..

المهم ان الـزعيم بحـاجـة الى البقـاء على اكتـاف الجماهير، ومن ثم لابد أن يستمر في الصـراخ ضد العـدو، وهـذا يدخـل علاقته مع العدو ـ الصديق في دوامة، سرعان ما تفقد الاطراف اللاعبة السيطرة عليها... وعندها يتحتم التخلص منه..

والصورة ـ كما لخصها مايلز كوبلاند ـ أوضح قال: «كان المهرجان ضروريًا لدفع الدول الكبرى لتقديم المساعدات، ولكن المساعدات مطلوبة اكثر لاستمرار المهرجان.. واخيرا لم يكن استمرار المهرجان ممكنا».. وفي «اواخر ١٩٦٦ قال صحفي امريكي كبير لدبلوماسي مصري.. نحن لم نعد نعتبر ناصراً ولا حتى ظاهرة مزعجة على الاطلاق».

فهـو على المسـرح ليحصـل على المسـاعـدات، وهـو ينفق المساعدات لكي يبقى على المسرح حتى يصل الى نقطة ترى الدولة الكبرى المعنية أن نفقاته اكبر من عائده.. فتعطيه «علقة» كما قال الرئيس جونسون للسفراء العرب وهو يخاطب «كلبه» [٢٨] بعد هزيمة ١٩٦٧..

«. . . مجد العرب أوله دمشق!»

نعود لقصة مايلز كوبلاند عن البحث عن بلد ينفذون فيها انقلابهم قال: «كانت العراق هي الاحتمال الاول. لكونها دولة بوليسية، تحكمها حكومة مكروهة من الشعب، وحيث من الممكن أن نرضي ضمائرنا بأننا لانفعل اكثر من فتح الطريق امام حكومة «شعبية» (الاقواس من المؤلف الامريكي وواضح السخرية من اخلاقيات المنافقين الامريكيين الذين يريدون استغلال الشعوب بأساليب شريفة أو نظيفة! ج) ولكن العراق كان البلد الذي يستحيل فيه على فريق سياسي مدرب، فضلا عن جهاز ناشىء مثلنا، أن يهمس بدون علم البريطانيين.

«أما السعودية فلم تكن ناضجة بعد للديموقراطية (لقد حاولنا ان نجد صيغة افضل للتعبير عن ذلك فلم نجد»[٢٩] . . لبنان ـ الاردن ـ مصر ـ استبعدت كلها لأسباب اخرى وهكذا لم يبق امامنا الا سوريا»

ثم قصة طويلة مملة عن كيف حاولوا اقامة حكم شعبي ديموقراطي هناك عن طريق التدخل في الانتخابات اعتمادا على كافة الوسائل المتاحة من الارساليات الى رشوة سائقي التاكسي . ومن شاء الرجوع الى ذلك فهي في صفحة ٤٥ وما بعدها وهي لا تعنينا لأنها خارج موضوعنا .

ويقول أنهم اقتنعوا بعبث محاولة الطريق الديموقراطي في التغيير، وعكفوا على تدريب انفسهم للعمل الحاسم. . أي الانقلاب العسكري واستغرق ذلك من ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ . .

ويقول انه «يقدم تجربة سوريا لأنها اصبحت نموذجا ـ يذكر دائما ـ للدعوة الى الامتناع عن التدخل في شؤون الدول المستقلة، وايضا نموذجا يُدرس لكيفية التدخل، وما هي الاخطاء التي يجب تجنبها في العمليات الاخرى. وأخيرا لأنها توضح أهمية اختيار الشخص المرشح للعملية.»

«في هذا الوقت كانت الادارة الامريكية تعتقد ان الفراغ الذي يتركه الانسحاب البريطاني، واتهامنا بتأييد الصهيونية يجعلان أقصى امانينا هو تقليل الخسائر».

«كان الوزير المفوض في السفارة هو «جيمس مايكل كيلي» والمسؤول السياسي «دين هينتون» وعمره ٢٤ سنه، ورجل العملية في السفارة هو الماجور ستيفن ميد الذي سيعرف بعد ذلك باسم الكولونيل ميد [٣٠]. . . أما مدير العمليات السرية فهو انا»[٣١]

«أرسلت الى دمشق في سبتمبر ١٩٤٧ بتعليمات لتنظيم اتصالات غير رسمية مع الرئيس القوتلي والشخصيات البارزة في الحكومة السورية، لاقناعهم «بتحرير» النظام. وقد نجحت في الجزء الاول من المهمة، وهو خلق علاقات شخصية مع الرئيس ومعظم المسؤولين، أما النصف الآخر فقد فشلت، اذ ثبت لنا أن القوتلي وجماعته غير مستعدين لتحرير النظام، وانهم سيستمرون على «عماهم» في مواجهة الانفجار السياسي الخطير الذي كان يخيم على الافق. وقال «كيلي» ليس أمامنا الا أحد خيارين كلاهما غير مرغوب فيه، إما أن يقوم سياسيون انتهازيون بانقلاب دموي مدعوم من السوفيت، أويستولى الجيش السوري على الحكم بدعم منا، ويحفظ النظام الى أن نتمكن من تنفيذ ثورة بيضاء. وكان «كيلي» كارها للحل الثاني، ولكنه قال إنه على الاقل سيحقن الدماء. ويقدم للعناصر الواعية في المجتمع فرصة عادلة، ضد العناصر المشاغبة، وكانت العملية هي انقلاب حسني الزعيم في ٣٠ مارس ١٩٤٩. اذ قام «فريق عمل» بقيادة الماجور ميبد بتنمية علاقة صداقة مع حسني الزعيم الذي كان وقتها رئيس اركان الجيش السوري، واقترح عليه فكرة الانقلاب، ونصحوه بطريقة التنفيذ وارشدوه خلال الترتيبات والاعداد للانقلاب.. كانت المساهمة في الحدود التي اثارت شك القيادات السياسية السورية وحدها، والتي استبعدت بعد ذلك (اي الشكوك ج) باعتبارها من الوسوسة السورية التقليدية.. كما جاء في تقارير الصحفيين الغربيين والطلبة الذين استجوبوا الاطراف المعنية، وفحصوا الوثائق. فبالنسبة للعالم الخارجي كان الانقلاب عملية سورية كاملة، ولو أن المعنيين استنتجوا فيما بعد ـ وعن حق ـ ان «الزعيم» هو غلام امريكا..

ان تفاصيل تنفيذ الانقلاب لاتهم موضوعنا ولكن هذه بعض الملاحظات:

«ابلغت وزارة الخارجية الامريكية بالانقلاب القادم عندما أصبح احتمالا جديا. واذا كانت التفاصيل لم تبلغ لها، فلأن وزارة الخارجية هي التي قالت انها تفضل الألمام بالتفاصيل. كذلك تم «تجاهل تدخلات «جماعة الماجور ميبد» الممهدة للانقلاب. وكان رد وزارة الخارجية: اذا كان «الزعيم» يميل لتغيير الحكومة، فإن وزارة الخارجية لاترى سببا لتثبيط همته، طالما تعتقد أنه سيعود للحياة البرلمانية متى أصبح ذلك ممكنا من الناحية العملية».

«ولكن الزعيم لم يكن ينوي ذلك فقد اوضح لنا أن اهدافه هي:

١ ـ وضع السياسيين الفاسدين في السجن ٢ ـ اعادة تنظيم الحكومة على نحو اكثر فعالية ٣ـ اجراء الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية المطلوبة ٤ ـ القيام بعمل بناء حول المشكلة العربية الاسرائيلية.»

وكانت هذه النقطة (اسرائيل) هي الكفيلة باذابة اية معارضة ممكنة من وزارة الخارجية

(الامريكية)»

وما دام الرجل قد اعترف لنا بأنهم يمارسون الخسة والكذب ويذبحون الاخلاق، فلا حاجة لاضاعة وقتنا في عرض مبرراته لاغتيال الديموقراطية، وتأكيداته بأن نيتهم كانت متجهة لاقامتها! ولنحاول استيعاب ما قاله حتى الآن:

١ ـ انقلاب حسني الزعيم، أواول انقلاب عسكري في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية كان من تدبير واعداد وتنفيذ المخابرات الامريكية، أو مجموعة العمل الامريكية في دمشق..

٢ ـ الانقلاب ولو أنه حصل مسبقا على مباركة وزارة الخارجية الامريكية، الا ان الوزارة رغبت في ان تبقى بعيدة عن التفاصيل، ومن ثم فعندما تصيح بعض الدجاجات عندنا فرحة، لأنها وجدت برقية صباح الانقلاب تخطر فيها السفارة وزارة الخارجية بالانقلاب، فتهتف ان هذا دليل جهل الامريكان بالموضوع! فمن حقنا ان نبتسم في رثاء. ذلك ان السلك الدبلوماسي الرسمي يحرص على تجنب التورط في عمل من هذا الشأن، من ناحية حفاظا على «شرف» الجهاز السياسي ولأن عددا من العاملين فيه، من الهواة، اصحاب القيم والمثل والمبادىء، مثل الفتى «دين هنتون». ومنعا لوجع الدماغ يبقى هؤلاء خارج اللعبة، ومن ناحية اخرى، اكثر عملية، هي تجنب الفضيحة والازمة الدبلوماسية في حالة فشل الانقلاب، وكشف الاتصالات... ومن ثم لانستبعد ان يكون السفير الامريكي في بلد معين هو الاقل علما بما يدبر ضد هذه الحكومة من مواطنيه وبعض موظفي سفارته.. وان كنا في حالة مصر نعرف ان السفير كافري كان على علم ولعب دورا أساسيا، الا اننا نستبعد اشتراكه مباشرة في الاجتماعات التحضيرية مع الضباط الاحرار.

٣ ـ وان تكن اهم نقطة في عقد استخدام زعيم الانقلاب، هي وعده باتخاذ موقف «ايجابي» ـ من وجهة النظر الامريكية ـ في الصراع العربي ـ الاسرائيلي... الا اننا سنجد جوهر البرنامج الاول الذي وضعته مجموعة شبه الهواة في اول تجربة انقلابية لها في العالم العربي، سنجده في كل البرامج القادمة في الحركات الاكثر اتقانا وحبكه... محاربة الفساد.. اعتقال السياسيين بتهمة الافساد... الاصلاح الاجتماعي.. تنشيط أو زيادة كفاءة الجهاز الحكومي.. تأجيل الديموقراطية.

هذه هي القصة..

الا ان رجل المخابرات الذي أقسم كاذبا في مقدمة الكتاب أنه لم يحجب سرا بسبب شرف المهنة.. يخفي هنا عدة عناصر اخرى شديدة الاهمية في الموضوع، فلم تكن رغبة امريكا في قلب نظام الحكم السوري، ووضع رجلها في السلطة، لمجرد ضمان تهدئة اكثر الجبهات خطورة مع اسرائيل بحكم قربها وتحكمها في الاماكن الآهلة من اسرائيل، وايضا

بحكم ان سوريا كانت البلد العربي الوحيد في دول المواجهة ـ ولم يكن التعبير قد ظهر بعد ـ التي لاتخضع مباشرة لقوات احتلال غربية تضمن سلوكها عند الضرورة القصوى، الا ان الانقلاب كان مرغوبا فيه لسببين آخرين على الاقل:

١ ـ خط التابلاين. . كانت بريطانيا تتمتع بامتياز خاص على شركات النفط الامريكية العاملة في الشرق الاوسط، وهو تحكمها في طرق النفط الى اوروبا الغربية، السوق الوحيد وقتها لهذا النفط، لأن امريكا لم تكن تستورده، واليابان لم تكن قد أصبحت عملاقا صناعيا بعد، وكانت تعتمد على نفط الشرق الاقصى والنفط الأمريكي. . . كانت بريطانيا تسيطر على قناة السويس، طريق ناقلات النفط القادمة من الكويت والسعودية والخليج. . كما كانت تسيطر على خط النفط الوحيد الذي يصب على البحر الابيض. . أو خط الآي بي سي. . . وكان من الطبيعي أن تفكر شركات النفط الامريكية (ارامكو) في مد خط ينقل النفط السعودي الى البحر الابيض، دون المرور في قناة السويس، وذلك عبر سوريا . . واستماتت الانجليز في منع ذلك ، مستغلين عداء الجماهير للولايات المتحدة لموقفها من اسرائيل والحساسية التاريخية لدى الشعوب العربية ازاء الامتيازات الاجنبية وخاصة المرتبطة بدولة كبرى، وايضا استفادوا من استمتاع السياسيين السوريين بابتزاز السعودية والعراق. . بالاقرار «المبدئي» للاتفاق، ثم الغاء الاقرار، والقبض من هنا وهناك. .

ولتنشيط ذاكرة المخابراتي كوبلاند، المدربة على نسيان «القبائح» ننقل له هذا النص الناطق من تقرير «العلاقات الدولية للولايات المتحدة» عن عام ١٩٤٩ والصادر من وزارة الخارجية الامريكية صفحة ١٠٩ حرفيا:

«ابلغت دمشق في ١٤ فبراير ان الاتفاقية الخاصة بامتياز شركة التابلاين قد اقرتها الوزارة السورية في الاسبوع الماضي. وقيل ان الرئيس شكري القوتلي ابلغ الوزير المفوض (الامريكي) كيلي انه مطمئن لا قرار البرلمان للاتفاقية، وان هذا الاجراء ضروري كخطوة اولى نحو التعاون الاقتصادي والسياسي المطلوب مع الغرب (برقية ٦٩ ، ٨٩٠ د ٢/٦٣٦٣ ـ ١٤٤٩) ولكن اعتراضات شتى ثارت بعد ذلك بين الحكومة السورية والتابلاين وقامت مظاهرات معادية للتابلاين من الطلبة، وعلى ذلك قررت الحكومة السورية تأجيل طلب موافقة البرلمان على الاتفاقية (برقية ١١٤ مارس ٨ الساعة ٢ بعد الظهر من دمشق ـ ٨٩٠ د /٣ ـ ٨٤٩) تم قلب الحكومة السورية في ٣٠ مارس بانقلاب قاده الكولونيل حسني الزعيم وللمعلومات الاضافية انظر هامش صفحة ١٦٣٠ . حكومة حسني الزعيم أقرت اتفاقية التابلاين وصدقت عليها بمرسوم تشريعي رقم ٧٤ في ١٦ مايو (برقية رقم ٢٨٤ / ١٧ مايو الساعة ٨ مساء من دمشق ٨٩٠ د ـ ٦٣٦٣/ ٥ ـ ١٧٤٩). وفي مذكرة داخلية لوزارة الخارجية الامريكية بعنوان التطورات الاقتصادية الجارية، جاء فيها:

ان تصديق سوريا على اتفاقية التابلاين، ازال اخر عقبة كبرى في طريق تشييد الخط المتعاقد عليه من زمن طويل. . . والمشروع الآن ينتظر أن يكمل في عام ١٩٥٠ متأخرا سنة عن الوقت الذي كان محددا له. وقد تأخر اقرار الاتفاقية من جانب السوريين عدة شهور من ناحية لعدم رضاهم عن موقف الولايات المتحدة من فلسطين،

«وعند ما يتم الخط فستكون طاقته ما بين ٣٠٠ ألف ـ ٤٥٠ ألف ب /ى وسيمتد مسافة ١١٠٠ ميل من السعودية الى البحر الابيض في ميناء صيدا بلبنان [٣٢] ويشير التقرير ايضا الى شركة اخرى «شركة خطوط الشرق الاوسط» «ميكو» تقدمت بمشروع خط انابيب ينقل نفط ايران والكويت الى البحر الابيض عند طرسوس ليباع لشركة ستاندرد اويل وشركة نيوجرسي وسوكوني فاكوم. . «وقد تعثرت المفاوضات تماما كما حدث مع التابلاين مع الحكومات السورية، إلى ان جاء الى الحكم الكولونيل حسني، فوقع الاتفاقية في يونيه مع ميكو» . . (الزعيم يوقع على كله ولكن المشروع قتلته العراق. . انظر ص ١١٠).

خط التابلاين معطل، والحكومة السورية تساوم، والبرلمان لايصدق، والمظاهرات المعادية في الشوارع. . والحل بسيط جدا. وضع الحكومة في السجن جزاء وفاقا على معاكستها، وحل البرلمان وتحريم الاشتغال بالسياسة على اعضائه بقانون العزل السياسي على الذين «افسدوا. .» وتمنع المظاهرات ويسجن الطلبة. . ويوقع «الزعيم» الاتفاقية، أو بمعنى اصح يبصم على القرار الذي كتبه له المدربون الامريكان، وبما أنه السلطة التشريعية والتنفيذية، بلا فصل سلطات، بلا وجع دماغ، فهو يصدق على نفسه [٣٣]!!

العنصر الثاني الذي اغفله المخابراتي، هو الخوف من اتحاد سوريا والعراق لأن ذلك لو تم فسيضع سوريا تحت نفوذ بريطانيا المتجذر في العراق. . وكان موقف الولايات المتحدة واضحا من هذا الموضوع، وهو المعارضة التامة، ومن يتتبع تاريخ الانقلابات السورية الاولى يمكن أن يجد امريكية الانقلاب أو بريطانيته، من معارضته أو تأييده للوحدة مع العراق (انظر الصفحات من ١٦٣٠ وما بعدها في التقرير السنوي لوزارة الخارجية الامريكية عن عام ١٩٤٩).

اما عن اسرائيل. . فقد بدأ الامريكان بتنفيذ البند الخاص بها في العقد الذي ابرموه مع «حسني الزعيم» . وجاء في تقرير لمندوب الولايات المتحدة في الامم المتحدة بتاريخ مبكر جدا ١٢ مايو ١٩٤٩ «ان المفاوضات جارية بنجاح مع السوريين وبانش (رالف بانش الوسيط الامريكي ج) مقتنع بامكانية موافقتهم على الخطة وكل المشكلة هي رغبة الزعيم في اجراء ما يحفظ ماء وجهه. . مثل انسحاب اسرائيلي أو تخفيض واضح للقوات. » [٣٤]

وفيما يلي بعض الوثائق التي تلقي الضوء على موقف «الزعيم» من المشكلة الفلسطينية:

من وزير الخارجية الأمريكية الى المفوضية في سوريا

واشنطن ١٣ مايو ١٩٤٩

سري

٢١٢ برقيتكم ٢٥٦ في ٢٨ ابريل [٣٥] و٢٦١ في ٢ مايو. لاحظنا باهتمام التقدم الذي ابلغت عنه حول موقف «الزعيم» من توطين اللاجئين العرب. وهذا أول دليل واضح على رغبة السوريين في قبول عدد كبير من اللاجئين، خاصة وان سوريا هي البلد العربي الوحيد باستثناء الاردن التي يمكنها أن تتمثل مثل هذا العدد في وقت معقول. واذا امكن استثمار هذه الفرصة فسيمكننا كسر ظهر مشكلة اللاجئين. يجب أن تنتهز أول فرصة لبحث الأمر مع «الزعيم» مع التأكيد اللازم على ان رغبته في قبول ربع مليون لاجىء تعتبرها الوزارة مساهمة انسانية، وسلوك رجل دولة لحل تلك المشكلة. وعبر عن الامل في أن يستخدم «الزعيم» نفوذه لدى الدول العربية الاخرى لاتخاذ مواقف بناءه مماثلة في حدود قدراتهم للمساعدة على تصفية المشكلة تصفية نهائية».

«من الوزير المفوض في سوريا (كيلى) الى وزير الخارجية

دمشق ١٩ مايو ١٩٤٩

سري

. . . «مع اقتناعي برغبة «الزعيم» في اعطاء تنازلات سخية، في القضايا الاخرى مثل اللاجئين وتدويل القدس والحدود الا أن الزعيم لا يمكن ان يسلم كل شيء بلا مقابل، وهو الموقف الذي تطلبه اسرائيل فيما يبدو. لأنه لو فعل ذلك فقد يكلفه هذا منصبه ويزيل أفضل أمل حتى الآن في قبول سوريا اجراء تنازلات لتحقيق تسوية للمشكلة الفلسطينية».

«وبخصوص مشكلة اللاجئين يجب أن يكون مفهوما أن تعبير الزعيم عن رغبته في قبول ربع مليون لاجىء كان مشروطا بتسوية عامة للسلام. وكل الذين ناقشوا الأمر مع الزعيم تأثروا باخلاصه وجديته وسعة افقه بالنسبة لاسرائيل. (فرق شاسع من الموقف العنيد الحرون للحكومات السورية السابقة) [٣٦] ولكن حماسه يبرد في وجه الادلة المتزايدة على شراهة اسرائيل. وهكذا اذا كان الزعيم يحاول على الاقل ان يرتقى الى مصاف كمال اتاتورك ويستجيب للنفوذ المعتدل، فإنه لسوء الحظ تتزايد الادلة على ان بن غوريون ليس «فينزيلوس» [٣٧]. على اية حال يجب ان تفهم اسرائيل انها لاتستطيع ان تأخذ الكعكة كلها (حدود التقسيم والمناطق التي استولت عليها بخرق الهدنة، القدس، توطين اللاجئين العرب) ربما ستجد نفهسا قد كسبت فلسطين وخسرت السلام. (لقد تطوع حسني الزعيم بابداء استعداده للاجتماع مع بن غوريون).»

«واذا ما تأكد للعرب ان اسرائيل مستمرة في سياسة رطل اللحم كاملا وزيادة، فان هذا

سيدفعهم ببطء ولكن بتصميم الى صلب عودهم وتجميع جهدهم سياسيا واقتصاديا على الاقل ان لم يكن عسكريا الآن ـ من اجل صراع طويل المدى، واذا ما استفادوا من اخطاء الماضي، فان وضع اسرائيل سيغدو أصعب بكثير، مما لو اغتنم ساسة اسرائيل من بعاد النظر، الفرصة السانحة الآن للتفاوض على تسوية بشروط معقولة. اسرائيل ومؤيدوها في الامم المتحدة سيعانون اكثر من الدول العربية اذا ما استمر الموقف الجامد حاليا».

مندوب الولايات المتحدة في الامم المتحدة (اوستين) الى وزير الخارجية (الامريكية)
نيويورك ٢٣ مايو ١٩٤٩

سري

«قال بانش انه يريد عقد اجتماع بين بن غوريون والزعيم، فهو يعتقد انه لم تعد هناك أهمية تذكر لاجتماعات الممثلين الاسرائيلين والسوريين الحاليين.

«ولكن بانش كرر أن حسني الزعيم يجب أن يحصل على مقابل من اسرائيل بسبب وضعه الداخلي، كما ابلغ بانش شاريت، ان الاسرائيليين يجب الا يتوقعوا انسحابا سوريا الا اذا كانوا مستعدين لعمل بعض التنازلات» «اوستين» (٣٨)

جاء في برقية الوزير المفوض من دمشق أن حسني الزعيم أمر الوفد السوري في مفاوضات الهدنة بابداء المزيد من التساهل حيث أنه جد قلق للوصول الى حالة (Modus Vivendi) تعايش سلمي مع اسرائيل في اقرب وقت ممكن. وقد حذر مستر كيلي (الوزير المفوض) أن حالة الجمود الحالية يمكن ان تستمر ما لم توجد وسائل يمكن بها استعادة ثقة السوريين في قدرة الامم المتحدة على ضبط اسرائيل، وبدون ذلك فإن الحكومة السورية ستكون نافرة ـ وهذا مفهوم ـ من اعطاء تنازلات يكون لها ردود فعل سيئة في الداخل عليها. الا انها ضرورية للوصول لاتفاق مع اسرائيل.» (برقية ٣٢٧ ـ ١٦ يونيه من دمشق ٧٦٧ ن. ٩٠ د / ١٦٤٩/٦).

نشطت الجهود الامريكية، ونمت احلام عقد سلام بين سوريا واسرائيل، وكان للموظفين الصغار في وزارة الخارجية الامريكية عذرهم في هذه الاحلام، فلأول مرة يتوفر لهم «حاكم عربي» هم وضعوه في السلطة ومن ثم مستجيب الى اقصى حد ممكن لاوامرهم بشأن هذا السلام، وكان هؤلاء الموظفون يعرفون أو يظنون انهم يعرفون سيطرة امريكا على الاسرائيليين. ومن ثم حاولوا الاسراع في عقد السلام، وهو ما لا تريده اسرائيل التي حاولت ان تثبط جهودهم بالتعنت فلما أصروا، قامت باحتلال المناطق المنزوعة السلاح في القدس. وسيذكرنا هذا باعتداءات ١٩٥٤ و١٩٥٥ التي تمت في ظروف مشابهة تماما، ولا العرب يتعلمون ولا الامريكان يكفون عن خداع العرب، وخداع شعبهم..

وكتب «كيلي» المسكين:

«وكما هي العادة في غطرستهم الغبية، فان العدوان الاسرائيلي الاخير لم يدمر مفاوضات الهدنة السورية ـ الاسرائيلية فحسب، بل نفخ في كل الابواق العربية. ولما كان هذا رأي «الزعيم» فأنا لا أرى معنى لتسليمه رسالة وزارة الخارجية، ولا في حثه على قبول مقترحات بانش، حتى توجد الوسائل التي تجبر اسرائيل على احترام تعهداتها وسلطات الأمم المتحدة. ان الضغط على سوريا في مواجهة احتلال اسرائيل لدار الحكومة في القدس سيبدو للسوريين كدليل جديد على تهمة تحيزنا لاسرائيل، ويضعف النفوذ الذي مازال لنا.»

وقد تدخلت الحكومة الامريكية وسحبت اسرائيل قواتها من دار الحكومة، وعادت وزارة الخارجية تأمر «كيلي» باجبار حسني الزعيم على قبول مقترحات بانش. وقد كان.

وبقية الوثائق تكشف تهالك «الزعيم» على عقد تسوية مع اسرائيل، وصراخ الدبلوماسيين الامريكيين في دمشق، مطالبين حكومتهم ببذل جهد لاقناع الاسرائيليين بقبول بعض التنازلات الشكلية ليمكن عقد هذ التسوية. ورفض اسرائيل القاطع لأي تنازل، بل لأي تنازل شكلي يمكن فعلا من عقد هذه التسوية، ويستطيع القارىء اذا راجع الوثائق المنشورة في فصول «اسرائيل» و«سوريا» في التقرير المذكور (يقع في ١٨٥٢ صفحة مطبعة) ان يستنتج رغبة اسرائيل في منع التسوية أو الصلح مع سوريا وليس فقط رغبتها في الاحتفاظ بما لديها، وهو أمر قد يبدو غير مفهوم في عام ١٩٤٩ ولكنه مفهوم الآن. فاسرائيل لها اهداف في صميم الارض السورية، وعقد صلح وقيام سلام عام ١٩٤٩ يعطل تحقيق هذه الاهداف.

من الوزير المفوض بدمشق الى وزير الخارجية

دمشق ١٤ يوليو ١٩٤٩ سري

«ان اخلاص الزعيم للسلام لامجال للشك فيه، ولو لمجرد انه يعرف ان مشاكل فلسطين تعترض طريق احلامه. واذا كانت المفوضية هنا (دمشق) تشارك الاعتقاد بأنه لايستطيع ان يتحدى مشاعر الشعب السوري فيما سيعتبر استسلاما بلا مبرر لاطماع اسرائيل، إلا أنه حساس جدا من فكرة أنه يقاد بمبادرة ودية من الولايات المتحدة، ليس فقط لتوطين اللاجئين بل والتنازل في الخلافات الاخرى مع اسرائيل. وفي رأي المفوضية انه من مصلحة السلام في الشرق الوسط الاستفادة من تعاون الزعيم .. الخ»

رفضت اسرائيل بحث أي مشكل أو تسوية، والحت على الاجتماع المباشر بين الاسرائيليين وحسني الزعيم وفي لوزان، وبالطبع لم يكن امام الادارة الامريكية الا الضغط على الجانب اللين .. فألحت في عقد اللقاء، وحل الجيش السوري المشكل بأعدام حسني الزعيم في ١٤ أغسطس ١٩٤٩..

فيكـون قد قضى في السلطـة مائـة وخمسة ايام، انجز فيها للامريكان اتفاقية التابلاين، قبول توطين اللاجئين، الأمل في فرض تسوية سلمية اذا ما توفر حاكم مطيع مثلة، شرط أن يكون في بلد أقوى تأثيرا، وأن يستمر في الحكم فترة اطول. .

نسمع الآن قصة الانقلاب السوري من صانعه مايلز كوبلاند:

سجـل «هينتـون» الضـابط السياسي في السفارة، وأصغرهم سنا، واكثرهم على مايبدو قنـاعـة بالشعـارات الامـريكية المعلنة خلال الحرب العالمية، والتي لم تكن قد جفت بعد في ذاكـرة الشبـاب المثـالي، بل وربما اكثرهم حكمة، اذ سجل اعتراضه على الانقلاب قائلا بنص شهادة كوبلاند: «أريد أن اسجل للتاريخ، قولي بأن هذه هي اغبى واقل الافعال، تقـديـراً للمسـؤولية، يمكن ان تصدر من بعثة دبلوماسية مثلنا، لقد بدأنا اليوم سلسلة من هذا النـوع لن تنتهي ابـدا. وقـد ارسل تقريرا بالطبع الى وزارة الخارجية، يقبع الآن تحت اكوام من التراب وان كانت نبؤته قد تحققت.» (٣٩)

المهم ان وزارة الخارجية بنفاق الثعالب الذي تعودناه من الحضارة البيضاء تمنعت حوالي شهـر عن الاعـتراف بالانقـلاب، «لان خبرتنـا المريرة مع الانقلابات العسكرية في امريكا الـلاتينيـة. . الـخ» واشفـاقـا على الـديمـوقـراطية، وايضا لكي لاينكشف الملعوب اذا ما انـدفعت للاعـتراف. . وبعد ثلاثين سنة مازالت اوراق الخارجية الامريكية المنشورة بيضاء السـاحـة، ترفض الاعتراف بدورهم في الانقلاب. . وما جره على سوريا من دماء لم تجف ولن تجف أبدا ما لم يقطع دابر التفكير السلطوي في الجيش والضباط المغامرين.

قال كوبلاند:

«اعتقـدنـا في المفـوضيـة الامـريكية اننا فتحنا بابا للسلام والتقدم، فقد كانت استجابة الـزعيم «لاقـتراحاتنا الودية» (اقواس المؤلف) قبل الانقلاب ايجابية الى درجة لم يخطر معها ببـالنـا، ان الاشيـاء ستتغـير فيها بعـد، وقـد استمر الحال كذلك الى ان وصل الاعتراف الرسمي من حكومتنا؛ وقد يبدو مثيراً أن اقول ان الماجور ميد، قضى اليوم الثاني للانقلاب في تعـريف الـزعيم: من يجب أن يكـون سفـيره في لنـدن ومن من الضبـاط يجب وضعه في مناصب دبلوماسية، وما هو الغذاء الذي يجب أن يقدم للرئيس القوتلي في السجن لكي لا تتهيج قرحته. ولكن فور الاعتراف انقلب «الزعيم» الى رجل آخر وبدأ ذلك بأن أبلغني أنا وميد بضرورة أن نهب واقفين اذا ما دخل علينا، وان لانخاطبه بلفظة انت «Tu» (الزعيم لايعـرف الا الفـرنسيـة (مـايلز)) بل بضمـير انتم Vous أو نقتصر على: «سعـادتـك».
وبـاستثنـاء هذه الـرسميـات استمـرت العلاقة ودية الى نهاية عهده ولكن يوما بعد يوم كان يتضح اكثر واكثر اننا اخطأنا في نقطة ما، وانه لابد أن نفكر في البديل في حالة سقوط الزعيم الأمر الذي أصبح مؤكدا» (٤٠)

تصرف المبتدئون الامريكان مع «حسني الزعيم» تصرف رجال المافيا مع «البرافان» الذي يضعونه في مواجهة شركاتهم، أومع رئيس جمهورية الموز الذي تعينه الشركة الامريكية من خلال انقلاب عسكري. المدرب الامريكي يعطيه التعلميات ابتداء من ترشيح السفراء واعتقال الضباط الى قائمة طعام سجن المزة. وكما رأينا لم يقتصر الحديث على الكبة النية وحدها، فليس بالخبز وحده يحيا الامريكان، حدثوه عن اسرائيل واستجاب، وعن التابلاين ووقع وصدق. . ونفهم من سياق القصة، انهم كانوا يجلسون وقد مدوا أقدامهم على الطريقة الامريكية ورئيس جمهورية سوريا وزعيم انقلابها وديكتاتورها ومعتقل زعمائها، وخالب لب الغوغاء والمغفلين من الشباب العربي، لأنه ثأر لهم من الخيانة، ورفع كرامة الجيش السوري. . . الخ. . . هذا الزعيم يدخل فلا يتحرك المدرب الامريكي ولا يكلف نفسه الوقوف لرئيس جمهورية أورئيس وزراء سوريا، بل لعله كان يضع حذاءه في وجهه، كما كان المندوب البريطاني يفعل مع فيصل الأول ملك العراق. ولكن كان على الامريكان ان يتعلموا ان الكرسي له ثقله، وان سوريا في ١٩٤٧ غير العراق في ١٩٢٠ ـ ولذلك ثارت كرامة «الزعيم» وطالبهم على الاقل بالوقوف عندما يدخل عليهم ليوقع اتفاقية التابلاين أو ضم لبنان، أو اعتقال السياسيين الفاسدين مطايا الاستعمار! . . وثارت حمية الضباط لكرامة الجيش والدولة مع قليل من المنشطات البريطانية، فقتلوا الزعيم وجاء الحناوي انجليزيا، لينقلب عليه الشيشكلي. . الخ. .

ومن ١٩٤٩ الى ١٩٥٢ سيتعلم الامريكان الكثير، وسيصبحون اكثر ذوقا في معاملة «الرؤساء» ولاشك أن مصر غير سوريا، وجمال عبد الناصر لايمكن قياسه بحسني الزعيم. . ولكن ستمر بنا لحظات ومشاهد في الرواية المصرية، تجعلنا نتساءل. . اين رأينا هذا المشهد من قبل، من يشبه هذا البطل. . ؟ نعم سنرى ملامح تلك العلاقة بين المدرب الامريكي و«الزعيم». . رفع التكليف. . اعطاء النصائح في صيغة المدرس او المربي. . الشخط احيانا. . بما لايتفق والعلاقات الدبلوماسية العادية.

يكفي ان نتذكر ان «زعيما» عربيا ثوريا جاء بهذه الطريقة وعومل بهذه الطريقة. . . ولكنه فشل في أن يستمر في الحكم لأسباب عديدة شديدة التعقيد، أولها سوريا ذاتها، وآخرها أنه لم يكن له تنظيم في الجيش السوري.

بقية قصة الزعيم معروفة: «احاط بمنزله عدد من الضباط يتقدمهم واحد اسمه الحناوي ولكن القائد الحقيقي كان اديب الشيشكلي، وقتلوا حسني الزعيم ودفنوه في المقبرة الفرنسية واخبرني الشيشكلي فيما بعد: «لقد أسدينا لكم معروفا بدفنه كعميل فرنسي».

استمرت الجماهير السورية تهتف لسنوات طويلة: «بدنا نحكي ع المكشوف» وهم

لايـدرون ان زعـماءهم «الثـوريـين» يمارسـون ذلـك منـذ وقت مبكـر جدا ولكن . . مع الامريكان!

الدروس التي استفادتها المخابرات الامريكية من تجربة سوريا هي:

١ ـ المشكلة ليست في تغيـير الحكومـة بل في استمرار هذا التغيير الى نهاية الطريق . أصبح المطلوب سلطة قادرة على الاستمرار

٢ ـ الـوضـع الامثـل هو الارتبـاط بتنظيم انقـلابي موجـود فعلا ، له تشكيلاته وله عناصره المخلصـة ، ولـه قوة دفعـة ، وتصميمـه على الاستيـلاء على السلطة ، لأن الصفقة مع قائد جيش بمفرده انتهت بمقتله وحيدا .

٣ ـ عدم التسـرع في فرض تسـويـة للقضيـة الفلسطينيـة ، فقـد عرفت الاجهزة الامريكية حقيقتين : الاولى : هي ان حكومتها غير راغبة أو غير قادرة على الضغط على اسرائيل . والثـانيـة هي : أن اسـرائيـل لاتـريـد تسـويـة سلميـة . . ومن ثم فلا داعي لحرق القيـادة «الصـالحـة» بالاصـرار على دفعهـا في طريق الاستسلام لاسرائيل أو الصلح مع اسرائيل ، يكفي منع الحرب مع اسرائيل ، وازاحة القضية الفلسطينية من برنامج العمل ، الى برنامج الشعارات . . وهنا يقول مايلز كوبلاند : «ولو أننا لم نحب ذلك كثيرا ، الا انه كان لابد لنا من أن نعـترف بأنـه ما من قائـد بوسعه أن يقود شعبا عربيا الا اذا كان هناك خوف عام يؤثر على هذا الشعب . فالمصريون توالت عليهم قيادات خلال عدة قرون اجنبية وفاسدة . ولذا فكـل القيـادات مريبـة ومشبـوهة . وكان قادة العالم العربي يستخدمون الخوف من اسرائيل لتحقيق مستوى من الوحدة الوطنية ، ورأينا انه ما من سبيل لتجنب استخدام نفس الوسائل في مصر ، على ساس ان الخطر ضئيل في ان تتطور الامور على نحو يخرجها من يدنا ، نظرا للهـزيمـة الفـادحة التي تلقاها الجيش المصري على يد الاسرائيليين في حرب ١٩٤٨ فضلا عن انه لم تكن هناك فرصة كبيرة للنجاح في ابراز قائد لايستخدم القضية العربية ـ الاسرائيلية» .

هذه نقطة على قدر بالغ من الاهمية ، بل هي مفتاح فهم كل ما جرى ويجري حولنا في المنطقة .

للاسبـاب التي ذكـرنـاهـا ، تخلى الامـريكيـون عن محاولـة فرض الصلح العـربي ـ الاسرائيلي . . . وهذا يعني استمرار «القضية» ولذا قرروا استثمار ذلك ، فلكي تستمر زعامة القائد الذي سيمنع المعركة مع اسرائيل ، لا بأس ، بل من الضروري أن يتحدث ليل نهار عن المعـركـة ، ويسحق أيـة معـارضـة تحت شعار : «لا صوت يعلو على صوت المعركة . . » وبهذا يتجنب المعركة ويبقى شعبه صابرا متحملا في سبيل المعركة . . وحسابات الامريكان لم تخطىء اطلاقا فخلال المدة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧ لم تتطور الأمور ابدا على نحو «يخرجها

من أيديهم» فلم تقم مصر بأي هجوم على اسرائيل، وانما كانت الحروب كلها من ناحية اسرائيل.. وهذا ما لا سيطرة للامريكان عليه، او بالأحرى لا خطر فيه على الامريكان..

يقول تحت عنوان:

«البحث عن قائد حقيقي في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٢»

وكتب تحتها: «ابحث عن لاعب حقيقي وليس مخلب قط»

هذا هو عنوان الفصل الذي يتحدث فيه عن عمليتهم في مصر، هكذا بوضوح وصراحة ولكن البعض لا يؤمن حتى يدخل الأصبع في جرحهم هم..

يقول:

«الكثير من موظفي الخارجية الامريكية، كانوا مازالوا على اعتقادهم بأن الانتخابات الحرة يمكن ان تأتي بقيادات صالحة، حتى في العالم العربي الاكثر فسادا في كل الشرق الاوسط. ولكن «دين اتشيسون» وزير الخارجية نفسه، لم يكن متأكداً من ذلك، فرغم أنه في العلن كان يتحدث بالاسلوب الديلوماسي التقليدي، الا انه في السر كان يؤمن بان استخدام وسائل غير تقليدية لمساعدة القوى الطبيعية، مسألة تستحق التجربة، وعليه استعار من المخابرات المركزية الحديثة التشكيل وقتها، كيرميت روزفلت، لرئاسة لجنة سرية عالية المستوى من المتخصصين، بعضهم من وزارة الخارجية وبعضهم من وزارة الدفاع، والبعض جيء بهم كمستشارين من رجال الاعمال المعنيين، ومن الجامعات، ولا أحد من المخابرات إلا «كيرميت روزفلت». ومهمة اللجنة دراسة العالم العربي، وبالذات الخلاف العربي - الاسرائيلي لتحديد المشاكل وتحديد الاولويات ووضع الحلول.. اي حلول سواء اتفقت أو تعارضت مع قواعد السلوك المفترض للحكومات. وخلال شهر أو اكثر طرحت عدة افكار، كلها غير تقليدية، البعض اقترح فكرة ابراز زعيم اسلامي لتعبئة حركة دينية ضد الشيوعية، ومضى الى حد اختيار زعيم ديني عراقي لارساله في رحلة في العالم العربي. والفكرة في حد ذاتها لم تسبب اضراراً وتنفيذها علم اللجنة الكثير..»

«في مطلع ١٩٥٢ اعدت لجنة الخبراء تقرير حال كاملا عن لعبة الامم في الشرق الاوسط، واصبحنا مستعدين لعملية كبيرة. وكان الضغط الدولي كبيرا بحيث رأينا انه لا يمكن تأجيل العمل اكثر من ذلك.»

وفي النهاية استقر رأينا على ان «مصر» هي نقطة الانطلاق. فقد كانت مصر بلدا تستحق الأولوية في حد ذاتها ولنفوذها على الدول العربية الاخرى مما يجعل اي تحول فيها للأحسن (؟ الا حسن من وجهة نظرهم هو عين السوء لنا ج) سيكون له صداه في العالم العربي.

وكان في رأينا ان العملية ليست اكثر من «زفة» ليس فقط لطبيعة الاهالي وسياساتهم بل لأنـه كان لنـا بعض «المـدبـرين» الـذين ثبتت خبرتهم ، ولهم معرفـة جيـدة بالبلد بما فيهم «كيرميت روزفلت» نفسه . »

نحب ان نشير هنا الى نقطة اشار اليها كوبلاند وهي قوله أن رئيس المخابرات الامريكية في مصر كان يتمتع بغطاء عنصري « Ethnic » وفسر ذلك بأنه عندما يكون الشكل وجواز السفـر واللغـة تمكن ضابـط المخـابـرات من الاختـلاط بالمحيط العام . وهذا يعني انه كان مصـريـا اوعلى الاقـل من جنسيـة شديـدة التشـابه مع المصريين . . ونحن نرجح الفرض الاول ، ونعتقـد أنـه أحـد الاسـماء التي لمعت جدا في عهد عبد الناصر. خاصة وانه قال في موضع آخر ان هذا الشخص كان « ايضا رجل عبد الناصر » مما يحصر شكوكنا في ثلاثة أشخاص !

• « وكـانت مهمـة روزفلت بالتحديد عندما جاء للقاهرة يبحث عن الزعيم المنشود ، هي أن يحاول اولا تنظيم « ثورة بيضاء » يكون فيها الملك فاروق نفسه مشرفا على تصفية النظام القـديم واستبـدال الجـديـد به ، وبذلك تجهض القوى الثورية التي كان عملاء المخابرات الامريكية قد اكتشفوها قبل سنتين ، والتي كانت التقارير تؤكد انها على وشك الانفجار . ثانيـا : في حالـة فشله في اجـراء هذه الثورة السلمية ، فعليه أن يبحث حوله عن احتمالات اخرى . . رجل واجهة نوجهه من خلف الستار ، أورجل قوي ، أوخليط من الاثنين » .

نتحفـظ هنـا على المهمـة ، فصحيح ظل « كيرميت روزفلت » يحرك ويفرك في ما سُمي بالثورة السـلمية ، ولكن في اعتقادي انها كانت مناورة على فاروق ، لتخديره ، وطمأنته من ناحيـة الامـريكـان ، وليسمح لهم بالتغلغل في أجهزته ، حتى يمكنهم التجنيد بداخلها ، وابعاد العناصر التي لا أمل في تعاونها . . ونعود هذه الاجهزة على تلقي الاوامر منهم ، ومن ثم يمكن شلها في اللحظة الحاسمة وحساب الانقلاب الحقيقي .

يقول :

« كيرميت روزفلت حفيـد الـرئيـس تيـودور روزفلت وابن عم آرش روزفلت وكان يتمتع بشهـرة عن شجـاعته البدنية ، وهي تثير اعجاب سكان الشرق الاوسط الى جانب صلاته الـوثيقـة مع كل القيادات الثورية والتقليدية في الدول العربية وايران . . وقد انضم صراحة للسي آي ايـه (المخـابـرات الامريكية وتكتب هكذا CIA ج) ليجد ان المغامرات فيها مقيدة ونادرة . ولذلك عندما أصبح صديقه القديم الجنرال « بيدل سميث » مديرا للمخابرات فقد رتب انتـدابـه في الجهـاز الخـاص لوزيـر الخـارجيـة دلاس ، لتنفيذ مهام من طراز الروايات والافـلام [٤١] كـانت آخـرهـا عمليـة آجـاكس في اغسطس ١٩٥٣ عندما نظم وحده تقريبا الاطاحة بمصدق ، واعادة الشاه الذي كان قد هرب الى روما . وكانت الثورة السلمية في

مصـــر ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ هي أول مهمـــة لروزفلت . وكـان الملك فاروق قد ازداد اعجـابـه بروزفلت خلال الحرب العـالميـة (الثانية ج) في الفترة التي كان البريطانيون يضغطون فيها عليه تحت فوهة المسدس حقيقة لا مجازا ، لكي يبعد العناصر المؤيدة للمحور من حكومته ويستبـدل بها عنـاصـر من اختيـار الانجليـز . وبينما كان فاروق يغلي في قصره عاجزا ، زاره روزفلت يوميا ، تقريبا ، لتسليته ، ووعده بأن تعقد مع مصر ، بعد انتهاء الحرب ، صفقة جديـدة وتصبـح مصـر مستقلة فعـلا ، ويصبـح هو أول حاكم لمصر المستقلة في ألفي سنة » ! . . (قـالـوا نفس الكلام مع تغيير بسيط « أول حاكم مصري من ألفي سنة » . . وكلا القولين فاسد كاذب لا أساس له من التاريخ ج) .

« وكـان فاروق يحب هذا النـوع من الكلام ، وأحب روزفلت الى حد استقباله بحماسة عندما رجع كيرميت الى مصر عام ١٩٥٢ . ومن الناحية الاخرى لم يكن فاروق هذا الطراز الـذي يبحث عنـه روزفلت ، فصحيـح انـه لم يكن غبيـا ، إلا أنـه كان يفتقد التركيز ، في اجتـماع كان يبـدي ادراكـا واعيـا لما يجري في بلده . وبالذات لما يؤثر على نظامه . ويوافق على علاجـات روزفلت بكفـاءة رجـل أعمال في بتسبرغ . وفي اليوم التالي يختفي في واحدة من مغامراته الجنسية . وينسى أن ينفذ بعض الاجراءات التي وافق على ضرورتها لتحقيق خطة روزفلت ، وفي الاسبوع الثاني ، وبفعل أي عامل وقتي ، يتخذ قرارا يفسد الخطة » .

« أقام روزفلت في مصر خلال شهري يناير وفبراير ١٩٥٢ وخلالهما قام فاروق بالتالي :

« ١ ـ تماشى مع مشـــروع روزفلت الـــذي يقضي بأن يدبـر أقـوى رجلين في الـوزارة : مرتضى المـراغي وزكي عبـد المتعـال أزمـة تجبر رئيس الـوزارة على الاستقـالة . وفي نفس الوقت يكلف بوليسه السري بجمع أدلة تثبت ان الوزيرين عميلان للمخابرات الامريكية(٤٢) .

٢ ـ وافق على تعيـين نجيب الهـلالي وهـو رجـل يتمتـع باحترام لكفاءته ونزاهته كرئيس وزراء . وقد دعاه الى الوزارة بطريقة لا يمكن أن تسمح له بقبولها ، وليس إلا بعد أن رجاه روزفلت على انفراد باسم الثورة السلمية مشيرا الى ان الثورة لن تبقى بيضاء اذا ما استمر الملك في عناده .

٣ ـ وافق على ان يقـوم الهـلالي بتطهـير الحكـومـة ويخـرج كل الموظفين الفاسدين ويحل محلهم موظفين من اختياره » .

وطبعـا نذكـر شعـار « التطهـير قبل التحرير » و « محاربة الفساد » وكلها كانت شعارات هزلية على لسان الهلالي باشا وفي نظام فاروق ، ولكن نفس الشعارات ستستخدم في ظل ٢٣ يوليو ، وسينسى الناس انها الاستمرار لخطة الثورة البيضاء ! . .

« في مايو(٤٣) ١٩٥٢ نفض روزفلت يديه يائسا ، ووافق مع السفير الامريكي في القاهرة

« جيفرسون كافري » ان الجيش وحده هو الذي يستطيع وقف تدهور الوضع واقامة حكومة يستطيع الغرب أن يتفاهم معها » . .

« كافري الذي كان أقدم سفير في الجهاز الدبلوماسي الامريكي ، كان يعرف مصر جيدا ، وكان يعتمد على اثنين : الليوتنانت كولونيل : « دافيد ايفانز » مساعد الملحق العسكري ، ووليم ليكلاند الضابط السياسي .

« كان روزفلت نافرا من الانقلابات العسكرية ، بعدما شاهده من آثارها على سوريا ، ولكنه وافق على اللقاء بالضباط الذين رصدتهم المخابرات الامريكية على انهم قادة التنظيم السري الذي عرف أنه يدبر انقلابا . . وهذا ما فعله روزفلت في مارس ١٩٥٢ . . أي أربعة شهور قبل انقلاب ناصر . وناصر الذي كان قد عرف باستكشاف المخابرات الامريكية لتنظيمه كان مستعدا للقاء . ورتب وضع عدد من ضباطه في طريق روزفلت ، هؤلاء الضباط الذين كانوا بعيدين عن مركز الحركة بما يتيح الاستغناء عنهم ، ولكن في نفس الوقت يمكن الاعتماد على قدرتهم على الكلام المناسب ، وحفظ الاسرار الاساسية لتنظيم الضباط الاحرار . . وقد تمت ثلاثة اجتماعات من هذا النوع . وفي الاجتماع الثالث حضر واحد من أقرب معاوني ناصر واكثرهم تمتعا بثقته :

« One of Nasser's most trust Lieutenants » « ان الاتفاق الكبير الذي تم بين روزفلت وهذا الضابط الذي كان يتحدث باسم عبد الناصر يستحق الذكر حقا . . ففي ثلاث قضايا عامة تم الاتفاق في الحال : الاولى هي أن الجماهير لا تثور بسبب سوء الحالة الاقتصادية ، وكان روزفلت قد دخل في جدل طويل مع وزارة الخارجية الامريكية حول هذه النقطة الى حد أنه وزع عليهم نسخا من كتاب : « كران بريتون » الذي عنوانه : « تشريح ثورة » ليدعم رأيه بأنه ما من ثورة في التاريخ لها أسباب اقتصادية في جذورها . وبالتالي فإن حكومتنا لا تستطيع التخلص من زعيم لا تحبه بمنع القمح عن شعبه . ناصر كان يعرف في هذا الوقت ما ستثبته خبرته الشخصية فيما بعد ، وهو انه مهما منعت الولايات المتحدة المساعدات الاقتصادية بهدف اضعاف مركزه ، فانه يخرج أقوى من قبل ، وشعبه يحمل الحكومة الامريكية مسئولية تجويعه وليس ناصر » .

« النقطة الثانية هي ان الجماهير المصرية لا يحتمل ان تثور لأي سبب . كانت هناك حركتان ثوريتان : الاخوان والحزب الشيوعي ، تعتقدان ان الشعب المصري بما فيه الفلاحون والعمال والافندية في المدن وحتى المهنيين اقتربوا من درجة الغليان ، ويمكن دفعهم تحت النداء المناسب للثورة ، ناصر لم ير هذا الرأي ، وقد طرحت هذه النقطة بين روزفلت وممثلي عبد الناصر عندما قال أحد هؤلاء الممثلين « ان من سيحكم مصر سيواجه مشكلة تلبية المطالب العديدة للشعب المصري » . وهنا قال رئيس هؤلاء الممثلين لناصر ،

أول جملة كاملة في تلك الليلة : « بالعكس . . ان مشكلتنا هي ان الشعب لا يريد كفاية » ثم استمر : « ان معظم المصريين عاشوا الآف السنين على الكفاف ، ويمكن ان يعيشوا ألف سنة اخرى على هذا الحال » انهم غير مهيئين للثورة ، ولا مهيئين للاستفادة القصوى من حياتهم بعد الثورة . ولذا بعد الثورة سنحاول جهدنا دفعهم لذلك ، ولكن ليس لدينا وقت لتحقيق ذلك قبل الثورة » . وهكذا لم يكن هناك مجال للحديث عن ثورة ديموقراطية أو شعبية[44] . وكان مفهوما من اللحظة الاولى ان الجيش المصري سيسيطر على البلاد ، ويختار الوقت والظروف التي تضمن تأييدا سياسيا وشعبيا في المدن ، أما بقية البلد فسيجري كسبها فيما بعد . .

« واخيرا تم الاتفاق على انه في مستقبل العلاقات بين الحكومة المصرية الجديدة ، وحكومة الولايات المتحدة ، فسيقتصر استخدام عبارات من طراز « اعادة المؤسسات الديموقراطية » أو « الحكومة القائمة على تمثيل حقيقي للشعب » ستقتصر على الوثائق المتاحة للعامة ، أما فيما بيننا فيقوم تفاهم مشترك على أن شروط قيام حكومة ديموقراطية غير متوفرة في مصر ، ولن تتوفر لعدة سنوات طويلة . . وان مهمة الحكومة الجديدة هي توفير هذه الشروط وهي :

١ ـ شعب غير أمي ٢ ـ طبقة وسطى كبيرة ومستقرة ٣ ـ شعور من الشعب بأن هذه هي حكومتنا ، وليست مفروضة من الفرنسيين او الترك او الانجليز أو الطبقة العليا المصرية .
٤ ـ ارساء قيم ومثل حقيقية ، تضمن قيام ونمو مؤسسات ديموقراطية حقيقية وليس مجرد تقليد مستورد من الولايات المتحدة أو بريطانيا .

« وقد اتفق روزفلت وممثلو ناصر (الكلام مايزال لمايلزكوبلاند) على أن الرأي العام الامريكي والكونغرس وبعض الصحفيين وبعض موظفي الخارجية الامريكية ، وغالبا ما يكون وزير الخارجية نفسه من بينهم ، سيبدأون على الفور في النباح بالشعارات القديمة ، وفي نفس الوقت تأكدوا ان أي محاولة سابقة لأوانها لتطبيق الديموقراطية ستضع البلاد مرة أخرى في الفوضى السابقة أي انتخابات بين مرشحين مدعومين من بريطانيا وامريكا ضد مرشحين مدعومين من الروس (لعلنا نكتشف الأصل الفلسفي لحكاية حزب تابع للشرق وحزب تابع للغرب ج) و٢٤ مليون فلاح من ٢٨ مليونا ، ينتخبون وفقا لتوجيهات الاقطاع بينما يتفجر سخط المدينة في شكل اضطرابات ، وتصبح اثارة الشعب هي الوسيلة الوحيدة للحصول على نفوذ سياسي ، فينضم الشباب للاخوان أو الحزب الشيوعي كمخرج لنشاطهم المكبوت » .

« وهناك نقاط كان من الصعب الاتفاق عليها ، ولكنها شكلت ـ رغم ذلك ـ فهما مشتركا للدوافع التي ستكون خلف الانقلاب القادم » .

« وهناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام هي موقف ناصر من اسرائيل فالسياسيون والكتاب والمواطنون العاديون في أي بلد عربي ، وكذلك معظم الدبلوماسيين الغربيين الذين يزورون شتى البلاد العربية سيقولون لك ان استرداد فلسطين يأتي على قائمة الاولويات لأي بلد عربي ، حتى ان صحفيا في مستوى محرر « الديلي تلغراف » ظل لعدة سنوات يصر على أن هزيمة مصر ضد اسرائيل كانت عنصرا فعالا في تفكير الذين دبروا « الثورة المصرية » . ولكن بعد خمس سنوات من حوار المعسكرات ، ومحادثات شخصية مع مئات الضباط قرر ناصر ومعاونوه العكس . لقد تبينوا أنه قد يكون من المفيد لخدمة هدف آخر ، الحديث عن تعبئة موارد مصر لتصحيح ما حدث في فلسطين ، ولكن مثل هذا الحديث في ١٩٥٢ هو عمل طائش ومضر اذا ما استخدم لاثارة ثورة في مصر .

« وقد اعترف ناصر لروزفلت انه هو وضباطه امتهنوا على يد الاسرائيليين ولكنه أكد أن غضبهم كان ضد : « ضباطنا الكبار » .. العرب .. الانجليز ثم الاسرائيليين على هذا الترتيب »[٤٥] .

أظن ان هذه جرعة كبيرة تحتاج لوقفة طويلة جدا . .

١ ـ في اواخر عام ١٩٥١ أو مطلع ١٩٥٢ استقر رأي لجنة الخبراء على تجربة الانقلاب في مصر وكلفت «كيرميت روزفلت» بهذه المهمة للصفات العديدة التي يتمتع بها. ومنها صلاته ومعرفته بمصر وملك مصر.

٢ - كان للمخابرات الامريكية شبكة واسعة في مصر يرأسها شخص مصري أو يسهل اندماجه بين المصريين ، وهو في نفس الوقت ، رجل عبد الناصر ! !

٣ ـ ظل كيرميت في مصر شهرين يدرس النظام القائم بحجة تدبير ثورة سلمية تحت رعاية الفاروق . واستطاع التغلغل في اجهزة الأمن وشلها أو بلبلتها ليلة الانقلاب .

٤ ـ اكتشفت المخابرات الامريكية تنظيم الضباط الاحرار ، وهذا يعني بوضوح انها لم تنشئه بل كان تنظيما مصريا وطنيا في مجموعه ، وان ضم عناصر من شتى المخابرات المحلية والعالمية ، كما هو الحال في كل التنظيمات السرية . . وهذه نقطة على جانب كبير من الاهمية فالضباط الاحرار غير اخوان الحرية ، الضباط الاحرار وعلى كل المستويات ، تنظيم وطني مصري ، ضم عناصر وطنية ، لو خطر ببالها ان بعض رفاقها يجتمع بالامريكان ، فضلا عن مخابرات الامريكان لدمرت الارض ومن عليها . . وما من احد يتصور ان بغدادي أو صلاح سالم أو كمال الدين حسين قد علم بذلك أو دار بخياله . . بل حتى خالد محي الدين وان كان قبوله حذف « الاستعمار الامريكي » من المنشورات يثير علامة استفهام ؟!.

٥ ـ شعر جمال عبد الناصر ، أو أبلغ عن طريق وسطاء الخير ، باهتمام الامريكان ،

فوافق بذكائه السياسي النادر، وشبقه للسلطة الأشد ندرة وتميزا، على مقابلتهم . . ومرة اخرى هذا يعني ان عبد الناصر لم يخترعه الامريكان ولا فرضوه على التنظيم، وانما فرضوا انتصاره واستمراره في السنوات الاولى حتى استقر وانطلق معتمدا على تنظيماته .

٦ ـ تدرجت اللقاءات حتى وصلت الى اجتماع على مستوى اكبر معاوني ناصر، أو على الاقل الذي يتمتع باكبر قدر من ثقته . . وهي اجتماعات كانت واضحة وصريحه بين الضباط الاحرار، أو مجموعة ناصر وبين المخابرات الامريكية للاتفاق على برنامج الانقلاب أو الثورة كما حلالهم تسميته . .

٧ ـ كل اتفاق . . كل مفاوضات . انما تدور حول : ماذا تعطيني وماذا تريد مني . . ولا نظن ان استنتاج بنود الصفقة عسير علينا . . الضباط الأحرار يريدون دعم المخابرات الامريكية لنجاح الانقلاب . . اما كيف فهذه من النقاط التي حجبها المؤلف، والتي لن يكشف عنها الستار أبدا، لأنها سر المهنة الذي يستخدم في اكثر من بلد، ولأنه يكشف اسماء لا يريدون لها ان تكشف . . كذلك طلب الضباط الاحرار تقديم تأمين امريكي ضد احتمال تدخل بريطانيا ودعم امريكي بعد نجاح الثورة . .

في مقابل ماذا؟

اما أن نخرج في مسيرة للسفارة الامريكية نشكرها على اهتمامها بتحرير الشعب المصري، أو نتساءل بجدية : ما الذي تعهد الضباط الناصريون بدفعه مقابل وضعهم في السلطة؟

٨ ـ اتفق «المتآمرون» ـ يستحيل علينا من باب الذوق أن نصف كيرمييت روزفلت بالثوري، فهذا يسيء اليه طبعا ولذلك لم نستطع ان نقول «الثوريون» ـ . . على ان مصر غير ناضجة للديموقراطية وانهم لن يهتموا بثرثرة المسئولين الرسميين الامريكان عن ديكتاتورية الحكم، فامام الحكومة الثورية مهمة طويلة تستغرق الاجيال حتى تتوفر الظروف لقيام الديموقراطية، مثل محو الامية، وخلق طبقة وسطى . . . ولعل هذا يفسر حرص الثورة على عدم محو الأمية، واهتمامها بضرب الطبقة الوسطى !!

. . نكتة ! . .

٩ ـ فلسطين لم تكن قضية الثورة، ولا شاغل الضباط رقم واحد، وهذه قضية معقدة وفيها بعض اللبس أو التحايل، فالحقيقة ان اهتمام الضباط الاحرار الأول في ١٩٥٢ كان الاحتلال البريطاني، وكذلك الشعب المصري كله، وهذا طبيعي ، فهو الاستعمار المستوطن وهو جوهر الحركة الوطنية خلال سبعين سنة . . وكانت الفكرة السائدة وقتها ان مصر المتحررة من الاستعمار هي التي ستقوى على مواجهة اسرائيل، ولكن تعميم هذا الوضع التاريخي لينسحب على المستقبل ويفسر موقف عبد الناصر من اسرائيل خطأ

وتحايل. . وليس صحيحا ان عدم فهم المسئولين الامريكان لهذا الموقف اللامبالي من عبد الناصر ـ أوكما قال هو ـ عدم اهمية استرجاع فلسطين هوسبب الاخطاء التي ارتكبت في العلاقات الامريكية ـ الناصرية».

١٠ ـ هذا الجزء مكتوب بمكر شديد ، فهناك حوار بين ناصر وكيرميت، ولكن هناك أيضا ايحاء ولوبالسالب ان عبد الناصر لم يقابل كيرميت روزفلت، وعلى أية حال هذه نقطة لانركز عليها كثيرا، كما اشرنا، فمن المؤكد ان اجتماعا واتفاقا قد تم بين ناصر وكيرميت روزفلت سواء مباشرة أوعن طريق رجل عبد الناصر وموضع ثقته.

«وعندما رجع كيرميت روزفلت من القاهرة قبل الانقلاب بشهرين (يعني مايو ج) قدم تقريره الى وزير الخارجية دين اتشيسون قال فيه:

١ ـ ان الثورة الشعبية التي تتحسبها وزارة الخارجية، ويعمل لها الشيوعيون والاخوان، ليست في الحسبان.

٢ ـ لاتوجد وسيلة لمنع الجيش من القيام بانقلاب، احببنا ذلك أم كرهناه. .

٣ ـ ان «الضباط» الذين ينتظر قيادتهم للانقلاب، لديهم دوافع عادية، بعكس الطموحات التي ينسبها اليهم المراقبون الدبلوماسيون. الأمر الذي يزيد من فرص انتصارهم، بل ويجعلهم ايضا مفاوضين معقولين بعد استيلائهم على السلطة. .

٤ ـ ان الحكومة الامريكية ستقبل ابعاد فاروق وربما انهاء الملكية كلها. وان كان لامانع طبعا من صدور احتجاج رقيق لاراحة الضمير! . . «To humor the pure in heart» وسيكون من المستحسن ان يبدي السفير كافري بعض الاهتمام بسلامة فاروق الشخصية. (وهذا يوضح ان نبل «كافري» كان بالاتفاق او بالتعليمات ، وليس كما استنتج مؤلف حبال الرمال ج).

٥ ـ بعد الانقلاب ستمتنع حكومتنا ـ ماعدا في الظاهر ـ عن حث القيادة على اجراء انتخابات أو انشاء حكومة دستورية وما اشبه. وستقيم علاقتها مع الحكومة الجديدة في ضوء القناعة بان المؤسسات الديموقراطية يجب أن تبنى من الصفر.

٦ ـ لايجوز ان يستنتج أحد في حكومتنا من كل هذه الاجتماعات التآمرية التي تمت قبل الانقلاب، انه انقلابنا. .

That for all these conspiratorial pre - coup meetings, no one in our Government must get the Idea that it is our coup بل ستكون عملية داخلية Indigenous ، حرة «تقريبا» (الاقواس من عندنا) almost من نفوذنا. ويمكننا مساعدتها فقط بعدم معارضتها، اما فيما يتعلق بالحاجة الى عدو يوحد الجماهير فلن تكون اسرائيل هذا العدو، بل الطبقات العليا المصرية، وشئنا أو أبينا الانجليز ايضا».

«وكـان لدى روزفلت الكثير ليقوله عن نوعية القائد المنشود أوبالاحرى الذي سيبرز زمن الانقـلاب، شئنـا أو أبينـا. . فقـال انـه يوافق مبدئيا على الحاجة الى زعيم محبوب. ولكن ظروف مصـر الخـاصـة في هذه اللحظـة تفرض قائدا اقل جاذبية مما قدرنا، الا أنه قادر على السيطرة، بل سحر مجموعة صغيرة من الرجال. وهي المجموعة التي قابل روزفلت ممثليها.

ثانيا: سواء نجح هذا الشخص في ان يكون زعيما شعبيا، أوظل مجرد قائد لحلقة، تقود، بدورها، البلاد، فإن صفات هذا القائد لايمكن أن تتفق والمقاييس الغربية لرجال الدولة. واذا لم تكن نعرف كيف نتعامل مع هذا الطراز، فيجب ان نتعلم. واذا لم ينتصر الشخص الذي نراهن عليه فسيكون هناك شخص آخر من نوعه، وآخرون في البلاد الاخرى التي تمر بنفس الظروف»

وهنـا نأتي الى نقطـة تعمد «مايلز كوبلاند» ان يجعلها غامضة عسيرة الفهم على من لا يريد أن يفهم! . .

. قال ان كيرميت روزفلت «حاول وهو امر طبيعي ـ أن يسجل اقل المعلومات والتفاصيل الممكنة في تقاريره المكتوبة لوزارة الخارجية الامريكية، لكي لا «يرعب» لجان التحقيق التي قد يشكلها الكونغرس في المستقبل»

وهذا ما اشرنا اليه في قدرتهم على اخفاء المستندات وان تشدقوا فترة بحرية المعلومات، وحق الكونغرس في أن يعلم كل شيء. ويضيف:

«ولذلك لم تكن هذه التقارير توضيحا صريحا لمحاولات العثور على قائد متعطش للسلطة ويتمتع بكفاءة قيادية بونابرتيه، ولديه القدرة على توحيد شعبه حول الخوف. ولكن تقارير كيرميت الشفوية كانت اكثر صراحة. فقد اخبر رؤساءه ان اي شخص متعطش للسلطة، لن ينتظـر حتى يدعـوه متآمر امريكي لهذه السلطة، أما عن الصفتين الاخريين المطلوبتين، فليستـا من النـوع الـذي يظهـر على السطح في اختبار كشف الهيئة. . ولكن المحصلة التي خرج بها من اجتمـاعـاتـه في القـاهـرة هي ان: «شخصا ما في مصر، مرتبطا بالضباط الذين قابلهم، لديـه فكـرة متقدمة جدا لما يتطلبه الاستيلاء على السلطة في مصر والاحتفاظ بها، وان هذا «الشخص» سيفعل ذلك، وان كل ما نأمله هو ان ملاحظات روزفلت قد وصلت لهذا الشخص، وان تفـاهما مشـتركـا يمكن تنظيمـه عنـدمـا يحين الوقت، ولاشك ان هذا «الشخص» سيفهم ماذا نريـد، ومـا هو الثمن الـذي سنـدفعـه في المقابل. . وبناء على ما تجمع لدى روزفلت من هؤلاء الضباط الذين قابلهم فإن عرضنا قد قبل عن طيب خاطر»[٤٦] eminently . .

وتم الانقلاب. .

«كان كل شيء على مايرام. . . لم تصدر تصريحات عنيفة من الطراز الذي تعودناه بعد

الانقلابات السورية، بل كان التركيز على القضايا التي تهم اية قيادة ناضجة: محاربة الفساد، بناء حكومة اكثر كفاءه... اصلاح الاحزاب السياسية، ولا شيء عن اسرائيل: Nothing was said about Israel (٤٧)

وعندما نطابق ذلك مع ما حدث فعلا، فإن من حقنا ان نشك في النظريات التي طرحت بعد ذلك، عن اهمية التنمية قبل حرب التحرير ضد اسرائيل.. والتكنولوجيا قبل الحرب.. الخ.. الامر ابسط من ذلك، انه اتفاق.. عقد، وموقف.. اتخذ بناء على طلب المنتج الامريكي!..: تجميع الشعب على كراهية الاغنياء المصريين بدلا من اسرائيل.. وان كانت اسرائيل بعدوانها لن تتيح الفرصة أبدا لكي ينساها الشعب.

يقول كوبلاند: «وقد تمادى «محمد نجيب» في حديثه فقال: انه غير مهتم بفلسطين، ولكنه عاد فاتصل بالسفير كافري بعد بضع ساعات، وطلب سحب التصريح، واستبدل به آخر أقل رواجا في السوق الامريكي، ولكنه اكثر التقاء مع ناصر وماكنا نعرف انه ضروري لكسب الحكومة الجديدة القبول الشعبي».

«كان كل شيء يدل على اننا قد ضممنا الى الفريق، لاعبا جديداً تنطبق عليه المواصفات التي نريدها.» «كانت وشنطن الرسمية سعيدة»
official washington was Delighted.

وبعض الماعز عندنا لاتزال سعيدة، فخورة بالثورة التي فاجأت الاستعمار وقلبت خططه، وسودت ليله ونهاره؟! هل يمكن ان تشترك في السعادة من حدث تاريخي واحد كل من وشنطن الرسمية والقاهرة الشعبية.؟!

ويقول: «ولو ان كيرميت اخذ عبد الناصر بقوله انه ليس قائد الحركة الثورية، الا ان اعضاء السفارة في القاهرة، وبالذات وليم ليكلند الضابط السياسي بالسفارة اكتشف على الفور ان نجيب ليس الا الواجهة لعبد الناصر. وقد أصبح ليكلند صديقا للضباط الاحرار من جماعة ناصر من خلال «محمد حسنين هيكل» الذي اصبح فيما بعد اقرب اصدقاء ناصر ومحل ثقته ولكنه وقتها كان مجرد محرر يعمل في صحيفة يملكها صديق ناصر «مصطفى امين». ومن خلال هيكل قابل «ليكلاند» عددا كبيرا من قيادات الضباط الاحرار بما فيهم ناصر. وخلال الشهور التي تلت الانقلاب كان يرحب بهم باستمرار في شقته المطلة على النيل. وبينما الشعب المصري في الخارج يهتف لنجيب، كانت السفارة عبر «ليكلاند» قد بدأت تتعامل مع ناصر باعتباره الرجل الوحيد الذي يملك القرار.» «واستمر السفير يقابل نجيب احيانا في زيارات رسمية أولتسليمه رسائل من وشنطن، وخاصة اذا كانت من النوع الذي لايهتم السفير بضياعه!.. اما العمل الحقيقي بين الحكومتين الامريكية والمصرية فكان يتم بين ليكلاند وناصر، أو بالاحرى بين «ليكلاند وهيكل وناصر» (٤٨)

«بعد الانقلاب تجنب روزفلت واعضاء لجنته الخاصة، اي إتصال مباشر مع ناصر، وكانوا سعداء بمراقبة التطورات في مصر من بعيد، وكان هذا من ناحية لتجنب شبهة المؤامرة معه. ومن ناحية اخرى، لأن الأمور كانت تجري في الاتجاه الذي خطط له. وليس الا بعد وصول ايزنهاور للسلطة (١٩٥٣) حتى اننا قررنا أن نكرس اهتماما مباشراً لتقدم ثورة ناصر. كانت رغبة شخصية من ايزنهاور، ان نقوم بدراسة هذا اللاعب الجديد بدقة. أولا لنتأكد انه يمضي كما توقعنا. وهكذا فعشية زيارة جون فوستر دلاس للشرق الاوسط قرر دلاس (؟ ايهما؟ج) : «لقد حان الوقت لنرى: «الاولاد دول حيطلع منهم ايه». وهكذا أمر روزفلت بارسال: «رجل عسكري للقاهرة ليقومهم (من التقييم ج) واختار روزفلت «ستيف ميد» رجل الانقلاب السوري».

ويبدو ان مجموعة مايلز كوبلاند لم يسعدها التدخل في شئونهم. او التفتيش على شغلهم، وربما دسوا للرجل عند عبد الناصر، على اية حال كوبلاند يدعي أن «وصول ميد» أثار عبد الناصر، اذ اعتبره دليلا على أن وزير الخارجية دلاس يعتقد ان ثورته لاتختلف عن انقلابات امريكا الجنوبية».

ومع ذلك فإن دراسات ميد مثيرة والحوار «النظري» في دوائر المخابرات الامريكية يفوق في ثوريته مناقشات هيئة التحرير في ذلك الوقت، كما يبدو اثره واضحا في مناقشات التنظيم الطليعي في ما بعد!!

«قال كيم روزفلت لدلاس: «لايمكن ان تحقق ثورة بدون ثوريين»!!

اما نظرية ميد فهي: «ان سوريا لايستقر بها انقلاب بسبب كثرة الانقلابيين. أما مصر فلم تكن ثورة، ولا انبثقت من ثوريين، بل نتيجة تخطيط وتنظيم عبد الناصر ولذلك سيعيش انقلابها، وهؤلاء الفتية (اعضاء مجلس الثورة) يعتبرون انفسهم عصابة «روبن هود» كتب «ميد» ذلك الى روزفلت واضاف انه «يسعدهم ان يوصفوا بابطال الثورة. ولكن لم أجد فيهم واحدا يستطيع ان يصف لي ما هي الثورة، انهم غير مهتمين بالسياسة لحسن حظ ناصر، وحسن حظنا جميعا. . فهم يطلبون ويحتاجون لشخص يخبرهم كيف يفكرون وماذا يفعلون. . ولن تكون هناك مشكلة في التخلص منهم».

وهذا صحيح تماما. . ويفسر كيف تلاعب اصحاب الحظ الحسن بالدراويش من طراز بغدادي وكمال الدين حسين وامثالهما من الذين لم تكن لهم خلفية سياسية، وكيف «جُن» صلاح سالم فور أن تعلم السياسة، وكيف قال ناصر بصريح العبارة الخالد. . . «لامكان لك في مصر» لأنه كان يعرف «شوية» سياسة مع الكثير من السذاجة!

قال «ميد» في فلسفة الثورة غير المنشورة!. .

«ان انقلاب ناصر لم يسقط النظام بل اقامه، فالعمل السري قبل الانقلاب لم يكن

يستهدف بناء قوة ثورية تستولي على السلطة، بل الى وضع رجاله في مراكز السلطة حتى يمكنهم أن يصدروا الأوامر عبر التسلسل الوظائفي المشروع. وكانت المشكلة هي في ايجاد مركز له يعادل دوره في التنظيم السري، ولكن محمد نجيب، حل هذه المشكلة (برتبته العالية ج) وان كان قد سبب نتائج عكسية».

«قال ناصر للجنرال كابل نائب مدير المخابرات الامريكية انه اختار الاعتماد على الضبط والربط في الجيش في تنفيذ الحركة».

«ميد الذي حاول اقناع حسني الزعيم بخلق تركيبة مرتبطة بانقلابه اعتبر ما فعله عبد الناصر يجب ان يكون دليل عمل لأي محاولة اخرى... وهو كيف تدبر انقلابا وكيف تدعمه بعد النجاح».

«ان ناصر كان يعلم ان الانقلاب سيعتمد على الجيش، وعلى قبول البلاد للجيش، وكان يعلم ان كل اشباه المثقفين، والسياسيين المتطرفين والمتعصبين من كل نوع سيصفقون للثورة، ويعتبرونها فرصة لفرض «اصلاحاتهم» واذا سمح لهم فسيتظاهرون ويعطون انطباعا بحيوية زائدة، بل حتى ادعاء تمثيل قطاعات من الشعب. الا ان كبح اغراء ضمهم للثورة كان ضروريا، فكل قيمتهم هو في الشغب الذي يثيرونه. ان العامل المشترك في رجال الثورة، انهم لاثوريون!.. فقد كانوا ينظرون الى ناصر باعتباره الرجل القادر على بناء جيش قوي واعادة الضبط والربط الى صفوفه. اي تحقيق الصورة التي كانت في اذهانهم عندما انضموا للجيش.»

«ان رجال تنظيم الضباط الاحرار يعادون المثقفين، والفوضى، والتسيب، وضد التحرر الاجتماعي، والانفتاح الجنسي وغيرها من مظاهر مصر الملكية»

«اهم عنصر - في رأي ميد - في مناعة النظام الناصري، هو قناعة ناصر بأن تدعيم مركزه يجب ان تكون له الاولوية على أي هدف آخر. وهذا التصميم جعل عبد الناصر يأخذ خطوات حيرت المراقبين الغربيين، على سبيل المثال، لقد سمح باستمرار وضع ادى الى اضرار بالغة، بعلاقات مصر مع السودان، لمجرد ان ذلك يمكنه من ادانة أحد معاونيه الذي كان قد أصبح قويا لدرجة خطيرة (هذه نقطة مهمة جدا يجب ان نرجع اليها في فصل السودان وما اكتشفه صلاح سالم من انهم يعملون على فصل السودان. ج) ولكن «ميد» دافع عن ذلك بأنه سلوك ضروري، ويجب الا ننزعج من حدوثه».

«اما رأي ناصر عن «القيادة» او «النخبة الطبيعية» فقد وصل الى حكومتنا ليس عن طريق «ميد» بل عبر قناة «هيكل - ليكلاند». «وقال عبد الناصر للسفير الامريكي: «ان اعطاء الشعب المصري الحرية قبل الاوان، يعادل القاء اولادك في الشارع.»

«كان يعتقد أنه يحتاج الى حرية مطلقة في التصرف دون مبالاة بالرأي العام».

«وهـذه الآراء لم تزعـج «ستيف ميـد» خبـير استمـرارية الانقلابات، ولكنها ازعجت كيرميت روزفلت، وعنـدمـا ابلغـه «ميـد» أن «نـاصـر» يعيـد تنظيم القيـادة لكي يقيم ديكتـاتـوريـة فاشيـة عسكـرية، عمل روزفلت على ارسال «جيمس ايكلبرغر» [٤٩] أحد علماء السياسـة في وزارة الخارجيـة والـذي كتب دراسـات ممتازة عن النظم العسكرية في الدول المتخلفة. وكان روزفلت قد اقترح مساعدات اقتصادية ضخمة لمصر، وعلى وشك ان يطلب مساعدات عسكرية. وكان يعتقد ان الدراسة التي سيقدمها «ايكلبرغر» ستمكنه من اقناع الوزير دلاس بسياسات عبد الناصر، واذا لم يكن بوسعه الدفاع عن هذه السياسة فيحاول اقناع عبد الناصر بتغييرها».

«وقـد عين كافـري ايكلبرغر للعمل معه مباشرة بعيدا عن جهاز السفارة، ونظم امداده بمعلومـات الخـارجية والمخابرات. وكان على ايكلبرغر ان يقدم تقرير موقف وتوصيات، اما القرار الاخير فكان لكافري. وقد اجرى ايكلبرغر مناقشات طويلة مع اعوان ناصر من العسكـريـين والمـدنيـين، وبـالذات محمد حسنين هيكل المخبر الصحفي الذي كان خلف كتاب عبد الناصر: «فلسفة الثورة» ومع ناصر نفسه

ومن محصلة هذه الاتصالات والاستجوابات والفحوصات يقول لنا مايلز كوبلاند اعد عدة دراسـات ترجم بعضهـا للعـربيـة، وارسل الى عبد الناصر كأهم المشاكل التي تواجه الحكـومـة الجـديـدة واسـاليب معـالجتهـا، واهم هذه الدراسات، واحدة بعنوان «مشاكل السلطة لحكومة ثورية» [٥٠] (وقد وضعها كوبلاند في ملاحق كتابه ومن شاء الرجوع اليها «للاستفادة» فليفعل.) وقال: «وترجمت للعربية، وعلق عليها، عدد من معاوني ناصر، ثم ترجمت مرة اخـرى للانجليـزيـة ليضيف اليهـا ايكلبرغـر وينقـح، وهكذا من الانجليزية للعـربيـة وبالعكس حتى ظهرت النسخة الاخيرة منسوبة لزكريا محي الدين، وتقبلها العالم بما في ذلك السي آي ايه على هذا الأساس»!!

وقال كوبلاند

«ولنذكر ان جوهر القضية في دعمنا لناصر هو أن يصبح لنا في السلطة في واحدة من اهم الـدول العـربيـة، القـائـد الذي تتوفر له السلطة الكافية لفرض قرار غير محبوب مثل توقيع السلام مع اسرائيل. ولذا فان أول خطوة في برنامجنا وبرنامج ناصر هي فرض سلطته هذه، ولو بالقوة.» [٥١]

وعندما اعتذر ناصر لجونسون المبعوث الشخصي للرئيس الامريكي عن عدم استطاعته اقناع شعبه بقبول مشروعات جونسون لاقتسام مياه الاردن مع اسرائيل، فسأله جونسون كيف يكون قائدا صالحا اذا كان ينافق شعبه؟! رد عبد الناصر: «ان اولى مهمات القائد هي ان يبقى قائدا، فاذا تمكن من ذلك يستطيع وقتها ان يدبر كيف يكون صالحا. وانا اعرف

ان الغوغاء في بلادي اذا تركوا لغرائزهم فسيضرون أنفسهم . . ولكن هذا لايعني انني استطيع تجاهل عواطفهم دائما».

وفسر كوبلاند ذلك بان سياسة عبد الناصر، هي اللعب بشعارات الجماهير العاجلة التي لا تمثل مصالحها الحقيقية لكسب الوقت حتى ينمو فيهم الوعي بمصالحهم الحقيقية، على ان يتم ذلك بالتناسق مع امتلاك الوسائل لتحقيق هذه المصالح».

واذا كان التعاون التنفيذي بين المخابرات الامريكية ورجال عبد الناصر، قبل الانقلاب ويوم الانقلاب لايزال من الاسرار، وربما يبقى كذلك، خاصة اذا لم نعرف من هو هذا الشخص العجيب الذي كان رئيسا «لمحطة» المخابرات الامريكية في مصر «والذي كان في نفس الوقت رجل عبد الناصر». الا ان المعلومات اكثر عن التعاون الوثيق بين الامريكان ونظام عبد الناصر بعد ٢٣ يوليو، وفي الميدان الذي يعتبر من أخص خصائص السيادة، والذي يستحيل تصور وقوع التعاون فيه بين استعمار وثورة . . بل حتى بين دولتين تحرص واحدة منهما على سيادتها وأمنها واستقلال قرارها . . وأعنى ميدان الأمن والمخابرات فضلا عن الاعلام والعلاقات الامريكية ـ المصرية . .

فالى جانب الدراسات والمحاضرات والتعليمات التي يحفل كتاب كوبلاند بنماذج منها[٥٢] . . توجد اعترافات ناصرية تؤيد هذا التعاون فهذا حمروش يقول:

«قدم الامريكان منذ اللحظة الاولى خبرتهم لتنظيم المخابرات بعد أن كانت في عهد الملك محدودة الاثر محصورة في البوليس السياسي الذي كان يشرف عليه ماجور سانسون الذي اسس جمعية (اخوان الحرية) المتصلة بالمخابرات البريطانية، والذي اصبح فيما بعد ضابط أمن بالسفارة البريطانية حتى رحل عن مصر فجأة يوم ٣١ يناير ١٩٥٣ كما نشرت الصحف المصرية وعين بعد ذلك في ليبيا والف كتابا عن حياته في مصر باسم (تجسست على الجواسيس).

قبل ٢٣ يوليو، لم يكن هناك جهاز امن يعرف باسم المخابرات العامة وكان عدد ضباط المخابرات الحربية في الجيش ١٥ ضابطا فقط، وعدد ضباط القسم المخصوص بالبوليس السياسي ٢٤ ضابطا.

وقد استعان زكريا محيي الدين بعدد من الخبراء الالمان [٥٣] الى جانب تقارير المخابرات المركزية الامريكية التي كانت تقترح توحيد اجهزة الامن.

وأعد زكريا محيي الدين مشروع قانون المخابرات على اساس الهيمنة على كافة اجهزة المخابرات في ادارة واحدة منعا لازدواج الجهد وكثرة التكاليف . . . وهذا لايعني ضمها في جهاز وانما يعني التنسيق بينها بفكر ورأي واحد.

كان ضباط المخابرات العامة قد تحولوا الى مدنيين في سبتمبر ١٩٥٥ . وانشيء في نفس

العـام المعهـد الاسـتراتيجي بجـوار برج القاهرة الذي دفعت المخابرات المركزية الامريكية ثمن انشـائـه ـ ٣ ملايـين دولار ـ كما سبق ذكـره . . وكـانت تدرس فيه محاضرات المخابرات المـركـزيـة الامـريكيـة عن طريق شركة بوز آلف وهاملتون (٥٤) لضباط المخابرات والمباحث وضباط امن الوزارات وبعض اعضاء السلك الديبلوماسي بالخارجية. وذلك حسب رواية فريد طولان مدير المعهد في ذلك الوقت.

«كـان النمـوذج الامـريكي هو المثال الذي تهتدي به اجهزة المباحث والمخابرات في ذلك الـوقت. وقـد تسـربت أجهـزة المخـابرات الامريكية الى بعض ضباط هذه الادارات، كما حدث عندما ذهب البكباشي احمد حلمي مدير قسم مكافحة الشيوعية بالمباحث العامة الى امـريكـا لعمـل غير معـروف دون استئـذان أو ابـلاغ الجهـات المختصة اذ كان قد ابلغ أنه يقضي اجازته السنوية في قبرص وشوهد هناك مصادفة، ولما علم «زكريا محيي الدين» بذلك اصـدر قراراً باحـالتـه الى الاستيـداع، حيث بقي لمدة عام، وانتقـل بعـد ذلك الى اجهزة البوليس العادية بغير محاكمة. حدث التسرب الامريكي رغم ان وزارة الداخلية لم تحتفظ في المبـاحث العـامـة سوى بأربعـة ضباط فقط من رجال البوليس السياسي السابقين ورغم ان العسكريين فرضوا اشرافهم على وزارة الداخلية منذ الايام الاولى»(٥٥)

وعبثا نفهم كاتبا غير مخلص، فنحن لانفهم معنى قوله «رغم ان». . ؟! إن اخراج رجال السراي والانجليز من المباحث العامة، وسيطرة العسكريين المتحالفين مع الامريكان، كان الشـرط الضـروري لتـوفـر المناخ الصالح للتسرب الامريكي. وهذه غلطة قاتلة تسقط فيها هذه الانقـلابـات، اذ ان الانفتـاح والتعـاون الصـريـح مع اجهـزة المخابرات الامريكية او الاجنبية يعطيها شعوراً كاذباً بالاطمئنان، ان هذ الاجهزة لن تلعب من وراء ظهرها، ولن تحاول تجنيـد عنـاصر داخل اجهزتها المحلية، وهذا وهم، لأن المخابرات الاجنبية تنتهز هذا المنـاخ، وهـذا الانفتـاح، لزرع عنـاصرهـا، وتـدمـير العناصر الوطنية المعارضة في اجهزة الامن. . ولعل هذا يفسر لنا السهولة التي يتم بها الانقلاب الاكثر امريكية فيما بعد، أوحتى اغتيال رئيس الدولة أو اعتقاله من اقرب المقربين له أومن يظن أنه اخلص اعوانه. . ان فترة التعاون مع المخابرات الامريكية، قد ادت الى تسرب لا يعلم أحد مداه، من جانب هذه المخـابـرات داخـل مؤسسـاتنـا، خاصـة وان الـذي يقبض عليه متلبسا ـ ان صحت رواية حروش ـ يعـاقب بالاستيـداع سنـة ثم يعاد للخدمة معززا مكرما بلا محاكمة، في وقت كان العمال يشنقون فيه لأنهم يطالبون «ثورتهم» بتحسين احوالهم، وكان من يضبط بتهمة اعطاء بعض الطعام لاسر المعتقلين من الاخوان يسجن ربع قرن!!

ويقـول حروش: ارسلت الحكـومـة المصـريـة عدة بعثـات تدريبيـة في اعـمال البـوليس والمخـابـرات مثـل الصـاغ حسـين عرفه رئيس المباحث الجنائية العسكرية بالبوليس الحربي

الذي حصل على فرقة في معسكر كامب كوردون بولاية جورجيا. وهذا مثل وحيد لعشرات من الفرق».

وحروش حزين أو عاتب لأن «الثورة المحبوبة» استعانت باسوأ العناصر، من اعوان النظام المنهار بل التفايات التي كانت الحركة الوطنية قد عزلتهم تماما مثل نجوم دار اخبار اليوم.. ومثل «حسين عرفه» الذي كان يتولى حراسة الملك فاروق في الكباريهات، من خطر الضباط الاحرار. تولى بعد الثورة حماية هؤلاء الضباط من الشيوعيين ولكن بعد التدريب في امريكا ويقول حروش: «حاولت حركة الجيش ان تواصل لعبتها السياسية في التسرب داخل صفوف الشيوعيين، كما فعلت ذلك مع الاخوان المسلمين، فكلفت بذلك «حسين عرفه» رئيس المباحث الجنائية العسكرية» ويقول «ارسلت الحكومة المصرية عدة بعثات تدريبية في اعمال البوليس والمخابرات مثل الصاغ حسين عرفه رئيس المباحث الجنائية ويقول: «لعبت المخابرات المركزية (الامريكية) دورا كبيرا في افساد العلاقة بين التنظيمات الشيوعية المعبرة عن آمال الفلاحين والطبقة العاملة وبين حركة الجيش التي فرضت نفسها بقوة السلاح ممثلة للطبقة الوسطى».

الامريكان وعبد الناصر يعدان بتكوين طبقة وسطى بعد عمر طويل، والسيد حروش يفتى بأن حركة الجيش هي حكم الطبقة الوسطى؟!

ويستعرض حروش نماذج شديدة النجاح في تغلغل رجال الثورة في الاحزاب السياسية وتمزيقها من الداخل، وهو لا يريد ان يقول صراحة، ان الفضل في ذلك لنفس القوى التي استطاعت استئصال التنظيمات الشيوعية، لأن رجال الثورة كانوا بلا خبرة تقريبا، فكيف يتمكنون من تمزيق احزاب اعرق واحفل بالخبرات؟ بل ان التنظيم السري للاخوان كان اقوى واكثر انضباطا من تنظيم الضباط الاحرار، مع فارق الدبابات والنصيحة الامريكية.. والشيوعيون كانوا أخبر بفن التسلل.. حروش وامثاله لا يريدون الاقرار بفضل المخابرات الامريكية في التمكين لثورة يوليو... وهذا من قلة الوفاء الذي انتقده «أمين هويدي» بحق - وإن كان هو لم يتسم بالوفاء على الوجه الاكمل، والا لأشاد بالمساعدة «الاخوية» «النبيلة» التي قدمتها المخابرات الامريكية حامية «الثورات» وقائدة معسكر الشعوب الحشاشة!..

وناصري آخر من ناصري الساعة الخامسة والعشرين، تنبه الى ان خصوم ثورة يوليو يركزون هجومهم على المخابرات بالذات، وليس المباحث العامة وذلك كما قال لأن هذه المخابرات كانت المدرسة التي خرجت الكوادر السياسية»!

صدق والله!

المدرسة التي انشأتها ودربتها المخابرات الامريكية!..

يقـول كويـلانـد : «يجب أن نتذكر دائما، في تعاملنا مع عبد الناصر ان قاعدة القمع هي كل شيء بالنسبة له، ولذا يجب الانندهش عندما نجده بعد كارثة ابشع هزيمة في التاريخ العسكـري الحـديث، قد جلس وهـو ومعـاونوه يفكرون لا في اعادة بناء مصر، بل في كيفية استعادة الثقة في الجيش. . .».

هذه هي روايـة «مـايلز كوبـلانـد» عن بداية انقلاب ٢٣ يوليو. . وعن الاتفاق الذي تم قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بين المخابرات الامريكية ممثلة في «كيرميت روزفلت» منفذ الانقلاب على مصـدق في ايـران ـ فيـما بعـد ـ وبين رجال عبد الناصر. . ثم بعض الوقائع التي قدمها عن التعـاون بقلب مفتـوح بين عبـد النـاصـر ورجـالـه والمخـابـرات الامـريكية بعد نجاح الانقـلاب. . ولاشـك ان هذا التعاون وعلى هذا المستوى هو دليل «المعرفة السابقة» اذ ان «الثـورات» عنـدمـا تصـل الى السلطـة بجهـدهـا الذاتي ورغم انف الاستعمار والرجعية، لاتنفتح من اليوم الأول على هذا النحو مع اخطر جهاز استعماري. . ورغم كل الادلة التي قد منـاهـا على صدق روايـة «مـايلز كوبلاند». . الا اننا أحببنا ان نعززها بمصادر أخرى، حتى لايبقى في النفس شك، وقـد عثرنـا على كتـاب مخابـراتي آخـر، من جهـاز منـافس للمخابرات الامريكية، لم يقدر له شهرة مايلز كوبلاند، وربما كان السبب في اعتقادي، انه اخـذ جانب العـرب في عرضـه للصـراع العـربي ـ الاسـرائيـلي، وحمـل اسرائيل المسؤ ولية الكبرى في افشال محاولات السلام في المنطقة واثبت ان اسرائيل لم تفكر يوما تفكيرا جديا في السـلام مع جيرانهـا، بل كانت تفضـل مفاوضتهم بالسلاح دائما. . . ولذا كان من المحتوم ان «يدفن» هذا الكتاب ويواريه النسيان. .

والكتـاب ايضـا حملة قاسيـة ضد المخـابـرات الامـريكيـة، فهويتهمها بأنها كانت احد الاسبـاب الـرئيسيـة في افشـال السيـاسـة الامريكية في الشرق الاوسط، بل وفيما جرى من تدهـور في هذا الشـرق الاوسـط. . لأنهـا كما سنـرى ـ في رأيه ـ تجاوزت مهمتها التقليدية، وهي، جمع المعلومـات، وتـورطت في الانقـلابـات، وتغيـير الحكـومات، وتوجيه السياسة الـداخليـة للدول العـربيـة، وتمثيـل السيـاسـة الامـريكية بدلا من المؤسسات الدستورية الامريكية العلنية! . .

والكـاتب مع «نبـل» مقـاصـده، أوعلى الاقـل صدقه، يتميز بالسذاجة، فهويتآمر مع السيـاسي السـوري ميخائيل العليان، على قلب الحكومة السورية ويدفع له نصف مليون ليرة لرشـوة ضبـاط الجيش السوري والصحفيين. . ثم يسأله في براءة: «وهل سندفع أيضا للسياسيين السوريين . . . أم أن غيرتهم الوطنية وحرصهم على انقاذ وطنهم فيه الكفاية»؟ . .

ويعلق هو نفسه بأن المتآمر السوري، «نظر الي نظرة أمي عندما كنت اعملها على

نفسي»[٥٦]! . .

ولـذلـك فرغم انـه كان داخـل العمليـة، إلا أن المخـابرات الامريكية اعتبرته دائما من الغـربـاء أو «الظهـورات» «من محادثـاتي مع منـدوب CIA اقتنعت بأنهم يعتبر وني متطفلا يستحسن أن ابتعد عنهم».

فهو أساسا من جهاز منافس هو «المخابرات العسكرية» التابعة لوزارة الدفاع . . وحتى في العمليـة الكـبرى التي اشـترك فيهـا وهي تدبير انقلاب في سوريا عام ١٩٥٦ والذي فشل فشـلا مدويـا، وتسبب في فضيحـة هائلة للاميركان ، ودفع سوريا خطوات أبعد في الاتجاه المعـادي للغـرب والمصادق للاتحاد السوفيتي . . حتى في هذا الانقلاب، أخفيت عنه الكثير من الحقائق كما يعترف هو نفسه : «استنتجت ان هناك جوانب من العملية لم أحط بها علما، ولم أغضب ، فلا أحد كان وعدني باطلاعي على كل ما تفعله المخابرات CIA في عملية سوريـا»[٥٧] مع انـه كان في قلب العمليـة، وكـان يعمـل بعقـد ـ وقتها ـ أو منتدبا من وزارة الـدفـاع للمخـابـرات الامـريكيـة . . وهـو الـذي كان ينقـل الامـوال كل ليلة الى القصر الجمهوري في عهد شمعون لتمويل تزييف الانتخابات التي كانت السبب في ثورة لبنان عام ١٩٥٨ . . وهـو الـذي فاوض ناصـر على قبـول الـدفـاع المشترك وهدده بأن حلف بغداد سيضم كل الدول العربية ويترك مصر وحيدة . . وعمل في سياسة الاحلاف من عام ١٩٥٣ . .

وقـد فشلت مؤامـراتـه، وثبت خطأ تحليـلاتـه، وحطم ناصـر و«اصدقاؤه» حلف بغداد وعـزلـوا العـراق ولم تعزل مصر . . وهو يعتقد ان المخابرات الامريكية اورجال ال CIA هم الـذين افشلوا جهـوده ، وهـو يحملهم مع اسـرائيل، أو حتى قبل اسرائيل، مسؤولية فشل السياسة الامريكية في الشرق الاوسط.

وهكذا فإذا كان كتاب «لعبة الامم» هو دفاع المخابرات الامريكية عن دورها في الشرق الاوسط، وبالذات عن مراهنتها على عبد الناصر و«ثورة» ٢٣ يوليو، واعتذارها بأن مخططها كان سليما وعبقريا، وكان أحرى به أن ينجح لولا اخطاء ولخبطة الهواة من بير وقراطي وزارة الخـارجية والبنتاغون، والسياسيين في الكونغرس والبيت الابيض . . . الذين افسدوا اللعبة ودفعوا عبد الناصر الى الصدام مع الولايات المتحدة . . فإن كتاب «حبال من رمال» الذي الفه «ولبر كراين ايفيلاند» الذي كما قلنا، يمثل جهازا آخر منافسا هو المخابرات العسكرية، قد شن ـ كما قلنا ـ هجوما صارخا على المخابرات الامريكية.

فالكتـاب يتبنى وجهـة النظر التي كانت هامسة في اروقة وزارتي الخارجية والدفاع خلال الخمسينـات والستينـات، الا أن النجـاح الهـائـل للمخـابـرات الامريكية في قلب حكومة جواتيـمالا ، واعـادة الشـاه الى عرشه، «وطرح عبد الناصر زعيما للقومية العربية» . . . كان

يخرس هذه الهمسات ويطلق يد المخابرات الامريكية، ولكن في النصف الثاني من الستينات بدأت الانتقادات تشتد والاعتراضات تصبح مسموعة اكثر، حتى كانت السبعينات، وطرحت المخابرات CIA للنقاش بل التجريح العلني، وفتحت ملفاتها، وطالب السياسيون والرأي العام بمحاسبتها. . . وارتفع صوت اصحاب الشعار القديم القائل بأن سياسة الولايات المتحدة الخارجية لا يرسمها وينفذها الا الاجهزة المسئولة امام السلطة التشريعية، وأن مهمة المخابرات هي جمع المعلومات فحسب. . وهذه بالطبع مبادىء نظرية، فإن اغراء تحريك الاحداث بضربة مخابراتية، مثل اغتيال زعيم مناوىء، أو قلب حكومة لا أمل فيها، اودعم زعيم متعاون. . . ودفعه للسلطة. . . يظل اقوى من أن يخضع للاعتبارات الدستورية والتقاليد التي لم تتجاوز الكتب والبيانات الرسمية. .

المؤلف «ولبر كراين ايفيلاند» يعود مجددا فيطرح هذه الشعارات عندما يقول:

«من المستحيل فهم استمرار فشل السياسة الامريكية في الشرق الاوسط، دون أن نأخذ في الحسبان، سوء استخدام ال CIA (من اختصار اسم المخابرات الامريكية وسنكتبها احيانا السي آي ايه أو CIA فعسى ان لايشق ذلك على القارىء ج) لمسؤولياتها واختصاصاتها في تلك المنطقة، والى اي مدى أهمل مديروها، تقدير المعلومات التي حصلت عليها، والى اي مدى اعتمدنا على قدرة المخابرات الامريكية في تنفيذ عمليات تآمرية واستغنينا بذلك عن ضرورة وضع سياسة خارجية راسخة، ودبلوماسية تقليدية ولذا فإن ما اكتبه عن نشاط المخابرات الامريكية وفشلها لايقصد به أن يكون مثيرا بل مجرد جزء من الحقيقة حول مشكلة وجودنا في الشرق الاوسط»(٥٨)

ويقول: «وسرعان ما عرفت ان المخابرات الامريكية تحت «آلن دلاس». كان لديها قابلية محدودة للاستفادة من المعلومات عن العلاقات العربية ـ الاسرائيلية. لأنه تحت رئاسة «آلن دلاس» كان خبراء المخابرات الامريكية مشغولين بالعمليات السياسية، واقل اهتماما، من المخابرات العسكرية، بالمهام الروتينية الخاصة بجمع المعلومات، عن الواقع القائم فعلا. . ان محللي ال CIA لاشك في كفاءتهم، ولكنهم كانوا في المرتبة الثانية داخل ال CIA بالنسبة لزملائهم العاملين في الخدمة السرية». (٥٩)

أي ان النجاح الذي حققته عمليات التآمر، ونتائجها السريعة والمثيرة، جعلت الجهاز كله يهتم بهذا اللون اكثر من جمع المعلومات واصدار التحليلات. . . فما دمت تملك تغيير الواقع بشراء حفنة من الضباط، أو بعشرة الآف دولار كما تفتخر مجموعة كيرمت روزفلت التي اشتركت في قلب حكومة مصدق، واقامة اقوى عميل لامريكا لمدة ربع قرن. . أو حتى بمليون دولار كما جاء في كتاب روزفلت نفسه، ما دام يمكن تغيير الواقع بهذه السهولة، فلماذا انفاق الجهد في دراسة المجتمع الايراني، على طريقة الانجليز قبل مائتي سنة؟!

وهكذا تراجع قسم التحليل والمعلومات، وأصبحت الشهرة والحظوة من نصيب العاملين في الميدان وفي قسم المؤامرات. . . وهذا زعم المؤلف بالطبع. . ولا نملك نفيه او اثباته وان كنا نعتقد ان قسم المعلومات ربما لم يقصر ولكن «المتنفذ» يعلم ما يجب لا ما يدرس له!

يقول: «عندما اصبح «فوستر دلاس» وزيراً للخارجية و«آلن دلاس» شقيقه مديرا للمخابرات الامريكية. فإن كل رؤساء المخابرات العسكرية وايضا ادغار هوفر (مدير المباحث الجنائية ج) تخوفوا من أن تأخذ العمليات السرية للـ CIA الاولوية على مهمة جمع المعلومات. وقد تحققت المخاوف عندما قامت المخابرات الامريكية بتوجيه من آلن دلاس، بتغيير الحكومة في ايران ١٩٥٣ وقلب النظام في غواتيمالا ١٩٥٤ بالاضافة الى ان عمليات ال CIA بدأت قبل أن يصبح آلن دلاس رئيسا، وأصبح لها وجودها، مما جعل من الصعب على الولايات المتحدة التخلي عنها».

وقد ختم كتابه بأمنية تقول: «آمل ان تتفرغ الـ CIA لمهمتها الاصلية وهي جمع المعلومات، وتجنب اغراء العلاج السريع، بتدبير انقلاب، وهو الاسلوب الذي كلف الولايات المتحدة غاليا في الشرق الاوسط. . لقد شبعنا من هذا العلاج».

وسنجد خلال استشهاداتنا من كتابه، عشرات الامثلة على التناقض بين موقفه هو والجهة التي كان يمثلها، وبين الـ CIA ورجالها واساليبها. . وليس يعنينا تناقض الرجلين أو الكتابين، وانما نهتم بما يظهر من حقائق على ضوء خلافهما. . وقد اخترنا هذا الكتاب بالذات لأنه ينفي «في هامش إحدى صفحاته» دور المخابرات الامريكية في قلب النظام الملكي، ويبرىء ساحة السفير الامريكي كافري من هذا «الغدر» بل يشيد باخلاقياته بعبارة ان كان صادقا فيها فهو حقا شديد السذاجة، ويستحق ما ناله من فشل في كل مهماته، واذا كان يخدعنا بها فهو يستحق حقا نظرة اخرى من نظرات أمه! الا أن اجابة «كيرمت روزفلت» التي رد بها على سؤاله الساذج، والتي استشهد بها هو على انعدام دور المخابرات الامريكية في انقلاب ٢٣ يوليو. اجابة تكشف مدى تقديرهم لتفكيره!! غير ان الرجل بلاشك صادق في رواية «ما رآه» وكان الاحرى به ألا يصدر أحكاما قاطعة فيما ليس له به علم، ففي عام ١٩٥٢ كان هو لايزال في المدرسة يدرس اللغة العربية، منتدبا من القوات المسلحة للعمل في المخابرات العسكرية، وقد رأينا انهم في المخابرات الامريكية لم يطلعوه على كافة اسرار العملية التي لعب فيها الدور الرئيسي، فكيف كانوا سيطلعونه على ما لم يشهده ولا دور له فيه؟!

المهم قال في هامش صفحة ٩٧ ـ ٩٨ التالي حرفيا:

«نسب كوبلاند في كتابه لعبة الامم، الفضل لكيرميت روزفلت في قصة الثورة السلمية

التي مكنت فاروق من التنازل عن العرش دون أن يصاب بأذى، ونظم احلال سياسيين محله، وان روزفلت وافق على انقلاب عسكري مذعنا لرأي كافري بأن الجيش وحده يمكن أن يواجه تدهور الحالة. وهذا لا يتنافى فقط مع اخلاق كافري ولكني ايضا عرفت ان انقلاب ٢٣ يوليو فاجأ الـ CIA تماما، وأول معلومات جاءت عبر ليوتانت كولونيل ايفانز مساعد الملحق الجوي بالسفارة الامريكية، الذي كانت له اتصالات مع ضباط مجلس قيادة الثورة. وعبر وليم ليكلاند السكرتير الثاني بالسفارة(٦٠). كافري أصر على توديع فاروق حتى خرج من مصر وبذلك حظى باحترام مجلس الثورة الذي رأى هذا الدبلوماسي البارز لا يتعامل الا مع الرئيس الشرعي للدولة(٦١). لولا أن المخابرات CIA قد وجدت في ناصر «عميلا آخر ممكنا» مثل الشاه لاستمر كافري يتعامل مع نجيب ثم مع ناصر مقدما النصح الطيب، الذي ربما جنب الولايات المتحدة الكوارث التي حدثت فيما بعد.

وفي عام ١٩٧٢ ناقشت مع كيم روزفلت الادعاء بأن ال CIA رتبت سقوط فاروق. وكان رزوفلت وقتها يربح من شركة تمثل الشاه وبعض العرب في وشنطن، وكان كيم قد اضبح متواضعا فرد على سؤالي بأنه ما كان ليحصل على ثقة زبائنه من الملوك لو كان فعلا خلع فاروق»...!

هذا ما قاله.. وهو كما نرى لا يستند الى دليل، اكثر من عدم علمه، فهو لم يقدم دليلا واحدا على مفاجأة السي آي ايه بالانقلاب، ولم يفسر كيف يكون الانقلاب مفاجأة أي عملية وطنية مصرية، وكيف تجد السي آي ايه بسرعة في «ناصر» امكانية شاه آخر؟!.. أما رد كيم روزفلت الذي كان يعمل في استثمار أموال الملوك وتقديم الاستشارات لهم فهو رد طبيعي ومتوقع فما كان روزفلت بالذي يفخر في ١٩٧٢ بأنه هو الذي اهدى المنطقة «اعصار عبد الناصر» ولا كان هناك من سبب يدفعه للاعتراف بذلك لهذا الغريب الذي قرر روزفلت نفسه عدم اعطائه المعلومات عن العمليات التي كان ايفيلاند نفسه يقوم بها والذي أفشل رجاله في الـ CIA.. مهمته في مصر على الاقل..

ورغم ذلك فنحن نقبل ايفيلاند كشاهد نفي، لأن روايته وشهادته بما شاهده وسمعه عن تلك الفترة تدعم رواية كوبلاند الى اقصى حد، وبالذات لأنه شاهد نفي.. وهو الذي قال على اية حال الآتي: «منذ اوائل الخمسينات جند كيرميت روزفلت ومحطة السي آي ايه في القاهرة، ثلاثة من الصحفيين المصريين البارزين «كعملاء» للمخابرات الامريكية هم: محمد حسنين هيكل والاخوان أمين.. مصطفى وعلى».. وان ناصر كان يعرف ذلك(٦١)..

وهو الذي قال ان المخابرات الامريكية هي التي اقامت «صوت العرب» من الناحية الفنية بتزويده بالمعدات الميكانيكية، ومن الناحية الدعائية بالخبراء في الدعاية.. وهذه

اشياء رآها وسمعها بنفسه، وبمقارنتها بما جاء في كتاب مايلز كوبلاند، ورسالة مصطفى أمين، وشهادات الناصرين والضباط والاحرار يستطيع القارىء «المغفل» أن يكون فكرة عن مدى سيطرة المخابرات الامريكية على الاحداث التي جرت في مصر ابتداء من عام ١٩٥٢ ومدى التعاون بين نظام ٢٣ يوليو وهذا الجهاز. . وكما قلنا الف مرة، ليس الهدف اتهام أحد، ولا إثارة احد، وانما محاولة لفهم التاريخ، والاستفادة من دروسه وعبره[٦٢] . .

قال في شرح ارتباط المخابرات الامريكية بالمخابرات الاسرائيلية ونشاط كيم روزفلت في الشرق الاوسط: «خلال عمل «جيمس انجلترن» في المخابرات (o.s.s) في الحرب العالمية الثانية، كون علاقات مع مجموعات المقاومة اليهودية في لندن، وتم تبادل المعلومات بعد ذلك مع الموساد، واصبحت الـ CIA تعتمد على الموساد (المخابرات الاسرائيلية ج) اعتماداً «كبيراً» في معلوماتها عن الدول العربية. وفي ايران كان كيرميت روزفلت خبير آلن دلاس في الشرق الاوسط منشغلا ببناء «السافاك» لضمان عدم خلع الشاه مرة ثانية. والآن عرفت ان الحاج روزفلت على ان مصر ـ جمال عبد الناصر، يمكن استخدامها لخدمة اهداف أبعد للولايات المتحدة في الشرق الاوسط، ينظر اليه (أي لهذا المطلب ج) بحذر من قبل معظم خبراء وزارة الخارجية. ولكن الاخوين دلاس كانا موافقين على السماح لروزفلت بأن «يدير رأسه» (أو يجرب محاولته ج) مع ناصر في الوقت الحاضر. واذا وضعنا في اعتبارنا سيطرة فوستر دلاس على استراتيجية الولايات المتحدة الخارجية، فقد كان ذلك يعني اعطاء موافقة حكومية على خطط روزفلت بالنسبة لناصر»[٦٣] .

بدون انفعال! ماذا تعني هذه الفقرة؟

١ـ كيرميت روزفلت نائب مدير المخابرات الامريكية لشئون الشرق الاوسط ومنفذ الانقلاب الامبريالي في ايران، و«صديق» مصطفى امين من الحرب العالمية، والذي عن طريقه قدمت المخابرات الامريكية خدمات لها مردود مالي «لاخبار اليوم» بنص رسالة مصطفى أمين. .

٢ـ هذا الكيرميت روزفلت يراهن على أنه سيستخدم مصر الناصرية لمصلحة أمريكا

٣ـ خبراء وزارة الخارجية يشكون في نجاح هذه العملية.

٤ـ آلن دلاس مدير المخابرات وجون فوستر دلاس وزير الخارجية، وهما بلا شك اكثر علما بحجج وامكانيات روزفلت، وافقا على اعطاء فرصة لروزفلت لامتحان «اختراعه» في مصر. . ؟!

أليست هذه علاقة طيبة جدا مع المخابرات الامريكية؟

كيف قامت هذه الآمال الى حد المراهنة عليها في خاطر نائب مدير المخابرات الامريكية والرجل الذي يلعب في السياسة المصرية، وصديق الملك فاروق منذ الاربعينات؟!

كيف لم تساوره هذه الآمال لا هو ولا غيره عن هوشي منه أو ماوتسي تونغ أو كاستر و وساورته ـ دون سابق معرفة ـ مع ثورة «فاجأته تماما»؟! . . . ويبلغ من قوة انسيابه في هذه الآمال ان وافق وزير خارجية امريكا والمدير العام لمخابراتها على اطلاق يده ليجرب تجربته؟! . .

بدأ اتصال المستر «ولبر كران ايفلاند» بمصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء، وله فيها ملاحظة في منتهى الدقة، اذ قال ان اول مشاريع الدفاع الغربية عن الشرق الاوسط هي المعاهدة التي وقعها عبد الناصر مع بريطانيا في ٢٤ اكتوبر ١٩٥٤ . . لأنها اعطت بريطانيا الحق في العودة الى مصر اذا ما وقع عدوان على تركيا . . أو المنطقة العربية . . وهذه سنرجع لها في فصل الاحلاف .

المهم يقول: «أخبر «محمود فوزي» السفير الامريكي، ان مصر قررت بعد دراسة مكثفة ان لا تطلب سلاحا من امريكا (؟ج) ولكنها تطلب زيادة المعونة الاقتصادية . وقد اثار التقرير ثائرة ممثلي الـ CIA في مجلس تنسيق العمليات .O.C.B وقالوا أن السفير الامريكي ليس له مداخيل (entree) مع رئيس الوزراء ناصر. وان جميع المفاوضات الامريكية الخاصة بالمساعدة العسكرية ـ على حد قولهم ـ كانت تدار بين ناصر وكيرميت روزفلت بتاع الـ CIA (٦٤) وافراد محطة (٦٥) الـ CIA في القاهرة . وبناء على ما ذكره «روزفلت» فان «ناصر» يريد مناقشة صريحة لامكانيات تقديم مساعدة عسكرية لمصر. وان الـ CIA دبرت اعطاء ناصر ٣ مليون دولار من المصروفات السرية . وكذلك اقترحت CIA تقديم معونة عسكرية لمصر في حدود اربعين مليون دولار، وبما ان هذه الترتيبات كلها سرية، فان الامر لا يتطلب ارسال بعثة عسكرية للعمل في الجيش المصري، كما يقضي قانون الأمن المشترك الامريكي. على انه وفقا لخطة الـ CIA فان مفاوضين باسم البنتاغون في ثياب مدنية، سيرسلون لمناقشة عقد اتفاقية رسمية مع مصر لتأمين مساعدة عسكرية بمبلغ ١ , ٢٠ مليون دولار مقررة فعلا لمصر. . ».

الشرح :

١ ـ خبر «غريب» ارسله كافري يزعم فيه على لسان «محمود فوزي» ان مصر لا تريد (في اكتوبر ١٩٥٤) معونة عسكرية . ولما عرض الأمر على اللجنة المشتركة للخارجية والدفاع والمخابرات الامريكية، غضب مندوبو الـ CIA ورفضوا هذه المعلومات، وقالوا ان كافري لا يعلم شيئا وليس له اتصال مفتوح مع ناصر الذي يعرف ويدبر كل شيء (لم يكن نجيب قد خلع رسميا ولكنه كان قد فقد كل سلطاته حتى الشكلية من نهاية مارس ١٩٥٤) .

٢ ـ جميع المفاوضات الخاصة بالسلاح مع ناصر لا تدار عن طريق السفارة، بل عن طريق رجال المخابرات الامريكية .

٣ـ الـ CIA هي التي خططت اعطاء ناصر ٣ ملايين دولار من المصاريف السرية وبذلك تتأكد قصة مايلز كوبلاند حرفيا. وهذه هي الملايين الثلاثة الشهيرة التي بنى بها عبد الناصر برج القاهرة، وان كانت هناك رواية تقول ان البرج تكلف مليونا فقط، ولايعرف اين ذهب المليونان.

٤ـ المخابرات الامريكية كانت تعرف استحالة قبول عبد الناصر بعثة عسكرية للاشراف على انفاق المعونة، فاقترحت اعطاءه اربعين مليوناً بطريقة ما لا تتطلب هذه الشروط.

٥ـ تقرر ارسال مندوبين من وزارة الدفاع الامريكية في ثياب مدنية للتباحث مع عبد الناصر.

قال :

«وعند اعداد توصياتي لوزير الدفاع حول اقتراحات الـ CIA أوصيت بمعارضتها باعتبارها معارضة للقانون، وقد وافقوا على عرضي ورفع الى اجتماع مكتب التنسيق. وكان اعتراضي الرئيسي هو أن مصر أبلغت ان حاجتها ما بين خمسين ومائة مليون دولار أسلحة كمساعدة، ولذلك فان الملايين المقترحة من الـ CIA كترضية أو تحلية sweetener لا اعتقد انها ستؤثر على ناصر خاصة عندما يعلم أن ١ , ٢٠ مليون فقط متاحة كمنحة عسكرية. وان من هذه الـ ١ , ٢٠ مليون تقترح وزارة الخارجية اقتطاع ٨ ملايين واعطاءها لاثيوبيا، وعلى ضوء ما رأيته من غضبة باكستانية، لأنهم نالوا اقل مما يجب. اقترحت ان نقبل رفض فوزي خلال القنوات الدبلوماسية العادية. وان هذه العمليات السرية قد ترتد علينا.. وفي اجتماع «مجلس تنسيق العمليات» رفضت توصياتي وانتصرت موجة الـ CIA السائدة، واكثر من هذا أوصى مجلس وزارة الدفاع باختيار ضابطين للتوجه سرا الى مصر لمقابلة ناصر بترتيب من الـ CIA . اما الادميرال ديفيز الذي كان يؤيدني، ولكنه يعرف متى يحسن الانحناء فقد قال لي: «اذا لم نقدر على هزيمتهم، فدعنا ننضم اليهم ونفتح اعيننا على اموالنا». وتقرر ان اكون انا احد الضابطين اللذين يقابلان ناصر، وان ارشح الضابط الآخر. وقد وافق ديفيز على اقتراحي بتعيين الكولونيل «آلن جيرهاردت» الذي كان صديقا لبايرود والذي كان قد نقلني الى وزارة الدفاع. ولأن رحلتي للقاهرة تعني اشتراكي في عملية نظمتها الـ CIA ، فقد بدأت برؤية «بايرود» وكيل الخارجية المساعد، لأسأله هل الوزارة (الخارجية ج) تؤيد فعلا، ان يدير رجال العمليات السرية في الـ CIA الدبلوماسية الامريكية في مصر؟.. وعندما سألت بايرود اذا ما كان الاخوان دلاس يدبران فيما بينهما صنع وتنفيذ السياسة الامريكية الخارجية؟.. اذكر انه ضحك..».

الشرح :

١ـ واضح انه كان يقود المعارضة ضد المخابرات الامريكية في مكتب تنسيق

العمليات . . وزارة الدفاع تبنت توصيته بالغاء خطة الـ CIA والدخول في مفاوضات رسمية علنية مع عبد الناصر. ولكن مكتب التنسيق كان اعلم، ولذلك رفضت توصيته، وتقرر ارساله مع ضابط آخر لمصر للمفاوضة سرا مع ناصر بترتيب المخابرات الامريكية وفي نطاق خططها، وداخل اطار نفوذها . .

٢ـ كانت المعارضة منتشرة لهذا الاسلوب، ولانفراد رجال السي آي ايه بتوجيه أو تنفيذ سياسة امريكا في مصر فهو يقول صراحة لوكيل الخارجية المساعد والذي سيصبح سفيرا في مصر، إن الاخوين دلاس يعملان خارج المؤسسة الشرعية أو خارج القنوات التقليدية للدبلوماسية الامريكية. وبايرود يضحك!

وهو يقول ان «بايرود» كان معارضا لاسرائيل فطالب اليهود اخراجه من الوزارة، ولكن دلاس مدير المخابرات وروزفلت اقترحا تعيينه في مصر، حيث حولته المخابرات الامريكية الى «طرطور» كما يفهم من عرض كوبلاند وايفيلاند ومصطفى أمين وبغدادي . . الخ. قال ايفيلاند انه سأل لويس جونز الرجل الثاني في السفارة الامريكية بالقاهرة عن «الاحوال في سفارتنا، فقال ان وضع بايرود شبه يائس، وانه يتساءل . . من يمثل الولايات المتحدة في مصر، وفي التعامل مع عبد الناصر . . هو . . أي السفير . . أم المخابرات الامريكية؟! لأن مايلز كوبلاند كان يرى الرئيس المصري كلما حلا له، وكان يعده بكل ما فوق قدراته والطاقم الضخم للمخابرات الامريكية في مصر يتعامل مع الحكومة المصرية على كافة المستويات تقريبا، كما يتعامل مع الصحافة المصرية ذات النفوذ. وقال «جونز» انه كان من الافضل ترك مفاوضات السلاح لكافري ثم بايرود، لتفادي اعطاء ناصر انطباعا خاطئا بقدرة المخابرات CIA على اكتشاف حيلة لتفادي توقيع مصر لاتفاقية المعونة العسكرية.

وقد اورد «كوبلاند» اكثر من قصة عن اهمال وتخطي المخابرات للسفير الامريكي بايرود، لأنه كان من خارج اللعبة، ولأنه كان من منتقدي سياسة الانحياز لإسرائيل، واشهر هذه القصص المتداولة في صحافتنا والكتب العربية عندما فوجىء السفير بوجود «كيرميت روزفلت» في القاهرة على مأدبة عشاء، عندما دخل متأبطا ذراع الرئيس عبد الناصر دون ان يكون لدى السفير الامريكي (بايرود) ولا مجرد علم بوجوده في القاهرة. وقد انفعل واثار حادثة ضرب موظف بالسفارة، والقصة موجودة في كتاب كوبلاند (الصفحات من ١٦١ ـ ١٦٥) اما ايفيلاند فيضيف تعليقا صغيرا يوضح طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الـ CIA والسفير . . قال «وعرفت من كوبلاند ان بعض صغار الموظفين المصريين اتهموا الملحق العمالي بالسفارة بالتجسس وضربوه علقة امام البوليس المصري الذي وقف متفرجا، فسألت ايكلبرغر: هل هو من رجالك (المخابرات) قال لا : لو كان من رجالي ربما لم يكن بايرود يستاء! ».

٣ـ كانت الجهة صاحبة الكلمة النافذة في شئون مصر هي المخابرات، ولذلك فان الادميرال نفسه ممثل وزارة الدفاع لم يجد ما يقوله غير «اذا لم تقدر عليهم فانضم اليهم» . .

وهنا نسأل بكل ادب . . ما السبب في اعطاء الـ CIA كل هذا النفوذ أو اليد المطلقة في مصر الناصرية . . الا يعني ذلك أن لهم رصيدا يخولهم التحدث بهذه الثقة، ويعطيهم الحق في طلب اطلاق يدهم؟!

قال:

«لبسنا ثيابا مدنية، لأن ناصر كان قد تخلص لتوه من ٨٠ ألف عسكري، ولم يكن يتحمل وجود عسكريين اجانب جدد. وسافرت انا وجيرهاردت من نيويورك الى لبنان حيث انتظرنا عدة ايام حتى تصل موافقة المخابرات الامريكية على متابعة السفر للقاهرة. وقد حاولت ان اثني جيرهاردت عن الحديث مع ناصر عن التحالف العسكري، مشيراً الى المحاولات الفاشلة السابقة لبريطانيا لجر مصر الى قيادة الشرق الاوسط ومنظمة الدفاع عن الشرق الاوسط . . وقلت ناصر سيرفض أي حديث عن مبادلة السلاح بمحالفة الغرب . . ويجب ـ فقط ـ أن نناقش الاحلاف الدفاعية اذا ما اثار ناصر الموضوع، وفي هذه الحالة يمكن أن نشير الى المشاكل السياسية الموروثة في الجامعة العربية وميثاقها الدفاعي الذي من خلاله حاول العرب عبثا أن يتحدوا في مواجهة قيام اسرائيل. والافضل ان نناقش كيف تستخدم مصر الخمسة ملايين دولار المصروفة من المصروفات السرية لدعم مجلس الثورة وتحسين الأمن الداخلي، ثم نستكشف مع ناصر موضوع رغبته في الحصول على الـ ١ , ٢٠ مليون دولار منحة سلاح التي قررتها وزارة الدفاع.

«وفي اليوم التالي عرفنا ان الرئيس نجيب اتهم في محاولة لاغتيال ناصر الذي أصبح من المتوقع ـ الآن ـ أن يتولى الرئاسة. وخمنت ان المخابرات CIA قد احتجزتنا في بيروت لأنها كانت تتوقع اضطرابات في مصر، ورغم امتناني لقيام المخابرات بوظيفتها في جمع المعلومات الا انني تساءلت، ترى هل تآمرت الـ CIA مع ناصر للتخلص من محمد نجيب؟!».

الشرح:

١ ـ كان الجو في مصر متوترا ضد أي مظهر عسكري أمريكي أو قل ضد أي وجود عسكري غربي، وعلى أساس أن مدنيا امريكيا لن يحس به الكثيرون فقد جاءا في ثياب مدنية.

٢ـ وصلوا الى بيروت فاحتجزوا هناك بأمر الـ CIA ومنعوا من التقدم الى القاهرة.

٣ـ في اليوم التالي كانت محاولة اغتيال عبد الناصر واتهام نجيب . . الخ.

٤ـ استنتج على الفور، لأنه يفكر برأسه وليس بعصا حزه البسيوني، أن الـ CIA احتجزتهما في بيروت لأنهما كانت تتوقع اضطرابات في مصر، وأحس بالامتنان والشكر لأن المخابرات الامريكية، مازالت تجمع المعلومات، ومن ثم عرفت بمحاولة اغتيال جمال عبد

الناصر قبل وقوعها. . وباعتبار «الانفتاح» الذي تحدث عنه «الاخوان في امريكا» بين ناصر والمخابرات الامريكية اشتم الرجل بحاسته المخابراتية ان شيئا ما قد «طبخ» فتساءل هل تآمرت الـ CIA مع ناصر للاطاحة بنجيب؟ . . وهذا الظن، أو هذا الذي طرحه الرجل وكأنه «تخمينه» من ذكائه، اكدته رواية خالد محي الدين وحمروش، بل وتؤكده رواية «مصطفى امين» في رسالته لعبد الناصر عن قرار خبراء المخابرات الامريكية بأن «نجيب» لا يصلح! . .

على اية حال نطرح سؤالا أبسط من ذلك. . هل يعقل ان المخابرات التي كانت لها كل هذه الصلات مع ناصر والتي كانت تراهن عليه ضد شكوك وتشاؤم أو تربص الاجهزة الامريكية الاخرى، هل يعقل أن تعلم بمؤامرة على حياته ولا تبلغه بها ليأخذ حذره؟!! ومن ثم هل لنا أن نقول أن عبد الناصر لم يفاجأ تماما عندما اطلقت الرصاصات اياها وهو على المنصة في ميدان المنشية؟

قال:

«في مطار القاهرة قابلنا مايلز كوبلاند «بتاع» محطة الـ CIA في مصر، وخلال تمريرنا في الجوازات والجمرك والحجز لنا في سميراميس، كان كوبلاند يستخدم اسم عبد الناصر بلا حساب أو تكليف. ومن اجل السرية انتقلنا من سميراميس الى منزل كوبلاند في المعادي[٦٦]، . . . تحدثنا مع مايلز وجيمس ايكلبرغر عن محطة الـ CIA في القاهرة، وعلمت ان كوبلاند يعمل تحت غطاء تجاري بعكس ايكلبرغر الذي يتستر تحت غطاء العمل في السفارة، مايلز يمثل شركة استشارات بوز، آلن هاملتون الدولية[٦٧]. وهو الذي يتعامل باستمرار مع ناصر الا عندما يكون كيم روزفلت في القاهرة. ولمح كوبلاند الى ان روزفلت هو الذي صنع رئيس مصر الجديد، وبحث معه سياسة الولايات المتحدة اكثر مما فعل مع الشاه الذي حرص كوبلاند على تذكيرنا بأنه انقذ بواسطة روزفلت».

الشرح:

١ ـ مايلز كوبلاند وجيمس ايكلبرغر ممثلا أو مديرا محطة الـ CIA في مصر وهذه معلومات اكدها كتاب كوبلاند ورسالة مصطفى امين.

٢ ـ مايلز كوبلاند يتحدث باسم عبد الناصر في مطار القاهرة والجوازات ويرهب المصريين بصلته بالرئيس المصري.

٣ ـ كوبلاند هو المختص بالتعامل مع الرئيس ناصر، الا عندما يحضر المعلم الكبير روزفلت، عندئذ يقابل روزفلت أو يتعامل هو مع ناصر، والناس مقامات. . وهذا يختلف تماما عن الصورة التي قدمها لنا محمد حسنين هيكل عن مايلز كوبلاند فالرجل كان ـ في تلك الفترة ـ إكثر اتصالا وإكثر قربا للزعيم المصري من هيكل. .

٤ـ في عنفوان مراهنة الـ CIA على الزعامة الناصرية، وفي عنفوان التعاون بين ناصر والـ CIA وفي غرفة مغلقة، ومع ممثلين لوزارة الدفاع ولمكتب تنسيق العمليات اي اعلى سلطة امريكية في العمل السري، يقول لهم مايلز كوبلاند ان روزفلت هو الذي صنع رئيس مصر الجديد..

هل يعقل ان تكون هذه مجرد كذبة لا اساس لها من اختراع كوبلاند؟!

ربما.. ولكن ما الذي رآه ايفلاند فعلا؟..

قال:

«كنت أريد أن أعرف شيئا عن مقابلتنا مع ناصر، فسألت كوبلاند، اذا كان كيم روزفلت سيحضر ليرافقنا في المقابلة، فرد على الفور.. لا واستمر لكي يريني حجمي الحقيقي فقال: «ان وزير الخارجية يدخر روزفلت للمهام الكبيرة. وسيحضر عندما تتم الموافقة على ابلاغ ناصر بالمعونة الكاملة. وعضضت على لساني لكي لا اصرخ: ولماذا يكون للمخابرات CIA دخل في المعونة، اليس هذا من عمل السفراء الامريكان؟!.. وكنت لا ازال اعض على لساني عندما استمر «كوبلاند» قائلا: «ان كيم ـ كما تعرف ـ هو الذي رتب خلع فاروق، وهو الآن قد رفع ناصر الى مركز القيادة للبلد»، وبادرت بالقول بأنني لا اعرف.. ونحن هنا فقط لمناقشة [٦٨] كيف ستنفق مصر الملايين الخمسة على معدات الأمن الداخلي.. فرد باستهزاء.. آه!! هذه؟!.. احمد حسين السفير المصري في وشنطن سيسلم قائمة بهذه الأشياء للبنتاجون..

سألت كوبلاند عن الثلاثة ملايين المخصصة من المخابرات CIA.. واذا ما كان سيعتمد صرفها فعلا للهدف الذي خصصت له؟.. نظر الى نظرة كأنني غر ساذج يحتاج لمن يعرفه حقائق الحياة وقال: بيل!.. هذا المبلغ اعتمد فعلا.. وانا في انتظار اشارة من المالية في بيروت لكي يبعثوا لي المال لاسلمه لناصر في بيته؟.. قلت وكيف كان ذلك ومكتب تنسيق العمليات لم يوافق على المبلغ الا منذ اسبوعين. قال: «نعم، ولكن كيم وآلن دلاس يعرفان انها قادمة، وقد بعث بالخبر لناصر لتقوية معنوياته بعد محاولة الانقلاب». وعندما سألت هل هانك بايرود يعرف ذلك، على اساس انه كسفير جديد، ربما يود أن يكون هو الذي ينقل الخبر لناصر.. رد كوبلاند.. «ان بايرود يستطيع أن يستمر كوكيل وزارة فعلي للمنطقة بينما ناصر والمخابرات CIA يقومون بالعمل نيابة عنه».

ورغم انني سمعت ما فيه الكفاية فقد سألته هل يتوقع ناصر أننا هنا لنناقش معه منحة الـ ٢٠,١ مليون دولار. فرد كوبلاند ان ناصر سيعتبر هذا المبلغ البسيط اهانة. وسيسلم لكما قائمة اسلحة بخمسين أومائة مليون دولار.. وعندئذ تساءلت ـ مع نفسي ـ هل شجع مايلز، ناصراً على أن يصدق أننا سنتنازل عن الرقم الذي حددناه وسنقبل التفاوض على

زيادته؟

مهما تكن الحقيقة، فقد اخبرت كوبلاند أن ٥,٥ مليون من هذه الـ ٢٠,١ ستذهب لاثيوبيا، وربما تأخذ باكستان الباقي. وقال كوبلاند هناك وسائل اخرى للوصول الى ميزانية وزارة الدفاع، وعليك أنت «وآل» ان تكونا مستعدين للكلام في مبالغ اكبر عندما تقابلان ناصر مساء الغد»..

الشرح:

١ـ استمر كوبلاند يتباهى بعملة معلمه في مصر فهو الذي «رتب اقالة فاروق، وهو الذي رفع ناصر الى مرتبة القيادة في مصر».. وربما انفعل ايفيلاند لانه لا يعرف هذا الخبر الذي لم يعد سراً بل يذكر عرضا وبدون اهتمام وتسبقه عبارة «زي ما انت عارف» فصاح: «لأ مش عارف»!

٢ـ مندوب البنتاجون أو المخابرات العسكرية غاضب لأن المخابرات CIA تتدخل في أمور المساعدات العسكرية وهي من اختصاص وزارة الخارجية والدفاع.

٣ـ المخابرات الامريكية كانت تعد عبد الناصر بمبالغ كبرى كمعونة لمصر وبطرق تعفيه من سخافات ومذلة الكونغرس والخارجية والبنتاغون، خاصة وانه كما سيقول كان يستحيل عليه وقتها ان يوقع اتفاقية دفاع مع امريكا، غير التي وقعها في الايام الاولى للثورة، ويستحيل عليه اكثر أن يقبل وجود مشرفين عسكريين امريكيين في الجيش المصري..

وموقف المخابرات CIA هنا لا يخرج عن احد الاحتمالات الآتية:

أ ـ أن يكون عن قناعة فعلا بقدرة آلن واخيه فوستر دلاس على اقناع المؤسسة الامريكية بأهمية مصر الناصرية وبالتالي اطلاق يد امريكا في الدفع والدعم.

ب ـ ان يكون هدف رجال المخابرات CIA هو كسب الوقت بتهدئة عبد الناصر بالوعود الكاذبة.

ج ـ أن يكون هناك مخطط اكبر، للصهيونية فيه حصة كبيرة، يهدف لاستفزاز الزعيم المصري، عندما يكتشف أنهم خدعوه، وانه عومل معاملة غير شريفة، مما يدفعه الى احضان السوفيت.

٤ـ الثلاثة ملايين الشهيرة لم تكن قد صرفت ولا وصلت اثناء وجود الرجل في مصر، واعتمدت قبل اسبوعين فقط، وهو وصل مصر بعد محاولة اغتيال جمال عبد الناصر والحديث عن تقديم «محمد نجيب» للمحاكمة بتهمة التآمر ضد الثورة، مما يبطل بل يفقأ عين رواية محمد حسنين هيكل التي حاول فيها أن ينكر تقديم المبلغ لعبد الناصر وهي الرواية التي تراجع هو عنها على اية حال...

٥ـ عبد الناصر كان عنده خبر بالمبلغ قبل وصوله. ولا نتشبث كثيرا بحكاية انهم ابلغوه

بذلك لتقوية معنوياته بعد محاولة الانقلاب. . . الخ.

٦ـ واضح تشبث المخابرات بسيطرتها في مصر وأنها لا تنوي أن تتيح فرصة للسفير الجديد بايرود لممارسة مهمته. . ووواضح اكثر ان «ناصر والسي آي ايه» يعملان «كتيم» أو فريق واحد يعمل نيابة عن السفير الامريكي وبكفاءة اكبر!!

قال:

«عندما عدنا الى الفندق تجنبت أن احدث جير هاردت بأي شيء عما قاله كوبلاند خشية أن يبرق الى وشنطن طالبا اعفاءنا من المهمة. كنت مقتنعا بقدرتنا على التعامل الجيد مع ناصر، ولم اكن راغبا في تضييع هذه الفرصة، فقط لو عرفت ماذا وعدته المخابرات CIA وما هو شعور «ناصر» الفعلي ازاء مهمة البعثة العسكرية الاستشارية. .

«في مساء اليوم التالي وفي الساعة المحددة، انا وجير هاردت قابلنا «مايلز كوبلاند» في مدخل الفندق. ومازلنا غير متأكدين من مقابلة ناصر، فقد سألت كوبلاند عن الترتيبات فقال: «سنقابله في بيت واحد من الصبيان» « Junior » . .

وتساءلت بدهشة: صبي؟ . . من هذا بحق الجحيم . . ربما عسكري مراسلة أو حتى خدام رئيس الجمهورية؟! . . قال كوبلاند: يستحسن ان اخبرك بعض الشيء عن هذا الصبي: هو ماجور (صاغ ج) في الجيش وأحد الذين يتمتعون باكبر قدر من ثقة عبد الناصر، وهو مسئول كبير في البوليس السري، والرجل الذي ينظم اجتماعاتي مع ناصر في معقل المخابرات CIA [٦٩] . . الذي سنذهب اليه. واسم هذا «الصبي» الحقيقي هو صاغ حسن التهامي. . وستحبه واضاف مايلز «على أن لا تأخذه على محمل الجد كثيرا. . [٧٠]».

«وعندما دخلنا الفيللا من الباب الخلفي حيانا الماجور تهامي. . ثم جاء ناصر وعامر».

١ـ الرواية مطابقة لرواية كوبلاند. .

٢ـ دور التهامي وصلته بعبد الناصر تحمل بعض الراحة لنفس الحاج هويدي الجائرة. .

٣ـ اللقاء كان في بيت التهامي الذي هو CIA safe house . . مقر الـ CIA مخبأ المخابرات. . الامريكية؟!

جلسنا على مائدة الطعام وخلع ناصر جاكتته وربطة عنقه قائلا. . اننا يحسن ان نفعل نفس الشيء حتى نتحدث في راحة، واخرج علبتي سجائر «كنت» وقدم لنا عامر قائمة السلاح».

وحكاية الجاكتات وردت في رواية كوبلاند. . وقد تحدث «الوفد الامريكي» عن ضرورة مصاحبة السلاح الامريكي لبعثة عسكرية، وقال عبد الناصر «انه لا يمكنه الاستمرار سياسيا اذا سمح للضباط الامريكان والجنود بأخذ مواقع على أرض مصر». . فقد تخلصنا

لتونـا من ٨٠ ألف عسكـري بعـد ٣٢ سنة من «الاستقلال الاحتلالي»، والمحاولة الاخيرة على حيـاتـه ترجـع الى حد ما الى الاتفـاقيـة التي تتضمن عودة الانجليـز في ظل ظروف معينة . . » «ومقتنعا بكلامه اقترحت ارسال بعثة صغيرة في ثياب مدنية» ولكن ناصر ضحك من سخافة أو سذاجة الفكرة . .

واخطأ جيرهاردت فبدأ مناقشة حول الامن الاقليمي والدفاع عن الشرق الاوسط ضد السوفيت، ولدهشتي بدا أن ناصر يسحبه في الكلام ليسمع اكثر. . وخلال ٢٥ دقيقة تحدث آل عن حلف الاطلنطي ، وحلف جنوب شرق آسيـا . . والحـاجـة الى الدفاع عن الشرق الاوسط . . وقد قاطعه ناصر باقتراح التوجه الى الطعام . . وبعد الوجبة الشهية التي اشتهر بها مطبخ حسن التهامي باجماع كل مؤرخي تاريخ الناصرية مع السي آي ايه . . قال ناصر وعـامـر الـرأي المصـري المعـروف بأنـه لا يمكن اقناع الشعب المصري أو الشعوب العربية بالخطر الروسي والتغافل عن الخطر الاسرائيلي الدائم الساخن يوميا . . وقال ناصر «انه لم ير أي عداء روسي الا لمنظـمات الـدفـاع التي نقيمهـا حول الاتحـاد السـوفيتي » وجـرت محاولة استفـزازيـة من جانب ايفيـلانـد لعـامـر، ولكن عبـد الحكيم رد عليه ردا اسكته ، وان كان للاسف لم يلتزم بالحجة التي قام عليها هذا الرد[٧١] .

الا اننـا نحب ان نضيف هنـا نقطـة توضيحيـة جاءت في كتـاب «لعبـة الامـم» عن هذه المقـابلة : قال : «كـان بيـل ايفيـلانـد خلال زيـارته للقاهرة مع آل جيرهاردت قد حذر عبد النـاصـر من ان مصـر ستجـد نفسهـا وحدها خارج حلف الشرق الاوسط . ولكن لا أنا ولا ناصـر ولا كافـري صدقنـاه فلما وقعت العراق الحلف (حلف بغداد) طلب مني أن اتوجه مع ايكلبرغـر لابـلاغ ذلـك لعبـد النـاصـر» . . ثم تفـاصيـل القصـة في مكـانهـا من هذا الكتـاب[٧٢] . . المهم قال عبـد النـاصـر بعـد ان سمع الخبر : «ان جميع الامريكيين الذين اتصلوا به بما فيهم كافـري ، اقنعـوه بانهم سيـتركـون له الـوقت الكـافي لبنـاء منظمة عربية اقليميـة غير مرتبطـة «علنـا» بالغـرب ، ولكنها «بناءة» الى درجة تمكنها من الانضمام سريعا لخطط الغرب ، في حالة وقوع خطر مشترك . اما حسن التهامي الذي كان حاضرا ، فقد بدأ يفقد اعصابه ، ولكن ناصر هدأه . وظل الاثنان جالسين صامتين حتى انصرفت انا وايكلبرغر» .

وقال كوبلاند في نفس الصفحة «انه هو وايكلبرغر كانا ضد حلف بغداد» .

وقال : «مشاريع الدفاع والاحلاف والترتيبات العسكرية كانت نابعة من تفكير متخلف يمثله ايزنهـاور وجهـازه من الـرسميـين ، من بقـايـا الحـرب العـالمية الثانية ، وهو توقع غزو عسكري ، كالذي شنته المانيا ، ومن ثم فان الدفاع ضده يقتضي مواجهته باستحكامات عسكرية» .

وقال كوبلاند: «ان فكرة منظمة للدفاع عن الشرق الاوسط كانت قد تحولت الى خطأ تاريخي anachronism والسبب الوحيد الذي جعلها مطروحة للنقاش، هو ان الوزير دلاس ـ رغم ذكائه ـ لم يستطع التخلص من الفكرة».

وكما سنرى في فصل «الاحلاف» فان امريكا كلها كانت ضد حلف بغداد، وليس فقط المخابرات الامريكية التي كان لها على اية حال فضل الريادة، لأنها باعتبار طبيعة عملها هي التي تكتشف وتتوقع التغيرات العالمية المقبلة، بينما تغيير السياسة الرسمية، ومفاهيم الدبلوماسيين والمسئولين الرسميين التقليديين يأتي في مرحلة تالية وعلى ضوء تحليلات المخابرات CIA . . وكانت المخابرات CIA قد توقعت «التعايش» أو الوفاق وان المرحلة القادمة ستكون مرحلة المزاحمة السياسية وليس الغزو على الطريقة الألمانية! . . ومن ثم لم يكن يهمها في قليل ولا كثير مسألة الاحلاف بل كرهتها كرها شديدا وهاجمتها ببذاءة . . وبذلت جهدا كبيرا في تحطيم حلف بغداد، من ناحية لانه كان يمثل نفوذا بريطانياً ومن ناحية اخرى لانه كان يسبب لها مشاكل مع الاصدقاء المتعاونيين . . وعذرا عن هذا الاستطراد السابق لاوانه . .

يقول ايفيلاند: «استمع لنا ناصر بصبر، ولكني احسست، اما انه يتوقع معجزة من المخابرات CIA أو أنه وافق على مقابلتنا بحكم الكرم العربي ليس الا . . »

«غادرنا المنزل وأنا اتمنى أن لا تكون الـ CIA قد اقنعت الرئيس بقدرتها على تلبية مطالبه دون الحاجة للتوقيع . . لأنه اذا كان ذلك قد حدث فاننا سنجد في مواجهتنا عربيا شديد الغضب، عندما يكتشف أنه لا «كيم روزفلت» ولا «آلن دلاس» ولا حتى «فوستر دلاس» يمكنه أن يغير له القوانين الامريكية»(٧٣).

«وكما قلت انني كنت اتمنى لو وضع حد لدور المخابرات CIA في مفاوضات المعونة العسكرية والعودة الى الدبلوماسية التقليدية. ولذا لم يكن من دواعي سروري أن أرى في اليوم التالي كوبلاند منتفخا كعادته متباهياً امامنا بما تفعله السي آي ايه لدعم ناصر ونظامه. ففي شقة حديثة تطل على النيل عرفنا بـ «فرنك كيرنز، وهو مقاتل من CIG عمل مع «مايلز» وقدمه لنا كمراسل لـ C.B.S. (٧٤) وطبقا لما قاله لنا كوبلاند فهو جزء من محطة المخابرات CIA في القاهرة ويعمل تحت غطاء صحفي وكان واضحا أنه لا يهتم بعمله الصحفي هذا . . ».

«ايكلبرغر ايضا كان حاضرا وقال كوبلاند انه انضم الى CIA من وكالة والتر تومبسون للاعلان. وايكلبرغر يعمل الآن «رجل الفكر» ومهمته هي اكتشاف الوسائل التي تزيد شعبية حكومة ناصر في مصر والعالم العربي . . واضاف كوبلاند ان الـ CIA توجه المصريين في ميداني الصحافة والاذاعة. وقد احضرت عددا من الألمان لتدريب المصريين بما فيهم

اوتـوسكـوروزني الشهـير الـذي انقذ موسوليني . ولكن الألمان كانوا متجاهلين ولا يدفع لهم كفاية ولذلك كانوا مستائين ويريدون الانصراف .

«ومتعطشـا لاخبـارنـا بالمزيد، وصف لنا كوبلاند المعدات الاذاعية الجديدة التي تقيمها المخابرات CIA في مصر، والتي ستكون ـ كما قال ـ أقوى اذاعة في الشرق الاوسط، وكان يقصـد صوت العـرب، الـذي عمـل حقـا بنجـاح رائع، حتى اننا وجدنا انفسنا في النهاية مضطـرين، الى تمويـل محطـات في بلاد اخـرى لمواجهـة هديتنـا (لمصـر) التي انقلبت ضد مصالحنا. كان واضحا أن المخابرات الامريكية قد بدأت عملية جبارة في مصر، ربما اكبر واحـدة من نوعهـا منـذ انشـاء المخابرات CIA . وكنت على يقين أن الحكام المحافظين في العراق والاردن ولبنان والسعودية والسودان لن يسعدهم ذلك . .

«ويبدو أنه لا نهاية للمفاجآت التي يمكن أن يقدمها كوبلاند ، وما ازعجني حقا هو صغر سن وطيش الاشخـاص الـذي كان واضحـا أن يدهم قد اطلقت في العمـل. لم يكن هناك وجـه للشبـه بين ما رأيتـه في مصـر، ومـا تعلمتـه في وشنطن عن كيفية رسم وتنفيذ حكومتنا لسيـاستنـا الخـارجية. كان ما رأيته في مصر مثيراً للرعب حقا. وتعجبت كيف يتماشى سفير من الجيل القديم مثل كافري مع هذا . . » «وعندما تحدثت في تلك الليلة مع نائب كافري في السفـارة، وهـو دبلومـاسي ممتـاز، اعـرفـه من وشنطن، سألني اذا كنت قد رأيت عمليـة ايكلبرغر ـ كوبلاند . . ؟! ومن لهجة سؤاله تأكدت انه يرى مناورات المخابرات الامريكية مغامرة خطرة كما رأيتها» . .

نتوقف قليلا فالجرعة كبيرة حقا!

١ ـ اظن أن الـرجـل قد رد على نفسـه عنـدمـا نفى أن يقـدم كافـري على التـآمر على فاروق. فها هو يشهد بأن كافري يتعاون ويتماشى مع نشاط السي آي ايه وان تعجب من فعله .

٢ ـ استمـر المـؤلف في نقد تدخل المخابرت CIA في تحديد وتنفيذ السياسة الامريكية، وكرر خشيته من وعود الـ CIA التي اشرنا اليها والتي ادت فعلا لاغضاب عبد الناصر عندما لم تتحقق .

٣ـ قال له كوبـلانـد ان المخـابرات CIA توجه الصحافة والاذاعة المصرية، وهناك خبير مقيم (اشـار اليـه مصطفى أمـين وهيكل) هو ايكلبرغر مهمته اكتشاف وسائل تدعيم زعامة عبـد النـاصـر. وان المخابرات CIA هي التي قدمت المعدات الفنية لاذاعة صوت العرب الـذي سيصبـح اكـبر قوة مقـاتلة في تصفيـة الامـبراطـوريتين البريطانية والفرنسية، وامجاد ياعرب كوبلاند امجاد!!

٤ ـ وفقـا لقـانـون اللعبة، كما حددها كوبلاند، فقد كان من الطبيعي ان يهاجم «صوت

العـرب» امـريكـا، وان تقـوم امـريكـا بتزويد بعض البلاد العربية باذاعات اخرى لمواج «صـوت العـرب»، وبصـرف النظـر عن ايـة نتائج اخرى، فان مجرد انشغال الدول العر بحرب الاذاعات فيما بينها، لا يضر أمريكا بأية حال. .

٥ـ اقتنع «ايفلاند» بما رأى وسمع ولمس في مصر، ان المخابرات الامريكية تقوم بأضخ عملية في تاريخها منذ انشائها، وهي لا يمكن أن تكون عملية تجسس طبعا، والا لما تخو من نتـائجهـا ولا تخوف عليهم، وأي اطمئنـان على جاسـوس امريكي اكثر من رؤ يته يخ جاكتته امام رئيس الدولة، ويتعشى معه، ويناديه «جمال» وهو ما لم يحظ به أمين هويدي حياته. .

ما لاحظـه وجـزع منـه منـدوب البنتـاغـون هو «عمليـة ادارة مصـر» التي كانت تقوم المخـابـرات الامـريكيـة (تـاريخ الزيارة هو اكتوبر ١٩٥٤). وحق له أن يتخوف فقد كا الاولى من نوعهـا في تاريـخ امـريكـا. . والثـانية في التاريخ كله، منذ أن نظمت المخابرا الـبريطـانيـة في ١٩١٦ ثورة الشـريف حسين وسمتهـا الثورة العربية الكبرى! . . . و الامـريكـان بالثـورة العربية الأكبر(٧٥) . . وقد شارك ايفلاند مخاوفه الرجل الثاني في السف بأنهـا «مغـامـرة خطرة». انها عملية من نوع خاص خارج نطاق اعمال المخابرات المعتادة كوبـلانـد ينظم ويسجـل اجتـماعات ناصر بالامريكيين الرسميين والمخابرات تبني «للثو محطـة اذاعـة تضمن وصـول الـوعي الثـوري الى اقصى ارجـاء الـوطن العـربي، وطـا المخـابـرات يوجـه الصحـافة المصرية. . والاخوان على المشانق والشيوعيون مضربون ع الطعام في سجن القناطر. . ومن المحيط الغادر الى الخليج الفاجر لبيك ياعبد القادر! .

قال ايفيلاند:

«في اليـوم التـالي أبلغنـا كوبلاند أنه لا ضرورة لاجتماعات اخرى مع ناصر (كوبلاند الـذي ابلغهم ج) فالمطلوبـات ارسلت للسفـير احمـد حسين في وشنطن وسيتبعها طاقم الضباط المصريين خلال اسبوع لمناقشة التفاصيل مع الفنيين، وسألته هل غير ناصر رأيه مسألة قبول المستشارين العسكريين رد مايلز: لقد اخطأتم بمناقشة ذلك امام عبد الحك عامر لأن «الفتى» (حسن تهامي ج) هو الرجل الذي سيبعثه ناصر الى وشنطن للحديث البعثة العسكرية وكيف يمكن معالجة هذا الموضوع بطريقة اهدأ. سألت هل يعني هذا ناصر لايزال مهتما، رد كوبلاند. . بكل تأكيد. .»(٧٦).

«لم يسألنـا كافـري، ولم نتطـوع باخبـاره عن مقـابلتنـا مع ناصـر، ولو كنا نثرثر أو نتباه لاعتـبرنـا مثـل كوبـلانـد ورجال الـ CIA . . . واعتقد ان تقاعده القريب هو الذي ج يتغاضى عن اعمالهم».

١ ـ الـرجـل كما هو واضـح مفتـون بكـافـري يتلمس براءتـه بالشبهـات. . فلا يسع

الحظ . . واخيرا وصل لتفسير «انه ضاربها صارمة» باعتباره رايح أو تارك العمل الدبلوماسي قريبا . . ويارايح كتر من المخابرات CIA !

٢ـ وواضح انه حاقد على كوبلاند لاسباب عديدة، منها أن كوبلاند «احبط مهمته في مصر، والغى موعده مع عبد الناصر، مع ان عبد الناصر قال له «بكرة نتكلم في اتفاقية الدفاع المشترك» ولكن ها هو «كوبلاند» يصفعه: لا داعي للاجتماع مرة اخرى مع ناصر. . وبالطبع وصلت التقارير الى وشنطن بأن ناصر رفض أن يقابلهم مرة ثانية، وهذا دليل فشل أو سوء انطباع المقابلة الاولى . .

٣ ـ ربما يكون «كوبلاند» ثرثارا . . وربما يكون متباهيا، أو حتى مستمتعا باغاظة منافسيهم من الاجهزة الامريكية الاخرى، ولكن هذا يجعله متهما بافشاء «أسرار وحقائق» ولا يمكن ان يعطي معلومات بمثل هذه الخطورة لمثلين رسميين، لوزارة الدفاع وجهازين على الاقل من أجهزة المعلومات والتجسس لايعقل ان يقول لهم ـ كذبا ـ نحن نوجه الصحافة المصرية، وهويعرف ان هذا الكلام سيثبت في تقاريرهم الرسمية، وسيستخدم ضدهم عندما تدور المناقشات حول الدور الذي تلعبه الصحافة والاذاعة الناصرية . . .

لايمكن ان يكون ذلك محض اختلاق وكذب . . ثم نسأل انفسنا ما هي الصحافة ذات النفوذ وقتها ومن كان يسيطر عليها . . ؟ مصطفى امين وهيكل وليس فيهما من يصل الى مرتبة زوجة قيصر ولا حتى عشيقته! وقد جاء في اعترافات مصطفى امين، ان رجال المخابرات الامريكية كانوا شبه مقيمين في «اخبار اليوم» وفي مكتب هيكل او مكتبه هو، معظم الوقت.

ويختم ايفيلاند ملاحظاته في القاهرة قائلا: «بالنسبة للاسلحة التي تطلبها مصر لمواجهة هجمات اسرائيل المتصاعدة ضد المدنيين المصريين، والمنشآت والتشكيلات العسكرية المصرية في غزه وسيناء، فأنا واثق ان «الموساد» (المخابرات الاسرائيلية) كانت على علم تام بمهمتنا في مصر، ونظمت عن طريق اللوبي الصهيوني في الولايات التحدة وقف المنحة . على أية حال كنت واثقا ان الـ CIA اقل قدرة وأقل تأهيلا من وزارة الخارجية لتحديد احتياجات الجيوش الاجنبية للمعدات العسكرية».

هل يمكن أن نخترق قشرة الصراع الغبي للأجهزة الامريكية، لنتساءل بدورنا هل الموساد، اكتفت بتحريض اللوبي الصهيوني، لافشال اضخم محاولة تحالف عربي ـ أميركي؟ أم انها وهي التي اعترف المؤلف ايفيلاند نفسه بتداخلها مع المخابرات الامريكية، دفعت الموقف من الجانب الأخر، باستفزاز عبد الناصر ضد الولايات المتحدة، واغرائه بالاتجاه للاتحاد السوفياتي . . وما هو الدور الذي لعبه اصدقاء ناصر من موظفي محطة المخابرات CIA في القاهرة، وصداقة عبد الناصر مع المخابرات CIA في هذا الشأن؟!

سؤال . .

والرجل يشهد بوجود «تلاعب» في وشنطن ادى الى قطع المعونة عن مصر . . قال انه بعدما سافر من مصر نسى الأمر تماما الى «ان مر علي تقرير دوري في مكتب تنسيق العمليات يقول ان مصر كان مخصصا لها ٣٥ مليون دولار منحة عسكرية ، وليس ١ , ٢٠ مليون فقط . . وان هذا المبلغ قد الغى لأن ناصر رفض توقيع اتفاقية المعونة العسكرية مع الولايات المتحدة . . وصحت دهشا : هل هذه اشارة الى تقريري ؟! وبغضب شديد رحت أبحث عبثا عن نسخة من التقرير الذي اعددته وقدمته ليوقع عليه جيرهاردت (زميله في رحلة مصر والاعلى منه رتبة ج) فلم أجدله أثراً ولا اشارة لا في ملفات الخارجية ولا الدفاع ولا مكتب التنسيق . . اختفى !! ثم يأتي مكتب الشئون المصرية في وزارة الخارجية ـ الذي تمنى لي الفشل في مهمتنا ـ وينسب رسميا لناصر رفضه عرض بعثتنا ، بل ويجعله مبلغا اكبر مما كنا نعلم ! . . وقد حاولت في سنة ١٩٧٨ بموجب قانون حرية المعلومات أن احصل من وزارة الخارجية والدفاع على وثائق عن بعثتنا الى القاهرة وعندها تأكدت ان تقريري لم يسجل قط في ملفات وزارة الدفاع وربما لن يعرف أبدا من الذي استخدم رحلتي للقاهرة لمنع المعونة العسكرية عن مصر . . لقد فسروا لي لماذا لم يأخذوا بنصيحتي عن ايران . ولكن بالنسبة لمصر ابقوني في ظلام دامس» .

واخيرا فقد طلبت بريطانيا في عام ١٩٥٦ وضع حد للعبة الامم في الشرق الاوسط ، وشكلت لجنة مشتركة من الامريكيين والانجليز لتمهيد لاجتماع قمة بين ايزنهاور وايدن ، وكان المندوب البريطاني فيها هو وكيل وزارة الخارجية البريطانية ، «ايفيلين شوكبرغ» وحسب النظام البريطاني فان هذا الوكيل يكون عادة اهم من الوزير واكثر اطلاعا على اسرار السياسة من الوزير الذي يتغير بتغير الحكومة . . وكان الوكيل يطلب قلب نظام الحكم في سوريا وضمها للعراق تمهيدا لقلب عبد الناصر ، وبالطبع كان الامريكان يسخرون منه كما سنرى في مكان آخر . . ولكن نورد هنا هذه القصة . . قال ايفيلاند مؤلف كتاب حبال الرمال والذي كان يتولى التنسيق مع المندوب البريطاني انه على الطائرة قال لوكيل الخارجية البريطانية «ايفيلين شوكبرغ» : «انني قلق من محاولة العراق الاستيلاء على سوريا عبر انقلاب أو بالقوة ، فرد علي شوكبرغ غاضبا : «اظن انك تفضل ان يستولي على سوريا ، ناصر بتاع السي آي ايه» وهذا هو النص الامريكي :

Perhaps you'd prefer to have the CIA's Nasser in control of syria instead? (٧٧)»

أظن أن وكيل وزارة الخارجية البريطانية لا يمكن أن يقول هذه الصفة عن رئيس اكبر دولة عربية ، وفي حديث على الطائرة مع ممثل الولايات المتحدة الامريكية بدون أي

اساس؟! . . ومرة اخرى هذا لا يعني ان عبد الناصر كان مجندا في المخابرات CIA وله بطاقة ويقبض مرتبا كما كان بعض «العملاء» يروجون في الستينات . .

على اية حال لقد اسقط في يد المؤلف في النهاية ، فقبل الحقيقة المسلم بها داخل جميع الاجهزة الامريكية وقتها فقال بالحرف الواحد :

«وعندما اعتصر الكونغرس آلن دلاس في سؤاله حول اسباب فشل الـ CIA في التنبؤ بانقلاب العراق، وكيف استطاع ناصر الاستفادة من الثورة اللبنانية واخصاء مشروع ايزنهاور. ولأن دلاس لم يكن راغبا في نقده سياسة اخيه، كما لم يكن راغبا في الاعتراف بأن المخابرات الامريكية ساعدت على فرض عبد الناصر كرمز للقومية العربية فانه لم يتردد في نسبة مشاكل الشرق الاوسط لروسيا، وتعهد بأن تبذل الوكالة (المخابرات) كل جهد في طاقتها لحصر انتشار النفوذ الشيوعي» .

That the CIA had helped to establish Nasser as a symbol of Arab» « Nationalism.

وقال عن «ايكلبرغر» ولأن جيم ايكلبرغر كان أحد المجموعة clique التي تفتخر بأنها اخترعت ناصر «invent» المؤيد للغرب . فانني لم ادهش عندما قال لي انه ما من دليل على الاطلاق، على ان الرئيس المصري عميل للسوفيت الا انني لم اقدر على معارضته عندما قال (ايكلبرغر) اننا نحتاج مع ذلك، لمعارضة سياسات ناصر علنا، ويجب علينا مواجهة اعماله بطريقة تترك مجالا للمناورة معه عندما يكتشف في النهاية ان الدب الروسي يمكن ان يعصره بين احضانه» .

وقال :

«كانت الصحافة البريطانية تتهمنا (الامريكان ج) بأننا ادرنا ظهرنا لحلفائنا البريطانيين ونتضامن مع عملائنا المصريين والسعوديين الذين تعاهدوا على اخراج بريطانيا من الشرق الاوسط» .

وقال : « في مطار القاهرة قابلني شارلس كريمانز الذي عملت معه لما كان في المخابرات CIA في وظيفة كبير محللي الشرق الأوسط في المجلس الوطني للتقديرات . قال كريمانس ان قرار فوستر دلاس غير المناسب بارسال جورج آلن قد أغضب ناصر الذي خمن انذارا . . وان المخابرات CIA تحاول الآن عبثا تهدئته»

«ولما قال لي كريمانز انه يتعامل مع وزير الداخلية المصري وانه كثيرا ما يرى ناصر نفسه ، سألته مازحا اذا ما كان يعلمهما كيف يسيطران على العالم العربي ، فوجئت به يرد علي بجدية تفوق ما كنت اتوقع ، اذ قال . . ان هذه كانت فعلا خطة المخابرات CIA الأصلية ، ولكن الوكالة CIA تحاول الآن توجيه مصر الى ميادين مطابقة لاهداف الولايات المتحدة» .

«وفكرت في نفسي: هذا هو واحد من اهم المحللين في المخابرات CIA واستاذ جامعي سابق في القاهرة، والآن يشغل نفسه بالعمل السري السياسي بدلا من جمع المعلومات حول ما هي اهداف ناصر الحقيقية».

هذه اقــوال شاهــد النفي . . . واظن أن أيـة محكمـة في العـالم حتى ولـو كانت محكمـة الدجوي ستكتفي به كشاهد اثبات.

مصطفى أمين يتذكر. . . !

وامامنا الآن شاهد من نوع خاص، ملء السمع والبصر. . يحتاج المرء الى كل وطنيته وموضوعيته ليحاكمه ويدينه. . ولو كان هذا الحديث يكتب منذ ثلاثين سنة أو اكثر، لما تردد القلم لحظة واحدة، ولا احسست إلا بالفرحة والنشوة وأنا اشرح جثة مصطفى امين السياسية، ولكن السنوات لعبت بنا جميعا، وقامت بيننا علاقات يمكن بكثير من التجاوز وصفها بالانسانية، أو الاجتماعية، وأصبح يحز في القلب أن توجه اليه تهمة الخيانة والعمالة، خاصة وان الرجل نسيج وحده، كفاءة نادرة، وجلد على العمل لا مثيل له في تاريخ الصحافة أو الكتابة. . ثم كانت حادثة سجنه بتهمة العمل للمخابرات الامريكية، وهو ما يتفق الجميع على وصفه «بالغدر» لأنه كما قلنا يومها، ان «الثورة» التي لم تعتقل مصطفى امين في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لا يمكن تبرير موقفها منه في ١٩٦٥ وبعدما كان في قلب تحركها السياسي لاكثر من عشر سنوات. .

ثم ان الرجل قد بلغ من العمر عتيا، وهو متعدد المواقف والنشاطات واشتهر بالدفاع عن الديموقراطية حتى أصبح نجما شعبيا، وخاصة في تحدي السلطة منذ اواخر عصر السادات. . وان كانت هذه ايضا محل تساؤل، الا ان الرجل احد القلائل الذين انزلوا بمصر ضررا فادحا منذ أن تألق في سماء الصحافة المصرية، ولو مات أو متنا قبل ان نعرف علاقته بالمخابرات الامريكية لصار غصة في حلوقنا. . فقد كان نجاحه على الرغم من الارادة الوطنية المصرية، وبدفع امريكي كما جاء في اعترافاته. وقبل يوليو ١٩٥٢ كان الشارع السياسي مجمعا على خيانته وتآمره على الحركة الوطنية. . وكان كيده للوفد لحساب السراي، عملا يتفق ومصالح الانجليز والرجعية المصرية وضد التطلع الشعبي، فلما قرر الامريكان الاطاحة بالملك، أسف في التشنيع عليه وخاصة بفضيحة أمه واخته في امريكا، والتي يمكن أن نفهمها الآن، ولو متأخراً جدا، على ضوء ما عرفناه عن تآمر المخابرات الامريكية ضد الملك فاروق، فاغلب الظن انها دبرت هذه الفضيحة، واغوت اخت الملك وأمه، ثم اطلقت عليهما، الصحافة، وقد لقيتا في النهاية المصير التعس الذي يلقاه كل من يقع في شراك تلك الاجهزة التي لا تعرف الوفاء ولا الضمير. . غير ان سخط الناس واحتقارهم فاق كل حد عندما انهالت «اخبار اليوم» على سيرة وسمعة وتاريخ الملك فاروق

نفسه بعد الثورة، لا حبا في الملك بل لما في الموقف من خسة ونذالة، من كاتب هو أول من مجد الملك واكثر من أكل على مائدته. . . و«مصطفى أمين» هو الذي قاد المعركة الاعلامية ضد الاحزاب وضد الديموقراطية وضد الدستور، وهو الذي دس الاخبار الملفقة التي مكنت الديكتاتورية من البطش بالاحزاب ثم بمحمد نجيب، وهو الذي صنع اسطورة الزعيم وشن الحملات البذيئة ضد ملوك ورؤساء العرب.

ومصطفى أمين كما تكشف الوثائق اليوم، كتب وتعامل مع السفارة البريطانية، وتوجه الى تلك السفارة يوم حرق القاهرة يدبر لهم مع القصر اقالة حكومة الوفد، وهو الذي كان حربا على الحركة الوطنية في فترة الغاء المعاهدة حتى كادت الجماهير أن تحرق اخبار اليوم لولا استعانته ببعض العمال المأجورين، والذين كان يدفع لهم بسخاء من الموارد الخفية التي اعترف بها في رسالته لعبد الناصر والتي كانت تتدفق عليه بسبب علاقته بالمخابرات الامريكية. .

ومهما يكن رثاؤنا للرجل، فلا مجال للقسوة عليه، لأن ما جناه ضد وطنه يجعل أية عقوبة أقل مما يستحق.

اعتقل «مصطفى أمين» في ١٩٦٥ عندما وصلت العلاقات الناصرية ـ الامريكية الى الصفر، ونال مصطفى أمين جزاء سنمار أو صدق فيه الحديث الشريف: من اعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه، فأممت داره الصحفية وعزل من رئاسة تحريرها، بل ومنع من الكتابة فيها، وراجع مقالاته غلمان الحركة الشيوعية المنحلة. . وأحس ان الارض ملغومة، وأنه قد يكون الكلب الذي يذبح لارهاب القرد، فترامى على المندوب الامريكي للمخابرات يطلب مساعدته على الخروج وتهريب أمواله ويلح عليه في طلب المزيد من الضغط الامريكي لارجاع ناصر الى صوابه.

وكان عبد الناصر قد ضاق ذرعا باللعبة مع الامريكان، وتدهورت اسهمه في بورصة الحرب الباردة وصراع النفوذ فقبض الامريكان يدهم، واستبد به الروس. . وحز في نفسه تصرف مصطفى أمين، ونسي ما فعله مصطفى امين من اجله، وما فعله هو بمصطفى أمين فأمر باعتقاله بتهمة التجسس، ولم يكن تنفيذ ذلك بالأمر الصعب. .

وفي التحقيق أو السجن كتب مصطفى أمين رسالة مطولة لعبد الناصر، وان كانت اجزاء منها يتحدث فيها عن عبد الناصر بضمير الغائب، مما يؤكد رأينا في ان الرسالة تعرضت لرقابة ما، وانها تجميع بين اعترافات في محضر التحقيق ورسالة استعطاف لعبد الناصر. .

وجهة ما قد تكون المخابرات العامة أو اقرباء عبد الناصر اعطوا الرسالة لصحفي ناصري الذي نشرها في جريدة العرب بالمقدمة التالية:

«وقد كتب مصطفى امين اعترافا تفصيليا في مذكرة طويلة ارسلها الى جمال عبد الناصر

ولا يمكن أن يدعي أنه كتبها تحت ضغط، لأنها تحمل تاريخ حياته، وقصة ارتباطه بالمخابرات الامريكية التي بدأت قبل الثورة بسنوات، وفيها يحكي كثيراً من التفاصيل حول الذين جندهم للعمل معه من المحررين بعلمهم أوبدون علمهم ويعدد المكاسب التي حصل عليها من المخابرات الامريكية. . .»(٧٨)

ونحن نوافق على هذا حرفيا، ولا نتصور كذب مصطفى امين على عبد الناصر في مثل هذه الرسالة وفي وقائع يعلمها عبد الناصر. .

ونزيد ان «عمالة» او ارتباط مصطفى امين بالقوى الاجنبية كان حقيقة معروفة وشائعة ومقررة في مصرة منذ ظهور «اخبار اليوم» وكان باعة الجرائد ينادون على صحيفة «أخبار اليوم» : «اقرأ جريدة السفارة البريطانية» أو «الامريكية»! وقلنا ان رجال الثورة لم يعتقلوا من الصحفيين في الساعات الاولى الا مصطفى وعلى أمين، حتى جاء الأمر من الذي عنده علم الكتاب بالافراج. . بل وأصبح مصطفى أمين كما هو ثابت من نص الرسالة التي اتفقنا جميعا على قبولها بلا تحفظ. . اصبح مستشار عبد الناصر ومحل ثقته والصحفي الاول في مصر الى أن نازعه مكانته تلميذه والذي كان بلا تاريخ وطني، بل تحيط به شبهة اكدتها التقارير والمذكرات فيما بعد؟!

لماذا أختار عبد الناصر مصطفى أمين، واخبار اليوم من دون الصحافة المصرية كلها ليجعلها صحيفة الثورة؟!

لماذا أعطى عبد الناصر الثقة مدة ١٣ سنة لجاسوس معروف للامريكان؟! هذا سؤال لم يطرحه الذين سعدوا بالرسالة نكاية في مصطفى امين، فقتلوا الذبابة ولكن على جمجمة الزعيم!

وهذا بعض ما جاء في الرسالة الوثيقة مما يتصل بموضعنا:

«واحب ياسيادة الرئيس أن اروي لكم بامانة كيف بدأت علاقتي بالامريكيين ففي سنة ١٩٣٥ عين والدي وزيراً مفوضا في وشنطن وسافرت معه واقمت في السفارة المصرية بواشنطن. وكنت ارغب في أن ادخل كلية لدراسة الصحافة».

«وبعد عودتي من امريكا واشتغالي بالصحافة التقيت بالكثير من اصدقائي الامريكيين، وفي تلك الفترة التقيت بارشي روزفلت، وكيم روزفلت. وكان روزفلت يؤلف كتابا عن النفط في الشرق الاوسط وكنا نلتقي باستمرار مع هؤلاء جميعا وكنا نتحدث في شئون الحرب وشئون الشرق الاوسط. . والتقيت في ذلك الوقت بالسفير الامريكي بالقاهرة وكان يدعوني باستمرار للغذاء والعشاء معه، وكان له عدة بيوت في القاهرة، وكان لا يهمه أمر مصر اطلاقاً. . وفي اثناء ذلك امكنني أن اعرف منهم عدة اخبار هامة افادتني صحفيا. . واستمرت علاقتي واتصالاتي بالسفارة الامريكية بالقاهرة وموظفيها وحدث في سنة ١٩٤٧

ان طلب مني المرحوم النقراشي باشا رئيس الوزراء ان اكون واسطة الاتصال بينه وبين الامريكان.

ثم تولى مستر تاك منصب سفير امريكا وكانت علاقتي به قوية جدا. وكنت اقابله باستمرار. وفي تلك الايام تغيرت سياسة اميركا واصبحت لها سياسة مستقلة في المنطقة بعد ان كانت تعتمد على ان تكون ذيلا لبريطانيا في المنطقة. وكثيرا ما نقدت قبل ذلك سياسة الامريكان في انهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطاني في القاهرة، وكانوا أشبه بالمنومين مغناطيسيا لا يصدقون الا ما يقوله لهم الانجليز!!».

«ثم حدث بعد ذلك ان توثقت علاقتي بمستر كافري السفير الامريكي الجديد وكنت اقابله باستمرار وكان مقتنعا برأي بأن مصلحة امريكا هي مصلحة الشعوب العربية في الوقت نفسه وهي ان تؤيد امريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني وكان يكره الانجليز كراهية شديدة. وعندما يسمعني انتقد تصرفات الانجليز في المنطقة، يهتز طربا وكأنه يسمع قطعة موسيقية ولكنه يعطف على الملك فاروق. وكان الملك قد وثق علاقته به وكان يفهمه أنه يستشيره في كل المواضيع وأنه يأخذ رأيه قبل ان يفعل أي شيء».

«ولما تولى نجيب الهلالي الحكم عرفت ان الملك فاروق اخذ رشوة مليون جنيه من احمد عبود باشا ليقيل نجيب الهلالي من الوزارة، واخبرت كافري بذلك فلم يصدق ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد انه صحيح. ثم زار كافري نجيب الهلالي وقال له انه تأكد ان الملك قبض فعلا مليون جنيه ليقيل الهلالي من رياسة الوزارة. وعندما استقال نجيب الهلالي راح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه وهذا الموقف هو الذي جعل كافري يغير رأيه في الملك ويرى ان بقاءه على العرش كارثة»

ما غلطناش!!

١ـ المنطقة في دائرة النفوذ البريطانية والامريكان موافقون على ذلك، ولهم اتصالاتهم بمصطفى امين.

٢ـ الامريكان خلال الحرب العالمية وما بعدها بدأوا يعملون لوراثة الامبراطورية البريطانية، واختفى الطاقم المتتلمذ على بريطانيا، ظهر الطاقم الذي «يكره بريطانيا كرها شديدا» ومنهم السفير «كافري» صديق مصطفى أمين الذي هو صديق كيرميت روزفلت كما نرى من عام ١٩٤٤..

٣ـ كافري علاقته قوية بالملك وفاروق يثق فيه ثقة مطلقة..

٤ـ في وزارة الهلالي أي مارس ١٩٥٢ نفض كافري يده من الملك وقرر ان بقاءه على «العرش كارثة».. كارثة لمن؟.. ولماذا هذا الاهتمام البالغ بمصر وكوارثها من السفير الامريكي؟ وما هذا البساط الاحمدي بين صحفي مصري والسفير الامريكي..؟.. وما

العلاقة بين رأي السفير الامريكي في العرش ومن يبقى على العرش، بحملات اخبار اليوم ضد الملك والفساد والوفد.. ثم بما جرى للعرش بعد ذلك ومن «محاسن الصدف» ان يستمر كافري ومصطفى أمين على علاقة ممتازة بمن خلع الملك وورث العرش ومنع الكارثة!!

قال مصطفى امين لعبد الناصر:

«واذكر لسيادتكم انني التقيت بمستر «كيم» ومستر «ارشي» روزفلت في عام ١٩٤٤ وذلك في مكتبي في مجلة الاثنين التي كنت ارأس تحريرها والذي قدمني لهما هو الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الامريكية في ذلك الوقت وجرى الحديث في ذلك اليوم عن ان «كيم» يؤلف كتابا عن منطقة الشرق الاوسط والبترول العربي وانه سيستغرق عدة سنوات لاعداد هذا الكتاب..

«وقد سألني خلال هذا الحديث عن رأيي في سياسة امريكا في المنطقة. فقلت له ان امريكا لا سياسية لها، وانها تسير في ركاب الانجليز ضد الشعب المصري.

«وكان «كيم» وقتها يرتدي ملابسه العسكرية كضابط في الجيش الامريكي ولا اذكر رتبته ولم يتكلم «ارشيلد» في اثناء مناقشتي مع «كيم» وكان يرتدي ايضا ملابس عسكرية كضابط للجيش الامريكي..».

«وكان هذا سنة ١٩٤٤ ولم يحدث بعد ذلك ان تقابلت مع احدهما او مندوب عنهما كما لم يحدث في خلال هذه المقابلة اي اتفاقات او ارتباطات بمواعيد لاحقة».. «ثم حدث ان اقام مستر كافري مأدبة عشاء او غداء لا اذكر، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠ فتقدم لي خلال هذه الدعوة «كيم» ويده في يد مستر كافري السفير الامريكي وكان في هذا الوقت شخصا مدنيا. وسألني «كيم» اذا كنت اذكره وكنت في ذلك الوقت صاحب جريدة اخبار اليوم ومجلة آخر ساعة. وكنا نهاجم سياسة الوفد والنحاس، فاجبته انني اذكره وان شكله لم يتغير، وتحدثنا على ما اذكر في استنكار سياسة اخبار اليوم بمهاجمة النحاس وان هذا يضر الموقف الدولي، ولا يساعد على مقاومة الشيوعية في المنطقة.

فقلت له ان الفساد هو الذي يؤدي الى نشر الشيوعية واننا نحارب الفساد وانتهت هذه المقابلة ايضا دون ارتباط ولكني اذكر هنا انني شعرت باهميته غير العادية بالطريقة التي كان يمسك بها يد السفير وكان «كافري» مشهورا بالعجرفة والرسمية..

وبعد تشكيل وزارة علي ماهر بعد حريق القاهرة في ١٦ يناير ١٩٥٢ كنت موجودا عند رئيس الوزراء في ذلك الوقت ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس ايزنهاور وقد بدا على علي ماهر الاهتمام بالضيف الكبير وطلب مني الانتظار في غرفة السكرتير حتى تنتهي زيارة هذا الشخص فاذا به كيم روزفلت ولكني لم احضر المقابلة وعلمت بعد ذلك من رئيس

الـوزراء انـه كان يتحـدث في موضـوع استئناف المفاوضات مع انجلترا وكان هذا اول اتجاه لامريكا للتدخل في سياسة مصر.

وذهبت بعـد ذلـك الى احـدى الحفلات ووجدت ان كيم موجود فيها فتوجهت اليه بعد ان عرفت من علي ماهر اهميته وتحدثت اليه عن مقابلة رئيس الوزراء وقد ذكر لي ان امريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التي انقطعت بين مصر وبريطانيا وان لندن مستعدة ان تذهب الى نصف الطريق وانتهت المقابلة.

وكـان كيم قد حضـر الى مصـر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد عن يومين ثم قامت الثـورة في ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ وحضـر كيم الى القـاهرة ايضا في مهمة الاتصال بقادة الثورة ولم اقابله هذه المرة ولكن عرفت بحضوره من بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة.

وزاد تردده على القـاهـرة بعـد ذلـك في مهام قصيرة وقد قابلته في اغلب المرات والحقيقة انني كنت اسعى الى لقـائـه عنـدما اعلم بحضوره وكنت اجتمع به في حضور الاستاذ محمد حسنين هيكـل وكنـا نتغـدى معـا في بيتي وقـد توطـدت علاقتنا وكانت مناقشتنا تدور حول المشـاكـل التي تدور في الاذهـان، وجـرى حديث ايضا عن محمد نجيب ورأينا انه لا يصلح وكانت هذه المرحلة خلال الفترة سنة ١٩٥٣، ١٩٥٤.

وكـان كيم روزفلت على اتصـال وثيق بالثـورة وكـان يقـوم بنشـاط واسع في هذا المجال لدرجة انه كان في ذلك الوقت صاحب اقوى نفوذ بين الامريكيين في مصر بما فيهم السفير الامريكي».

ثثبت الرؤيا!!

١ـ كريم روزفلت جاء الى مصر قبل الثورة مرتين على الاقل.. مرة بعد ١٩٥٠ وارجع الى ما قالـه ايفـيلانـد عن تجنيـد الصحفيـين المصـريـين البارزين الثلاثة، ومرة بعد حريق القاهرة، وقد جاء في المرة التالية بغطاء كبير ومهم يستوجب الثقة وهو ما حدث اذ تلقاه «علي ماهـر» باحـترام واخـرج مصطفى امين من الغرفة، وهو لا يدري انه صديق قديم لمصطفى أمين من ٨ سنوات على الاقل!.. كما حاز ثقة الملك فاستسلم لمشروعه الوهمي عن الثورة البيضـاء.. كما حاز ثقـة المجمـوعـة النـاصـريـة في تنظيم الضباط الاحرار.. كيف لا وهو مستشار ايزنهاور؟!

٢ـ أمـا حكـايـة أنه أقام في مصر يومين، فاما انها معلومات «مصطفى امين» أو تنقيح من «الجهـاز» الـذي سرب هذه الـرسـالة للنشر للنيل من مصطفى امين، والثابت من الروايات الاخرى ان كيم روزفلت اقام في مصر من فبراير الى مايو.. (١٩٥٢).

٣ـ اجتمع روزفلت ومصطفى امين ومحمد حسنين هيكل في اغلب المرات التي زار فيها كيرميت مصر بعد الثورة . .

٤ـ اتفق رأي كيرميت روزفلت «ممثل» المخابرات الامريكية ، ومصطفى امين وهيكل مثلا . . ؟! . . على ان محمد نجيب «لا يصلح» محمد نجيب يوك! . . محمد نجيب NO good ! . . من هو كيرميت روزفلت ليقرر صلاحية رؤساء مصر الثورة؟!

هل من جواب عند الثوريين؟!

٥ـ «كان كيم على اتصال وثيق بالثورة»

«وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال»

«لدرجة انه كان في هذا الوقت صاحب اقوى نفوذ بين الامريكيين في مصر بما فيهم السفير الامريكي» .

الراجل قضى في مصر يومين قبل الثورة . . ومخابرات امريكاني . . وجاء بعد نجاح الثورة ، فكيف اصبح له هذا النفوذ القوي ، وهذه الصلة الوثيقة ، وهذا النشاط الواسع؟! . .

فجأة؟!

لا بد ان نقبل رواية مايلز كوبلند فهي التفسير الوحيد المقنع للحقيقة العجيبة التي اثبتتها اعترافات مصطفى امين الذي يقول ايضا .

«استمرت علاقتي مع كيم روزفلت على هذا عندما يحضر في مأموريات قصيرة وكانت مأمورياته متعددة في مهمات تتعلق باتصالاته مع رجال الثورة وكنت في كل مرة يحضر فيها اتقابل معه وذلك اما عن طريقي بالمبادءة في الاتصال او هو يتصل بي في بعض الحال . وكنا نجتمع ايضا في منزلي في وقت الغداء في حضور الاستاذ حسنين هيكل وكان الاستاذ هيكل يشغل وظيفة رئيس تحرير الاخبار واخبار اليوم في ذلك الوقت . . ولا تزال علاقتي به كما تعلمون قائمة بمعنى انه اذا حضر اتصل بي .

اقرر هنا ان اتصالاتي مع كيم روزفلت لم تحدث الا في خلال فترات حضوره في القاهرة والمرات التي سافرت الى امريكا ـ وكنت في كل مرة اسافر فيها الى امريكا احرص على لقائه . . وفي بعض المرات لم اقابله»

«اما بخصوص مستر ليكلاند والذي عرفني عليه السفير الامريكي كافري خلال احدى حفلات السفارة والذي كنت اتناقش معه في المسائل السياسية ، وكان هذا الرجل ذا نفوذ على السفير ومصدر قوة لا تتفق مع وظيفته في السفارة وكان على علاقة وثيقة باعضاء مجلس الثورة في مصر . استمرت مقابلاتي مع ليكلاند وكانت تتم اما في مكتبي بدار اخبار اليوم أو في مكتب الاستاذ حسنين هيكل باخبار اليوم» .

وتعرفت ايضا في هذه الفترة بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الامريكية وكان يعمل بسفارتهم بالقاهرة وعرفني به مدير مكتب الاستعلامات الامريكي بالقاهرة في ذلك الوقت وكانت علاقتي به جيدة وكان يحضر الى مكتبي واحيانا في منزلي.

واستمرت علاقتي مع مايلز كوبلاند كل فترة وجوده بالقاهرة وبعد ان انتقل الى بيروت وعمل مديرا لاحدى الشركات الامريكية هناك.. ولازلت اتقابل مع مايلز كوبلاند كما تعلمون سيادتكم في كل مرة يحضر فيها الى القاهرة أو اتوجه الى بيروت.

وان كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين وكان يطلب مني خدمات وهي ان اتوسط لدى سيادتكم في مسائل تجارية ولم اتحدث الى سيادتكم بخصوصها وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات الحكومة السرية على حساب المعونة الامريكية.

وفي بعض الاحيان يكتب الى طالبا تحديد موعداً لمقابلة سيادتكم وكانت محادثتي مع مايلز كوبلاند تتصف بنفس الاسلوب وهي المناقشات السياسية وهو يطوف المنطقة بعد سفره الى بيروت ولاحظت عند مقابلتي الاخيرة له في بيروت انه واسع النشاط والاتصالات وانه يتنقل بين السعودية ولبنان ومصر وتكلم معي في موضوع وذكر ان من مصلحتنا ان ننسحب فورا من اليمن ورأيي في عمل كوبلاند الحالي انه عملية مخابرات منظمة باسم شركة.

وفي سنة ١٩٥٦ قدمني الأستاذ محمد حسنين هيكل الى مستر وليام دورات ميلر الملحق السياسي بالسفارة الامريكية وهو كما علمنا فيما بعد احد ضباط المخابرات الامريكية وكانت فترة اتصالاتي به خلال تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي وما بعدها. وكنت اطلع سيادتكم يوميا على هذه الاتصالات وكنتم سيادتكم تسمونه «ريكا» وقد اصبح الآن منذ عهد كنيدي نائبا لمدير الاستعلامات الامريكي وهو منصب كبير جدا هناك وأنا لازلت على اتصال به عندما يحضر للقاهرة.

«وعندما وقع العدوان كنت انا ومحمد حسنين هيكل على اتصال يومي بل وعدة مرات في اليوم بمستر ميلر وكنا يوميا على اتصال مستمر بسيادتكم.. وكما تعلمون وتذكرون ان فكرة البوليس الدولي ولدت اثناء اجتماعنا في اخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل».

لعل الرفيق جروميكو قد وجد الاجابة على تساؤله ولو بعد ما يقرب من ثلاثين سنة.. وهو: «ما الذي يجبر عبد الناصر على قبول البوليس الدولي»؟!

انها فكرة المخابراتي الامريكي وممثلي ثورة يوليو.. مصطفى امين ومحمد حسنين هيكل.. ولا فخرا!

وفي امريكا بعد وقف اطلاق النار في عدوان ١٩٥٦ قال مصطفى امين للامريكان: «يجب ان تعمل امريكا على الاسراع في الجلاء وبعد ذلك تقدم مساعدات لمصر وفي هذه

المناقشات اقترح ان اقابل الن دالاس مدير المخابرات المركزية حتى نتكلم في موضوع اثر العدوان في انتشار الشيوعية وقال انه سيدبر لي هذا اللقاء.

وتقابلت مع كيرمنت روزفلت واخبرته بما حدث فقال ان هذا امر مستعجل.

ثم حدث ان اتصل بي (كيم) وقال لي ان اوامص دبر موعداً لك مع مدير المخابرات المركزية.

وقابلت مستر الن دالاس في مكتبه لمدة ١٥ دقيقة وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار ورغبتنا في الاسراع بجلاء قوات العدوان في اسرع وقت وان اي تأخير سيؤدي الى كارثة.

وقدمت تقريرا بذلك الى سيادتكم فور عودتي شرحت فيه كل هذه المقابلات واحدة واحدة ونص ما جرى فيها. وفي سنة ١٩٥٨ التقيت عند الاستاذ محمد حسنين هيكل بمستر جويدن يونم وهو يتولى منصب الملحق السياسي بالسفارة الامريكية وكنا نتقابل في اخبار اليوم ونتقابل في المنزل اذا كانت معه زوجته ولكن مقابلات المكتب اكثر بطبيعة الحال.

وكنت اتناقش معه في نفس الموضوعات التي كنت اتناقش فيها مع سابقيه واستمرت علاقتي معه حتي غادر مصر وفي سنة ١٩٥٨ ايضا كنت على اتصال بمستر روبرت انشوتس وكان رئيس القسم السياسي في السفارة الامريكية وكان يتميز على زملائه بانه كثير الاسئلة بطريقة ملفتة وكنا نتناقش في الموضوعات السياسية والوحدة مع سوريا ولم يكلفني بارسال اي معلومات للرئيس بل كان يقوم بهذا يونم وكان روبرت انشوتس يقابلني في مكتبي وفي بيتي ولم يحدث ان لاحظت انه يعرف علاقتي مع يونم ولم يحدث ان تقابل ثلاثتنا معا.

وفي اثناء ذلك عرفني مراسل جريدة نيويورك تايمز بالقاهرة في فندق كوزموبوليتان بمستر جون ميدل الملحق السياسي للسفارة واعتقد انه ضابط مخابرات امريكي واستمر هذا في القاهرة لفترة ٤ سنوات وكنا نتفق على مواعيد المقابلات. وكانت المقابلات تتم في المكتب او في المنزل وان كان اغلبها يتم في المنزل.

وكانت مناقشتنا عن المعونة الامريكية والشؤون السياسية المختلفة وتذكرون سيادتكم انه هو الذي ابلغنا بنبأ الانقلاب الذي سيقوم به زياد الحريري في سوريا قبل قيامه بوقت قصير وهو ايضا الذي كنت احصل منه على برقيات الشفرة التي كنت اقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف في العراق وفي البلاد العربية.

وعرفني مستر ميدل بضابط المخابرات الامريكي بروس ارديل الذي حل مكانه في بيته في المعادي بعد سفر الأول».

وهذا النص يفيد تسليم رجال المخابرات مصطفى امين، لبعضهم فعند انتهاء مهمة

احدهم، وحلول الآخر يتسلم هذا العهدة! . .

كما تفيد الكثير عن خفايا الاتصالات التي كانت جارية مع الامريكان لازالة آثار العدوان (١٩٥٦) وتحقيق اكمل نصر عربي!

وعرفنا ايضا ان مصر الناصرية كانت تحصل على معلوماتها عن الدول العربية من البرقيات السرية الواردة بالشفرة للمخابرات الامريكية؟!

« وعرفني كافري بمستر ليكلاند ... وعندما قامت الثورة ابلغني ليكلاند انه في ليلة قيامها ايقظ السفير البريطاني في وشنطن، مستر دين وزير الخارجية (الامريكي) من النوم وابلغه ان ثورة شيوعية قامت في مصر وان الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فورا وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع الثورة وقال لي ليكلاند ان دين اتشيسون طلب مهلة للتشاور وانه ابرق الى كافري يسأله رأيه وأن ليكلاند هو الذي اعد البرقية العنيفة التي على اثرها ابدت امريكا اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر، وشعرت بحكم اتصالي بأهمية ليكلاند وقوته رغم صغر سنه وابلغت المرحوم صلاح سالم برأيي ان ليكلاند هو السفير الحقيقي، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليتلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة، وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة، والسفير الامريكي وشعرت ان ليكلاند في اجتماعاتي معه المتكررة كثير الاسئلة.

وانه يتظاهر بالخوف وبانه لا قيمة له بينما شعرت انه صاحب اكبر نفوذ على السفير واكثر علما بالسياسة الامريكية من جميع موظفي السفارة الامريكية الذين اجتمعت بهم.

وقد ابلغني صلاح صالم انه يشعر بل يعتقد ان ليكلاند من المخابرات الامريكية وان رأي رجال الثورة انه من جهاز المخابرات الامريكية وطلب مني ان اساله بيني وبينه عن ذلك فسألته عن ذلك فنفى بشدة وقال انه طلب ان يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك.

وكان ليكلاند يسألني اسئلة كثيرة جدا ولكنه كان يبدو متحمسا للثورة ومؤيدا لها، ولم اشعر في علاقتي الوثيقة به انه كان يخدعني او يضللني او يستغلني او يوهمني بانه مع الثورة وهو في الواقع ضدها. واعتقد انه قام بخدمات جليلة جدا في شأن علاقات امريكا مع الثورة في بدء قيامها.

وكان ليكلاند يحضر الى اخبار اليوم يوميا وفي بعض الاحيان يتناول الغذاء معي او اتناول العشاء عنده.

وكان اهم ما يسأل ليكلاند عنه هل هناك بين قادة الثورة من له ميول شيوعية وعرفت منه ان الانجليز كانوا يقولون لهم باستمرار ان لديهم معلومات مؤكدة بأن عدداً من اعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين، وان اتجاهاتهم كلهم ضد الغرب ومن ليكلاند عرفت ان الانجليز يؤكدون ان يوسف صديق شيوعي وان خالد محي الدين شيوعي، بل ان انور

السادات شيوعي ايضا. وكنت على صلة بانور السادات فاكدت لليكلاند انه اذا كان تفكير خالد محي الدين مثل انور السادات فلا يمكن ان يكون احد في مجلس قيادة الثورة من الشيوعيين بل انني على العكس ارى ان مجلس الثورة ضد الشيوعية».

«وقد انزعج الامريكيون عندما افرجت الثورة عن المعتقلين في اول قيامها. وكان الانجليز يؤكدون لهم ان كثيرا من الذين افرجت عنهم الثورة من الشيوعيين وكان الانجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين.

وقال لي «ليكلاند» إنه واثق ومتأكد من ان الثورة ليس اتجاهها شيوعياً وان الانجليز مغفلون وانه غير صحيح انهم خير من يعرف المنطقة وانه جعل كافري يكتب تقارير يهاجم هذه الاراء التي كانت تقدمها السفارة البريطانية في واشنطن الى البيت الابيض. والى وزارة الخارجية الامريكية وشعرت بان ليتلاند وكافري امكنهما ان يقفا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة امام واشنطن.

وفي هذه الاثناء كان يحضر الى مصر من وقت الى آخر كيرميت روزفلت وكان كيرميت يقابلني وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر وكانت مقابلاتي لكيرميت روزفلت بعلم الدولة وبموافقتها التامة.

وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصر ان كيرميت من المخابرات الامريكية وانه عضو بارز فيها وابديت فزعي من ذلك ولكن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت وكنت اخبر الرئيس عبد الناصر باستمرار عن كل ما يقوله كيرميت روزفلت وعن جميع الاراء التي يبديها في مقابلاته معي».

«وكنت ايضا على اتصال مستمر بمستر «وزرزبي» ومستر بين الموظفين بقسم الاستعلامات الامريكية وكنت على صلة وثيقة ومستمرة بهما وكنت اشعر من اسئلتهما انهما ايضا من رجال المخابرات وعرفني مستر «وزرزبي» على ما اتذكر او المستر بين بمستر ايكل بيرجر وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلزكوبلاند الذي كان على صلة دائمة بالرئيس وزكريا محي الدين.

وفهمت من احاديث المسئولين ان قادة الثورة يعلمون جيدا ان كل هؤلاء من المخابرات الامريكية وانهم واثقون من ذلك ولكنهم يرون ان المصلحة في الاتصال بهم وخاصة انه تبين بوضوح ان المخابرات الامريكية هي صاحبة السلطة الحقيقية في امريكا وانها اقوى نفوذا من وزراء الخارجية الامريكية. وانها قادرة على رسم السياسة فان كثيرا من الاشياء التي كنا نطلبها من امريكا او يسأل عنها كانت تصلنا عن طريق المخابرات الامريكية قبل ان نعرفها بواسطة السفير الامريكي في القاهرة بعدة شهور.

ومع علم المسئولين المصريين وتأكدهم بان هؤلاء جميعا من المخابرات الامريكية فانهم كان يصرون دائما ان هذا غير صحيح وان هذه معلومات خاطئة وان وظيفة كيرميت

روزفلت مثلا هي انـه مستشـار سيـاسي لرئيس الجمهورية ولم يحدث مرة واحدة ان اعترف واحد منهم في اي حديث لا مباشرة اوغير مباشرة بانهم من المخابرات الامريكية.

وكـان لدينـا اعتقـاد ان كثـيرين جدا من موظفي السفـارة الامـريكيـة في القـاهـرة من المخـابـرات الامـريكيـة وكـان يحدث في بعض الاحيـان ان يكـون احـد المـوظفين من غير المخابرات ثم تظهر كفاءته فلا تلبث المخابرات الامريكية ان تجنده فيها».

«وحـدث في عام ١٩٥٤ ان حدثت ازمـة محمـد نجيب وعلمت ان محمـد نجيب اتصـل بشخص من المخابرات الامريكية اسمه مستر لي [٧٩] وان هذا الشخص كان ملازما لمحمد نجيب طوال الوقت وافهم محمد نجيب مستر لي ان اعضاء مجلس الثورة كلهم شيوعيون وانه يريد ان يخلص البلاد منهم وانه يرغب في تأييد الولايات المتحدة له في معركته في مجلس الثورة.

وكانت الحكومة البريطانية تؤيد محمد نجيب كل التأييد وتعتقد ان مصلحة بريطانيا في الخلاص من جمال عبد الناصر واصدقائه.

وكـان كوبـلانـد يخبرني هووايكـل بيرجـرعن تقـاريـر تصلهم باستمـرار من المخابرات البريطانية تؤكد ان جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقي ضد الغرب وان مصلحة الغرب في بقـاء محمـد نجيب وان المصلحـة ان يبـدأ انقـلاب محمـد نجيب بحكم مؤلف من الـوفـد والاخـون المسلمـين والشيـوعيـين ثم بعد ذلك يتخلص الغرب من الشيوعيين ويبقى محمد نجيب الذي اكد مستر لي لهم انه سيكون اصدق صديق لامريكا ولبريطانيا وانه اذا انتصر فريق جمال عبد الناصر فانه سيصبح خطرا على مصلحة امريكا وبريطانيا لا في مصر وحدها بل في الشرق الاوسط كله».

«وقد وقفت اخبار اليوم في هذه المعركة ضد محمد نجيب ونشرت مقالا في الاخبار بعنوان (سـلاطـة روسي) عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والاخوان المسلمـين ونشـرت اخبـار اليوم الحـديث السـري التليفـوني الـذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحـاس وقـد احـدث نشـر الحـديث ضجـة كبرى في الرأي العام واسقط محمد نجيب بين الجماهير.

وكان كوبلاند وايكل بيرجر على ما اذكر يتصلان بي في تلك الايام باستمرار ويقابلاني يوميا. وكنت اطلع المسؤولين على المحادثات التي تبذل من اجل تأييد محمد نجيب. ولقد شعرت يومها بان نفوذ شخص مايلز كوبلاند اقوى كثيرا من عدد من كبار السفارة الامريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب وان الانجليز والمخابرات البريطانية اقدر على الحكم على الحالة في مصر عنهم.

وقـد حدث خلاف خطـير بين الـرأيـين في هذا الشأن وكـان في احـد الايام ان بدا ذلك

بانتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة واخبرني كوبلاند ان رجال السفارة البريطانية في القاهرة كانوا يتبادلون التهاني ولقد كانت واشنطن نفسها مقتنعة برأى الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وضرورة تاييده.

وكان رأيي الذي ابديته دائما لكل من سألني منهم ان السلاطة الروسية التي يدعو اليها محمد نجيب ستنتهي بأن يستولي الشيوعيون على الحكم وانه من مصلحة امريكا ان يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الاجنبي في المنطقة من ان يتولاه عميل شيوعي يحول كل المنطقة الى مستعمرة روسية.

وفي سنة ١٩٥٦ عندما حدث تأميم قناة السويس كنت على صلة ببيل ميلر وكان الرئيس عبد الناصر على علم بهذا الاتصال. وكان ميلر يحضر الى مكتبي يوميا وكنت ابلغ الرئيس يوميا بما يقوله ميلر وكان الرئيس يسميه على ما اذكر ازمرلدا او اسم اخر لا اذكره.. وسألت الرئيس لماذا يسميه هذا الاسم فقال انه اسم رواية قرأها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها.

وكان بيل ميلر يطلعني باستمرار على كل الانباء والبرقيات الهامة التي تصل اليه كما كان يفعل كوبلاند وايكل بيرجر الذي كان من وظيفته في السفارة ان يطلع على البرقيات السرية.

وحدث سنة ١٩٥٤ ان اخبرني ايكل بيرجر انه اطلع على برقية سرية جدا وصلت على التومن السفير الامريكي في تل ابيب والح في ان لا اخبر الرئيس بهذا الامر وقال انه لو عرف ان هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله.

واسرعت على الفور واخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات اوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها.

واتفقنا ان اذهب انا ومحمد حسنين هيكل ونقابل مستر بايرود السفير الامريكي واستطعنا ان نعلم ان الخبر صحيح مائة في المائة.

واحضر بايرود البرقيات السرية التي وصلت اليه وتفاهمت انا وهيكل ان يشغله هيكل بالحديث بينما انا انقل البرقية وفعلا استطعت ان انقل نص البرقية وقدمناها للرئيس جمال عبد الناصر فأصدر على الفور امره الى الجيش المصري بالاستعداد لهذا العدوان المفاجىء.

وتم العدوان في موعده. وكان الجيش المصري مستعدا له ولقن الجيش المصري يومها درسا لليهود وقد شكرني الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذي قمت به وقال انني قدمت خدمة كبرى لبلادي».

١ ـ نحن هنا أمام واقعة مهمة تحسم جدلا دار طويلا حول من الذي منع القوات البريطانية من التدخل لضرب الثورة، والملك مازال في البلاد.. مصطفى أمين

« يعترف » بأن ممثل المخابرات الامريكية في السفارة هو الذي ابرق بقوة أو بشدة يطلب شل يد بريطانيا عن ضرب ثورة « الشعب المصري التحريرية » . . ودين اتشيسون استخدم كل قوة الولايات المتحدة لمنع بريطانيا من ضرب الثورة . . . ولا يوجد شارع واحد في مدينة نصر باسم المخابراتي ليكلاند ، ولا باسم دين اتشينسون . . ويحدثنا أمين هويدي عن الوفاء ؟ أين هو ؟!

يوم ٢٣ يوليو . . ضباط الجيش لا يعرفون اسماء ولا اتجاهات اعضاء مجلس قيادة الثورة باستثناء محمد نجيب وأنور السادات . . فكيف عرف هذا المخابراتي « الاعور » ميول واتجاهات هذه الثورة واطمأن على انها تمثل مصالح امريكا ، ومن ثم تستحق ان تجازف الولايات المتحدة بعلاقتها مع بريطانيا ، بل وربما كان لها من نفوذ في القصر الملكي ، وينصح بل يطلب بشدة التدخل لمنع الانجليز من عرقلة المسيرة ؟ كيف عرف هذا « الاعور » وخاطر بمستقبله السياسي ، ومستقبل المصالح الامريكية ؟ حقا كل ذي عاهة جبار . . او ربما كان هو الاعور الدجال !

٢ ـ تأكد كلام ايفيلاند بأن المخابرات الامريكية كانت مطلقة اليد في مصر ، وتفوق السفارة نفوذا ، وحرية في التعامل مع الثورة وتمثيل الولايات المتحدة ، وهو وضع اتفق الجميع على شذوذه ، ولا مثيل له الا في مصر . .

لماذا ؟!.

لصلة خاصة بين المخابرات وهذه الثورة ، حتمت وبررت اطلاق يد « الواصلين » من موظفي المخابرات CIA . .

٣ ـ اصبح ليكلاند هو الواسطة بين الثورة والسفير الامريكي .

٤ ـ شهد مصطفى أمين أن ليتلاند كان متحمسا «للثورة» وقام بخدمات جليلة جدا في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها . .

كيف ولماذا انشرح قلب هذا « الاعور » بسرعة ، وآمن قبل أن يتبين كثير من المصريين حقيقة « الثورة » ؟

٥ ـ كانت العلاقة بين ليكلاند المخابراتي الثوري هذا ومصطفى أمين تفوق «قليلا» علاقة صحفي بموظف امريكي ، فهو لا يكاد يفارقه « في تلك الايام من بداية الثورة » يزوره يوميا واما يتغدى هذا عنده أو يتعشى هو عنده . . يعني كما نقول ايهين في ايه . . والمخابراتي مهتم بالثورة ، فلماذا الاهتمام بمصطفى أمين ؟ لا جواب حتى نعثر على الحلقة المفقودة بين الانسان الثوري والقرد المخابراتي؟!

٦ ـ كان الامريكان يعتقدون ان يوسف صديق شيوعي وكذلك خالد محي الدين. . . والحمد لله سرعان ما خرج الاثنان من مجلس الثورة واخذا الشرورا ا . . واستطاع كافري

وليكلاند الوقوف ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة امام واشنطن . . . الحمد لله . . ويكفينا شر الدساسين !

٧ ـ انزعجت امريكا من الافراج عن المعتقلين ؟!

ليه ؟! وماذا يتوقع من ثورة إلا أن تفرج عن المعتقلين من النظام السابق ؟ على أية حال لقد خفف من انزعاجها ان الثورة احتفظت بعدد من الشيوعيين كرمز لموقفها ولطمئنة المنزعجين . .

٨ ـ في هذه الاثناء كان كيرميت روزفلت يتردد على مصر، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر . وكانت مقابلات مصطفى أمين مع روزفلت بعلم الدولة .

وهذا بالطبع ما أكده الكتابان ، كما ان « ايفيلاند » شرح النقطة الاخيرة وهي علم الدولة ، فقد أكد علم عبد الناصر بصلة مصطفى أمين وهيكل بالمخابرات ، وانه قبل استمرار هذه العلاقة على أن تكون بعلمه ، وهو ما يعرف في علم المخابرات « بالعميل المزدوج » مع فارق ان الطرفين بل حتى الاطراف الثلاثة هنا تعرف ان الكل يعرف . . وهي لعبة شديدة التعقيد راهن فيها كل طرف على غباء الطرف الآخر . . ويمكن القول ان العلاقة كانت مفيدة لكل الاطراف ، والمصارحة كانت ضرورية لكسب الثقة وانفتاح النظام الناصري . . كما يمكن القول ان تطور ميزان القوى داخل هذا المثلث جعل هيكل يتجاوز مصطفى أمين عند عبد الناصر ، فقد كان أقرب سنا واكثر حيوية ، « وثقافة » الى حد ما ، وخبثا جعله يظهر التفاني في الزعيم والايمان به ، بينما ظل مصطفى أمين يعامل عبد الناصر كتلميذ أو حتى كما كان يعامل الملك فاروق واستمر رهانه الاكبر على الامريكان . وتدهور وضع مصطفى أمين ، مما جعله يزداد اعتمادا على الامريكان ، ونفورا من عبد الناصر فانتصر عليه هيكل ، الذي عرف من أول لحظة ان مستقبله كله هنا وهناك مرهون بعبد الناصر ، فلا قيمة له عند الامريكان الا بقدر قربه من عبد الناصر . .

« وافق الرئيس عبد الناصر على استمرار صداقتي بكرميت روزفلت » .

٩ ـ الرئيس جمال عبد الناصر يعرف ان كيرميت روزفلت عضو بارز في المخابرات الامريكية .

١٠ ـ ظهر اسم « ايكل بيرغر » . . ومايلز كوبلاند ، وقال مصطفى أمين في اعترافه بين يدي صلاح نصر ، جمال عبد الناصر . . والرائد لا يكذب أهله وهو في السجن ! . . « وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذي كان على صلة دائمة بالرئيس وزكريا محي الدين » يعني كوبلاند ليس بالنكرة ولا طالب وظيفة ، كما تحدث عنه « المدعو » بل كان على صلة دائمة بالرئيس . . وهذا كلام يقال للرئيس في خطاب شخصي . . فلا مفر من تصديقه . . ولا مفر من الشك في حكمة تجاهل هيكل لذلك في رده على مايلز كوبلند ؟! . .

وأكـد مصطفى أمـين ان « قادة الثـورة كانـوا يعلمون جيدا ان كل هؤلاء من المخابرات الامريكية ، وانهم فضلوا التعامل مع الولايات المتحدة عن طريق قناة الـ CIA . . وهذا الموقف كما يثير السؤال حول اسبابه ، يلقي الضوء على التطورات التي حدثت بعد ذلك ، ويعزز رواية « لعبة الامم » و « حبال الرمال » .

١١ ـ وهـذه نقطـة مهمـة اخـرى كان يدور حولها الهمس والتحليلات ، وهي ان «محمد نجيب» كان يتمتـع بتأييـد الحكـومـة الـبريطانية ، التي كانت ايضا ترغب في التخلص من جمال عبد الناصر وقد نقل رجلا المخابرات CIA في مصر « كوبلاند » و « ايكل بيرغر » هذه المعلومـات لمصطفى أمـين وهـو بدوره أتخـذ المـوقف المنطقي بعد كل ما سبق ذكره ، هاجم محمد نجيب وجند اخبار اليوم ضده ، ونشر الحديث الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحـاس وهـو الحديث الذي « اسقط محمد نجيب بين الجماهير » وأكد مصطفى أمين « ان من مصلحة امريكا ان يتولى الحكم جمال عبد الناصر » .

وتصادف إن كان هذا لمصلحة جمال عبد الناصر ومن رأي فريق المخابرات الامريكية في مصر !!

وهـذا يعطي بعـدا جديـدا لأزمـة « محمد نجيب » فقد كانت في احد جوانبها أو أهمها : صراعـا امـريكيـا ـ بريطـانيـا . . فالانجليـز حاولـوا الالتفاف واخذ حصة في الثورة ، ولكن الامريكان مثل الفريك لايحبون الشريك . .

هل يفيد التذكير بحجز المخابرات الامريكية للوفد العسكري الامريكي في بيروت « في انتظـار اضطـرابـات في مصـر » (اكتـوبـر ١٩٥٤) وشكـوك مؤلف « حبال الرمال » اوممثل المخابرات العسكرية الامريكية عن « تآمر » المخابرات CIA مع ناصر للاطاحة بنجيب . وهـذا هو « مصطفى أمـين » يتشفـع عنـد عبـد النـاصـر بالـدور الذي لعبه هو والمخابرات الامريكية في ترجيحه على محمد نجيب . . ؟

واذا كان « مصطفى أمين » قد ساهم في « المعركة » ضد نجيب بمقالاته فلماذا نتصور ان المخابرات CIA اكتفت بالدعاء للسلطان ناصر بالنصر كعميان دار السلطنة؟!

١٢ ـ اكـد مصطفى أمـين (بصـرف النظر عن الحبكة الروائية والتي بدورها تثير اكثر من سؤال اذ كيف ولماذا يسمح السفير الامريكي لصحفيين مصريين بالاطلاع على البرقيات السـريـة الـواردة للسفارة؟! . . الا اذا كان البساط أحمدي جدا؟!) . . المهم أكد مصطفى أمين رواية بغدادي وغيره على ان المخابرات الامريكية أبلغت مصر بعدوان اسرائيلي منتظر . .

وفي الحلقة السادسة المنشورة في جريدة العرب بتاريخ ١٩٨٤/٢/٢ جاء التالي :

« كان جهـاز المخـابـرات الـبريطاني يعمل باستمرار على أساس ان الرئيس عبد الناصر

خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية في المنطقة وليس لأن عبد الناصر يمثل خطرا شيوعيا . وكان مايلز كوبلاند وميلرز وبيرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي انهم مقتنعون بهذا الرأي وكانوا يقولون ان المخابرات البريطانية تحاول تضليل امريكا لمصلحة بريطانيا » .

وهذه تضاف الى نقطة الصراع الامريكي ـ البريطاني ، وان مصر الناصرية في تلك الفترة وربما الى عام ١٩٦٥ كانت تمثل الطرف الامريكي .

« وكنا في جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم انهم متصلون بجهاز المخابرات الامريكية وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلا » .

« وعندما أوفدني الرئيس جمال عبد الناصر في مهمة الى امريكا اثناء العدوان ، قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات في حضور الدكتور احمد حسين سفير مصر في واشنطن في ذلك الوقت وبعلم الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرفت ان المخابرات الامريكية فوجئت بالعدوان وانها لم تعلم عنه من لندن او باريس وانما علمت به من تل أبيب ، وفي أيام العدوان الاولى كان بيل ميلر يزورنا يوميا في اخبار اليوم ، واحيانا يقابلنا اكثر من مرة في اليوم ، وكان السؤال الذي يسأله دائما واحدا لا يتغير وهو : هل نستطيع الصمود وكم ساعة نستطيع أن نقف على اقدامنا ، وكان يسأل هذا السؤال اكثر من مرة في اليوم . . وكان يقول لو صمدت مصر ثلاثة ايام فسوف تخسر بريطانيا المعركة » .

« وقبل قيام العدوان البريطاني ـ الفرنسي الاسرائيلي على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان ، وكان « بيل » يتردد علينا باستمرار في اخبار اليوم ويؤكد هذا ويقول ان امريكا لا توافق على هذا العدوان ومادامت هي لا توافق ، فلن يقوم العدوان » .

وهذا صحيح كله . . ومن المهم الرجوع اليه في حديثنا عن العدوان . . فالولايات المتحدة فعلا جهلت تدابير العدوان ، فقد كتمت بريطانيا عنها الانباء لأنها كانت معركة حياة أوموت ، كما لا يستبعد ان تكون عيون وأصابع « الموساد » داخل المخابرات الامريكية قد تعامت وسدت آذان هذه المخابرات ، وجعلتها غافلة ، وربما تتحمل المخابرات CIA مسئولية استرخاء عبد الناصر ورفضه ان يصدق جميع الانباء التي وصلت اليه من مصادرشتى عن العدوان ، مما اثار دهشة ونقد المؤرخين وتشاء حكمة الله أن تبرىء ساحة الرئيس وعلى لسان أحد ضحاياه ، فالرئيس كان مقتنعا بمنطق « بيل » وهو انه مادامت امريكا لا توافق على العدوان فلن يقع ! وهذا المنطق هو إحدى خطايا الانفتاح على المخابرات CIA والقناعة بقانون « القوتين الاعظم » وانه يتحكم في كل شيء ، أي انكار الارادة الذاتية للقوى الأصغر وامكانية تحركها المستقل في ظروف خاصة . . وقد اخطأ

« بيل » في تقديره ، واخطأ عبد الناصر في حساباته ، وربما كان هذا من حسن حظنا جزئيـاً[٨٠] . . ونفس الخطأ ارتكبـه الشـريف حسين الذي ظل الى أن فقد عرشه يعتقد ان بريطانيا تستطيع ان تأمر ابن سعود بالتخلي عن اهدافه وانتصاراته !

وهذه الفقرات من اعترافات مصطفى أمين تلقي الضوء على موقف امريكا خلال حرب السويس واهتمامها بالصمود المصري لكي يفشل العدوان ومن ثم يتبين سخافة اتهام امريكا بأنها كانت شريكة في العدوان الثلاثي وان هذا الاتهام المتهافت انما قصد به تغطية حقيقة العلاقة بين مصر الناصرية وأمريكا ، وايضا خطأ الاستدراج للمخطط الاسرائيلي الذي أراد ونجح في خلق صدام مصري ـ امريكي بعدما وقفت الولايات المتحدة بكل ثقلها ضد اسرائيل في عدوان ١٩٥٦ . .

قال مصطفى أمين :

« واستطعنـا ان نعـرف ان ايـزنهـاور غاضب من أن العـدوان تم وراء ظهره ، وان ايدن استغله ، وكـانت هذه المعلومـات مفيـدة جدا في اثنـاء المعركة . وكنا نبلغ عبد الناصر اولا بأول كل المعلومـات ونقـوم بمهمـة الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وايزنهاور حتى ان الـرئيس جمال عبـد النـاصر قال يومها ان اخبار اليوم اصبحت وزارة خارجية تحت الارض ، وكنا نشعر وقتها ان رسائلنا تصل الى ايزنهاور بهذه الطريقة اسرع كثيرا مما لو ارسلت بطريق السفير » .

وربـما يفسر هذا الكثير من السلوك الغامض اثناء العدوان . . ويذكر مصطفى أمين الرئيس عبـد النـاصـر بأنه هو الذي أمره بشن حملة شعواء على الشيوعية خلال احداث ثورة العراق والخلاف الناصري الخروشوفي المعروف (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) .

«وكنت على اتصـال يومي بسيـادتكم وكنت ابلغكم تفصيليـا كل مقـابلاتي مع الرجال الامريكيين الذين اتصلت بهم وكل ما كنت احصل عليه من انباء ومعلومات واسرار بحيث كنـا نعـرف اولا بأول كل الانبـاء التي يهمنا ان نعلم بها سواء ما يجري في امريكا او يجري في المنطقة العربية .

وكنتم سيادتكم تطلبون مني الاستفسار عن مسائل معينة او ابلاغهم مسائل معينة وكان الاستاذ سامي شرف يتصل بي ويطلب مني ان احصل على معلومات معينة من اصدقائي الامريكيين واعتقد انني كنت احصل على بيانات تهم بلادي في فترات عصيبة قلقة .

وحـدث بعـد تعيين الاستاذ خالد محي الدين رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة اخبار اليوم ان قررت ايقـاف اتصـالي بأي امـريكي وسألت الاستـاذ سامي شرف في ذلـك فطلب الي الاستمرار كما أنا » .

وفي الجزء المنشور بجريدة العرب بتاريخ ٧/ فبراير/ ١٩٨٤ عرفنا ان « ارشي روزفلت »

ابن عم كيرميت « هو رجل الـ CIA في لندن » وهو الذي قابل مصطفى أمين عام ١٩٤٤ في مجلة الاثنين وكانت مقابلة مباركة اذ بعدها بفترة بسيطة ظهرت « اخبار اليوم » كأقوى مجلة اسبوعية في العالم العربي وبدأت مسيرة النجاح المذهل ، وان كان مصطفى بيك قد فسر لنا بعض اسبابه في هذه الوثيقة الخطيرة، عندما تحدث عن «ثمن الصلة»:

«سيادة الرئيس :

وأحب ان اثير سؤالا هل كان المقابل الذي حصلت عليه من اتصالاتي بالمخابرات الامريكية او الامريكيين المسؤولين يساوي ما قدمته لهم . ؟

والجواب على ذلك انني لم اتقاضى ثمن هذه الصلة مالا او مرتبا شهريا اوسنويا انما جاء المقابل في الصورة الآتية فقط .

١) اخبار أمدني بها المسؤولون الامريكيون ورجال المخابرات الامريكية خلال هذه السنوات العديدة .

وكنت اقوم بنشرها بأخبار اليوم وباقي صحف الدار وتنفرد بها دون باقي الصحف الاخرى التي تصدر في القاهرة أدت الى زيادة توزيع صحف اخبار اليوم وبالتالي أدت الى زيادة ايراداتها .

ومن هذه الاخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين وكانت تجري سرا في أوروبا في ذلك الحين وكانت اخبار اليوم أول جريدة سبقت بنشر هذا النبأ .

كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية كذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية في اوروبا وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذي سيقوم به هتلر على روسيا وكذلك خبر مفاوضات ايطاليا بالتسليم للحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية وكذلك اول خبر عن ان الروس يعرفون سر القنبلة الذرية .

٢) وبهذه الصلة حصلت على امتيازات اصدار مجلة المختار . وهو يدر على اخبار اليوم مبلغا طائلا سنويا .

وقد وافقتم سيادتكم على ان نحصل على امتياز اصدار هذه المجلة .

٣) وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة وهي تدر على اخبار اليوم مبلغا كبيرا سنويا .

٤) وبهذه الصلة حصلت لاخبار اليوم وصحفها على اعلانات من شركات ارامكو وبان امريكان وكانت كل الصحف الاخرى كالاهرام مثلا تأخذ نفس القدر من الاعلانات .

٥) وبهذه الصلة حصلت على ورق من امريكا لمصر بحوالي ٢ مليون جنيه وهو الذي تسلمته الحكومة المصرية ولكني كصاحب اخبار اليوم استفدت من هذا الورق لانه وزع على الصحف بنسبة توزيعها وحصلت اخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق وكان الورق الذي اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق فربحنا بطبيعة الحال .

٦) وكنت استفيد من هذه الصلة بشراء مطابع جديدة من امريكا وطلبت منهم ان يعاونوني في ان احصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الامريكي بشراء مطبعة وكان المبلغ المطلوب حوالي ١٠٠ الف جنيه فلم يوافق البنك لأنه يطلب ضمانات الحكومة المصرية ولان تقاليد البنك هي عدم تقديم قروض للصحف .

٧) بهذه الصلة امكنني ان أوفد ام كلثوم لتعالج في امريكا بالذرة دون مقابل .

٨) وفي الوقت نفسه حصلت لبلادي على معلومات من الامريكيين هامة وخطيرة عن موعد هجوم اسرائيل سنة ١٩٥٤ ونوهتم سيادتكم بفضل هذه المعرفة في كسب المعركة وجمع الاخبار عن الحالة في سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالاقليم السوري وجمع الاخبار عن الحالة في العراق بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم وجمع اخبار عن الموقف في السعودية بعد الأزمة التي وقعت بيننا وبين سعود وانا الذي ابلغت سيادتكم بنبأ المؤامرة التي يقوم بها الملك سعود مع احمد ابو الفتح وسعيد رمضان .

وبعد ان ابلغتكم هذه المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم انكم بوسائلكم الخاصة عرفتم تفاصيل وأسرار هذه المؤامرة ».

ويستفاد من هذه الفقرة الآتي :

١ ـ صلة مصطفى أمين بالمخابرات الامريكية او الامريكان سابقة على الثورة أي منذ الحرب العالمية ، وانهم كافأوه في تلك الفترة بالاخبار التي تدر عليه الربح ، من خلال انجاح صحيفته وتفوقها . وهو يسمي ذلك « ثمن الصلة » أي انه كان يقدم لهم خدمات خلال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٢ . ترى ما هي هذه الخدمات والتي شكلت صحيفة سوابقه التي اتاحت له كل هذه الحظوة وكل تلك الثقة في ظل الثورة ؟! اغلب الظن ـ واغلبه اثم ـ أنه كان يجندهم للثورة وبالذات لتنظيم الضباط الاحرار !!

٢ ـ ان مكافأة الصحفي العميل ، عند هذه الاجهزة لا تأخذ شكل أموال تدفع له ، بل خدمات تجعله الصحفي الاول بلا مجهود كبير منه ، وقد تشمل ازاحة المنافسين .

وبعد . .

نعتقد الآن انه باستثناء الحصول على محضر اجتماع المخابرات الامريكية والضباط الأحرار في مارس أو مايو ١٩٥٢ ، لا يمكن أن تتوفر أدلة منطقية أقوى حجة وابلغ دلالة مما اوردناه في هذه النصوص الثلاثة على اختلاف مصادرها . . ويبقي أن نستفيد من هذه الحقيقة في تفسير قرارات ومواقف وسياسات عبد الناصر . . وإذا كان الارهاب يستهوي الكثير من المؤرخين والمعلقين ، وهو عن حق يشكل قاعدة النظام الناصري ، والمعيار الصادق لتقييم النظم ، وهو أيضا الحقيقة التي اتفق عليها بين « المتآمرين الثوريين » باعتبارها ضرورية لاجهاض الحركة الوطنية في مصر ، وفرض الزعامة المطلقة للقائد الجديد

الـذي سيستخـدم هذه الـزعامة بما يعود بالفائدة على بلده والمنطقة والامريكان . . بل كان أول الشـروط التي وضعتهـا المخـابـرات الامـريكيـة للقـائـد المنتظر ، هي ان يكون مجنون سلطة ، يعشق السلطة ولا يسمح بمشاركة فيها ، وعلى استعداد لتدمير كل شيء في سبيل أن يبقى في السلطة ، وقد ذكر كوبلاند ذلك صراحة . .

واذا كنت قد تعـرضت بالطبـع لهذه الـديكتـاتورية ، وهذا الشبق للسلطة ، وما أدى اليه من تصفيـات في القيـادة ، بل الى منـاورات ومؤامرات يبدو معها ميكافيلي وكأنه ابو موسى الأشعـري . . ! الا انني ركـزت على ما يوصف بأنـه « انتصـارات » أوما يحاول كتـاب النـاصـرية ، والمخابرات الامريكية وضعه في الكفة الاخرى ، لموازنة ما نزل بمصر والعرب من خسائر . . .

الفصل الثاني

الانتصار.. الهزيمة!

.. خليني ع البال!

يأسف « هيكل »[1] لأن الذكرى العشرين لما يسميه « حرب السويس » قد مرت دون ان يحتفل بها كما يجب ويرى ان السبب هو « ان التقويم السياسي الجديد في مصر يعتبر حربها هزيمة ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع اسرائيل وذلك خلط بلا نهاية ».. ولذلك قرر هو أن يحيي الذكرى ، وله الحق ، فقصة حرب سيناء كانت نموذجا للتضليل الاعلامي الذي دفعت الأمة العربية ثمنه فادحا بعد عشر سنوات ، ومن ثم فعودة المجرم الى مكان الجريمة أمر طبيعي ومتوقع ، ويقود دائما الى ضبطه وادانته باذن الله كما سنحاول ..

ويؤكد هيكل ان «انتصار السويس ـ وكان انتصارا ـ يستحق الدراسة والتأمل ، و « لعلي ازعم انه كان « اكمل » انتصار في تاريخ العرب الحديث ، بل انه كان أكمل انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة منذ ظهرت هذه النظريات في اعقاب التعادل النووي بين القوتين الاعظم».

ولا ندري اذا كان يصدق نفسه بانها كانت «اكمل» انتصار في تاريخ العرب، بل وعلى الصعيد العالمي في تاريخ الحروب المحدودة، فلماذا يحتاج الأمر الى شهادته بأن يضع بين قوسين «وكان انتصارا»؟!

ليس هكذا يكتب المؤرخون عن « اكمل » انتصار .. ويؤلفون الكتب لاثبات انه كان انتصارا .. فما من كاتب فيتنامي يؤلف كتابا عن « ديان بيان فو » أوعن حرب فيتنام يبدأه بقوله ان النصر الفيتنامي ـ وكان انتصارا ـ » !.. هذه جملة اعتراضية جديرة بكاتب امريكي ، وهو يقصد بها ان امريكا « انتصرت » في فيتنام ، ومن ثم يشرح ويحلل ويثبت انه رغم ما يبدو من هزيمة عسكرية الا ان الولايات المتحدة حققت .. الخ .. أو أن يكتب مؤرخ الماني « ان نصر العلمين ـ وكان انتصارا » ثم يشرح ويخترع .. أما المؤرخ الانجليزي فلا يحتاج لأن يقسم على ان « العلمين » كانت انتصارا ..

بهذه الجملة اعترف « هيكل » ان الأمر موضع شك ، وانه يحتاج الى كتاب يقع في ٣٠٤

صفحـات لاثبـات انـه كان انتصارا وليس هزيمة كما هو الشائع والمعروف والمستقر في اذهان المصريين وخاصة بعد ان كشفت بعض الحقائق بعد هزيمة ١٩٦٧ التي تجد اليوم من يقول عنها انها كانت « اكثر انتصارا » من حرب ١٩٧٣ . . وكله عند عرب الناصرية انتصار !

فكتاب هيكل أودعواه خبر يحتمل الصدق والكذب وسنناقش ما جاء فيه لنرى هل نجح في اثبـات انهـا « ليست هزيمـة من ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع اسـرائيـل » . . وسنكتشف انـه حكى عن كل شيء من باندونغ الى كريشنامنون بينما لم يخصص للمواجهة مع اسرائيل في سيناء الا ستة سطور من كتاب يضم اكثر من تسعة الآف سطر بينما خصص لنسف خط شركة النفط العراقية[٢] ١٢ صفحة ! . .

وعلى أية حال لقد وعدنا بكبح انفعالاتنا ومناقشة الوقائع :

وأول خطأ يقـع فيـه أو قفـزة بهلوانية يفاجئنا بها هي نظرية الحرب المحدودة ، اذ يعلن ان نصر السويس « كان اكمل انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة » . ثم يستعرض لنا تعـريفـات كيسنغـر وكلاوزفيتز . . وينسى خلقـه ويضـرب لنا الامثال فيقول : ان حرب فيتنـام : كانت ـ على سبيـل المثـال ـ حربـا محدودة ، ولم يكن هدف الشعب الفيتنـامي أن يكسـر ارادة المجتمـع الامـريكي[٣] أو ان يفـرض عليـه مشيئته ، كاملة ، وانما كان هدفه ان يرغم الـولايـات المتحدة على فك قبضتها عن فيتنام الجنوبية ليسهل كنس نظام « فان ثيو » وتحقيق وحـدة فيتنـام شمالا وجنوبـا . . . « وكـان اسلوب الشعب الفيتنامي هو الكثير من المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية والقدر الكافي فقط من استعمال القوة المسلحة في حمى توازن القـوة العـالميـة حتى تصل الولايات المتحدة الى نقطة تجد فيها البقاء في فيتنام اكثر تكلفة من الجلاء عن فيتنام » .

«وهكذا كان

(وضعها هيكل في سطر وحدها فالتزمنا بالنص ج)

« وكانت حرب السويس من هذا النوع من الحرب المحدودة » .

فهمنـا من هذا العـرض أن « الحـرب المحـدودة » هي التي تستهدف تحقيق هدف محدود بدون « كسر ارادة الخصم أو فرض مشيئة المنتصر عليه كاملة » .

والسـؤ ال . . ما دخـل ذلك في التعادل النووي ونظريات هنري كيسنغر ؟ ! فهذا اللون من الحـروب معـروف منـذ بدايـة التـاريـخ . . فلم يكن التـاريـخ كله حروبـا شعارها فناء الخصم أو تسليمـــه بلا قيـد ولا شرط ولا حتى حروب « رأس كليب » . . فهـذا الشـرط لم يعـرف الا في حروب الاحتـلال من دولـة متفـوقـة على دولة اضعف بنسبة فادحة ، وكانت تنتهي بافنـاء ارادة المهـزوم والحـاقـه بجهاز المنتصر ، ثم طرح على المانيا واليابان في الحرب العـالميـة الثـانيـة ، أمـا حروب المتكـافئين فكانت دائما لتحقيق هدف محدود ، مثل تعديل

الحدود ، أو الحصول على امتياز أو منع أحد الطرفين من التدخل في شئون الطرف الآخر . . أو الاتفاق أو الاعتراض على تقسيم طرف ثالث . . ومن ثم جعلها نظرية جديدة وربطها بكسينغر وكلاوفيتز والتعادل النووي . . . هي جعجعة طاحونة هواء، طحينها الجهل والتضليل . . !

فيتنام حرب محدودة من طراز السويس . . وبما أنه قرر أن حرب السويس هي اكمل انتصار في الحروب المحدودة ، فهي أعظم من انتصار الشعب الفيتنامي على امبراطورية كانت تحتله ما يقرب من ثلاثة قرون : (فرنسا) ، ثم على اكبر قوة عسكرية عرفتها البشرية واحدى القوتين « الاعظم » : امريكا . .

انتصار الشعب الفيتنامي كان انتصارا ساحقا ماحقا ، لا مساومة في جزئية واحدة من اهدافه :

اخراج الامريكان . .

« كنس » فان ثيو ونظامه (كنس هذه لاثبات ثورية هيكل ونفى حكاية الاتصال مع الامريكان) . .

فرض وحدة البلاد تحت ارادة ونظام الشمال .

ضم كمبوديا . . واظهار العين الحمراء للصين .

ومع ذلك فنصر السويس اكمل من نصر فيتنام ؟!

ربما . . !! فقد حرموا من الخطب والاغاني والمقالات وهتافات : « سنقاتل » بينما الجيش قد صدرت اليه الاوامر بالانسحاب : « كل رجل على مسئوليته »[4] ربما ينتقص من نصر الفيتناميين انهم لم ينجبوا « هيكلا » يؤلف عن انتصار الفرنسيين ! . .

كيف يمكن ان ننقاش كاتبا يقول في عام ١٩٧٧ والدم لم يجف بعد من ارض فيتنام ، «ان الشعب الفيتنامي لم يستخدم القوة المسلحة الا بالقدر الكافي ، وانما كان اعتماده على المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية»؟!

يخيل لنا انه يتحدث عن فيلم غاندي ، اوجهاز التعبئة الذي كان يديره عبد القادر حاتم واشتكى منه عبد الناصر حتى قال له «انت مفروض ترفع معنوية الناس وليس تحذيري وتخويفي أنا؟!»

شعب فيتنام الذي قاتل عشرين سنة ، وقدم ما لا يقل عن ثلاثة ملايين شهيد والقي فوقه عشرة اضعاف ما ألقي من قنابل في الحرب العالمية الثانية وقاتل بكل ما وصل الى يده من سلاح وبالاظافر والاحجار والنحل والنمل والثعابين . . يقال عنه كان لا يستخدم القوة المسلحة الا بالقدر الكافي»!

اين القوة المسلحة التي كانت لدى الفيتناميين ولم يستخدموها الا بالقدر الكافي . .

الكافي لماذا؟! لهزيمة العدوام لاثارة شفقته؟!

اين المعركة التي هرب الفيتناميون من خوضها بحجة انهم لن يجروا للمعركة وان امريكا لن تفرض علينا ارض المعركة ولا زمانها والعدو داخل مخادعهم وسكينة تنحر في نخاع شعبهم؟!

هل كان بوسع الفيتناميين ضرب نيويورك بالطائرات مثلا ولم يفعلوا لكي لا تتحول الحرب المحدودة الى حرب شاملة؟!

هل عرف التاريخ حربا اكثر دموية وأكثر اعتمادا على المقاومة المسلحة بين امبريالية وشعب صغير مثل حرب فيتنام.

هو لا يفهم معنى الحرب المحدودة، فتلك الحرب لم تكن محدودة، من جانب الفيتناميين ولا كان يمكن ان تكون اكثر شمولاً مما ارادوها وخاضوها وانتصروا فيها.

كان هدفهم الانتصار الكامل على ارضهم . . تحرير وطنهم وتحرير ارادتهم ورفع يد الامريكان عن وطنهم وتصفية وجودهم وعملائهم وتوحيد هذا الوطن في ظل النظام الشيوعي الشمالي . فهي حرب شاملة.

في الهدف

وفي التطبيق

وانتهت بتحطيم ارادة الخصم فعلا وكسر ارادة النظام الامريكي اوالمجتمع الامريكي او ما شئت فيما يتعلق بموضوع الحرب التي يخوضها الفيتناميون ، فلا كان بوسعهم ولا من اهدافهم فرض ارادتهم على المجتمع الامريكي لازالة النظام الرأسمالي في نيويورك اووقف دعم امريكا لاسرائيل . . اوفصل فلوريدا وضمها الى كوبا . . لم يكن هذا من اهدافهم، ولكن لا يعني هذا انها «حرب محدودة» او انها لا تهدف الى كسر ارادة الخصم . . هذا ابتذال للغة والفهم.

الحرب المحدودة ـ ونعلمكم ونأكل من عرق جبيننا ـ هوتعبير متداول بين العملاقين، اي الصراع في رقعة محدودة دون السماح للقوى المحلية اولتطور الاحداث بجرهما الى مواجهة شاملة، مثل الحرب في كوريا ، وفيتنام، فهي حرب محدودة، ولكن ليس من جانب الكوريين ولا الفيتناميين. . ومثل الحروب العربية الاسرائيلية منذ ١٩٦٧ . . فهذه حروب شاملة من وجهة نظر الفيتناميين والاسرائيليين ـ على الاقل ـ ولكنها حرب محدودة في استراتيجية وممارسة الدولتين النوويتين . . فمعظم الحروب التي نشاهدها منذ نظرية «حافة الهاوية» هي حروب محدودة ولكن من وجهة نظر الكبار وبحساباتهم . اما القول بان فيتنام ارادتها حربا محدودة لكي لا تجر روسيا والصين لمصادمة نووية مع الامريكان، فهو نموذج للتفكير الذي اضاع الوطن جريا وراء السلام العالمي! لوكانت فيتنام تستطيع جر روسيا

لضرب نيويورك بالقنابل الذرية لما بخلت بثمن او فعل لاحداث ذلك.

وهكذا قبل ان ننتقل الى الصفحة الثالثة في الكتاب نجد هذه الاخطاء والاضاليل.

١ ـ خطأ في تعريف الحرب المحدودة تاريخيا واستراتيجيا.

٢ ـ خطأ في وصف حرب فيتنام بانها حرب محدودة من جانب الفيتناميين.

٣ ـ خطأ فادح في الزعم بأن الفيتناميين اعتمدوا على المقاومة السلمية واستخدموا المقاومة المسلحة في نطاق ضيق «بالقدر الكافي».

٤ ـ خطأ في وصف نصر السويس بانه اكمل من نصر فيتنام دون ان يذكر لنا وجها من وجوه النقص المزعوم في النصر الفيتنامي: هل وافقوا على تحييد ونزع سلاح فيتنام الجنوبية ووقف العمليات العسكرية او غارات «الفدائيين» الفيتكونغ عليها؟.. هل وافقوا على حرية الملاحة في خليج تونكين وتجميد الوضع عشر سنوات؟!

هل تشاجر هوشي منه مع عامر جياب.. «اسحب الجيش والا اخليه»..

هل ضربت طائرات فيتنام على الارض ودمر السلاح الجوي في يوم واحد وكان العدو يقدر له ما لا يقل عن يومين؟!

الاحترام واجب، حتى من مثل هذا الكاتب، للشعب الذي هزم الامريكان واذلهم في اكبر بل واول هزيمة عسكرية كاملة للولايات المتحدة في تاريخها الامبراطوري باعتراف الامريكان انفسهم.. بما فيهم اساتذتك! واخيرا ما الهدف من هذا الحديث «عن الحرب المحدودة» واهدافها؟ هل مصر هي التي شنت الحرب على بريطانيا وفرنسا واسرائيل حتى نقول انها انتصرت في تحقيق هدفها بمحدودية الحرب؟ من الذي شن الحرب على الآخر؟ هل ينافسنا على القراء المغفلين؟!

لقد انصف هيكل خصومه عندما فسر حزنهم ونفورهم من الاحتفال بذكرى «حرب السويس» بأنهم يعتبرونها هزيمة من سلسلة الهزائم في المواجهة العربية ـ الاسرائيلية وهذا هو بالضبط التصنيف الذي يطرحه الرأي الآخر، وان كنا نحن نعتبرها واحدة من اهم واخطر هذه الهزائم، بل لعلها كانت الحاسمة رغم ما يبدو من بشاعة ونتائج هزيمة ١٩٦٧.. وكان المفروض اذن من مؤلف انتصار السويس ان يرد او يفند هذه النقطة فيثبت ان حرب السويس لم تكن هزيمة مصرية في المواجهة العربية ـ الاسرائيلية لا ان يحدثنا عن انتصاراتنا في باندونغ وحلف بغداد.. او حتى ان يركز الحديث على تأميم القناة وهزيمة العدوان الانجلو ـ فرنسي فلا احد يجادل في انتصار عبد الناصر في معركة تأميم القناة ومواجهة الغزو الانجلو ـ فرنسي وان كان الجدل طويلا في اسباب وظروف هذا الانتصار.. وانما السؤال المطروح وباعتراف الكاتب نفسه هو: هل انتصر عبد الناصر في المواجهة مع اسرائيل عام ١٩٥٦...؟

ولذا فان «الخلط المريب» هو الخلط بين قضية تأميم قناة السويس ومحاولة بريطانيا وفرنسا اعادة عجلة التاريخ الى الوراء والرجوع الى منطقة الشرق الاوسط، التي اصبحت من حصة العملاقين النوويين هذا من جهة وبين الغزوة الاسرائيلية كجزء من «المواجهة المستمرة» بين العرب واسرائيل.

هما قضيتان منفصلتان وان اجتمعتا في الزمان والمكان لفترة قصيرة شاذة في حساب الزمن، وخارج حركة التاريخ الطبيعية..

تأميم قناة السويس اجراء وطني مصري تمتد جذوره الى منتصف القرن التاسع عشر منذ ان شق في قلب الوطن نموذج الاستغلال الامبريالي في ابشع صوره وكان التأميم اجراء وطنيا في مواجهة النظام الاستعماري القديم المنحدر من القرن التاسع عشر والذي لم يعد له مكان في النصف الثاني من القرن العشرين وفي الشرق الاوسط بالذات كجزء من عملية التحول التاريخي التي بدأت في الحرب العالمية الثانية، وهي زوال الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية كجزء من التصفية الشاملة التي كانت تتم على يد الثورة الجزائرية وحزب الاستقلال والملك في المغرب والبرلمان السوداني، والقصر والزعماء الفلسطينيين في الاردن وحاكم البوريمي السعودي، وامام عمان، ومظاهرات الوطنيين ضد سلوين لويد في البحرين... الخ.

والغزوة الانجلو- فرنسية، لم تكن اكثر من عمل من خارج التاريخ، فيه كل رعب ومخاطر وسخافة الديناصور وحتمية هزيمته وانقراضه.

اما الغزوة الاسرائيلية وان تمت تحت المظلة الانجلو- فرنسية فكانت منعطفا جديدا ونقطة تحول ذات ابعاد حاسمة وشديدة الخطورة، قلبت موازين الصراع العربي- الاسرائيلي وحكمت السلوك العربي خلال العشر سنوات القادمة مما مهد بل حتم هزيمة ١٩٦٧..

هذا ما اردنا توضيحه قبل ان نناقش معركة القناة ومعركة سيناء..

اما الحديث عن الانسحاب الانجلو- فرنسي من بورسعيد واحصاء دخل قناة السويس ثم تعميم ذلك للقول بان «العدوان الثلاثي» لم يحقق اغراضه وان عبد الناصر انتصر على الثلاثة.. فهذا ليس سياسة ولا تأريخاً وانما لعب بالثلاث ورقات في زاوية مظلمة من شارع الفكر السياسي العربي.

اسرائيل لا كانت في شركة قناة السويس، ولا كانت تريد ارجاع شركة قناة السويس ولا مصلحة لها في ان تكون قناة السويس محتمية بالمساهمين الانجليز والفرنسيين، واسرائيل لم تكن تمر في قناة السويس في عهد الشركة الاجنبية. ومنذ تاريخ سابق على انقلاب ٢٣ يوليو أصرت مصر ووافقت الشركة على ان القناة كممر مائي يخضع للسيادة المصرية تماما

كخليج العقبة، ولم تستطع اسرائيل ان تمر لا في الخليج ولا في القناة قبل «الثورة» و«التحرير» حتى فتح لها عبد الناصر الخليج، وفتح لها رفيقه ونائبه السادات القناة.

استخدمت اسرائيل ازمة القناة، لتحقيق اهدافها الثابتة وتنفيذ مرحلة من مخططها الدائم، ونفذت ذلك بنجاح تام يكاد يصل الى مائة في المائة، بصرف النظر عن طموحها الذي استعر عندما فوجئت باحتلالها ثُمن الاراضي المصرية في مائة ساعة.. فهي التي يحق لها ان تدعي النصر الكامل والاكمل في الحرب المحدودة.

لأن اسرائيل لم تكن تطمع في هذا الوقت في فرض ارادتها على عبد الناصر في القاهرة، ولا حتى في ١٩٦٧ فكرت اسرائيل في عبور القناة وعندما سأل الفرنسيون موشى ديان في عام ١٩٥٦ .. «هل لديك نية لعبور القناة؟ رد على الفور بالنفي..»*

بل ونصحهم هو «بان احتلال القاهرة يخلق تعقيدات سياسية حادة يستحسن تجنبها» وفي عام ١٩٦٧ هرع السادات فزعا لعبد الناصر يدعوه للانسحاب الى الصعيد لأن بيانا عسكريا مصريا صدر بعبور اسرائيل القناة فرد عليه عبد الناصر بلامبالاة: «اقعد يا انور.. اسرائيل لن تعبر ولا تريد العبور» (انظر كتاب البحث عن الذات).

ولم يكن لاسرائيل في ١٩٥٦ ولا في ١٩٦٧ ولا في ١٩٧٧ نية في عقد صلح او سلام مع مصر او العرب قبل اتمام مخططها التوسعي بضم «كل ارض اسرائيل وملحقاتها». ولو عرض عبد الناصر عليها السلام في حرب السويس لرفضته لأن ذلك كان سيعرقل اوحتى يمنع مخططها في ضم الضفة والجولان وجنوب لبنان.. واخيرا سيناء.. بل لعل من اهداف حملة سيناء ١٩٥٦ هو وأد المحاولات التي كانت تدور بخاطر الاميركيين والانجليز لاجراء تسوية للمسألة الفلسطينية تقوم على تنازل الاسرائيليين، فهم وحدهم كانوا الطرف المطلوب منه التنازل في هذا الوقت، مقابل القبول العربي بوجود «الكيان» الصهيوني..

ومنذ النصر الاسرائيلي في سيناء ١٩٥٦ انتهى اي حديث عن القدس الجديدة او المشاركة في ميناء حيفا، او اعادة صحراء النقب للعرب او مشروع تقسيم ١٩٤٧ اوحتى ما احتلته اسرائيل من المناطق المنزوعة السلاح.

وصحيح ان سيناء هي أهم هدف توسعي اسرائيلي ولكنها ايضا وربما لهذا السبب آخر هدف.. ويعد سلسلة استنزاف للقدرة العربية، وتصفية الدور المصري والامكانيات المصرية الى الصفر، وهذا لا يتحقق الا بسلسلة هزائم عسكرية وسياسية كانت السويس واحدة منها كما كانت كامب ديفيد ايضا..

واسرائيل قد تقبل الانسحاب من سيناء اكثر من مرة ولكنها لا تتخلى ابدا عن هدفها في ضمها فهي وحدها التي تكفل تحولها الى اسرئيل الكبرى..

والغريب ان هذا الفهم كان واضحا عند العسكريين السوريين في وقت مبكر جدا فقد

جاء في مذكرات بغدادي انه في الاسبوع الثاني من اكتوبر عام ١٩٥٥ حضر الى منزل جمال عبد الناصر سعيد الغزي رئيس وزراء سوريا واللواء شوكت شقير رئيس هيئة اركان حرب الجيش السوري وكان الامير فيصل بن عبد العزيز حاضرا (والبغدادي طبعا ج) وقال جمال ان اسرائيل لو احبت ان تتوسع او القيام بعمليات حربية فانها في هذه الحالة تفضل ان يكون التوسع على حساب سوريا او لبنان» فرد عليه شوكت شقير: «ان اسرائيل لن تقوم بهذه العمليات الا لهدف وهذا الهدف هو اجبار الدول العربية على الصلح معها. وهي ان احتلت دمشق ذاتها فهي تعلم ان هذا لن يجبر الدول العربية على الخضوع لها وطلب الصلح معها، ولكنها تعلم انها لو هاجمت مصر ودحرت جيشها، وهو اقوى جيش عربي، ففي هذه الحالة فقط يمكنها فرض شروطها على الدول العربية».[6]

واللواء شقير معذور في تقليله اهداف اسرائيل اذ ظن انها لا تريد اكثر من فرض الصلح وهو كان يتحدث قبل هزيمة ١٩٥٦ عندما لم يكن يخطر ببال عربي ان اسرائيل تطمح في اكثر من الاحتفاظ بما حصلت عليه. الا ان اللواء عبر عن فهم سياسي متقدم ولو انه يبدو بديهيا، الا ان القيادة المصرية - لأمر ما - غفلت عنه، وقد رد عبد الناصر على اللواء بقوله «ان اسرائيل اليوم تفكر بدلا من المرة عشرات المرات قبل ان تقدم علي مهاجمة مصر لعلمها بقوة جيشها ومدى استعداده وهي الآن لن تقامر على كيانها»[7]

واضح ان الحديث كان يدور حول «الكيان» ذاته وقد تأدب الجالسون فلم يشيروا الى الهجوم الذي شنته اسرائيل على مصر قبل اربعين يوما[8] فقط من هذا الحديث المملوء «ثقة» بالنفس...!

ووافق السوريون على عقد اتفاقية عسكرية مع مصر لمنع اسرائيل من «المقامرة على كيانها» بالهجوم على سوريا التي اصبحت محمية بالجيش المصري، ولكن البغدادي «الخبيث» يقول: «ولم تمض فترة طويلة على توقيع تلك الاتفاقية العسكرية بين سوريا ومصر، حتى اراد بن غوريون - على ما يظهر - ان يشكك سوريا في قيمة هذه الاتفاقية فدفع بقوة عسكرية من الجيش الاسرائيلي لمهاجمة بعض مواقع عسكرية للجيش السوري قرب بحيرة طبرية حوالي منتصف شهر ديسمبر ١٩٥٥ وقد قتل في هذا الهجوم حوالي خمسين جنديا سوريا، وقامت مصر بابلاغ سكرتير عام هيئة الامم.. ان اي اعتداء (ثاني ج) على سوريا... الخ»

المعزوفة المعروفة والتي لم تطبق ابدا..

باختصار ان اي دراسة جادة تحتم الفصل بين معركة تأميم القناة ومعركة سيناء ولو ان هذه الدراسة الجادة اجريت في ١٩٥٧ وواجهنا نتائجها بشرف ومسئولية، ربما لتجنبنا كارثة ١٩٦٧ بل ونكبة الانفصال وخطيئة حرب اليمن، ولدخلت المواجهة المصرية - الاسرائيلية

ومن ثم المواجهة العربية ـ الاسرائيلية مرحلة جديدة لصالح العرب ولكن التزوير الذي جرى عمدا في ١٩٥٧ بدق طبول النصر المزعوم يراد له ان يستمر اليوم من اجل المزيد من التخبط والتدهور في تلك المواجهة المصرية والابدية بل ان التزوير يمتد الى ظروف معركة تأميم القناة باخفاء الدور الاميركي الحاسم في هزيمة المخطط الانجلو ـ فرنسي.

نحن اذن، نرفض «الخلط التام»[9] كما نرفض البهلوانية بالحديث عن انتصارات هوائية.. وانما نحصر الموضوع في قضيتين: القضية التي طرحها هيكل وهي: المواجهة العربية ـ الاسرائيلية... والقضية الثانية هي تأميم القناة والغزو الانجلو ـ فرنسي... وهذا ما سنناقشه بالتفصيل.. ولكن لنبدأ باستعراض المنطق الناصري كما يقدمه هيكل الذي مازال يحتل مركز المفلسف والمنظر لهذا المنطق رغم الجهود المتنافسة لدكاترة الجامعة الاميركية.

يقول: «ان جوائز الحرب كانت ثلاثة: قناة السويس وفي يد من هي؟ وصحراء سيناء وفي يد من هي؟ وقطاع غزة وفي يد من هو؟ وبعد انتهاء المعارك كانت هذه الجوائز كلها في يد مصر. القناة سليمة تحت سيطرتها وارادتها وصحراء سيناء جزء من سيادتها وقطاع غزة امانة في عهدتها، واذن كان انتصارها كاملا».

وهذه الجوائز بالطبع ونتائجها هي من اعداد دار «الاهرام» وليست جوائز الحرب.

الهدف الاول كما قلنا لا يجوز خلطه بموضوع التحدي الذي طرحه وهو هل كانت «حرب السويس» هزيمة في سلسلة الهزائم في المواجهة العربية ـ الاسرائيلية وسنناقشه بالتفصيل..

اما عن المواجهة فان هدف اسرائيل كان الآتي:

١ـ فتح مضيق تيران اي خليج العقبة للملاحة الاسرائيلية.

٢ـ تدمير السلاح السوفييتي الجديد.

٣ـ تحطيم القدرة العسكرية المصرية ونقل الوضع العربي من تصور القدرة على ازالة اسرائيل ووضع المطالب باستئناف الحرب العربية ـ الاسرائيلية التي توقفت في عام ١٩٤٩ الى وضع الدفاع واستبعاد فكرة «الهجوم» على اسرائيل.

٤ـ نزع سلاح قطاع غزة ومنع النشاط الفدائي منه.

٥ـ تحييد مصر عسكريا لاطول فترة ممكنة حتى يتم استعداد اسرائيل لمعركة «الامبراطورية» الاسرائيلية فحرب ١٩٥٦ كانت كما وصفتها جولدا مائير ـ بحق ـ «حرب حق الوجود» اما حرب ١٩٦٧ فهي حرب «حق الهيمنة».. كانت اسرائيل تحتاج هذه الفترة حتى تصبح المبادرة في يدها فتحدد هي زمان ومكان وصيغة المعركة.

ونحن «نزعم» وعلينا البينة ان الاهداف تحققت بالكامل، وان القيادة المصرية هزمت في

هذه المواجهة بالكامل. . بل وان عبد الناصر نفسه هو اول من ادرك هذه الحقيقة يوم طاف وهو يبكي بين حطام الجيش المصري على شاطيء القناة في نوفمبر ١٩٥٦ واراح رأسه على كتف «عبد اللطيف بغدادي» وهو يردد بالانجليزية «هزمني جيشي» فهل يريدنا هيكل ان نصدقه ونكذب عبد الناصر؟!

منذ صفقة السلاح الروسي، والاسرائيليون يستعدون للحرب ضد مصر، ويقول موشى ديان انه خطب في جنوده في ابريل ١٩٥٦ فقال لهم «ليس لدينا صفقة سلاح تشيكية ولا بريطانية ولا امريكية. . فالبلاد التي لديها السلاح ترفض التعامل معنا ومع ذلك فهناك امة واحدة نستطيع ان نعقد معها صفقة رابحة. . هي امة اسرائيل. . ان ما نحتاجه هو صفقة اسرائيلية يمكنها ان تكشف القوة الدفينة لشعبنا».

ويقول انه كان يعد خطة لاحتلال غزة لتصفية النشاط «الارهابي» (الفدائيون) وفتح خليج العقبة من نوفمبر ١٩٥٥ ولكن مبعوث الرئيس الامريكي كان في ذلك الوقت يفاوض عبد الناصر وبن غوريون [10] ولذلك طلب منه بن غوريون وقف الخطة حتى يناير ١٩٥٦» [11]

ولم يكتف موشى ديان بالطبع بعقد صفقة مع الروح المعنوية في اسرائيل بل نجحت جهودهم في عقد صفقة مع فرنسا في نهاية يونية ١٩٥٦ للحصول «على سلاح يمكننا من مواجهة نوعية السلاح المصري الجديد ان لم يكن حجمه». فالتسليح الفرنسي والاستعداد الاسرائيلي سابق على تأميم القناة، لان اسرائيل تعيش فعلا هذه المواجهة الدائمة العربية ـ الاسرائيلية اما نحن فنتحدث عنها فقط في الخطب وندعو الله ليل نهار ان يجنبنا اياها فلا يستجاب لنا دعاء.

ويقول «لم يكن بن غوريون مفتونا بفكرة ضم قطاع غزة او شبه جزيرة سيناء، بل كل ما كان يريده هو السيطرة على الساحل الغربي لخليج العقبة ومضيق تيران اي شرم الشيخ فلو فتح المضيق للملاحة الاسرائيلية لاصبحت ايلات ميناء كبيرا وهذا يعني الحياة لكل النقب».

وقبل سفر الوفد الاسرائيلي الى فرنسا للاتفاق على الحملة ابلغهم بن غوريون بالتوجيه التالي :

١ـ اسرائيل لن تشن حربا بمفردها.

٢ـ هدفنا هو السيطرة على الشاطيء الغربي لخليج العقبة. لضمان الملاحة الاسرائيلية في الممر المائي وربما نفكر في نزع سلاح شبه جزيرة سيناء ولو تحت اشراف قوة دولية». [12]

وقال الفرنسيون لليهود «اذا ما سيطرتم على مضايق تيران فيمكنكم مد خط انابيب من ايلات الى البحر الابيض».

وهو ما حدث بالضبط بعد الحرب.

وعشية الغزو حدد اليهود اهدافهم : «بالنسبة للهدف النهائي للحملة، فان اهدافنا كانت واضحة كان غرضنا احتلال شبه جزيرة سيناء وازالة القوات المصرية، وهذا سيضمن لنا حرية الملاحة الى ايلات، وتحييد التهديد المباشر لاسرائيل من قبل الجيش المصري ويوقف العمليات الارهابية من قطاع غزة».

وقد تحقق ذلك بالكامل :

١ـ احتلوا شبه جزيرة سيناء خمسة شهور.

٢ـ ازالوا التهديد العسكري المصري بتدمير الجيش المصري وصفقة السلاح الروسي.

٣ـ ضمنوا حرية الملاحة الى ايلات ومن ايلات.

٤ـ اوقفوا العمليات الفدائية من قطاع غزة.

٥ـ نزعوا سلاح سيناء فعليا، بوضع البوليس الدولي الذي جمد الحدود من الجانب المصري عشر سنوات.

ويقول: «نحن ايضا كنا نتمنى ان يحل نظام جديد محل عبد الناصر يصنع علاقات سلام مع اسرائيل ولكن هذا لم يكن جزءا اساسيا من اهدافنا العسكرية التي ستتحقق حتى لو بقي ناصر في السلطة».

ونحن نضيف ولا حتى كان من اهدافهم او امانيهم السياسية في تلك المرحلة، لأن اي سلام مع اسرائيل في هذا الوقت كان سيصادر طموحها ومخططها التوسعي ومندوب الرئيس الاميركي الذي كان يفاوض بن غوريون في هذا الوقت كما اشرنا كان يبحث في اعطاء ممر بري بين مصر والاردن في صحراء النقب لا الحدود الآمنة وتعديلات في صميم الارض المصرية والاردنية والسورية كما سيطرح بعد عشر سنوات.

ولخص موشي ديان نتيجة الحرب بقوله «ولقد تحققت اهداف اسرائيل الثلاثة من الحملة:

حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة، نهاية الارهاب الفدائي . . تجميد خطة الهجوم المشترك المصري ـ السوري ـ الاردني على اسرائيل وقد قبل عبد الناصر مبدأ حرية الملاحة من والى اسرائيل . وقبل وضع حد للارهاب ضدها». [١٣]

ويقول هيكل نفسه «نقلا عن مذكرات موشي ديان عن معركة سيناء» (ولاحظ ان هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها سيناء بدون صفة «صحراء» في كتاب هيكل والسبب هو امانته في النقل عن موشي ديان الذي لا يمكن ان يقول عن جوهرة الشرق الاوسط «صحراء» كما يفعل الامين على الناصرية ج) صفحة ١٢ انه قابل بن جوريون في اليوم التالي لعودته من باريس وعقد معه اجتماعا طويلا، ثم يقول ديان «وفي نهاية الحديث صدر الي الامر بان اكون مستعدا للاستيلاء على تيران لتأكيد حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج

العقبة والبحر الأحمر».

ويشعر هيكل ان هذا النص ينسف دعواه عن «الجوائز» فيهرع الى وثائق بن جوريون التي اصدرها باروزهار سنة ١٩٦٨ ليثبت ان «دافيد بن جوريون طلب في نفس الاجتماع مع ديان» ان تكون هناك خطط اضافية لاحتلال قطاع غزة وللسيطرة العسكرية الكاملة على سيناء[١٤]».

موافقون

ولكن ماذا يعني ذلك؟

يعني ان الامر الصادر بتحديد هدف الخطة او «الحرب المحدودة» هو فتح خليج العقبة والبحر الاحمر للملاحة الاسرائيلية لا اسقاط عبد الناصر ولا دعم الرجعية ولا اقامة حكومة موالية في القاهرة ولا فرض التسليم بلا قيد او شرط، ولا حتى ضم سيناء وكل هذا وارد في الخطة كما قلنا ولكن في حينه.

الاضافة التي وردت في رواية «باروزهار» طبيعية ومنطقية جدا.. فان احتلال تيران وفتح الملاحة في خليج العقبة لاسرائيل مهمة تختلف كثيرا عن عملية مطار «عنتيبي» ضد عيدي امين، او تدمير طائرات طيران الشرق الاوسط في مطار بيروت.. اذ لابد من حسبان المقاومة المصرية الامر الذي يستلزم تصفيتها اولا، قبل الاطمئنان لفتح الملاحة. وهذا يعني احتلال غزة وتحطيم القوة المصرية العسكرية في سيناء.. حتى تصبح تحت السيطرة الاسرائيلية او على الأقل يزول تحكمها للملاحة في خليج العقبة.

وقد فازت اسرائيل بهذا الهدف الكامل الذي حدده بن غوريون قبل تأميم القناة وحرب القناة بعام كامل!

وهيكل ينسى كذبه ولذا يعود ويقرر بعضمة لسانه ان هدف اسرائيل لم يتجاوز فتح خليج العقبة يقول: «كانت اسرائيل - كما رأينا - قد قررت وحسمت واستدعى بن غوريون تلميذه وصفيه موشى ديان من اجازة في باريس وطلب اليه ان يتولى رئاسة اركان حرب الجيش الاسرائيلي ووضع خطة للهجوم على سيناء بقصد احتلال شرم الشيخ وفتح خليج العقبة».

هذا هو هدف حملة ١٩٦٧ الى جانب ما ذكرناه من اهداف اخرى. اما اختراع هدف لاسرائيل وهو «ضم سيناء» ثم الصياح باننا انتصرنا لانها انسحبت والسكوت على مكاسبها الاخرى فلا يشار اليها بحرف، فهو تضليل وتهريج.. والغريب انه يصدر من نفس المدرسة التي تردد ان استرداد سيناء بعد ١٩٦٧ لم يكن مشكلة ولا انتصاراً لأن اسرائيل كانت دائما مستعدة لارجاعها.. كيف تكون اسرائيل غير راغبة في ضم سيناء او غير قادرة على هذا

الضم في مرحلة الامبراطورية وتتطلع لذلك في ١٩٥٦؟!
نعود لهيكل الذي يستعرض لنا انتصارات «حرب السويس». [١٥]
يقول هيكل : كانت حرب السويس تجربة هائلة من تجارب العمل القومي العربي وقدرته وان من غير تنسيق مسبق بين الاطراف»
ولأننا تعاطينا جرعات هذا الاعلام الناصري فتخدرنا بمثل هذه الجمل الانشائية من مدح الذات والرضا عن النفس وهدهدة الاطفال جلبا للنعاس بالخرافات، فقد ظل العمل العربي الى اليوم «يفتبخر» بانه يمر بتجارب هائلة من غير تنسيق مسبق وبمجرد الفزعة البدوية ومحاولة القفز في القطار او القيام باي عمل لاثبات الوجود وتبرئة الضمير او التنفيس عن الوطنية الحقيقية!
والدليل ان مؤرخ النصر لم يجد مثلا يضربه عن الوقفة العربية المساندة لمصر الا نسف مجموعة السراج لخط الانابيب البريطاني وهو عمل مجيد بلاشك ولكن مجموعة انصار جورج حبش نفذته بعد ذلك ولكن في الخط الآخر واثبتت انه لا يحتاج لاكثر من مجموعة فدائية ولا يمكن ان تنحصر فيه مساندة دولة عربية في حجم سوريا ومواقعها - وقتها - في الجولان كانت تمكنها من انزال ضربة موجعة ان لم نقل قاصمة باسرائيل التي قذفت بكل جيشها الى سيناء ولم تكن قد اصبحت بعد المارد الذي يحارب على ثلاث جبهات..
ان هيكل كثير الصخب حول ضربة نسف انابيب النفط، ليس حبا وعرفانا لدور السراج . فما ناله السراج على يد هيكل والنظام الناصري يضيف صفحات خالدة لملحمة العزيز سنمار. ولكن في عام ١٩٨٢ يتفضل هيكل على عبد الحميد السراج في محنته باعلان ان: «السراج كان مضبوطا على نفس موجة عبد الناصر».
ولكن هذا «المضبوط» انفرط عقده فور ان دخل في الفلك الناصري والغيت كل سلطاته وحول الى «طرطور» في القاهرة كما سنرى، وعزل عن قواعده في سوريا وهو الذي كان يحكمها بقبضة حديدية، انتهى به الأمر بسبب هذا «الانضباط» الى ان اعتقل وأهين على يد ضباط الانفصال الذين كانوا يرتعدون من مجرد التفكير في تحديه قبل ان يطحنه النظام الناصري .. فالاشادة بنسف الانابيب ليس تحية للسراج، وانما الصخب هنا هو لاخفاء سؤال رهيب مازال يطل برأسه بين الحين والحين، وسيظل يطل برأسه ينشد الجواب الصريح مهما بدا ان الاعلام الناصري قد نجح في كتم انفاسه اذ لم يطرح ابدا على بساط البحث الجاد.. ولم تعرف الاجابة السليمة عليه.
ذلك السؤال هو : لماذا امرت القيادة المصرية الأردن وسوريا بعدم دخول الحرب؟!
لنرجع قليلا الى الوراء:
منذ عام ١٩٥٣ قام تحالف مصري - سعودي وثيق كان تطورا نشطا واكثر فعالية

للتحالف المصري ـ السعودي الذي تم بين الملكين الراحلين عبد العزيز وفاروق منذ عام ١٩٤٦ والذي مكن من قيام الجامعة العربية، ووحدة الموقف العربي، بصرف النظر عن النتائج ـ حول قرار تقسيم فلسطين والحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى. . وقد تطور هذا التحالف في ظل الملك سعود والقيادة المصرية الجديدة لحركة ٢٣ يوليو بحيث اصبح اكثر تركيزا على تصفية الوجودين البريطاني والفرنسي من المنطقة. . واذا كان الفرنسيون قد قبضوا في خلال ٢٤ ساعة على باخرة مصرية تحمل السلاح للجزائر (الباخرة آتوس) وعلى شيك سعودي بعشرة ملايين دولار مع مجموعة بن بللا عندما أنزلت طائرتهم واعتقلوا. . فان التحالف المصري ـ السعودي كان اكثر وضوحا في شرق البحر الابيض أو المشرق العربي ضد بريطانيا حيث العدو التقليدي والمباشر للسعوديين والمصريين. . وكانت المملكة على خلاف بل وصدام مع الانجليز سواء من خلال العرش الهاشمي في العراق، والملك عبد الله في الاردن، أو بالعدوان البريطاني على البوريمي السعودية. . وجميع حدود المملكة مع جيرانها الخليجيين. . بينما كانت مصر بالطبع في صدام مسلح مع الانجليز في مصر وصراع في السودان، وخلاف تقليدي بين القاهرة من ناحية، وبغداد وعمان من ناحية اخرى. . اما سوريا التي ظفرت باستقلالها حديثا من فرنسا، بمساعدة بريطانية، ونفوذ بريطاني في السنين الاولى، فقد تحولت الى ارض الصراع لشتى القوى في المنطقة بين شركة نفط العراق وشركة ارامكو حول مد انابيب النفط الى البحر، وبين العراق والسعودية، وبين مصر والعراق. . وبين بريطانيا وفرنسا. .

واستطاع الذهب السعودي والاعلام الناصري أو كما يقول سلوين لويد مشوها «ان رياح القومية العربية التي تهب من مصر تفوح منها رائحة الذهب السعودي»[١٦] . . استطاعا أن يوجها الموجة القومية والوطنية، الاصيلة في عدائها للاستعمار البريطاني والجادة في التحرر من هذا الاستعمار، استطاعا توجيهها لكيل الضربات لهذا النفوذ، فتمت حماية سوريا من مؤامرات نوري السعيد ـ البريطانيين وتم طرد غلوب من الاردن، وقيام حكومة ناصرية في عمان وتطويق ثم هزيمة حلف بغداد، وأي تأريخ لتلك الفترة يحاول انكار المساهمة السعودية الفعالة في تحقيق هذه الاهداف، هو تزوير مفضوح للتاريخ، في اعتقادنا لا ينجم فقط عن نكران الجميل ولا الرغبة في ابراز الدور الخاص، ولا لتبرير الافتراءات والتطاول على الملك الراحل سعود، والدور السعودي في مرحلة التحرر من الاستعمارين البريطاني ـ والفرنسي، بل وأيضا لسبب آخر لا يقل أهمية ويتعلق بفهم «طبيعة» هذه المرحلة وحقيقة التيارات والمصالح التي حكمت التحرك الناصري فيها ووفرت له النجاح وهو ما سنشرحه بالتفصيل وبالصراحة الكاملة في موضعه.

المهم انه نتيجة هذه الجهود، بدأ يتشكل حلف سعودي ـ مصري ـ سوري ـ يمني. .

وركز جهوده على جذب الاردن. . بعيدا عن العراق الذي وقع حلف بغداد مع تركيا في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ وانضمت اليهما بريطانيا في ٤ ابريل ١٩٥٥ ثم تبعتها ايران وباكستان (يوليو واكتوبر ١٩٥٥).

ففي أول مارس ١٩٥٥ وقع في دمشق اتفاق مصري ـ سوري وفي ٦ مارس ١٩٥٥ أيدت السعودية الاتفاق المصري ـ السوري واعلن عن تشكيل قيادة عسكرية مشتركة للاقطار الثلاثة. وفي ٢٧ اكتوبر ١٩٥٥ وقعت اتفاقية لتوحيد القيادة العسكرية بين مصر والسعودية. وفي ١٢ مارس اختتم مؤتمر ثلاثي في القاهرة بين عبد الناصر والملك سعود وشكري القوتلي، دام اسبوعا، وصدر بيان مشترك باقرار جميع الاجراءات الضرورية لاقامة جبهة موحدة ضد اسرائيل، وشجب حلف بغداد «لأنه يضعف الموقف العربي» وتقرر ارسال مبعوث عن المؤتمر الى الملك حسين مع عرض بدفع قيمة المعونة البريطانية للاردن اذا ما الغى معاهدته مع الانجليز (قدم العرض في يناير ١٩٥٦ وسافر المبعوث لتأكيده). .

ويقول سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وقتها ان «الحملة ضد غلوب في الاردن كان يقوم بها عملاء ناصر والسعوديون»[١٧] وان «اخراج غلوب قد تم بالدعاية المصرية، ومال الملك سعود»[١٨].

وفي ابريل ١٩٥٦ وقعت الاتفاقية المصرية ـ السعودية ـ اليمنية. واقرضت السعودية عشرة ملايين دولار لليمن. «واعلنت الحكومة المصرية ترحيبها بالحلف كضربة لبريطانيا وجزء من خطة طرد البريطانين من شبه الجزيرة العربية. واعترف خروشوف انهم (الروس) يبيعون سلاحا لليمن»[١٩] ويتكلم هيكل بنفس لهجة سلوين لويد عن استغلال مصري للسعوديين فيقول «ان عبد الناصر استعان بالاسرة المالكة السعودية ضد حلف بغداد»[٢٠] ويكتفي بهذا النطق السامي دون تفسير! ولا يقول لنا اذا كانت معركة حلف بغداد هي ابرز منجزات السياسة الناصرية الثورية ضد الاستعمار الامريكي وشركاه فكيف قبلت الاسرة السعودية ـ واتهامات هيكل لها معروفة ـ ان يستعان بها في تحقيق هذا الانجاز الثوري التاريخي؟!

ويشهد بغدادي انه في اكتوبر ١٩٥٥ طلب الامير فيصل بن عبد العزيز تشكيل لجنة عسكرية مصرية ـ سعودية لشراء اسلحة للمملكة من دول الكتلة الغربية كما يشهد بغدادي ان الرئيس شمعون وسط عبد الناصر لدى السعودية لوقف الحملة عليه في صحف لبنان. ولكن فيصل (بن عبد العزيز) قال ان شمعون «انجليزي» ويعمل على تنفيذ سياسة الانجليز»[٢١]

في اول مارس ١٩٥٦ طرد «غلوب» باشا أو الحاكم الفعلي البريطاني للأردن وقائد الجيش الاردني والقصة معروفة حول وصول خبر الطرد اثناء مأدبة العشاء لسلوين لويد في القاهرة

مع عبد الناصر وعامر. واندفع المد الوطن العروبي في الاردن فاستقال الوزراء الفلسطينيون الاربعة خلال زيارة الجنرال تمبلر للاردن، وهي الزيارة التي كانت آخر محاولة من بريطانيا لاقناع الملك حسين بالانضمام الى حلف بغداد وسجل سولين لويد في مذكراته عن الوزراء «ومن المعتقد أنهم تلقوا رشوة ضخمة من السعوديين». . وان الملك حسين قد «احاط به قرناء السوء»

في ١٠ مارس عرض نوري السعيد على سلوين لويد تنفيذ انقلاب في سوريا اذا ما حصل له على ضمانة بعدم تدخل تركيا او اسرائيل. . وحصل له سلوين لويد على وعد بذلك من تركيا واسرائيل وكان الموعد المحدد لتنفيذ الانقلاب هو الفترة مابين ٣٠ سبتمبر و ١٥ اكتوبر ١٩٥٦.

ووصل المد الوطني في الاردن الى ذروته باجراء الانتخابات وفوز حكومة سليمان النابلسي بالأغلبية الساحقة، وقيام مجلس نيابي ناصري - سعودي، وتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا والاردن، ووضعت القوات العسكرية الثلاث تحت تصرف القائد المصري عبد الحكيم عامر، فهو الذي يأمرها بدخول الحرب ويوجه تحركاتها العسكرية تماما كأنها جيش واحد.

ولاشك ان هذه كانت اعلى مرحلة في التضامن العربي، والتنسيق العربي العسكري، ولكن «هيكل» لايشير اليها ابدا في سجل الانتصارات، بل يقفز عليها للحديث عن نسف «ماسورة» النفط، ولأمر ما جدع قصير انفه، واشترت المرأة السمسم غير المقشور بالمقشور. . !

اكتفى هيكل باشارة غريبة الى هذا الاتفاق، والى الهدف الذي كان يُرجى منه عندما قال أن السراج «كان يأخذ ميثاق الدفاع المشترك والقيادة المشتركة بين مصر وسوريا والاردن، وهو اتفاق وقع قبل العدوان الاسرائيلي بأيام قليلة مأخذ الجد»(!!!ج)

العفو! ما هو كان صغير وربما لم يكن قد انضبط - بعد - على كل الموجات العاملة مع القاهرة!

ويقول انه اكتشف في سوريا خطة سرية «لعمل انقلاب في سوريا يتوافق مع غزو مصر، وكان هدفها ان تمنع اشتراك الجيش السوري في المعركة مسانداً لمصر، الى جانب الهدف الدائم وهو السيطرة على قلب دمشق»، ولكن الخطة اكتشفت واحبطت.

المؤامرة صحيحة وقد اعترف بها سلوين لويد وغيره ولكن هل صحيح أدى كشفها الى احباط الهدف؟ وهو منع الجيش السوري من الاشتراك في المعركة؟!

هل اشترك الجيش السوري في المعركة؟

ومن الذي منعه؟ ليس نوري السعيد ولا حلف بغداد ولا الرجعية . . بل أمر صريح من

عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المشتركة المصرية ـ السورية ـ الاردنية.
لماذا؟

ويمكن لأي قارىء ملم باوضاع تلك الفترة أن يقدر مدى التحول في الموقف الذي كان يمكن أن يحدث لو اصدر عبد الحكيم عامر أمره للجيشين الاردني والسوري بالهجوم على اسرائيل خلال استغراق جيشها في اضخم حرب واجهته منذ قيام اسرائيل، وهي غزو سيناء التي تعادل مساحتها مساحة اسرائيل مرتين ونصف مرة، فالجيش الاردني كان بشهادة الجميع وقتها، عالي الكفاءة من الناحية العسكرية، ومتفجر الوطنية والرغبة في غسل عار معارك ١٩٤٨ والاتهامات التي كيلت له بسبب خيانة قادته الانجليز، والجيش الاردني، كما يذكر المغمرون ـ كان وقتها على بعد طلقة مدفع من البحر ويستطيع أن يقسم اسرائيل الى شطرين بطابور دبابات وتأملوا الخريطة.. والجيش السوري كان لايزال بكرا لم تمزقه الانقلابات والمؤامرات والحزبية، ومواقعه في الجولان كانت تعطيه تفوقا ساحقا اعتبر انه غير قابل للهزيمة «عسكريا».. وكان السلاح الجوي الاسرائيلي مازال في بدايته.

نتمنى ان يذكرلنا ناصري واحد ما هي الخسائر المحتملة عسكريا أوسياسيا التي اراد القرار المصري تجنبها بمنع الاردن وسوريا من فتح جبهتين ضد اسرائيل في عام ١٩٥٦ والتي لم تكن محتملة في ١٩٦٧ عندما طلب منها الدخول رغم اختلاف الظروف تماما بحيث كان المكسب في ١٩٥٦ محتملا والخسارة في ١٩٦٧ مؤكدة بعد ضربة الطيران المصري..؟! الا يذكرنا هذا بسؤال ما يلزكويلند عن «اللغز» في احجام عبد الناصر عن الحرب مع توفر عوامل النصر، والانجرار اليها اذا كانت الخسارة مؤكدة؟!

من الناحية العسكرية كان الوضع أفضل بالنسبة للعرب في ١٩٥٦.

من الناحية السياسية كانت اسرائيل معتدية باتفاق العالم كله لأول وآخر مرة وبقرار ادانة امريكي! وكانت مصر وسوريا والاردن اعضاء في قيادة مشتركة تلزمهم جميعا بالحرب اذا ما اعتدى على أحد الاطراف الثلاثة، ومن ثم لالوم ولا مؤاخذة دولية.. بل اعجاب وزرع لهيبة العرب على المستوى الدولي، وتعريف العالم ان التضامن العربي والاتفاقيات العسكرية العربية أمور جادة..

مؤكد ان الوضع العسكري لم يكن ليصبح اكثر سوءاً لوصدر الأمر الى سوريا والاردن بالهجوم على اسرائيل في ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦

هذا من الناحية العسكرية التي لاتحتاج لكثير اثبات، ولكن هناك عنصر سياسي خطير، يتغافلون عنه ولم يطرح ابدا، وهوما كان يقلق بال الانجليز واليهود والامريكان ونوري السعيد وغيره.. خلال فترة الاعداد لغزو مصر.. فالمعروف ان الاردن كان مرتبطا بمعاهدة دفاعية مع الانجليز، وباتفاق مع العراق يتضمن دخول الجيش العراقي الاردن في

حالـة تعـرضـه لعـدوان اسـرائيـلي، وذلك بعدما تصاعد عدوان اسرائيل على الأردن قبيل الهجـوم على مصـر، حتى ساد الاعتقـاد بان اسـرائيـل تدبـر غزو الاردن لا مصـر. . وكان المفروض في حالة وقوع حرب شاملة بين الاردن وإسرائيل ان تصبح كل من بريطانيا والعراق في مأزق حرج. . فاذا كان الجيش العـراقي سيجـد نفسـه مضطـرا بحكم الضغوط العربية والشعبيـة على حكـومـة بغـداد، اوبحكم وطنية ضباطه، مشتركا في المعركة، فإن بريطانيا كانت ستواجه مأزقا خطيرا لأنه فضلا عن استحالة محاربتها لاسرائيل، كانت في هذا الوقت بالذات تخطط لغزو مشترك مع اسرائيل.

يصـور لنـا موشي ديـان هذا المأزق بعـد عشرين عاما بقوله: «خلال المفاوضات (لتدبير العدوان الثلاثي ج) كان من الضروري أن نعمل على تجنب وضع قد نتزلق فيه الى صدام مع بريطـانيـا قد يؤدي الى عمـل عسكـري بريطـاني ضدنـا. وذلـك من جراء العـلاقـة الـبريطـانيـة ـ الاسـرائيليـة المعقـدة. فبريطـانيا لها معاهدات مع عدة دول عربية قد تهرع لمساعدة مصر، ولو حدث ذلك فقد ينشأ وضع نكون فيه نقاتل مع بريطانيا في جبهة، وفجأة نجـد انفسنـا مصطـدمـين معهـا في جهـة اخـرى مع الاردن حيث سيقـدم له البريطانيون مساعدة عسكرية بموجب معاهدة الدفاع الانجلو اردنية»[٢٢]

«وكـان رأي بن غوريـون ان اسـرائيـل لن تهاجم الاردن الا اذا هاجمهـا الأردن، وما دام لايسمح للقوات العراقية بالدخول في اراضيه وكان بن غوريون يعتقد أن بريطانيا لديها من النفـوذ ما يمكنهـا من ضمان حيـاد الأردن وبـذلك تمنع تعقيدات لا ضرورة لها ستتبع دخول القوات العراقية في الاردن»[٢٣]

«وكـان العـراق والاردن قد انشـآ قيـادة عليـا مشتركة في يونيو ١٩٥٦ تقرر بها وضع فرقة عراقيـة متقـدمـة على الحـدود العـراقيـة ـ الاردنيـة تكـون مستعدة لمساعدة الاردن في حالة الطـوارىء، ثم اجتمـع الملكـان حسـين وفيصـل بن غازي لبحث نقـل هذه القـوات ذاتها للاردن، وقد اعلن بن غوريون عن عزمه على التصرف عسكريا لو حدث ذلك.»[٢٤]

إسـرائيـل كانت مصممـة على التصـرف عسكـريـا لو دخـل الجيش العـراقي الاردن، والمعـاهـدة التي يرتهن بها شرف العـرش العـراقي، ونـوري السعيد، والمراهنة على صداقة النظـام العـراقي معلقـة على تنفيـذ بنـد الـدخـول العـراقي في حالـة الحـرب بين الاردن واسـرائيـل. والمعـاهـدة الـبريطـانيـة الاردنية، والبريطانية العراقية وسمعة بريطانيا، وثقة اصـدقـائها، وادعاءات عملائها كله معلق على امتحان موقفها اذا ما حدث القتال المسلح بين الاردن ثم العـراق واسـرائيـل «كذلك كان علينا أن نعرف هل ستنفذ بريطانيا معاهدتها مع الاردن وتتقدم لمساعدته اذا ما هاجم اسرائيل او اذا تحركت اسرائيل الى الضفة الغربية ردا على دخول القوات العراقية الاردن؟».

وجاء في مذكرات «هيوغتسكيل» زعيم المعارضة البريطانية خلال معركة القناة انه اثناء حفل العشاء الشهير الذي كان مقاما على شرف الملك فيصل العراقي ليلة التأميم سأل الامير عبد الاله الوصي على العرش العراقي عن الاحوال فرد الوصي العراقي (٢٦/٧/١٩٥٦): «ان الوضع خطير، والاردنيون قد يقدمون على اجراء «سخيف» ويهاجمون اسرائيل فنجد انفسنا تنجر الى الصراع. ان هذا مثير للقلق» [٢٥]

ازمة فعلا.. ومشكلة خطيرة.. وبن غوريون يراهن على الضغط البريطاني على الاردن لانقاذ الغرب واسرائيل والنظم الصديقة من هذه الورطة ـ الكارثة.. ولكنها مراهنة غير مضمونة، فالاردن في اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٥٦ لم يكن بالأرض الصالحة لقبول مثل هذا الضغط البريطاني بل الاحرى ان الملك حسين بذكائه المعروف كان سيرفض تنفيذ مثل هذا الطلب، أما عن الجيش الاردني بقيادة على ابو نوار الناصري واللاجىء السياسي في القاهرة بعد ذلك، والحكومة الاردنية حكومة سليمان النابلسي وهوغني عن التعريف فكان يستحيل تصور استجابتها للضغط البريطاني ورفض تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك.

ورطة حلت بابسط واهون ثمن.. مصادفة عجيبة جعلت «الضغط» يأتي من اخر جهة يمكن ان ترد على الخاطر ومن جهة لايمكن اتهام من يطيع أمرها بالخيانة.. من القيادة المصرية المغزوة أرضها ؟!

لماذا؟

نتمنى ان نسمع تفسيرا..

بالطبع لا نريد تفسيرا سوقيا حاقدا من طراز «أمه يهودية» أوعبد الحكيم عامر اصله «ايلي كوهين» هذا سخف لايستحق حتى مجرد السماع فضلا عن المناقشة..

التفسير الذي وصلنا اليه، ان صفقة تمت بين امريكا وعبد الناصر، طالبت فيها امريكا عبد الناصر الا يوسع النزاع، أن يمنع دخول الاردن وسوريا الحرب وهي تتعهد بالباقي.. وقد نفذ الطرفان.. **ولكن ربح اليهود وخسرنا على المدى القريب والبعيد!**

ويلاحظ ان «سلوين لويد» قد اورد قرار عبد الحكيم عامر للجيشين الاردني والسوري بعدم دخول الحرب، ولكنه لم يعلق بحرف على اسباب القرار! [٢٦]

وهكذا لم يكن امام الضباط السوريين، الا ماسورة النفط ينفثون فيها غيظهم، ويرفعون في نفس الوقت سعر النفط الامريكي بقطع اكبر شريان للنفط الانجلو ـ فرنسي على البحر الابيض واقرب شريان لغرب اوروبا الى جانب سد قناة السويس..

ان المساندة العربية الاساسية التي كانت يمكن ان تشكل قاعدة العمل العربي، ونموذجا للتضامن ينمو مع الايام، ويحسب له العدو حسابه في المستقبل، المساندة التي كانت ستكتب سطور الوحدة العربية بالدم، منعها عبد الناصر، وبالتالي لم يبق الا المساندة

بالخطب والاغـاني والـبرقيات، والنداء «هنا القاهرة» من اذاعة عمان ودمشق عندما ضربت الاذاعة المصرية واستقر في ذهن العرب ان «قطع» النفط هو آخر الدواء والحلقة المفرغة التي ترقص حولها الأمة العربية دون أي تقدم .

والمسؤول عن ذلك هو المؤامرة الاعلامية التي ارادت اخفاء السروراء عدم تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك في اول امتحان للتضامن العربي في ظل ٢٣ يوليو. . بالصخب حول الدعم العـربي والتضـامن العربي، وبسالة الجيش السوري الذي نسف انبوب النفط وكأنه جماعة ارهابية مطاردة من السلطة؟!

لو طبق الميثـاق لعـرف العرب قيمة هذه الاتفاقيات و«اخذوها مأخذ الجد» ولعرف العدو قيمتها «واخذها مأخذ الجد» كما يسخر هيكل من سذاجة السراج؟!

أيمكن ان يقول كاتب جاد «مؤمن» بعبد الناصر والوحدة العربية ان السراج «كان يأخذ ميثاق الدفاع المشترك مأخذ الجد»؟!

يعني ايه؟!

اتفاقية عسكرية وقع عليها رؤساء ثلاث دول والقائد العام في كل جيش واقرتها السلطة التشريعية في كل بلد. . فاي عجب او غرابة ان يأخذها السراج على محمل الجد؟! الا لأن كاتب هذا الكلام يعرف ان الأمر كله نصب في نصب؟!

على ايـة حال هيكـل اعفى نفسـه من تقـديم أي تفسير للسبب الذي لم تنفذ من اجله الاتفاقية رغم اكتشاف المؤامرة الاستعمارية الرجعية التي كانت تستهدف منع تنفيذها؟!

بقي ان نقـول ان المسـاعـدة العسكـريـة الـوحيـدة التي قدمت كانت من السعودية التي ارسلت طائـراتهـا لمصـر وسمحت للطائرات المصرية باللجوء الى المطارات السعودية مخاطرة بتعرض هذه المطارات للضرب.

نعود لقائمة الانتصارات:

- ان جو السويس كان هو الاختبار الذي نجح ونضج فيه جيل الخمسينات في العالم العربي، جيل جمال عبد الناصر واحمد بن بللا وهواري بومدين وعبد السلام عارف وجماعات الضباط الوحدويين في سوريا والطلائع الملتزمة من حزب البعث العربي الاشتراكي في منطقة الهلال الخصيب، وهو جيل كتب عليه أن يكون جسرا تمشي - وتدوس احيانا - عليه أمة بأسرها من مرحلة الى مرحلة في النضال. كان هذا هو الجيل الذي فتح الطريق تحت شعارات «الحرية والاشـتراكيـة والـوحدة» و«من المحيط الى الخليج» «وبترول العرب للعرب» و«نصادق من يصـادقنـا، ونعادي من يعادينا» ونحن جزء من حركة الثورة الوطنية في العالم» الى آخره الى آخره (هو اللي بيقول الى آخره وليس انا. ج) وربما كان أقسى نقد يمكن توجيهه لهذا الجيل انـه كان يعـرف مالا يـريـد بوضـوح ولكنه لم يكن يعرف ماذا يريد بنفس هذا الوضوح» الى

آخره الى آخره وانا الذي اقولها هذه المرة!

وليسمح لنا ان نضيف الى قائمة جيل الخمسينات: عبد الكريم قاسم الذي لاشك ان اثره في العراق، وفي التاريخ العربي اكبر من اثر عبد السلام عارف الذي جاء وذهب وجاء وقتل ولا احد اهتم بماذا يريد وماذا لايريد.. وان كان النظام المصري يحمل القسط الاكبر في مسؤولية مصيره التعس وفشله، ولاشك انه كان يتفجر وطنية، وأخلاصا وتدينا، والحمد لله الذي جعل «هيكل» يسجله في قائمة الشرف، وقد كان هذا الهيكل شجى في حلق عبد السلام عارف في حياة هذا المسكين.

اما ابن بللا فلا شك في اخلاصه وحماسته وثوريته، ولاشك ايضا في أنه بدأ ثورته قبل السويس.. وتعلم مما يتلوه الناصريون في بابل ما فرق بينه وبين الشعب الجزائري، فتمكن منه هواري بومدين ابن جيل الخمسينات، الذي استطاع بمساعدة مقالات هيكل الاستفزازية، المتباكي اليوم على بومدين، والمهاجم له يوم كان رئيس الجزائر، المهم استطاع بومدين أن يحول الجزائر الى اكبر قوة معادية لمصر وعبد الناصر، وهو البلد الوحيد الذي ضرب فيه المصريون بعد هزيمة ١٩٦٧ واعتدى فيه على السفارة المصرية [٢٧].. وتحولت الجزائر من حلم وبهجة وأمل كل عربي، بل ومن «اكمل نصر عربي حقا» تحولت على يد الأصفر الحقود الى شجى في حلق الأمة العربية، ومصدر الفرقة والنزيف الدائم حتى اليوم في المغرب العربي!

اما جيل ضباط الوحدة في سوريا والطلائع الملتزمة في حزب البعث، فحدث ولا حرج من الحريري الى أمين الحافظ وصلاح جديد وياخوس والجندي ولا تنس كمال أمين ثابت.. وعلى صالح السعدي ونايف كذا.. والحبل على الجرار..

اما أنه لم يجد لهذا الجيل ما يسجله له الا الشعارات (باستثناء بن بللا) فلا نناقش، فقط نذكر المواطن العربي بما تحقق منها.. كل تلك الحريات التي يرفل فيها المواطن العربي والوطن العربي وكل الاشتراكية التي تغمر الاسواق العربية والتي تفوح من سيجار هيكل وبيوته الثلاثة في مدينة القاهرة كما ذكر للمحقق، أما عن الوحدة من المحيط الى الخليج فلا ينكرها الا جاحد لفضل حرب السويس.!

وقد والله احتار فينا الصديق والعدو، ولم نجد عند الضيق صديقا له قيمة يأخذ بيدنا أويعطينا ربع ما يعطيه العدو لاسرائيل.. اما بترول العرب للعرب الذي لم يتحقق الا بعد ان خفتت اصوات هذا الجيل وزالوا من على المسرح، وتقلص ظلهم من الساحة العربية، وتحقق على اية حال على يد «شيوخ» لاوجه للشبه بينهم وبين جيل الخمسينات هذا..!

اذا كانت هذه هي الانتصارات فأين الهزائم؟

يقدم لنا هيكل قائمة اخرى من الانتصارات من طراز استطاعة «الاتحاد السوفيتي ان

يحقق ويعلن تعادله مع امريكا». ويحتار الصراف أين يصرف هذا الانتصار بالعملة المصرية، خاصة وقد اضاف تفسير هيكل حيرة الى الحيرة اذ قال وهي . «التي فتحت باب الوفاق»! هل كان الوفاق لصالحنا؟!

. ويصر على أن يسجل علينا في قائمة الانتصارات: «انقسام العالم بين روسيا وامريكا، وقرار فرنسا والصين بناء قوة نووية مستقلة، وتحول بريطانيا وفرنسا الى دولة من الدرجة الثانية، وسقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة، وتدعيم الاتجاه نحو السوق الاوروبية، وتحرير المستعمرات في افريقيا وامريكا اللاتينية وظهور لومومبا ونكروما ونيريري (؟ اج) وفيدل كاسترو. وان السويس كانت آخر صراع شارك فيه العمالقة «في ميدان القتال كان هناك جمال عبد الناصر من ناحية، وعلى الناحية الاخرى دافيد بن جوريون، وانطوني ايدن وجي موليه» وطبعا لا احد يقول ان «جي موليه» كان عملاقا، ولا أحد يذكر اسمه الآن الا بالعدوان على مصر. وايدن سماه عبد الناصر «الخرع» فمن أين جاءته العملقة؟!

كلام وحذلقة وخلي يتفكه بالأم الشجي المصري!

على اية حال هذه لم تكن سوى المقدمة.. والكتاب في ثلاثمائة صفحة! ويبدأ الفصل الاول بالحديث عن اسرائيل، وهو ما نحمده له، فهي حقا جوهر القضية، ولب المعركة.. ويقرر لنا ان «شركاء الحرب ضد مصر في سنة ١٩٥٦ كانوا أربعة ولم يكونوا ثلاثة كما هو شائع في تعبير العدوان الثلاثي»[٢٨]

الله اعلم بعدتهم! والله على الذي حاول اخفاء الشريك الرابع عشرين سنة.. واطلق على الحرب اسم «العدوان الثلاثي» وغني له «٣ دول متقدمة يا بور سعيد..» الخ والشريك الرابع الذي يكشف عنه هيكل الستار، هو امريكا بالطبع، الذي يؤكد لنا انها: «سارت شوطا على طريق السويس، ثم تخلت عنه الى طرق أخرى ظنتها اسرع نفاذاً الى القاهرة» وهذا هو الخلط حقا.. خلط نتائج صحيحة بمقدمات خاطئة، ومقدمات معروفة بنتائج مزورة، وستشرح ذلك بالتفصيل، فالولايات المتحدة كانت نافذة الى القاهرة.. ولكن بغير هذه الصيغة السوقية المضللة، والحق ان «هيكل» لايقدم جديدا فاتهام امريكا بالمساهمة في العدوان الثلاثي وحلف بغداد وجميع المؤامرات ضد السلطة المصرية في تلك الفترة مطروح في الاعلام الناصري بوضوح منذ عام ١٩٥٧ وبشكل متقطع ومتحفظ احيانا قبل ذلك وبالذات منذ ١٩٥٥

يقول: «كانت اسرائيل امام الجميع على طريق السويس بحكم اهتمامها الذي لايدانيه اهتمام بكل ما يجري في مصر»

وهذا صحيح ألف في المائة.. والكارثة انهم يعرفون، وان كنت تدري فالمصيبة اعظم. الم يكن الواجب ولو من باب المجاملة أن نهتم بمن يهتم بنا؟!

وسنؤجل حديث «الاهتمام» وانما نكتفي حاليا بذكر عدة نصوص:

«كان لدى المخابرات المصرية تقرير من تقدير المخابرات البريطانية جاء به: «ليس لدى مصر اية نية في الاعتداء على اسرائيل، وانها ليست مستعدة لذلك بخلاف موقف اسرائيل واستعدادها». [٢٩]

في سنة ١٩٥٥ وبعد ما قطع بن غوريون عزلته في مستعمرة سدبوكر بالنقب ليعد العدة لضرب مصر الضربة القاتلة.. يقول هيكل «كان عبد الناصر يقول انه لايشغل نفسه باسرائيل، وانما يركز على التنمية الداخلية في مصر وانه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية، لاعتقاده كما قال عبد الناصر نفسه ان اسرائيل ليست خطرا على مصر الا لأن مصر ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا.» [٣٠]

فالرئيس عبد الناصر:

١ ـ لايشغل نفسه باسرائيل

٢ ـ لايفكر في مواجهة عسكرية معها، لا ابتداء من جانبه، ولا حتى في احتمال ان «تجن» هي وتهاجمه ولذلك بدأ يضعف قدرة مصر العسكرية بخفض ميزانية القوات المسلحة، وسيحدث هذا ـ للمصادفة ـ مرة اخرى في نفس السنة السابقة على حرب ١٩٦٧ وسيلغي بند بناء الدشم التي تحمي الطائرات المصرية لتوفير النفقات اللازمة للحرب في اليمن..!

٣ ـ ونحن نعرف ان الزعيم الخالد لم يصمد طويلا على هذا التصور، وهو الرغيف قبل المدفع، أو المصنع قبل الدبابة، لأنه بعد قليل من ذلك الاعلان والخفض في ميزانية التسلح، عقد صفقة السلاح السوفيتي التي قدرت الدفعة الاولى منها بستين ضعف ما خفضه لزيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية.. ومع ذلك فنحن نعتقد كما سنثبت ان صفقة السلاح الروسي كانت هربا من المواجهة وليس سعيا لها.. المهم ان القيادة الجديدة لمصر جاءت الى السلطة وهي غير منشغلة باسرائيل واستمرت على عدم شغل البال هذا حتى قذفتها اسرائيل بالقارعة تلو القارعة.. فقررت أن تشغلنا باسرائيل بدلا من أن تنشغل هي باسرائيل..

في ١٩٥٥ قال «محمود فوزي» الذي يسرع اليه هيكل بالثناء عليه، ولاندري لماذا؟..

قال فوزي لسلوين لويد «ما من حكومة مصرية سيصل بها الجنون يوما الى حد شن هجوم مسلح على اسرائيل» [٣١]

بعد الشر عليكم من الجنون.. والمجنون زاح والحمد لله..

ويقدم لنا هيكل خطة مصر ضد اسرائيل.. آسف هذه لاوجود لها.. أقصد يقدم لنا خطة اسرائيل ضد مصر، التي كانت تتوقع ان تستمر مصر، قائدة العالم العربي والوحيدة

القادرة على شن هجوم عليها الى نهاية هذا القرن

ونقرأ الخطة ونحتار هل كانوا فعلا يعرفون ذلك ففعلوا كل ما يؤدي الى تحقيق خطة اسرائيل؟..

فهذه خطة اسرائيل واهدافها بالنسبة لمصر كما أوردها فيلسوف الناصرية وصوتها الداوي:

١ ـ ابقاء مصر ضعيفة متخلفة غير قادرة على اقامة البناء الاقتصادي الزراعي والصناعي المتطور، وباختصار ان يظل الانسان المصري كيانا مقهورا مطحونا عليلا غائبا عن الوجود الحضاري بكل قيمه، تماما كتلك الصورة التي رسمتها جولدا مائير في كتابها حياتي الذي وصفت فيه الناس داخل محطة سكة حديد القاهرة حين وصلت اليها في العشرينات في طريقها الى فلسطين.. اكوام من اللحم والعظم المغطى بالتراب والذباب»

اليست هي غولدا مائير التي زعمت الرواية المصرية انها قالت عن مصر الناصرية: «لما يتعلموا يركبوا الاتوبيس نبدأ نخاف منهم» هل كانت حالة مصر عند وفاة عبد الناصر افضل بكثير منها قبل ثلاثين سنه.. هل كانت اكوام اللحم داخل وخارج وعلى سلم وفوق سطح الاتوبيس افضل؟ هل تقدمنا بانتقال اكوام اللحم من المحطة الى سطوح القطارات تحصدها اعمدة الكبارى وتلقيها على جانبي القطار للذباب؟! هل كانت القاهرة كما هي الآن «اقذر» عاصمة في العالم العربي؟! هل مرت فترة كان فيها المصري كيانا مطحونا عليلا غائبا عن الوجود الحضاري بكل قيمة من الفترة التي مرت به من ١٩٥٢ الى ١٩٦٦...؟!

٢ ـ «ابقاء مصر معزولة عن بقية العالم العربي..»

وهي عناوين وضعنا فيها مؤلفات، ولكن يكفي ان نقدم صورة لوضع مصر والعالم العربي في عدوان ١٩٦٧.

كانت مصر قد انسحبت من مؤتمر القمة العربي لأنه «اصبح مظلة للرجعية العربية» وانسحبت من مؤتمر القمة الافريقي «بعد أن تأكد لها ان استمرار حضورها اصبح غير ذي فائدة» وأعلن عبد الناصر أن القوات المصرية باقية في اليمن، ووصل الخلاف مع السعودية الى ذروته، وعشية هجوم اسرائيل كان عبد الناصر يسب الملك فيصل في «القاعدة العسكرية المتقدمة» في سيناء ويطالبه بأن يطلب من صديقه شاه ايران.. الخ

وعندما وصل الملك حسين الى القاهرة في ٣٠/٥/ ١٩٦٧ وكانت علاقاته متدهورة مع مصر[٣٣] الى حد أن داعبه عبد الناصر بقوله «مارأيك لوقمنا باعتقالك؟»

وكانت هناك أزمة حدود مع السودان بسبب حلايب، أوشك الجيش المصري ان يتدخل فيها كما صرح زكريا محي الدين وذلك في الاسبوع الاول من مايو ١٩٦٧!! والعلاقات

مقطوعة مع تونس وفي اسوأ حالاتها مع المغرب بعد ان حاربناها من أجل الجزائر ورفعنا شعار الحسن والحسين. . الخ ثم خاصمنا الجزائر من اجل ابن بللا

هذا بعض من فيض يؤكد أن هدف اسرائيل رقم ٢ في خطة هيكل، قد تحقق ربما بما يفوق احلامها!

يقول: «كانت اسرائيل تريد أن تظل اهتمامات القاهرة متجهة الى الخرطوم في الجنوب على اقصى تقدير تحت ضغوط وادي النيل أو أوهام وحدة التاج بين مصر والسودان، وفي نفس الوقت تبقى **صحراء سيناء** عازلا يفصل ما بين المشرق العربي في اسيا والمغرب العربي في افريقيا، كان لابد **للصحراء** العازلة أن تكون فراغا من اي قوة، ومنذ ذلك الوقت المبكر اتخذت الاستراتيجية الاسرائيلية من **صحراء** سيناء مقياسا للأمن والخطر، اذا كانت **الصحراء** فارغة من مظاهر القوة فهو الامن، واذا امتلأت **الصحراء** فهو الخطر»

الحروف السوداء من عندي وهي لابرازانه في اقل من خمسة سطور وصف سيناء بالصحراء ست مرات، لم يخطى مرة واحدة ويقول «سيناء» وهي المحافظة الوحيدة في مصر التي تضم البحر والجبل والخليج..

نناقش هذا الافتراء..

١ ـ هل صحيح كانت مصر تنحصر اهتماماتها في الاتجاه للخرطوم؟.. ومن الذي انشأ الجامعة العربية؟! وهل قدم النظام الناصري مؤسسة أو صيغة للعمل اكثر عروبة وافضل نتائج من الجامعة العربية؟! ما هي؟!

الجمهورية العربية المتحدة؟.. التي قصفت في عمر الورود وأخرت قضية الوحدة الى نهاية هذا الجيل على الاقل.. واصابت التضامن العربي بأمراض لم يشفى منها الى الآن؟! اما سخرية هيكل من وحدة مصر والسودان فتلك قصة اخرى، والحديث ذو شجون ستتلو عليكم نبأها في فصول اخرى ويكفي أن نقول هنا انه يوم صدور مراسيم اعلان وحدة مصر والسودان تحت التاج المشترك التي هزت قلب كل مصري من الاعماق.. كان هيكل هو الوحيد الذي هاجمها في منزل مندوب المخابرات الامريكية، وهاجم الدور المصري في السودان، وقال «ان السودان لايكسب شيئا من علاقته بمصر بل هو يخسر ومصر تكسب» حتى تعجب السفير الامريكي، ونقل دهشته لحكومته، أن يصدر هذا عن مصري حتى ولو كان هيكل![٣٤]

هل صحيح كانت اسرائيل تريد وحدة وادي النيل، لننشغل بها عن الوحدة العربية ولكي تبقى «صحراء» سيناء فارغة من القوة؟!

لماذا تصرفنا وحدة وادي النيل عن العمل العربي؟ بالعكس انها تعطي مصر عمقا طبيعيا يجعلها أقوى في مواجهة اسرائيل واكثر قدرة استراتيجيا، ويلقى عليها مسؤولية اكبر،

وتقديراً اكبر لأهمية العمل العربي ودورها القيادي فيه، ويجعل لهذا الدور قناعة اكثر وحجة أقوى. . ويجذب الى ساحة العمل العربي في الشمال، طاقات السودانيين البكر، ورجولتهم، ونقاءهم وحماستهم، وايمانهم القومي والديني. ويحقن دم العروبة في شرايين الوجود الافريقي. . .

وتخيل دولة وادي النيل جذورها في قلب افريقيا وفروعها ممتدة من خليج العقبة الى ليبيا ومن العريش الى السلوم على البحر الابيض وتسيطر على ساحل البحر الأحمر الشرقي كله تقريبا وتضم ما يقرب من مائة مليون ورقعة زارعية اكثر من ٢٠٠ مليون فدان. .

تخيل ان هذا ما كانت تتمناه اسرائيل لمصر لكي تشغلنا عن التعاون مع جورج حبش وعلى صالح السعدي؟! ولكي نحرم من حوار مباحثات الوحدة الثلاثية؟!

إن اول خطوة لعلاج التدهور الثقافي في مصر هو تشكيل لجنة تقصي حقائق لبحث التكوين العقلي لقراء هيكل!

على اية حال، الحمد لله الذي اختص بالحمد على المكروه، فشل كيد بنى اسرائيل وانصرفت اهتمامات القاهرة عن الخرطوم، وتحررنا من «ضغوط وادي النيل» وهي من باب «صاحت العتاريف وحبظلم». . اذ لاأحد يفهم ماذا يعني بضغوط وادي النيل، وكأنها غازات والعياذ بالله!.

وزالت اوهام وحدة مصر والسودان مع زوال التاج المشترك

فماذا تحقق؟

هل ملأنا «صحراء» سيناء بالقوة؟

هل زال وضع «الصحراء» كعازل بين آسيا وافريقيا؟!

ما الذي اتخذته الناصرية من اجراءات للقضاء على هذا العازل؟

كم عدد المستوطنات التي اقامتها مصر في سيناء من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧؟

كم عدد السكان الذين نقلتهم الى هناك؟

كم مدينة جديدة بنتها . . كم من المطارات المدنية وخطوط طيران التي كانت تطير من العريش لعمان ولبنان والرياض وكم عدد الخطوط البحرية بين شرم الشيخ وبورسودان وجده والعقبة؟! ما هي الروابط التي أقامتها مصر في سيناء لتربط بين المشرق العربي والمغرب الافريقي عبر «الصحراء»؟!

ما هو العازل؟ والا: «إنشاورص كلام» كما كانت تقول اغنية اعياد النصر؟!

وكيف يبقى العازل وكيف يزول؟

اسرائيل عندما ارادت أن تزيل سيناء كعازل فعلت الآتي:

-١ ـ اقامت خط بارليف لكي لايعبر المصريون من افريقيا الى آسيا فهل اقمنا خطا مماثلا

عند حدود اسرائيل مع سيناء أم وضعنا البوليس الدولي؟
٢ ـ فتحت الحدود بين اسرائيل وسيناء فأصبح اليهودي يتنقل من تل ابيب الى شرم الشيخ والعريش بلا اذن مرور.

فهل الغت الثورة هذا . . أم حتى يونيه ١٩٦٧ كان المصري يدخل سيناء بترخيص خاص وكان الجمرك عند «حدود مصر» اي قناة السويس!! وحتى مايو ١٩٦٧ قامت أزمة كبرى مع اهالي سيناء لأن الحكومة طالبتهم ببطاقات شخصية للنساء وهو ضد تقاليدهم، والا منعوا من عبور القناة و«دخول مصر»! ألم تكن لسيناء ادارة خاصة في جاردن سيتي تصدر اذن الدخول للمصريين؟!

٣ ـ اقامت اسرائيل المستوطنات واسكنت فيها اليهود فهل فعلنا ذلك؟ ام صرفنا انتباه المصرين عن سكنى سيناء باختراع أوهام تصرف نظر المصريين تماما عن سيناء لكي تبقى فارغة حضاريا وبشريا في انتظار «الموعود» ومنذ العشرينات أو الثلاثينات والمصريون واللبنانيون والسوريون يصرخون: عمروا سيناء، عمروا جنوب لبنان . . عمروا الجولان لكي لاتأخذها اسرائيل «أرضا بلاسكان» ولكن حكومات ما قبل يوليو كانت مشلولة الارادة بفعل ثمانين ألف عسكري اجنبي . . أما حكومة الثورة فمرة تخرج علينا بمديرية التحرير، ومرة تصرعنا بالوادي الجديد وأن به نهرا يضرب نهر النيل على عينه . . كل هذا لحرف الانظار عن اهمية وامكانية سكنى سيناء وتعميرها وهو ما اثبت اليهود انه ممكن وان الماء متوفر والانتاج سهل ومربح.

من الذي ابقى سيناء خالية وحاجزا . . وهل يمكن ان تكون «الصحراء» الا خالية وحاجزا؟ هل وضع مليون عسكري فيها يلغي الحاجز؟! اقرأ ما يكتبه اليهود على اختلافهم من غزل ومعرفة بكل حجر في سيناء . . وقارن هذا باصرارك على انها «صحراء» وما كتبته بيمنيك انت وصبيتك على انها «عبء»[٣٥]

٤ ـ اسرائيل أقامت الفنادق والشركات السياحية، والمصايف والمشاتي في سيناء . . فهل فعلنا ذلك؟ اسرائيل ربطت سيناء بشبكة مواصلات اسرائيل البرية والجوية والبحرية فهل فعلنا ذلك؟

اسرائيل درست ودرست تاريخ سيناء وجغرافيتها، ووضعت لها اسماء مزورة حتى «تيران» اكتشف بن غوريون عشية غزوها في عام ١٩٥٦ وهو في الطائرة المتجهة الى باريس لتنظيم العدوان الثلاثي، اكتشف انها كانت مقر مملكة يهودية في القرن الخامس الميلادي اسمها «يوتفات» والثعلب فات فات!! وانت لا تكف عن نعتها بالصحراء . . ومن يهتم بالصحراء؟!

من الذي قال ان امتلاء سيناء بالقوة يعني الحشد العسكري الذي سرعان ما يتبخر عند

أول هزيمة. . وتبقى «الصحراء» وحدها لا تجد من يحميها. . لوكانت الثورة اسكنت ثلاثة ملايين مصري في سيناء ـ وهو هدف ممكن جداً ـ لاستحال على اسرائيل غزوها أو البقاء فيها آمنة ما يقرب من ١٥ سنة؟!

نتابع خطة اسرائيل تأليف محمد حسنين هيكل:

ـ يقول ان اسرائيل كانت تفضل ان تبقى مصر في دائرة النفوذ الغربي «وكان المكروه باستمرار أن تكون لمصر صداقات دولية خاصة، وبالذات مع القوى العظمى البارزة، وفي وقت من الاوقات خشيت اسرائيل من صداقة خاصة بين مصر والولايات المتحدة، ولكنها لم تلبث ان اطمأنت بفهمها ان مثل ذلك ضد حركة التاريخ في المستقبل المرئي على الاقل، ثم تحولت خشية اسرائيل الى صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي».

اما ان اسرائيل كانت تخشى أن تقوم صداقة بين مصر والولايات المتحدة، اوبمعنى ادق علاقة خاصة بين مصر وامريكا فهذا صحيح. . اما انها حضرت ارواح التاريخ ورأت أن ذلك ضد حركة التاريخ، فهو تضليل، بل عملت بجهد خارق في الولايات المتحدة، وعلى الحدود، وفي شوارع القاهرة والاسكندرية (عملية لافون مثلا) وفي جهاز الحكم المصري، كما ستكشف الايام، لنسف هذه الامكانية.

اما ان اسرائيل كانت تخشى قيام صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي، فهذا صحيح شرط أن نحدد معنى «خاصة» اما الصداقة التي قامت في ظل الناصرية بين مصر وروسيا فهي عين وصميم ما أرادته اسرائيل وسنشرح ذلك بالتفصيل في موضعه. .

ثم يروي لنا قصة دارت بينه وبين «انورين بيفان» «النجم الساطع في حزب العمال البريطاني» (وهذا غير عملية النجم الساطع التي قام بها الجيش الامريكي بالاشتراك مع القوات المصرية ج!!) والسرداربنكار سفير الهند وقتها.

وهي قصة مريبة تثير علامات استفهام غريبة، فهويقول انه قضى ليلة كاملة في السفارة يحاول اقناع بيفان بأن ينصح الاسرائيليين بالاهتمام بما يجري في مصر!!!!

حتى ضاق بيفان به ذرعا (وهذا نص كلمات هيكل، ويكاد المريب يقول خذوني):

«وراح بيفان» امام «بانيكار» يسألني باستفزاز: «لماذا تريدهم هناك في اسرائيل ان يحسبوا حسابا لما جرى هنا. لست ارى امامي هنا في مصر ثورة، ما اراه هوواجهة ثورة، وليس مضمون ثورة، وهذه هي البيانات الصادرة عن النظام الجديد، وهذه وثائقه أمامنا فأرني فيها أية اتجاهات ثورية تخيف عدوا أو تثير ـ بجد ـ اهتمام صديق»[٣٦]

بحزوفه.

لماذا قضى هيكل ليلة كاملة في السفارة الهندية يحاول اقناع من وصفه هوبأنه «كانت صداقته مع دافيد بن غوريون وثيقة». . لماذا كان يحاول اقناعه بأن ما جرى في مصر يشكل

خطورة، أو مصلحة لاسرائيل ومن ثم يجب أن تهتم اسرائيل بذلك وتحسب حسابه؟!
لماذا؟ ولمصلحة من؟ . . وخوفا على من . . اوخوفا على ماذا؟ كان يخشى ان تهمل اسرائيل شأن ما يجرى في مصر؟! . . فتضيع الفرصة؟!
الوطني العادي يدعو الله ان يعمي عين اسرائيل حتى يتم أمره!
تفسير واحد، هو انه كان مكلفا أو متطوعا باغراء بيفان صديق اسرائيل بأن يبلغهم بأن صفحة جديدة قد فتحت في مصر، يمكن ان تقوم معها علاقات جديدة حتى ينشغل البلدان «في التنمية والعدالة الاجتماعية»؟!
أم هل يمكن تقديم تفسير آخر؟!
وهنا يطرح هيكل واقعة وقفنا طويلا امامها ونحن نحاول أن نفهم ماذا يقصد من اثارة الغموض والحيرة ان لم نقل الفزع حول تاريخ الزعيم الخالد في حرب فلسطين. . فهو يقول: ان بن غوريون بدأ يطلب معلومات عن عبد الناصر، فتقدم اليه اثنان في اسرائيل كلاهما قابل جمال عبد الناصر على نحو أو آخر» . .
لماذا هذا التعبير بالذات «على نحو أو آخر»؟! لماذا؟ ما هو النحو. . وما هو الآخر؟!
«أولهما ضابط مخابرات اسرائيلي اسمه «يوريهان كوهين» والثاني ضابط اسرائيلي كبير أصبح الآن نائبا لرئيس وزراء اسرائيل و وزيرا للخارجية وهو بيغال آلون»
وقال ان ضابط المخابرات «يوريهان كوهين» اتصل عدة مرات بعبد الناصر الذي لفت نظره (أي لفت نظر المخابراتي اليهودي ج) خصوصا عندما سأله عبد الناصر في اثناء استراحة للجنة الاتصال عن «الاساليب التي استعملتها الجماعات الاسرائيلية المقاتلة ضد الانجليز في فلسطين ما بين نهاية ١٩٤٦ ومنتصف سنة ١٩٤٨»[٣٧] .
وايراد الرواية بهذا الشكل يوحي ، أويقصد بها أن توحي بأن الجو صار من نوعية خاصة بين جمال عبد الناصر «اركان حرب الكتيبة السادسة المشاة المتمركزة ما بين عراق المنشية والفالوجه في حرب فلسطين ١٩٤٨» وبين ضابط المخابرات الاسرائيلي، الى درجة نسيان نفسية القتال، وظروف اللقاء، والحديث في القضية الوطنية ثم طلب الخبرة الاسرائيلية في مقاومة العدو «المشترك» . . الاستعمار البريطاني . . اذ لا يعقل ان اركان حرب العدو المحاصر سيستوقف ضابط مخابرات العدو قائلا: «تسمح من فضلك كنتم بتحاربوا الانجليز ازاي؟!» . . لابد من تعارف وحديث وانفتاح ومصارحة حتى يصل الامر الى طلب عبد الناصر نصيحة المخابرات الاسرائيلية في تنظيم اخراج الانجليز . . !! وهذه خبرة لا تقال على فنجان قهوة في استراحة ما بين جلسات المفاوضات . .
ولا تقتصر رواية هيكل على هذا اللقاء ما بين عراق المنشية والفالوجا أي في منطقة القتال أو الارض الحرام ، بل يؤكد لنا هيكل أن عبد الناصر وكوهين التقيا مرة ثانية «داخل

اسـرائيـل» حيث قضى عبد الناصر ليلة كاملة بنهارها أو بنص تعبيره «٢٤ ساعة في الارض المحتلة من النقب». . .

والسبب أن عبـد النـاصر ذهب الى هناك ليرشد اليهود الى مقبرة كانت قواته في الحرب قد دفنت فيها اكثر من أربعمائة وخمسين جثة

على ان رواية هيكل القصة على هذا النحو لا يمكن ان تكون بريئة القصد، اذ انها تثير اكثر من سؤال. . فما دخل رئيس الاركان في المقابر؟ هل دفن عبد الناصر الاربعمائة وخمسين قتيـلا وحـده؟! الم يشـاركـه فيهـا ضابط برتبة صغيرة أو صول. . حتى لايعرف احد المكان غيره فيذهب بعد سنتين ليرشد اليهود عنه؟! حتى لو اضاف هيكل انه «ذهب بتكليف من قيادة الجيش المصري». .

المهم انـه من «محـاسن الصـدف» ان يجد عبد الناصر نفس الضابط «يوريهان كوهين» في انتظاره ويمضيان ٢٤ ساعة كاملة داخل اسرائيل. . . ؟!

ولم يضف هيكـل شيئـا عما جرى من حوار في تلك الليلة، لعله احتفـظ به ضمن اوراقـه التي قال انها محفوظة خارج مصر. . وهذا هو «النحو» الذي عرف فيه كوهين عبد الناصر أما «النحو الآخر» عن لقاء ايجال الون فلم يذكر عنه شيئا[٣٨] . . !

ويختم حديثه هذا بقوله: «وكان بن غوريون على استعداد لآن يسمع كل من يستطيع أن يضيف الى معلوماته شيئا عن جمال عبد الناصر» ثم سطرين نقط؟!

ولا حاجـة للنقـط والغموض. . فحتى لو حكم مصر محمد حسنين هيكل أو جمال سليم لكان على رئيس وزراء اسرائيل ان يسمع عنه كل شيء فهذا ليس الدليل على أهمية عبد الناصر ولا أهمية الثورة، فتلك قضية لا تحتاج لشهادة بن غوريون، ولكنه دليل أهمية مصر، ودليـل يقظـة وتنبـه الحكم في اسرائيل. . ولا ينتقص من أهمية اسرائيل ان حكام مصر كانوا عنهـا في شغـل بسـماع كل ما يمكن أن يضيـف الى معلوماتهم شيئا عن فؤاد سراج الدين أو تنظيم الاخوان السري، أو محمد نجيب؟! ثم نوري السعيد وشمعون. . الخ. .

بن غوريـون اوب. ج ـ كما يسميـه الكـاتب الظـريف ويعـرفنا أنه اختصار اسمه ـ كان يعيش في «هم» مصـر ٢٤ ساعـة وهو خارج الحكم حتى أنه «حول مستعمرة «سدبوكر» الى مركـز قيـادة عليـا سياسية وعسكرية. . » بينما يورد هيكل بالمقابل النص الذي اشرنا اليه من قبل على لسان عبد الناصر الذي يقول فيه «انه لا يشغل نفسه باسرائيل»! . . ثم يكرر «مع سنـة ١٩٥٤ كان بن غوريـون ووراءه القيـادة السيـاسيـة والعسكـرية في اسرائيل مشغولين بجمال عبد الناصر قبل أي ظاهرة اخرى في المنطقة»

صادق!

كل القيـادة السيـاسيـة والعسكـريـة في اسرائيل لا تنام الليل من التفكير في عبد الناصر

وبالمقابل لا أحد يفكر في بن غوريون او اسرائيل وبالذات في عام ١٩٥٤ العام الحافل بالانجازات الثورية . .

فماذا كانت النتيجة . . ؟

للأسف انها معروفة لانها حدثت . .

يقول هيكل :

«في سنة ١٩٥٤ كان بن غوريون في مستعمرة سدبوكر ـ لايزال يمطر رئيس الوزراء موسى شاريت بالمذكرات المكتوبة يسأله : «هل اتخذت الحكومة الاسرائيلية كل الاحتياطات الواجبة عليها ازاء مثل هذا التطور (جلاء الجيش البريطاني عن مصرج).

هل عرفنا ما هي الاشياء . . اسلحة ومعدات ومخزون عسكري ، التي تركها البريطانيون في القاعدة . . هل اخذت بريطانيا تعهدات كافية لحرية ملاحة اسرائيل» الخ الخ . .

في الحقيقة كانت سنة ١٩٥٤ حاسمة في اسرائيل ، وكان الخلاف موجوداً في القيادة بين بن غوريون وتيار الصقور من ناحية وبين موشى شاريت وتيار الحمائم كما يسمونهم : بين لافون وشاريت ، وبين لافون وموشى ديان ولكنة كان خلافا على مصر والعرب . . ولجأ بن غوريون الى عزلته ليعد العدة لتطهير اسرائيل من امراض واوهام الطفولة ، جماعة الحالمين بالتعايش مع العرب ، والعاطفين على الاتحاد السوفيتي وحركة السلام . . تأكيد وحدة اسرائيل والقضاء على أية امكانية للانقسام قبل سحق قوة العرب العسكرية واستئصال حتى مجرد طموحهم في مقاتلة اسرائيل . . ولم تتم هذه التصفية بالمعتقلات والسجون بل بتصعيد المواجهة مع العرب ، وخاصة مصر ، لأن الوحدة الوطنية لا تتحقق الا في مواجهة العدو الوطني . . وفي هذا الوقت الف مناحيم بيغن كتابه الذي قال فيه «في اسرائيل لا يوجد عمال ولا رأسماليون بل وطنيون فقط» .

لقد استطاع بن غوريون في الفترة من يناير ١٩٥٤ ـ عندما اعتزل الحكم الى فبراير ١٩٥٥ عندما عاد بدرجة وزير دفاع وهو مؤسس اسرائيل ، ولكنه لم يهتم بالألقاب والاقدمية ، التي كانت الشغل الشاغل لمجلس الثورة . . استطاع أن يضع استراتيجية الامبراطورية الاسرائيلية التي نفذت خلال الثلاثين عاما التالية .

ترى ما هي الاهتمامات المقابلة للقيادة المصرية في عام ١٩٥٤ . . نسمع شهادة بغدادي :

بدأ عام ١٩٥٤ والخلاف على اشده بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، بعدما حلت الاحزاب وقبض على القيادات السياسية المدنية والغى الدستور . .

يختتم بغدادي تاريخه لعام ١٩٥٣ بتقرير ان سياسة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر «قد ادت الى افساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية مما سيتضح

للقارىء من خلال هذه المذكرات»[٣٩].

وهذا بالطبع نتيجة وسبب «لعدم الانشغال باسرائيل» . . وانشغلت القيادة المصرية في صراع مصيري، على السلطة فيما بينها، وفيما بينها وبين بقية القوى السياسية المصرية وكانت المؤامرات على جميع المستويات.

«جمال عبد الناصر تكلم مع هيكل وأحمد ابو الفتح، وطلب منهما عدم نشر احاديث وصور محمد نجيب. وانور السادات لمح هو الآخر الى «احمد الصاوي محمد» بجريدة «الاهرام» وسأل بغدادي عن مدى علم مصطفى أمين وعلى امين بذلك الامر «فأبلغني جمال عبد الناصر أن هيكل ابلغهما، وانه ـ اي جمال ـ يثق بهما»[٤٠]

وكان محمد نجيب لايزال رئيس الجمهورية الشرعي . . !

«وفي اليوم التالي لهذا الحديث مع جمال (عبد الناصر) كنت اتحدث مع زكريا وحسين الشافعي عن هذا الخلاف الذي بدأ يستفحل وهذا الهجوم السافر على صفحات الجرائد وان ذلك له ضرره ولا يحقق مصلحة لأحد (لماذا لم يقل ذلك لعبد الناصر نفسه في اليوم السابق ج؟) فعلق زكريا على ذلك بقوله: إنه التنافس على السلطة Power ، ولكنهما استاءا معي لما علما بموضوع حديث جمال مع الصحفيين».

ومن تسجيل البغدادي نفسه نكتشف موقفه المنافق، فليس في ما أورده عن جلسته مع جمال عبد الناصر ما يوحي بأي استياء، أو اعتراض، بل بالعكس اراد اكمال حلقة الحصار الاعلامي حول محمد نجيب فسأل وماذا عن مصطفى وعلى أمين. . هل اخبرهما أحد؟ فطمأنه عبد الناصر «انه معمول حسابهما»!

«اقترح جمال عبد الناصر عقد اجتماع من وراء ظهر محمد نجيب» وكان واضحا أن الهدف هو أن يصبح اجتماع يوم الاحد (الاجتماع الرسمي لمجلس الثورة ج) ما هو الا اجتماعا صوريا فقط، حتى يمكن شل وعزل محمد نجيب ويصبح وكأنه في جانب والمجلس في جانب آخر» وتحمس جمال سالم وكان الامر قد بيت بليل واقترح تفويض عبد الناصر في اتخاذ القرارات نيابة عن المجلس، اي قبل تفويض مجلس الأمة الشهير بـ ١٣ سنة! . . على ان يأخذ موافقة الاعضاء تليفونيا.

«اجتمع مجلس الثورة لبحث كيف يمكن مقاومة الاخوان المسلمين والقضاء على جماعتهم» «ورؤ ى تركهم لزيادة الانشقاق بينهم» فهذه «هي الوسيلة لاضعافهم وتفكيك صفوفهم» «وكان قرارنا هو العمل على زيادة الانشقاق الموجود بينهم والعمل ايضا على زعزعة ثقة من يتبعهم في اشخاص قياداتهم».

ثم تقرر «حل الاخوان واعتقال مرشدهم وما يربو على ٤٥٠ معتقلاً»[٤١] ، وفصل بعض الطلبة والموظفين المنضمين للجمعية وكان قد أحيل ضباط البوليس المنتسبون اليها الى

المعاش وكذا تم اعتقالهم».

وكانت جماعة الاخوان هي آخر تنظيم سياسي يحل ويعتقل اعضاؤه في مصر، فهي التنظيم الذي اعتمد عليه ضباط وحركة ٢٣ يوليو، وكلفه عبد الناصر بالتصدي للانجليز اذا ما هجموا من ناحية السويس.. (لنا رأينا في هذه الرواية وارجع الى ما كتبه مصطفى امين في فصل: «الامريكان باريس») ولكن لم يمر أقل من عامين حتى كانوا في السجون وكان الفصل والتشريد والتجويع للمواطنين بسبب ارائهم السياسية. «جمال عبد الناصر يبلغ المجلس انه اتصل باسماعيل فريد ياور محمد نجيب وسب له ولعن رئيس الجمهورية، وطالب اسماعيل فريد ان ينقل الى رئيس الجمهورية هذه الشتائم واعتقد ان جمال قصد بهذا ارهاب الرجل، وانه من المستحسن له أن ينزوي ويخضع». الكلام لبغدادي.

«واقترح جمال سالم أن يقتل هو محمد نجيب ويحاكموه..»

وهذا بالطبع في مواجهة عبد الناصر اما من وراءه فاليك نموذج من الحوار الخامس الذي كان يدور بين الجماعة التي شاء القدر ان تكون على رأس السلطة المصرية واسرائيل تعمل ليل نهار لخوض معركة «حق الوجود».

يقول بغدادي:

«يوليوس قيصر:

وكنت قد سافرت الى مدينة الاقصر بالطائرة يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٥٤ لافتتاح المطار الجديد بها، وقد رافقني في هذه الرحلة حسن ابراهيم. ودار بيننا حديث حول فيلم يوليوس قيصر الذي شاهدناه في اليوم السابق.. وذلك الشبه الكبير بين ما دار في ذلك الفيلم. وما كان يتمثل على أرض مصر من صراع وتطاحن من أجل السلطة. وعلى أن هذه هي سنة الحياة. وأن هذا الصراع سيظل يتمثل على مسرحها مادام هناك بشر وحياة. وجرنا الحديث عن الفيلم - الى الحديث عن مجلس قيادة الثورة والتطور الذي حدث به - وبعد أن كان هناك توازن في القوى والرأي داخله دام قبل قيام الثورة وبعد قيامها لمدة عام تقريبا إلا ان هذا التوازن قد انتهى. وأخذنا نبحث عن اسباب هذا متعرضين لموقف جمال سالم وانحيازه إلى رأي جمال عبد الناصر المستمر، وأن ذلك الموقف منه غير ما كان عليه حاله من قبل. ومتعرضين أيضا لأشخاص المجلس وكيف كانوا وما أصبحوا عليه. وكذا موقف جمال عبد الناصر وما يهدف اليه من محاولة تركيز السلطة في يده وذلك بغرض أن ينفرد بها في النهاية. ولقد شكا حسن أنه غير ممكن ان يعمل وحتى عمله في هيئة التحرير غير محدد. وكان جمال عبد الناصر هو الأمين العام لها وكان يتعاون مع ابراهيم الطحاوي وأحمد طعيمة في إدارة تلك المنظمة السياسية متخطيا حسن علما بأن قرار المجلس بتعيين حسن بها قصد به أن يقوم بمتابعة نشاطها وادارتها نظراً لانشغال جمال عبد الناصر في مسائل أخرى.

وكـان حسن ابـراهيم يتمنى أن يعفيـه المجلس من عضـويتـه نظـرا لهذه الظروف ولكن الخوف على وحدتنا وتماسكنا وبالتالي على الثورة كان عامل ضغط على كل منا في ضرورة الاستمرار دون التنحي».

والغـريب اننـا سنجـد «حسن ابـراهيم» هذا يلعب دورا رئيسيا في تصفية محمد نجيب، وتنغيص حياته في الوقت الذي يشتكي فيه من الاستبداد!

وفاجأهم محمد نجيب باستقالته التي «كان لها وقع الصاعقة» (بغدادي) وصدر الأمر الى رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الثورة بعدم مغادرته منزله حتى تصدر اليه أوامر اخرى من «المجلس» . . . ! ويقترح جمال عبد الناصر استاذ التاكتيك غير العسكري «ان نرضي محمد نجيب الآن ونقبـل جميـع شروطـه ونخضـع له حتى نفوت الفرصة عليه ونعمل على اقناعه بسحب الاستقـالـة، وبعـد شهـر ـ أي في يوم ٢٣ مارس ١٩٥٤ نتخلص من محمد نجيب» ومن أنه هو الذي سيقوم بعمل الترتيبات اللازمة لتنفيذ هذا الامر» وواضح ان الحديث كان يدور حول الاغتيال وليس الاقالة اذ رفض بغدادي ذلك واعلن ان أي عمل «سيتخذ وأجده ضارا بهذه الثـورة فلن استمـر في العمـل معهم» واعترض صلاح سالم ايضا لسببين، الاول أسـيرطي وهـو أن الجـريمة هوما يكتشف وليس ما خالف الاخلاق فقال «ان الامر لابد ان يكتشف ويعـرف ان المجلس هو الـذي دبره، وهـذا سيكـون كفيـلا بالقضاء على سمعة المجلس» امـا السبب الثـاني فقـد بين للمجلس «الاضرار التي ستنتج عنه بالنسبة للوضع في السودان وذلك لمحبة الشعب السوداني لمحمد نجيب» «ورأى المجلس استبعاد اقتراح جمال عبد الناصر».

ورغم ما اورده بغـدادي عن حديث مع زكـريـا وحسين حول صراع السلطة، وما جرى بينـه وحسن ابـراهيم من تعليق على يوليـوس قيصر فقد كان للاعضاء من قدرة على اخفاء المشـاعـر ما يكفي للحـديث أمام بعضهم هكذا: «واجتمعنا في منزل جمال عبد الناصر وقد بدأ هو الحـديث بقـولـه «ان هذا الخـلاف ليس تطـاحنـا على السلطـة والسلطان وانما هذا التطاحن من اجل المبادىء والمثل، وتكلم صلاح ايضا عن هذه المثل، وتكلم جمال سالم في نفس المعنى كذلك».

واستـدعى الـوزراء المدنيون للاجتماع بعد ان هدد اعضاء المجلس بالاستقالة واضطروا للرجـوع تحت ضغـط الضبـاط الاحـرار. . ويصف بغدادي حالة وزراء مصر هكذا «وكان الوجوم مخيما على وجوههم، بل كان الرعب ظاهرا في أعين البعض منهم».

واذا كان الرعب يطل من عيون الوزراء، فهذا يعطيك فكرة عن ماذا كان يطل من عيون الشعب وصغار الموظفين، وويل لدولة، ينطق الرعب في عيون وزرائها . . وأين لدولة تزرع الرعب في عيون وزرائها أن تنشغل بعدو فضلا عن أن تخيفه . .

وقال الضباط الثوار ان «الشدة مطلوبة» لا ضد اسرائيل بل ضد المصريين فاقترح الوزراء المرعوبون اقتراحا خبيثا للنجاة بجلدهم قالوا: مادام الشدة مطلوبة فانتم لها. . «شكلوا حكومة عسكرية» وخلونا نروح نبوس ايدك يابيه. . ولكن القيادة اوضحت لهم: «ان انسحابهم في هذه الظروف يعطي معنى عدم موافقتهم على تلك السياسة».

وانت عارف ياشاطر اللى ما يوافقشي بنعمل فيه ايه؟ خصوصا والوقت وقت الشدة!

ويلع نور الدين طراف رعبه، وهو من المجموعة الانتهازية التي اتلفها بغض الوفد فاسقطها في براثن الحكم الاستبدادي ولوثت اسم الحزب الوطني. . الذي تحول الى ممسحة لكل من اراد الاعتداء على حقوق الشعب من خلال محاربة الوفد.

طالب نور الدين طراف بالصمود! الصمود ضد الوفد ومحمد نجيب بينما كانت اسرائيل تبحث الصمود والتصدي والتعدي ضد العرب ومصر بالذات!.

قرر مجلس الثورة ان يتحول الى جهاز لاطلاق الاشاعات ضد رئيسه محمد نجيب. . «على ان يتم ذلك عن طريق ذكر هذه الخلافات لكل من نعرفهم، وهم بدورهم سيقومون بنقلها الى غيرهم، كما طلب من الجمهورية والاخبار الكتابة عن المثل والمبادىء».

ويقول بغدادي انهم قرروا معاملة محمد نجيب معاملة لائقة برئيس الجمهورية وقائد الثورة. . الخ ولكنه ايضا بسذاجة نادرة يسجل واقعة حدثت اثناء الاجتماع تعطي فكرة عن نوعية المعاملة التي كان يلقاها محمد نجيب، والغريب انه لا يعلق ولا يستنكر ولكن بعد عشر سنوات عندما ستفرض الحراسة على اموال اخيه، سيعتبرها عملا لا اخلاقيا مع ان اخاه لا من الثورة ولا من التسعة المشهود لهم ولا كان لديه هذه الاموال قبل ان يصبح اخوه «الكاهن» الاكبر للاشغال والمقاولات.

الواقعة ان رئيس الجمهورية المحددة اقامته في منزله بعث يطلب الاذن لطباخه الخاص بالخروج والدخول الى المنزل دون اعتراض ليحضر المأكولات اللازمة للمنزل «ومذكرة اخرى يطلب فيها السماح بذبح عجل من الماشية كان لديه بالمنزل لنفاد العليقة الخاصة به وكان قد اشتراه لذبحه وتوزيعه على الفقراء قبل سفره الى السودان لحضور افتتاح البرلمان السوداني الجديد».

وهكذا في الوقت الذي كان فيه بن غوريون ـ (بشهادة) هيكل ـ يحاول ان يعرف كل صغيرة وكبيرة عن النظام الجديد في مصر وعن نتائج الانسحاب البريطاني من مصر، كان رئيس جمهورية مصر مهددا بالموت جوعا، ولا يملك حق الاذن بذبح العجل الذي تعرض بدوره للتجويع. . ومجلس الثورة يبحث موضوع عجل ابيس هذا؟! واذا كان بوسع المؤرخ ان يستنتج السماح لمحمد نجيب بالاكل، من واقعة استمراره حيا حتى دفن معظم اعضاء مجلس القيادة، فإن السؤال الحائر الى اليوم، والذي لم يجب عليه بغدادي هو مصير

العجل.. هل لحقوه وحللوه بالسكين؟! ام نفق جوعا؟!

سؤال من ضمن الاسئلة الحائرة في ضمير السيد امين هويدي!!

وحفرت الهوة التي ازدادت اتساعا كل يوم بين الشعب والجيش والتي لا يمكن تصور انتصار الوطن في ظلها... فالجيش الذي كان امل ورمز وقرة عين المصريين قبل الثورة والذي احتضن الشعب ضباطه وجنوده في الاسبوع الاول من الثورة وصل الحال الى ان قال ضباط سلاح الفرسان لعبد الناصر: «اصبح الشعب ينظر اليهم وكأنهم خونة بعد استقالة محمد نجيب بل وانهم على حد قولهم يصفقون عليهم اثناء سيرهم في الشارع ويوجهون اليهم كلاما جارحا وان هذا يؤلمهم ويجرح شعورهم».

اهذا مناخ انشغال باسرائيل؟! او الامن القومي كما يقول أمين هويدي؟!

والذي يراجع مذكرات «بغدادي» وتصريحات اعضاء مجلس الثورة امام عبد الناصر وما كانوا يقولونه في لقاءاتهم الخاصة مع من يثقون به يكتشف ظاهرة رهيبة هي ان هذه المجموعة لأمر ما فقدت طهارة البكارة والصدق مع النفس وقرر كل منها ان يبقى على السطح الساخن اطول مدة ممكنة لأن السقوط يعني الموت بالحياة كما وصفه صلاح سالم.. وها هو وضع رئيس المجلس عبرة لمن يعتبر... والرعب في اعين الوزراء «ومن ينسحب يعني انه لا يوافق».. فآثروا السكوت. وفي مثل هذا المناخ لا يمكن معرفة الحقيقة، ولا اكتشاف الاخطاء، وسنرى انهم استمروا يستبعدون الخطر الاسرائيلي الى ان نزل جنود المظلات الاسرائيليون في سيناء وعرفوا النبأ في حفل عيد ميلاد أحد الانجال. وظلوا يستبعدون الغزو البريطاني الى ان صعد عبد الناصر على سطح بيت سفير الهند ورأى الطائرة البريطانية بعينه!..

نعود الى اهتمامات القيادة المصرية في مارس ١٩٥٤..

«قام سلاح الطيران المؤيد لجمال عبد الناصر بالتحليق الارهابي فوق سلاح الفرسان المؤيد لمحمد نجيب وخالد محيي الدين واعلن عبد الحكيم عامر انه غير ملتزم بقرار مجلس الثورة وانه سيدك سلاح الفرسان ان لم يخضع لأوامره وعلى المجلس ان يحاكمه بعد الانتهاء من المعركة»!

والمعركة المقصودة هي ضد سلاح الفرسان المصري! ولو أن عامر اتخذ هذا القرار الشجاع مرة واحدة في ١٩٥٦ او ١٩٦٧.. اعني دك اسرائيل على مسئوليته وليحاكموه بعد المعركة.. لتغير التاريخ.. ولكن هيهات!!

«واصدر امره لوحدات المدفعية والمشاة بأخذ مواقعها التي حددت لها».

«وفي اثناء ذلك حضر الينا اليوزباشي كمال رفعت واليوزباشي حسن تهامي [42] وهما من الضباط الاحرار وابلغانا انهما قاما من تلقاء انفسهما بالقاء القبض على محمد نجيب وهو في

منزله ونقلاه الى ميس سلاح المدفعية».

اجتمعوا بعد ذلك واتهم صلاح سالم، خالد محيي الدين بانه (اي خالد) هو الذي دبر عصيان سلاح الفرسان.

وعلمنا من جمال عبد الناصر انه قد امر باعتقال الكثيرين من الاخوان المسلمين والشيوعيين واساتذة الجامعات خاصة جامعة الاسكندرية بصفته الحاكم العسكري. ذلك لأن اساتذة تلك الجامعة كانوا قد اجتمعوا وقرروا بان تتولى كل طائفة عملها، وهم يعنون بذلك عودة ضباط الجيش الى ثكناتها.. كما ابلغنا انه قد امر بتشكيل محاكم عسكرية خاصة لمحاكمتهم»

كان واضحا فشل المخطط الاسرائيلي فشلا ذريعا، ونعني به الهادف الى شغل القاهرة او مصر بالسودان واوهام وحدة وادى النيل، بل اصبح واضحا ان بريطانيا هي التي سقطت في المخطط الاسرائيلي اذ كانت الدبلوماسية البريطانية، والادارة البريطانية تعمل ليل نهار لفصل السودان عن مصر، ومجلس الثورة في مصر اما غافل تماما عما يجري هناك لا يعنيه مصير السودان ولا يشغل باله باوهام وحدة وادي النيل، ولا يعاني اية ضغوط من وادي النيل الا ما يتمثل في مكانة «محمد نجيب» واهتمامات صلاح سالم الذي ارتبطت وحدة وادي النيل بشخصه ومستقبله السياسي، والذي كان من المجموعة الوطنية التي تعتبر فقد السودان كارثة وخيانة وطنية لا يجرؤ رجل ولا نظام ولا حتى ثورة على مواجهة الشعب بها بله مواجهة ضميره.. اما مجلس الثورة فكان بعضه منشغلا بتدبير تصفية محمد نجيب وبعضه يتعاون مع الانجليز ومرتبطاً معهم بفصل السودان كما اكتشف «صلاح سالم» في آخر لحظة، ففقد عقله حرفيا وليس بلاغيا كما سنوضح في موضوع السودان.

ومن محاولة اغتيال محمد نجيب، وارهابه على يد سلوين لويد والحاكم العام وعصابات عملاء الانجليز في السودان، الى اذلاله وامتهانه وتهديده في القاهرة الى حد تعلقه بعباءة الملك سعود وهو يودعه في المطار، يرجوه ان يأخذه معه ولا يتركه تحت رحمة رفاقه رجال مجلس الثورة، ويعتذر الملك سعود وما ان تطير به الطائرة حتى يسقط رئيس جمهورية مصر وهو يبكي ويصرخ: «البلد رايحة في داهية.. يارب بتعذبني ليه.. موتني!.. انفضحت يامحمد نجيب... حاكموني..» ثم يغمى عليه فيحملونه حملا ويكتبون في مذكراتهم انه تظاهر بالاغماء!!

كان النظام الديمقراطي القائم على فصل السلطات ترسخ قواعده في دولة العنصرية الاستعمارية، وكان رئيس مجلس الدولة يضرب علقة في القاهرة التي عرفت إحترام القضاء منذ سبعة الآف سنة..

في عام ١٩٥٤ وقعت حادثتان غريبتان متشابهتان الاولى من تدبير وتنفيذ جمال عبد

الناصر والثانية من تدبير «لافون» وزير دفاع اسرائيل وتنفيذ شبكة جاسوسية وتخريب يهودية في مصر.

الاولى نقلا عن مذكرات عبد اللطيف بغدادي احد ابرز رجال مجلس الثورة قال: «في الاجتماع المشترك (مجلس الثورة + مجلس الوزراء مارس ١٩٥٤) اشار جمال الى ان هناك ستة انفجارات قد حدثت في نفس اليوم وكلها في وقت واحد وفي اماكن متفرقة ، واحد منها في مبنى محطة السكة الحديد، واثنان بالجامعة وآخر بمحل جروبي. وكان غرضه من الاشارة الى هذه الانفجارات هو توضيح ان هذا قد حدث نتيجة لسياسة اللين والميوعة الظاهرة في موقف الحكومة وكان محمد نجيب مصرا على اتخاذ الاجراءات العادية ومعارضا في اتخاذ اية اجراءات استثنائية»

والحادثة الثانية في يوليو ١٩٥٤ قامت وحدة ارهابية اسرائيلية بزرع عدد من القنابل في مؤسسات امريكية بريطانية في القاهرة والاسكندرية وقد اعتقلت المجموعة وانتحر احد افرادها في السجن واعدم اثنان في يناير ١٩٥٥.

يقول موشى ديان «وثار الرأي العام الاسرائيلي وطالب بمعرفة من المسئول عن هذا العمل؟ . . هل هو الضابط المسئول عن الوحدة (الارهابية ج) ام وزير الدفاع؟ . . واصر الضابط على انه تلقى امرا شفويا من الوزير في اجتماع ضمهما وحدهما. بينما ادعى لافون ان الضابط تصرف على مسئوليته. وشكلت لجنة تحقيق بأمر رئيس الوزراء تضم رئيس المحكمة العليا وأول رئيس اركان للجيش الاسرائيلي وكان قرارها انها لا تستطيع ان تجزم على وجه اليقين من الذي اعطى الأمر، وهذا القى ظلا من الشك على كل من الضابط ووزير الدفاع، ولذا قرر رفاقه في الحكومة وقيادة حزب الماباي ان لافون يجب ان يذهب. وكان قد قدم استقالته في ٢ فبراير ١٩٥٥ وقبلتها الحكومة في ٢٠ فبراير وفي هذا اليوم رجع بن غوريون الى منصب وزير الدفاع».

ويبدأ في التاريخ الاسرائيلي ما يعرف باسم « فضيحة لافون » وقد كتبت الصحافة العربية الاكوام عنها ، وعن فساد النظام الاسرائيلي الذي يزرع القنابل في القاهرة بدون موافقة السلطات الدستورية . . . ؟! ولكن لا الصحافة الاسرائيلية ولا المصرية اهتمت بالبحث عن من زرع القنابل الاخرى في عاصمة مصر وفي أماكن شديدة الزحام ولا يتجمع فيها الا المواطنون من ابناء الشعب باستثناء جروبي . . الذي كانت قد زحفت اليه الطبقة الوسطى لأن الباشاوات والرجعية كانوا في المعتقلات.

ومر ربع قرن دون ان يفتح احد فمه ، حتى مات سليمان وانطلق الجن يتحدثون ويعترفون ويتذكرون واخبرنا عبد اللطيف بغدادي بالآتي :

«اعترف جمال عبد الناصر في اليوم التالي وهو على فراش المرض، ان الانفجارات التي

حدثت في اليوم السابق واشار اليها في اجتماع المؤتمر، انما هي من تدبيره لأنه كان يرغب في اثارة البلبلة في نفوس الناس . . الخ وليشعروا بأنهم في حاجة الى من يحميهم على حد قوله»

تشابه غريب في مشاغل القيادتين المصرية والاسرائيلية . كلاهما يريد اثارة البلبلة في العاصمة المصرية . . وكلاهما يزرع القنابل في القاهرة . . مع فارق ان المدبر الاسرائيلي عوقب بالطرد، من الحياة السياسية الاسرائيلية والمنفذين لقوا حتفهم في سجون مصر . .

أما الفاعل المصري فسيقام له حزب في مصر واقترح ان يسمى «حزب البلبلة»!

«برر الرئيس عبد الناصر رشوة «الصاوي محمد الصاوي» رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة بمبلغ اربعة الآف جنيه «ليدفع عمال النقل الى الاضراب بعد قرارات ٢٥ مارس، ولكن جمال ذكر انه اراد بذلك ان يسبق خالد محي الدين ويوسف منصور صديق لأنهما كانا ينويان عمل نفس الشيء على حد قوله»

«اقترح جمال سالم التخلص من كل ضابط في الجيش غير موالٍ للثورة والابقاء فقط على الموالين لها حتى لو أصبح عددهم ٣٠٠ ضابط فقط. كما أعاد اقتراحه الذي يردده كثيرا وهو عزل الافراد والذين يهمهم عزل هذه الثورة عن الشعب مهما كان عددهم ووضعهم في الواحات»

صدر قانون يحرم الوظائف العامة والحقوق السياسية على جميع السياسيين الذي شغلوا مناصب قيادية في مصر منذ بدء الخليقة حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وقيل صراحة انه يقصد به عزل السنهوري من مجلس الدولة!! حرمت مصر من كل خبرة رجالها لفصل رجل واحد . . فلما اعترض وزير قال له جمال عبد الناصر «ان مجلس الثورة قد وافق على القانون وهو يعرض عليهم للعلم فقط» .

كان بن غوريون يجري اتصالاته ويتم ترتيباته لقيام حكومة ذات كفاءة عالية وقادرة على النجاح في انتزاع «حق الوجود» لاسرائيل . . وكانت مصر تحكمها مجموعة أقل ما توصف به علاقاتها انها تفتقد الى الثقة، يتربص كل منهم بالآخرين، ويتوقع الغدر منهم وعلى حساب المصلحة العامة . . انظر كيف فسر عبد اللطيف بغدادي اختيار عبد الناصر له ليكون وزيراً «للشؤون البلدية والقروية» :

«واقترح أن اتولى وزارة الشؤون البلدية والقروية، وان الغرض ـ كما قيل ـ هو ان يشعر الشعب بأعمال الثورة في المدن والريف، وان الاختيار قد وقع علي لهذا الغرض، ولكنني أحسست ان الغرض من توليتي هذه الرسالة هو العمل على اضعافي سياسيا لضمان فشلي بها فشلا ذريعا خاصة وان الاقتراح جاء بعد خلافي مع جمال عبد الناصر»

ويقول بغدادي انه لما نجح رغم توقعات أو تدبير الرئيس جمال عبد الناصر، استاء عبد الناصر من ذلك «وبدلا من ان يكون ذلك موضع شكر وتقدير من جمال لأن ما تؤدية تلك

الوزارة ونجاحها ما هو الا تدعيم للثورة واثبات لوجودها، شن علي حملة محاولا التشكيك في اهـدافي عنـد اخواني اعضاء المجلس وقصص اخرى كثيرة واردة في يومياتي ولا محل لذكرها في هذا المجال»

سنتـوقف الآن عن استعـراض «مشـاغـل» القيادة المصرية التي صرفتها عن «الانشغال» باسـرائيـل هم مصـر الأول والاخـير. . لنعود الى هيكل لنتابع معه الانتصارات، على أن نعود مرة اخرى لصيغة المواجهة المصرية التي أدت لهزيمة ١٩٥٦ . .

الفصل الثالث

الطريق الى القدس يمر بباندونغ!

ولأن هدف كتاب هيكل هو صرف الانظار تماما عما جرى في «صحراء» سيناء فان الكاتب سيسود عشرات الصفحات في الحديث عن انتصارات «باندونغ» و«حلف بغداد» و«صفقة السلاح» وهي الاسطوانة المشروخة التي صدعت رأس المواطن العربي ١٥ سنة حتى تحطمت واحترقت في نيران ١٩٦٧ ولكن ها هو من يريد ان يسقينا مرة اخرى من البئر التي بصق فيها الجميع . . يعود ليحدثنا عن انتصارات الخطب والمؤتمرات الدولية وقد قرأنا تحليل غولدا مائير عن بن غوريون وانه لم يكن يهتم الا بما يضيف للقوة المادية اليهودية، ولا يهتم قلامة ظفر بالمؤتمرات الدولية والصحافة العالمية .

ولنبدأ من «باندونغ»

فقد اثار الاعلام الناصري ويثير ضجة حول اشتراك عبد الناصر في مؤتمر «باندونغ» ، ويبدو للناصريين الجدد، ان عبد الناصر ارتكب المخطور والمحرم وفتح الطلسم وتحدى امريكا وبريطانيا بذهابه الى مؤتمرينادي بعدم الانحياز . . الامر الذي كان دلاس يعتبره «جريمة اخلاقية» . . كما قبل عبد الناصر وحده، أن يظهر مع اشخاص «مشبوهين» مثل شوان لاي وتيتو وسوكارنو . . بل حتى نهرو . . ومن ثم ـ فعند هؤلاء ـ ان مجرد الاشتراك في باندونج كان عملا بطوليا نادرا في شجاعته، وتحديا وصفعة للامبريالية . . الامريكية بالذات لاتأتي الامن ثوري مثل فتى بنى مرا . . بينما منعت الامبريالية الاشتراك فيه عن سائر الدول غير الثورية التحررية . . الخ!

ولن نتمسك كثيرا بالرواية المثيرة التي اثبتها «مايلزكوبلاند» والتي تزعم أن خطة عمل الوفد المصري في مؤتمر باندونغ، وضعها خبراء من وشنطن . وراجعها ونقحها رجال المخابرات الامريكية في القاهرة . . ومع ذلك فلا بأس من اثبات ماروله قال:

«قبل سفر عبد الناصر الى باندونغ كان اصدقاؤه الامريكان منتعشين، وكانوا ايضا يشجعونه على الاعتقاد بأنه سيجد لنفسه مكانا في نادي الكبار . .

وجاء خبراء من وشنطن لكتابة ورقة عمل، وترجمت هذه الورقة للعربية بواسطة «علي

صبري» الوزير بدون وزارة في الرئاسة، على اساس ان يستعير عبد الناصر بعض ما بها من افكار. كما جرى تلقين مساعدي عبد الناصر، بعض ما يمكن أن يصادفهم من شوان لاي والشيوعيين. كما قدمت معلومات هائلة لعبد الناصر عن الوضع السياسي في اندونيسيا وهو موضوع كان هاما جدا للولايات المتحدة، ولعبد الناصر في نفس الوقت من ناحية ان سوكارنو كان أحد منافسيه في المؤتمر. ولما كان الخبراء الذين جاءوا من وشنطن على اتصال فقط بالسفير بايرود، فإن اطلاعنا على ترجمة «علي صبري» لما كتبوه اثار حماستنا، فقد وصلت الينا مكتوبة على ورق من رئاسة الجمهورية، بدون اشارة الى انها مجرد ترجمة لأصل امريكي.. بل بدت كأنها تعرض الموقف الذي ينوي عبد الناصر فعلا ان يتخذه، وعندما ترجمها المسؤول السياسي. في السفارة «بيتر تشيس» الى الانجليزية، وقدمها لبايرود، قال له «بيتر» انها اذكى ما قرأ لأي حكومة في الشرق الاوسط. وان الحكومة الامريكية ربما تجد في ناصر، عنصرا مهما في التأثير على دول افريقيا وآسيا لكي تصبح محايدة فعلا، بدلا من ان تحايد الى جانب الشيوعيين كما بدأ شعار الحياد الايجابي يعني فعلا»[43]

بصرف النظر عن واقعة «ورقة العمل» وان كنا نعتقد بصحتها، فإن ما اورده يثبت الآتي:

١ ـ لم يكن اشتراك مصر «رغم انف» امريكا ولا على جثتها بل رحبت به ونظمت مساعدة الوفد المصري بكل ما اورده، ومالم يورده..

٢ ـ كانت خطة امريكا في منتهى البساطة كما سنشرحها بالتفصيل، ارسال زعيم تثق فيه وفي عدائه للشيوعية ليعطي «الحياد» نكهة غير شيوعية.. لأن الموجة السائدة والتيار كان يعطي الحياد لونا شيوعيا..

ومع ذلك كما قلنا لن نتمسك بهذه الرواية لأنها «أفظع» من أن تصدق!.. ونعود لبداية الحديث.. أي شجاعة في الاشتراك في المؤتمر؟!

المؤتمر اشتركت فيه كل من: سوريا ولبنان والسودان والعراق والاردن والسعودية وليبيا واليمن؟!!

أي جميع الدول العربية المستقلة وقتها، والمرتبطة بمعاهدات أو قواعد سواء مع بريطانيا أو امريكا؟! فلماذا يكون اشتراك مصر عجبا وحده؟!.. ونصبرا يسجل، ويوازي ما جرى من كبت وهزائم؟! ما العجب؟ في اشتراك مصر؟! ما الانجاز التاريخي، والتحول العالمي، والموقف الوطني الذي تجلى بمجرد السفر الى باندونغ؟!

كلهم سافروا: ليبيا ادريس السنوسي؟! وعراق نوري السعيد.. بل حتى اسماعيل الازهري الذي عاد من لقاء ملكة بريطانيا ليشن حملة شعواء على عبد الناصر لم يتأخر عن حفلة باندونغ.. بل كان بارزا هناك في منا كفته للوفد المصري، بل قيل إن «شوان لاي»

دافع عن حقه في التحدث باسم السودان . . عندما قال «اعتقد ان هذا الاسود هو أحق من في القاعة «بالحديث عن السودان» .

فلماذا ينفرد «عبد الناصر» بالثناء التاريخي ويحرم منه الملك ادريس ونوري السعيد والامام احمد . . الخ؟!

سيقول الناصري . . . ليس المهم الاشتراك ، وانما المهم المكانة البارزة التي كانت لعبد الناصر في المؤتمر؟!

وهذه المكانة هي من شقين : شق من صنع الاعلام المصري الذي قال عنه سلوين لويد ان «غوبلز يحسد عبد الناصر عليه» وكانت هذه تلميحه منه للخبراء الألمان الذين جاءت بهم المخابرات الامريكية لمساعدة الاعلام المصري . والذي يمكن القول أنه كان اقوى اعلام في تلك الفترة في العالم الثالث كله ، والذي كان يبذل وقتها ـ جهدا خاصا بمعونة «أهل الخبرة»[44] لرفع شعبية عبد الناصر بعد اتفاقية الجلاء وتأكد انفصال السودان ، ومذبحة الاخوان المسلمين ، وتحويل الوطن الى سجن كبير لشتى القوى السياسية من اليمين الى اليسار . وقصة الخلاف حول تنظيم الاستقبال الشعبي للقائد من باندونغ معروفة ، وقد طارت فيها رأس جمال سالم الذي كان نائبا لرئيس الوزراء ، أي حاكم مصر في غياب عبد الناصر أو هكذا كان يعتقد ، وأراد أن يكون استقبال عبد الناصر عند عودته من باندونغ «استقبالا عفويا وبمبادرة الجماهير» وكان ذلك يعني أن عبد الناصر سيصل للمطار ويتوجه الى بيته دون ان يدرى احد ، كما حدث لكل الوفود التي اشتركت في مؤتمر باندونغ ، فلم يكن المصريون قد تخدروا بعد بامجاد النصر الخالد الذي حققوه باشتراكهم في «باندونغ» ولكن الاجهزة الخفية التي كان يحكم بها الرئيس مصر ، كانت ترى في ذلك فرصة كما قلنا لكسب شعبية ، وتغطية الاعتراضات المطروحة من المصريين . . فقرروا تحدي جمال سالم .

يقول بغدادي : «ولكن هيئة التحرير والمسؤولين بها : ابراهيم الطحاوي وأحمد طعيمة لم يلتفتا الى أوامره واتخذا ترتيبات أخرى مخالفة لتلك التي امر بها (جمال سالم) بل وتم نشر الترتيبات التي اتخذاها على صفحات الجرائد اليومية دون إذن منه . وكان جمال سالم يرى أن يكون استقبال جمال عبد الناصر الشعبي نابعا من الجمهور نفسه دون تدخل من الاجهزة الرسمية للدولة ، ولكن المسؤولين عن هيئة التحرير قاموا بالعمل على نقل العمال الى المطار ومناطق اخرى متعددة بغرض التجمع بها . وعلى طول الطريق الذي سيمر به جمال عبد الناصر وهذا التصرف ضايق جمال سالم . . الخ»[45]

وقد عوقب جمال سالم بنزع اختصاصاته كنائب رئيس وزراء فور عودة عبد الناصر ، عقابا له على الاعتماد على «مبادرة الشعب» .

هذا عن العنصر الاول في اسطورة نجم «باندونغ» اما العنصر الثاني والحقيقي ، فهو

مكانة مصر التي جعلت نهرو يتحدى عبد الناصر عندما جاء الى مصر وأصر على مقابلة الرئيس مصطفى النحاس المحددة إقامته وقتها، لأنه كما قال: « ان الحركة الوطنية في الهند تتلمذت على حزب الوفد.. »

والا كيف تفسرون استقبالات اندونيسيا؟ كيف يمكن تفسيرها بشخصية عبد الناصر؟ الذي لايتحدث الاندونيسية ولا الهولندية؟! ولا كان وقتها قد حقق انجازاً واحداً يبرر أن يستقبله الشعب الاندونيسي هذا الاستقبال المفرط في الحماسة..؟!

هل كانت معاهدة الجلاء انجازا اكبر مما حققه سوكارنو بتحرير اندونيسيا؟؟!

هل كانت يسارية وتقدمية عبد الناصر هي السبب وهو الذي لم يسافر الى باندونغ، الا بعد ان شن اكبر حملة اعتقالات ضد الشيوعيين المصريين، صفى فيها تنظيم «الراية» (الحزب الشيوعي المصري) بينما كانت اندونيسيا تضم اكبر حزب شيوعي في آسيا بعد الصين؟

هل كان الشعب الاندونيسي لاينام الليل متابعا معركة حلف بغداد بين عبد الناصر ونوري السعيد.. ولذلك خرج الى الشوارع يحي بطل ضرب حلف بغداد؟! حتى هذه لم تكن قد اشتعلت بعد..

ماذا كان عبد الناصر يمثل في ابريل ١٩٥٥ للشعب الاندونيسي حتى يكون استقباله هناك «اشد حماسة من استقبالاته في القاهرة والاسكندرية.. فكان ظهوره على منصة الخطابة او في الاروقة أو الشوارع يقابل بمظاهرات حارة جداً»

والمتمركس ناقل النص يلقى كعادته بنصف التفسير ثم يعدو هاربا خوفا من الناصريين الذين يحلو لهم دائما ان يجعلوا عبد الناصر اكبر من مصر فهو يقول: «كانت هذه اول رحلة لجمال عبد الناصر خارج مصر، ظهر فيها كنجم بارز يمثل دولة ذات حضارة عريقة ولها دور قيادي في الدول العربية التي كانت تشكل ثلث اعضاء المؤتمر»[٤٦]

طبعا كاتب مثله لن يشير الى الاسلام ولكنه اعترف بأن بروز عبد الناصر كان لوقوفه على منصة مصر وليس العكس كما يروج أو يسجل صبية الناصرية، مكسب «باندونغ» على حساب مصر!

ما من تفسير واحد لشعبية وتألق عبد الناصر في اندونيسيا الا انه القادم من مصر «عش العلماء» وبلد الازهر الشريف الذي منه هذا الشيخ المعلق بركاب عبد الناصر. وايضا بلد ثورة ١٩ والغاء المعاهدة.. الخ

ونضيف عدة ملاحظات لمن يريد التوسع في دراسة باندونغ وفكرة عدم الانحياز وقتها:

عدم الانحياز لم يكن شعارا موجها بالدرجة الأولى ضد المعسكر الغربي.. أو على الاقل لم يكن موجها ضده وحده!

فالمعسكر الشيوعي كان لايزال متأثرا بنظرية ستالين ـ زادنوف عن انقسام العالم الى معسكرين: معسكر الاستعمار، ومعسكر السلام. «ولا أحد يستطيع أن يجلس على السور، فإما أن تقع في هذا الجانب أو ذاك»

ومن ثم فظهور نظرية، بل وتنظيم يؤكد ان السور، ليس فقط، يتسع لمن يريد الجلوس عليه، بل وهو المكان الطبيعي لدول العالم الثالث، أي أنه ليس من الضروري لكل من اراد التحرر من الاستعمار أن يقع في احضان الروس.

مثل هذه النظرية موجهة بالدرجة الأولى ضد روسيا، ضد التيار الذي كان يجذب حركات التحرر الوطني نحو موسكو، حتى وان نجح الروس في تطويقها وامتصاصها فيما بعد.. ولم يكن مصادفة ان تكون نجوم المؤتمر هي الصين ويوغوسلافيا واندونيسيا.. والهند.. وكلها كانت تخوض صراعا متفاوت الحدة والعلنية ضد «الهيمنة السوفيتية» اما عبد الناصر فهو كما ـ وصف بحق ـ الرجل الذي قضى على الشيوعية في العالم العربي ودعك من هستيرية دلاس فالقوى الاكثر اتزانا في الادارة الامريكية، كانت تعيش التطور الجديد. وكانت تؤيد «اتزان» الحياد ووقف اندفاع الدول الأفروآسيوية للاتحاد السوفيتي باسم «الحياد الايجابي».

الوجود العربي في المؤتمر (٩ من ٢٩ دولة) كان بلاشك عنصرا ملطفا في مواجهة أية حماسة يثيرها شوان لاي ولم يكن مما يغضب الامريكيين أن ينتزع عبد الناصر عدو الشيوعية الاضواء في المؤتمر من «شوان لاي» أوسوكارنو المشاغب مع الامريكان وضحيتهم في النهاية.

واذا اضيفت الى قائمة المكاسب رفع شعبية عبد الناصر في المنطقة حيث كانت الولايات المتحدة لاتزال تراهن عليه في تصفية الوجود البريطاني وايضا في تحقيق التسوية السلمية مع اسرائيل، وهو الهدف الذي لم تتخلى عنه قط.. كذلك اكتشف الامريكان، كما اكتشف الاعلام المصري، وجود ميدان آخر يمكن كسب انتصارات فيه وتجريعها للجماهير لكي تنسى ميدان المكاسب الحقيقية وهو الصراع ضد اسرائيل..

اسرائيل لم تشترك في «باندونغ» ولم يخطب بن غوريون في «بالي» ولا قام فيها مقر المؤتمر الأفروآسيوي، ولكن ذلك لم ينتقص من مكانتها العالمية، والدليل: ان العالم كله كان معها عشية عدوان ١٩٦٧ وضد عبد الناصر الذي لم تفده مكانته الدولية ولا باندونغ ولا عدم الانحياز ولا الحياد الايجابي، ولا اسيوي ـ افريقي. كل هذه الفقاقيع التي استخدمت على اوسع نطاق لتخدير الجماهير المصرية والعربية. وحرف انظارها عن مواجهة اسرائيل.. التي كانت تعمل ليل نهار لتحطيم القدرة العسكرية المصرية..

وهكذا كانت المهرجانات تقام باسم باندونغ، والقصائد أو المقالات تدبج في بطل باندونغ، واسرائيل تحتل المنطقة المنزوعة السلاح في العوجة والكونتيللا وتذبح الجنود

المصريين والمواطنين الفلسطينيين في غزه! وتشحذ آلة الحرب استعداداً لعدوان ١٩٥٦ وقد لخص «المعلم» مايلز كوبلاند النجاح المصري في عالم الاسيوي ـ افريقي وباندونغ. . الخ فقال:

«فشل ناصر في تحويل الدول الافريقية ضد اسرائيل، وهو لم يكن هدفا جادا من اهدافه على اية حال (؟ا ج) ولكنه نجح في كسب تأييد واسع اسيوي ـ افريقي للقرارات المضادة للامبريالية في الامم المتحدة وغيرها، وكذلك تأييد حق تقرير المصير، ودور متزايد في العالم الاسيوي ـ الافريقي مما ادى الى تقديم الانجليز والفرنسيين والامريكان مساعدات اكثر لمصر في محاولة لشرائه»

باندونغ كانت المهرجان والنشاط آسيوي ـ الافريقي كان من لزوم المهرجان ولاعلاقة له بالمواجهة المصرية ـ الاسرائيلية الا بالسلب. وربما كان كاتب متمركس نصف ناصري يشير الى حكاية شراءه هذه عندما قال ان عبد الناصر كان يريد شل المؤتمر الاسيوي ـ الافريقي عندما جاء به الى القاهرة ومنعه من ان يلعب دورا سياسيا ايجابيا، ولذلك تعمد أن يفرض عليه عسكري ليس له اي اهتمامات سياسية ـ في رأي هذا الكاتب ـ مما ادى الى تحول المؤتمر الى «مقر هامشي بلافعالية أو اثر وربما كانت الخشية من زحف الافكار اليسارية «الخ»[٤٧]

فنشاط مصر في المؤتمر الاسيوي ـ الافريقي استهدف شله وتفريغ فعاليته!.

الا ان «باندونغ» كان بداية تطور جديد للناصرية، ومن هنا أهميته الحقيقية، لا كانتصار لمصر. . ولكن كتغيير في المعادلة. . فالروس باعتبارهم يتحركون على موجة واحدة، وليس بين اجهزتهم هذا التناقض أو التفسخ الموجود في الاجهزة الامريكية، نصبوا شباكهم لهذا المتعطش للزعامة، والقادم من اهم بلد في آسيا وافريقيا، وقتها، وكما رأت الولايات المتحدة في عبد الناصر قوة صدام وحاجزا ضد الشيوعية، كذلك رأى السوفيت فيه امكانية لدخول قصر لعبة الامم في الشرق الاوسط، يقول كوبلاند: «في باندونغ سر ناصر الطرفين، الامريكان لأنه خفف الحملة على الغرب، والروس بتأييده الحملة على الاستعمار» الا ان الموقف اختلف لأن الروس لم يتحفظوا في مدح سلوكه، بينما كانت لنا نحن تحفظاتنا، كذلك اقنعه الروس انه وصل (القمة) اما نحن فلم نقل له ذلك»[٤٨]

وهذا طبيعي فالامريكان كانوا يتوقعون من «صديقهم» اكثر مما كان بوسعه أن يقدم، والروس كانوا ينتظرون من «البكباشي» الفاشي معتقل الشيوعيين «عميل» الغرب اسوأ بكثير مما حدث. . فكان ان عتب هؤلاء وابتهج اولئك. . وعبد الناصر تصرف التصرف الطبيعي، فلم يكن بوسعه ان يزاحم شوان لاي ونهرو وسوكارنو. . اذا اتخذ موقف شارل مالك اونوري السعيد. . فهو لم يكن مسحوراً «بشوان لاي» كما «أبلغ» شارل مالك

المسـؤولـين في المخابرات الامريكية، بل كان يحاول ابطال سحر شوان لاي ، كانت الموجة هي سب الاستعـمار ، أمـا مهـاجمة «الهيمنة السوفيتية» فلم يكن شعارها قد طرح بعد، وان كان في صدور الرجال مثل «تيتو» و«شوان لاي».

ويعتقـد «مـايلز كوبلنـد» ان البـير وقـراطيـين في وشنطن لم يفهمـوا ذلـك ومن ثم ضاق صدرهم بعبد الناصر، بينما التفسير الاخبث، يقول، ان الرؤساء في وشنطن الذين يديرون لعبـة الامـم، رأوا ان اظهـار غضب امـريكـا وهـزيمتهـا. يساعد على نجاح عبد الناصر، ويضـاعف مكـاسب اشـتراكـه في المـؤتمر. . بينما التفسير الاقرب للعقل، هو ان الاجنحة الامريكية المعادية للشيوعية عداء صليبيا، وكانت امريكا غير معترفة بالصين وحديثة عهد بالمكـارثيـة، لم تلتئم جراحهـا بعـد من حرب كوريا . . هذه العناصر التي ستقود امريكا الى حرب فيتنـام، كانت ضد أن يظهـر أو ان يصـافح موظف في دائرة نفوذها، الزعيم الشيوعي الصيني شوان لاي . . ومن ثم غضبت من عبد الناصر . .

وهناك ايضا المدرسة الاسرائيلية في السياسة الامريكية التي كانت تعمل ليل نهار لنسف العـلاقـات النـاصـرية، واحباط مشروع اعتماد مصر ـ عبد الناصر، كالوكيل او الاحتياطي الامـريكي في المنطقـة، وهـذه المـدرسة سلاحها المفضل، هو اتهام عبد الناصر بالشيوعية، ووسيلتها هي استفزازه لكي يندفع اكثر في اتجاه الشيوعية.

وربما يكون التفسير الصحيح هو مزيج من هذه التفسيرات جميعا. . بل اغلب الظن انه كذلك!

المهم يرى «كـويـلانـد» ان الـروس كانـوا اذكى في قبـول خطوة عبد الناصر في اتجاههم والترحيب بها والشد على يده، ومعاملته كزعيم عالمي . . والتغاضي عن خطواته في الاتجاه المضاد.

يقول: «وقد انتقل برودنا الى مصر في اكثر الاشكال استفزازا فأولا لم يظهر السفير بايرود في مطـار القـاهرة في استقبال عبد الناصر عندما عاد عودة الفاتحين من المؤتمر، وعندما وصل عبد الناصر الى منزله كان اول تقرير يتلقاه هو ان بايرود لم يكتف بمقاطعة الاستقبال، بل ونصـح كل سفـراء الغـرب الآخـرين بتـبر يـد الدخول الظافر. . والحقيقة هي ان «بايرود» تحدث مع السفير البر يطاني وسأله ما هو البر وتوكول المفروض، فنصحه بترك سفراء الدول الافرو آسيوية ينعمون بيومهم. فلما اتصل عدد من سفراء الدول الغربية يسألون بايرود هل انت ذاهب رد عليهم بأنه يعتقد ان وصول عبد الناصر يجب ان يبقى اسيوي ـ افريقي . . وان عبد الناصر سيسعده أن نبقى نحن البيض بعيداً».

وهـذا لغـو، لا أهميـة له، وان كان قد حرص على «تـلبيس» المسـؤوليـة للسفـير البر يطاني! . . الا أن «اللعبة» كانت تبدأ بالاتفاق مع الامريكان، ولكن البطل لكي يندمج

في الدور ويثير حماسة رواد «المهرجان» كان عليه ودائما ما ينجح، اغضاب الامريكان الذين بسبب نظـامهم وارتبـاطهم السـرطـاني باسـرائيـل، سرعـان ما يطـورون هذا الغضب «الصحي»، الى فشل سياسي، بالنسبة لهم، ومظاهرة ناصرية ـ سوفيتية!

وفي النهاية ماذا بقى في يدنا من باندونغ؟

ماذا افادت باندونغ ميزان الصراع المصري ـ الاسرائيلي..؟

سيقفز الجواب من حلوقهم.. صفقة السلاح.. فقد كان حديثها في باندونغ من شوان لاي.. وكانت باندونغ بداية المسيرة في اللعب على حبال الوفاق والتناقض بين الغرب والشرق..

وإذا كان هيكل قد اضطر الى الاعتراف بأن معركة حلف بغداد لم تكن مع الولايات المتحدة بل لمح الى عجز بريطانيا عن فهم السياسة الامريكية فـ «الاحلاف كانت سياسة امريكية ، ومع ذلك ترددت امريكا في الانضمام لحلف بغداد» [49] الا ان الغبار مازال يغلف قصة حلف بغداد، والشائع عند السوقة، انها كانت معركة مصرية خاضتها مصر وحدها واحيانا بدعم العناصر الوطنية في سوريا ضد الحلف الشيطاني الامريكي ـ الاسرائيلي ـ البريطاني ـ العراقي ـ التركي . . الخ!

والصورة الحقيقية بعيدة كل البعد عن ذلك وهي باختصار:

كانت بريطانيا وحدها وعملاؤها من العرب مع الحلف . .

وكانت امريكا واسرائيل ومصر والسعودية وسوريا ضد الحلف! وقد يبدو هذا مزعجا وصدمة للناصرين القدامى الذين سكروا بخمر «معركة الاحلاف» ومخيبا لآمال الناصريين الجدد الذين يتطلعون لاستئناف هذا اللون من المعارك القليل الخسائر! . . ولكن هذه هي الحقيقة . .

وفكرة الاحلاف او محاولتها سابقة على قيام حركة ٢٣ يوليو ووصلت الى شكلها الواضح المحدد في عامي ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ . . ورفض مصر لها وتعرضها للضغط لقبولها، وخلافها مع بغداد حولها سابق على ٢٣ يوليو . . ويرجع الى هذا التاريخ . . وفي اوراق وزارة الخارجية الامريكية عن عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ مطلبا عراقيا ـ بريطانيا بنصح مصر بالكف عن تحريض الدول بالعربية على عدم الانضمام للحلف المقترح من قبل العراق» . !!

ومن المعروف ان بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا، قرروا تشكيل قيادة للشرق الاوسط في عام ١٩٥١ على أن تضم مصر «وربما دولا اخرى من الشرق الاوسط» . .

وكانت الخطة هي ترضية المشاعر الوطنية في مصر والعراق بل وحتى الاردن بالغاء المعاهدات الثنائية التي كانت تربط هذه الدول ببريطانيا والتي كانت تعتبر في نظر الوطنيين العرب معاهدات حماية واحتلال وسيطرة ومن ثم ترضي مشاعر هؤلاء بالغاء هذه المعاهدات، وفي نفس الوقت يتم تشكيل تنظيم جديد، اوطرح صيغة جديدة تنتقل اليها كل الامتيازات العسكرية ؛ وبالتالي السيطرة السياسية، ولكن تحت اسم أقل «بريطانية» واكثر مداعبة لغرور هذه الدول، واكثر قابلية للدفاع عنه من العملاء المحليين . . اوكما جاء

في مذكرة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٥١ (اي قبل الثورة بعشرة شهور) من وشنطن تحمل عبارة سري جدا وعاجل: «تقرر ان يقترح على مصر الاشتراك في قيادة الشرق الاوسط وستصبح مصر عضوا في هيئة رئاسة الاركان وسيضم مكتب القيادة العليا ممثلا عن مصر وستشجع مصر على قبول مقر القيادة في اراضيها، وتعطي مكانا مهما في تلك القيادة، وتوفر لها التدريبات والمعدات لقواتها من الدول القادرة على ذلك في القيادة، وتحول القاعدة البريطانية الحالية في مصر الى قاعدة للحلفاء تحت اشراف قيادة الشرق الاوسط مع الاشتراك الكامل لمصر في ادارتها في الحرب والسلم. وتنسحب كل القوات البريطانية التي لن تنخرط في قيادة الشرق الاوسط وكل ما يبقى في مصر من قوات بريطانيا في الحرب أو السلم، سينضم للقيادة وستضمن مصر للحلفاء في حالة الحرب أو التهديد بالحرب كافة التسهيلات والمساعدات التي تشمل استخدام موانى مصر وطائراتها ووسائل مواصلاتها»[٥٠]

اي استبدال الاحتلال البريطاني باحتلال مشترك بريطاني ـ فرنسي ـ امريكي . . . اما تركيا فهي لربط الحلف بحلف الاطلنطي وكانت قد انضمت اليه تركيا في وقت سابق . .

وبالطبع رفضت حكومة مصر الاقتراح جملة وتفصيلا وشنت عليه حملة شعواء في الصحافة المصرية . . ثم كان الغاء المعاهدة وانهيار اي حديث عن تسوية مصرية ـ بريطانية، وخاصة بعد ان صدرت مراسيم وحدة وادي النيل تحت التاج المشترك، واصبح من المستحيل على اي حكومة ولو برئاسة سائق السفارة البريطانية الغاء هذا القانون! . .

وكان الحل هو الغاء «التاج المشترك» وهكذا بالغاء الملكية في مصر سقط القانون وسقطت آثار القرار الوفدي الشجاع بالغاء المعاهدة . .

وحلت مشكلة السودان . .

اما مشكلة الجلاء، فكان من المستحيل على اية حكومة مصرية قبل ٢٣ يوليو ان تقبل «الدفاع المشترك» مع بريطانيا، بمعنى استمرار الوجود البريطاني في مصر، وان ذهب بعضها الى امكانية قبول عودة الانجليز في حالة الحرب أو العدوان على مصر أو حتى البلاد العربية، أما ادخال «تركيا» فكان مرفوضا من جميع الاحزاب والحكومات حتى اكثرها رغبة في التعاون مع الانجليز . . وهذه العقدة أصرت عليها بريطانيا في مفاوضاتها مع عبد الناصر واضطر هذا الى قبولها . . وبذلك لم يكن هناك مفر مع الضغط الامريكي على بريطانيا ـ من توقيعها الاتفاقية لتبدأ على الفور في محاولة الاستمرار في صيغة جديدة، بل وان تتسع هذه الصيغة لترضية العراقيين وخاصة نوري السعيد المطروح منافسا لمصر، والذي يتحتم تقديم صيغة جديدة لارتباطه ببريطانيا بعد ان حصلت مصر على الجلاء والغاء معاهدة ١٩٣٦ . . وهكذا اوعزت بريطانيا بقيام حلف بين العراق وتركيا .

وتترك سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا يحكي لنا القصة:

وسلوين لويد، كما هو معروف، هووزير خارجية بريطانيا وقبلها وزير الدولة، خلال السنوات التي سبقت وشهدت معركة القناة، وحلف بغداد، فهو من هذه الناحية شاهد عيان، وهو أيضا رئيس الدبلوماسية البريطانية الذي شاهد أوساهم في تحويل بريطانيا العظمى الى دولة من الدرجة الثانية، هوآخر اجيال الامبراطورية، وأول من شاهد واعترف مرغما بحتمية قبول مقعد في الصف الخلفي في لعبة الأمم التي يتصدرها الامريكان والروس. ولكي نختصر كتابه الذي يقع في ٢٨٢ صفحة نقول انه في هذه الفترة التي يحكي عنها كانت الولايات المتحدة تعمل بهمة لتصفية الوجود أو النفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. . . تصفية ووراثة الامتيازات النفطية الانجلو- فرنسية في المنطقة وما يستلزمه هذا وما يتبعه من مراكز استراتيجية ونفوذ ومصالح اقتصادية اخرى. . ولم يمكن من الممكن لاعتبارات كثيرة ان يأخذ هذا الصراع صيغة الحرب العالمية الأولى أو الثانية اي القتال المسلح بجيوش الاطراف المتصارعة، وانما كان عليهم ان يتقاتلوا من وراء الاقنعة، وبالقفازات المحلية من خلال القوات المخلية في الاجزاء النائية، أومن خلال الانقلابات في سوريا، انقلاب يوقع اتفاقية التابلاين وانقلاب يجمدها، أومن خلال المحاور العربية حول حلف بغداد. اوبالدعم المصري - السعودي لثورة الجزائر والحركة الوطنية في المغرب.

ونرجو الا يُسيء القارىء الفهم. فلا شك ان الخلاف حول «البوريمي» كان مطلبا وطنيا سعوديا مشروعا. . وان المقاومة البريطانية لهذا الحق كانت من اجل الامكانيات النفطية الماثلة المؤكدة في المنطقة وان لم يكن في الواحة ذاتها، ولكن باعتبار ان الولايات المتحدة لها مركز خاص في النفط السعودي وقتها - فإن اية اضافة للثروة النفطية للمملكة يضاف بصيغة ما الى الرصيد النفطي الامريكي في السوق العالمية، ومن ثم كانت لامريكا مصلحة ما في ترجيح وجهة نظر السعودية في صراعات الحدود مع البريطانيين أو المحميات البريطانية. . . فكونه يمثل تعارض مصالح عالمية، لا ينفي واقعيته المحلية. . كذلك الدعم العربي لثورة المغرب والجزائر وتونس هو موقف قومي ومصيري، ولكنه في نفس الوقت يتفق مع الاستراتيجية الامريكية الراغبة في طرد فرنسا من شمال افريقيا وهكذا كما سنرى، كانت امريكا ضد حلف بغداد، ضد أي تشكيل يبقى الوجود البريطاني في المنطقة أو يجر الى قبضتها الدول التي افلتت من هذه القبضة وأصبحت صديقة أو في دائرة النفوذ الامريكي أو تترك بابها مفتوحا. . . كان العالم يودع نظاما هزم وهو الهيمنة الانجلو- فرنسية، ويستقبل نظاما جديدا هو الهيمنة الامريكية - الروسية. واليك ما قاله خبير الاحلاف الامريكي في تلك الفترة، والرجل الذي كان يتولى تنسيق جبهة العراق - الاردن - لبنان قال: «كان «هربرت هوفر» وكيل الخارجية الامريكية يكره حلف بغداد والسد العالي

لما ستستفيدة بريطانيا منها»[1]. . ووكيل الخارجية الامريكية هذا، كما سترى في يوميات معركة العدوان الثلاثي، اقوى وأهم وافهم من المختل فوستردلاس. . وهو ضد حلف بغداد فأي مخاطرة أو مجد أن يكون عبد الناصر أو شكري القوتلي ضده؟!

وقال سلوين لويد عن هوفر هذا: «ان الولايات المتحدة لم تنضم لحلف بغداد تحاشيا للصدام مع النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة، ولم يهتموا بما يصيب النفوذ البريطاني، وهذا أهون التفاسير، اما اسوأها فإن «الماكغيين (من ماك غي سفير امريكا في ايران ج) في ايران، وجماعة سويني في السودان والكافريين (سويني المندوب الامريكي في السودان خلال مرحلة تصفية الحكم البريطاني ـ وكافري السفير الامريكي في مصر الشديد العداء للانجليز ج) وارامكو في السعودية، قد اظهروا عداوتهم لبريطانيا علانية. وهربرت هوفر الابن وكيل وزارة الخارجية الامريكية كان غارقا في عداوة البريطانيين اذا ما حكمنا بما قاله وما فعله».

«كانوا في وزارة الخارجية الامريكية يعتقدون أن أي ارتباط علني مع المستعمرين الامبرياليين البريطان، سيسبب ضررا ما حقا، ان دلاس لم يقبل ابدا الانضمام الى حلف بغداد تحت اي ظروف من الظروف».

هذا هو باختصار، واقع الزمن الذي طرح فيه حلف بغداد، على ان نراعي ـ كما قلنا ـ ان هذا اللون من الصراع، شديد التعقيد، وهو لا يحكمه او يحكم تصرفات اللاعبين فيه، قانون بسيط اسمه التناقض الامريكي ـ البريطاني، كما كان بؤساء «حزب التحرير» «وحدتو» يفسرون كل شيء بمفهوم أن كل القوى المحلية مجرد دمى بعضها يلبس العلم البريطاني وبعضها الراية ذات النجوم والاشرطة ويحرك هؤلاء العم سام واولئك جون بول؟! هذا تصور ساذج وتبسيط سوقي، وليس في السياسة شخصيات مسطحة، ولا مواقف مبسطة، فهناك أكثر من قانون واكثر من علاقة تربط الدولتين وتحكم تناقضهما وتصرفاتهما وهناك علاقات كل دولة بالقوى العالمية الاخرى، وهناك المصالح والامكانيات للقوى المحلية. . وهناك الدبلوماسية التي تغطى ذلك كله بالحديث عن المبادىء والقيم والمثل والمصالح المشروعة، والسلام العالمي ومحاربة الشيوعية والحياد الايجابي والسلبي. . . الخ. . حتى ترى «سلوين لويد» يتحدث عن حماية بريطانيا للسودان من الاستعمار المصري!

كذلك ستعجب لتناقض الموقف الامريكي، أو تناقض تصريحات دلاس وزير خارجية امريكا مع سلوك حكومته، بل مع مواقفه هو نفسه العملية. . وستلمس فارقا كبيرا بين موقف «دلاس» «المتدين» الذي يكره عبد الناصر، وبين موقف موظفي الجهاز المحترف سواء في المخابرات الامريكية او وزارة الخارجية الذين يراهنون علي الزعيم الشاب لتصفية

بريطانيا والشيوعية من المنطقة.. وقد فعل..

وقد شهد سلوين لويد «ان حكام مصر الجدد قد قدموا تنازلا لم تقدمه حكومة مصرية من قبل وهو حق السودانيين في تقرير المصير. وقد مدحهم ايدن في البرلمان «لأنهم فضلوا التركيز على محاربة الفساد في بلادهم وحل المشاكل الدولية التي ورثوها من الحكومات السابقة، كما اشاد بقبولهم مبدأ حق تقرير المصير»[52].

وقد ظهرت فكرة حلف بغداد بالتنازل الثاني الذي قدمته الثورة كما قلنا، عندما اعتبرت تركيا في دائرة الدفاع الاقليمية وان العدوان عليها يبيح للانجليز العودة الى قواعدها العسكرية في مصر، تماما كالاعتداء على السودان أو السعودية، ومن هنا نؤيد قول ممثل وزارة الدفاع الامريكية ان اول دولة عربية وقعت حلفا عسكريا مع الغرب هي مصر الناصرية وليس عراق نوري السعيد، ولا جدوى من تزوير التاريخ.. بل وثاني دولة وقعت معاهدة عسكرية مع الولايات المتحدة هي مصر الناصرية في ديسمبر ١٩٥٣..

وبقبول مصر الدفاع المشترك عن تركيا، او الحلف البريطاني ـ المصري ـ التركي، ظهرت فكرة ربط تركيا عضو حلف الاطلنطي بالمنطقة العربية بضم العراق والاردن، على ضوء التوصية القديمة (١٩٥١) «بأن تتخلى بريطانيا عن معاهداتها السيئة السمعة مع الاردن والعراق اذا ما توفرت الترتيبات البديلة» ان تبقى قوات بريطانيا ولكن بموجب الحلف، وتلغى المعاهدة لاسكات المعارضين.

يقول سلوين لويد:

«فوقعت معاهدة دفاعية بين تركيا والعراق في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ بتشجيع امريكي كبير. ونحن ايضا كنا نؤيد ذلك لسببين الاول انه يقوى الدفاع عن الشرق الاوسط ضد الخطر السوفيتي، والثاني ان المعاهدة العراقية ـ البريطانية الموقعة في عام ١٩٣٠ كانت ستنتهي في عام ١٩٥٧.. والحلف الجديد اذا دخلنا فيه يمكن ان يحل محل المعاهدة دون اثارة معارضة عراقية»[53].

هل صحيح شجعت أمريكا الحلف؟.. فلما بادرت بريطانيا اوبالاحرى هرولت للانضمام اليه (في ١٤ ابريل ١٩٥٥) اي قبل انقضاء اربعين يوما على قيامه، وكان هذا آخر قرار وقعه تشرشل الذي هوبدوره آخر اسود الامبراطورية، الذي مات وهويعض باسنانه المتآكلة على ما بقي من نفط الشرق الاوسط؟..

ما هو موقف امريكا فعلا..؟

يقول «ولبر كران ايفلاند» ممثل البنتاغون وعضو «مكتب تنسيق العمليات للشرق الاوسط» والمسئول عن تدبير مؤامرة سوريا ١٩٥٦ وعضو اللجنة المشتركة مع المخابرات البريطانية عام ١٩٥٦ لبحث الموقف في الشرق الاوسط يقول:

«بنفوذ بريطانيا وقعت باكستان معاهدة دفاعية مع تركيا في ابريل ١٩٥٤ الأمر الذي فاجأ وزارة الخارجية الامريكية تماما، وفي البداية لم تنطق.. ولكن في نهاية السنة بدأ فوستر دلاس يصف هذه الخطوة من مسلمي الشرق بأنها مكسب...»[٥٤].

ويقول ان «أصل فكرة حلف بغداد كانت بريطانيا، كمحاولة لتجديد المعاهدة العراقية مع بريطانيا دون تكرار مأساة ما جرى مع مصر»[٥٥] «ودفعت بريطانيا العراق لتوقيع المعاهدة مع تركيا، ومرة اخرى فان وزارة الخارجية اخذت على غرة.. was caught out of Balance وخاصة عندما اعلنت بريطانيا عزمها على الانضمام الى التحالف العراقي - التركي، وحثت امريكا على ان تحذو حذوها فورا.. وهكذا أخذ صناع السياسة الامريكية على غرة بحلف بغداد، وكان عليهم ان يتصرفوا في اطار ردود الفعل، بدلا من ان تكون لديهم بدائل مجهزة سابقا، ثم جاء تعقيد اكبر، وهو انضمام الولايات المتحدة للحلف كما تطالب بريطانيا، وهذا معناه ان الولايات المتحدة ستصبح عضوا في تنظيم يضم دولة عربية وهي العراق، وهذا يحتم عليها أما ان تصدر تعهدا بالدفاع عن اسرائيل، أو أن تصر على انضمام اسرائيل ايضا الى الحلف».

«وكان واضحا مما سمعته من الادميرال دافيز وفي مكتب الوزير «اندرسون» اننا اندفعنا لخلق سياسة تتماشى مع سياسة الامر الواقع التي فرضها علينا الجهاز البريطاني. وكانت ايران هي الثغرة الباقية في الاطار الشمالي كما تخيله وزير الخارجية. وقررنا أن تسد هذه الثغرة بمبادرة منا. وكنا قادرين على تحقيق ذلك بما لدينا من نفوذ، اولا بما اصبح بعد ذلك «اشهر سر» تتباهى به المخابرات CIA وهو دور آلن دلاس وكيرميت روزفلت في اعادة الشاه الى عرشه عام ١٩٥٣ بما عرف باسم عملية اجاكس»[٥٦].

والمسئولون عن مصر في المخابرات الامريكية كانوا ضد حلف بغداد: «انا وايكلبرغر كنا ضد حلف بغداد»[٥٧] وقد سافر كوبلاند رئيس المحطة (CIA) في مصر الى وشنطن حيث عارض حلف بغداد ونجح في استصدار قرار امريكا بعدم الانضمام للحلف..

فما تفسير قول «سلوين لويد» ان امريكا كانت مؤيدة، وما حقيقة موقف عبد الناصر؟! لقد اشرنا في فصل «الامريكان ياريس» الى اختلاف وجهتي النظر داخل الادارة الامريكية حول «الاحلاف»... البيت الابيض أو بالاحرى ايزنهاور، وجون فوستر دلاس، وبقية الجهاز التقليدي كانت ترغب في الاحلاف ولا يمكن ان نقدم افضل من هذا التفسير لمايلز كوبلاند: «ان مشاريع الدفاع والاحلاف والترتيبات العسكرية كانت نابعة من تفكير متخلف يمثله ايزنهاور وجهازه الرسمي، من بقايا الحرب العالمية الثانية، وهو توقع غزوا عسكريا مماثل للغزو الألماني، ومن ثم كانت الاستراتيجية هي مواجهته باستحكامات عسكرية..»[٥٨].

وقال «ان فكرة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط كانت قد تحولت الى فكرة خارج التاريخ، والسبب الوحيد الذي جعلها مطروحة للمناقشة هو أن الوزير دلاس رغم ذكائه لم يستطع التخلص من الفكرة»[٥٩].

وقلنا[٦٠] ان الاجهزة المتطورة كانت قد اكتشفت زوال عهد الاحلاف والاستحكامات العسكرية والغزو «الروسي».. ولذلك تولت تحرير «الوزير الذكي» من عقده، وشن «صوت العرب» الذي اقامته المخابرات الامريكية ولو من الناحية التكنولوجية حملته المشهورة على الحلف..

كذلك كانت الولايات المتحدة لا تريد منظمة تتربع فيها بريطانيا يحف بها عملاؤها أو الحكومات المتعاونة المرتبطة ببريطانيا، مثل باكستان والعراق والاردن وشمعون.. الخ..

كان التفكير والتدبير هو ما أشار اليه كوبلاند في شكوى عبد الناصر من خرق الامريكان لاتفاقهم وشرح هذا الاتفاق - على لسان عبد الناصر، بأنهم وافقوا على تركه يدبر الأمر فيخلق حلفا عربيا غير مرتبط علنا مع أي من الدول الغربية الكبرى، ولكنه قادر على التجاوب والتكامل مع خطط الدفاع الغربية وقت الحاجة[٦١]. فنسفت بريطانيا المشروع سواء بتعجلها «التحفظ» على العراق والاردن، قبل ان تخرجها امريكا من هناك، أو لرغبتها في نسف المشروع الامريكي - الناصري..

واخيرا عقدة العقد وهي «اسرائيل» فالولايات المتحدة لا تستطيع الدخول في معاهدة عسكرية دفاعية مع دولة عربية، في حالة حرب مع اسرائيل، دون تقديم ما يوازن ذلك لاسرائيل.. ومن السخف طبعا تصور حلف عربي امريكا عضو فيه، في نفس الوقت الذي ترتبط فيه امريكا بمعاهدة دفاعية مع اسرائيل أو الاقتراح الجنوني بضم اسرائيل للحلف..

من هنا حق لنا أن نقول ان الولايات المتحدة كانت ضد حلف بغداد وكان يتمشى مع مصالحها تمام التمشي، تحطيم هذا الحلف أو شله على الاقل أما صياح «دلاس» والصحافة الامريكية فلا يزيد عن «هتاف» الناصريين ضد امريكا للاستهلاك المحلي، ولضرورات النفاق الدبلوماسي مع «الحلفاء».. واخيرا لاعطاء معركة ناصر ضد الحلف نكهة اقوى، من عصير محاربة الاستعمار مما ادى الى النهاية المتوحشة «الامريكانية» لكل رجالات حلف بغداد!

وفي الاجتماع التمهيدي لمؤتمر القمة الامريكي - البريطاني سألوا وكيل الخارجية البريطاني مستر «ايفلين شوكبرغ» عن حلف بغداد، فقال «نحن لا يعنينا الا النفط، وما حلف بغداد الا صيغة تمكن بريطانيا من الاحتفاظ بقواعدها في الاردن والعراق بدون تجديد المعاهدة وليس له اهمية حربية»[٦٢].

«وقال وكيل الخارجية البريطانية ان السعودية هي عدو بريطانيا الأول أو الشخصي

Bete noire وهو يريد ان يبحث معنا كيف نحدث تغييرات اساسية في حكومة السعودية. . وقد كتبت في مذكراتي يومها، يبدو ان بريطانيا تريد تنظيم انقلاب يلغي النظام الملكي السعودي، بمساعدة أو دون مساعدة المخابرات CIA». «ولما حدثوه عن الخطر الشيوعي في الكويت» التي كانت محمية بريطانية لم يهتز وانما قال: «ان الخطر الحقيقي في الاردن، حيث المال السعودي والنشاط المصري»[٦٣].

وهيوغيتسكيل زعيم المعارضة البريطانية، واقوى مدافع عن خط الانضواء تحت المظلة الامريكية والكف عن محاولة العودة «غير المشروعة امريكيا» للمنطقة شرح لنوري السعيد اسباب معارضته اي غيتسكيل الحلف بغداد قال: «انني اعارض السياسة البريطانية التي اتخذت من حلف بغداد اساسا لسيطرتها في الشرق الاوسط والتي تهدف الى السيطرة على المنطقة عن طريق حلف بغداد»[٦٤].

سلوين لويد يحمل الامريكان بصريح العبارة مسئولية فشل الحلف اذ يقول: «ان نقطة الضعف في (حلف بغداد) كانت تكمن في موقف الولايات المتحدة ambrguity ذي الوجهين، فقد ظل دلاس يتحاشى العضوية الكاملة، قائلا إنه لا يمكن الحصول على اغلبية الثلثين المطلوبة في الكونغرس للانضمام الرسمي. لم يكن يعتقد أن الرأي اليهودي في امريكا سيحبذ، ولكن اذا ما تحقق ما وصفه بالتسوية الفلسطينية فان الوضع سيختلف وعندها سيوصي بعضوية امريكا الكاملة. (يعني في المشمش! ج) ولكنه وافق ـ على اية حال ـ على ارسال مراقبين عسكريين وسياسيين لحضور الاجتماعات (وربما كان هؤلاء هم الذين يزودون خصوم الحلف باسراره. ج).

ويعود فيقول: «كانت اهدافنا ان لا تبقى علاقاتنا مع العراق على الاسس القديمة فان وجودنا العسكري كان سيصبح تحت مظلة خلف بغداد، مع تركيا وايران وباكستان ودعم الولايات المتحدة، فان مثل هذا الحلف لم يكن من السهل اتهامه بأنه اداة للاستعمار البريطاني. ولكن الولايات المتحدة كانت يوما حارة ويوما باردة، دلاس رحب بحلف بغداد ولكنه رفض الانضمام اليه. ويبدو أن الغيرة القديمة من بريطانيا سادت بكل تأكيد على مشاعر بعض مساعديه. فالامريكان في الظاهر كانوا حليفا مخلصا يوثق به، ولكن في العمق، كان كثير من الامريكيين تمتلىء قلوبهم بكراهية الاستعمار، والنفور من الاعتراف لنا بأية سلطة موروثة من أيام امبراطوريتنا، وسرور نصف خفي ونصف ظاهر برؤيتنا نهوى الى القاع»[٦٥].

هل تريدون أوضح من ذلك؟!

ومن الاهانة لعبد الناصر، القول بان بريطانيا اقامت الارض واقعدتها لكي تضمه الى حلف بغداد وهي التي طلبت من مصر في عام ١٩٥٠ أن تكفي خيرها شرها، فتمتنع عن

تحريض الدول العربية ضد مشاريع الاحلاف التي تسعى اليها العراق، ولا أحد يطاليها بالانضمام الى هذه الاحلاف. فبريطانيا كانت تريد حلفا تسيطر عليه وتسوره حول افراخها في الشرق الاوسط لكي لا يخطفها النسر الامريكي، ولم تكن تسعى الى حلبة صراع مع المصريين ورجال المخابرات الامريكية الذين تعج بهم القاهرة. ولكن الامريكان ما كانوا ليسكتوا على بناء هذه الحظيرة البريطانية وعيونهم جاحظة لنفط العراق، وغارقة في نفط ايران. . .

وبعكس الفكرة الشائعة بين الناصريين، عن ان عام ١٩٥٥ كان عام الضغط الامريكي على عبد الناصر للدخول في حلف بغداد، فاننا نجد أن هذا العام قد شهد الضغط البريطاني في جميع المناسبات لاقناع الولايات المتحدة بتأييد الحلف، وتملص الولايات المتحدة من هذا الموقف، بل ان سلوين لويد يتهم امريكا بانها قتلت الحلف مجاملة «لناصر والدول العربية التي تفكر مثل ناصر» وهي السعودية وسوريا واليمن وقتها. ويشمت فيه بقوله «ولكن دلاس لم يكسب شيئا برفضه الانضمام لحلف بغداد، وقد ثبت ذلك عندما اشترى عبد الناصر السلاح من تشيكوسلوفاكيا وأعلن ذلك في سبتمبر ١٩٥٥».

وقد عقد اجتماع قمة بين ايزنهاور ودلاس من جهة وايدن وسلوين لويد في محاولة لتصفية الخلافات أولوقف ما سماه وزير خارجية بريطانيا بصريح العبارة «محاولة طردنا من المنطقة قبل الاوان».

ونوقشت في المؤتمر القضايا الرئيسية التي توتر العلاقات وهي :

١ـ الصين. . ومعروف ان بريطانيا بسبب «هونغ كونغ» والمصالح الاخرى، قد اتخذت موقفا مخالفا للموقف الامريكي من الصين الشيوعية وكانت تحاول في هذا الوقت مجاملة لروسيا والصين، وابتزازاً للامريكان، اعطاء الصين مقعد مجلس الامن بدلا من فرموزا وقد رد الامريكان في الاجتماع على هذه المناورة برد حاسم لوقف الابتزاز او المساومة البريطانية : «اخبرونا انهم سينسحبون من الامم المتحدة اذا ما حدث هذا»!

فانقطع الحديث ولكن ليرد الانجليز بنفس الأسلوب في النقطة الثانية :

«وكانت هناك مناقشة طويلة[٦٦] حول واحة البوريمي التي تقع في اراضي سلطان مسقط الذي كانت لنا معه معاهدة وكان الاعتقاد بوجود نفط هناك، وقد تحرك السعوديون لاحتلال الواحة في ١٩٥٣. ولكن صدوا بمساعدة قوات ساحل عمان والامير زايد شقيق حاكم ابوظبي. وكان هناك تحكيم ولكننا انسحبنا منه محتفظين بمواقعنا في الواحة، التي أصبحت شوكة دائمة في علاقتنا مع السعودية. ولكن لم يكن بيدنا حيلة لمعالجة ذلك دون أن نتخلى عن اصدقائنا (اهه؟!؟ ج). . وكانت الحكومة الامريكية بسبب قاعدتهم الاستراتيجية في الظهران واهمية المصالح النفطية لارامكو في السعودية، كانت تضغط باستمرار علينا للتبسليم

للسعوديين. وقد بذلنا جهدنا لاقناع دلاس وايزنهاور ان هذا الموضوع غير قابل للبحث. .

«وفي النهاية بدا أنهم فهموا وضعنا، وتبينوا، أيضا، ان الملك سعود يستخدم أمواله بغباء وبطريقة ستدمر الغرب وتساند الشيوعية. كما اكدوا لنا أن الولايات المتحدة لن تنضم لحلف بغداد، ولو أنهم وعدوا بمساعدات»[٦٧] وفي الاجتماعات التمهيدية لهذا المؤتمر قال وكيل وزارة الخارجية وبعد جولة قام بها في بغداد وطهران وانقره وطرابلس ابرق من تل ابيب الى ايدن «يجب أن يظهر الامريكان دعمهم لحلف بغداد» كما اقترح انقلابا في سوريا»[٦٨].

«وفي ٨ مارس ١٩٥٦ قال لي دلاس ان الولايات المتحدة ستهتم اكثر بالشرق الاوسط. . فسألته كيف؟. . قال انه لم يصل الى رأي بعد، فبادرته قائلا: يمكنكم ان تبدأوا بالانضمام الى حلف بغداد. . فرد قائلا ان هذا مستحيل تماما، ولم افهم ابدا السبب الحقيقي، اذ كان يشير ـ عادة ـ الى اللوبي الاسرائيلي وصعوبة الحصول على موافقة الكونغرس ولكني لم اعرف ابدا اذا ما كان هناك أمر آخر يخفيه في نفسه»[٦٩] وما يخفيه دلاس في نفسه يظهره كوبلاند وايفيلين ويلمح له لويد. .

وفي منتصف مارس ١٩٥٦ قدم تقريرا الى مجلس الوزراء بعد جولة في الشرق الاوسط قال فيها: «يجب ان نبذل محاولة اخرى لحث الولايات المتحدة على الانضمام لحلف بغداد. . يجب أن نعمل على التقريب بين العراق والاردن ومحاولة عزل السعودية عن عبد الناصر بتوضيح اطماع عبد الناصر للملك سعود. واتخاذ اجراءات ضد عبد الناصر مثل تجميد الارصدة. وسحب تمويل السد العالي، وخفض المساعدات الامريكية لمصر. . ووقف الامدادات العسكرية ولكن ذلك كله يحتاج لدعم حكومة الولايات المتحدة. ولذا فان المهمة الاولى هي الحصول على اتفاق امريكي ـ بريطاني».

واخيرا توسل وزير خارجية بريطانيا لدلاس: «وعندما اخبرت دلاس بصفة شخصية جدا ولمعلوماته فقط انني لا اعتقد ان نوري (السعيد) يمكن أن يعمر طويلا ما لم يتخذ اجراء حاسم يثبت ان سياسته في دعم حلف بغداد تعود بالفوائد على العراق لم يظهر على دلاس انه أخذ كلامي على محمل الجد، مما جعلني اشعر ان عداء السعودية للعراق انعكس على نصائح وزارة الخارجية الامريكية لدلاس».

واكثر من ذلك ان «سلوين لويد» يكشف سرا غريبا، له علاقة بالرواية التي يذكرها هيكل وان اخطأ في تواريخها وهي الاتفاق المبدئي الذي جرى بين سلوين لويد وعبد الناصر على وقف حملات صوت العرب ضد حلف بغداد مقابل تعهد بريطانيا بوقف محاولاتها لضم دول عربية جديدة اليه. هذا الاتفاق تقدم به دلاس الى سلوين لويد اذ قال له «انه يعتقد بامكانية اجراء مساومة مع عبد الناصر بأنه لن تنضم دولة عربية اخرى للحلف مقابل وقف الحملة على الحلف. وقد رد سلوين لويد انه عمليا لن تنضم دول عربية في المستقبل

القريب، ولكنه لا يستطيع ان يجرى هذه المساومة مع عبد الناصر لما يمكن ان يكون لها من تأثير على دول الحلف وخاصة على نوري (السعيد). وكان ذلك في لقاء دلاس ولويد في كراتشي في مارس ١٩٥٦.

امريكا لم تكن مع حلف بغداد، بل كانت ضده، واقل ما يوصف به موقفها هو انها لم تعترض على النشاط المضاد له، والذي قام به الحلف المصري ـ السوري ـ السعودي . . ففور سقوط الحكومة الموالية لبريطانيا والعراق سافر صلاح سالم الى دمشق حيث وقع بيان مشترك مع خالد العظم (وزير الخارجية) يدعو الى رفض حلف بغداد واقامة حلف عربي، وقد بادر الملك سعود باصدار بيان يؤكد موافقة المملكة على البيان المصري السوري . .

ويفسر كاتب متمركس ذلك بأن «السعودية كانت في نزاع شديد مع بريطانيا حول احقيتها في واحة البوريمي»[٧٠] .

وهذا صحيح، ولكنه يقف عنده لا يتقدم خطوة، لأنه يعرف أنه يمشي على رمال متحركة، فلو تقدم خطوة واحدة لوجد نفسه امام الصراع الانجلو ـ امريكي الذي طالما حاولنا تلقينه اياه في صدر شبابه، لينكره في شيخوخته . . لكي لا يضطر لوضع «الناصرية» في مكانها في دائرة هذا الصراع . .

وما يمكن قوله في هذا الموضع من الحديث . . ان السعودية كانت لها مصلحة حقيقية، بل وسياسة قديمة في معارضة بريطانيا، ومعارضة العراق الهاشمي الذي اصبح اكبر قوة موالية لبريطانيا في المنطقة، وقاعدة نشاطها وخاصة بعد الانسحاب البريطاني عن مصر والسودان . . فالعداء السعودي ـ الهاشمي قديم . والمصالح البترولية ـ السعودية، مرتبطة بالمصالح الامريكية وبابتعاد سوريا عن القبضة البريطانية ـ العراقية وباسترداد واحة البوريمي وما حولها من نفط من الانجليز، وكما كانت السعودية راغبة في استخلاص اراضيها المغتصبة من قبل الانجليز، فانها كانت بشكل اقوى تشعر بأمن اكبر اذا مازال الوجود البريطاني من المنطقة كلها . والسعودية في هذا الموقف مع استقلال سوريا ضد بغداد الانجليزية مع تحرر الخليج من الاستعمار البريطاني، مع سياسة مصر . . .

وفي تلك المرحلة لم تكن سياسة مصر تتعارض مع السياسة الامريكية، كان عبد الناصر يعمل على تصفية الاستعمار البريطاني من المنطقة، لأن هذا هو الضمانة الاولى لتحرير مصر ووقف مؤامراتهم في مصر والسودان وليبيا . . . ولم يكن مستعداً ولا قادرا على أن يدخل في حلف تتزعمه أو تتصدره بريطانيا، وقد كادت اتفاقية الجلاء تكلفه حياته، إن صح أن هناك مؤامرة حقيقية لاغتياله، ولكنه يعلم ان اكثر من وطني كان يتمنى وقتها لو انهى حياته جزاء «خيانة» اتفاقية الجلاء! . . كذلك لم يكن ليقبل ان تكون بغداد مركزا لتنظيم اقليمي للشرق الاوسط[٧١] . فهو والملك سعود كانا يتحركان من موقف وطني تاريخي استراتيجي

واضح المصلحة لمصر والسعودية والعرب وضد بريطانيا. . وايضا يتفق والاستراتيجية الامريكية للمنطقة. . كذلك فان اللوبي الصهيوني في السياسة الامريكية لم يكن ليرحب بقيام حلف عربي ـ تركي، لأنه في النهاية قد يوجه ضد اسرائيل بطريقة مباشرة أوغير مباشرة. . ولو من خلال تقليل الخلافات بين الغرب والدول العربية، واتاحة الفرصة للتعرف وربما الحصول على اسلحة متفوقة للدول العربية وايضا جذب تركيا الى اهتمامات وهموم العالم العربي، وما قد يؤدي اليه من ارتفاع في النبض الاسلامي، الخافت منذ سقوط الدولة العثمانية. . فكل دوله اسلامية. . وقد رأينا كيف شنق عدنان مندريس جزاء اهتمامه بالعالم العربي، ومحاولة التودد للعرب والشعب التركي ببعض الافراجات عن دين الجماهير التركية المعتقل منذ اتاتورك. . .

واذا كانت المنطقة قد شهدت منذ حلف بغداد ثلاثة حروب ضد اسرائيل ولم تشهد حربا واحدة ضد الاتحاد السوفييتي فان اسرائيل هي المعنية بالدرجة الاولى بكل ما يدور حول التنظيمات العسكرية في المنطقة وهي بصراحة ضد اية منظمة دفاعية اقليمية وخاصة اذا كانت مع الغرب، ويمكن مراجعة موقفها من صفقات السلاح الغربية للسعودية ومن مشروع قوات الانتشار الاردنية ـ الامريكية، حيث كانت هي التي وأدت المشروع.

وكما لاحظ المخابراتي الامريكي بذكاء أوبعلم سابق: «اذا درس احد حملات ناصر ضد الغرب يجد انه يركز اكثر على القوات الاجنبية والقواعد، منه على دورنا نحن (الامريكان) في اقامة اسرائيل»[٧٢].

حلف بغداد كان مشروعا بريطانيا، على غير هوى الامريكان، وضد سياسة اسرائيل وفي هذا الاطار يمكن فهم الحملة عليه، وتقييم «النصر» الذي احرزناه عليه. . ولكن هيكل يحاول ان يكشف فائدة لمعركة حلف بغداد يمكن ان يضيفها الى كفة مصر في المواجهة مع اسرائيل فيقول:

«لو نجح نوري السعيد في ضم سوريا والاردن ولبنان الى حلف بغداد لتم عزل الشرق العربي عن مصر وعن بقية المغرب العربي وبمعنى ادق ترك مصر وحدها في الميدان امام اسرائيل».

دعنا من حكاية المغرب العربي فلم تكن قد قامت له قائمة بعد برغم الحركات الوطنية الباسلة هناك، وتلك لا يعزلها حلف ولا احلاف. . لا يعزلها الا الحكم الثوري كما رأينا فيما بعد. .

اما عن المشرق العربي فالحمد لله لم ينجح نوري السعيد في ضم سوريا ولا الاردن ولا لبنان للحلف، فهل غير ذلك من حقيقة ترك مصر وحدها في الميدان امام اسرائيل؟! ومن هرع الى نجدتها في حربها امام اسرائيل عام ١٩٥٦. . هل كان الحلف سيمنع حفنة ضباط

اووطنيين من نسف الخط؟ الوطنيون منعوا بريطانيا من استخدام قاعدة الحبانية في العراق او القواعد البريطانية في ليبيا. وابناء ولي عهد دويلة خليجية منعوه من دخول قصره. . . فاضطرت بريطانيا لاستخدام قبرص حيث اعلن ثوار ايوكا وقف العمليات العسكرية في كل الجزيرة خلال فترة الحملة!! رغم كل التأييد الذي منحته لهم مصر. .

فلما وقع العدوان، وسلمت بريطانيا بأنه قد آن الأوان لطردها من المنطقة وسلمت بالوجود الامريكي وانحصرت آمالها في الوجود بامارات الخليج وعدن وملحقاتها تخلت عن فكرة حلف بغداد، وطواه النسيان حتى ووري التراب مع نوري السعيد، الا ان الاعلام الناصري مازال يحدثنا عن معركة حلف بغداد، ويسجلها هيكل في حيثيات اثبات ان «نصر السويس» كان اكمل نصر في الحرب المحدودة!

وسنعود بالتفصيل لاستراتيجية اسرائيل بعد ان نعرج على بقية «الانتصارات» حلف ايزنهاور صفقة السلاح . . ثم تأميم القناة.

وحلف ايزنهاور ولو انه مسجل على اهرامات الناصرية، الا انه لا يستغرق منا وقفة طويلة، اذ يكفي ان نطرح هنا رأى «المعلم» «مايلز كوبلند» اوبالاحرى رئيس الوردية فالمعلم الحقيقي هو كيرميت روزفلت! قال كوبلاند مندوب المخابرات الامريكية في مصر: «في ١٩٥٧ كنت في واشنطن اعمل في لجنة المفروض ان تكون مسئولة عن كل ماله علاقة بعبد الناصر، واذكر انني حضرت يوما الى المكتب صباح يوم من ايام شهر يناير لاعرف ان «مبدأ» (مشروع ايزنهاور) قد اعد للاعلان يسبب المتاعب لكل خصوم ناصر ولا يقدم لهم ما يحتاجونه فعلا للوقوف ضد حملات ناصر التي كان من المؤكد سيشنها ضدهم. مشروع ايزنهاور اقترح على الكونغرس في مارس ١٩٥٧. والمشروع يخول الرئيس ايزنهاور استخدام الجيش الامريكي في الدفاع عن اي دولة في الشرق الاوسط مهددة بعدوان مسلح من اي دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية، وتقديم المساعدات الاقتصادية لمثل هذه الدولة لبناء وسائل دفاعها. وحتى اليوم لا اعرف من الذي زرع الفكرة هل هو دلاس اوبيل راونتري . . كل ما اذكره انها لم تكن من اختراع لجنة تخطيط سياسة الشرق الاوسط (المكونة من المخابرات CIA + وزارة الدفاع + وزارة الخارجية) ولا أحد من موظفي مكتب الشرق الادنى وافريقيا لهم اي علاقة بالمشروع. ونحن جميعا من موظفي الخدمة السرية، كنا على يقين ان المشروع لا معنى له على الاطلاق. وعلى ما اتذكر فان كل المسئولين عن الشرق الاسط بالاجماع كان هذا رأيهم، وعندما سئل ممثل المخابرات الامريكية في لجنة التخطيط السياسي للشرق الاوسط اذا ما كان يفكر في ارسال احد مساعديه ليشرح للحكام العرب رد قائلا: «نحن لا نستطيع ان نربط انفسنا بكل فكرة مخبولة تظهر»[٧٣]

ونحن لا نستطيع الآن ان ننجح في ما فشل فيه عضو لجنة التخطيط السياسي للشرق

الاوسط فتعرف من الذي زرع فكرة الحلف في رأس ايزنهاور ولا من الذي زرع فكرة الحملة الصليبية ضد الحلف في رأس عبد الناصر ولكن عملا بقانون «ابحث عن المستفيد» نجد ان اسرائيل قد سعدت بتطويق ونسف اول تعاون علني عالمي واقليمي بين الولايات المتحدة ومصر. . فبعد كل ما تعرض له ايزنهاور من اتهامات وضغوط بأنه باع الحلفاء الدائمين لبريطانيا وفرنسا واسرائيل من اجل مغامر عدو للغرب يميل للشيوعية، حاول عن حسن نية وغباء او بايعاز من «خبيث» ان يظهر العين الحمراء للشيوعية وعملاء الشيوعية في المنطقة، وآخر ما يتوقعه هو هذا الهجوم من النظام الذي انقذه ايزنهاور من اخطر ما تعرضت له دولة صغرى في القرن العشرين. .

ولكن عبد الناصر الذي كان قد تواءم مع استراتيجية «استثمار» حملاته ضد الامبريالية، او بايعاز من «خبيث» آخر على الجانب المقابل، اندفع في مهاجمة ايزنهاور ومشروعه. . وكذلك عاد الصفاء بين بريطانيا وامريكا بعد ما ثبت بالدليل القاطع ان «عبد الناصر» لا يحفظ ودا. .

وربما يكون موقف المخابرات الـCIA المعارض لمشروع ايزنهاور «السخيف» كما وصفوه قد شجع عبد الناصر على ان يستفيد من معارضه المشروع وهو مطمئن الى فشله. .

ربما. . والغريب اننا كافأنا امريكا على تأييدها الحاسم لمصر في ١٩٥٦ بحملة عداء ظلت تتصاعد حتى وصلت للقطيعة، مع ازدياد الود والتقارب مع السوفييت، وكافأنا امريكا عقب تأييدها السافر العلني لاسرائيل في حرب ١٩٧٣ والذي كان العامل الحاسم في احباط نصر عربي اكيد. . كافأتها قيادة ٢٣ يوليو بالارتماء في احضانها وقطع العلاقة مع روسيا؟!

عجبي!

صفقة السلاح!

تحطيم احتكار السلاح !

«ان العالم العربي اعتبر الصفقة قرارا بتحرير الارادة العربية»

وقعت كالصاعقة على الغرب الذي لم يتصور امكانية حدوثها فضلاً عن ان يكون قد علم بها ! وجن جنون دلاس ، وزلزلت موازين القوى ، وقسمت الشرق الأوسط الى قوى وطنية ، وقوى رجعية . . وكانت ضربة معلم ، لم يفكر فيها ولا كان يمكن ان يفكر فيها الا زعيم ثوري صلب لا يساوم ولا يخاف مثل جمال عبد الناصر !

هذا هو ملخص رأى الاعلام الناصري الذي اطعموه للأمة العربية اكثر من عشرين سنة! ومازال يتردد الى اليوم في الدوائر الفكرية المتخلفة . .

وملخص رأينا الذي بلاشك سيصدم المغفلين هو؛

● ان عبد الناصر لم يكن اول من حاول الحصول على سلاح من الاتحاد السوفيتي بل الاحرى ان يقال، انه آخر من حاول ذلك وانه بذل كل جهد في طاقته لمنع ذلك ففشل!

● ان الصفقة كانت بعلم ورضا ان لم نقل بتحريض المخابرات الامريكية.

● ان الصفقة كانت اهم خطوة اتخذتها الدول العربية لصالح اسرائيل وحتى لا يسقط ناصري ناشيء في غيبوبة من هول ما اقول . . نبدأ بالوقائع والتحليل فالذي هو افضل منا جميعا، لم يستطع الصبر على ما لم يحط به علما . .

ونبدأ بالضابط نصف الناصري ـنصف الماركسي الذي يفتتح شهادته باعلان من راديو موسكو:

«لم يدخل السوفيت الى المنطقة غزاة ولم يتقدم علمهم خلف التجارة كما فعلت انجلترا في الصين» [٧٤]

وحقا يكاد المريب يقول خذوني! فهذا هو بالضبط ما حدث في حالة الروس فقد بدأوا بالتجارة غير المشروطة، وانتهوا والراية الروسية ترفرف على سبعين الف عسكري كانوا في مصر بعد «التجارة» وبسبب التجارة!

ما علينا !

تبدأ قصة السلاح مع الاتحاد السوفيتي عندما حظرت بريطانيا تصدير السلاح الى مصر في اعقاب الحرب الفلسطينية الاولى وتدهور العلاقات مع بريطانيا في عهد حكومة الوفد

(١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) التي كانت اول حكومة مصرية تعترف بالاتحاد السوفيتي وذلك في عام ١٩٤٢ «وطلبت حكومة الوفد سلاحا من يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي، ولكنهم رفضوا ذلك» وقد فسر فؤاد باشا سراج الدين ذلك الموقف لاحمد حمروش بان «الروس كانوا حريصين على عدم استفزاز الغرب». [٧٤]

وفي اغسطس ١٩٥٣ سأل حسن رجب وكيل وزارة الحربية لشؤون المصانع حكومة تشيكوسلوفاكيا في توريد الاسلحة، فكان الرد بعد الدراسة هو: نحن بلد نحب السلام ولا نعطي احد سلاحا».

«ديسمبر ١٩٥٣ تساءل محمد نجيب (في لقاء مع السفير السوفيتي (بنيامين سلود ج) عن احتمالات تسليح الاتحاد السوفيتي لمصر»

«السفير المصري في موسكو عزيز باشا المصري استفسر من السوفييت ايضا عن احتمالات تسليحهم لمصر بمبادرته الخاصة خلال عام ١٩٥٤» [٧٥]

«احمد لطفي اكد بحث هذا الموضوع مع مستشار السفارة السوفيتية بالقاهرة».

«في عام ١٩٥٥ طلب حسين عرفه مدير المباحث الجنائية بالبوليس الحربي من (كامل) البنداري (الباشا الاحمر ج) (بايعاز من عبد الناصر في رواية حمروش ج) ان يتصل بالسفير السوفيتي ليسأله عن امكانية تقديم السلاح لمصر وجاء الرد السوفيتي بان تقديم السلاح لمصر والجنود البريطانيون يحتلون القناة سيكون معناه في النهاية تسليم السلاح للبريطانيين.

ويروي محمد نجيب ان «سولود زاره في منزله في يناير ١٩٥٤ وابلغه ان الاتحاد السوفيتي وافق من ناحية المبدأ على بيع السلاح لمصر. وقد ابلغ محمد نجيب ذلك كتابة لعبد الحكيم عامر قائد الجيش المصري وطلب منه ان يعد قائمة بالاسلحة المطلوبة..»

ويستنتج حمروش او يعلق على اهمال عامر وناصر لهذا الأمر في حينه بقوله: «اذا صحت هذه الرواية فهي لا تعني اكثر من اندفاع نجيب في مطالبته للسلاح من السوفييت، في وقت كان جمال عبد الناصر يعتقد فيه ان الوقت لم يكن ملائما بعد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التي تعني احتمال حدوث صدام مع انجلترا وامريكا في وقت لم تكن فيه اتفاقية الجلاء قد وقعت بعد».

حتى «حسين فهمي» رئيس تحرير الجمهورية اشتغل سمسارا لهذه الصفقة، وحصل على موافقة السوفييت وابلغ ذلك جمال عبد الناصر فكان «الصمت هو الجواب»

ويؤكد حمروش ان صلاح سالم هو الذي طلب السلاح من شوان لاي وليس عبد الناصر كما هو شائع.. وهذه هي الرواية:

«قال لي صلاح سالم ان الفيلا التي اقام بها كانت قريبة من سكن شوان لاي رئيس وزراء الصين الذي شاركه عبد الناصر في دائرة الضوء.. (الخ) وفي احدى الزيارات المتبادلة

صارحه سالم بحاجة مصر الى السلاح لمقاومة تهديدات اسرائيل وبناء جيش قوي قادر على تثبيت مبادىء الحياد الايجابي وسأله عما اذا كان يمكن للصين ان تقدم له (للجيش ج) حاجته من السلاح. واعتذر شوان لاي قائلا ان الصين تستورد سلاحها من الاتحاد السوفيتي وانه اذا وافق صلاح فسيبذل جهده للاتصال بالسوفيت، ومعرفة رأيهم في موضوع توريد السلاح لمصر. . ووافق صلاح فورا. . »

ويحرص حمروش على تأكيد ان عبد الناصر لم يوعز لصلاح بذلك اذ يقول بطريقة مستترة «والشيء المقطوع به ان صلاح سالم لا بد وأنه ابلغ جمال عبد الناصر بحديثه مع شوان لاي».

«وبعد العودة لمصر وفي شهر مايو ١٩٥٥ اتصل دانيال سولود السفير السوفيتي بصلاح سالم وأبلغه بموافقة الاتحاد السوفيتي على توريد ما تشاء مصر من اسلحة. ابلغ صلاح سالم جمال عبد الناصر بحديث السفير السوفيتي، وان صلته انقطعت بعد ذلك بالموضوع، فقد تولى مسئولية الاتصال بعد ذلك، علي صبري مدير مكتب جمال عبد الناصر»

نلخص هذه الوقائع:

١ـ كسر «احتكار السلاح» بطلبه من الاتحاد السوفيتي لم يكن مبادرة عبقرية فريدة في زمانها، غريبة في مصدرها، خارج حدود عصرها، بل هي خطوة طبيعية، وتفكير سابق على الثورة وعلى عبد الناصر. . تقدم به الوفد، او فؤاد سراج الدين، ثم محمد نجيب وعزيز المصري واخيرا صلاح سالم وكلها مبادرات لا دخل لعبد الناصر فيها. . ويبدو ان الناس نست الضجة التي اثارها «معروف الدواليبي» عندما قال انه سيحصل على السلاح من روسيا وكان رئيسا لوزراء سوريا، بل وفي هذا الوقت بالذات وقبل الاعلان عن الصفقة المصرية اتفق نهرو مع الروس على صفقة طائرات اليوشن ٢٨. ولم تؤلف فيها الاغاني والنظريات بل لا يكاد يعرفها احد.

٢ـ ان العقبة في تلك الفترة لم تكن في «رجعية» ولا «عمالة» الجانب المصري ورفضه شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي، بل في رفض الاتحاد السوفيتي تقديم هذا السلاح لكي لا يفتح جبهة جديدة في الحرب الباردة، ويشهد بذلك الكاتب الماركسي نفسه اذ يقول ان الرفض الروسي كان سببه «سياسة ستالين التي كانت تقضي بعدم تقديم اي مساعدات عسكرية او اقتصادية لأي دولة غير شيوعية» وان قبول الاتحاد السوفياتي بيع السلاح لمصر «كان تغييرا حقيقيا في سياسة الاتحاد السوفيتي بالمنطقة وكان الاتحاد السوفيتي قد قطع علاقته الدبلوماسية مع اسرائيل في فبراير ١٩٥٣ عقب القاء قنبلة على مفوضيته في تل ابيب» «السفارة الروسية» وقال «ان وصول مثل هذه الاسلحة الحديثة الى بلد غير شيوعي، من الاتحاد السوفيتي، ما كان يتم لولا وفاة ستالين وحدوث تغيير في سياسة الحزب الشيوعي

ظهرت واضحة في قرارات المؤتمر العشرين الذي عقد في فبراير ١٩٥٦ وقرار الانفتاح على شعوب اسيا وافريقيا ودعم حركات التحرر الوطني»

وهذا المدح في خرشوف الذي كانت زيارته لمصر سببا في تولي حروش رئاسة تحرير روز اليوسف، والسب في ستالين من مظاهر قلة الوفاء التي يشكومنها أمين هويدي. . فالاتحاد السوفييتي في عهد ستالين كان يدعم حركات التحرير والا لما غنى له الحد تاويين في عيد ميلاده: «عاش ستالين. . عاش ستالين. . عيد الشعوب وعيد الأمم» ولكن الدعم يختلف شكله من مرحلة لمرحلة: . فهو في مرحلة بناء الدولة السوفيتية يكتفي بالتخريب الذي يحدثه الشيوعيون في مؤخرة العدو، اما بعد ان تم بناء الدولة وظهرت الامبراطورية وتطلعت الى حصة في السوق العالمية، ونصيبا في عائدات السعر العالمي الظالم اودم الشعوب الذي يتغذى به «داركيولا» الامبريالي تاجر السلاح. . هنا يأخذ الدعم شكل صفقات سلاح وديون وفوائد للديون وخبراء بمرتبات وامتيازات، وكله عند العرب دعم! . .

المهم من ذلك كله هو ان الرفض كان من جانب الاتحاد السوفيتي ولاربع سنوات كاملة وان التغير او الانقلاب الثوري الجذري لم يكن من جانب مصر التي لم تكف عن طلب السلاح من ايام فؤاد باشا سراج الدين، بل كان من جانب الاتحاد السوفيتي، وبسقوط ستالين وليس سراج الدين ومجيء خرشوف وليس عبد الناصر. . تمت الصفقة.

٣ـ ان عبد الناصر كان اقل المتحمسين خلال تلك الفترة لطلب السلاح من الاتحاد السوفييتي، فقد اهمل تماما اتصال محمد نجيب، الذي طلب السلاح لمواجهة حتى الانجليز، فلم يكن اتفاق الجلاء قد وقع ولا الانجليز خرجوا من مصر. . ولكن عبد الناصر كما يقرر الكاتب الناصري رفض لكي لا يستفز الانجليز والامريكان. بينما لم يحسب محمد نجيب حسابا لذلك. ولا يجوز ان نصف قرار نجيب بالتسرع، فاذا فعله عبد الناصر اصبح عملا عبقريا وضربة مؤقتة حاسمة. .

٤ـ واخيرا عندما وافق الاتحاد السوفيتي على بيع السلاح لمصر، وجاء كما يقال بشيك على بياض لمصر. . هل بادر عبد الناصر بعقد الصفقة واتمام الاتفاق؟! اذا كان القرار قراره، ومن منطلقات ثورية تحررية اشتراكية واعية. . فلماذا التردد؟! . .

وقائع التاريخ تؤكد ان جميع من سبقوا عبد الناصر على طريق السلاح السوفيتي كانوا جادين في طلبهم، الا عبد الناصر، فلم يكن يفكر في اكثر من مساومة الغرب والضغط عليه. . فهو اعتبر العرض الروسي ورقة مساومة واغراء لاثارة غيرة امريكا وبريطانيا، اذ كان يفضل ان يحصل على السلاح منهما ولا يتورط في علاقة مع الروس، وهذه حقيقة اعلنها في خطبه عشرات المرات، وهو يعتذر عن «خطيئة» شراء السلاح من الروس مؤكدا انه فعلها مكرها غير باغ ولا شارحا للكفر صدره. .

قال حروش :

«ومع وجود هذا العرض المفتوح من جانب السوفيت، والذي تم الاتفاق عليه مع جمال عبد الناصر فان التعاقد لم يوقع عليه وينفذ، فقد كان جمال عبد الناصر شديد الحذر في اتخاذ هذه الخطوة التي تعني صداما مباشرا مع الامريكيين والبريطانيين الذين ما زالت قواتهم في منطقة القناة، لم ترحل بعد» «واستخدم جمال عبد الناصر اتفاقه مع السوفيت كقوة ضغط على الغرب في محاولة اخيرة لاجبارهم على توريد السلاح. . اتصل جمال عبد الناصر بسفيري اميركا وبريطانيا، وابلغهما بنبأ الصفقة وحذرهما من اضطراره لقبولها، اذا لم تصله اسلحة من الدولتين. . واقبل شهر يونيو دون ان يتلقى جمال عبد الناصر ردا عليه من السفيرين، في الوقت الذي كان فيه السفير السوفيتي يستعجل معرفة رد مصر لابلاغه لموسكو.»

وجاء شبيلوف الى مصر وتم الاتفاق على صفقة السلاح. . ومع ذلك ظل الاتفاق سرا غير معلن وغير موقع لأن جمال عبد الناصر ظل مترددا بأمل حدوث تغيير في الساعة الحادية عشرة في موقف الغرب كما يقول ناتينج. واستدعى جمال عبد الناصر الملحق الجوي في سفارة مصر وابلغه ان هناك مشروع اتفاق نهائي لم يوقع بعد بصفقة اسلحة مع السوفيت وان عليه ابلاغ المسئولين في وشنطن باضطرار مصر للحصول عليها اذا ظلت امريكا في موقف الرفض. ولكن كل هذه المحاولات انتهت الى لا شيء. . ولم يكن هناك بد من توقيع الصفقة والاعلان عنها».

عبد الناصر اذا أجبر اجبارا على «كسر احتكار السلاح» اولم «يجد بدا» بعدما رفض الامريكان كل محاولاته ومساوماته. . وتركوه عن وعي واختيار وسابق علم لكي يتعامل مع السوفيت. فاعفونا على الاقل من مسرحية «الفالج» الذي اصاب الغرب، والجنون الذي حل بدلاس والانذار الذي حمله آلن. . فالامريكان كان عندهم علم ومن اوثق المصادر، . . من عبد الناصر نفسه بوجود العرض، ثم الاتفاق. .

وكذلك يمكن القول ان قرار عبد الناصر لم ينبع من ادراك واع لحتمية المجابهة مع الغرب للارتباط العضوي بين هذا الغرب واسرائيل، ولا عن قناعة بضرورة تحرير الارادة المصرية، ولو بالمفهوم الضيق، ولا عن قناعة بحتمية الصدام مع الغرب للدور التحريري الذي لا بد ان تقوم به مصر في المنطقة انطلاقا من نظرية الدوائر اياها؟!. . بل كانت خطوة اجبر عليها

واليك رواية المصادر الامريكية :

«في الايام الاولى، عندما كان عبد الناصر يطلب معدات عسكرية لم يكن واردا احتمال استخدامها لهدف كبير مثل حرب مع اسرائيل او اليمن اوما اشبه. . ولا حتى كان طلبه كبيرا، فالحاجة كانت مركزه على الاهداف الامنية الداخلية. وقد اوضح ناصر بجلاء

لسفراتنا ان نظامه يعتمد على الجيش في تأمينه . وهو يؤمن ان جيشا هزيلا هو جيش غير مخلص . وقد بدأت طلباته من امريكا باربعين مليون دولار ثم وصلت الى عشرين مليون واخيرا نزلت الى مجرد مليونين اوثلاثة ملايين ثمن معدات استعراضية . . طاسات ، وحالات مسدسات . . وغيرها من المعدات حسنة المظهر في الاستعراضات» «بايرود كرجل عسكري كان يعرف ان السلاح الذي يطلبه عبد الناصر لا يمكنه من الاضرار بمصالحنا بأية حال» .

ولفهم موقف الامريكان نعرض الاتي :

عقب اتمام الجلاء عن مصر ساد الاعتقاد وخاصة للقوى التي استهانت بالنفوذ الصهيوني ، وطبيعة العداء الصليبي الذي حكم سلوك المؤسسات الغربية ، ان الفرصة متاحة لوضع السياسة الامريكية في الشرق الاوسط على قدميها بالمراهنة على القوة الكبرى والطبيعية بل والشرعية الاصيلة وهي العرب . . وبالذات مصر التي كان يحكمها شباب معجبون بالامريكان باعتراف هيكل او مرتبطون بالامريكان في اتهامات خصومهم . . ولو تحقق هذا التصور لواجهت اسرائيل مأزقا حقيقيا ، لا لأن امريكا كانت ستتفق مع العرب على ازالة اسرائيل ، بل كانت ستجبر اسرائيل على عقد صلح مقبول للعرب ، وهذا يعني زوال اسرائيل في نظر الفكر الصهيوني الامبراطوري . . وقد حاول اللوبي الصهيوني ، بكل قواه ان يمنع تسليح مصر ، ولكنه كان يعرف ان هذا مستحيل الاستمرار ، خاصة اذا ما نجح الحكم في مصر في اثبات استقرار الحكم ولو في صيغة ديكتاتورية تعتمد على صغر سن الزعيم ، وفي خلق جبهة عزبية ملتفة حوله ، اذ لابد ان يقوى اللوبي الامريكي ويطلب ترك اطراف المنطقة تحسم امورها دون تدخل من جانب الولايات المتحدة ، مادامت النهاية لصالح الولايات المتحدة في كل الاحتمالات . . ولمنع ذلك كان لابد ان تفرض اسرائيل على المنطقة واقع انها الصديق الوحيد للولايات المتحدة واقناع الرأي العام الامريكي بان اسرائيل هي القوة الوحيدة في الشرق المضمونة الولاء للولايات المتحدة والغرب ورأس الرمح في محاربة النفوذ السوفيتي في المنطقة وليس المهم ان تصدق الادارة الامريكية ذلك او تتظاهر بالتصديق فمن تخادع لك فقد خدعته اوبالاحرى ان مجرد رواج هذا المفهوم لدى الامريكان يسهل على الادارة الامريكية تنفيذ مطالب اللوبي الاسرائيلي الشديد التنظيم وصاحب القوة الانتخابية التي يسيل عليها لعاب السياسيين الامريكان . . وقد اتبعت اسرائيل في ذلك الآتي :

١ـ تبني سياسة معادية للسوفيت على مستوى الشعارات بل واستفزاز الروس لمعاداة اسرائيل وذلك بازالة المسحة الشيوعية التي صاحبت فترة بناء اسرائيل وظهور الدولة والتي كانت ضرورية في ذلك الوقت لكسب اليسار الاوروبي ، وشل المعارضة الروسية لانشاء

الدولة ودفع الاتحاد السوفيتي للتحلل من الالتزام النظري الذي ظل يكرره نصف قرن بأن الصهيونية حركة رجعية شوفينية، واهم من ذلك المبدأ الاساسي في النظرية الشيوعية او الماركسية، وهو رفض قيام امة على اساس الدين او العرق.. وايضا لضمان وصول السلاح من تشيكوسلوفاكيا والمتطوعين من شرق اوروبا . . . واخيرا لتغطية صهيونية قادة الاحزاب الشيوعية في العالم العربي وكلهم من اليهود.

وقد وصلت عملية الانسلاخ ذروتها بالقاء القنبلة على المفوضية الروسية في تل ابيب، واستفزازات غولدا مائير السفيرة في الاتحاد السوفيتي، واثارة قضية اليهود السوفيت.. وقطع العلاقات مع روسيا.

٢ ـ اثبات ان اسرائيل اجدر بالمراهنة عليها لديموقراطية نظامها وليس هذا عن وله الامريكان بالديموقراطية بل لأن النظام الديموقراطي يضمن الاستمرارية والاستقرار ووحدة الجبهة الداخلية والدول لاتحب ان تبنى استراتيجيتها على الحالة الصحية او المزاجية لشخص واحد. وايضا بقوة جيشها وكفاءة مجتمعها.

٣ ـ ولكن ذلك كله لم يكن يقدر له النجاح الا بتوفر عنصر ثالث اكثر اهمية، بل هو شرط نجاح هذا المخطط الا وهو افساد علاقة دول المواجهة ـ على الاقل ـ مع الغرب، بل ودفع هذه الدول الى الارتباط بالاتحاد السوفيتي، وتضخيم هذه العلاقة في الاعلام الامريكي لاثارة جنون المواطن الامريكي الذي مازال الى اليوم ورغم سنوات الوفاق وتحول امريكا الى مزرعة القمح الروسية، مازال يفقد السيطرة على اعصابه كلما لوحوا له براية حمراء!

وهكذا كانت كل خطبة وكل زيارة وكل اشارة عربية في اتجاه السوفيت تقابل بصيحات اللوبي اليهودي.. والامريكيين السذج. بطلب الدعم لاسرائيل، كتيبة الصدام التي تقف وحيدة تدفع من دم ابنائها ثمن حماية العالم الحر وامريكا بالذات من الخطر السوفيتي!!

كان لابد اذا من دفع مصر الى احضان السوفيت، وهو ما سميناه بفرض التحالف مع الطرف الاضعف في المحالفة الدولية، على الخصم المحلي.

والكاتب الماركسي شم رائحة اللعبة، ولكنه كما قلنا لا يطيق مواجهة الحقيقة. لذا نراه يقول: «والذي يتابع اخبار الصحف في هذه الفترة التي امتدت من يوم الغارة على غزة في ٢٨ فبراير (١٩٥٥) حتى شهر سبتمبر (١٩٥٥) يجد ان مانشتات الصحف لم تتوقف خلالها عن الاعلان عن اعتداءات اسرائيلية واشتباكات مع الفدائيين وقوات الجيش المصري، الامر الذي كان يستهدف الضغط على مصر، والذي كان يدفعها في نفس الوقت دفعا الى محاولة الحصول على السلاح دفاعا عن ارضها واستقلالها وحيادها ايضا».

وهذا الذي استطاع حمروش ان يكتشفه، لابد ان نفترض وجود اسرائيليين في مستوى ذكائه عرفوا ايضا ان هذا الاستفزاز والضغط يدفع مصر دفعا لطلب السلاح.. فهل كان

اليهـود يتحـرقـون شوقـا لحصول مصر على السلاح من امريكا ولذا كانوا يدفعون جنودهم لاراقة دمهم في الاشتباكات مع المصريين لدفع عبد الناصر دفعا للحصول على السلاح من الولايات المتحدة او الغرب واقناع امريكا باعتداءاتهم بحاجته للسلاح؟

مد بصـرك الى الامـام قليـلا يارفيق . . وستجـد ان اسـرائيـل كانت ـ فعـلا ـ تضغـط عسكـريـا على عبد الناصر لتأزيم قضية التسليح وجعلها تحتل المرتبة الاولى من اهتماماته، وبما انها تعلم ان الولايات المتحدة لن تلبي طلبه، لأن كل نفوذ اسرائيل سيجند لمنع ذلك، ومن ثم لا يبقى امـامـه من حل الا اللجـوء للاتحـاد السـوفيتي وتخريب جسـوره مع الغرب والولايات المتحدة . . وان هذا الهدف كان حيويا لاسرائيل واشرف بن غوريون نفسه على تنفيـذه بخـروجـه من عزلتـه وعـودته الى وزارة الدفاع وشنه الغارة الأولى على الفور عقب عودته بايام ثم استمر في التحرش لدفع عبد الناصر دفعا في هذا الطريق .

وقـد علق البغـدادي على العدوان الاسرائيلي الكبير الذي وقع على سوريا في منتصف ديسمبر ١٩٥٥ على معسكرات الجيش قرب حدود طبرية وقتل فيه اكثر من خمسين جنديا وذلـك بعـد توقيـع اتفـاقيـة الدفاع المشترك مع سوريا علق بان هذا الاعتداء دفع سوريا في اتجاه الاتحاد السوفيتي «كما سبق واتجهنا» وكان الاحرى به ان يقول «كما سبق ودفعنا»!

وقـد نجـح المخطـط وفتحت ترسانات الغرب لاسرائيل واستمر التطوير في هذا الاتجاه حتى اصبـح المـواطن الامـريكي يعتبر اسرائيل ولاية الحدود الامريكية . . وبلغت هذه السياسة ذروة نجاحها في حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ التي كانت اسرائيل تملي فيها شروطها وطلباتها على امريكا وكأنها تقاتل حربا امريكية واليك شهادة خبير من اهل البيت :

«ولو ان الن دلاس كان سعيدا لأن سوريا قد عادت الينا تطلب السلاح الا انه قال لي ان بريطانيا تعارض الآن اية مبيعات سلاح للشرق الادنى باستثناء العراق عضو حلف بغداد واخـوه ـفـوسـتر دلاس وزير الخارجية ؟ ـ يفكر في الاقتداء ببريطانيا . هذه الانباء ازعجتني وخـاصـة عندما اكد لي ما كنت قد سمعته عن مبيعات سلاح ضخمة من فرنسا لاسرائيل . هذه المبيعـات كان يتغـاضى عنهـا الانجليـز والامـريكان . اما فرنسا فاعلنت انها لن تنضم لحلف بغداد، مكتفية بارسال هذه الاسلحة لاسرائيل لتقوى ولو بشكل غير مباشر القدرات الـدفـاعيـة للغـرب في المنطقـة . وتجـاهل دلاس سؤالي وهو: كيف تستطيع اسرائيل وهي محاصـرة بمحيـط من العداء العربي، وتشكو دائما من انعدام الأمن على حدودها وانه يهدد وجـودهـا كيف ستتمكن من المسـاهمة في الدفاع عن المنطقة ضد الهجوم السوفيتي؟! تجاهل الن دلاس سؤالي هذا، وفضـل التحـدث عن مصـر، فشـرح لي ان المخـابرات CIA على يقـين تام الآن ان ناصـر عنـده وعـد قاطع من الروس بتزويده باسلحة ثقيلة مقابل محصول القطن المصري . وان الرئيس المصري الآن يقول انه ظل يتفاوض على سلاح امريكي لمدة

عام فلم ينل الا المماطلة والتأجيل. وعبر دلاس عن تعاطفه مع موقف ناصر، بان شرح لي كيف ان سياسة اسرائيل ازاء مصر هي منع اي اتفاق سلاح امريكي - مصري . فهي - قالها - كسربيننا حاولت ان تنسف مكاتب امريكية في القاهرة على ان تنسب ذلك لارهابيين مصريين . . ولكن ثبت ان «الموساد» هي التي نفذت هذه العملية (عملية لافون ج) واكثر من هذا قال دالاس ان عمليات الردع الاسرائيلية ضد هجمات الفدائيين المصريين الذين يعملون من غزة وسيناء قد تصاعدت فوق اي مبرر. فالهجوم الاسرائيلي الاخير على موقع عسكري مصري في غزة خلف ٥٤ قتيلا مصريا وخمسين جريحا . وادى الى ادانه جماعية من مجلس الأمن لاسرائيل، كما ادى الى تجميد مؤقت للمساعدات الاقتصادية الامريكية التي كنا قد وعدنا بها اسرائيل كما اثار نداءات من الامم المتحدة بوقف اطلاق النار بعد ان ارسلت اسرائيل قواتها مرة اخرى للمنطقة. وقد ابلغ الرئيس ناصر الولايات المتحدة انه لن يستطيع مقاومة ضغط الرأى العام المطالب بالرد، بل قد لا يستطيع الاحتفاظ بمنصبه ، الا اذا وافقت امريكا على بيع السلاح الذي طلبته مصر منذ فترة طويلة ، ثم سألني دلاس عن رأي في ردة فعل سوريا ازاء صفقة السلاح المصرية ـ السوفيتية فقلت ان كل من السفير (الامريكي ج) مورس وانا على ثقة بان سوريا هي الاخرى ستتجه الى الروس وسألت دلاس عن مصير الطلب المصري للسلاح. فقال لي ـ مرة اخرى لمعلوماتي الخاصة ـ ان المخابرات CIA قد نظمت اتصالا على اعلى مستوى في حكومتنا مع الممثل الشخصي لعبد الناصر الصاغ حسن التهامي وفي الوقت الذي نتحدث فيه فان «كيم روزفلت» يرافق تهامي في واشنطن لزيارة عدد من المسؤولين في وزارتي الخارجية والدفاع. باختصار. . . قال «الن دالاس» انه يأمل في جهود روزفلت وان تقديرات المخابرات CIA حول نتائج صفقة السلاح السوفييتية ـ المصرية ستكون مؤثرة .

ومن الواضح انني لم اكن في موضع يمكنني من التعبير عن مشاعري الحقيقية في الموضوع ، الا انه خطر لي في هذه اللحظة ان الاخوين دلاس يؤثران سلبيا على السياسة الامريكية فلو ان رجلا آخر كان يرأس المخابرات الامريكية ، ولديه الشجاعة للمخاطرة بسمعته ووظيفته فانه كان سيمارس مسؤولياته الدستورية بتحذير الرئيس بان سياسة وزارة الخارجية تفتح الباب للروس لكي يشكلوا قوة مؤثرة في مستقبل الشرق الاوسط. ولكن اخلاص الن دلاس لاخيه فوستر دلاس، وقف في طريق قيامه بواجبه وقال كوبلاند ان الجناح الاسرائيلي عارض اي علاقة (امريكية) مع ناصر ، وان السفير الامريكي بايزود ابلغ المسئولين في اغسطس ١٩٥٥ بوجود عرض سوفيتي لتزويد مصر بالسلاح وان ناصر يمكن ان يقبل» .

ماذا نفهم من هذه الأقوال :

١ـ نفهم ان المفاوضات المصرية ـ الامريكية للسلاح كانت تسير في طريق مسدود، في البداية كانت بريطانيا تعارض بيع السلاح لمصر اثناء المفاوضات ثم تركزت المعارضة في اللوبي الاسرائيلي في الولايات المتحدة.

٢ـ كانت المخابرات الامريكية ومن ثم القيادة الامريكية على علم تام بصفقة السلاح ومن ثم لا مجال للحديث عن مفاجأة وضربة وصاعقة . . فقد احيطوا علما بها من جمال عبد الناصر نفسه كما احيطوا علما بأنه سيضطر لقبولها اذا لم يسعفوه بالسلاح. وخاصة بعد اعتداءات اسرائيل التي كشفت ضعف الجيش المصري واثارت ثائرة المصريين والفلسطينيين واستغلها خصومه العرب . . فاصبح استمراره في السلطة مهددا مع كل ما يترتب على ذلك من انهيار لخطط هذه الاجهزة، وللسياسة الامريكية التي تعتمد على وجوده.

٣ـ لم يكن «آلن دلاس» متواطئا مع فوستر دالاس كما ظن الساذج ايفيلاند، بل كان آلن دلاس على وعي تام كما اخبر الرجل بمخطط اسرائيل في افساد التحالف الامريكي ـ الناصري ومنع السلاح عن مصر وايفيلاند لادليل عنده على ان آلن دلاس لم يخبر الرئيس ايزنهاور بذلك ولكن لا ايزنهاور ولا دلاس الوزير ولا دلاس المدير كان بوسعهم حل المشكل، خاصة بعد الهجمات الاسرائيلية التي جعلت اعطاء اي سلاح لمصر يعني دعما مباشراً للمجهود الحربي ضد اسرائيل في ظروف قتال. . ولذلك فشلت تقارير المخابرات CIA وجولة كيرميت بالتهامي على مكاتب المسئولين، فقد نجح اللوبي الصهيوني في سد الطريق الاميركي . . . ولم يبق امام عبد الناصر سوى ممر واحد مفتوح وهو الطريق الى سيبيريا . . فما هو الحل؟

ليتخيل القارىء وضع آلن دالاس ويفكر ما هو الحل الذي يمكن ان يصل اليه في هذه المشكلة:

١ـ المخابرات الاميركية تدير اكبر عملية في تاريخها في مصر من خلال سلطة عبد الناصر.

٢ـ هذه السلطة مهددة بالسقوط اذا لم يحصل عبد الناصر على اسلحة لتهدئة جيشه والرأي العام لا للقتال مع اسرائيل.

٣ـ لا سبيل لحصول ناصر على السلاح من اية دولة غربية.

٤ ـ صفقة السلاح الروسي ستنقذ سلطة ناصر، وتدعم شعبيته وتزيل التوتر الناجم عن الاعتداءات الاسرائيلية لفترة قد تتمكن فيها المخابرات الامريكية من معالجة الموقف او كسب الوقت في انتظار حل آخر.

ماذا يختار الن دالاس؟

سقوط عبد الناصر ام قبول الصفقة ومحاولة الاستفادة القصوى منها؟!

ولماذا نخمن ؟ اليك ما جاء في الوثائق قال كوبلاند :

«في منتصف سبتمبر تسلم «كيرميت روزفلت» (نائب مدير المخابرات الامريكية والمسؤول عن الشرق الاوسط ومدبر انقلاب ٢٣ يوليوج) رسالة شخصية من ناصر بانه سيوقع اتفاقية مع الروس للسلاح ، وانه اذا كان روزفلت يريد اقناعه بالتخلي عن ذلك فاهلا وسهلا به في القاهرة. وفي اليوم التالي سافرت وكيرميت الى القاهرة. وقابلنا في المطار معاونو عبد الناصر واخذونا رأسا الى شقة عبد الناصر في اعلى مبنى مجلس الثورة وكان عبد الناصر في جو «الم اقل لكم» . . وشديد المرح مستعدا لسماع حجج روزفلت ضد الصفقة ، ولكن روزفلت فاجأه ، فبدلا من القول بان عبد الناصر يجب الا يقبل الاسلحة قال روزفلت : اذا كانت الصفقة كبيرة كما سمعنا فسوف يزعج ذلك البعض ولكنها ستجعلك بطلا كبيرا فلماذا لا تستفيد من هذه الشعبية المفاجئة للقيام بتصرف حكيم؟ فلن ينتقص من شعبيتك ان تصدر تصريحا تقول فيه : «اننا نحصل على هذه الاسلحة لغرض دفاعي فقط ، واذا كان الاسرائيليون يريدون الاشتراك في جهد مشترك لتحقيق سلام دائم في المنطقة فسيجدون مني الترحيب بذلك . . ووافق عبد الناصر على الفور، وقال انها فكرة جيدة . . «وناقشنا الاقتراح الى منتصف الليل واتفقنا على ان يعلن عبد الناصر الصفقة في بيان رزين نبيل يستثير الهتاف ليس فقط من المتطرفين بل من العناصر المحافظة ، وبعدها يبدأ مبادرة بموقف حيادي من القضايا الدولية ، وستكون مقبولة من الجميع ، بينما يمضي في حل مشاكله الداخلية الملحة بالمعونة الامريكية. واتفق على ان اكتب انا (مايلز كوبلند ج) الفقرة المطلوبة في خطاب عبد الناصر (عن اسرائيل ج) على ان ينقحها عبد الناصر و روزفلت في اليوم التالي .

وتدفق علينا في الفندق الناصحون بماذا يجب وماذا لا يجب أن نضع في خطاب عبد الناصر من امثال مصطفى امين ، ومحمد حسنين هيكل وحسن التهامي «الوطني المتطرف» وكبير مساعدي عبد الناصر وجيمس اكلبرغر واحمد حسين السفير المصري في واشنطن . . وكلهم كانوا يعرفون ان صفقة سلاح عقدت مع الروس» .

«وقرأت انا وكيم مسودة الفقرة المقترحة لعبد الناصر في الساعة الثامنة مساء اليوم التالي مرة اخرى في شقة عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة ، المواجه للسفارة البريطانية واعجبت المسودة ناصر . وقال انه يمكن ان يضمنها خطابه بسهولة ، الا ان اعتراضه الوحيد ، انه لا يستطيع ان يقول عبارة «سلام مع اسرائيل» ولذا يقترح بدلا منها «تخفيف حدة التوتر بين الغرب واسرائيل» وقبل روزفلت ذلك واحضر ناصر زجاجة ويسكي يحتفظ بها لكبار الزوار وفي هذه اللحظة دق التليفون وقال الضابط المناوب في اسفل المبنى ، ان السفير البريطاني سير همفري تريفليان يطلب مقابلة عاجلة .

سألنا جمال : ماذا يريد؟

اجبناه : سيحدثك في الصفقة!

سأل : كيف عرف فالمفروض انها سرا

ورد عليه روزفلت: جمال؟! حتى اذا افترضنا ان الخبر لم يتسرب من جماعتك فان الروس سيسربونه فليس من مصلحتهم ان يبقى سرا[٧٦]

«سأل ناصر ماذا اقول له . . قال رزوفلت . . حاول تهدئته الى مساء الغد، موعد الاعلان عن الصفقة قل له ان الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا باعتبار ان تشيكوسلوفاكيا هي المصدر الرئيسي للسلاح لاسرائيل ايضا».

ثم قصة مسلية لمن شاء الرجوع اليها حول تلذذ رجال المخابرات الامريكيين بغفلة السفير البريطاني وجهله انهم في الداخل يسكرون!

وجاء زكريا وعامر واخذوهم للعشاء في منزل السفير احمد حسين حيث كان بايرود مدعوا وفوجيء برئيس الدولة يدخل محاطا بروزفلت وكوبلاند . . الى آخر القصة المعروفة عن انفجار بايرود وانسحاب ناصر من العشاء. انظر لعبة الامم ص ١٦٠ الى ١٦١.

ولكن الامور لم تسر وفقا لخطة المخابرات الامريكية ولاشك ان الاستراتيجية الاسرائيلية كانت تتطلب ان يصاحب عقد الصفقة حمى معادية للولايات المتحدة والغرب ، والمزيد من ادلة شيوعية مصر.

وتدخل القدر (؟!) او اخطاء الدبلوماسية الامريكية كما يقول كوبلاند، او اللوبي الصهيوني لافساد مخطط المخابرات وتسميم الجو. واليك اولا رواية «مايلز كوبلاند» عما عرف بعد ذلك بقصة «الانذار» الامريكي والذي مازال الافاقون يتشدقون بها الى اليوم.

بعد الازمة التي حدثت على العشاء بين السفير الامريكي والرئيس ناصر حول حادثة ضرب الاهالي الملحق العمالي الامريكي ابرق روزفلت وايرك» الى واشنطن يطلبون سحب بايرود لأنه فقد توازنه العقلي . عندها قرر دلاس ان يرسل الى القاهرة «جورج الن» نائب وزير الخارجية للتحقق من سلامة قوى بايرود العقلية وفي نفس الوقت اعد الوكيل المساعد وليم راونتري مسودة خطاب شديد اللهجة stern من دلاس الى ناصر يشير فيه الى مخاطر قبول السلاح الروسي. وسرب «بعضهم» للصحف انباء عن الموضوع كانت كافية لتنشرها هذه الصحف تحت عنوان «الن يتجه إلى القاهرة لتقديم انذار لعبد الناصر» وانتقلت القصة الى تيكر الاسوشيتدبرس في القاهرة الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة، الحادية عشر صباحا بتوقيت وشنطن. وفي الساعة السادسة والنصف عندما ذهبنا لمقابلة عبد الناصر كان محاطا بمعاونيه، وكان يأمر احدهم بحذف «هذه الفقرة السخيفة» ويضع مكانها شيئا مضادا للامريكان، ويأمر بالاتصال بوزارة الخارجية ويبحث معهم اجراءات قطع

العلاقات مع دولة كبرى. ويأمر ثالث بحجز اذاعة القاهرة لاذاعة بيان هام على الشعب ، ورابع بطلب سيارة متواضعة واصطحابي وروزفلت الى المطار. . «ويجب ان نسجل شكرنا لمصطفى امين الذي اعاد جو الهدوء واقنع عبد الناصر بأنه لن يخسر شيئا اذا قابل «كيم روزفلت» فقط لسماع ما لديه قبل اتخاذ كل هذه الاجراءات. ووافق عبد الناصر على ان يصعد الى اعلى حيث كان روزفلت في انتظاره غير عالم بها اذاعته الاسوشيتدبرس لأن وزارة الخارجية لم تهتم بابلاغ السفارة في مصر بقدوم آلن سواء بانذار اوبدون انذار. . وبعد شهور قال عبد الناصر في خطبه ان اميركيا، جاء يحذره من انذار امريكي. . وهذا محض افتراء من ناصر ونفاق عربي ، فكل ما قاله روزفلت هو: لماذا لا تتسلم الانذار اولا. . ثم تصرخ. . ربما غلطت الاسوشيتدبرس. . ولكن عبد الناصر اصر على ان الاسوشيتدبرس لا يمكن ان تخطىء وكل ما كان بوسع روزفلت ان يقوله هو: «لو سلمك انذارا فتصرف كما ترى ، ولكني لا اظن ان دلاس سيرسل انذارا من غير ان يخبرني عنه. وهدأ عبد الناصر ووافق على تأجيل كل الاجراءات الى ان يتسلم الانذار، ولكنه حذف الفقرة اياها من خطابه. وعندما قابلته وكيم بعد الخطاب بدقائق التفت الينا قائلا: «الخطاب لم يكن تماما كما اردتما ولكن مازال في الوقت متسع ، وفي صباح اليوم التالي وصل آلن، وكان في استقباله حشد من المتظاهرين يهتفون ضد امريكا. . وتلك هي الصورة النموذجية للناصرية التي يحبها العرب. . وقبل ان يقترب منه اي مراسل لسؤاله اي سؤال كان حسن التهامي قد اخترق كوردون مشاة الاسطول (مارينز) الامريكان، لتسليمه رسالة من روزفلت وجونسون: «انكر الانذار. . او على الاقل لا تشير اليه حتى نتناقش».

اما حكاية الانذار الحقيقية فيعرضها كالآتي :

«قال وزير الخارجية عرضا: «الن . . مادمت ستذهب لمصر، فانتهز الفرصة وقل لناصر رأينا في صفقة السلاح التي عقدها، وأنت يابيل . . اكتب شيئا ما» . . وبما ان امر الوزير واجب التنفيذ، فان «الن» رغم اتفاقه مع روزفلت في الليلة السابقة على تبريد العملية، الا انه كان مضطرا لتسليم الرسالة، ولكنه عندما ذهب لمقابلة عبد الناصر اكتفى بقراءة بعض فقرات منها محاولا جعلها هادئة ثم انصرف لمناقشة اشياء اكثر سرورا وهو ماذا ستفعل مصر بالاربعين مليون دولار التي سنقدمها لها، وفي النهاية لم يكن هناك انذار وانما ساهمنا في رفع شعبية ناصر في العالم العربي».

وقال ايفلاند انه سأل «آلن عن الانذار فقال له انه لم يحمل اية تهديدات».

اما رواية «هيكل» فهي تحكي عن انذار خطير، كان في طريقه الى مصر وعن محاولات كيرميت روزفلت منع عقد الصفقة ولكن عبد الناصر هدد باتخاذ اجراء عنيف ضد المبعوث الاميركي حامل الانذار المزعوم مما جعل امريكا تسحب الانذار وتعود ذيلها بين رجليها ولا

يمكن استنتاج انذار من تصريح آلن في المطار عن حق مصر المشروع في شراء السلاح كما سنرى.

وفي اعتقادي ان حكاية «الانذار» اذا رفضنا التفسير البسيط فانها لا تخرج عن احد هذين الاحتمالين او هما معا.

١ـ اما ان رؤساء «روزفلت» في امريكا ارادوا المزيد من احتلاب الفكرة الجهنمية بتسخير الصفقة لخلق شعبية واسعة لعبد الناصر تمكنه من المضي خطوات لا يجرؤ عليها حاكم عربي منذ مصرع الملك عبد الله وحسني الزعيم . . ولا شيء يزيد الشعبية ـ حتى اليوم ـ من الحديث عن هلع امريكا وانهيار بريطانيا واغماء اسرائيل وانذار امريكي بضرورة الغاء الصفقة وتمزيق عبد الناصر الانذار او تحطيمه في الجو بانذار مضاد ، والمضي قدما في طريق المجد بعقد الصفقة واثبات ان «ارض العروبة نار» وهو ما حدث تماما.

٢ـ واما ان انصار اسرائيل في سراديب الحكومة الامريكية خشوا فعلا نجاح مخطط روزفلت والمجموعة الناصرية في المخابرات الامريكية في استصدار هذا التصريح السلامي من عبد الناصر الذي كان سيحقق المزيد من دعم العلاقات المصرية — الامريكية ومحاصرة نوايا اسرائيل الحربية ، ولذلك سربوا اشاعة «الانذار» للصحافة لاستفزاز عبد الناصر الى مواقف تؤدي الى توتر العلاقات مع امريكا والغاء اللهجة السلامية ، والمزيد من الاندفاع للسوفيت. وهذا ما كانت اسرائيل تحاوله باعتداءاتها خلال عامي ١٩٥٤ و١٩٥٥ حتى تحقق بصفقة السلاح ، ولم يكن من المعقول ان تترك جهودها تنهار باعلان ناصر خطوة سلامية مع تسلمه سلاح القتال! فهذا يقلب كل خططها اذ يصبح عبد الناصر رجل سلام ويتسلح من روسيا وعلى علاقة طيبة مع امريكا ، وهي الصورة التي كان الاحباء في المخابرات يحاولون رسمها بجهد خارق الذكاء . . ولاحباط خطتهم سرب عملاء اسرائيل اشاعة الانذار . . وقد حدث ما توقعوا .

المهم ان رواية هيكل مناقضة لرواية مايلز كوبلاند الذي اكد ان عبد الناصر شخصيا هو الذي كان يبحث «الازمة» مع كيرمنت روزفلت وان الجو كان وديا للغاية ، وموضوع الحديث الرئيسي كان السخرية من غفلة الانجليز. ومحاولة الاستفادة القصوى من الشعبية التي سببتها الصفقة لعبد الناصر في مصر والوطن العربي من اجل خطوات بناءة نحو السلام والاستقرار في المنطقة .

اما رواية عبد اللطيف بغدادي عن الحوار بين كيرمنت وعبد الناصر فمثيرة للغاية وكانت ولاتزال تستوجب ان يعكف على تفسيرها وتحليلها كل من يعنيه الأمر.

قال كيرمنت لجمال عبد الناصر ان مستر آلان موفد برسالة من دالاس نفسه ، وانه يعتقد ان دلاس (وزير الخارجية ج) هو الذي املاها شخصيا كما يعتقد ان الانجليز هم الذين

اشاروا عليه بهذا لأنها عنيفة جدا وانه يجب عليك (يقصد جمال) ان تحزن ولكن لا تغضبني be sorry but not be angry وان تمسك اعصابك حتى يمكننا ان نحل هذا المشكل فيما بعد كما ذكر له انه لو كان هناك في الولايات المتحدة وقت كتابة هذه الرسالة لمنع ارسالها بهذه الصورة، ومما قاله كيرمنت لجمال ايضا: «انك ستجرح في كبرياءك ولست اقصد كبرياءك الشخصية، بل كبرياء بلدك «Not your Pride but the pride of your country»

ورأى حتى تمر هذه الأزمة دون اتخاذ أية اجراءات action من جانبنا، أن تكون صبوراً وأن تطلب منه أن يعطيك فرصته للدراسة، وأن تكون كأب حليم وهو كابن أو ان تقبل ما في الرسالة»[٧٧]

هل يمكن ان يكون هذا الحوار بين مسئول امريكي ورئيس دولة؟! هل هذا الذي يتكلم كأنــه الاخ الكبـير او God Father على طريقــة بغــدادي في استخــدام التعــابــير الانجليزية.. يمكن ان يكون مجرد موظف امريكي يبلغ انذارا الى زعيم ثورة؟! هل يمكن ان يتحدث مندوب المخابرات الامريكية هكذا مع كاسترو او هوشي منه او حتى علي ماهر؟!

ستهـان في كرامـة وطنـك، لكن اياك والغضب مسموح لك بالحزن فقط؟! هذه مؤامرة بريطـانيـة غرروا فيهـا بوزيـر خارجيتنـا لنسف علاقتنا. امسك اعصابك، وعامل «الأبله» القادم من وزارة خارجيتنا كابنك حتى ينصرف راضيا، واترك الباقي علي انا؟!

هذه تعليمات او نصائح موجهة ضد جزء من الادارة الامريكية برغبة احتوائها لا الصدام معها، وايضا افساد او افشال كل ما تحاوله بهذه الرسالة التي أرسلت بها مبعوثا خاصا وباملاء من وزير الخارجية نفسه.. ولكن ها هو اكبر مسئول في المخابرات الامريكية بالمنطقة ينظم لعبد الناصر اسلوب افشالها؟! ويهون عليه نتائجها، ويؤكد انها لن تغير شيئا في علاقتهما.

علاقة عجيبة وحوار اعجب، لا يمكن فهمه الا على ضوء المعامل الذي اشرنا اليه وهو وجـود علاقـة خاصـة بين قيادة ٢٣ يوليو والمخابرات الامريكية، قبل «الثورة» وبعدها، وان هذا الجـانـب «المحـترف» من الادارة الامـريكية كان اكثر علماء واكثر تأثيرا في الاستراتيجية والقـرارات الامـريكية.. وهو الجناح الذي كان يصفي عن وعي البريطانيين في المنطقة.. وان الانجليز لم يخطر ببالهم ان اللعب الامريكي يمكن ان يصل الى حد فتح اسواق الشرق الاوسـط للسـلاح الـروسي، وهذا بدوره يلقي الضوء على ماسنراه خلال معركة القناة من بعض المواقف المتناقضة من جانب دلاس وزير الخارجية الامريكي، وحيرة سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا في تفسيرها.. وايضا على غلطة العمر التي ارتكبتها بريطانيا، عندما ظنت ان تنـاقضهـا مع المصـالـح الامـريكية، لا يمكن ان يصل الى حد تآمر امريكا ولو في صمت مع روسيا ضدها..

على اية حال يبدو ان كيرمنت قد نجح نجاحا باهرا في تطويق الازمة الجاهلة التي سببها دلاس تحت تأثير الانجليز. . فالدرس الذي اعطاه للمسئولين المصريين عن «اداب السلوك في معاملة رسل الملوك» اتى اثره في ضبط مشاعرهم من ناحية والموافقة على استقبال المبعوث بحنان ممزوج بالحزن المهذب، وايضا بعث مدير المخابرات هذا بورقة، الى المستر الان هذا فيها على ما يبدو «الاسم الاعظم»! واذا بهذا الـ «الن» يفاجىء الجميع بتصريح يفوق ما كان يتمناه الرئيس المصري اذ قال: «ان مصر دولة ذات سيادة، ولها مطلق الحرية في شراء السلاح من اية جهة تشاء» فهل هذا حامل انذار؟!

وعتب المستر «الان» على عبارة وردت في اذاعة صوت العرب، تقول ان امريكا تنبح كالكلب، فجرى تحقيق على الفور وتبين انها ترجمة سيئة لعبارة «ترغي وتزبد» وضحك الجميع. . وصافي يا آلن!

فكل ما قيل عن كارثة نزلت بالغرب من صفقة السلاح وطعنة قاتلة للامريكان. . ومطالبة برأس ٢٣ يوليو بسبب صفقة السلاح مجرد كلام في كلام لتضليل الانام الذين هم في غفلتهم نيام!

والان نعيد النظر في صفقة السلاح على ضوء هذه المعلومات التي طرحناها، وسنجد انه لا هستيريا ولا مفاجأة بل خطوة محسوبة جاءت في توقيتها وفي ظروفها العالمية والاقليمية، وارادها ووافق عليها كل الفرقاء:

فريق المخابرات الامريكية الذي ايد الصفقة رأى فيها حلا يرضي جميع الاطراف ولو مؤقتا، فهو يعفي امريكا من الحاح عبد الناصر في طلب السلاح، مع تعذر تلبيته بسبب الضغط اليهودي الذي اشرنا اليه، والذي نجح في الغاء موافقة البيت الابيض والخارجية والدفاع، وكلها كانت موافقة على تسليح مصر. . كما كانت الصفقة تسعد النظام المصري وتخفف من توتر احتياجه للسلاح، وخاصة بين صفوف العسكريين الذين كانوا يتعرضون للمهانة والخسائر على يد الجيش الاسرائيلي. . وهو وضع لا تحمد عقباه في جيش ذاق طعم الانقلابات. .

تسهل على الادارة الامريكية التوسع في امداد اسرائيل بالمعونات بحجة التوازن مع الوجود السوفيتي، وتضعف حجة الدول العربية الصديقة للغرب في الاحتجاج على الدعم الاسرائيلي. . وهذا بدوره يؤدي الى ترضية اللوبي اليهودي. . وقد تحقق ذلك فعلا حتى اصبح الشعار في حرب ١٩٧٣ «لا يجوز ان يهزم السلاح السوفيتي، السلاح الامريكي وهبطت طائرة عملاقة تحمل الدبابات والطائرات في مطار اللد كل ربع ساعة» وفي الشرق الاوسط، فان حديث صفقة السلاح والانتشاء بنصر «التعاقد» لشراء السلاح، ينقذ القيادة من حرج «الصقور» في معارك استخدام السلاح، ويجعلها تتفادى مطالب الجماهير

«باستخدام» السلاح ضد اسرائيل. واذا كان سلوين لويد قد علق ساخرا: «لحسن حظ اسرائيل، كان العرب مقتنعين ان امتلاك السلاح يغني عن اتقان استخدامه» فانني اصحح العبارة الى «امكن اقناعهم ان امتلاك السلاح يعفيهم من استخدامه»!

وهو ما حدث.. فاختفت كل النتائج الايجابية التي كانت ممكنة للاعتداءات الاسرائيلة ابتداء من العدوان على غزه (فبراير ١٩٥٥) الى اكتوبر ١٩٥٦.. ضاعت في افراح صفقة السلاح!.. والهت الجماهير عن المطالبة والقيادات المخلصة عن التفكير في استراتيجية مواجهة حقيقية مع اسرائيل تعتمد على بناء القوة الذاتية للعرب فظنت ان شراء السلاح والمزيد من السلاح هو الحل، حتى اصبح مجرد شراء السلاح ومن أية جهة، هو كل برنامج المواجهة، ودون أي تفكير في استخدامه؛ ولا في استراتيجية هذا الاستخدام، حتى رأينا منظمة التحرير الفلسطينية تشتري دبابات. ولم يحدث «تحطيم» احتكار السلاح «او الاندفاع في شرائه اي تغيير في ميزان المواجهة العسكرية بين العرب واسرائيل من ١٩٥٥ الى ١٩٧٣ الا الى الاسوأ ولصالح اسرائيل، وبمعدلات تتضاعف مع تضاعف حجم المشتريات.

فتحت الصفقة السوق المصري للسلاح الروسي ومن خلفه السوري واليمني.. الخ وهذه حلت مشكلة تصريف السلاح القديم في روسيا. وكان من المتعذر قيام الوفاق، بدون حل مشكلة تجدد الترسانة السوفياتية، وتجربة سلاحها والتخلص من المتخلف منه، وهذا لا يتم الا باحدى وسيلتين: اما فتح جبهات قتال حقيقي بين الروس والامريكان. او تصديره لطرف ثالث يدفع ثمنه مما يخفف على المواطن السوفيتي ماليا واقتصاديا، ويتيح تجربة السلاح بدماء المتخلفين ومن ثم يستمر التطوير الذي يريده الجنرالات الروس ولا يكلف ذلك الامريكان مالا ولا دما.. ان الوفاق لا يطلب لذاته.. وقد كانت صفقة السلاح من بداية الوفاق الامريكي ـ السوفيتي، بداية التعايش، بداية اعادة تقسيم العالم بين روسيا وامريكا على حساب بريطانيا وفرنسا، وسيأتي المؤتمر العشرون ثم العدوان الثلاثي على مصر، حيث تقف روسيا وامريكا معا في الأمم المتحدة وكأنهما توأمان.. في التصويت وفي الانذارات بينما كان السلاح الروسي يتم تحطيمه في سيناء، والسفن الروسية تنقل قطن الفلاح المصري لتبيعه في اسواق اوروبا بدلا من «المستغل الاستعماري» البريطاني، فيزداد دخل المواطن الروسي من الثمن الذي تتقاضاه الدول العظمى او المتقدمة من دم ومال المتخلفين والا فما فائدة القوة السوفيتية الجبارة ان لم تأخذ حصة في ثروة العالم الثالث.. وكيف تستمر بريطانيا وفرنسا بل وبلجيكا في نهب شعوب اسيا وافريقيا، وهي بلا قدرة عسكرية بل ترتعد رعبا من صواريخ روسيا.. هذه اذن قسمة ضيزي، لا بد ان تلغى او ان تعدل، ولم يكن للاتحاد السوفياتي من مدخل لاسواق واموال اسيا وافريقيا الا

السلاح، وكانت البداية في مصر. وهذه الصورة التي لم تكن واضحة في هذا الوقت، بل وبدت غريبة وشاذة، سنجدها عادية بل وبشكل اكثر افتضاحا مع تطور الايام فالشركات الامريكية تعطي ليبيا الدولارات من انتاج النفط، وليبيا تعطيها لروسيا ثمنا للسلاح المحظور استخدامه في اية بقعة تهدد المصالح الامريكية الحقيقية، وروسيا بدورها تعيد الدولارات الى امريكا ثمنا للقمح.. وملخص الدورة: ان امريكا تأخذ نفط ليبيا بالقمح الفائض الذي اذا لم تبعه فستحرقه، وروسيا تحصل على القمح الامريكي بالاسلحة التي اذا لم تتمكن من بيعها، فستلقى في العراء بمجرد اكتشاف الغرب سلاحا اكثر تطورا.. وبشيء من التبسيط يمكن القول ان روسيا تحصل على القمح شبه مجاني، وامريكا تأخذ النفط بثمن بخس وكل هذا بدأ بفكرة عبقرية نبتت في مكان ما خارج مصر حيث قال احدهم: اتركوه يشتري السلاح من روسيا..

كذلك قدر هؤلاء الخبراء ان صفقة السلاح ستعطي عبد الناصر شعبية في العالم العربي تمكنه من تحقيق حلم امريكا وهو فرض التسوية السلمية في المنطقة.

واخيرا ان فتح منفذ لمصر لشراء السلاح من الاتحاد السوفيتي سد احتمالا خطيرا كان لا بد ان يطرح في حالة سد جميع الابواب، وهو احتمال الاعتماد على النفس، وهو الحل الجذري بل الوحيد لتحقيق التحرر الحقيقي، وحسم المسألة الصهيونية نهائيا لصالح العرب.

والاستعمار يفضل دائما ان تقع الدولة الصغرى في دائرة نفوذ منافسه على ان تستقل بارادتها الاستقلال الحقيقي وما يحمله هذا من مخاطر على استقرار النظام العالمي، واحتمال ظهور منافس ثالث..

وهنا نقول رأينا في الموقف المفترض للقيادة الوطنية، عندما اتضح من غارات اسرائيل انها مصممة وقادرة على ضرب الجيش المصري.. ومن ثم تنبهت الى ان هذا هو الصراع المصيري الذي سيقرر مستقبل المنطقة..

كان المفروض ان تركز على هذا التناقض، وبالتالي على بناء قوة مصر الذاتية للارتفاع بمستوى القدرة في المواجهة وصولا الى ترجيح الارادة المصرية.

وهذا يتطلب وحدة الجبهة الوطنية، لأن الصراع ضد اسرائيل يجب اي هدف اخر، وهذا يستلزم اطلاق الحريات وتشكيل جبهة وطنية من جميع القوى تحت استراتيجية واحدة هي المواجهة المصرية - الاسرائيلية.

وضع استراتيجية عربية قومية تفرض التعاون الحقيقي مع كل القوى العربية تحت شعار واحد لا يتبدل، وهو المواجهة العربية - الاسرائيلية، يحدد على ضوئه الموقف من كل القوى، ومن ثم لا يبقى لأية قوة حجة في ادعاء انها تعارض الاستراتيجية المصرية لاسباب

اخرى او لأنها لا تعمل ضد اسرائيل . .

ونفس الشيء بالنسبة للقوى العالمية ، بحيث يتحدد موقفنا منها على ضوء علاقتها بهذه المواجهة اساسا ان لم نقل فقط . . لا ان نهاجم جولد ووتر لأنه ضد اليهود! ! ! ونحتفل بسارتر لانه فيلسوف ويساري وسار على رأس مظاهرة في مايو ١٩٦٧ تهتف : «اقتلوا المسلمين» الموت لعبد الناصر»! . . وجمع اربعة مليار فرنك للمجهود الحربي الاسرائيلي! . .

أن تؤمن حقا بأنه «لا صوت يعلو على صوت المعركة» شرط أن نعني المعركة مع اسرائيل لا مع جمال سالم أو فؤاد سراج الدين او المحاكم الشرعية أو أهالي كمشيش . . الخ . .

ـ وضع استراتيجية لتحقيق الكسر الحقيقي لاحتكار السلاح بانتاجه . واظن أنه لا أحد يجادل الآن ، في انه لا كسر حقيقي لاحتكار السلاح ولا تحرير لارادة أمة الا بانتاجها للسلاح ، وهو مطلب يثير الرعب في الدوائر الاستعمارية والصهيونية وعملائهم ، واذكر انني عندما طرحت هذا المطلب عام ١٩٧٠ قال عميل بمجلة حوار التي كانت تصدر مباشرة من خزينة المخابرات الامريكية ان مطلبي هذا «نكتة ثقيلة الدم»! . .

وهذا صحيح! ثقيلة على قلب الامبريالية ، وعملاءها ، ولكنها ضرورة اساسية ، لا مفر منها اذا ما اردنا ان نمتلك حرية الارادة في بلادنا وفي المنطقة ، فالخروج من دائرة السلاح الغربي الى السلاح السوفيتي لا يعني كسر احتكار السلاح بل الانتقال من تبعية الى تبعية ، بل قلنا مرة ان الاحتكار السوفيتي أكثر احكاما واكثر قسوة ، بسبب سيطرة الدولة ، ووحدة المصدر ، بينما المعسكر الغربي بتعدده ، وتناقضاته وثغراته وفساده . . قد يعطي مجالا للمناورة ولو محدودة . . وقد رأينا كيف تحطم قلب عبد الناصر وهو يسافر ذهابا وايابا الى روسيا لاقناعهم ببيع السلاح له خلال حرب الاستنزاف ، وكيف اضطر هواري بومدين لحمل المال معه للدفع نقدا لكي يشتري لمصر من روسيا دبابات في حرب ١٩٧٣ . . !

كسر الاحتكار الحقيقي هو انتاج السلاح . . اما ان هذا الهدف ممكن فلن نقول انظروا اسرائيل والصين بل والبرازيل . . بل انظروا تجربة هيئة التصنيع الحربي العربية ، وما انتجته من اسلحة استخدمت في حرب ايران والعراق وما يقال عن امكانية انتاجها لدبابات وطائرات (بعد الصلح مع اسرائيل كما توقعنا وتلك قصة اخرى) .

كل هذا يجعلنا نقول لو أن الحكومة المصرية في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ اتخذت قرار انتاج السلاح ، ووضعت خطة تلاحم عربي ، لانتاج هذا السلاح بالخبرة والطاقة البشرية المصرية والمال والتضامن العربي لتغير التاريخ . . ولكانت الصفقة الروسية مجرد حل مؤقت ومفيد في هذا الاطار . . ولكننا استخدمنا الصفقة لتخدير انفسنا وشعوبنا . .

منذ ان تمت الصفقة دخلت اسرائيل في تحالفات عالمية كفلت لها الدعم الكامل في مواجهتها مع العرب. اذ استطاعت محالفة فرنسا وبالتالي بريطانيا، فلما انتقلت للمواجهة الساخنة كانت تتمتع باكبر غطاء غربي يمكن ان يتوفر لدولة صغيرة، بريطانيا وفرنسا اكبر امبراطوريتين في هذا الوقت بعد روسيا وامريكا..

فماذا استفادت مصر من نشاطها الدولي..؟ لا شيء! الا اذا اعترفنا بالسر المكنون وهو ان الولايات المتحدة الامريكية هي التي انقذت النظام من العدوان الثلاثي وازالت له آثار العدوان..

اما خلال القتال فقد ظلت مصر رغم باندونغ، ورغم الانفتاح على المعسكر الاشتراكي حوالي اسبوع بلا صديق يتقدم بطلقة واحدة، بينما السلاح الجوي البريطاني يضرب مطارات مصر بناء على تعهد مسبق قدمته الحكومة البريطانية لاسرائيل! والسلاح الجوي الفرنسي يحمي مدن اسرائيل! حتى وصل الحال بالقيادة المصرية، وقد وجدت نفسها وحيدة بلا صديق ولا معين، الى اقتراح صلاح سالم وعامر التسليم للسفارة البريطانية، و اعداد اقراص سيانور البوتاسيوم للانتحار!..

اين المكانة الدولية؟

اين التألق في باندونغ؟

اين الرأي العام العالمي...؟!

لاشيء.. لم يبق من كل الاساطير الا قرص السيانيد ومندوب المخابرات الامريكية الذي أرهق مصطفى امين يطلب الصمود ثلاثة ايام فقط والباقي على الله وأمريكا!

من حقنا اذن ان نعجب للنتيجة التي خرج بها الكاتب الماركسي:

«وهكذا أدت صفقة الاسلحة الى انقسام الموقف في الشرق الاوسط الى دول وطنية متحررة تشتري السلاح من الاتحاد السوفياتي بلا قيود أوشروط. ودول اخرى تابعة للامبريالية ومرتبطة معها إما باحلاف عسكرية أو بقبول ما ورد في مشروع ايزنهاور»[٧٨].

سوق السلاح اصبح سيف اصف بن برخيا، أو الصراط المستقيم الذي يميز المتحرر من الرجعي.. من يشتري من الاتحاد السوفيتي فهو وطني متحرر.. ومن يقاطع البضاعة الروسية عميل!..:

هذا كلام سوقة.. لا ينهض عليه اي دليل، فالاسلحة السوفيتية لا حررت ولا حمت استقلالا وطنيا. ومواقف الدول العربية في مواجهة اسرائيل لم تختلف كثيرا ما بين مشتر للسلاح من موسكو أولندن.. وثالث دولة دخلت السوق، كانت المملكة اليمنية المتوكلية، الامام احمد حميد الدين عقد صفقة سلاح مع االروس، وصفقة مصانع مع الصينيين، وابنه الامام (القادم) محمد البدر اشرف على الشراء والشحن، والامامان كما يدرس في مدارس

الثورية، هما رمزا الرجعية والعمالة. مما برر استنزاف قدرات مصر بل والتضحية بمستقبلها السياسي في المنطقة بهزيمة ١٩٦٧ لتحرير اليمن من الامامين، اللذين جاءا بالسلاح الروسي الذي سار على الطريق الصيني!..

اذن فليس كل من اشترى السلاح السوفيتي تقدميا وطنيا متحررا.. والعكس اشد خطأ!..

ورغم مرور ٢٤ سنة شهدت هزيمتين ونصف للاسلحة السوفيتية ورغم اتضاح ابعاد المأساة التي سببتها هذه الصفقة، اوبالاحرى اعتمادها كمنهاج في حل المواجهة المصرية ـ الاسرائيلية.. رغم مرور ربع قرن، فان الكاتب شبه الناضري يقدم لنا ـ دون أن يدري ـ فكرة عن الهدف الذي حققته الصفقة اذ يقول:

«هدرت في شوارع القاهرة يوم العرض العسكري احتفالا بعيد الجلاء لمدة أربع ساعات دبابات ستالين وقاذفات اللهب، والمدفعية الخفيفة والثقيلة وغطت السماء اسراب طائرات الميج النفاثة وقاذفات القنابل الاليوشن.

وانبهرت الجماهير بما رأته من تسليح حديث، وزغردت النساء وتأثر العرب الذين حضروا العرض العسكري مشاركة لمصر في احتفالها التاريخي.. أرسل الاردن كتيبة من الفيلق العربي وارسل لبنان مجموعة من جنود التزحلق، واليمن جماعة من تلاميذ المدارس الحربية، وليبيا والسعودية وسوريا وحدات نظامية.

كان يوما حافلا بالنشوة والابتهاج، وخاصة للعسكريين الذين حققوا هدفا من اعظم اهدافهم، ولم تعد استعراضاتهم العسكرية هزيلة أو متخلفة».

هذه هي باختصار قصة الاسلحة السوفيتية:

الدبابات تهدر في شوارع القاهرة، وتغطي سماء القاهرة طائرات الميج وقاذفات اللهب. لم تهدر دبابة واحدة في شوارع فلسطين المحتلة.. واحدة!.. لم تسقط قنبلة واحدة.. واحدة.. خلال ٢٥ سنة من شراء السلاح السوفيتي فوق مدينة اسرائيلية واحدة.. واحدة.

لم تخترق طائرة مصرية واحدة.. واحدة.. المجال الجوي الاسرائيلي ولو خطأ!

كله للاستعراض في شوارع القاهرة وسماء القاهرة..

كله من أجل ان «تنبهر» الجماهير فلا تفكر، حتى تنتقل من الانبهار بالتسليح الحديث لجيشها الثوري الى الذهول من هزيمة هذا الجيش امام العدو القومي.

تزغرد النساء فيختفي نحيب وصراخ واحتجاج الجنود والمواطنين الذين قتلوا في الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة وستنقلب هذه الزغاريد بعد ٤ شهور ليس الا الى نحيب واسى وارتياع في بيوت جنودنا القتلى والاسرى والمفقودين في معركة ١٩٥٦ وسيتأثر العرب

ويهرعـون للاشـتراك في «الاستعراض» في شوارع القاهرة، فاذا جد الجد وجاءت الحرب، سيطلب منهم عبـد النـاصـر عدم التـدخـل، ويبقى ذلـك اللغز الحائر الذي لا يفسره مفتي الناصرية ولا الدراويش.

وكـان يومـا حافـلا بالنشـوه والابتهـاج والتخـديـر وخاصة للعسكريين الذين فرحوا بأن «استعراضاتهم» لم تعد هزيلة أو متخلفة، وان استمرت قوة ضربهم الحقيقية كذلك..

من اجـل هذا وافقت الـولايـات المتحـدة على صفقة السلاح الروسي، ومن اجل هذا ظلت اسرائيل تدفع العسكريين باعتداءاتها المتكررة، دفعا نحو عقد هذه الصفقة.. واليك هذه الشهـادة: بعـد أن اعلنت مصـر عن اضخم صفقـة سلاح اعطيت لدولـة في الشـرق الاوسـط مع الاتحـاد السـوفيتي، قام بعض المسئولين الامريكان ومنهم السفير الامريكي في دمشق بجهد محموم لمنع سوريا من عقد صفقة مماثلة، واقناع المسئولين السوريين بانتظار قرار امريكي لصالحهم.. ولكن هذا ما سجله ممثل وزارة الدفاع الامريكية والمسئول عن جذب أو قلب حكومة سوريا لصالح الولايات المتحدة قال:

«ومع اقتراب نهاية السنة لم تكن وشنطن قد اتخذت قرارا بعد في طلب سوريا للسلاح، واقترح السفير مودس «السفير الامريكي في دمشق» أن اسافر الى وشنطن فربما انجح اكثر في تحريـك المـوضـوع. وبينما كنت ارتب سفري، جاءت الانباء بوقوع هجوم اسرائيلي كبير على سوريا ترك ٥٦ قتيلا سوريا و ٣٠ اسرائيليا (يناير ١٩٥٦ ج). وخلال مناقشة الحادث مع السفـير مودس، عبرت عن قنـاعتي بأن السيـاسيين اليساريين وضباط الجيش السوري وجـدوا كل ما يحتـاجـونه بهذا العدوان لتبرير عقد صفقة سلاح مع روسيا، بعد أن تعهدت حكـومـة سوريـا بأنهـا لن تؤخـذ على غره مرة اخـرى ازاء هذه الهجـمات، ولكن السفـير (الامـريكي في دمشق ج) ذهب أبعـد من ذلـك، اذ قال ان الاسـرائيليين تصرفوا عن وعي كامـل بان سوريـا ستتجـه الى روسيـا في طلب المسـاعدة، لأن ذلك سيبرر طلب اسرائيل للسلاح من الغرب ضد الشيوعيين وليس ضد العرب»[٧٩]

اسرائيل بشهادة الامريكان.. دفعتنا دفعا الى شراء السلاح من روسيا.. اما نحن فقد رقصنـا على «طبلة» العمـلاء والمخـابـرات، ونشرنا المانشتات الحمراء: «هلع في اسرائيل» «تزايد الهجرة من اسرائيل بعد اعلان الصفقة»...

نامت الجـاهـير على موسيقى الاستعراض العسكري، واستغلت المخابرات الامريكية «شيـوعيـة» السـلاح في عزل مصـر عن حلفائها الطبيعيين، فهذا الذي كان اكثر من صديق لنـاصـر وراعي للنظـام المصـري كيرميت روزفلت كان يعمل في نفس الوقت على تحريض الحكام العرب ضد ناصر في نفس الوقت الذي كان الناصريون، والاعلام الناصري بخبراء كيرميت روزفلت يستغـل «انبهـار الجـاهـير» في تمزيق العـالم العربي، وارهاب الحكومات

العربية، التي كانت راغبة ومستعدة للتعاون مع ناصر المصري العربي، ولكنها لا يمكن أن تقبل التعاون فضلا عن الفناء لناصر الشيوعي، المحرض لجماهيرها. . وهكذا كانت اللعبة تدار ببراعة نادرة، لعزل مصر، ودعم زعامة حاكم مصر، بتخويف الحكام والنظم والطبقات المالكة العربية ودفعها الى طلب حماية الولايات المتحدة، ولو كان الثمن التغاضي عن دور هذه الولايات المتحدة في قيام واستمرار اسرائيل. . بينما تعمل اسرائيل ليل نهار لتدمير مصر وصولا الى العرب. . .

يقول «سلوين لويد» ان البعض في «الغرب» كان يرى ترك عبد الناصر للروس بعد صفقة السلاح، اذ كان هذا البعض يعتقدون ان وجود عدد كبير من الروس في مصر سيثير ضدهم المصريين، كما أن هذا الوجود سيخيف العائلة المالكة السعودية مما يؤدي الى فتور العلاقات المصرية ـ السعودية»[80]

قال هيكل ان نبأ صفقة السلاح «تفجر في اسرائيل كالقنبلة».

ولكنهم على اية حال لم يتبددوا ايدي سبا ولا جروا في اتجاه البحر، بل قرروا غزو مصر!! وسيخبرنا دون ان تطرف عينه، كيف بدأت اسرائيل تبحث عن السلاح والغطاء الدولي، وكيف نجحت في تحقيق اضخم صفقة سلاح في تاريخها دون خطبة واحدة من مسئول يهودي، ولا هتاف في الشارع، ولا استعراض عسكري يبهر الجماهير ولا تعليق عن «القنبلة» التي انفجرت في مصر بسبب الصفقة التي ضمت:

٢٩ طائرة مستير

١٩ طائرة فوتور قاذفة مقاتلة

٢٠٠ مدفع

٩٠ دبابة ايه ام اكس

وتوالت الشحنات: . . .

نعم توالت الشحنات في صمت، بلا خطب ولا مطولات من هيكل اسرائيلي، واني لاسرائيل مثل هيكل.

ولأنهم هناك كانوا يطلبون السلاح للقتال به، والقتال يعني الجدية والسرية. . اما نحن فأردنا فعقة السلاح. «دعاية» السلاح لتجنب القتال. . وهذا يتطلب الاستعراض والعلنية المفرطة. وقد حقق كل طرف ما اراد وسنرد على موقف إسرائيل ولكن نتوقف هنا لحظة عند محاولة خبيثة من «هيكل» لتشويه موقف مصر «القومي» وتشويه اهداف ودوافع عبد الناصر نحو الثورة الجزائرية اذ يلخص الموقف بين فرنسا ـ اسرائيل ـ مصر ـ الجزائر هكذا:

«زادت شحنات الاسلحة الفرنسية لاسرائيل وزادت مساعدات مصر للثورة الجزائرية!. . بل وينسب زورا لعبد الناصر إنه قال لتيتو: اننا نريد ان نجعل فرنسا تحتاج

كل قطعة سلاح ترسلها الى اسرائيل ولذلك نساعد الثورة الجزائرية»

لماذا كل هذا الحقد على مصر والحرص على سلبها كل فضيلة . . . الفكرة الشائعة والحقيقية، هي ان فرنسا حالفت اسرائيل بسبب دعم مصر للثورة الجزائرية . . وليس العكس أي اننا دفعنا ثمن موقفنا القومي العربي . . ومهما قيل في فداحة الثمن الذي دفعته مصر فان المحصلة النهائية رابحة ومجزية وهو استقلال بلد عربي وحرية شعب عربي، عبد الناصر ومصر من قبله ومن بعده على حق في دعم ثورة الجزائر مهما كانت النتائج . .

ولكن «هيكل» يقلب الصورة، فيجعل مصر تدعم ثورة الجزائر نكاية في فرنسا؟! ياللافتراء والعار . . ؟!

وبالمناسبة، فقد يتساءل البعض هل كان من مصلحة مصر اثارة عداء فرنسا وتعريض امنها الوطني واستقلالها للخطر من أجل تحرير الجزائر؟! ثم ماذا كسبنا من ثورة الجزائر . . ضرب المصريون في شوارع الجزائر، وامتهنوا وطردوا . . . وناصبتنا حكومة الجزائر العداء وقادت جبهة الصمود والتصدي والمزايدة ضدنا . . . ؟!

هذا الكلام وان كان يمكن أن يتردد في المناقشات البيزنطية ومن جانب الذين لا يريدون أن ينسب فضل للناصرية، إلا أنه لا يجوز وطنيا ولا قوميا، بل ولا عقليا . . لأن استقلال الجزائر كما قلنا بأية صيغة هو انجاز اسلامي ـ عربي، وبالتالي فهو مكسب وطني مصري . . ولا يجوز الندم أو الشك لحظة واحدة في صوابية وشرف الدعم المصري للثورة الجزائرية . . ولكن لابد ان نطرح هذه الملاحظات:

١ـ ان الدعم المصري للحركة الوطنية الجزائرية بل للحركة الوطنية في المغرب العربي، وهي التي فجرت ثورة الجزائر، سابق على عبد الناصر، ولو لم يكن عبد الناصر في الحكم لجاء ثوار الجزائر ايضا الى مصر، واتفقوا على الدعم ونالوه من أية حكومة مصرية، ربما كان حجم الدعم سيختلف وفقا لمدى حرية الحركة لهذه الحكومة سياسيا، ومدى حريتها في التصرف في موارد مصر . . ولكن جوهر الموقف لا يختلف.

٢ـ أن الاسلوب المتدني للاجهزة الناصرية في التعامل مع الحكومات العربية والحركات الوطنية، هو المسئول الى حد كبير عن نجاح القوى المعادية لمصر والعروبة في السيطرة على الاوضاع في الجزائر، ومن ثم في تأليب دول المغرب العربي كله ضد مصر التي كانت كعبة آمالهم ومركز حبهم وتطلعهم وهم في المعارضة فتحولت الى العدو رقم واحد عندما أصبحوا في السلطة . . ولا يجوز اتهام حكومة بومدين وحدها بالجفاء لمصر ففي عهد عبد الناصر كانت علاقتنا متردية مع كل دول المغرب من ادريس السنوسي الى بومدين مرورا «بالاستاذ» والقصر الملكي في المغرب. أو «الحسن أخو الحسين» كما كنا نقول في صوت العرب عن ملوك العرب.

فنحن اذا كنا قد خسرنا فرنسا، فقد كان ذلك حتمية تاريخية لا يمكن تجنبها، لأن قدرنا ودورنا ومبادئنا كانت تحتم علينا الوقوف مع ثورة المغرب العربي . . إلا أن خسارتنا حكومات ما بعد الاستقلال لم يكن له ما يبرره وكان الأمر يمكن تجنبه لو كنا نتمتع بجهاز حكم ديموقراطي تتحكم فيه الكفاءات لا المخابرات . .

٣ـ السلاح الفرنسي لم يهزمنا في ١٩٥٦ حتى يأسف البعض على دعم الثورة الجزائرية . . فالغزو الفرنسي هزم وتراجع، أما النصر الاسرائيلي فكانت له اسبابه المصرية . .

المهم نجح الجهد الاسرائيلي في تحطيم «احتكار السلاح» ويسجل هيكل ذلك بقوله : «لقد فتحت أبواب فرنسا . . كل ابواب فرنسا لاسرائيل» .

وقد عجمت روسيا عود الغرب، وكشفت كذب الصياح الاعلامي، عندما عرضت في مؤتمر القمة في لندن «فرض حظر سلاح على الشرق الأوسط كله» فرفضت الدول الغربية . .

ولم تكن هذه نهاية العالم، بل اعقب صفقة السلاح الروسي على الفور، قرار أمريكي بتمويل السد العالي وقال فوستر دلاس في رسالة لعبد الناصر. «الروس يعطونكم سلاحا للموت، أما نحن فسنبني لكم السد العالي للحياة» . . .

وربما كان هذا الموقف الهادىء «المتفهم» من الغرب، هو الذي جعل الاعلام الناصري يتشبث كالغريق بحكاية الانذار، إذ لاتكاد توجد واقعة، ولا شاهد، على مظهر آخر من مظاهر غضب الولايات المتحدة، فضلا عن جنونها من صفقة السلاح بل كانت برداً وسلاما على اسرائيل، ومن يعنيهم أمر اسرائيل .

واستمر الامريكان يخدعون القاهرة بمساعي السلام ومشاريع اللقاء بين بن غوريون وعبد الناصر، معتمدين على نوايا «ناصر» السلمية ازاء اسرائيل، وانه كما سنرى، لم يفكر قط قبل ١٩٦٧ في محاربة اسرائيل ولكن السلام لم يتحقق، لأن اسرائيل لم تفكر قط في مسالة مصر قبل ان تحقق امبراطورية اسرائيل . .

يقول ايفيلاند : «في عام ١٩٥٦ (اي بعد صفقة السلاح ج) كان الاخوان دلاس يرتبان لقاء بين بن غوريون وناصر ولو أن تصرفات بن غوريون أوحت انه يفضل التعامل مع ناصر بالسلاح عن التفاوض حول مقترحات السلام التي اقنع بها شاريت حزب ماباي»[٨٢]

وهذا التاكتيك الاسرائيلي المعروف عن ادعاء خلاف في القيادة اقنعوا به عبد الناصر ولعلنا نذكر تصريحه الذي مدح فيه ميول موسى شاريت!

وقال ايفيلاند ان «العنصر الرئيسي في جهودنا من أجل تجميع دعم عربي للسلام مع اسرائيل . . كان هو الرئيس المصري»[٨٣] وتساءل «هل تبحث الـ CIA مشروع سلام مع

ناصر بدون علم السفير الامريكي في القاهرة بايرود»[٨٤] .

وإذا كنا لن نناقش السد العالي كمشروع مصري في هذا الموضع من الحديث فأننا نحب أن نلقى الضوء على بعض النقاط التي لها علاقة بموضوع حديثنا هذا. . والتي تحتاج الى تأمل ودراسة مفصلة . .

الاولى : انه بعكس الشائع والذائع عن أن «سحب» تمويل السد العالي كان عقوبة على صفقة السلاح ومحاربة حلف بغداد . . الخ . . وهذا غير صحيح ، بل الغريب ان قرار «تمويل» وليس سحب تمويل هو الذي اتخذ في اعقاب صفقة السلاح ، فقد قررت امريكا وفي ذيلها بريطانيا الرد على «الخطوة الروسية» وما اثارته من شعبية ، بمظاهرة غربية مضادة ، وهي تمويل السد العالي ، وبدأوا الدراسات والابحاث في هذا الأمر وبعث دلاس ببرقيته لعبد الناصر والتي تقول «الروس يعطوكم سلاحا للموت ، ونحن سنعطيكم السد العالي للحياة» .

ولكن العرض سحب لعدة اسباب . . ذكر «سلوين لويد» بعضها في قوله «قال لي (يوجين) بلاك (مدير البنك الدولي) ان الامريكان يمكنهم تمرير تمويل السد العالي من الكونغرس ، ولكني رأيت ذلك تفاؤلا لا لامبر رله فاللوبي الصيني كان غاضبا لاعتراف ناصر بالصين الشيوعية في مايو، ولوبي القطن كان ضد هذا القرض بسبب اتفاق ناصر مع روسيا على القطن المصري (ليس صحيحا . . بل بسبب توقع زيادة المساحة المزروعة قطنا في مصر ومنافستها للقطن الامريكي ج) واللوبي الاسرائيلي ضده على أساس انه يقوى أحد اعدائهم الرئيسيين. الى جانب الطلبات التي انهالت على الولايات المتحدة من اصدقائها في الشرق الاوسط يطلبون مساعدات ، وحجتهم جيعا أن الصداقة هي التي يجب ان تكافأ لا العداوة، وإن اعطاء مساعدة لمصر لبناء السد هو العكس تماماً وضرب مثلا «بن حليم» رئيس وزراء ليبيا الذي كان مشبعا بحب الغرب (بالغين المنقوطة ج) الذي كرر عليّ ما سمعته في المنطقة وهو أن اصدقاء الغرب يجب أن يكافأوا بسخاء اكثر من عبد الناصر الذي يكافأ على عداوته ، وكانت هذه اشارة واضحة منه الى اعتزامنا تمويل السد العالي»

ويذهب سلوين لويد الى ان الكونغرس كان بسبيله الى سن قانون يقيد صلاحية الحكومة في منح القروض اذا ما اصرت على تمويل السد العالي ، ودلاس خشى أن يصدر هذا القرار الشامل ، مما يضر بالمعركة الانتخابية للرئيس ايزنهاور فبادر بتهدئة الكونغرس

باعلان سحب التمويل. وقال دلاس لايزنهاور في ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ أن القرار لم يكن مفاجأة للمصريين فقد كان لديهم علم به . . . ويؤيد هذا رواية محمد حسنين هيكل وسلوين لويد عن الوزير العراقي الذي نقل إخبار مناقشات حلف بغداد الى عبد الناصر «فعرف منها ان الدولة الغربية لن تمول السد العالي» .

ويدعي سلوين لويد ان احمد حسين هدد امريكا بأنه اذا لم تمول امريكا السد العالي فالاتحاد السوفيتي جاهز للدفع، ورد عليه دلاس في ١٩ يوليو (١٩٥٦) بأن امريكا لا تبتز ولا تهدد، وسحب العرض[٨٥]. ويبدو ان دلاس اتخذ القرار بسرعة فلم يستشر أحداً ولا ناقش القرار مع موظفي وزارة الخارجية، واستشار الرئيس الامريكي في صباح نفس اليوم، وابلغ السفير البريطاني «ماكينز» قبل الاعلان بساعة. ولم اكن اعلم بهذا القرار السريع. فقد ناقشنا الموقف في مجلس الوزراء وكلفت بعمل مذكرة حول كيفية ابلاغ المصريين بانسحابنا»[٨٦].

والأمر كله لم يستغرق إلا اسابيع ما بين قرار التمويل وقرار سحب التمويل، كما جاء في لجنة الشئون الخارجية للكونغرس الامريكي . .

ومسألة الدور الذي لعبه الاعتراف بالصين في استفزاز الولايات المتحدة لسحب القرار، مسألة معقدة في المنطق الناصري، فصحيح أن اللوبي الصيني كان مستاء من عبد الناصر، ولكن ليس الى الحد الذي يمكنه من استصدار قرار في هذا الحجم . . والمؤرخ الناصري يحتار في قضية الاعتراف بالصين، فهو يسجلها في قائمة الانتصارات العالمية «كمبادرة جريئة من مصر، فلم تكن هناك دولة في الوطن العربي اخذت هذا الموقف في وقت كانت حكومة الولايات المتحدة فيه كالنمر الهائج ضد كل ما هو صيني، حتى ان جوازات سفر الامريكيين كان يصرح فيها بالسفر الى كل دول العالم عدا الصين وكوريا الشمالية»[٨٧] . . وبعد ٤ صفحات ليس الا نجده يرد على «بعض الجهات المعادية التي تحاول الاساءة لموقف عبد الناصر وتصويره بمظهر المستفز الذي يجبر خصمه على اتخاذ خطوات عنيفة وذلك بزعم هذه الجهات المعادية أن الاعتراف بالصين الشعبية هو الذي اثار جنون امريكا وجعلها تسحب التمويل . . » ويلقم هذه الجهات المعادية حجرا بأن يقلل من أهمية تلك «المبادرة الجريئة» بل يثبت تفاهتها بدليل «ان اسرائيل ربيبة امريكا اعترفت بالصين الشعبية عام ١٩٥٠ دون أن يحدث ذلك صدى في علاقتها مع وشنطن»[٨٨] .

ونحتار في هؤلاء . . خطوة قامت بها اسرائيل منذ خمس سنوات ، وهي ربيبة امريكا ولم يهتز لها جفن امريكي ، كيف تصبح مبادرة جريئة وتحدي للنمر الامريكي الهائج بعد خمس سنوات عندما يقوم بها عبد الناصر؟!

وايهما أكثر تهييجا للنمر الامريكي : الاعتراف بالصين، وكل حلفاءها في أوروبا

اعترفوا بالصين، أورفض مصر في عهد حكومة الوفد التصويت مع امريكا أوتأييدها في حرب كوريا وكل العالم غير الشيوعي وقف مع امريكا في حرب كوريا. . ؟!

والمصادر الامريكية المتاحة الآن، تؤيد رواية سلوين لويد حول معارضة اللوبي اليهودي، ولوبي زراع القطن في ولايات الجنوب، وايضا اللوبي المعادي للانجليز، فقد جاء في كتاب «حبال الرمال»: «كانت هناك معارضة متوقعة من اعضاء الكونغرس من ممثلي الجنوب زراع القطن الراغبين في ابقاء القطن المصري بعيدا عن السوق، ومن انصار اسرائيل، وايضا من وزير المالية الذي شعر ان الشركات والمقاولين الانجليز سيستفيدون فائدة هائلة بينما ستكون مساهمتهم رمزية، ، كما كان على مصر ان تسوي مشاكلها مع السودان حول المياه»[89]

كذلك كان «هربرت هوفر» الابن وكيل الخارجية والمشبع بكراهية الانجليز ضد المشروع بسبب دور الانكليز فيه، ولانظن ان امريكا كانت في مزاج اعادة بريطانيا الى مصر وبمشروع بمثل هذا الحجم بعد كل الجهد الذي بذله «الكافريين» و«السونيين» في اخراجها من هناك. وقد اوضحت بريطانيا فيما بعد انها فوجئت بالقرار الامريكي بسحب التمويل.

وهناك ملحوظة غريبة، لاندعي اننا قد فهمنا ابعادها الحقيقية، وهي ان الامريكيين كانت لديهم قناعة بأن المشروع سيثير كراهية المصريين. لماذا؟ . . لاندري!

التفسير الشائع انه بسبب ما يتكلفه المشروع من مال، لابد ان يرهق المصريين؟! . . وهو تفسير متهافت لأن المفروض ان التمويل الخارجي، سيعفي المصريين من العبء المالي، وحتى اذا كان على شكل قرض فإن السد العالي سيحقق زيادة في الدخل تكفي لسداد القرض وتحقيق فائض. . وإذا كان الضرر ماليا، والكراهية سببها المال. . فكيف يكون الحل هو نصح مصر بأن تمول هي السد بدلا من جلب الكراهية على الدولة التي ستموله. . هل التمويل الداخلي اقل عبئا من التمويل «الكريم» من الاتحاد السوفيتي، أو قرض دولي؟! . .

كلام غير مفهوم!

الذي حدث برواية هيكل إنه «في محادثات محمود فوزي ـ دلاس ٦/ ١٠/ ١٩٥٦ «أشار دلاس الى ان الشعب المصري سيكره من يبني السد العالي، لذلك فلا مانع لديه من أن يقوم الروس بذلك»! وقد ذكر محمود فوزي في رسالته ان دلاس برر ذلك بالارهاق الاقتصادي. .

وقد كرر دلاس مع المصريين مرتين قناعته عن كراهية الشعب المصري المنتظرة للمشروع . . مرة في اقتراح «تلبيسه» للروس ومرة عندما قال «ان مصر تستطيع ـ في رأيه ـ تمويل السد

العالي عن طريق دخل قناة السويس لأن هذا أسلم وسوف يجنب أية دولة تقديم المال اللازم لمشروع يثير كراهية المصريين ورددت عليه في هذا الموضوع بوجهة نظرنا»[٩٠]

وباليت فوزي، أوهيكل، عرفنا أحدهما «بوجهة نظرنا» لنفهم ما الذي كان يشير اليه دلاس وهو يتحدث عن «اثارة السد لكراهية المصريين.»

ونفس الفكرة كررها دلاس مع هيوغيتسكيل زعيم المعارضة البريطانية، اذ جاء في يوميات غنيتسكيل: حاولت ان استفهم من دلاس عن اسباب سحب تمويل السد العالي فأجابني اجابة غير مفهومة اهم ما فيها: «ان الولايات المتحدة كانت تأمل ان يؤدي سحب قرار التمويل الامريكي الى مسارعة السوفيت بتقديم عرض لتمويل السد ليتحملوا العواقب الوخيمة بأنفسهم على المدى البعيد برغم انهم سيحققون مكاسب سياسية آنية.»[٩١]

ما هي الكارثة الخفية في موضوع السد؟ والتي رأت امريكا ان تورط الاتحاد السوفيتي في عواقبها الوخيمة، ببناء هذا السد، ترجح المكاسب السياسية التي عادت عليها وقتها ولعدة سنوات تالية؟!

وقد فندنا القول بأن الارهاق الاقتصادي هو المقصود، فلم يبق الاتفسير واحد وهو ان الامريكان قد اكتشفوا عيبا خطيرا في السد، وتوقعوا ان يثير كراهية المصريين في المستقبل!

ان كان ذلك صحيحا، وكتم دلاس والامريكيون ذلك عن مصر، فهو دليل وحشية واجرام هذه الحضارة الغربية، وان كان الجانب المصري قد ابلغ بذلك فلم يهتم من اجل الاهداف السياسية للمشروع، فما من لفظ في اللغة يمكن ان يصف هذا الفعل!..

ومرة اخرى نحن لانجزم بشيء فالاشارات ماتزال غير مفهومة..

وملحوظة ثالثة حول حوار دلاس ـ فوزي، اذ يفهم من الحديث الذي رواه هيكل ـ انه في الاسبوع الاول من اكتوبر ١٩٥٦ أي قبل العدوان الثلاثي بثلاثة اسابيع، وقبل هزيمته بأربعة اسابيع كان دلاس قد قرر ووثق ان القناة ستصبح ملكا خالصا لمصر وانها تستطيع انفاق دخلها على تمويل السد، اوماشاءت من مشاريع، وان كان قد نصح بتمويل السد العالي. وكان فوزي وعبد الناصر يعرفان ان هذه هي قناعة الامريكان. وهذه نقطة مهمة سنحتاجها في تفسير موقت الولايات المتحدة خلال معركة التأميم.

على اية حال.. واضح ان دلاس لم يكن ضد بناء السد، ولا كانت هناك مؤامرة امريكية لمنع بناءه «لما يحققه من طفرة في اقتصاد مصر ويوفر لها من أمن غذائي.. الخ» بل ان سحب التمويل كان في حدود الاسباب المعروفة لعوامل داخلية في امريكا: موقف الكونغرس المتأثر بلوبي القطن ولوبي اسرائيل، وكراهية مساهمة بريطانيا فيه. ولعوامل أخرى غير معروفة هي التي تدور حول قول الامريكيين ان المشروع سيثير كراهية المصريين

لمن يبنيه، وهي كما قلنا نقطة غامضة حتى الآن. وربما اوردها «هيكل» خصيصا لتبرئة الامريكان من آثار السد العالي فعندما تعالت الهمسات، بعد موت سليمان وفتح القمقم، حول اضرار السد العالي. دافع المتورطون في المشروع بأن صلاحية المشروع لم يقرها الروس وحدهم بل الفنيون المصريون والدول الغربية.. وقد اقسم «حسن ابراهيم» عضو مجلس الثورة لأحمد حروش أنه يوجد نموذج كامل للسد العالي في قرية جرينوبل بفرنسا تم بناؤه عندما تعاونت مصر في مجال البحث مع احدى الشركات الفرنسية». واعتبر مدير الفرقة القومية للمسرح، وكذلك حسن ابراهيم ان ذلك «دليلا على سلامة المشروع». ولاشك أن كل شركة عالمية يطلب منها دراسة مشروع في حجم السد العالي، تكون الخطوة الاولى هي عمل نموذج له، تستعين به في الدراسة والوصول الى قرار حول فوائد واضرار وصلاحية المشروع، فالنموذج في حد ذاته ليس دليلا ولا شهادة، وانما المهم هو التقرير.. ماذا قالت الشركة؟ هذا ما لم يهتم عضو مجلس الثورة، ولا مؤرخ ما بعد الثورة بالحديث عنه، اوحتى التعرف عليه!

وكذلك الاستشهاد برغبة امريكا وبريطانيا بتمويله، على صلاحيته، لايقدم دليلا مقنعا، لأن سحب التمويل كما قلنا تقرر بعد اسابيع قليلة من القرار وحتى اذا اخذنا التواريخ المعلنة فهي من نوفمبر ١٩٥٥ الى يوليو١٩٥٦.. فهل شهدت هذه الفترة أية دراسات امريكية على الطبيعة حتى يقال انهم وافقوا على المشروع فنيا ورفضوه سياسيا؟!

هل كان دلاس يعرف نظام الدورة الفيضانية الرائعة التي كانت السبب في ظهور مصر وتميزها عن الواحات.. فمصر لم تصبح مصر بمجرد توفر الماء، بل بنظام الفيضان الذي كان يغسل أرضها مرة كل سنة فيحمل الاملاح الى البحر ثم يعوض النقص في التربة بالقاء طبقة جديدة من الطمى والمعادن المفيدة للأرض كل عام، أي ملايين الاطنان من المخصبات الطبيعية، والطمى بلا تلكفة وفي اتقن عملية رش... بل اكتشفنا اليوم ان الفيضان كان يغرق جحور الفئران ويقتل منها العدد الذي يبقيها في اطار التوازن الطبيعي، فلما منعنا الفيضان وخرجت الصحف تبشرنا بعنوان لاينسى وهو: «هذا العام: هو آخر فيضان للنيل» انتصرنا على النيل، ونمت الفئران وتكاثرت، حتى اكلت ما زرعه الفلاح بماء السد وما قبل السد!..

هل قامت مؤسسات امريكية وبريطانية بهذه الدراسات، وقدمت التقارير التي تؤكد انه لاخطورة من احتفاظ مصر ببحيرة معلقة فوق رأسها اذا ما ضرب السد أوسقط بفعل زلزال، وهو الذي كما قيل يمكن ان يغرق مصر الى القاهرة، وبارتفاع الدور الرابع!..

وهل قالت هذه التقارير ان فوائد السد ترجح اضراره.. حتى نقول اليوم ان العالم كله وافق على بناء السد، فإذا ثبت ضرره فالعالم هو المسؤول، ونحن لاذنب لنا؟!

بناء السد العالي، بصرف النظر عن اية نتائج، يجب أن تحدد طبيعته، فهو قرار سياسي من شخص غير ذي دراية فنية، لم يقرأ كتابا في حياته بعد الثانوية العامة الا ما يكفي للتخرج من كلية الطيران، وليس فيما عرفناه عنه ما يعطي ملامح مثقف، ولا علامة تحضر. والروايات الناصرية مجمعة على اختلال قواه العقلية، استوحي الفكرة من يوناني وصف السادات له [٩٢] يوحي بخبله هو ايضا، وقد رفض «المهندسون» قبل الثورة الاهتمام بفكرته، الى أن اصطادها مجنون مجلس الثورة جمال سالم «ففتنه المشروع وتبناه حتى أن احدا من اعضاء مجلس قيادة الثورة لم يبذل جهداً لمعرفة تفاصيل المشروع»[٩٣]!! وهذه شهادة متحمس للسد!!

تبناها جمال سالم، وطرحها مجلس الثورة في سوق الشعارات المصرية، مثل مديرية التحرير والوادي الجديد، واستخدمته الدول الخاطبة لود مصر مثل قول دلاس: «سنعطيكم السد من اجل الحياة» الى ان سقط في حجر الروس

كان المفروض ان يطرح المشروع للمناقشة الفنية في اوساط المهندسين [٩٤] والجيولوجيين والزراعيين وخبراء الثروة البحرية، والأمراض المستوطنة، ومجلس الامن القومي.. حول مكاسب ومخاطر المشروع من امكانيات الزلازل واحتمالات ضربه من العدو الى مستقبل الكائنات البحرية والنحر عند المصب.. ثم يطلب رأي المؤسسات العالمية الخبيرة.. ثم يطرح التقرير النهائي للمشروع امام اللجنة العليا «الفنية» لا السياسية.. لتقرر قبول المشروع أو رفضه أو تعديله فليس هذا من اختصاص مجلس الثورة ولا من اعمال السيادة، مجرد خزان على النيل.. ثم يعرض الامر على البرلمان للمناقشة فهناك خبراء غير ممثلين في الاجهزة الحكومية والمناقشة العامة المفتوحة تتيح الفرصة لشتى الاجتهادات والتنبيه الى ما يفوت الخبير الفني..

ولكن ذلك كله كان مستحيلا لأن المشروع أصبح جزءاً من قدسية الثورة، يحيط به ارهابها ورهبتها.. وارتفاعها فوق مستوى النقد والمناقشة، وكل نقد له خيانه وعماله للاستعمار تؤدي الى اسقاط الجنسية..؟! وحتى الآن، فإن الحديث عن الزلزال الذي هز اسوان، يفسر على الفور بأنه «مؤامرة للنيل من ذكرى الزعيم الخالد، والتقليل من المساعدة الاخوية للاتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الاشتراكي.. الخ».

حتى الروس لهم عذرهم، فقد انساقوا الى الحمى التي انتابت الدولة المصرية، وهي تغني «حنبني السد». والروس يهمسون الآن انهم نبهوا للاخطار المحتملة [٩٥]، ولكن لا أحد سمع لهم. فقد عولج الامر بالاسلوب «الثوري» الذي يهتم أولا واخيرا بالكسب السياسي العاجل، ولا يفكر ابعد من عمر الحاكم.

من الثابت اذا، ان كل الاطراف عالجت موضوع السد سياسيا.. الغرب اراد ان يرد

على صفقة السـلاح، وربطـه بالصلح مع اسـرائيـل. . وكجزء من برنامج عام للمنطقة، والاتحـاد السوفيتي تبناه تحت الحاح مصر نكاية في الدول الغربية وكسبا لشعبية في مصر والمنطقة. والثورة اساسا اطلقت الشعار وتورطت فيه، للتغطية على السلبيات في الحريات، أو كما قال عبد الناصر: حاجات بيضاء . . وحاجات سوداء» . .

وفي مثل هذا الجو. يتعذر بحث الجوانب الفنية . . وهي الاساس في الخزانات . . لا الشعارات!

الفصل الرابع

عدي القنال . . عدي!

ويبدأ «المفتي» رحلته مع بريطانيا على طريق السويس ولا يفوته أن يحكي لنا قصة «سلوين لويد» وطرد غلوب . . والنبأ الذي وصل الى «سلوين لويد» وهويتناول العشاء مع عبد الناصر مما جعله يظن ـ وهو غبي حقا ـ ان عبد الناصر كان على علم بالنبأ بل وقته توقيتا ليصل الى سلوين مابين الاسكلوب بانيه، والسلطة، وكأن الأردن محافظة مصرية . . ما علينا من غباء سلوين لويد . . رواية هيكل تتضمن «معلومة» غريبة وخطيرة. وهي أن عبد الناصر نفسه كان آخر من يعلم . . بل ان سلوين لويد والسفارة البريطانية والعالم كله أحيط خبرا بإقالة «جلوب» الا عبد الناصر!!

هذا ما يقوله «هيكل» الأمين على تراث الزعيم . . فقد دخل سكرتير السفارة البريطانية، بل اقتحم العشاء اقتحاما، ودس ورقة في يد السفير البريطاني الساعة التاسعة مساء، ودسها هذا في جيبه بعد أن قرأها واصبح واضحا على وجهه وحديثه أن أمرا خطيرا قد وقع . . ثم انصرف السفير والوزير البريطاني، وكل هذا الذي حدث لم يلفت انتباه عبد الناصر ليسأل أحد معاونيه ـ ايه يا جماعه الي حصل . . اسألوا الوكالات يكون في خبر . . والا اسألوا اقسام البوليس تكون أم السفير ماتت؟!

ابدا . . وفق رواية هيكل لم تتحرك شعرة استفهام في رأس الزعيم!

بل توجه عبد الناصر الى فراشه ونام قرير العين عن شواردها . . حتى ايقظه هيكل ـ ومن غيره يوقظ الغافل؟! ـ في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي التاسعة؟!

ـ عندي خبر يجنن ياريس يا كبير القلب . . عارف غلوب بتاع الاردن . .

ـ ماله؟ أو اشمعنى . . ؟!

. . الخ ما يمكن ان يتضمنه سناريو مسرحية هزلية حول تلك الصورة البشعة التي يقدمها هيكل عن الزعيم الذي كانت ابرز مميزاته هي «المعلومات» وخاصة من هذا الطراز! . . والذي كما تجمع كل الروايات لم يكن ينام قبل ان يسمع جميع اذاعات العالم ولكن في رواية هيكل نجده معزولا . .

لا سفارة تبلغ؟!
ولا ملحق عسكري ؟ !
ولا مخابرات؟ . .
ولا مراسل صحفي؟!
ولا احد يسمع راديو ترانزستور. . فالخبر كان قد اذيع من جميع محطات العالم وبجميع اللغات حتى السواحلي. . والزعيم لايدري حتى يبلغه هيكل الذي بدوره سمعه من مراسل «رويتر» في مصر! الذي اتصل بهيكل يطلب تعليقا على الخبر ولم يخطر بباله ان لا هيكل ولا سيده قد سمعا بالخبر. . [1]
«ان يظل المصري غائبا عن الوجود الحضاري . . الخ[2]»
وهكذا كانت تحكم مصر. . وتقود العالم العربي!
دعنا من هذا الهذر ولننتقل الى حديث يبهج النفس حقا:
الاجتهادات حول الوقت الذي طرأت فيه فكرة تأميم القناة على خاطر عبد الناصر كثيرة ومتباينة، ومتفاوتة الذكاء والاسفاف ايضا، ومن هذا النوع الاخير زعم «هيكل» انه هو الذي اوحى لسيده بتأميم القناة، على الاقل ان الفكرة خطرت لهما في وقت واحد! واليك رواية هيكل. . . :
استيقظ محمد حسنين هيكل صباح ٢١ يوليو وقناة السويس في رأسه، الحمد لله وليس شرم الشيخ. . والا لاعاد مجد الاسكندر. . !
«واتصلت به (الهاء تعود على عبد الناصرج) تليفونياً في غرفة نومه، وكانت الساعة الثامنة والربع صباحا وتبادلنا حديثا عاديا مما يتبادله الاصدقاء في الصباح (من طراز أكلت ايه امبارح يا حماده؟ جبنه ويطيخ يا جيمي. . معرفش ليه رجلي بتنمل. . عاملين ايه الاولاد. . يا صبر ايوب! ج) ثم قلت له: «انني فكرت طويلا فيما تستطيع أن تفعله ازاء القرار الامريكي وقال (اللي هو عبد الناصرج) : وهل توصلت الى شيء؟
وقلت: هل تذكر ما كنت تقوله عن انتظار فرصة ملائمة للتقدم فيها بطلبنا للمشاركة والحصول على نصف دخل. . الخ » وهو بذلك يقلد «مايلز كوبلند» الذي ادعى في كتابه انه اقترح تأميم القناة قبل عبد الناصر في تمثيله دور عبد الناصر في قصر «لعبة الامم»
واغلب الظن ان «عبد الناصر» وصل للقرار عقب قرار سحب تمويل السد العالي وما احاط به من صورة قاتمة، اذا اعتبر في الدوائر «المعنية» قرارا بسحب الثقة من عبد الناصر، وان امريكا لايمكن ان تعامله بهذا الشكل الا اذا افترضنا انه حاله ميئوسة أو كما صور هيكل الموقف بأنه بعد «سحب تمويل السد العالي جاءت النهاية واوشك الستار أن ينزل على قصة عصر عبد الناصر وصعوده في الشرق الاوسط»

وهذا بالطبع فهم أو تصور له اسبابه الخاصة، وهي القناعة وقتها بأن النظام مسنود من الامريكان، والا فان الشعب المصري لم يكن يربط بين عبد الناصر والسد العالي، فهو ليس مهندسا، أو وزيرا تبني مشروعا مائيا ويسقط وينتهي عصره بفشل المشروع؟!

عبد الناصر الذي احتفل قبل شهر بخروج آخر جندي بريطاني، لماذا يسدل الستار عليه لأن امريكا ترفض تمويل واحد من مشاريعه؟!..

ومهما يبدو ذلك غريبا الآن، فقد كان الشعور وقتها في اوساط انصاف السياسيين في الخارج والمتنفذين في مصر والعالم العربي.. ان الامريكان قرروا فعلا اسقاط عبد الناصر، وانهم قادرون على ذلك باعتبار دورهم في ظهوره واستمراره. وكان لابد من اجراء «دراماتيكي» يجبر ادارة المسرح على استمرار رفع الستار، ويبقي المتفرجين في مقاعدهم بمنطق الممثلين. الذي يحكى به هيكل.

والدليل على ان القرار كان مفاجئا انه لم تكن هناك دراسات جادة لردود الفعل الممكنة في بريطانيا وفرنسا.. وان عبد الناصر كان قد وقع اتفاقية جديدة مع شركة قناة السويس قبل شهر واحد تتضمن اعترافا بشرعية الشركة ولو كان الهدف هو التغطية لا مكن للوفد المصري اطالة المفاوضات حتى يصبح قطعها حجة للتأميم.. ولم يكف سلوين لويد عن استخدام هذه الاتفاقية للتأكيد بان مصر لاتحترم اتفاقياتها، وتستخدم منطقا تبريريا في اتهام الشركة.. يتناقض مع موقفها من شهر واحد.. الخ[٣]

ولكننا اذ نقول ان القرار كان مفاجئا وابن وقته، وكرد فعل على سحب تمويل السد العالي، فاننا نؤكد ان الفكرة ذاتها، كانت دائما في رأس جمال عبد الناصر، وكانت على رأس قائمة المنجزات التي حلم بتحقيقها حتى قبل ان يصل الى السلطة.

فما من مأساة كانت تعتصر قلب الطالب المصري، مثل قصة قناة السويس، وما جرى فيها من غبن وتغفيل واستغلال لمصر.

والى ما قبل هزيمة ١٩٦٧.. لم يكن هناك ثأر يحلم به المصري، مثل انتزاع القناة من المستغلين الذين حفروها بأموال ودماء المصريين واجسادهم حقيقة لا مجازا.. ثم استولوا عليها مجانا وباسلوب لصوصي يكفي لدمغ تاريخ اوروبا والغرب كله بالعار.. حتى اسماعيل باشا بدأ تاريخه السياسي بشعار أريد «القناة لمصر لا مصر للقناة» ففي هذا الوقت المبكر، وقبل أن يتم حفر القناة وقبل ان تقبض الشركة منها جنيها واحدا، كان واضحا ان القناة هي نزيف في قلب مصر تنزح منه ثروتها واستقلالها وسيادتها، ويكفي أن تعرف أن القناة عند التأميم كان دخلها ثلاثين مليون جنيه استرليني، حصة مصر منها مليون واحد والباقي لبريطانيا وفرنسا واخلاط الاوروبيين، بل كانت القناة في قلب مصر والسفن البريطانية والفرنسية تدفع الرسوم في لندن وباريس!!

وكانت الشركة تتصرف كمؤسسة استعمارية عنصرية استعلائية تعيش في القرن التاسع عشر كل جهازها الاداري من الجنس الابيض تتفاوت مراكزه بتفاوت بياضه، وعند القاع فئة خاصة من المصريين. . وبعدما قامت حركة الجيش، واستولى الضباط على الحكم. بل وباتوا في فراش الأميرات. . استمرت شركة قناة السويس تمنعهم من دخول نادي شركة قناة السويس كسائر المصريين! لأن شعب القناة دون مستوى المالطيين والكورسكيين العاملين بها! ويروي كتاب مجتمع عبد الناصر أن قائد معسكر الجيش المجاور لشركة القناة اضطر لارسال جنوده يسبحون عراة بجوار نادي الشركة، ففزع المسئولون هناك وسمحوا لهم بالاشتراك في النادي[4]، ربما بعدما اجتازوا امتحان كشف الهيئة!!

كانت نموذجا للامبريالية في ابشع صورة وما كان يمكن ان تستمر لحظة واحدة في بلد مستقل، بل كان تأميمها يقترن دائما في خاطر الحركة الوطنية بتحقيق الجلاء.

وفي السنوات التي سبقت عبد الناصر طرح شعار التأميم في عدة مصادر:

١ ـ منشورات فتحي الرملي وهو اشتراكي من الرواد المصريين ومن اوائل الذين تنبهوا الى خطورة التغلغل اليهودي في الحركة الشيوعية المصرية. . فكان جزاؤه الاقصاء التام من المجرى العام لهذه الحركة، وابعاده عن الصحافة مايزيد عن ربع قرن!

● برنامج الحزب الاشتراكي بزعامة احمد حسين.

● برنامج الحزب الشيوعي المصري الصادر عام ١٩٥٠

● كتاب «الجبهة الشعبية» لمحمد جلال كشك الصادر عام ١٩٥١ والذي حكمت المحكمة بمصادرته لدعوته الى قلب نظام الحكم القائم وقتها. . ثم كان من حيثيات تقديمه للنيابة وتوقيفه لمدة عامين في عهد «الثورة»!

اما «مصطفى الحفناوي» فلم يطرح ابدا مطلب التأميم. ولما بلغه به عبد الناصر بالقرار اصابه الهلع وقال لعبد الناصر: «انه يسمع باذنيه ازيز الطائرات التي ستهجم علينا»[5]

على اية حال كان ابعد نظرا او اصدق توقعا من عبد الناصر. ولكن عبد الناصر كان اكثر وطنية واجدر بالزعامة عندما اتخذ قرار التأميم.

تاميم القناة. . اذن، كان مطلبا وطنيا مصريا، بل وعلى رأس الاماني المصرية. . وعبد الناصر كان مصريا وطنيا وقائدا وزعيما عندما اتخذ هذا القرار، الذي لاينتقص من شأنه، الغزو الانجلو ـ فرنسي. حتى ولو انتصر الغزاة واستردوا القناة، بل واحتلوا مصر، لفاز عبد الناصر بمكانة وتقدير المصريين «لأحمد عرابي» ـ على الاقل ـ فالوطنية ليست جائزة تمنح للمنتصرين وحدهم.

ولاينتقص من قدر عبد الناصر انه كان متأكدا من دعم الامريكيين[6]، اوحتى كان على اتفاق معهم، فإن الزعيم الوطني مطالب بالتحرك في ظل مظلة دولية لصالح وطنه، تزيد

احتمالات الانتصار وتقلل حجم الخسائر.

وقد دبرت عملية التأميم باحكام ، واخفيت عن الاطراف المعنية اي الشركة والانكليز والفرنسيين، ونفذت بابداع ودون خسائر على الاطلاق، وأديرت ببراعة فائقة بعكس توقعات المخرف الانجليزي الذي جعل بريطانيا تراهن بعض الوقت على عجز المصريين عن ادارة القناة . . ونلاحظ ان عملية الاستيلاء على شركة القناة ومكاتبها ومعداتها وادارتها تمت بأشراف ضابط مهندس لا من مجلس قيادة الثورة ولا من الضباط الاحرار البارزين ولا من الجهاز الحاكم . . ولأمر ما لم يعهد عبد الناصر بمهمة بهذا الحجم للقوات المسلحة تحت اشراف عامر وشمس كما سيعهد لهما بعد ذلك بالاتوبيس ! . . ولا الى كمال الدين حسين أو بغدادي أوحسن ابراهيم . . وانما اختار واحدا وقعت عينه عليه بالصدفة خلال «حفل افتتاح خط انابيب البترول بين السويس ومسطرد ويوم ٢٣ يوليو! . . » وكان اختياره موفقا وياليته عرف من هذه التجربة ان الكفاءات الحقيقية توجد «ايضا» خارج الصفوة المختارة! . .

ياليته اختار ضابطا بمحض الصدفة وكلفه قيادة معركة سيناء . . اذن لكانت النتيجة افضل! اذ يستحيل أن تكون اسوأ مما حصل!

ومرة اخرى يعزز رأينا في أن «القرار» وليس الفكرة كان ابن يومه ، ومفاجئا وانه لم تتح الفرصة لدراسته دراسة كافية . انه لم تتخذ اجراءات مثل سحب جانب مهم من الارصدة المصرية في بريطانيا وامريكا . . (١١٢ مليون جنيه استرليني في بريطانيا + ٦٠ مليون دولار في امريكا تم تجميدها فورا التأميم) وكان يمكن اصدار الاوامر الى أربع مدمرات مصرية بالخروج من الموانى البريطانية حيث كانت وحجزتها الحكومة البريطانية بعد التأميم .

وعلى اية حال هذه تفاصيل ، ويمكن القول أن الحرص على المفاجأة كان يستلزم المخاطرة حتى ولو لم يكن هذا بالذي يثير شكوك الانجليز لأن الجو كان متوترا ولم يكن يخطر ببالهم فكرة التأميم .

والقضية التي سننتقل اليها الآن ، هي اثبات دور «الكارت» الامريكي في نجاح عملية التأميم وهزيمة بريطانيا وفرنسا . . فقد خاضت الولايات المتحدة كما سنرى «معركة» ضد بريطانيا وفرنسا على جميع المستويات وراء الكواليس وامام منبر الأمم المتحدة ، وفي المؤتمرات الصحفية وفي اجتماعات حلف الاطلنطي ، وفي المظاهرات الانتخابية ، وتعاونت مع الاتحاد السوفيتي لأول مرة منذ قيام اسرائيل ، تعاونا مثيرا ولكن لايجوز ان نحمل التناقض الامريكي ـ البريطاني ، وحده ، الفضل في النصر المصري ، ولا ان يكون هذا الدور الامريكي سببا في انتقاص دور القوى المحلية الوطنية . . فهذه التناقضات بين الدول الكبرى هي مجرد عامل مساعد ، مهما كانت أهميته ، أما النتيجة الحاسمة والدائمة فتقررها

العوامل المحلية. فالتـاقض العالمي لاينصر من لايريد أن ينتصر. .

كان لابد من شجاعة عبد الناصر أومخاطرته، لاتخاذ القرار بالتأميم، وكان لابد من كتمان الأمر عن الانجليز والشركة. . ثم كان لابد من نجاح الادارة المصرية في تسيير القناة في الفترة ما بين التأميم والغزو. ولو حدث أن تعطلت الملاحة أوسُدت القناة، أو انهارت الادارة الجديدة، لضعفت الاوراق المصرية، بل ولضعف موقف امريكا. .

ولو حدث ان سقطت الاسماعيلية والسويس أو ظهرت في بور سعيد ومنطقة القناة حركة عميلة متعاونة مع الغزاة، أو لو وقع انقلاب في القاهرة، وقد كان ذلك ممكنا جدا واعضاء مجلس الثورة يهربون أولادهم، وخياراتهم ما بين ابتلاع السم أو التسليم للسفارة البريطانية!! لو حدث ذلك لانهار كل شيء، ولأسقط في يد الأمريكان، واضطروا – كما كان الانجليز يخططون– لقبول الأمر الواقع،أي قسمة جديدة للشرق الاوسط بشروط افضل للانجليز والفرنسيين والكف عن «طردنا من المنطقة قبل الاوان».

ولكن الوطنية المصرية العريقة، تسامت فوق احزان ومآسي واخطاء وتنكيلات أربع سنوات وكشفت عن معدنها الاصيل في اللحظات المصيرية، والتفت حول عبد الناصر، حول مصر التي كان يمثلها عبد الناصر في تلك اللحظة. ولم تهتز شعرة في مضري والطائرات تضرب القاهرة، والمظليون يهبطون في بور سعيد. والمصريون يرون احداثا من خارج عالمهم. . وغزوا تقوم به اضخم امبراطوريتين. . وقوات دولتين كان اسم احداهما يثير الرعب في آسيا وافريقيا، وانذار منها يكفي للاستسلام!. .

فالاعتماد على القوى العالمية، أووضعها في الحساب، ممكن، بل وضروري احيانا، شرط أن يكون واضحا أن الكلمة الحاسمة هي للقوى الذاتية أو المحلية. .

وبنفس القوة لايجوز ان نزور التاريخ ونتعامى عن الحقائق، مما يؤدي الى الجهل والتجهيل ليس فقط بتاريخنا بل لحسابات المستقبل. . ومن ثم فعندما يصر هيكل على أن امريكا كانت الشريك الرابع لبريطانيا وفرنسا واسرائيل «في معركة القناة. . » وهو من هو. علينا ان نتحسس رؤوسنا ونتساءل ماذا يقصد. . ؟ وماذا يريد فعلا أن يُخفي بهذا التزوير المفضوح. .

ان عداء أمريكا لمصر واضرارها بمصر اكبر واوضح من أن يحتاج لتزوير ويكفي دورها في قلب انتصارنا الوحيد على اسرائيل في عام ١٩٧٣ الى هزيمة. . وان كل مصري قتل منذ ١٩٦٧ الى كامب ديفيد قتل بدولار امريكي وسلاح أمريكي وربما يهودي أمريكي مرخص له بالقتال في جيش اسرائيل مع الاحتفاظ بجنسيته الامريكية، وان المواطن الامريكي تقتطع من ضريبته أية مبالغ يتبرع بها لجيش اسرائيل الذي يقتل المصريين، ويسد طريق مستقبلهم، بل ويدمر فرصتهم في هذا المستقبل.

نحن لانحتاج الى تزوير التاريخ اذن لنكره الاستعمار الامريكي . . ولكن «هيكل» وامثاله يريدون أن يخفوا حقيقة يفزعهم ظهورها وهي أن المصالح الامريكية والروابط الامريكية كانت موجودة وملتقية ومتفقة مع السياسة الناصرية في الفترة من ١٩٥٢ وربما الى ١٩٦٥ بدرجات متفاوتة، ومع استمرار تباعد محوري التلاقي، الذي بدأ ملتحما في ١٩٥٢ ووصل ذروة التعانق في ١٩٥٦ في معركة القناة . . ثم بدأ في الانفراج والتلاقي المضطرب الى أن تمت القطيعة في ١٩٦٥ . .

اما فريق الماركسيين فهم يريدون من ناحية تغطية خطيئة تعاونهم بل فنائهم في النظام الناصري، ومن ثم يزعجهم الاعتراف بأنهم حلوا تنظيماتهم استجابة لمطالب نظام بدأ مع الامريكان . . كما يرون ـ عن حق ـ ان ابراز الدور الامريكي في معركة القناة، يقلل من اسطورة الانذار الروسي ، ومن التأييد الحقيقي الذي قدمه ، الاتحاد السوفيتي لمصر والذي لم يكن ليحقق اكثر من الذكرى الطيبة لولا الموقف الامريكي ، ومن ثم فهم يخفون الموقف الامريكي لأسباب روسية . .

وهكذا نرى مؤلف مسلسل «ثورة ٢٣ يوليو» يتحلى بحياء العذراء الحامل وهو يحلل الموقف الامريكي قائلا : «ولكن السياسة الامريكية لم تكن تجاري حدة الرغبة الفرنسية والانجليزية في الوصف (هكذا وربما كانت صحتها العنف العصف وفسدت من الاضطراب في نفسية الكاتب وهو يعرف أنه غير صادق مع نفسه أو عاجز عن فهم الموقف ج) بجمال عبد الناصر لاقتراب موعد الانتخابات الامريكية وحرص ايزنهاور على عدم الدخول في مناورات تعرض موقفه الانتخابي للضعف»

ما تأثير عبد الناصر في الانتخابات الامريكية؟!

بالعكس ان جميع الدراسات والتحليلات تؤكد ان ايزنهاور خاطر بتحدي قوى لها وزنها في الناخبين بتأييده عبد الناصر في معركة القناة . . ومعارضة بريطانيا وفرنسا . . واسرائيل بالذات . . وما زال يضرب به المثل، على ان «اللوبي اليهودي» ليس بالقوة الحاسمة في الانتخابات الامريكية ، ـ كما هو الشائع ـ اذا ما وجد رئيس امريكي قوي ، يتبنى مصالح امريكا الاساسية والحقيقية . . تلك المصالح التي كانت تتفق تمام الاتفاق مع طرد بريطانيا وفرنسا من المنطقة في ذلك الوقت . وقد راهن ايزنهاور على «اصحاب المصالح الحقيقية» الذين كانوا مع انتزاع القناة من الاستعمار القديم كتصفية اخيرة لهذا الاستعمار في شرق البحر الابيض وازالة سيطرته على ممر حيوي عالمي ، وممر أساسي للنفط الامريكي ـ

ويظهر تهافت محاولات هيكل عندما يحاول تفسير الموقف الامريكي بأنه كراهية شخصية بين دلاس وايدن فيقول : «كان ايدن لايثق بدلاس ، بل كان يكرهه ، وكان الشعور بين

الاثنين متبادلا»

ولن نقول ان سياسة الدول الكبرى لا توجهها الامزجة الشخصية، بل سنقدم الأدلة على ان دلاس بالذات كان اكثر الامريكين قربا للموقف البريطاني، واكثرهم تحمسا ضد عبد الناصر وانه ما افلت مرة من قبضة «الجهاز الامريكي» الا ولخبط السياسة الامريكية بتعاونه مع الانجليز والفرنسيين!

ويعود هيكل فيعلن حيرته:

«كان موقف الولايات المتحدة الامريكية في مناقشات مجلس الامن باعثا على الحيرة، فالولايات المتحدة كانت تتبنى مواقف بريطانيا وفرنسا المعادية لمصر ولجمال عبد الناصر، ولكنها كانت تحاول افراغ المواقف من احتمال استعمال القوة المسلحة، لأن ذلك قد يؤدي الى تصادم بينها وبين الاتحاد السوفيتي ثم انه كان يسيء اليها عربيا ودوليا أن تؤيد عملية عسكرية يحركها منطق القرن التاسع عشر، ويحكمها اسلوب «دبلوماسية مدافع البوارج»

وهذا تزوير ومحاولة خبيثة لتبرئة ساحة الامريكان من الاطماع واستعمارية القرن التاسع عشر ودبلوماسية البوارج.. وأي صورة انبل للموقف الامريكي من أنه كان منطلقا من «الحرص على السلام العالمي» ورفضا لدبلوماسية البوارج!

والولايات المتحدة لم تتردد في المخاطرة بحرب عالمية في كوريا قبل سنوات، بل وكان الشبح المخيم على عملية التأميم هو الخوف من دبلوماسية البوارج التي استخدمتها امريكا ضد غواتيمالا.. حتى فقد عبد الناصر اعصابه وقال لاحد زواره «هل ستحدثني انت أيضا عن غواتيمالا»؟!

فأحدث نموذج لدبلوماسية البوارج ومنطق القرن التاسع عشر كان النموذج الامريكي..

الولايات المتحدة لم تكن تخشى أو تتوقع صداما مع الاتحاد السوفيتي في مصر، فلم يكن المطلوب منها أن تتدخل عسكريا، حتى تتوقع مجابهة مع روسيا، بل كان يكفي ان تترك الانجليز والفرنسيين يقومون «بالمهمة القذرة» وما من دليل واحد على ان الاتحاد السوفيتي كان جادا في إستخدام القوة ضد بريطانيا وفرنسا في معركة القناة.. وانما كان الأمر كله تصعيد في المواجهة السياسية، والانذار السوفيتي اياه لم يقدم الا بعدما تأكد أن الولايات المتحدة معارضة للتحرك الانجلو- فرنسي بكل قواها، بل وبعد ان نجح هذا الموقف الامريكي في انهاء العمليات العسكرية.. وهذا كلام عبد الناصر نفسه ولا يفتي هيكل وعبد الناصر في المدينة.. أو هكذا المفروض.

ولو كان الغزو الانجلو- فرنسي، يخدم المصالح الامريكية، لما ترددت الولايات المتحدة في دفع بريطانيا وفرنسا لاستخدام القوة المسلحة، ويكفيها الاستنكار أو اتخاذ موقف سلبي

لشل الاتحاد السوفيتي، وهي لم تتردد في استخدام القوة المسلحة في غواتيمالا . . ثم ارسلت البوارج الى لبنان مع انذار بتدمير مصر اذا ما تعرضت لسلامة جندي امريكي واحد، وايدت النزول البريطاني في الاردن عندما لاح خطر الوحدة العربية الحقيقية (١٩٥٨) ولم تهتم بمخاطر حرب عالمية ثالثة. ولا نطق الاتحاد السوفيتي بحرف! فهو يعرف جيداً متى يصمت ومتى يحلو توجيه الانذارات. ونفس الشيء في حرب ١٩٦٧ والاتحاد السوفيتي يرى انهيار كل استثماراته في العالم العربي، على يد اسرائيل الغازية وتحت المظلة الامريكية، فلم يحرك ساكنا . .

هذا المنطق الهيكلي يهدف الى اخفاء علاقة الناصرية بالامريكان في هذه الفترة، ويهدف اكثر الى تبرئة ساحة الامريكان من النزعات الاستعمارية . . اما التفسير الصحيح، فهو أن الولايات المتحدة كانت تريد وراثة الشرق الاوسط بتصفية الاستعمار القديم، واخضاعه للاستعمار الجديد، وما كانت لتسمح بعودة الاستعمار القديم . . وهدم كل ما حققته امريكا في ١٣ سنة منذ رحلة روزفلت الى العالم العربي . . وهذا ما قاله شبيلوف لمحمود فوزي: «الامريكيون يريدون الحلول محل الانجليز والفرنسيين»[٧] وما قاله سلوين لويد «يريدون طردنا من المنطقة قبل الاوان»

ولكن الفكر المتأمرك والمتمركس يلتقيان في نفي شبهة المصلحة الاستعمارية عن الامريكان تحت غبار سب الولايات المتحدة واتهامها بالتآمر والخداع . . الخ وفي النهاية نجدها طاهرة الذيل، عارضت العدوان حماية للسلام العالمي، أو لاجل كسب انتخابات الرئاسة أو رفضا لدبلوماسية البوارج . . ! وينسى الماركسي ما قاله شبيلوف، ويخفي المتأمرك شهادة سلوين لويد والوثائق الامريكية ذاتها . .

نقف اولا امام نصين من مذكرات «سلوين لويد» يبدو فيهما شديد البراءة أو البلاهة في محاولة مفضوحة لستر الحقيقة . . فهو يعلق على خطاب عبد الناصر يوم التأميم:

«في ٢٦ يوليو بالاسكندرية، كانت بريطانيا هي الهدف الرئيسي لهجومه، مع أن امريكا هي التي وجهت الصفعة. وهذا التركيز على بريطانيا يثبت ان الخطاب كان معدا منذ وقت طويل».

ويمكن القول إنه كما كان التأميم مجرد تعلة للقرار البريطاني المسبق بضرب مصر وعبد الناصر، فإن سحب تمويل السد العالي كان ايضا مجرد حجة بالنسبة لقرار التأميم المسبق.

والصدام البريطاني ـ الناصري سابق على التأميم، وسلوين لويد هو الذي قال «يجب ردع عبد النصار اذا كنا نريد بقاء نفوذ بريطانيا في الشرق الاوسط وشرق افريقيا»[٨].

فالقضية لم تكن اسهم بريطانيا في شركة قناة السويس، بل الوجود البريطاني كله في الشرق الاوسط وشرق افريقيا . . وعبد الناصر اخرج الانجليز من مصر والسودان،

وسلوين لويد قد نسب لعبد الناصر ـ وهذا صحيح الى حد كبير دون اغفال الحركة الوطنية الطبيعية المتصاعدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي فجرها قرار حكومة الوفد بالغاء المعاهدة، ثم تأميم مصدق للنفط الايراني ـ كل متاعب بريطانيا، وكل الاذلال الذي نزل بها من طرد غلوب، الى القاء التراب في وجه سلوين لويد، واختفائه في البحرين حتى امكن تهريبه ليلا الى المطار! . . والسفير البريطاني في مصر كتب لوزير خارجيته (لويد) قبل التأميم يقول: «في حياتي لم أقرأ سبا واهانة لبريطانيا مثل المنشور في الصحافة المصرية خلال الشهور الاخيرة».

وسلوين لويد هو الذي قال ان «عبد النصار هو العدو الأول لبريطانيا» . . وكل عملاء بريطانيا في المنطقة كانوا يجأرون بطلب ضرب عبد الناصر، والا فإن سلطتهم بل حياتهم مهددة بالخطر طالما ظل رعاياهم يسمعون هذا الصوت العربي يسب بريطانيا وبين حكومتها، ويسجل عليها الانتصارات ولو بالخطب ويبقى سليما بل وتزداد مكانته ويخطب وده . . وهم ـ كما يعرف رعاياهم ـ يلعقون احذية الانجليز.

مستحيل . . .

ولذلك فإن قرار المواجهة كان سابقا على التأميم. والمنطقة لم تكن تتسع لعبد النصار والاستعمار البريطاني بصيغته القديمة، وعملاءه من طراز نوري السعيد والمنتصر واسكندر ميرزا . . وعبد النصار كان يعرف انه لايستطيع التوقف عن تصفية الوجود البريطاني. ومن ثم فلا غرابة في ان تكون بريطانيا هي المستهدفة في خطاب الاسكندرية (١٩٥٦/٧/٢٦) وان تتخذ بريطانيا على الفور قرارا بالغزو . . اي الوصول بالمواجهة الى الذروة.

والنص الثاني يقول سلوين لويد فيه: «الذين يقولون ان السويس كانت مزلقا في تاريخنا، لأننا تصورنا ان بريطانيا تستطيع أن تتصرف عالميا بارادتها المنفردة، يخطئون. فنحن لم نكن نجهل حقيقة وضعنا اما الخطأ الوحيد الذي وقعنا فيه، فهو اننا لم نتوقع ابدا الاجراءات التي يمكن أن تتخذها الولايات المتحدة ضدنا، فقد كنا تحت تأثير صداقتنا مع ايزنهاور خلال الحرب، ونعتقد ان خلافاتنا تدور في نطاق العائلة، ولا يمكن أن تصل إلى حد تحطيم الروابط العائلية. فلم يخطر ببالنا ابدا أن الامريكان يمكن الا يقفوا في صفنا أو على الاقل يتخذون موقف الحياد الودي»[9]

وقد يبدو وزير خارجية بريطانيا هنا مغفلا . . وهو الذي يعرف بالانقلابات المضادة التي دبرتها بريطانيا وامريكا ضد بعضهما في سوريا، وبالخلاف حول «البوريمي» الذي رفض الانجليز مجرد الحديث فيه، وفي مواجهة ايزنهاور شخصيا! . . وهو الذي اشار الى العداء والتنافس الامبريالي مع الامريكان في اكثر من موضع كما ترى . . قد يبدو مغفلا تماما وهو يتحدث عن «الخلاف العائلي» ولكن الحقيقة، ان السياسة البريطانية اخطأت الحسابات،

اذ راهنت على توريط الامريكان أو فرض الأمر الواقع عليهم . . في ظل قواعد الصراع داخل عائلة «حلف الاطلنطي» أو العالم الحر كما كانوا يسمون انفسهم، والتي تقتضي عدم الضرب تحت الحزام، وحفظ مظاهر «التضامن»

بريطانيا كانت تعرف انها تقاتل في حرب القناة، معركتها الأخيرة للبقاء في المنطقة ومنع الامريكان من «اخراجهم منها قبل الاوان» والذي تجلى في زيارة روزفلت لمصر واجتماعه بالملك فاروق الملك عبد العزيز، وملاحقة تشرشل له على نحو كوميدي . . ثم تصريح ترومان عن فتح باب الهجرة لفلسطين، ثم اخراجهم من فلسطين وسياط اليهود على مؤخرتهم، وما من قوة كانت تخرج بريطانيا من فلسطين الا الضغط الامريكي . . ثم الضغط عليهم لقبول الجلاء عن مصر والتخلي عن السودان الذي كان الانجليز لا يفكرون في قيام حكم ذاتي فيه تحت اشرافهم قبل عشرين سنة! . . كانت بريطانيا تحلم بضرب أو وقف هذا الزحف الامريكي باعادة احتلال مصر، ووضع الامريكيين أمام الأمر الواقع، فيضطرون الى «الحياد» أو حتى التأييد اللفظي . . في انتظار جولة اخرى . . ولكنهم اخطأوا الحساب، فالوضع لم يكن بالسوء الذي ظنوه بين الروس والامريكان . . والولايات المتحدة لم تكن اقل منهم وعيا بأهمية الوجود البريطاني في قناة السويس، أو بالاحرى مصر . . كما كانوا على وعي بضعف بريطانيا وفرنسا، وعجزهما عن اتخاذ اجراءات انتقامية ضد الولايات المتحدة او حتى حلف الاطلنطي، وقد رفض اعضاء مجلس الوزراء البريطاني حتى التعليق على اقتراح سلوين لويد بعد الهزيمة، بالانتقام من امريكا ببناء اوروبا المستقلة .

لهذا لم يتردد الامريكان في العمل علنا على افشال الغزو البريطاني، ولم يهتموا حتى بشكليات العلاقة العائلية؟! . .

وكان هذا من حسن حظ مصر والامة العربية وعبد الناصر بالطبع . .

اما من ناحية الامريكان فهم ايضا في البداية لم يتوقعوا أن تكون ردة الفعل البريطانية بهذا الحجم . . أو كما يقول سلوين لويد : «وفي اعتقادي انه في ٢٧ يوليو بدا لكثير من الامريكيين ان (التأميم) مجرد صفعة لمؤسسة استعمارية عجوز. ولم يكن يعنيهم أي اجراء يحسن وضعنا مع الدول العربية، أو يدعم مركز فرنسا في الجزائر . وكان ايزنهاور يكن شعوراً متناقضا نحو بريطانيا بحكم روابط فترة الحرب، ومن ناحية اخرى تسيطر عليه كراهية عميقة متأصلة لسجلنا الاستعماري»[١٠]

ورغم مرور ربع قرن فإن الوطني المصري يحس برعشة اللذة وسليون لويد يبكي . . يقول :

«سجل مورفي (روبرت) - وهو اكثر دبلوماسي امريكي استقامة واعتدالا واتزانا تعاملت

معه ـ في كتابه المناقشات التي درات في واشنطن يوم الجمعة ٢٧ يوليو بعد خطاب عبد الناصر (التأميم ج) فقال ان دلاس كان في «بيرو» ، فاجتمع ايزنهاور وهربرت هوفر الابن وكيل وزارة الخارجية ومورفي، اجتمعوا لبحث ما حدث. وقد كتب مورفي أن ايزنهاور لم يكن مهتما كثيرا ولم يفكر احد في أن الامر يحتاج استدعاء دلاس، فالشرق الاوسط لم يكن يعتبر ذا اهمية أولوية للولايات المتحدة (؟؟!!ج) والاستثمارات الامريكية في شركة قناة السويس لاتذكر. بل كان بوسعي ان اسمع هوفر[١١] يقول ذلك (!) . . وتقرر أن يذهب مورفي الى لندن ليرى ما هذه الضجة، وعلاما . . وليسيطر على الوضع . . »

«وهكذا بعد ستة اشهر من حواري مع دلاس حول ناصر[١٢] والخطر في الشرق الاوسط، فإن هذه اللامبالاة من جانب ايزنهاور كانت كافية لدفع المرء للبكاء».

سلامة قلبك يا خواجه لويد . . السياسة هكذا . . قطع قلبه الامريكان!

وهذا الذي يسميه «سلوين لويد» «لامبالاة امريكية» بالشرق الاوسط يطرح له «مورفي» تفسيرا آخر ذكره في كتابه «دبلوماسي بين محاربين» عندما قال: «كان ايزنهاور مصمما على ألا تستخدم الولايات المتحدة كمخلب قط لحماية امتيازات بريطانيا النفطية «ويعلق سلوين لويد على هذه الفقرة بقوله: «وكان هذا هو الموقف الذي حز في نفوسنا»!!

ويعود فيقول انه رغم جهوده في توضيح «خطورة عبد الناصر» الذي اذا لم يردع فإنه يستطيع ان ينزل الدمار بمصالح الغرب. «الا ان ايزنهاور وقتها كان متأثرا بمشاعره المعادية للاستعمار وبتحيز «هوفر» ضد الامتيازات (البريطانية ـ الفرنسية) في الشرق الاوسط».

وقد اجتمع حلف الاطلنطي وحرصت الولايات المتحدة على عدم الاشتراك فيه على مستوى وزير الخارجية، بل ارسلت موظفين عاديين يقول سلوين لويد انهم لم يتحدثوا ولا علقوا . . واستطاعت بريطانيا وفرنسا انتزاع قرار من حلف الاطلنطي بعدم دفع الرسوم لمصر والتزم بالقرار بريطانيا وفرنسا (وهما من الاصل يدفعان خارج مصر) وهولندا والنرويج والمانيا، ولكن امريكا نسفت القرار، فقد رفضت تنفيذه او الالتزام به، واعلن دلاس «ان قناة السويس لا تحتل مركزا رئيسيا من اهتمام الولايات المتحدة».

وكان هذا بالطبع اول تأييد علني لعبد الناصر، ففيه اعتراف بالتأميم، وفيه تتفيه للهستيريا الانجلو ـ فرنسية التي كانت تصرخ بأن هتلر مصر وضع أصبعه على القصبة الهوائية للغرب . . الخ فجاء دلاس يعلن ان امريكا غير مهتمة بالموضوع بل وسمحت الحكومة الامريكية لرعاياها بالعمل كمرشدين في قناة السويس المؤممة، بعدما أمرت الشركة الاستعمارية مرشديها بالانسحاب بأمل تعطيل القناة، وكانت «مشكلة» المرشدين تصور وقتها وكأنها جوهر المعركة . . وانها تحتاج لخبرات هائلة يستحيل توفيرها . . وهو تصور ثبت انه مبالغ فيه ولكنه جعل مصر تطلب من كل اصدقائها امدادها بالمرشدين،

فجاءوا من روسيا ويوغوسلافيا واليونان . . وامريكا . . وعمل المرشدون السوفيت والامريكان جنبا الى جنب، وهو تعاون لم يشهد العالم له مثيلا الا عند قيام دولة اسرائيل، ومكافحة شلل الأطفال! وستتسع دائرة هذا التعاون في الامم المتحدة والانذارات لحسم مستقبل الشرق الاوسط، ووضعه تحت هيمنة العملاقين حقا، لا تاريخيا!!

وقد تجلت «لامبالاة» الامريكان في دعوتهم لدفع الرسوم لمصر. . وردا على هذه «اللامبالاة»، اتخذ الانجليز تكتيك «تخويف» الامريكان واقناعهم بأنهم جادون في استخدام القوة لاجبارهم على الدعم أو الضغط على عبد الناصر ولما تأكد الامريكان ان الانجليز (والفرنسيين) مصممون على اللجوء الى السلاح . . اتبعوا معهم تكتيك كسب الوقت، على قناعة بأنه كلما مر الوقت، واكتشف العالم ان القناة تعمل كما كانت بالنسبة لدورها كممر عالمي، وشريان النفط والتجارة لغرب اوروبا، مع الدعاية الامريكية والروسية، والانقسامات الحزبية داخل فرنسا وبريطانيا، فإن مبررات استخدام القوة ستتناقص وكذلك التأييد لها من قبل الأمن العام الاوروبي . .

وهذا ما يفسر تاكتيكات الطرفين في الفترة من التأميم الى مجلس الأمن . . مع حرص الامريكان على تقوية المعارضة لقرار استخدام القوة بالتأكيد على انفصال الموقف الامريكي وتناقضه مع الموقف البريطاني ـ الفرنسي، وايضا الحرص على دعم موقف عبد الناصر ضد أي ضغوط بريطانية ـ فرنسية . .

«في لندن ابلغهم مورفي ان الرأي العام الامريكي غير مستعد لقبول فكرة استخدام القوة. وانه يعتقد ان السفن الامريكية يجب أن تدفع الرسوم لمصر . . فهي رهينة».

وينفي سلوين لويد ما يقال عن «نجاح مورفي في كبح جماحنا» . . وهو يغالط . . فهو لم ينجح في «منعهم» ولكن أخر الاجراء عندما نقل الى ايزنهاور الجو المحموم في لندن، والحديث عن الحرب، وعندها تقرر أن يرسل دلاس الى لندن فورا . . وشعر الانجليز بالرضا عن النفس لأنهم نجحوا في «تخويف» الامريكان واثارة اهتمامهم. وسجل «ماكميلان» في يومياته يوم ٣١ يوليو ١٩٥٦ : «يبدو أننا نجحنا من خلال افزاع مورفي، الذي لابد أنه رفع تقريره بالروح التي أردناها. لأن فوستر دلاس قادم الآن على عجل. وهذا تطور مهم جداً . » وبعدما قابل ماكيلان دلاس كتب في يوميات أول اغسطس ١٩٥٦ يقول: «يجب أن نبقي الامريكان خائفين، يجب الا نترك لديهم أي وهم . . وعندها سيساعدوننا في الحصول على ما نريد دون حاجة لاستخدام القوة».

موقف القاء ماء بارد على الازمة الذي لجأ اليه الامريكان في البداية لم ينجح . . وأيضا لم ينجح الانجليز في ارهاب أو اخضاع الامريكان، وان نجحوا في اثارة قلقهم، ودفعهم الى تغيير خطتهم، فأرسلوا «دلاس» نفسه وبخطة واضحة هي المماطلة وكسب الوقت، ومنع

«الحلفاء» من التصرف أو اللجوء الى الحل الوحيد الذي يعيد لهم ما فقدوه في الشرق الاوسط . . وهو «دبلوماسية البوارج» .

وهذا ما سجله «سلوين لويد» نفسه بعد عشرين سنة عندما قال : «كان واضحا ان «دلاس» يلعب لكسب الوقت» . .

طار «دلاس» الى لندن يوم ٣١ يوليو، وحضر في اليوم التالي الى وزارة الخارجية البريطانية وسلم رسالة «لايدن» من «ايزنهاور» اعترف فيها أنه قد يكون من الضروري استخدام القوة لحماية الحقوق الدولية، ولكنه يأمل أن يتمكن مؤتمر الدول الموقعة لاتفاقية ١٨٨٨ والدول البحرية الأخرى من تحقيق الضغط المطلوب على المصريين من أجل ضمان كفاءة تشغيل القناة في المستقبل . واكد على خطأ الاصرار على استخدام القوة في الوقت الحاضر. اما اذا تدهور الوضع الى الحد الذي يتحتم فيه استخدام القوة، فسيلزم دعوة الكونغرس قبل استخدام القوات الامريكية العسكرية. على ان يقتنع الكونغرس بأن كل الوسائل السلمية لحل الصعوبات قد استنفدت . واضاف انه فهم من الرسائل التي ارسلها له ايدن و ماكميلان أن قرارا باستخدام القوة قد أقر بالفعل من جانب الحكومة البريطانية وانه لانهائي ولا رجعة فيه. ولكنه (ايزنهاور) يأمل اعادة النظر فيه ولذلك ارسل «دلاس» الى لندن . »

ويضيف «سلوين لويد» : «لم اصدق أن دلاس، فكر لحظة واحدة، اننا سنستخدم القوة في الحال، ولذلك كان تناوله للموضوع معقولا، فقد قال انه لابد ان «يطفح» عبد الناصر القناة التي ابتلعها ، وانه لايعقل ان تخضع القناة لسياسة دولة واحدة بدون رقابة دولية. ولابد من اكتشاف وسيلة لاجبار عبد الناصر على تسليم القناة، ولكن القوة يجب أن تكون آخر وسيلة. وان كانت الولايات المتحدة لا تستبعدها، اذا ما استنفدت كل الوسائل الاخرى. . «ولكن لما انتقلنا الى مناقشة التفاصيل، كان واضحا أنه يلعب على كسب الوقت، فقد كان يعتقد ان المؤتمر سيحتاج لثلاثة اسابيع للاعداد له. ولم يكن يتصور انه يجب ان ينعقد في لندن او باريس او وشنطن. . وكان متشككا في جدوى اصدار بيان ثلاثي عقب محادثاتنا هذه. اما عن عضوية المؤتمر فكان مصمما على دعوة الدول الموقعة على اتفاقية ١٨٨٨ الى جانب آخرين».

جاء «دلاس» لكسب الوقت والمماطلة، وهذا يتطلب بالطبع بعض التأييد اللفظي، وان كان قد قاوم الى آخر لحظة اعلان ذلك في بيان ثلاثي، وكانت «اللعبة» التي جاء بها هي اقتراح مؤتمر لندن، بأمل أن يستغرق الاعداد له والخلاف حول المقر، والدول المشتركة، وبرنامج العمل، ورئاسة المؤتمر[١٣] . . ثم الخطب بداخله . . ما يكفي من الوقت لتبريد الانفعال البريطاني، كذلك دق دلاس أو الدبلوماسية الامريكية، إسفينا ممتازا في المؤتمر

بالاصرار على دعوة الدول الموقعة لاتفاقية ١٨٨٨ وهذا يعني، كما فهم الانجليز، دعوة روسيا، التي وقعت هذه الاتفاقية عام ١٨٨٨ بينما كان الانجليز يريدون المؤتمر اذا كان ولابد من مؤتمر قاصرا على الدول الغربية، أو الدول التي تعتمد اساسا على القناة، وهذا يستبعد روسيا المؤيدة لعبد الناصر. وهذا الاصرار الامريكي على تمثيل روسيا في مؤتمر لندن مؤشر مهم لفهم دبلوماسية المرحلة لمن أراد أن يفهم..

واذا كان «دلاس» قد سقاهم من طرف اللسان حلاوة، بالحديث عن «تطفيح» عبد الناصر القناة والبحث عن اسلوب يرغمه على ارجاعها لهم!.. الا ان رسالة ايزنهاور «المكتوبة» كانت واضحة:

١ ـ الرجوع عن قرار استخدام القوة.

٢ ـ هدف المؤتمر والضغوط على المصريين هو ضمان «كفاءة تشغيل القناة» لا الغاء التأميم ولا «تطفيح» عبد الناصر القناة.. ولا ارجاعها لهم..

ونجحت الخطة الامريكية وبدأ الاعداد للمؤتمر، ولكن الدبلوماسية البريطانية نجحت في تخفيض الوقت الضائع، بل والخروج من المؤتمر بنتائج افضل بكثير مما توقع الامريكان لهم..

وقد لخص سلوين لويد الانطباع البريطاني حول مؤتمر لندن، اوقناعتهم بأنهم كسبوا الجولة ضد الامريكان بقوله:

«بعد انتهاء مؤتمر لندن جاءني دبلوماسي صديق من دول الكومنولث وسألني.. لماذا تركتم زمام القيادة للامريكان.. ففتحت عيناي وهمست لنفسي بالمثل القائل: Art 'est celar artem «أي الفن الحقيقي هو الذي لايظهر الفن فيه» فالحقائق كانت كالتالي:

«١ ـ المؤتمر عقد في لندن، وهو ما كنا نريده ولا يريده الامريكيون.

٢ ـ توليت رئاسة المؤتمر وهو ماكنا نريده ولايريده الامريكان.

٣ ـ دفعنا دلاس الى عرض القرار الثلاثي وهو آخر ما كان يفكر فيه قبل عشرة ايام.

٤ ـ وكانت نتيجة المؤتمر قراراً مرضيا تماما لنا، وبأغلبية ١٨ صوتا من اثنين وعشرين: وهذه النتيجة جاءت بفضل جهد كبير في الاعداد والمعالجة الحذرة للوفود (عملت الدبلوماسية البريطانية والمخابرات البريطانية والضغوط في العواصم المعنية والرشوة عملها وايضا غموض الموقف الامريكي أو على العكس ظهور الوفد الامريكي في مظهر المؤيد للانجليز ج)

انتهى المؤتمر في ٢٣ أغسطس ١٩٥٦ بما يمكن وصفه حقا بانتصار بريطاني ـ فرنسي.. بقرار ضد مصر في شكل انذار تبلغه لجنة دولية تتكلم باسم ١٨ دولة من اثنتين وعشرين!..

وسواء قلنا أن دلاس قد سايرهم كسبا للوقت، فالقرار على اية حال كان للتفاوض وليس

بالحرب.. أو أن الدبلوماسية البريطانية استطاعت تطويقه [14] وزحلقته خطوات اكثر مما تقتضيه لعبة كسب الوقت.. فإن الادارة الامريكية سرعان ما اصلحت الموقف ونسفت كل نتائج مؤتمر لندن..

اندفع «لويد» يضاعف كمية الصابون تحت قدم «دلاس» فابرق اليه يشكره على معالجته الأستاذية لقضيتنا في مؤتمر لندن، واضاف: «تحت قيادتك اعتقد اننا سنحرز المزيد من النجاح».

كان نجاح بعثة «منزيس» يتوقف على قناعة عبد الناصر بحقيقتين: ان بريطانيا وفرنسا مصممتان على استخدام القوة. وان الولايات المتحدة لاتعارض ذلك.. وهذا هو عين ما حرصت الولايات المتحدة على نفيه علنا!

واليك القصة كما يرويها سلوين لويد:

«اجتمع منزيس بعبد الناصر في ٣ سبتمبر (١٩٥٦) وفي اليوم الثاني في مساء ٤ سبتمبر قدم له منزيس الموضوع باسم اللجنة، واستمع اليه عبد الناصر. وكان منزيس قد قرأ في الصحف أن عبد الناصر أبلغ قياداته العسكرية ان الحشود الانجليزية والفرنسية هي مجرد تهويش. فطلب منزيس الاختلاء به، وقال له انه لايهدده، ولكنه يحذره من أنه يرتكب خطأ فادحا، لو استبعد امكانية العمل العسكري.. ورد عبد الناصر انه لايعتبر هذا تهديدا من منزيس وأنه سيضعه في اعتباره. وفي صباح اليوم التالي كانت الصحف تحمل العناوين المثيرة. فقد سئل ايزنهاور في المؤتمر الصحفي عن امكانية استخدام القوة، فرفض ذلك بتاتا وبلاقيد ولا شرط (اي لاحل اول ولا حل اخير ج). وسئل ماذا يحدث اذا رفض ناصر المقترحات الحالية (التي قدمها منزيس) قال (الرئيس الامريكي): عندئذ يجب تقديم مقترحات اخرى، وقال نحن ملتزمون بحل سلمي للنزاع ولاشيء آخر. وهذا بالطبع دمر أية فرصة كان يمكن أن تتاح لنجاح مهمة منزيس».

نجح منزيس في اقناع عبد الناصر أن الانجليز والفرنسيين سيستخدمون القوة ضده، وانه يخاطر بكل شيء اذا لم يقبل مقترحات لجنة ال ١٨.. ووعد عبد الناصر بالتفكير والرد..

وعبد الناصر لايخشى الا استخدام القوة، إذ إن أي وسيلة أخرى لن ترغم مصر على تسليم القناة أو الغاء التأميم أو الانتقاص من فعاليته.. وهنا وقبل أن يتسع الوقت لعبد الناصر للتفكير يهرع «ايزنهاور» الى مؤتمر صحفي علني، يبلغ فيه عبد الناصر بل يلتزم فيه أمام العالم اجمع برفض استخدام القوة مهما حدث، وبالذات اذا رفض عبد الناصر مقترحات منزيس..

وبالفعل «رفض عبد الناصر مقترحات ١٨ دولة في ٩ سبتمبر واقترح تشكيل هيئة

مفاوضات».
لايمكن للمؤرخ حسن النية، ان يستبعد هذا العنصر في افشال مهمة لجنة منزيس، وفشل مؤتمر لندن وسقوط المرحلة الاولى من المخطط الانجلو-فرنسي. وتسمية امريكا «الشريك الرابع» في حرب السويس، وانه كان تقسيم أدوار.. أوخوف من حرب عالمية ثالثة، أولحماية السمعة الطيبة لامريكا غير الاستعمارية.. وغير ذلك من حجج العملاء.. الذين يمارسون لعبة ساذجة، هي مدح امريكا في صيغة الذم!
انه صراع لصوص، ولما اختلف اللصان فازت مصر بالقناة ولاشيء آخر..
بل تأمل كلمة مندوب الولايات المتحدة في لجنة منزيس امام عبد الناصر كما اوردها هيكل:
«اريد ان اوضح ان امريكا ليست دولة استعمارية. وهذه هي سياستنا المعلنة منذ مدة. ولن نقبل الاشتراك في اية خطة استعمارية. وإني متأكد أنه لوشعرت الحكومة الامريكية ان هذا الحل الغرض منه فرض حل معين على مصر لما اشتركت في هذه اللجنة. وكل ما في الامر اننا نريد حلا سلميا بالمفاوضة يتمشى مع السيادة المصرية».
ولو راجعت كلمات مندوب اثيوبيا وايران لوجدت مندوب امريكا اكثر ثورية.. بل لو كان هذا النص منسوبا لمندوب روسيا لما ظهر فيه كبير اختلاف..
فهو يصنف بريطانيا وفرنسا كدول استعمارية ويبرىء امريكا من هذا الدنس.. ويشير الى خطط استعمارية وهي التي تحاول فرض حل معين على مصر.. ويعلن انه يبحث عن حل سلمي يتمشى مع سيادة مصر ولايشير الى «حقوق» أو ادعاءات اي طرف آخر! حتى تحفظ حرية الملاحة الذي أورده مندوب اثيوبيا لم يتمسك به المندوب الامريكي ولا طرحه!
ويقول «لويد» مرة اخرى والمرارة في فمه ان «ايزنهاور» بعث برسالة الى «ايدن» يوم ٢ سبتمبر (١٩٥٦) يقول له فيها: يجب الا يتخذ اي اجراء عسكري قبل استنفاد جهود الامم المتحدة، فالرأي العام الامريكي يرفض بلامناقشة فكرة استخدام القوة، وخاصة عندما يبدو أننا لم نستنفذ كل الوسائل السلمية التي يمكنها أن تحمي مصالحنا الحيوية. ان استخدام القوة العسكرية ضد مصر الآن قد يترتب عليه نتائج اكثر خطورة من مجرد تجميع العرب حول ناصر».. ويضيف «سلوين لويد» بأن «ايزنهاور» كانت لديه الجرأة أو ان شئت الوقاحة ليقول في رسالته «اننا لسنا غافلين عن حقيقة أن قد لايكون هناك مفر من استخدام القوة».. وذلك قبل ٢٤ ساعة من وصول «منزيس» الى القاهرة ليقدم لعبد الناصر أول مقترحات منذ التأميم، ولكن «ايزنهاور» رغم كل ما قاله (في رسالة لايدن) يقدم على عقد مؤتمر صحفي علني، يعلن فيه رفض استخدام القوة اطلاقا. وهذا التصريح دفع «عبد الناصر» الى رفض دراسة المقترحات. وكذا اشارته الى هيئة المنتفعين والامم المتحدة.

اذ بعد ايام قليلة بدأ «دلاس» يؤخر الحديث عن مجلس الأمن، ويتراجع عن اي دعم سبق تقديمه لهيئة المنتفعين».

كما تسلم «لويد» رسالة من «دلاس» قال له فيها «ان الرأي العام العالمي سيتأثر لغير صالحنا بالانباء التي اصبحت شائعة عن استعدادات عسكرية بريطانية - فرنسية وخطط لاجلاء الرعايا».

«رفض ايزنهاور أن يدعم خطاب دلاس في مؤتمر لندن. ورفض أن يبذل أي جهد لاتهام ناصر بأنه يسعى للمتاعب، بل خفف عنه الضغط في احرج لحظة» (لحظة تقديم انذار ال ١٨ دولة)

«لو أن مسئولا امريكيا بارزا أو اثنين تحدثا «لعبد الناصر» خلال وجود «منزيس» في القاهرة لكان ذلك كافيا لنجاحنا. ولكنهم ضللونا بمشروع جمعية المنتفعين وخانونا كما اكد «مورفي» في كتابه».

اما مشروع هيئة المنتفعين، فقصته انه بعد أن أفشلت امريكا نتائج مؤتمر لندن ومهمة لجنة منزيس، وانذرت وحذرت من اللجوء للقوة، تقدمت بمشروع جديد لكسب الوقت، وهو جمعية المنتفعين. . أي تشكيل جمعية من الحكومات المنتفعة بالقناة، تتولى ادارة القناة وتحصيل الرسوم. وهو الاقتراح الذي قيل ان دلاس خرج به من خلوته في جزيرة «ديوك» وورد في رسالة ايزنهاور. . وقال دلاس على رواية لويد «ان الجمعية ستحصل الرسوم، وهكذا لا يستفيد ناصر من القناة، بل يرى المال يتسرب من يديه (وهو يغني: يارب هل يرضيك هذا الظلم؟ ج) . . وبصرف النظر عن تشويه «لويد» لفكرة «دلاس» أو اقتراحه الا أنه على حق عندما يقول انه كان مجرد كسب للوقت. .

قال «لويد»: «كنت على استعداد لقبول هذا الاقتراح على شرط ان نتأكد اولا ان «دلاس» لايجرجرنا من اقتراح الى اقتراح حتى يصبح من غير الممكن شن عملية عسكرية»

«ان الدافع «لدلاس» لتقديم مشروع جمعية المتنفعين هو ماوضحه «مورفي» في كتابه صفحة ٤٦٧ وهو ان «دلاس» كان يعمل في ظل تعليمات صارمة بمنع التدخل العسكري. ومن ثم كان عليه أن يبتكر مشروعا يؤخرنا، وبالذات عن التوجه لمجلس الأمن» «في ١١ سبتمبر ابلغ «ايدن» مجلس الوزراء البريطاني ان «عبد الناصر» رفض المقترحات جملة وتفصيلا. وان امريكا تعارض بشدة استخدام القوة، كما تعارض اللجوء الى مجلس الأمن. ولذلك لم يبق الا تجربة جمعية المنتفعين ولكن نقطة الضعف في مشروع الجمعية، إنها قد تكون ببساطة، مجرد خدعة من «دلاس» للتأخير»

وقبلت بريطانيا - مكرهة - مجاراة خدعة «دلاس» في جمعية المنتفعين ولكن بتفسيرها، وهو أن الجمعية ستحصل كل الرسوم وذلك وحده يدفع «عبد الناصر» الى رفضها،

والشرط الثاني انها اي الجمعية ستستخدم القوة في فرض فكرتها وهي الاستيلاء على القناة وادارتها، وشق السفن طريقها في القناة رغم ارادة مصر ودون دفع رسوم لمصر. .

ولكن «دلاس» تراجع. . ورفض هذا التفسير. . وابلغ «لويد» أنه يرى أن تدفع جمعية المنتفعين تسعين بالمائة من الرسوم لعبد الناصر ولم تكن مصر في هذا الوقت ـ وبعد التأميم ـ تحصل اكثر من ٣٥٪ بل وأعلن أن جمعية المنتفعين «هذه ولدت وستبقى بلا اسنان. . وان السفن الامريكية لن تشق طريقها بالقوة، بل ستطوف حول رأس الرجاء الصالح اذا ماسدت مصر القناة في وجهها. . ولذا اقترح «هيوجيتسكل» ساخراً أن تسمى «هيئة المنتفعين برأس الرجاء الصالح»!!

يقول لويد «إن المأساة التي لعبت دوراً في احباط المرحلة التالية كانت في تصديقنا ان «دلاس» يتصرف عن حسن نية باقتراح جمعية المنتفعين وليس أنه مجرد طبخ حصى لتعطيلنا»

وهو كذاب لأنه لم يصدق دلاس لحظة واحدة وانما تخادع له. . واستمر الحشد العسكري.

«ان يقترح دلاس تقسيم الرسوم بنسبة تسعين بالمائة لناصر، الأمر الذي سيجعل ناصر يضحك على الدول الغربية ويدعى ـ عن حق ـ انه حقق نصرا كاملا. . جعلني شديد التشاؤم من المستقبل، اذ فيما يختص بموضوع الضغط على ناصر، كانت الولايات المتحدة هي الحلقة المكسورة رغم كلمات دلاس الشجاعة في مارس عن اسقاط عبد الناصر في ستة شهور وتطفيحه القناة على حد قوله في اغسطس».

«لقد خلصنا ايزنهاور و دلاس، ناصرا، من اي قلق من امكانية اتخاذ الولايات المتحدة موقفا قويا ضده. واصبح بوسعه ان يلعب آمنا على التناقض الروسي ـ الامريكي».

وظهر عبد الناصر على التليفزيون الامريكي «وبشر» دلاس «صديقه» سلوين لويد ان عبد الناصر قد «ترك اثرا طيبا»!

ربما قالها له وهو يخرج لسانه!

نجح تكتيك جمعية المنتفعين في تأجيل ذهاب الانجليز والفرنسيين لمجلس الأمن وهو الخطوة قبل الغزو مباشرة في مخطط الدبلوماسية الانجلو ـ فرنسية. . «كنا نهدف الى التوجه لمجلس الأمن في بداية الشهر (سبتمبر) ولكن اضطررنا للتأجيل بسبب اقتراح هيئة المنتفعين. فقد حاولنا ان نلعب بانصاف مع دلاس» وكان دلاس قد وافقهم على اللجوء الى مجلس الأمن اذا مارفض عبد الناصر مقترحات لجنة منزيس، بشرطين: الايعني ذلك التزام الولايات المتحدة باستخدام القوة، وان يكون الذهاب لمجلس الامن بنية شريفة للوصول الى حل».

وهذا يقول عنه الفقهاء تعليق الشرط بمستحيل! فأنى لمثل ايدن وسلوين لويد ومولية

بالنوايا الشريفة؟!

ولكن بعد تقديم اقتراح جمعية المنتفعين، عارض دلاس بقوة في التوجه لمجلس الامن، حتى يحسم أمر جمعية المنتفعين . . ! التي كانت قد بدأت اجتماعاتها يوم ١٩ سبتمبر في لندن وحضره ١٣ وزير خارجية من ١٨ دولة اجتمعت، بل وارسلت كل من نيوزيلندا واستراليا رئيس وزراء سابق، ويعلق سلوين لويد بخبث «اصحابنا كانوا يأخذون الامر على محمل الجد»!

ولكن بريطانيا وفرنسا كانتا تعلمان باللعبة الامريكية، وقررتا أن الوقت قد حان للتصرف المنفرد، وان ذمتيها قد ابرئت . . فتوجها الى مجلس الأمن يوم ٢٣ سبتمبر (١٩٥٦) وردت مصر في اليوم التالي بتقديم شكوى هي الاخرى حول الاجراءات العدوانية . .

وقابل مكميلان ايزنهاور لاستمزاج رأيه في خطوة الذهاب الى مجلس الأمن فحدثه ايزنهاور في كل شيء «ولكنه لم يشر بحرف الى قرار التوجه لمجلس الامن»! واذا كان ايزنهاور قد تعفف عن الحديث في هذا الفعل الفاضح، فإن دلاس كال الصاع صاعين لمكميلان: «لقد توجهتم الى مجلس الأمن دون مشاورة معي . . وأنا احس انني عوملت بشكل سيء» . . «واننا لن نجنى الا المتاعب في نيويورك (الامم المتحدة) واننا نسعى الى كارثة. وكان يتحدث ـ على حد تعبير ماكميلان ـ كمن يحذرنا من دخول بيت للدعارة!» . ويكمل سلوين لويد: «كان من الصعب ان نصدق ان دلاس صادق مع نفسه فهو الذي قال يوم ١٣ سبتمبر في برنامج تليفزيوني اننا يجب ان نحصل على برنامج من الامم المتحدة لحسم الأمر. وقال في جمعية المنتفعين ان حكومة الولايات المتحدة تتحرك سريعا نحو الامم المتحدة وتحدث معي بالتفصيل حول هذا الأمر. . ان دلاس لايمكن ان يثير هذا الغبار، الا لأن «مورفي» كان صادقا عندما قال ان دلاس كان يتصرف تحت تعليمات صريحة من ايزنهاور بمنع التوجه لمجلس الأمن. كانت قناعته هي خطأ هذا التوجيه ولكنه شعر بضرورة الالتزام به».

ونظرة ايزنهاور كانت اصدق لعدة عوامل . . منها ان مجلس الأمن كان آخر اجراء في تبرئة ذمة الانجليز والفرنسيين قبل استخدام القوة . . ولذلك كان يريد منعهم من اجتياز هذه العقبة حتى يستمر في تسليتهم بمشروعات جديدة من طراز جمعية المنتفعين . .

● لأن ايزنهاور كان يعلم ان طرح النزاع في مجلس الأمن سيعطي الاتحاد السوفيتي الفرصة لتقديم «الدعم» الذي يتقنه والذي غذي عليه العرب منذ ذلك التاريخ . . وهو الدعم الأدبي بالتصويت والخطب في الأمم المتحدة، وهي دعاية للروس ـ في ظروفهم الحرجة وقتها (المجر) ـ امريكا في غنى عنها . .

● ان ايزنهاور كان يدرك موقف الولايات المتحدة المحتوم في مجلس الأمن وانه سيكون على

غير هوى بريطانيا وفرنسا وهو لا يريد أن يعمق الجراح، وهو يخوض حربا محدودة ضد بريطانيا وفرنسا، وليس عداوة ابدية شاملة.. ويدبر مصالحتهما بعد انتزاع اللقمة من فمهما..

ولكن بريطانيا ارادت ايضا توريط أمريكا، ورفضت هذه التورط فصوتت على ادراج الشكوتين المصرية والانجلو فرنسية، الأولى بسبع أصوات ضد لاأحد والثانية بـ ١١ صوتا ضد لا أحد

تحدد يوم ٥ اكتوبر للنظر في الشكوتين.

يوم ٢ اكتوبر عقد دلاس مؤتمرا صحفيا اعلن فيه عن وجود خلاف حاد بين امريكا وحلفاءها الاوروبيين حول السويس: **ان الولايات المتحدة لايمكن ان ينتظر منها ان تربط نفسها مائة في المائة، لامع القوى الاستعمارية، ولا مع القوى التي تهتم فقط بالحصول على الاستقلال باسرع واكمل ما يمكن»**

ولا اظن انه يوجد تعريف يمكن ان يطوب ويثني على السلطة المصرية في خطوة التأميم، مثل وصفها بقوى تسعى لتحقيق الاستقلال باسرع واكمل صورة في مواجهة القوى الاستعمارية؟!..

فلا مصر معتدية ولا ناصر هتلر، ولا القناة سرقت على طريقة «علي بابا» كما قال الاشتراكي النصاب «انورين بيفان»[15] بل خطوة نحو استكمال الاستقلال أو انتزاعه من القوى الاستعمارية وان كانت تشوبها بعض الانانية أو اللامبالاة بالنتائج الاخرى.. أو التسرع!

وقال «بينما تتفق مواقف فرنسا وبريطانيا وامريكا حول حلف الاطلنطي، فإن أية قضية تمس في جوهرها أو مسلكيتها بشكل ما مايسمى بالاستعمار، ستجد الولايات المتحدة، نفسها، تلعب دورا مستقلا نوعا ما».

وهو بهذا قد صنف مشكلة القناة بانها مشكلة استعمارية وليست حقوق أو التزامات دولية..

ثم تحدث عن هيئة المنتفعين فقال أن البعض يتحدث عن عملية خلع اسنان المشروع، والحقيقة انه لم تكن له اسنان أصلا، في حدود معلوماتي»!

وفي اليوم التالي وبعد ان شتم بريطانيا في «زفة» المؤتمر الصحفي، استدعى السفير البريطاني ليصالحه في «عطفه» وزارة الخارجية وقال له «انه غير سعيد بالمؤتمر الصحفي.. وان ملاحظاته قد ربطت دون أن يدري بين السويس والمسألة الاستعمارية! وان النص قد وزع على الصحافة قبل أن يقرأه، وهذا حد من حريته».. ورد السفير البريطاني متذرعا بكل البرود الانجليزي «ان هذه المؤتمرات الصحفية خطيرة جدا، ووافقه دلاس ولكنه

اضاف ان هذه هي المرة الاولى التي ارتكب فيها مثل هذا الخطأ الفاحش».

يوم ٥ اكتوبر وقبل ساعات من انعقاد مجلس الامن، حاول لويد وبينو اثارة نخوة دلاس الذي اخبرهما ان الرئيس ايزنهاور ضد الحرب، وان هذا الموقف ليس له علاقة بالانتخابات. . فشرح له لويد «اخطار عبد الناصر الذي يتآمر على قتل الملك ادريس في ليبيا وحتى الملك سعود وجه له تهديدا. ونوري ثابت في العراق ولكن السخط ينتشر بين صغار الضباط العراقيين بتحريض عبد الناصر. والاردن تم التغلغل فيه. سوريا؟ عمليا تحت حكم عبد الناصر، الذي يساعد ايضا منظمة ايوكا في قبرص» واكمل بينو فشرح الوضع في شمال افريقيا»

ولكن دلاس «كرر اعتراضه على استخدام القوة في الوقت الحالي، وان وافق على ابقاءها كأحد الخيارات».

ولكن في اليوم التالي فوجئوا بالصحف الامريكية طافحة بانباء الخلافات بين امريكا من جانب وبريطانيا وفرنسا من جانب آخر. . وقال سلوين لويد: «وقد علمت ان هذه الاخبار سربت من الوفد الامريكي في الامم المتحدة. واضيف ان دلاس أخبر المحيطين به من الصحفيين أن على بريطانيا أن تقبل المشروع الهندي. وقابلت دلاس يوم الأحد وطلبت منه أن يحدد بالضبط أين نحن؟ وكان واضحا من لهجتي أن صبري قد نفد (!) . . فانكر أنه تحدث عن المشروع الهندي. واعتذر ووعد بضبط سلوك الوفد الامريكي. وأنه لاصحة لوجود خلافات. وأنه يؤيد استعداداتنا العسكرية وانه نفسه لا يستبعد استخدام القوة في مرحلة اخيرة.».

وقد شهد سلوين لويد بأن دلاس كان يقول لهم عكس ما يفعل، فلا حاجة لاجهاد انفسنا لتفسير ما يبدو وكأنه تناقض. .

تمخضت اجتماعات الأمم المتحدة عن مشروع المبادىء الستة المشهور، وقد قبله الطرفان بنية عدم تنفيذه. . المعتدون على اساس ان الخطة التي وضعوها، مع اسرائيل ستضع العالم امام وضع جديد، ويكفيهم انهم قبلوا «الحل السلمي»، وانما جد ظرف لم يكن في الحسبان بهجوم اسرائيل! ومصر قبلتها للمطاولة والمناجزة والأخذ والعطاء على اساس الاستراتيجية القائلة ان كل يوم يمر يقلل من فرص العدوان، وامكانيات نجاحه. .

ولكن امريكا التي كانت على يقين من الاستعدادات العسكرية لم تشأ ان تترك الأمر للظروف بل حرصت على توريط حلفاءها باعلان ان قبولهم مشروع المبادىء الستة وقبول مصر له قد حل الأزمة وبالتالي سقط أي حق لهم في استخدام القوة. . وهو ما كان الانجليز على حذر منه ولذلك يقول سلوين لويد: «واعلن همرشولد الاتفاق على ستة مبادىء. وقد حذرت المجلس (مجلس الامن ج) من الانجراف في التفاؤل وقلت انه لاتزال هناك ثغرات

واسعة بين مصر وبيننا . وفي هذه اللحظة بالذات اختار ايزنهاور مرة اخرى ان يسحب البساط من تحت اقدامنا، فبعد أن اخبر همرشوله المجلس بالمبادىء الستة . اعلن ايزنهاور في مؤتمر صحفي مايلي :

«ان عندي اليوم ما اعلنه . عندي افضل خبر يمكن أن اعلنه لامريكا اليوم . . وهو التقدم الذي احرز في تسوية خلاف السويس . فبعد ظهر اليوم وفي الامم المتحدة اجتمعت مصر وبريطانيا وفرنسا من خلال وزراء خارجيتهم ووافقوا على مبادىء للمفاوضات . وكل الامور تدل على اننا تخطينا أزمة خطيرة جداً . . وأنا لا أريد أن اقول أننا قد خرجنا من الغابة تماما، ولكن تحدثت مع وزير الخارجية قبل أن آتي الى هنا، واستطيع ان اقول لكم ان قلبه ورأسه عامران بصلاة الشكر . . » . . وجن جنون سلوين لويد الذي فهم المقلب والذي كان رأسه وقلبه عامران بالمكر والكفر. فوصف تصريح رئيس الولايات المتحدة بأنه «تصريح أهبل!» يقول : «وقد احتججت بشدة لدى دلاس ، واعتقد انه هو نفسه أخذ، وراح يغمغم ببعض عبارات حول عدم الاهتمام بما يقال في الانتخابات».

«واحس فوزي بزوال الضغط عليه واستشهد بخطاب ايزنهاور ويدأ تراجعه عن المادة التي تطلب ابعاد القناة عن سياسة ايةُ دولة»

«وذهبت لمقابلة دلاس لاناقش معه ماذا يعني ايزنهاور بالضغط على عبد الناصر وما هي الوسائل . . . وبدأت بالحديث عن الرسوم لاكتشف ياللهول ان دلاس يقترح ان تدفع الرسوم لجمعية المنتفعين وهذه بدورها تدفع تسعين بالمائة منها لناصر اي انه سيحصل على اكثر مما يحصل عليه الآن (٣٥٪ ج) وقلت له ان هذا الاقتراح قد ملأني رعباً . . ولكن الوقت كان متأخراً لعمل اي شيء فلم نتناقش طويلا . »!

ويسبب هذا الرعب لبس الانجليز طاسة الخضة أو خوذة الحرب . .

والفترة من ١٢ اكتوبر الى ٢٩ منه، معروفة، كان موعد المفاوضات المقبلة هو نفس اليوم الذي تحدد للهجوم، وستكرر معنا امريكا نفس اللعبة الانجلو - فرنسية بعد عشر سنوات، وسنتدب ونصدق . .

المهم وقع الهجوم الاسرائيلي والانذار البريطاني، والقى كل طرف باللثام وكشف عن نواجزه فهي الحرب . . اما النصر واما الموت الزؤام . . . اصبحت المعركة علنية وصريحة ومريرة بين امريكا من جانب وبريطانيا وفرنسا من الجانب الآخر ولم تشفع لهما مشاركة اسرائيل، بل بالعكس حل اثمهما وكراهيتهما على اسرائيل بنت امريكا، وكانت اول وآخر مرة تقف فيها امريكا ضد اسرائيل بهذا الوضوح والجدية . . .

وعرض العدوان على مجلس الامن، وفي ٣٠ اكتوبر تقدمت كل من الولايات المتحدة وروسيا بمشروع قرار للمجلس، استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضدهما . : القرار

الامريكي كان يدين اسرائيل (لأن بريطانيا وفرنسا لم تهجما بعد ج) كمعتدية ويطلب انسحابها ويدعو كل الدول الاعضاء الى الامتناع عن استخدام القوة. ويقول سلوين لويد «اما المشروع السوفيتي فكان أخف لهجة (!!ج) وكنا نفضل الاكتفاء بالامتناع عن التصويت عليه، ولكن فرنسا اصرت على استخدام حق الفيتو، فوافقنا لدعم تضامننا»

وبحق الفيتو البريطاني والفرنسي في مجلس الامن كان يستحيل صدور قرار ضد المعتدين الثلاثة، ولذلك كانت الخطوة التالية من قبل مصر هي نقل الموضوع الى الجمعية العامة، حيث لا حق فيتو، وحيث الاغلبية التي يمكن أن يشكلها الامريكان والروس والدول المعادية للاستعمار. . .

ولكن لتحويل القضية الى الامم المتحدة كان لابد ـ كما تقضي اللائحة، ان تحال بأغلبية سبعة اصوات وقد تقدمت يوغوسلافيا بطلب الاحالة فنال سبعة اصوات بينهم صوت امريكا ضد اثنين وامتناع اثنين. . .

وتترك وزير خارجية بريطانيا يعلق: «فلو اكتفت الولايات المتحدة حتى بالامتناع عن التصويت لسقط قرار الاحالة ولبقى الامر في يد مجلس الامن».

ولما صدر بالطبع قرار الادانة والانسحاب. . . الخ . .

وفي الجمعية العمومية افتتح دلاس المناقشات باقتراح امريكي (وهذا يعطي ثقلا واضحا للمشروع اذ لا يترك مجالا للغموض حول موقف امريكا وبالتالي يدفع كل الاتباع الى التصويت معه ج) ـ يطلب وقف اطلاق النار وانسحاب القوات الاسرائيلية والبريطانية والفرنسية واعادة فتح القناة التي كانت مصر قد نجحت في سدها.

وحاول مندوب كندا انقاذ بريطانيا بتقديم مشروع قوات الطوارىء «ولكن دلاس لم يقبل أي تأجيل للتصويت على مشروعه وكان هذا مثالاً آخر على العداء لنا»

وصدر القرار بأغلبية ٦٥ صوتا ضد ٥ أصوات هم استراليا ونيوزيلندا وفرنسا واسرائيل وبريطانيا . وامتناع كندا وستة دول اخرى.

وفي الشارع كان نيكسون نائب الرئيس الامريكي يقود مظاهرة ضد بريطانيا، اذ علق على نتيجة التصويت «بأنها اقتراع عالمي على قيادة الرئيس ايزنهاور. في الماضي كانت شعوب آسيا وافريقيا تتوقع أن نقف في اللحظات الحرجة مع سياسات حكومتي بريطانيا وفرنسا فيما يتعلق بالمناطق التي كانت مستعمرة. ولكن لأول مرة في التاريخ ابرزنا استقلالنا عن السياسات الانجلو ـ فرنسية، ازاء آسيا وافريقيا. . . التي تبدو لنا انعكاسا للتقاليد الاستعمارية. ان اعلان «الاستقلال» هذا كان له تأثير الكهرباء في سائر انحاء العالم».

وسنعفي القارىء من تعليق المخوزق سلوين لويد ولكن هل من أحد يريد ان يتحدث عن امريكا كشريك رابع للعدوان الثلاثي، وأن المعركة كانت ضد امريكا؟!

ولم يقتصر الامر على «قرارات الامم المتحدة» بل وجه ايزنهاور انذار الى ايدن ومولييه يطلب فيه وقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة وقد قبلته بريطانيا بدون حتى استشارة فرنسا، وذلك بعد أن اوشك الاسترليني على الانهيار «لتعرضه لعملية نزيف بايعاز من الخزانة الامريكية» على حد قول أو اتهام سلوين لويد! . . وعرقلت الولايات المتحدة محاولات بريطانيا استخدام حق السحب الخاص من صندوق النقد الدولي . . «حتى مالنا الخاص» كما يقول لويد نقلا عن ماكميلان عن تهديد لجورج كفري وزير مالية أمريكا . .

وحاولت بريطانيا بعد وقف اطلاق النار ان تبقى في موقعها: بورسعيد وعشرين ميلا تحتلها من قناة السويس . . وتساوم على هذا وتنتظر الفرج او سقوط عبد الناصر. . «ولكن أمريكا اصرت على الانسحاب العاجل والشامل وبدون قيد ولا شرط»

ويقول سلوين لويد انه سافر خصيصا الى الولايات المتحدة «بأمل اقناعهم بالمساومة على العشرين ميلا التي نحتلها من القناة ولكني فشلت. ولذلك قررت أن اتقدم باستقالتي»

وكان «جورج همفري» وزير المالية الامريكي صديق «بتلر» (وزير مالية بريطانيا ولكنه قال له بصراحة إن الولايات المتحدة لن تتحرك لمساعدة بريطانيا الا اذا اعلنا قرارنا بالانسحاب».

لقد وضعت الولايات المتحدة كل ثقلها من أجل ان يكون انسحابنا بلا قيد ولا شرط. وكان علينا ان نقبل ذلك».

يخيل الى انه لو كان مثقفا لاستشهد بقول المهزوم العربي: مشيناها خطى كتبت علينا . . ومن كتبت عليه خطى مشاها . . . «وفشلت جميع المحاولات البريطانية لزحزحة ايزنهاور عن اصراره بأن يكون الانسحاب البريطاني الفرنسي من بورسعيد بلا قيد ولا شرط».

اما ماكميلان الصقر في بداية الازمة فقد تحول الى حمامة فور سماعه باخبار نيويورك عن فرض عقوبات نفطية، فقد القى بيديه الى الوراء وصاح: عقوبات نفطية؟! هذا ينهي كل شيء»!

نستمر مع فصول الدراما الامريكية ـ البريطانية . .

بعد وقف اطلاق النار وتأكد هزيمة بريطانيا اجتمع سلوين لويد مع مندوب امريكا في الامم المتحدة وقائد الحملة ضدها «كابوت لودج»:

«وقد بدأ حديثه معي بموعظة اخلاقية، فقلت له اذا كنا ستتحدث عن الاثم الاخلاقي . . فماذا عن غواتيمالا؟ . . الم تتصرف الولايات المتحدة في ١٩٥٤ بنفس الطريقة؟ كل الفرق اننا ـ وقتها ـ حاولنا أن نساعدكم في مجلس الامن رغم كل الضغوط علينا. وقلت لو ان الولايات المتحدة لم تقد الحملة ضدنا في مجلس الامن، لاحرزنا نصرا

رائعا. . ولكان ناصر في خبر كان. . .».

ولكن لويد لم تنته الآمه بعد. . ذهب الى دلاس في المستشفى. . فاذا بالعجوز الامريكي يغمز له بعينه ويقول: لماذا توقفتم. . ؟ لماذا لم تمضوا قدما فتسقطون ناصراً. . .»!

ويعلق وزير خارجية بريطانيا: «لو أن قشة فعلا يمكن ان تقصم ظهر البعير لكانت هذه! . . دلاس الذي قاد الحملة ضدنا. . وأيد تحويل الامر من مجلس الامن للامم المتحدة، وبذل كل جهد ممكن لهزيمتنا. . الآن يتساءل لماذا توقفنا»؟

ومعروف ان الانجليزي لثقل قلبه وبرودة حسه، لا يفهم النكتة من أول مرة، ولم يكن دلاس في المستشفى في مزاج يسمح باعادتها عليه؟! وقرر سلوين لويد ان يتحول الى مكافح للامبريالية وداعية للاستقلال:

واجتمع مجلس الوزراء البريطاني في ٨ يناير ١٩٥٨ حيث ابلغهم سلوين لويد بالآتي:

«بعد الخلاف الخطير في الرأي مع الولايات التحدة، فان علينا ان نحاول جعل غرب اوروبا اقل اعتمادا على امريكا. . ولكني لم اتلق عطفاً كبيرا من زملائي لأن غالبيتهم اعتقدوا ان الاولوية يجب ان تعطي لترميم الجسور مع الولايات المتحدة».

اختارت بريطانيا قبول الامر الواقع، والتعلق بالقطار الامريكي ولو في الدرجة الثانية وكانت بحاجة الى عشرين سنة اخرى للتأكد من حقيقة القوة الاوروبية. . .

وبخروج الانجليز والفرنسيين من بورسعيد، وخلوص القناة لمصر بلا قيد ولا شرط تحت الادارة المصرية الخالصة. . هزمت بريطانيا وفرنسا، وانتصر عبد الناصر في معركة التأميم انتصارا كاملا غير منقوص، وهو النصر الذي استحق به تأييدنا وشكرنا بل وصبرنا خمس سنوات اخرى. . بل حتى الهزيمة الفادحة على أرض سيناء في نفس المعركة ـ وهو ما سنتعرض له ـ غفرناها له، وتلمسنا الاعذار من حداثة العهد ونقص الخبرة والغفلة عن الخطر الاسرائيلي، والانشغال بالجلاء. . لكن العذر الاكبر كان في توقعنا انها اخطاء لن تتكرر وأنه سيستفيد مما وقع فيحول الخطأ الى تجربة. .

ولكننا لم نصر. . وما كان بوسعنا ان نصر على مناقشة تلك الاخطاء لكي نضمن تصحيحها وتلافيها. . فكانت النكبة الكبرى. واليوم وبعد اكثر من ربع قرن، وبعد النكبة التاريخية والمصيرية. . يحاول نفس المذنب ان يقفل اعيننا ويسد آذاننا بالكذب والتضليل مرة اخرى؟!

ان اتهام امريكا بأنها كانت شريكا في العدوان هو مناورة متذاكية لتفادي السؤال. . وهو لماذا عارضت امريكا العدوان؟! لما تجره الاجابة على هذا السؤال من احراجات. . .

قلنا أنه من الناحية السياسية كان تأميم القناة في هذا الوقت بالذات ضربة معلم، فقد تم بعد جلاء القوات البريطانية (رسميا) ولم يعد من الممكن اتخاذه كحجة لالغاء اتفاقية الجلاء من جانب بريطانيا، وكانت تود ذلك، بل أصبح عليها أن تعيد غزو مصر. ثم توقيت الضربة في وقت وصل فيه التناقض الامريكي. . الانجلو- فرنسي ذروته، وربط مصالح مصر باستراتيجية الطرف الاقوى في هذا التناقض، جعل النصر مضمونا. . خاصة وان الهدف من الوضوح والعمق في الوجدان الوطني المصري، مما جمع الارادة المصرية، فلم تكن هناك ثغرة يمكن أن ينفذ منها العدو بمؤامراته. .

وقد استطاعت الادارة المصرية والدبلوماسية الامريكية تأخير الغزو اكثر من ثلاثة شهور وهي بلا شك كانت فترة كافية للاستعدادات العسكرية لمواجهة هذا الغزو. وهو مالم يحدث. .

وهنا ننتقل للجانب السلبي. . جانب الهزائم في معركة قناة السويس وذلك قبل ان نتفرغ لمناقشة هزيمة سيناء العسكرية في ١٩٥٦.

اخطأت القيادة المصرية، ونقصد عبد الناصر بالذات، فهو وحده الذي وضع تقدير الموقف، بالاشتراك مع هيكل في رواية هيكل. . اوبالاستئناس برأي التسعة المشهود لهم بالثورة... ولكنه في النهاية كان صاحب القرار. .

ويشهد هيكل ان عبد الناصر اخطأ عندما تصور ان لجوء بريطانيا وفرنسا الى الامم المتحدة يعني انه لم يبق لدى لندن وباريس ما تفعلانه ضد القاهرة غير تسجيل موقف في الامم المتحدة» ويهز رأسه في حكمة متأخرة جدا: «وكان ذلك خطأ كما اثبتت الظروف فيما بعد».

وهذا التعالي والاتهام لعبد الناصر يعكس نوع الوفاء الاستشاري الذي يكنه هيكل لسيده السابق. . وكتابه يتحدث في كل صفحة عن مشاورة الرئيس له، حتى يخرج القارىء بانطباع انه ما كان يبرم امرا الا عن مشورة هيكل. . ولو كان وفيا أو يتمتع بذوق في فن الكتابة لقال «ولقد اخطأنا عندما تصورنا» أو اخطأت مصر عندما تصورت. . ولكنه حملها لعبد الناصر وحده، وله عذره فلم يكن لأحد من رأي أو فكر الى جانب عبد الناصر. فقط نرجو أن يعترف هو بذلك.

ويقول «هيكل» ان عبد الناصر كان يعتقد انه ما من «جنرال لديه يستطيع قيادة المعركة السياسية الحاسمة والنهائية مثل محمود فوزي».

ويبدو ان عبد الناصر سيء الاختيار «للجنرالات» بصفة خاصة، حتى الجنرال السياسي! لأن محمود فوزي بشهادة هيكل خدعه همرشولد، وهو بدوره خدع عبد الناصر وذلك في رسالته بتاريخ ٤ اكتوبر اذ كتب لجمال عبد الناصر من نيويورك.

«تكلمت مع همرشولد عن النوايا. وبينت له انه اذا كانت النوايا مبيتة على عدم الوصول الى اتفاق فليست هناك فائدة من جهود السكرتير العام. واجابني همرشولد بأنه يعرف سلوين لويد من زمن وانه خاطبه في الامر وخرج بانطباع، ان لويد، يرغب حقيقة في الوصول الى حل رغم المظاهر، وهمرشولد يستبعد جدا استعمال الانجليز للقوة، اما الفرنسيون فلهم متاعبهم الداخلية وهي كثيرة» فوزي.

ولم يقتصر التضليل على همرشولد، بل اشترك الرفيق شبيلوف في التغرير بمحمود فوزي الذي بدوره ضلل القيادة المصرية، فقد كتب للرئيس عبد الناصر بتاريخ ١١/١٠/١٩٥٦: «قابلت شبيلوف الذي اعرب لي عن تأكده من انه قد استبعدت اخيرا، الاجراءات العسكرية».

وهكذا ضلل الجنرال القائد العام، مع ان دلاس خان اصدقاءه وبلغ محمود فوزي بصريح العبارة: «ذكر لي دلاس ان بعض المسئولين في انجلترا وفرنسا لا يريدون حلا سلميا».

ويقول هيكل ان عبد الناصر اجرى تقدير موقف قبل التأميم وقدر ان احتمال التدخل العسكري سيتناقص من ٨٠٪ في الاسبوع الاول من قرار التأميم الى ٢٠ بالمائة في نهاية اكتوبر ثم يبدأ في التلاشي بعد ذلك لأن الفرصة تكون قد افلتت تماما» وان تقدير الموقف هذا تصور الغزو من ناحية الاسكندرية. ويبدو أن الانجليز بحثوا هذا الاحتمال في البداية، ولكن ابتداء من الاسبوع الأول من سبتمبر استقر الرأي على بورسعيد ويصعب تصور أن فكرة الغزو من الاسكندرية كانت فكرة جدية، كما يصعب فهم كيف ظلت القيادة المصرية مقتنعة بها، رغم التجربة التاريخية حيث حاول الانجليز وفشلوا مرتين في غزو مصر عن طريق الاسكندرية، واضطروا في المرة الثانية (١٨٨٢) الى تغيير طريق الغزو الى بورسعيد ونجحوا. وتجربة الحملة الاولى كان من الممكن ان تعطي مؤشراً للقيادة المصرية، حيث قابلت حملة فريزر ١٨٠٧ مقاومة مؤثرة من الاهالي انتهت بفشل الحملة بل وهزيمتها هزيمة مذلة اذ ارسلت الرؤوس والاسرى وفيهم رأس «فاسال» كبير الى شوارع القاهرة للاستعراض. فالطريق من الاسكندرية الى القاهرة يعرض الغزو لمجابهة الكثافة البشرية المصرية. كذلك فان الغزو كان يتعلل «بالقناة» فمن الطبيعي أن يسعى لاحتلالها

والسيطرة عليها. . .

على اية حال ان هذه النقطة لم تلعب دورا كبيرا بالنسبة الى الغزو الانجلو- فرنسي. . ولكنها لعبت دورا خطيرا لصالح الغزو الاسرائيلي ذلك ان عبد الناصر قرر في ٨ أغسطس سحب القوات المصرية من سيناء. . وسنعود لذلك بالتفصيل. .

لا يملك المؤرخ الا ان يسجل تخبط وعجز القيادة عن توقع الاحتمالات واتخاذها سلسلة قرارات تنبع اساسا من احلام يقظة تدور كلها حول تمنى عدم الصدام مع اسرائيل! مما ضاعف من فرص نجاح اسرائيل. . ولا نعرف من اين استقى حروش معلوماته عن ان تقدير الموقف الذي وصل اليه مجلس الحكماء ان «الاحتمال الغالب هو دفع اسرائيل للهجوم وكان هذا احتمالا مرجحا عن أي غزو بريطاني وفرنسي».

فالاجراءات التي اتخذت تبدو اكثر من خاطئة اذا كان هذا تقديرهم فعلا اذ لا يعقل ان يكون الاجراء الذي يتخذ لمواجهة هجوم اسرائيل هو سحب الجيش من سيناء وهو المواجه لاسرائيل!!

رواية هيكل اكثر منطقا فضلا عن انها مستمدة من وثيقة شاهدها هو بعينه ويعرف بالضبط اين هي في خزائن عبد الناصر. . واليك ما قاله هيكل: «وقرأ جمال عبد الناصر تقرير المعلومات المعروض عليه عن اوضاع القوات البريطانية في المنطقة ودرجة استعدادها واعاد قراءته اكثر من ثلاث مرات (وهذا يعني ان هيكل كان قاعد يعد. . أو أن عبد الناصر اهتم وسط كل هذه الزوابع بابلاغ «محمد» انه قرأها اكثر من ثلاث مرات ومالك على يمين ياسي محمد ج!) وقارن المصادر المتعددة للمعلومات ببعضها، ثم كتب بخط يده تحت التقرير حاشية تتضمن مجموعة ملاحظات نصها - كما نقلته فيما بعد من الوثيقة الاصلية. واظن ان الوثيقة الاصلية موجودة حتى اليوم في خزانة مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في الدور الارضي من بيته (على يمينك وانت داخل، حتى بالامارة جنب الخاتم اياه اللي. . . ما انت عارف! ج)

دعنا من هذا الهذر. . المهم انه يقول ان عبد الناصر كتب بخط يده:

«مستحيل ان تلجأ بريطانيا وحدها أو بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا الى الاستعانة باسرائيل في اي عملية ضد مصر لأن ذلك «يقلب الدنيا» في العالم العربي ضدها. بريطانيا لا يمكن ان تدخل في عملية من هذا النوع بالتنسيق مع اسرائيل ولا يمكن لايدن أن يفعل ذلك بسبب المصالح البريطانية والعلاقات البريطانية مع الملوك والشيوخ العرب»[١٦]؟

بل وفي يوم ٨ أغسطس اتخذ عبد الناصر قرار سحب القوات المسلحة من سيناء، ويفسر هيكل هذا القرار المصيري بقوله: «كان جمال عبد الناصر لايزال على اعتقاده بأن بريطانيا لا يمكن ان تسمح لنفسها بالاشتراك في معركة عسكرية جنبا الى جنب مع

اسرائيل.

«وهكذا عادت من سيناء فرقتان من فرق الجيش المصري، احداهما فرقة مدرعة».

ولكن لماذا لم يخطر بالبال ان اسرائيل وبدون تنسيق، ستنتهز فرصة الغزو وانشغال مصر بمحاربة بريطانيا وفرنسا، وتهجم هي على سيناء؟! وهل كان بوسع الجيش المصري وقتها ان يصد بريطانيا وفرنسا؟! فلماذا التركيز على الهجوم الانجلو-فرنسي، واخلاء سيناء حيث الامكانية اكبر احتمالا للتصدي لاسرائيل.. على اية حال حتى الحذر من الهجوم الانجلو-فرنسي تلاشى في الاسابيع الاخيرة... وساد الاسترخاء التام ورفض اتخاذ اي اجراء عسكري للدفاع أو الاعداد للمقاومة الشعبية.

لقد كان هناك اصرار في القيادة المصرية على رفض كل الدلائل التي تؤكد العدوان.. وقد أحصى مؤلف: «مجتمع عبد الناصر» المصادر التي ابلغت عبد الناصر شخصيا بالعدوان وهي:

١- ثروت عكاشة الملحق العسكري بفرنسا، وصلته خطة تحرك القوات الفرنسية قبل العدوان بعشرة ايام. وارسلها الى جمال عبد الناصر بخطاب خاص مع الملحق الصحفي عبد الرحمن صادق لتسليمه شخصيا الى جمال عبد الناصر وقد كتبه بخط يده من نسختين فقط ارسل واحدة واحتفظ بالاخرى»

ولم يقل حمروش اذا كان الملحق الصحفي تمكن من مقابلة الرئيس وسلمها له أم مازال ينتظر المقابلة الى اليوم في مكتب الجيار؟!

٢- زكريا العادلي امام الملحق العسكري بتركيا عرف كافة اسرار الحشد العسكري في قبرص واسرائيل عن طريق بعض المندوبين الاتراك الذين ارسلهم الى هناك، عقب ملاحظته ان الاتراك الغوا الاجازات واعلنوا حالة الطوارىء القصوى، وارسل نتيجة معلوماته ببرقية يوم ٦ أكتوبر تقول:

«ستوجه انجلترا وفرنسا انذارا نهائيا الى مصر يعقبه عدوان جماعي بالتعاون مع اسرائيل في منتصف نوفمبر. ثم تبعها ببرقية اخرى تقول: «رغم أن المعلومات عندي بأن الهجوم في منتصف نوفمبر الا أن الظواهر تدل على انه سيكون قبل آخر اكتوبر» ارسلها مع الملحق الاداري الذي سافر وعاد فورا.. وردت عليه المخابرات الحربية بأنه الملحق العسكري الوحيد الذي ابلغهم مثل هذه المعلومات (؟! هل كانت تتوقع ان توزع هذه المعلومات في نشرة عامة على الملحقين؟! ج)

«ولما استشعر الخطر سافر بنفسه الى القاهرة يوم ١٩ أكتوبر ليبلغ عن امرين: اولهما تدريب اسرائيل لفرد من عائلة الحوت لاغتيال جمال عبد الناصر، والثاني تأكيد أخبار العدوان. وقد التقى بعد الحكيم عامر، وابلغه بكل ما يعرفه، دون ان يتلقى ردا شافيا. ثم

غادر القاهرة يوم ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٦ دون أن تتاح له فرصة مقابلة جمال عبد الناصر رغم اصراره على ذلك» .

نقطع استرسال حمروش لنعلق على هذه النقطة. فالحق ان «زكريا العدلي امام» الذي لا يكاد يعرف اسمه، قد قدم للسلطات معلومات تكاد تكون صحيحة مائة في المائة . . عن دول الغزو وموعد الغزو . . ولكنها اهملت تماما . . وسنعود لذلك .

النقطة الثانية انه عن طريق «الاتراك» وباسم الاخوة الاسلامية، ورغم تدهور العلاقات بين مصر وتركيا في هذا الوقت، حصل وحده على ادق المعلومات . . وذلك رغم توتر العلاقات كما قلنا بسبب حلف بغداد، واهم من ذلك بسبب تأييد حكومة عبد الناصر لنشاط مكاريوس وجريفاس ومنظمة ايوكا، الرامية الى ابادة المسلمين القبارصة وضم الجزيرة الى اليونان استكمالا للحرب الصليبية اليونانية ضد تركيا . .

وحمروش «الشيوعي» يقدم شهادته مستندا الى شخصية موجودة وبرقيات يمكن الرجوع اليها . . اما المزور الاكبر عدو المسلمين، فلا يفوته ان يشوه اوأن يشوش على هذه القصة ومغزاها . . فيفتري الآتي :

«لكن الانصاف يقتضي ان اذكر اليوم ان الصورة الكاملة لاوضاع القوات البريطانية ودرجة استعدادها في قبرص بصفة خاصة وفي البحر الابيض بصفة عامة، جاءت من الاسقف مكاريوس زعيم قبرص، ومن الجنرال جريفاس قائده العسكري ـ في ذلك الوقت ـ والمسؤول امامه عن المقاومة المسلحة لمنظمة ايوكا» .

اولا : هذه المعلومات عن اوضاع القوات البريطانية في قبرص لم تكن مهمة لمصر لان مصر لم تكن تفكر في غزو قبرص . وانما كان المهم هو معرفة الاستعداد لغزو مصر . .

ثانيا : ومن هذه الناحية فهي باعتراف هيكل نفسه ساهمت في تضليل عبد الناصر واتخاذه القرار باستحالة الهجوم .

ثالثا : وهذه حقيقة تاريخية ان «ايوكا» اعلنت عشية الهجوم البريطاني على مصر «وقف جميع عملياتها العسكرية في الجزيرة» . وكان المفروض بحكم الدعم الذي قدمناه لها ضد كل حقائق التاريخ وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ورفض الروح الصليبية، كان المفروض ان توسع من عملياتها في مؤخرة الانجليز . وأذكر انني لم اندهش لحظة يوم وصلت هذه البرقية على وكالات الانباء . . فقد كان ذلك مطابقا لوجهة نظري حول خداع هؤلاء الصليبين وانهم يونانيون صليبيون يريدون ضم الجزيرة وابادة المسلمين فيها ولا شيء آخر . . وان كل ما يتحلون به ويرددونه من شعارات ماركسية هو مجرد قشرة خارجية لاخفاء صليبية القرون الوسطى . . واذكر ان «رفيقا» من الحزب الشيوعي القبرصي ، كان يشرح لنا في السجن ان قبرص قطعة من اليونان جيولوجيا ! . . وكان المغفلون المصريون يؤيدونهم .

فلما جاءت لحظة الجد أوقفوا العمليات العسكرية ضد الانجليز. .

نعود لاستعراض حروش للتحذيرات التي وردت للقيادة المصرية وأهملتها. .

٣ـ عقب عودة صلاح سالم من لندن حيث كان هناك وقت انعقاد المؤتمر الثاني (جمعية المنتفعين ج) ابلغ جمال عبد الناصر ان العدوان مؤكد وحتمي.

٤ـ سرب الامريكيون معلومات الى سفيرنا في وشنطن بأن الجنرال كيتلي قد اختير لقيادة غزو مصر وانه يدرب رجاله في قبرص.

هذا ما أحصاه احمد حروش عن المعلومات المؤكدة التي وصلت للرئيس عن الغزو المنتظر. دون حاجة للرجوع الى اوراق عبد الناصر الشخصية. بل واكد أن التحليل السياسي العادي كان لابد ان يفضي الى توقع الهجوم واستشهد على ذلك بتصريحات ايدن في مجلس العموم الذي تحدث فيه عن حماية حقوق بريطانيا بوسائل اخرى. وتهديدات روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا لعبد الناصر شخصيا (عبد الناصر كما وضحنا قبلها على انها تحذير ج). . . . الخ»

وهناك شهادة من داخل البلاط لها قيمتها فقد ذكر البغدادي ان «خالد محي الدين ابلغ جمال عبد الناصر بمعلومات كان قد حصل عليها من احد اصدقائه بباريس وتشير الى ان فرنسا تعمل متعاونة مع اسرائيل لمهاجمتنا. ولم يأخذ جمال عبد الناصر هذه المعلومات التي ابلغه بها مأخذ الجد. بل اعتقد هو وعبد الحكيم ان الغرض من ايصال تلك المعلومات الينا هو لدفعنا الى حشد قواتنا الدفاعية تجاه اسرائيل تاركين الاسكندرية ورشيد وهي طريق تقدم القوات البريطانية ـ كما قدر ـ دون قوات دفاعية كافة للتصدي لها»؟

بل ان رواية بغدادي اكثر هولا. . اذ يقول انه على اثر تلقي عبد الناصر هذه المعلومات من خالد محي الدين «قرر تفادي أي احتكاك أو صدام مع قوات اسرائيل ولذا أمر جمال عبد الناصر بانسحاب الفدائيين الذين كانوا في قطاع غزة»!!

العبارة غير مفهومة، ولا ادري هل هذا المقصود من بغدادي الذي لا يخفي نقده لعبد الناصر وكفاءته هو وعامر من الناحية العسكرية؟!

ما المقصود بمنع الاحتكاك او الصدام مع قوات اسرائيل؟ . . داخل اسرائيل أم حتى اذا هجمت على مصر؟! . .

لانه اذا كان المقصود عدم الاحتكاك من جانبنا، اوعدم الصدام مع قوات اسرائيل وهي خارج حدودنا. . كان يكفي امر مشدد بوقف العمليات الفدائية. والمفروض انهم جنود منضبطون! . .

اما سحبهم نهائيا من قطاع غزة، فالمقصود به منع الاحتكاك او الصدام حتى لو بدأته اسرائيل . . .

هيكل وحروش يفسران هذا الاصرار على تجاهل الحقائق المؤكدة التي وصلت على يد ملحقين عسكريين واعضاء مجلس ثورة حاليين وسابقين، واتراك وامريكان. . . الخ يفسرانه بان تقدير عبد الناصر الذي كتبه بخط يده في الوثيقة. . . الخ اوبالتصريح الذي ادلى به الى «كينيث لدف» في حديث صحفي بعد ذلك بثماني سنوات، قال فيه انه استبعد لجوء البريطانيين الى التحالف مع الاسرائيليين لاستعادة القناة بالقوة. اما بالنسبة لفرنسا فكانت غير راضية عن حلف بغداد وكنت اعتقد انهم منهمكون في الجزائر بما لا يسمح لهم بالحملة ضدنا»؟. وقال هيكل ان عبد الناصر قرر ان نسبة الغزو انخفضت الى عشرة بالمائة، بل انه استبعد عمليا احتمال الغزو»؟.

على اية حال الوقائع تدل على أن احتمال هجوم بريطاني كان واردا عند القيادة ولو بنسب متفاوتة ما بين ثمانين وعشرة بالمائة. اما الاحتمال المستبعد تماما، والذي اصرت هذه القيادة على استبعاده رغم كل الدلائل. . فهو احتمال الغزو الاسرائيلي!! فقد نسب هيكل لعبد الناصر انه عندما اختلى به وحده لوضع تقدير للموقف يوم ٢١ يوليو وبادره بأنه قد عرف افكاره. . المهم قال له عبد الناصر حرفيا: «اسرائيل ايضا قد تفكر في التدخل ولكنها لا تستطيع اتخاذ تأميمنا لقناة السويس ذريعة لشن الحرب. ثم ان تدخل اسرائيل ضدنا سوف يجعل معركتها ضد مصر حربا ضد الامة العربية كلها. وهذا يفرض على امريكا محاولة «فرملة» اسرائيل. ثم ان اسرائيل من مصلحتها ان تنتظر لكي ترى صراعنا مع الغرب كله يشتد ويعنف» وانه لم يكن يخشى ان يتدخل اي طرف الا بريطانيا! فهناك اذا حالة اصرار على رفض المواجهة مع اسرائيل ولو في تقدير موقف نظري. . ولاحظ الاعتماد على «فرملة» امريكا لاسرائيل[17]. .

وهذه هي الظاهرة التي نود ان نقف عندها طويلا، لانها ـ في رأينا ـ جوهر مأساة النظام الناصري وان تكن مترتبة على الخطيئة الاولى، وهي قبول تنفيذ «الثورة» بالتنسيق مع المخابرات الامريكية. . !

والتفسيرات عديدة لهذا الاهمال الخطير الذي ارتكبته القيادة المصرية، والذي كان كافيا لتنبيهها ـ فيما بعد ـ الى خطورة الاعتماد على مواهبها وحدها في تقدير الموقف، وضرورة الاستعانة بالخبراء والمحترفين من اهل الثقة في كفاءاتهم لا تبعيتهم. . وهو ما لم يحدث للاسف!

«لم يتحقق استنتاج عبد الناصر من تقدير موقفه وفوجىء يوم ٢٩ اكتوبر بخبر يقول ان الاسرائيليين قد اعلنوا انهم ارسلوا طابورا مدرعا الى سيناء للقضاء على الفدائيين ثم اعلنوا في نفس الليلة ان قواتهم تقترب من قناة السويس».

التفسيرات تختلف باختلاف الإجتهادات في تفسير ظاهرة الناصرية

● فالـذين يربطـون حركـة ٢٣ يوليـو بالامـريكيـين، يرون ان الـزعيم كان مطمئنـا لوعـود الامريكان بأنه لاعدوان.

● ولكن الـذين ضلوا في عداوتهم لعبـد النـاصـر يرفضـون ذلـك، ويقـولون ان الامريكان انفسهم ابلغـوا سفـيرنـا في وشنطن بانبـاء الاعـداد للغزو، وقائد الغزو وتدريبات الغزاة في قبرص. ويـزعمـون ان القيـادة المصـرية كانت تريد انتصار اسرائيل!! وهذا الزعم باطل، وافـتراء متهـافت لأن الصـورة التي قدمهـا بغـدادي لعبد الناصر وهو يطوف هائما في شوارع الاسماعيلية والـدمع في عينيه، هاتفا بالانجليزية: «لقد هزمني جيشي» لايمكن ان تكون مشهـدا من «هـاملت». وانـما حزن زعيم كان يتمنى لوهـزمـه الانجليـز ولا يهزم امام دويلة «اسرائيل» المزعومة، كما كانت لاتزال تسمى في صوت العرب..

ورغم خطأ هؤلاء فإن لهم عذرهم اذيرون «هيكل» يحتفل بهزيمة عبد الناصر ويسميها اكمل نصر. لهم عذرهم أن حسبوه ينطق بلسان اسرائيل!..

كذلـك مرفـوض القـول بأنـه اراد هذه الهـزيمة لجيش عبد الحكيم عامر ليتخلص منه، وصحيـح ان الخـلافـات كانت موجـودة، وصحيح ان هذا التفسير أصبح اكثر قوة في حرب ١٩٦٧ وملابساتها، الا ان الخلاف في ١٩٥٦ لم يكن قد وصل الى هذا الحد، وكان الزعيم لايزال بحاجة الى عامر للتخلص من جمال سالم وبغدادي وحسن ابراهيم..

● اما المدرسة الرافضة للديكتاتورية، فتطرح تفسيرا اكثر تماسكا، واقرب للعقل وان يكن غير كامـل. فهي ترى ان الحـاكم الفرد المطلق عنـدمـا وضـع تقـدير الموقف في ٢٢ يوليو ١٩٥٦، وقرر ان احتمال الغزو هو الاسبوع الاول من التأميم فهو يؤمم والانجليز يهجمون وكأنهم ينتظـرون في بور سعيـد!.. غافـلا بالطبع عن تعقيدات اصدار قرار بالحرب في بلد ديمـوقـراطي!.. لايحكم بالقرارات الفردية، ولا النزوات الطارئة، وان لا ايدن ولا موليه، يتمتعان بسلطات شمس بدران أو شعراوي جمعه..

ولما مرت الاسـابيـع ولم يحدث الغـزو تأكـد صحـة تحليـل الـزعيم. ومن ثم استحـال تراجعه.. لان الديكتاتور ـ في رأي هؤلاء ـ تستند ديكتاتوريته ومكانته على قناعة بأنه لا يخطيء.. لانه لو ثبت امكانية خطأه، فسينظر اليه كمجرد بشر قابل للخطأ ومن ثم قابل للمنـاقشـة والنقـد والتعلم.. أي قابل للاعـتراض على قراراتـه واحكـامـه.. قابـل للرفض.. دون أن يشكل ذلك خيانة وطنية، او اعتراض على حركة التاريخ! وذلك لا يستقيم مع متطلبـات الحكم الـديكتـاتـوري، ولـذا فان أية خسارة لا تهم مادامت قدسية قرارات واستنتاجات الزعيم لا تمس ولا تخدش.. ولا تتغير.. أو كما قال كوبلاند: «لقد حدث المحتـوم للقـادة من طراز ناصر، واعني الحاجز بينه وبين العالم الخارجي الذي اصبح من الكثافة بحيث استحال وصول اي معلومات او آراء اليه إلا ما يؤكد عصمته وخلوده».

ومن الطريف ان الناصريين تحت تأثير عقدة ذنب ١٩٥٦ يركزون في دفاعهم عن ١٩٦٧ الى ان الزعيم حدد ـ هذه المرة ـ يوم الهجوم . . كأنه قارئة فنجان ، ثم ذهب لينام! . . هزمنا وضاع ثمن الوطن مرة لأن الاعوان حذروا والزعيم رفض أن يصدق تقاريرهم . وخسرناها مرة ثانية لأن الزعيم حذر . . والمساعدون رفضوا تصديق نبؤته . . . !

نبقى خالصين ! . .

وهذا التفسير على دقته من الناحية النفسية ، وكقانون عام للنظم الديكتاتورية وخاصة في البلدان المتخلفة . . إلا أنه يغفل جانبا اكثر أهمية وأكثر خطورة في حالة مصر . . وهو الاصرار على الغاء المواجهة المصرية ـ الاسرائيلية من قائمة الاهتمامات للقيادة الناصرية منذ ان تولت السلطة والى ٥ يونية ١٩٦٧ . . وحرصها أو هل نقول التزامها بتجنب هذه المجابهة بأي ثمن . . وسنوضح ان الحجر الاساسي في الاستراتيجية الاسرائيلية هو المراهنة على هذا الالتزام المصري . . اعني رفض المجابهة ومحاولة تحاشيها تماما . . وذلك من ١٩٥٤ الى ١٩٧٣ .

وقبل ان ننتقل لذلك نشير الى الفرق بين دقة وتعدد المعلومات التي وصلت للقيادة المصرية في ١٩٥٦ ، وإن لم تعمل بها ، وبين الغفلة التامة التي كانت تسبح فيها هذه القيادة في ١٩٦٧ . . لأن مصر كانت لاتزال حديثة عهد بالنظام الثوري ! . . لم تتغلغل فيها الروح الثورية على يد صلاح نصر الذي حول المخابرات الى اكبر وكر فساد عرف في التاريخ ، ويوما ما ستكشف حقائق تخزي أمة لعشرة قرون ! . . والى جهاز كبت للشعب . ولأن التصفيات قد استبعدت من الجهاز الدبلوماسي والمخابراتي كل الشخصيات الراغبة والقادرة على العمل ، وحتى لو افلتت هذه الشخصية ، فان الاخطبوط الذي كان في القاهرة ، ولم تعرف كل اسراره بعد . . كان كفيلا بمنع وصول جهودها الى حيث يثمر مفعولها . . وراجع حكاية ضياع اخطار نقطة الحدود بالهجوم الاسرائيلي البري صباح ٥ يونيه لأن الرسالة لم تفتح ! وراجع ضياع انذار عبد المنعم رياض عن الحشد الجوي الاسرائيلي المتجه لمصر على شاشات الرادار ، والذي لم يستقبل لأن الشفرة بالصدفة تغيرت صباح هذا اليوم بالذات ونسيوا يبلغوها لمن وضعوهم على الحدود لهذه المهمة فقط! . . فلما أنجزوها لم يستلموها منهم! . .

الفصل الخامس

هزمني جيشي ونصرني اعلامي !

كيف دارت المعركة على أرض سيناء فيما وصفه « هيكل » بأنه « أكمل نصر في الحروب المحدودة » بل أكمل نصر عربي في تاريخهم الحديث ! . .

« في الساعة الخامسة بعد الظهر تحرك لواء ميكانيكي اسرائيلي في اتجاه منطقة الكونتيلا ، وعلى آخر ضوء تم اسقاط كتيبة مظلات اسرائيلية في منطقة سدر الحيطان في ممر متيلا » .

أين كانت القيادة المصرية . . وكيف وصلها النبأ . . ومن الذي ابلغها النبأ ؟! اليد ترتجف ، والجبين يقطر خزيا وعارا . . والقلب ينكسر ولعل ذلك ما قصد اليه هيكل في ايراد هذه الرواية :

« كان جمال عبد الناصر ساعتها يشترك في احتفال عيد ميلاد ابنه عبد الحميد ، وسلمت اليه برقية وكالة يونايتدبريس تنقل البيان الرسمي الاسرائيلي ، وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها الى عبد الحكيم عامر ، وكان يحضر حفلة عيد الميلاد ، وخرج الاثنان من القاعة المليئة بالاطفال (ربنا يحرسهم ج) وتوجها الى غرفة مكتب عبد الناصر ومن هناك راح عبد الحكيم عامر يتصل بمقر القيادة العسكرية المصرية في كوبري القبة . ولم تكن الوحدات المصرية في الميدان قد ابلغت بعد عن حدوث شيء » ![1]

يعني لو لم تصدر اسرائيل بلاغا عسكريا بهجومها وتوزعه على وكالات الانباء ، وتحرضها على ابلاغه للعالم كله . لو لم تفعل اسرائيل لاستمر الرئيس والقائد العام للقوات المسلحة بين الاطفال احباب الله الى نهاية الحفل السعيد ثم انصرفا الى السهرة أو النوم أو قطع فروة صلاح سالم . . دون أن يسمعا فضلا عن أن يواجها الغزو الاسرائيلي لسيناء !

ولا يجوز اتهام اسرائيل بالغفلة في افشاء سر غزوها ، لمن لا يريد ان يعلم ، ولا بعداء خاص للطفل عبد الحميد ، وتعمد تعكير حفل عيد ميلاده ، باعلان هجومها ، بل ذلك كان ضمن الاتفاق الانجلوفرنسي ـ الاسرائيلي ، وهو ان تعلن اسرائيل انها تشن حربا . . وليس مجرد مناوشات ، حتى يبدأ العد التنازلي لتنفيذ الجانب الانجلو ـ فرنسي بتقديم الانذار . . الخ . .

رئيس الدولة ونائبه في حفلة عيد الميلاد ولحظة غزو مصر. . لماذا لا يحضر واحد ويبقى الآخر الى جانب التيكر، مادامت وكالات الانباء اصبحت المصدر الذي نعرف منه خبر غزو بلادنا، بل والمصدر تل ابيب! . . ابراهيم ومراد عرفا بغزو نابليون من رسول محمد كريم في الاسكندرية في نهاية القرن الثامن عشر وليس من القنصل الفرنساوي! . .

لا اتصال بين القيادة والجبهة. . لا القيادة السياسية ولا القيادة العسكرية التي لم يكن لديها أي خبر من «الوحدات المصرية في الميدان» حتى بعد قطع التورته، واذاعة وكالات الانباء الخبر! . .

لا مخابرات ولا اجهزة الا اذا كان الامر يتعلق بوفدي أو أخواني أوشيوعي. . أو ضابط غير متجاوب في الجيش، عندها يكون عند القيادة الخبر اليقين. . ؟!

هيكل يحملها «للوحدات في الميدان» لم تكن قد ابلغت شيئا؟! تبلغ من؟ القيادة التي لم تسمع ولم تعلم رغم مرور ساعتين على الانزال وبعد صدور البلاغ الاسرائيلي الثاني لم يكن لها اي اتصال بالجبهة! . . حتى بعدما ذهبوا الى القيادة وحضر بغدادي «لم يكن الموقف قد عرف بعد على حقيقته حتى تلك اللحظة»[2] ولم تصل اخبار «بعد عن نزول قوات مظليين في سدر الحيطان». . والذي كان هادىء البال عندما حدثه هيكل من «كابينة التليفون في ميناهاوس طلبت خطا خارجيا وأدرت بيدي[3] رقم تليفون مكتب جمال عبد الناصر. . . الخ وسألته «اذا كان يريدني ان اذهب اليه. . ؟ «وكان تعليقه: «عندما تفرغ من عشائك مر علي»!

ورغم تكرر الهزيمة في ١٩٦٧ فقد ظل الجهاز الحاكم غارقاً في هذه الغفلة وفي «الغياب عن الوجود الحضاري» وسيسمع الرئيس بعد ١٢ سنة ان المظليين الإسرائيليين ذاتهم نزلوا في احدى الجزر المصرية وفكوا محطة الرادار وحملوها وانصرفوا ووصلوا بها الى اسرائيل واذاعوا النبأ من اذاعتهم، وسيتصل الزعيم بقائد جيشه: «صحيح ما يذيعه راديو اسرائيل؟ «فيرد قائد الجيش الذي كان سينفذ الخطة بزراميت اقصد جرانيت: «دقيقة واحدة! أسأل باريس واخبرك»!!

وحتى بعدما وقع الغزو يقرر هيكل ان عبد الناصر كان يستبعد من ذهنه احتمالات التواطؤ. ثم «ان الطريقة التي بدأت بها العملية لم تنقل اليه الاحساس بأنه امام شيء خطير. كانت لديه تحفظاته التي تجعله يقطع بأن بريطانيا بالذات لديها من الروادع ما يصدها عن الاشتراك مع اسرائيل في عمل عسكري ضد مصر. وكان تحت تصور ان مشكلة قناة السويس في طريقها الى حل سياسي عندما يجتمع الدكتور محمود فوزي مع سلوين لويدر كريستيان بينو في جنيف بحضور همرشولد»[4]. دعنا من حساباته ازاء بريطانيا وفرنسا. . لماذا لم يقنعه ما حدث بأنه امام شيء خطير. . غزو بري، وانزال كتيبة كاملة في

عمق سيناء؟! ما هو الخطير. . انزال في قصر القبة؟! ورواية حروش اخف دما، فقد قرر مجلس الثورة انه «غزو اسرائيلي» ولكن «لم يحاول احد أن يربط بين ذلك الهجوم واستعدادات انجلترا وفرنسا لغزو منطقة قناة السويس»[5]!

نحن اذا امام خطأ فادح في التقدير. . واهمال جسيم في الاستفادة من المعلومات بل التصرف على عكس ما تتطلبه تماما. .

مما أدى الى اضعاف المقاومة المصرية، وتسهيل مهمة العدو في احتلال سيناء وتدمير جميع المنشآت فيها وتدمير جميع السلاح السوفيتي، وسلاح الطيران المصري. .

الم يكن سكوتنا عن مناقشة هذه الاخطاء عشر سنوات سببا لتكرارها في ١٩٦٧. . أيجوز أن نستمر في السكوت اليوم؟!

وعندما تأكد أنه الغزو ماذا فعلت القيادة؟!

اضطراب وتخبط وانقسام وزعل. . وأوامر متعارضة متضاربة كلها لصالح العدو. .

رأينا كيف اتخذ عبد الناصر في ٨ أغسطس ما وصفه باشكاتب الناصرية نفسه بأنه «قرار بالغ الاهمية، وهو القرار بسحب القوات المصرية من سيناء لأن جبهة القتال المحتملة قد تغيرت»[6]، والقوات المصرية التي كانت في سيناء وسحبت هي القوات الدائمة، القوات الضاربة، أو القوة الاساسية، المتمركزة هناك من ١٩٤٨، المتواءمة مع الارض، بخنادقها واستحكاماتها وحقول الغامها وتمويهاتها، ونقط استطلاعها، وكل هذا يهجر بل ويدمر عندما يصدر أمر بالانسحاب لأن العدو على وشك الهجوم في جبهة اخرى، اذا لا أحد يفكر في العودة لهذه الجبهة وخاصة بالنسبة للفرقة المدرعة السيئة الحظ مع قيادة ٢٣ يوليو، فهي لا تتاح لها الفرصة ابدا للبقاء في مواقعها والقتال وانما هي دائما في حركة اما منسحبة بفعل قرار خاطىء أو عائدة على عجل لتصحيح قرار الانسحاب الخاطىء!

المهم كانت سيناء بلا مقاومة جدية، «صحراء» حقا مفتوحة للعدو. . واجتمعت القيادة. . ونترك عضو مجلس قيادة الثورة قائد الجناح «عبد اللطيف بغدادي» ينقل لنا صورة ما حدث!

«بعد ان تم استعراض الموقف وتقدير نية الاسرائيليين تقرر مقابلة هذا العدوان منهم بالقوة - أي بالحرب - خاصة بعد ان تأكدنا من انزالهم هذه القوة عند ممر متلا ولأنه اتضح ان العملية اكبر من ان تكون غارة من قوات عسكرية اسرائيلة على موقع من مواقعنا كما كانت العادة قد جرت من قبل. وقدرتي انه من الضروري استخدام قواتنا الجوية في نفس الليلة لقذف قوات العدو التي انزلت عند الممر وان تقوم ايضا في الصباح المبكر بتركيز ضرباتها على مطارات العدو وطائراته. وان تعمل قدر طاقتها للحصول على السيطرة الجوية حتى تتمكن بعد ذلك من العمل ضد قوات العدو الارضية بمرونة وحرية.

«ثم حضر بعد ذلك «محمد صدقي محمود» رئيس هيئة اركان حرب القوات الجوية. وصدرت اليه الاوامر بقيام قواتنا الجوية بضرب تلك القوات التي انزلت عند الممر، وكذا مطارات العدو فورا. ولكن ظهر عليه الاضطراب والارتباك وأبدى أن هناك بعض الصعوبات التي تعترض قيام الطائرات القاذفة بعملياتها فورا، بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها بمطار غرب القاهرة ـ القاعدة الخاصة بقاذفات القنابل ـ ولما كانت القاعدة المأخوذ بها هي ملء خزانات الطائرات بالوقود يوميا بعد انتهاء طيرانها اليومي، لذا اقترحت عليه بعد أن ذكر هذه العقبة أن تقوم الطائرات بالمهمة المطلوبة منها في تلك الليلة بما تحمله في خزاناتها من وقود على ان يتخذ الاجراءات في نفس الوقت. ليتم توافر كميات الوقود الضرورية بالقاعدة في الصباح. وانصرف بعد ذلك.

«وبعد انصرافه تكلم معي جمال عبد الناصر مصرحا لي بأنه غير مستريح لصدقي للاضطراب الذي ظهر عليه. وطلب مني مساعدة عبد الحكيم في الاشراف على القوات الجوية. وانصرف الجميع بعد أن صدرت الاوامر لعدة وحدات من الجيش بالتحرك».

ويقول بغدادي ان عامر لم يقبل طلب ناصر أن يشرف بغدادي على الطيران «ففضلت عدم احراج نفسي ولا ايجاد مشاكل في هذه الظروف، خاصة أنه ليس هناك قرار واضح يحدد مسئوليتي المباشرة بالنسبة لهذا الشأن».

لا أحد يلوم عبد الناصر كثيرا على أنه لم يصدر أمرا باقالة صدقي محمود في هذه اللحظة وتشكيل مجلس عسكري في الموقع واعدامه.. وان كان الاحتياط يتطلب احالته على التقاعد وتسليم السلاح لضابط من المحترفين.. لا لعبد اللطيف بغدادي الذي لم يتعرف على طائرة عسكرية منذ ١٩٥٢..

ولا احد يلوم عبد الناصر كثيرا على انه في هذه اللحظة لم يسأل صدقي محمود كيف تترك قاعدة تموين القاذفات بدون بنزين، وهم يتوقعون غزوا بريطانيا ـ فرنسيا.. بلاش اسرائيلي.. حتى ولو كانت النسبة عشرة بالمائة؟! وابن سيستخدم البنزين افضل من تطير الطائرات؟!

ولكن اللوم كل اللوم انه لم يحاسبه بعد الهزيمة.. بل ابقاه ١١ سنة حتى فعلها فينا مرة اخرى بالتمام والكمال وتوفر البنزين هذه المرة.

ربما نجح الاعلام «الهيكلي» في تغطية حقيقة ما جرى في سيناء عام ١٩٥٦.. بل حقيقة ما جرى على صعيد المواجهة العربية ـ الاسرائيلية.. ولذا لا أحد اهتم بمغزى عجز الطيران المصري أوشلله خلال الـ ٢٤ ساعة الفاصلة في مصير الشرق الاوسط ما بين الهجوم الاسرائيلي، الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر والانذار البريطاني في الرابعة من بعد ظهر يوم ٣٠ اكتوبر.

١ـ كان الطيران المصري اقوى من الطيران الاسرائيلي، والطيارون المصريون افضل من زملائهم في عام ١٩٦٧ . . لم تكن قد تمت عملية الافساد التي بدأت بحفلات «فؤاد محرم» وانتهت بالحفل الراقص ليلة الهجوم! . .

وكانت اسرائيل التي تستعد للحرب ضد مصر من يناير ١٩٥٥ . . لا تخشى شيئا اكثر من هجمة الطيران المصري على مدن اسرائيل . . . (١٥٠ طائرة ميغ و ٤٠ قاذفة اليوشن) وقد استغرقت هذه القضية جلسات طويلة وحادة بين الوفد الاسرائيلي والوفد البريطاني بالذات، اذ كان بن غوريون يصر على ان لا تبدأ اسرائيل هجومها الا بعد ان يدمر السلاح الجوي البريطاني، السلاح الجوي المصري. وقد استخدم بن غوريون عبارة «يمسح مدن اسرائيل» في حديثه عن امكانيات الطيران المصري اذا ما دخلت اسرائيل الحرب قبل تدمير الطيران المصري. وكانت خطة بريطانيا بالذات انها ستدعي دخول الحرب لفك الاشتباك بين مصر واسرائيل، وحماية القناة من قتالهما، ومن ثم لابد ان تكون هناك حرب، وان تستمر بعض الوقت حتى يقوم العذر على رجليه . . ولكن بن غوريون اصر على ان «اسرائيل لن تشن حربا وحدها». وان اسرائيل ستتعرض لمخاطر شديدة، وخصوصا اذا شن الطيران المصري غارات على المدن الاسرائيلية»[٧].

«وكانت المناقشة حامية وقد سألتهم (موشى ديان) عما اذا كان السلاح الجوي الفرنسي سوف يهب لمساعدتنا اذا ما تعرضت مدننا للقصف خلال الساعات الاربع والعشرين الاولى عندما تكون طائراتنا كلها مشغولة فوق ميدان القتال؟ وكان ردهم بالسلب، واضافوا ان البريطانيين يعترضون على هذه الفكرة لأنها ـ في رأيهم ـ تفسد السيناريو. وعند هذه النقطة انفجرت غضبا من المنطق نفسه ومن كثرة ترديد كلمة «السيناريو» وقلت لهم ان «شكسبير» كان كاتب سيناريو عبقري، ولكني أشك في أن احدا في مجلس الوزراء قد ورث كفاءته»[٨].

وكان من المستحيل طبعا تلبية طلب اسرائيل، سواء بأن تبدأ بريطانيا وفرنسا الحرب بضرب المطارات المصرية، أوحتى بأن يتم الغزو في نفس التوقيت، ولأن اسرائيل كانت متعطشة للحرب أو كما قال موشى ديان «كان علينا الا نضيع الفرصة التاريخية لمحاربة مصر مع فرنسا وربما بريطانيا ايضا . فلن نكون وحدنا» ، وقال سلوين لويد: «كان بن غوريون يطلب منا تعهدا بتصفية السلاح الجوي المصري قبل ان تتقدم قواته في سيناء والا فان مدن اسرائيل مثل تل ابيب ستمحى من الوجود» الى هذا الحد كان الرعب من مصر. وبعد عشر سنوات من العمل الثوري، وبناء قوة مصر والدخول في عصر الحضارة، ستدمر اسرائيل الطيران المصري بدون معونة السلاح الجوي البريطاني!.

وكان الحل الوسط هو تقصير الوقت ما بين الهجوم الاسرائيلي والتدخل البريطاني ضد

السلاح الجوي المصري، وكان في ذلك مخاطرة اكيدة، ونستطيع ان نتخيل اليوم النتائج التي كانت ستترتب عربيا، ومصريا، وعلى صعيد المواجهة العربية والاسرائيلية،لوأن للسلاح الجوي المصري ضرب مدن اسرائيل وقتل ما بين عشرين الف وخمسين الف اسرائيلي في الاربع وعشرين ساعة ما بين بدء الحرب والتدخل البريطاني. مهما اسرف الخيال، فلا يمكن المبالغة في النتائج التي كانت ممكنة، فلا أحد كان يتوقع من مصر أن تهزم بريطانيا وفرنسا، ولكن الرأس العربي كان سيرتفع شامخا مع كل ضربة تنزل باسرائيل، وكنا سنحطم جدار الأمن الذي اجتهدت أو تمحورت السياسة الاسرائيلية في توفيرة للمواطن الاسرائيلي..

ربما كان تغير مصير الشرق الاوسط..

نعم كانت مخاطرة كبيرة ان تقبل اسرائيل التعرض لهذا الاحتمال ولكن «موشي ديان» أو القيادة الاسرائيلية، خاطرت على عامل سياسي ونفسي في القيادة المصرية، هو الذي أشرنا اليه، رغبتها في تجنب القتال.. فقدان ارادة القتال.. الميول الاستسلامية.. سلوك آكلي العشب في مواجهة الحيوانات المفترسة، فالذئب كما قال «ماو» مرة - مستفز بطبعه - تجده مستعدا للقتال والافتراس بصفة دائمة، يعتبر مجرد رؤيته لأكلة العشب، اعلان حرب فيقفز نحوها بارزاً انيابه ومخالبه.. اما آكل العشب فنواياه سلامية، وهو يحاول تحاشي القتال اطول مدة ممكنة وبأي ثمن.. أو حصره في أضيق نطاق.. وفي الحدود التي تشبع الذئب المهاجم!.. وهو لا يعتبر أي تصرف من الذئب مبررا للقتال وتعكير صفو السلام.. يفضل الحل السلمي أو الهروب، والنتيجة معروفة انه ما من مرة هاجم آكل العشب الذئب، وما من مرة أراد الذئب فيها القتال الا ووقع، وقلما وقع القتال ونجا آكل العشب!..

وانظر الى الذئب عندما يكون شبعانا أو متخابثا فيقف مسالما بين قطيع الماعز الجبلي أو البقر، تراها سيعدة مغتبطة بسيادة السلام، غارقة في التهام الحشيش.. والترويح باذيالها على افخاذها السمينة وكروشها المتفخة شحما وبطالة ومذلة.. وفسقا.. في غفلة تامة.. الى ان يحدد الوحش هدفه في واحدة منها.. ويقرر أن يضرب ضربته.. فيزمجر.. وعندها يقرر القطيع حصر القتال «وعدم التصعيد»، وان لا يترك الوحش يجره الى معركة لم يحدد أرضها وزمانها.. فيقرر الفرار «كل تيس على مسئوليته»... وينهش الذئب ما اراد!..

لولا ان جيشنا المصري اثبت انه أسود، ولولا انهم نهشوا تيوس اسرائيل في ١٩٧٣.. واثبتوا ان العيب ليس فيهم، لما كتبنا هذا الكلام..

المهم خاطرت القيادة الاسرائيلية، على العنصر الحاسم الذي تميزت به القيادة المصرية في مواجهتها لاسرائيل، وهو عدم الاستجابة للتحدي، الرغبة في عدم تصعيد أي اشتباك

الى مستوى الحرب.. يقول: «كنت آمل أن معارك الايام الاولى ستكون محلية، وهذا يشجع المصريين على تقديرها بأنها ليست اكثر من عمليات ردع كبيرة، وبما أنهم لايرغبون في تصعيدها الى حرب شاملة. فلن يعبروا الحدود، ولن يقذفوا مدن اسرائيل ومطاراتها بالقنابل»[9].

بالطبع كانت هناك خطورة في المراهنة على هذا الاحتمال. فلو ثبت خطأه وشنت مصر هجوما على المدن الاسرائيلية، فسندفع ثمنا غاليا ثمن تفويت الفرصة بمفاجأة الطائرات المصرية وهي لاتزال على الارض ولكني قدرت ان القيادة المصرية لن يكون لديها تصور صحيح لما يجري في الساعات الأولى[10].

وليس الا في صباح اليوم الثاني حتى ان رئيس الاركان (المصري) سيدرس رده ومن المؤكد أنه سيحشد كل قواته لمواجهة الوحدات الاسرائيلية التي تسللت الى الاراضي المصرية ولكن لا اعتقد انه سيرسل طائراته لضرب تل ابيب».

«وقد ثبت صحة تقديرنا وهو اننا اذا لم نهاجم مطارات المصريين فلن يمدوا نطاق عملياتهم الجوية خلف حدود سيناء».

لاحظ انه حتى خاطر بخسارة فرصة مباغتة الطيران المصري، لأنه اذا فعل وضرب المطارات المصرية في القاهرة والاسكندرية فلا يمكن للقيادة المصرية ان تتعلل بأنها مجرد «اعتداء على الحدود».. وعندها يمكن أن يصل جانب من السلاح الجوي المصري الى مدن اسرائيل.. ولذلك حرص على اعطائها المبرر للتخاذل..

على اية حال.. الطايرات ما كانشي فيها بنزين!..

وهكذا ضاعت ٢٤ ساعة حاسمة فاصلة في تاريخ الشرق الاوسط، ووصل الانذار البريطاني ولكن لم يأخذه جمال عبد الناصر مأخذ الجد، وكان يعتقد ان الغرض منه هو ان نعمل على الاحتفاظ بالجزء الاكبر من قواتنا دون تحريكها الى ارض المعركة من سيناء..».

اذا جاءت معلومات بهجوم اسرائيلي، توقع انها تضليل لستر هجوم بريطاني، واذا جاء انذار بريطاني توقع انه لتغطية هجوم اسرائيلي!..

وينتقده البغدادي: «وكان هذا هو ما يعتقده جمال رغم المظاهر السابقة وصورة الجدية في تحريك انجلترا وفرنسا لقواتها الى جزيرتي مالطة وقبرص، ومواقفها من الحلول السلمية المختلفة».

أخطأ الرئيس فهم نوعية العلاقة بين امريكا من ناحية واسرائيل وبريطانيا وفرنسا من ناحية اخرى، فجهاز الاعلام المصري الذي يصف اسرائيل بأنها عميلة امريكا يفهم هذه العمالة بمصطلح «نوري سعيد» أي الخيانة، والتبعية حتى ضد المصلحة الذاتية! ولذلك

تصور أن امريكا تستطيع «فرملة» اسرائيل على حد تعبير المتحدث الرسمي هيكل، وربما بريطانيا وفرنسا ولكن -الحمد لله- ثبتت رؤ يا أوبتعبيره تكشفت العملية بكل ابعادها عندما صعد الى سطح البيت وشاهد القصف على مطار العاصمة. كانت الطائرات قاذفات بعيدة المدى «كانبيرا» بريطانية في الغالب (والله اعلم ج). . وعلى العموم فلا أحد يملك في المنطقة قاذفات بعيدة المدى غير الانجليز. . .

يعني لازم هم! . .

اذا كانت هذه قاذفة بعيدة المدى، وهذه هي القاهرة، واليوم هو الاربعاء. . فهؤلاء هم الانجليز. . ونكون فعلا في حالة حرب!

كان عبد الناصر قد اتخذ قرار بسحب القوات من سيناء في اغسطس ١٩٥٦ وبذلك اصبحت «مكشوفة» بتعبير هيكل نفسه. وكان ذلك اكبر مما تحلم به اسرائيل اذ جعل من الممكن ان تهبط مظلاتها في قلب سيناء. . وان تنخفض خسائرها بنسبة كبيرة جدا، وما أبدته الوحدات المصرية القليلة المتناثرة من مقاومة مذهلة. يمكن أن يوحي بما كان يمكن أن ينزل بالجيش الاسرائيلي من ضربات قاصمة لو أن القوات لم تسحب من هناك.

وفور التأكد من الهجوم الاسرائيلي اصدر عبد الناصر الامر للجيش بعبور القناة شرقا والتوجه الى سيناء. . واتخذ عامر وضع الهجوم. .

ورغم كراهية بغدادي لعامر وشهادته السيئة لأسلوب ادارته للمعركة الا ان الشهادة نفسها تؤكد ان عامرا كان يقاتل بكل قواته، وكان ينفذ توجيه الرئيس بحرفياته وكان يأمل -وله الحق- في الانتصار على اسرائيل. يقول بغدادي: «وفي يوم الثلاثاء ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ ذهبت الى القيادة المشتركة في الساعة التاسعة صباحا فوجدت كمال الدين حسين موجودا مع عبد الحكيم. ولكن لاحظت ان عبد الحكيم يدير المعركة بحالة عصبية ويتولى اصدار الاوامر في كل كبيرة وصغيرة. والقادة في الميدان لايملكون التصرف الا بعد الرجوع اليه. . وهذا عيب كبير في ادارة المعارك الحربية. وهو كقائد عام يجب عليه ان يتفرغ للامور الهامة اثناء المعركة. وقد لاحظت أيضا انه كان يدفع بقوات كثيرة الى ارض المعركة دون مبرر واضح يدعو الى هذا التصرف، ولكن -على ما يظهر- كان يرغب في تحقيق نصر سريع، لأنه كان عندما يمر بعض الوقت دون سماع اخبار عن تحقيق النصر الذي يأمله يقذف بقوات جديدة الى ارض المعركة[11].

المهم ان القوات المصرية كانت في حالة اندفاع الى سيناء. . ولم يكن الوقت قد سمح لها بعد بتحقيق انتصارات كما يستنتج بغدادي، فالاوامر صدرت بالهجوم في ليل يوم ٢٩ وبغدادي في القيادة في التاسعة صباحا. . فهي على الاغلب وحتى مساء نفس اليوم إما مازالت تعبر. . وعبور القناة وقتها لم يكن بالعملية السهلة فلم يكن هناك الا الكوبري

وعبارة شبه يدوية . . أو وصلت الى سيناء وبدأت تأخذ مواقفها وتوزع مهماتها وتحاول تحديد مكان العدو. .

وفجأة انقلب كل شيء رأسا على عقب . .

قرر الرئيس الانسحاب!!

واليك رواية المحامي العام :

«وكان جمال عبد الناصر في مقر قيادة القوات المسلحة في كوبري القبة يواجه مواقف بالغة العنف .

دخل هو الى القيادة وفي ذهنه ان الانسحاب الكامل من سيناء ضروري حتى لاتقع كارثة كان يخشاها ويتحسب لها ، وكان عبد الحكيم عامر يعارض قرار الانسحاب من سيناء ، وحاول عبد الناصر ان يتكلم بهدوء في بداية الامر ويقول لعبد الحكيم عامر:

ـ الا ترى ان استمرار تدفق قواتنا على سيناء معناه اننا نجري باقصى سرعة لكي نضع انفسنا في فخ؟

ان قواتنا سوف تجد نفسها والاسرائيليون امامها والانجليز والفرنسيون وراءها ، ولا بد من تجمع القوات كلها في منطقة قناة السويس والى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا ، وبعدها يكون امر اسرائيل سهلا» .

«ويقاوم عبد الحكيم عامر لاسباب عاطفية قرار الانسحاب ، ويصر جمال عبد الناصر ، ويبعث الاشارات موقعة منه الى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء بأمرهم فيها بالانسحاب .

وكانت خطته على النحو التالي :

١ ـ ان الكتائب الاصلية الثمان التي كانت موجودة في سيناء من الاصل عليها ان تقاوم مهما كان الثمن ، وحتى الى اخر رجل واخر طلقة ، لمدة ثمانية واربعين ساعة ، وذلك حتى توقف تقدم الجيش الاسرائيلي في سيناء ، فلا تشتبك مع القوات المتدفقة عليها بينما هي الان تحاول الانسحاب عائدة الى غرب قناة السويس .

٢ ـ على كل القوات المتدفقة عبر قناة السويس الى الشرق ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، ان تكمل انسحابها من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة ، مهما كان الثمن ، وعليها ان تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا ، لتكون مستعدة لمواصلة القتال مع العدو على الجبهة الرئيسية للمعركة .

٣ ـ تعطيل الملاحة في قناة السويس ، ونسف بعض السفن المحملة بالاسمنت فيها وسط المجرى الملاحي ، ووضع كل غزاة القناة امام امر واقع جديد .

٤ ـ على الطيران المصري ان لايشتبك مع العدو لان المعركة غير متكافئة ، وليس مهما تدمير الطائرات المصرية ، وانما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين ، وعددهم

محدود، واذا تمكن العدو من اصطيادهم في الجو واسقاط طائراتهم وهم فيها، وقتلهم، فسوف تمر عشر سنوات قبل ان يكون لمصر طيارين قادرين على العمل، والاوضاع الحالية لاتترك للطيران المصري فرصة، فامامه قرابة الف طائرة بريطانية فرنسية اسرائيلية، وليس لمصر اكثر من مائة وعشرين طيار مدربا، ولسوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوما وتبقى اسرائيل امامنا، ولا يستطيع ان نواجهها بغير طيارين.

٥- الاستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الاحتلال، حتى لو توقفت الحرب المنظمة واستطاعت قوات الغزو ان تتغلب على القوات النظامية للجيش المصري.

وتم ما طلبه جمال عبد الناصر.

اما بغدادي فيقول ان صلاح سالم هو الذي اقنع عبد الناصر بالانسحاب، ويقول «في العاشرة والثلث مساء صدر قرار الانسحاب الشامل لقواتنا من تلك المناطق سيناء وحتى من قطاع غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ».

وبغدادي يجعل القرار جماعيا!.. ولايشير بحرف الى معارضة عامر العنيفة لقرار الانسحاب.. ولو كان فيه الخير أي قرار الانسحاب لأطنب في تسجيل معارضة عامر!..

ويقول حروش «قرر عبد الناصر سحب قوات الجيش الى منطقة القناة لتقف مع الشعب في دفاعه عن حريته وقناته بدلا من دفعها الى سيناء وهي ثُمن مساحة مصر كلها والقوات المتيسرة ليست كافية للدفاع عنها في ظروف تفرض الصحراء فيها متاعب ادارية وفنية كبيرة».

عبيد السوء هؤلاء الذين اغتالوا سيدهم يكرهون سيناء، وهي عندهم صحراء، وباعتبارهم مهاجرين من بروكلين ومانهاتن وكييف لايقدرون على حرب الصحراء ومتاعبها الادارية والفنية مثل «البدو اليهود» ولذلك يتركونها لهم كلما هجموا!

لماذا تخلى ثُمن مساحة مصر؟ لماذا لايدافع الجيش عن حريتنا وقناتنا في سيناء على الضفة الشرقية للقناة؟ واي دفاع عن القناة هذا اذ سمحت للعدو بالوصول الى شاطئها الشرقي.. واذا كنت تريد الدفاع عن شاطئها الشرقي كما سيدعى بعد بضعة سطور، وبعكس الامر الصريح الذي اثبته هيكل العليم، بالانسحاب الى الضفة الغربية، اذا كنت ستدافع على شاطيء سيناء فلماذا لاتدافع في الممرات؟!

وهل هذه قضايا يقررها عبد الناصر، حتى اذا كان قريب العهد من عمله في مدرسة الاركان؟! ان خطة الاستيلاء على مقر قيادة الجيش يوم ٢٣ يوليو لم يضعها عبد الناصر بل كلفوا بها زكريا محي الدين! لماذا لايترك للعسكريين الذين اوكلت لهم الثورة مسئولية الجيش اتخاذ القرار؟!

عبد الحكيم عامر وضباطه رفضوا الانسحاب وقرروا انه من المصلحة الالتحام مع

الجيش الاسرائيلي في سيناء وتكبيده اكبر خسارة ممكنة. فهذا من ناحية يفيد الاستراتيجية المصرية على المدى البعيد لان اسرائيل هي العدو الدائم والجار المقيم، ولان القتال كان سيطعم الجنود بالدم، فيتعودون الصمود والاشتباك مع اليهود.. والسلاح كان متوفرا اكثر من اي وقت منذ ١٩٤٨ وهذه فرصة التعميد بالنار كما يقولون. ولانه «سوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوما وتبقى اسرائيل امامنا».

ويرى العسكريون وفي مقدمتهم عبد الحكيم عامر أن الانسحاب سيدمر الروح المعنوية للعسكريين والشعب، بل والشعوب العربية وسيخلق سابقة سيئة في اول حرب تخوضها «الثورة» ضد العدو الدائم كما انه سيضاعف الخسائر، لأن الاسلحة هناك ولا تغطية جوية ومن ثم فالاحتمال الارجح هو فقدان كل العتاد العسكري ونسبة هائلة من الجنود فلا يبقى مايدافع به عن قناتنا وحريتنا.. وهذا نص أمر عبد ناصر: الانسحاب من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة مهما كان الثمن. وما هو الثمن هنا؟ الا العتاد وعدم اللامبالاة بالخسائر في الارواح!

وهو ما حدث فعلا. أو كما يقول «هيكل»: «وتم لعبد الناصر ما اراد»

وكأنه فتح تل ابيب!..

ولنفرض ان الجيش المصري حوصر فعلا بين الجيش الاسرائيلي والجيش البريطاني الذي لم يتخذ موقعا على ارض مصر الا قبل وقف اطلاق النار بيوم واحد، ولم يتجاوز بور سعيد فيما بقي الجزء الاكبر من القناة مفتوحا للجيش المصري اذا شاء القتال.. لنفرض أنه حوصر، هل كانت الخسارة ستكون افدح..؟!

لقد خسرت مصر جميع الاسلحة البرية والجوية، وانفرط عقد الجيش تماما، وصدر الامر - كما يقول هيكل للكتائب الثمان في سيناء ان تنسحب «كل رجل على مسئوليته» اي تفرقوا ايدي سبا..

انسحب الضباط ومن نجا من الجنود بالملابس المدنية بعد أن هجروا اسلحتهم الثقيلة، وباعوا الخفيفة للبدو مقابل الحصول على جلباب وحذاء غير عسكري وجرعة ماء!

وكانت اسرائيل تعتقل الضباط وتترك الجنود وتجبرهم على عبور سيناء حفاة جياع شبه عراة.. وتطاردهم بالطائرات في مايشبه لعبة صيد الادميين.. وقد خلالها الجو.. وقالت غولدا مايير انهم انتقوا خمسة الاف فقط كأسرى من بين ثلاثين الف جندي مصري كانوا هائمين في سيناء بلا ضابط ولارابط فريسة مكشوفة للطير ان الاسرائيلي الجبان، الذي لايظهر الا بعد تدمير الطيران المصري!.

هل هذه الخطة كانت ابرع من استشهاد ضباطنا في ثيابهم الرسمية فوق دباباتهم وعلى رأس جنودهم؟!

وللحقيقة والتاريخ يسجل حمروش ان عبد الحكيم عامر رفض قرار الانسحاب «وظل في مناقشة عاصفة معه (جمال عبد الناصر) طوال الليل مما اخر سحب الدبابات قليلا»! . . .

واخيرا رضخ عامر، اوتمت تنحيته حسب رواية هيكل، اذ راح عبد الناصر «يبعث الاشارات موقعة منه الى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء يأمرها بالانسحاب».

وتخيل معنوية القادة والاوامر تصلهم من رئيس الجمهورية ويتساءلون اين القائد العام. . ماذا جرى؟! . .

وظهر خلاف جديد!

الانسحاب تم كما توقعه عامر، وكما حاول طول الليل ان يتفاداه فالجيش المصري غير الجيش البريطاني الذي يقال فيه انه كان ينتصر ببراعة انسحابه. . فما ان صدر الامر للجيش بالانسحاب والالتحام مع الشعب وبأي ثمن؟ حتى انسحبت القيادات الى الزقازيق. . «ولكن جمال عبد الناصر اوضح لهم انه لا يجوز ترك القناة عارية بلا دفاع لان ذلك يسهل للمهاجمين اقتحامها دون عناء وانهم سيقفون عند حدود ذلك دون رغبة في اقتحام الدلتا او الوصول الى القاهرة».

«وحدث خلاف جديد بين جمال عبد الناصر وبين العسكريين من رجال الجيش الذين تصوروا ان التحام الشعب بالجيش يكون بسحب القوات الى غرب القناة حيث تزيد كثافة السكان ونقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق فعلا».

وهذا هو المفهوم المتوقع اذ لاشعب في صحراء سيناء يلتحمون به! . . ولماذا الاستنتاج، وها هو الامين على الناصرية الذي يطلع على الوثائق في الخزائن التي في الدور الارضي . . يقول حرفيا ان امر عبد الناصر هو: «تجمع القوات كلها في منطقة قناة السويس والى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا»

«تحاول الانسحاب عائدة إلى غرب قناة السويس» ص٢٣٤ الفرقة المدرعة «تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا » ص٢٣٤

هذا كله هذر. . الانسحاب بالصيغة التي صدر بها، كان وقف اطلاق نار وتسليم سيناء بلا قيد ولاشرط . .

١ـ سحب جيش مازال مندفعا في طريقه الى المعركة. . وبعد ان قذف بمعظم القوات الى ارض المعركة.

٢ـ الامر بالانسحاب «مهما كان الثمن».

٣ـ سحب الطيران نهائيا من المعركة ولا حتى من تغطية الانسحاب «على الطيران المصري ان لا يشتبك مع العدو لان المعركة غير متكافئة وليس مهما تدمير الطائرات المصرية : : الخ».

٤ـ اربـاك العسكـريين بجملة انشائية سخيفة : «الالتحام مع الشعب» التي لا مكان لها في التـوجيهـات العسكـرية فالالتحام يكون مع العدو! في معركة طاحنة. . وكان ان فهمها العسكريون بانها تعني الاختفاء داخل الحدائق وبين المنازل. . والتحول الى المقاومة الشعبية!!

ان امر الجيش «بالالتحام مع الشعب» تعبير معروف يقصد به حل الجيش او الاعتراف بانحلال الجيش. لان القوات المسلحة النظامية، طالما ظلت تحتفظ بكيانها فليس المطلوب منها الالتحام مع الشعب، وانما منع نار الحرب من الوصول الى الشعب.

واذا كنـا نعتقـد ان عبـد الحكيم عامـر هو اسوأ قائد تولى قيادة الجيش المصري منذ مراد وابـراهيم باستثنـاء محمـد فوزي. . الا ان الانصـاف يقتضي القول بأنه لايتحمل مسئولية كبيرة في ما جرى خلال حرب سيناء هذه ـ واقصد يوميات القتال ـ فلم يكن الامر امره، ولا التقدير تقديره ولا القرار قراره.

عبد الناصر يحمل المسئولية الكاملة في ما نزل بجيشنا، فقد «تم له ما اراد» بنص كلمات هيكـل الفـرحة. «واستقرت الخطة الدفاعية على اساس تفكير جمال عبد الناصر» كما يقول حروش، ثم يعود فيناقض نفسه ويقول ان «عبد الحكيم عامر» كان يستحق المحاكمة على قيادته للجيش في حرب ١٩٥٦ وهو ظلم مبين للرجل. . فبعد قرار الانسحاب لم تعد هناك معـركـة. . ولاحـرب. . عبـد الناصر هو الذي اصدر قرار الانسحاب وكان سعيدا وفخورا به. . «فعندما ابلغ جمال عبد الناصر ان عملية الانسحاب قد تمت قال : «شعرت على الفور ساعة اخطرت، ان مصر كسبت المعركة حين احبطت خطة العدو ولو ان قرار الانسـحاب قد تأخر ٢٤ ساعة فقد كان الأمر كله قد انتهى».

معركة وكسبناها. . فلماذا يستحق القائد العام المحاكمة؟!. .

ونعتقـد ان هذه هي عينـة من الشعـارات المسبوكة التي وضعت فيها بعد لقلب الصورة، وجعـل الهـزيمـة انتصـارا، والقـرار الخـاطيء بالانسحـاب عبقـريـة والا فما الـذي تحقق بالانسحاب من سيناء؟!

مائة مليون جنيه وثلاثة ثمن السلاح الذي دمر اوسقط في يد العدو. . واستشهاد الآلاف من شبابنا. .

ما هي المعركة التي كسبتها مصر بالانسحاب. . !!

لم يكن سلوك عبـد النـاصـر وكلماتـه في لحظات الصدق مع النفس خلال الحرب تعكس مثل هذا الادعاء بنجاح الخطة وكسب المعركة فقد كان يبكي ويقول «هزمني جيش» وليس هكذا يتكلم القائد الذي كسب المعركة بفرق ٢٤ ساعة!!

هذا كلام كان يقبـل ويـردد بدون منـاقشـة يوم كان عبـد الحليم حافـظ يغني له : «قـول

مابدالك احنا رجالك وذراعك اليمين». . حتى فنت الرجال وقطع اليمين. .

كذلك قد عرفنا من شهادة بغدادي وتحليل موشي ديان سبب عدم اشتراك الطيران المصري في المعركة، وسر انتظار الطائرات حتى جاء الانجليز وحطموها على الارض في يوم واحد وكانوا يتوقعون يومين، ولكن هيكل كالدبة التي قتلت صاحبها، ينسب هذا الى الرئيس عبد الناصر نفسه عندما يقول انه اصدر امره بالآتي:

«على الطيران المصري ان لايشتبك مع العدو لان المعركة غير متكافئة، وليس مهما تدمير الطائرات المصرية، وانما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين وعددهم محدود. واذا تمكن العدد من اصطيادهم في الجو واسقاط طائراتهم وهم فيها، وقتلهم. فسوف تمر عشر سنوات قبل ان يكون لمصر طيارين قادرين على العمل. والاوضاع الحالية لاتترك للطيران المصري فرصة، فامامه قرابة الف طائرة بريطانية فرنسية اسرائيلية. وليس لمصر اكثر من مائة وعشرين طيارا مدربا ولسوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوما وتبقى اسرائيل امامنا، ولا نستطيع ان نواجهها بغير طيارين».

ولانه مجرد «انشا ورص كلام» اوبصراحة مجرد اكاذيب فهويتناقض مع بعضه. . اذا كان الانسحاب من سيناء هو موضوع التبرير تصبح «بريطانيا وفرنسا هما العدو الرئيسي، وبعدها يكون امر اسرائيل سهلا»! ص٢٣٣ فاذا انقلب الى الدفاع عن تدمير السلاح الجوي، اصبح الغزو الانجليزي - فرنسي ظاهرة عارضة اما اسرائيل فهي العدو الدائم الباقي! ص٢٣٤

سلوين لويد قال ان عبد الناصر كان لديه جهاز اعلام يحسده عليه «جوبلز» ربما. . ولكن «جوبلز» لم يكن يكذب على نفسه، وعلى هذا النحو المفضوح التناقض. .

وفي احصاء هيكل لما تم مما طلبه جمال عبد الناصر:

احصى الاتي:

● «استطاعت الكتائب المصرية الثمان في سيناء ان تقاتل وان تصمد في قتالها على مدى الثماني والاربعين ساعة المطلوبة منها، ولم تستطع القوات الاسرائيلية ان تتقدم على محاور سيناء الاربعة الا بعد ان توقفت مقاومة هذه الكتائب - بعد الموعد المقرر لها - وبدأ انسحابها، وكان رأي قادتها انها لاتستطيع الانسحاب بطريقة منظمة، خصوصا وانها ابلت في القتال بلاء حسنا، وهكذا كان الامر لـ «كل رجل على مسؤوليته».

● عادت القوات التي كانت تتدفق على سيناء، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة، وكان الطيران البريطاني الفرنسي قد ركز عليها لتدميرها اثناء انسحابها، ولكنه لم ينجح الا في اصابة بعض مركباتها الخفيفة، واما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة الى مواقعها الجديدة.

● تم تعطيل قناة السويس، وتوقف شريانها الحيوي عن الضخ، ووجد الذين كانوا يحاولون ضمان حرية الملاحة في القناة ان القناة توقف نبضها.

● ابتعد الطيارون المصريون عن سماء المعركة امام تفوق لا قبل لهم به وهو كفيل بالقضاء عليهم جميعا واحدا واحدا.

● كان الاستعداد لمواصلة الحرب الشعبية على قدم وساق، واختار جمال عبد الناصر موقعا في وسط الدلتا قرب طنطا ليكون مقر قيادته في حرب كل الشعب ضد الغزو، اذا كانت هناك ضرورة لذلك».

١ـ واذا كنا سنعود لهذه النقطة في ما بعد الان هيكل يعترف ان قرار الانسحاب هو الذي اوقف المقاومة المصرية للقوات الاسرائيلية. وهذه فعلا كانت من اعنف المعارك، وكان يمكن ان تغير الصورة لولا الامر بالانسحاب!!! وكأن القيادة المصرية كانت تعمل مع القوات الاسرائيلية والا فكيف تفسر موقفها من هذه القوات التي وصفها بأنها «صامدة ومستمرة في القتال، ولا سبيل لتأمين سلامتها، بل ولا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة.. فاذا بالقيادة تنفض يدها منهم.. بل ياليت.. ياليتها تركتهم يقاتلون الى آخر جندي او الى آخر طلقة ثم يأسرون كما يحدث في كل الحروب، بعد ان يعطلوا تقدم العدو ويكبدوه اكبر خسارة ممكنة.. لا.. تأمرهم «بالانسحاب كل رجل على مسئوليته».. وهو أمر لا يعني الا التمزق والتحلل من الانضباط العسكري والروح الجماعية، التحول الى وحوش كل منهم يحاول النجاة بجلده..؟! لماذا.. لماذا تأمرهم بوقف القتال.. ولماذا تصدر هذا الامر القبيح «كل رجل على مسئوليته»!

واي «جوبلز» هذا الذي يحسد اعلاما يردد نجمة هذا الامر الغريب، او التخلي عن مسئولية تأمين الانسحاب لهؤلاء الابطال والسبب «انهم ابلوا في القتال بلاء حسنا»!.. هل الذي يبلي في القتال بلاء حسنا.. نسرحه ونقول له دبر حالك.. خد بالك من اليهود وانت ماشي؟!

ما هذا الهذر؟! وكيف يفسق في تاريخنا هذا الجاهل.. يقول: «وكان رأي قادتها انها لاتستطيع الانسحاب بطريقة منظمة، خصوصا وانها ابلت في القتال بلاء حسنا. وهكذا كان الأمر لها: «كل رجل على مسؤوليته»!! ص٢٣٥ ان كان هذا كلام عاقل فهو مريب الهدف!

وان كان هذا هو منطق هيكل فيا حسرة على أمة كان هو المصدر الوحيد للمعرفة فيها، ومستشار قيادتها؟!

٢ ـ يعترف ان القوات المدرعة التي كانت تتدفق على سيناء وفي مقدمتها الفرقة الرابعة انسحبت تحت ضرب الطيران البريطاني والفرنسي «الذي ركز على تدميرها اثناء

انسحابها» ولكنه يزعم ان الطيران البريطاني والفرنسي أو الالف طائرة اياها (ولا ندري لماذا استثنى الطيران الاسرائيلي من هذه المهمة ج) لم ينجح . . ولا يفسر لنا سبب ذلك . . فالقوات تعبر مضيقا مائيا لايمكن ان تعبر عليه الا عربة واحدة في الوقت الواحد، وبلا غطاء جوي لأن الحكيم قرران الطيارين أهم من أن يخوضوا حربا فيقتلهم العدو داخل طائراتهم! . لماذا وكيف فشلت الألف طائرة في اصطياد هدفاً مكشوفاً محصوراً مثل هذا؟!

سنقدم في هذا الأمر شهادة عبد الناصر نفسه . . ولكن ألم يكن وضع هذه القوات في سيناء افضل وهي مشتبكة مع العدو، مما يقلل فعالية الطيران بسبب الاشتباك . . الم يكن هذا افضل من وضعها وهي تقوم بدوره ٣٦٠ درجة من الاندفاع الى الهجوم الى التراجع وجيش اسرائيل في ظهرها والف طائرة فوقها؟!

٣ ـ تهريب الطيارين من المعركة كان قرارا خاطئا ، فلو كانوا قاتلوا وقتلوا في طائراتهم وخلف مدافعهم، وهم يتعرضون لطائرات العدو ويسقطون منها قدر جهدهم لخلقوا تقاليد سلاحنا الجوي، ودافعوا عن شرف هذا السلاح واضافوا لتراث الوطن العسكري . . وخففوا بلا شك من خسائرنا وانزلوا الخسارة بالعدو وخاصة في اليوم الاول قبل تدخل الطيران البريطاني . . وحتى لواستشهدوا جميعا . . حتى لو صدقنا خرافة اننا نحتاج لعشرة سنوات اخرى . . وليكن . . فمعنى ذلك أننا كنا سنكوين جاهزين في نوفمبر ١٩٦٦ وهو وقت كافي جدا لخوض حرب ١٩٦٧ والا فماذا فعلنا بطيارينا الذين انقذناهم، في الفترة ما بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ الاضرب الحدود السعودية، والمعارضة اليمنية . . ؟!

ولماذا نلوم صدقي محمود اذا نفذ توجيهات الزعيم، وصدق كل ما قيل عن عبقريتها . . فانقذ الطيارين مرة أخرى وترك الطائرات تدمر في ١٩٦٧؟!

واذا كان هيكل قد كلفت معركة سيناء في أقل من صفحة في كتاب من ثلاثمائة واربع صفحات مخصص لاثبات انها كانت اكمل نصر عربي . . فلأنه يريد أن يُخفي الحقائق التي تفضح كذبه . . ولذلك لابد أن نقدم نحن صورة ما جرى فعلا في حرب سيناء . .

ونبدأ بشبه الماركسي الحائر بين ما ظل يردده باعتباره من المسؤولين في الاعلام الناصري عن «نصر السويس» وبين الحقائق التي يعلمها وتعلمها . .

قال حروش «كان مفروضا أن يحاكم عبد الحكيم عامر عسكريا على موقف القوات المسلحة في عدوان ١٩٥٦ الذي ثبت يقينا أنها لم تؤد دورها كما يجب مع تقدير وجودها في مرحلة انتقال . . الخ»

وقد ناقشنا حجم مسؤولية عامر وسنناقشه، وانما المهم هنا هو الاعتراف بأن التقصير وصل الى حد استحقاق القائد العام للمحاكمة العسكرية، وهي صورة لاتوحي ابدا «بنصر كامل» فضلا عن «اكمل نصر في تاريخ العرب الحديث»؟! يالعار تاريخ العرب.

الحديث اذا كان اكمل نصرهم يستوجب محاكمة قائدهم؟!

ويقول: «كانت المقاومة الشعبية تقاتل في بورسعيد بينما توقف الجيش عمليا عن القتال بعد انسحابه».

اذا لاحماية حريتنا ولا قناتنا ولا التصدي للهجمة الانجلو- فرنسي العدو الرئيسي.. كل هذا لم يكن سوى كذب وتضليل لاخفاء حجم الهزيمة..

والمؤرخون لهذه الفترة والماركسيون بصفه خاصة، يشيدون بالمقاومة الشعبية في بورسعيد والموقف الرائع للشعب المصري، ولكنهم يخطئون تفسير هذه الظاهرة ويخفون الكثير من حقائق هذا الموقف.. ولكي نقدر موقف الشعب المصري ونتعرف على طبيعة المقاومة الشعبية في بورسعيد حيث سقطت سلطة ٢٣ يوليو واصبح الشعب وحده في مواجهة الاحتلال.. يجب أن نأخذ فكرة عن الحالة عند القمة..

يسجل بغدادي باستياء أنه عندما جاء الخبر الكاذب عن انزال جنود مظلات في أرض السباق بمصر الجديدة: «حدث على الاثر ما لاكنت اتوقعه من الانفعال والعصبية وتكلم عبد الحكيم قائلاً: «اختفوا جميعا واتركوني مع الجيش» واضطرب جمال (عبد الناصر) وفكر في اولاده. وطلب العمل على نقلهم فورا الى القناطر الخيرية، ولكنه عاد بعد فترة وطلب نقلهم الى منزل في وسط القاهرة خوفا من كلام الناس، وحتى لايقال إنه هرب اولاده وترك الناس معرضين للخطر. واما صلاح سالم فإنه كان يصر على قيامنا فورا بمغادرة مبنى القيادة والاختفاء وطلب منا أن نذهب الى منزله لنناقش الموقف في هدوء بعيداً عن الخطر»

(لعله كان يفكر في مذبحة قلعة اخرى أو تكرار قصة شمشون ج)

«ولم يكن هناك أي قوات بالقاهرة الا الكتيبة ١٣ المكلفة بحراسة منزل جمال عبد الناصر».

واذا كانت الرواية الشائعة هي نصيحة صلاح سالم بالتسليم فإن بغدادي يقسم هذه النصيحة مناصفة بين عبد الحكيم وصلاح سالم، بل ويجعل عامراً هو السباق اليها فيقول ان عامراً اختلى بجمال عبد الناصر وعرض عليه التسليم أو طلب وقف القتال. وان عبد الناصر استدعى بغدادي الى مكتبه وطلب من عبد الحكيم ان يتحدث معه وزكريا «في الموضوع الذي سبق وذكره له أي لجمال. وقال عبد الحكيم انه يفضل طلب ايقاف القتال».

اما حكاية صلاح سالم فهي اطرف في رواية هيكل.. اذ قال لجمال عبد الناصر: «لقد أديت لمصر خدمات عظيمة وانت اليوم مطالب بخدمة اخرى سوف يذكرها لك التاريخ وهي أن تذهب الى السفارة البريطانية وتسلم نفسك».

بصرف النظر عن امانة هيكل في النقل وصلاحيته كمصدر الا ان الرواية أيدها بغدادي وغيره من المصادر الاكثر مصداقية، وهي على اية حال لاتستغرب من صلاح سالم فقد كان

يتمتع بقدرة على السخرية حادة، لايفوقها الا حقده على عبد الناصر وقناعته بأنه أي عبد الناصر، لايؤمن بأية قيم، ولايفكر الا في مجده الشخصي، واستمراره في السلطة . .

وتقدم «سليمان حافظ» بطلب اعادة جمال عبد الناصر الى الكتيبة السادسة المشاة، واعادة محمد نجيب لأن الناس تقول ان عبد النصار يخلط بين مجده الشخصي وبين مستقبل البلاد».

والحمد لله لم يتقدم بطلب التسليم أو وقف اطلاق النار شيوعي ولا اخواني ولاوفدي ولا مواطن من الذين حرمتهم الثورة من العمل السياسي منذ أن وصلت الى السلطة، بل عامر وصلاح سالم . . وأخير المستشار الخاص الذي فلسف لهم الارهاب، ونظم لهم القضاء على القوى الوطنية . .

وبينما صورة «هيكل» هي سيطرة عبد الناصر تماما على الموقف العسكري، وغبطته بنجاح خطته العسكرية . . نجد صورة مخالفة تماما عند بغدادي :

«ثم بدأ (عبد الناصر) يتكلم عن أنه لايعلم شيئا عما يفعله الجيش وان القوات العسكرية انتشرت في شوارع القاهرة، وتركت منطقة القناة رغم الاتفاق على سحبها من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة، وأنه منعزل تماما عن القيادة العسكرية ولا تصله أية معلومات عن أوامر العمليات اوتحركات القوات أوخطة الدفاع . . وذاكراً انه المسؤ ول الأول في الدولة. وأن صلاح سالم هو الذي أصبح وكأنه هو المسؤ ول وتنفذ اقتراحاته ويصدر الاوامر. كما ذكر أنه هو ـ أي صلاح ـ الذي كان قد اقنع عبد الحكيم بالتسليم ووقف القتال. ومن أن صلاح قد اصبح مسيطرا عليه. وكانت حالة جمال عصبية وهويذكر ذلك، بل كان يكاد يفقد السيطرة على نفسه. فطلبت منه أن يهدأ . . الخ»

«وتكلم جمال في هذا الاجتماع ذاكرا لعبد الحكيم وبصراحة تامة كل ما يشعر به عن انعزاله عن القيادة العسكرية تماما، وعدم علمه بما يجري رغم مسؤ وليته، وأن صلاح هو الذي أصبح يدير البلد ـ على حد قوله ـ ولكن عبد الحكيم رد عليه عند ذكره لهذا بقوله «انت تعلم ان لي شخصيتي ولي رأيي، ولايمكن ان انصاع لا لصلاح أوغير صلاح «وكان جمال يتكلم وهو في حالة عصبية . اما عبد الحكيم فقد كان متمالكا لا عصابه ولقد سأل جمال عما يريدون منه. وذاكراً أنه ليس لديه مانع من أن يتولى جمال القيادة العسكرية بنفسه وهو على استعداد أن يعمل تحت قيادته، ولكن جمال رد عليه بقوله : «انا لا اطلب أن اتولى القيادة. ولكنني اطلب ان اكون على علم بما يجري. وأن يؤخذ رأينا فنحن أيضا كنا عسكريين ونفهم شويه». وفي النهاية وبعض نقاش حاد تم الاتفاق على ان يقوم عبد الحكيم بارسال ضابطين من ضباط الاركان حرب من مكتبه ليكونا ضابطي اتصال بمكتب جمال وذلك حتى تتوافر له الصورة كاملة أولا بأول. . »

ولا أعرف شخصية بغدادي ولكن لابد أنه يتمتع. بقدرة عاليه على السخرية. . فهذا ما قدمه من معلومات ضابطي الاتصال أو «الصورة الكاملة» التي اعطياها لعبد الناصر. .

«قالا ان الخطة الدفاعية هي غرب فرع رشيدا. . وذلك حتى يتم تنظيم القوات المنسحبة»! ونظرة الى الخريطة تعني ان القيادة قد تركت سيناء وقناة السويس والدلتا منطقة مفتوحة!!

واثبت عبد الناصر أنه فعلا يفهم شوية في العسكرية أوعلى الاقل في الجغرافيا عندما سأل مرتاعا: «معنى هذا اننا الآن ونحن في القاهرة (شرق فرع رشيد ج) خارج منطقة الدفاع» فقيل له نعم!

يقبى صلاح سالم ما غلطش «لما اختصرها من اولها!!

وعلمنا منهما ان «اغلب قواتنا العسكرية كانت قد انسحبت الى منطقة القاهرة».

والانكى من ذلك انه «كان في تقدير ضابطي الاتصال انه من الصعوبة بمكان انزال قوات معادية في بورسعيد أو السويس. وان كان هناك محاولة من العدو فستكون غرب الاسكندرية. ولذلك لم تعط أهمية قصوى لتقوية الدفاعات في منطقة القناة. وقد اشرنا الى خطأ هذا التقدير منها لأن الانذار البريطاني الفرنسي قد حدد المنطقة التي هددا باحتلالها وسياسيا امام الرأي العام العالمي الدولي، لا يمكنهما غزوكل مصر حتى يصلا الى منطقة القناة موضع الخلاف، ولأن خسائرهما في تلك الحالة ستكون كبيرة. . ولكن كان هذا هو تقدير القيادة العسكرية المصرية.»

ويقول بغدادي «في تلك الفترة كان هناك نقد مرير لعبد الحكيم والجيش من الكثيرين، ولكن لابد أن نكون منصفين. فالحمل كان اكثر من أن يتحمله عبد الحكيم بمفرده خاصة بعد دخول انجلترا وفرنسا المعركة. . والعامل النفساني كان له تأثير كبير على تصرفات الكثيرين. كما وأنه كان قد حدث شلل مفاجىء للكثيرين ايضا بعد ان اتضح دخول الدولتين المعركة بالاضافة الى اسرائيل.»

وقال ان البعض شبه عامر باللواء المواوي قائد العمليات في حرب ١٩٤٨. .

وفي يوم الاحد ٤ نوفمبر توجهت الى حجرة جمال لتناول الافطار معه فوجدته وقد ارتدى ملابسه ويقوم بتناول الافطار. وقال لي انه لم ينم طوال الليل، وصرح لي انه قد بكى وانه على مايظهر قد اضاع البلد - على حد قوله - فتأثرت لحاله. . ولا اعرف ماذا أفعل لأساعده وأساعد نفسي أيضا في هذا الموقف العصيب الذي يحيط بنا»

وهذه اللحظات لا تعيب عبد الناصر ولا تنتقص من شجاعته، أو تعطي مجالا للقول بأنه قامر بالوطن. . بالعكس انها طبيعية جدا، وكان يفترض في بغدادي ان يقول له مثل هذا الكلام. . ولكن يبدو انهم جميعا كانوا مقتنعين بأنهم أو أنه هو وحده أضاع البلد!! . .

وسافر عبد الناصر مع بغدادي قاصدين بورسعيد واليك ما شاهداه: «وعلى هذا الطريق شاهدنا عربات عسكرية كثيرة مدمرة أو مقلوبة، ودبابات متروكة، منها المحروق، ومنها ما يظهر على انه سليم أو ربما يكون معطلا نتيجة اصابته من الطائرات المغيرة، والتي ظلت تهاجم القوات المتحركة على هذا الطريق بعد الانسحاب وهي في طريقها الى القاهرة. وكان جمال يسألني عن كل دبابة أو عربة نمر بها، ماذا بها؟.. وكنت اشعر انه في عالم آخر، غارق في التفكير وكنت ألمس انه متعب جدا من الموقف. وكنت احاول ان اخفف عنه. وأهون عليه الأمر. وكنت اعتبر هذا من واجبي في هذه الآونة التي تمر بها بلادي. وأعرف أن جمال هو رمز الثورة في مصر بل وفي المنطقة كلها».

«ونحن في طريقنا الى الاسماعيلية قال جمال بصورة مؤثرة وبحزنه بعدما شاهد من العربات والدبابات محطمة على «جانبي الطريق» انها بقايا جيش محطم» واخذ يتحسر على المبالغ التي كانت قد انفقت على تسليح الجيش قائلا ان «مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء» كما قال أيضا بالانجليزية .I was defeated by my army

قد هزمت بواسطة جيشي. وكنت اقول له لاتيأس ولكنه يرد علي بقوله انك تعرف انني لا أيأس ابدا. وكنت أحس أن امامي رجلا محطما»[١٢].

ربما من ضخامة النصر الكامل!

هل نصدق عبد الناصر ام نصدق هيكل..

«بقايا جيش محطم» و«مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات ضاعت هباء».. اي كل الصفقة الروسية..

هذا تقدير عبد الناصر

اما زعم هيكل «ولكنه لم ينجح الا في اصابة بعض مركباتها الخفيفة واما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة الى مواقعها الجديدة»..

قد يغفر له الكذب خلال المعركة، وكلنا كذبنا.. وكلنا مدحنا عبقرية قرار الانسحاب.. ولكن بعد المعركة؟! وبعد الهزيمة الثانية، وبعد أن اصبح المكسب الوحيد الممكن هو تحويل كوارث التاريخ الى تجارب.. فإن الاصرار على الكذب جريمة..

ولاتعجبني شماتة عبد اللطيف بغدادي وهو يسجل في يومياته ان عبد الناصر كان وقتها «لاحول له ولاقوة مع انه قائد ثورة ورئيس جمهورية» و«كنت في تلك الاثناء انظر الى جمال وأقارن بينه في تلك اللحظة وبينه في لحظات اخرى سابقة عندما كان يشعر بالانتصار والقوة».

عيب!..

فالهزيمة كانت على يد العدو الاجنبي.. شعبنا كان انبل واكثر وعيا، نسى كل الآلام

التي تجرعها من الحكم الديكتاتوري خلال ٤ سنوات والتي كانت تجعل «تريفور ايماتز» المستشار بالسفارة البريطانية والخبير بالشؤون المصرية يتوقع قيام المظاهرات وقلب عبد الناصر . .

العكس تماما هوماحدث، كان التصدع والشقاق في القمة، والالتحام والصمود على مستوى الشعب.

الذين على القمة لم يكونوا في مستوى اللحظة كما رأينا من خلافاتهم ونصائحهم بالتسليم والخلاف حول من هو المسؤول وتخويف عبد القادر حاتم - في رواية ناتنغ - لعبد الناصر من العدوان بدلا من رفع معنوية الجماهير! كذلك في التصرف المعيب واعني به الاعتقال غير المبرر والمهين الذي اتبع مع رئيس الجمهورية الأول الرئيس «محمد نجيب» وتكفي شهادة ناصري: «صدرت الاوامر بنقل محمد نجيب الى طما في جنوب الصعيد ليكون بعيداً عن القاهرة في حالة اذا ما حاولت قوات العدوان الاستعانة به اذا انتصرت. وكانت الرحلة شاقة وقاسية وعومل فيها معاملة لاتليق بقائد ثورة ورئيس جمهورية، وضابط برتبة لواء . . وكان ذلك بتصرف ذاتي (؟!!ج) من بعض صغار الضباط الذين لايرون في انفسهم الا ادوات تعذيب وامتهان دون تفكير». ويشهد حمروش «ان محمد نجيب لم يأخذ موقفا مضادا لقيادة عبد الناصر ولم يصدر منه تصريح مضاد».

ويخطىء الكاتب الماركسي سابقا، كما اخطأت القيادة المصرية في تفسير موقف الجماهير اذ يقول انها التفت حول عبد الناصر في معركة ١٩٥٦ بسبب مواقفه الوطنية: باندونغ وانتصاره في معركة الاحلاف وصفقة السلاح وإبراز دور القومية العربية.

واظن ان رجل الشارع في بورسعيد والقاهرة، فضلا عن الفلاح، لم يكن يحسن نطق باندونج . . ولايفهم ما هي الضجة حول حلف بغداد، أويفهم بالضبط ما تعنيه كلمة حلف، ولماذا يكره عبد الناصر أن «يحلف» على بغداد أو يحلف ببغداد!

لا . . هذا انتقاص من وطنية الشعب المصري . . لوكان يحكم مصر «احمد فؤاد»[١٣] استاذ المتمركسين في حركة الجيش، وهوبلاشك ابغض شخصية عامة في مصر منذ زيور باشا . . وجاءت بريطانيا تهاجم مصر وتعلن أن هدفها اسقاطه لفداه المصريون بارواحهم وما يطيقون.

الوقفة الشعبية في ١٩٥٦ رغم كل السلبيات من جانب السلطة، والمرارة التي كانت في النفوس، هي وقفة وطنية طبيعية ومتوقعة من شعب في عظمة وعراقة ونضج شعبنا.

ولكن العسكر في السلطة وخارجها، ظلوا يبحثون لها عن تفسير؟! فقد كان توقعهم أن ينقض الشعب على عبد الناصر من الظهر ويفتك به ورجاله أو يقدمهم فدية مكتفين للانجليز!

حا شا لله!

بل عندما تنحى عبد الناصر في ١٩٦٧ كان جانبا كبيرا من الجماهير التي خرجت - من تلقاء نفسها - تطالبه بالبقاء يحركها منطق «غريب تومي» الفدائي في جميع المعارك من ٥١ الى ١٩٦٧ ثم انقطعت عني اخباره فلا اعرف ماذا فعل في ١٩٧٣ وقتها قال: «دي تقبي فضيحة العمر إن عبد الناصر لما يجي يسقط اللي تسقطه اسرائيل..»

ولكن عبد الناصر - للأسف وباعتراف كل انصاره - لم يثق بالشعب ابدا. وظل يصدق الى ان مات، انه لو أتيحت الفرصة لأي دجال أوعميل أن يصل الى السلطة ويمتلك الاذاعة والخزانة، فسيرقص له الشعب والنواب كم فعلوا معه. أوكما كان يقول دائما ان الشعب باع قرارات مارس بألفين جنيه أي المبلغ الذي دفع لصاو صاو..

ولذلك رغم الخطب عن التحام الجيش بالشعب، تصور أنه يمكن للانجليز أن يحتلوا القاهرة، ويعينوا محمد نجيب رئيسا للجمهورية. وهو مقتول أو أسير أويقود المقاومة السرية.. فيرضى الشعب المصري ويهتف لمحمد نجيب في ظل الراية البريطانية، ولذلك قرر منع ذلك بنقل «محمد نجيب» الى طما!!

ودعنا من تصور قبول «محمد نجيب» لهذا الدور، وهو أول رئيس جمهورية لمصر والذي رفض أن يكون طرطورا لضباط جيشه المصري.. فهل يقبل ان يكون اداة للأنجليز..

وهل صحيح كان الانجليز سيتوددون للشعب المصري برئيس مجلس الثورة.. ألم يكن لديهم من السياسيين ما يكفي لتشكيل حكومة انقاذ ما يمكن انقاذه؟»

ولماذا لايعيدون الملك وهل بعد احتلال القاهرة ذنب أو عيب؟

الاجراء كان تنكيلا بمحد نجيب، وايضا تعبيرا عن العقدة القاتلة وهي فقدان الثقة بالشعب..

ومما هو جدير بالملاحظة ان المدينة التي حمل فيها الشعب السلاح وقاتل دفاعا عن عبد الناصر ونظامه هي المدينة الوحيدة التي سقطت فيها سلطة عبد الناصر ووقف الشعب فيها وجها لوجه ضد المستعمرين الغزاة، لم يقع انقلاب ولاظهر كائن يقبل ولوحتى منصب محافظ تحت الحماية البريطانية بل انخرطت الجماهير على الفور في المقاومة المسلحة بالسلاح الذي تمكنت من الحصول عليه او الذي وصل قبل الهبوط المظلي بساعات!.. فالشعب الذي لم يسمح له ابدا بحمل السلاح، عندما حصل عليه استخدمه في حماية الوطن والسلطة التي ابقته دائما تحت الوصاية او الحجز التحفظي بتهمة الغفلة او الغدر..

ويمكن ان نلخص الموقف خلال معركة تأميم القناة وما قبلها وما بعدها بتلك الجملة الرائعة التي قالها مواطن بورسعيدي لعبد اللطيف البغدادي، الذي عينه عبد الناصر مسئولا عن تعمير بورسعيد فكان اول اجراء اتخذه في هذا «التعمير» هو جمع السلاح من

الشعب، واجبر على ذلك المواطنون البورسعيدون، الذين عرفوا دائما بالشجاعة والصراحة والشخصية المفتوحة الحادة التعابير. . . وبينما كان المواطنون يتدفقون لتسليم السلاح قال هذا البورسعيدي لبغدادي: «خلي السلاح معانا يا بيه. يمكن يجوا الانجليز تاني. . نبقى ندافع بيه عنكم».

اي اتركوا لنا السلاح. . فربما يعود الأنجليز فندافع به عنكم.

هذا هو ملخص القصة. .

وكما قيل وقتها سقط نظام وجيش عبد الناصر ونجح الشعب وعبد الناصر

كتب احمد حروش احد الضباط الاحرار:

«كانت في بورسعيد من قوات الجيش اللواء ٧ والكتيبة ٤ مشاة الى جانب المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات. ولكن عندما نزلت القوات البريطانية في «الجميل» تبعثرت القوات العسكرية نتيجة انهيار القيادة المسئولة قائمقام عبد الرحمن قدري، واصدار قائد المحطة امير الاي صلاح الموجي، الاوامر بوقف اطلاق النار ثم الغائها بعد ذلك، وفشل قائد المقاومة الشعبية (الرسمية. ج) صاغ غريب الحسيني وقائد جيش التحرير الشعبي صاغ عبد المنعم الحديدي في اقناع الجماهير بالتحرك معهم لبعدهم عن فهم روح الشعب الحقيقية. ثم هربهم بعد ذلك من بورسعيد. وقد تم فصل هؤلاء الضباط الاربعة من الجيش بعد انتهاء المعركة».

اي ان الضباط الذين حكموا مصر ٤ سنوات بحجة حماية الوطن فروا فور اول طلقة وجهت للوطن. . واستمر النظام يخشى الشعب المسلح «وعندما تشتت القوات وغلبت الحيرة صغار الضباط طلب «حمدي عبيد» و«محمد ابو نار» من الضابط «منير موافي» الذهاب لمقابلة «شمس بدران» مدير مكتب عبد الحكيم عامر الذي كان يفتش على الحرس الوطني في المنصورة. وقال له ان الحل الوحيد هو في السماح للشيوعيين بالدخول الى بورسعيد لانهم اقدر من غيرهم على فهم نفسية الجماهير والتعامل معهم. وقد رجع شمس بدران الى القاهرة ثم وافق على ذلك.»

الغزو بدأ والجيش تبعثر والقادة هربوا، والمدينة محتلة، وهم يستأذنون في الدخول، وينتظرون حتى يعود للقاهرة ويشاور اهل الذكر هل يسمحون للشيوعيين المصريين بدخول بورسعيد اسوة بالانجليز والفرنسيين الذين دخلوها بلا استئذان؟. .

«ويقول «محمد ابو نار» ان رجال المباحث العامة خلال القتال كانوا يراقبون تحركات الشيوعيين في الوقت الذي هرب فيه قائد المباحث العامة من بورسعيد. وسلم البوليس اسلحته بالكامل للانجليز» قارن بين هذا وموقف البوليس في ظل حكومة الوفد الذين قاتلوا حتى آخر طلقة. . ولكن اذا كانت الاوامر للجيش بالانسحاب مهما كان الثمن،

وللطيارين بالبقاء بعيدا عن طائراتهم لحسن خطرا!. . فهل نطلب أو نتوقع القتال من الشرطة؟!

ويقول «ان الانجليز كانوا يقبضون على الاخوان والشيوعيين من سجلات البوليس. . !»

طالب الناس بالسلاح منذ اول لحظة في عدوان اسرائيل ولكن تعطل ذلك لكي يتم تحت اشراف المباحث العامة، وبشكل روتيني ومظهري وغير فعال ورغم الغارات على بورسعيد فان عددا قليلا من السلاح كان قد تم توزيعه. . . «ولكن مع هبوط جنود المظلات ووصول قطار محمل بالسلاح والذخيرة الى محطة بورسعيد بدأ توزيع السلاح على الاهالي دون نظام . . السلاح في الشحم والناس غير مدربة اومنظمة تتحرك وراء اي صوت يدعوها للهجوم على العدو في اي مكان. الامر الذي قلل من فاعليتها وعرضها لبعض الخسائر. وهكذا تم توزيع السلاح على الشعب في اللحظة الاخيرة وكأنه طوق نجاة يلقي لغريق».

والحقيقة انه لم يتم توزيع السلاح ولا حتى في اللحظة الاخيرة، فقد كانت السلطة قد انهارت تماما، والذي حدث ان الاهالي نهبوا القطار لكي يدافعوا عن انفسهم وخشية وقوع السلاح في يد الانجليز. وقد كنا معاصرين لتلك الاحداث. . فالنظام الثوري لم يختلف في شيء عن اي نظام حكم مصر منذ الانهيار الملوكي وهو الخوف من الشعب، اكثر من الحذر من العدو الاجنبي، رفض دور الشعب في الدفاع عن الوطن، اوكما قال «محمد علي» للمصريين عندما تصدوا للانجليز: «ليس على العامة خروج». . حظر حمل الشعب للسلاح هو المبدأ الذي مارسته كل الحكومات غير الشعبية، مع فارق ان الحكومات الاخرى كانت تحارب الى اخر جندي، ولا يحتل الوطن الا اذا قتل السلطان او شنق على باب زويله. .

«كانت المقاومة الشعبية تقاتل في بورسعيد بينما توقف الجيش عمليا عن القتال منذ انسحابه من سيناء».

وبينما سمح للخارجين على القانون بالدفاع عن بورسعيد سلمت السويس للمغضوب عليه «صلاح سالم» وكحل للتخلص منه بعدما كاد ان يوقع أو اوقع بالفعل بين عبد الناصر وعامر وبعدما قام في حركة مسرحية ولبس بدلة عسكرى المراسلة الذي يقدم القهوة في الاجتماع وصدر اليه الامر بالتوجه الى السويس. ويشهد له، حروش «انه حولها الى حصن كله خنادق ودشم ومنازل مما يجعل اقتحامها صعبا جدا على الغزاة وتكلف ذلك مايقرب من نصف مليون جنيه صرفت خلال ايام قليلة قبل ان يتوقف اطلاق النار واعتمد في ذلك على الجماهير بالدرجة الاولى».

وبالطبع كان يمكن أن يحدث ذلك في كل مدن القناة بل في كل مدن مصر لو أن القيادة

اخذت بجدية، لا اقول، احتمال الغزو، بل احتمال مقاومة الغزو. . ولكنها لم تفكر في ذلك بشكل جدي على الاطلاق، بل سارت الامور بالتداعي . والصدف . . اما فكرة الصديق «الروسي» عن نوعية القتال الذي قام به الجيش في تلك الفترة فقد لخصته تمنيات شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي .

قال شبيلوف «انه يأمل اذا تجدد القتال ان يكون استعداد مصر قد احكم وان يكون على رأس وحدات الجيش المصري ضباط مفرسون (؟) يختارون من بين من ينتظر منهم اجادة القتال والصمود هم وجنودهم الى النهاية . وان يكون المدنيون على اكثر دراية مستطاعة باستعمال السلاح وبوسائل الدفاع» .

كلمات موجعة ، قارصة ولكنها مخلصة من الصديق السوفيتي وواضحة المغزى، حتى ولو عجزنا عن فهم كلمة «مفرسون» فالمعنى واضح جدا . (ولعلها متمرسون .)

وقع الغزو الانجلو ـ فرنسي ، وتوقف تحت تأثير العوامل التي اشرنا اليها . وأهمها بالطبع موقف الولايات المتحدة برئاسة ايزنهاور . وتأكد «انتصار» واستمرار النظام في مصر . .

فاليهود لايعبرون القناة، وما يجري في «صحراء» هيكل لايصل علمه الى الشعب الا قليلا . . والانجليز لن يتقدموا عن العشرين ميلا . . وسرعان ما اختفت لحظات الصدق والطهارة، ونقاء العلاقة التي فتنت بغدادي خلال الايام الاولى للعدوان وجعلته ، يتذكر الايام الخوالي، وعادت روح التآمر والصراع على السلطة . . وهذه يوميات بغدادي :

«في صباح يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ذهبت الى مكتب جمال في مبنى مجلس الثورة، وكان قد سبقني وتناول افطاره بمفرده (وهذه من علامات الشر عند بغدادي ج) وبعد أن جلست معه بعض الوقت بادرني بقوله «انا لم اكن اعرفك جيدا من قبل ـ ولم اعرفك على حقيقتك الا من يوم ٢٩ اكتوبر الماضي واذا كان قد حدث بيننا سوء تفاهم فيما مضى فالسبب هو صديقك جمال سالم . . وقد فكرت ان اقول لك هذا لأننا لانعرف ماذا يخبىء لنا المستقبل، والصورة سوداء . . » واستمر يحرضه على جمال سالم حتى قال بغدادي انه هو الذي تعب من صداقة جمال سالم وانه يحمد الله لأن جمال عبد الناصر عرف «حقيقتي اليوم وهو يوم شدة» «وأنقطع استمرار الحديث لحضور زكريا» وشعرت بألم شديد وصدمت في جمال سالم صديقي وصدقت ما قاله جمال عبد الناصر ولم يخطر في ذهني أدنى شك عن صدقه فيما ذكره لي لأني لم اتصور أن يكون قد فكر ونحن في هذا الموقف العصيب ولا نعرف ما يخبئه لنا القدر، ان يعمل على الايقاع بين جمال سالم وبيني»

ويقول بغدادي انه بعد سنتين وفي صيف ١٩٥٨ عندما قدم بغدادي استقالته على اثر صدام وقع بينه وبين عبد الناصر حضر جمال سالم لزيارته، فصارحه بما اخبره به جمال عبد الناصر، فقام جمال سالم «وصلى ركعتين لله، واقسم على المصحف ان هذا لم يحدث منه»

واحتار بغدادي بين قلبه وعقله «آيهما أصدق»
وفضل النيسان.

والحقيقة ان الصورة ليست بهذه البشاعة كما يصورها بغدادي ويبدو ان الذاكرة خانته. فإذا كانت الحادثة، كما ذكر وقعت يوم ٨ نوفمبر فهذا يعني أنها كانت بعد الانذارين الامريكي والروسي، ووقف اطلاق النار وتأكد الرئيس ان الأمريكان لم يتخلوا عنه، وانهم في النهاية قادرين على «فرملة» الجميع وكان اقتراح البوليس الدولي يطبخ في مكتب مصطفى امين وصمدت حكومة مصر الأيام الثلاثة المطلوبة، ومن ثم فإن الامور ليست سوداء كما ظن أو كما كان يظن بغدادي. ومن ثم فقد استعاد الرئيس شخصيته واستأنف المهمة التي اقتنع بضرورتها من أول يوم رأى فيه يوسف صديق، يجلس على مكتب رئيس الاركان، وهي ضرورة تصفية كل الذين يداينوه باسم الاشتراك في يوم ٢٣ يوليو. لكي يتمكن من تنفيذ برنامجه الوطني العظيم!

«يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ وكنت مجتمعا في مجلس قيادة الثورة مع جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزي وعلي صبري وبعد انتهاء الاجتماع وانصراف الدكتور فوزي صدر من جمال عبد الناصر بعض الكلمات الجارحة عن الجيش. واخذ يشرح لعلي صبري ما يأخذه على الجيش وعلي عبد الحكيم عامر. وروح الاستسلام التي كانت قد انتابتهم، والشلل الذي حدث لهم بعد دخول الانجليز والفرنسيين المعركة وعدم اطاعة الجيش لأوامره رغم تكرار الاتصال بهم. وذكر أيضا دور صلاح سالم.

والغريب ان بغدادي يسجل على نفسه أنه تدخل في الحديث، وكأن جمال «زعلان» من عبد الحكيم على ايجار الشقة! أو جهاز البنت!.. فهو يقول إنه رد عليه: إنه الأخ الاكبر لعبد الحكيم، والموقف كان عصيبا (وهل يدخر الجيش وقادة الجيش الا لمواجهة المواقف العصيبة؟ج) وعلينا ان نعمل على اصلاح ما فسد وعليه هو ان يتحمل (فهو كبير العائلة.. صحيح ان بغدادي ابن عمدة فهذا كلام مصاطب لاقيادة سياسية فضلا عن ثورية ج) والظروف تحتم على كل منا أن يتحمل تصرفات الآخر. واقترحت عليه دعوة عبد الحكيم للعشاء أو الغداء، وهو سيلبي الدعوة».

يعني الطبيخ مش حيندلق!!

موقف خاطىء من بغدادي، وهو بهذا الاعتراف يتحمل المسؤلية كاملة، بقدر وزنه، في استمرار عبد الحكيم وجماعته في قيادة الجيش المصري، ويزعم انه زار عبد الحكيم وظل معه ساعتين يحاول ان يقرب «وجهتي النظر وازالة سوء التفاهم» وان رجولته تمنعه من التصرف بما يسيء الى البلاد، وتعانقنا في نهاية المقابلة وقبل كل منا الآخر»!!

رجولة ايه؟

وماذا كان بوسع عبد الحكيم ان يفعل ليسيء الى البلاد (اكثر مما فعل؟!) لو شنقه عبد الناصر وقتها لتضاعفت شعبية عبد الناصر. . فلم يحدث ان كان المصريون بمثل هذه النقمة على جيشهم، كما كانوا في تلك الايام، وبالذات على قائد الجيش. .

كان الموقف لم يتضح فيه نصر بعد. ولكن الشعب كله كان ملتفا حول عبد الناصر وفي نفس الوقت كانت البلد كلها تعرف وتتحدث عن هزيمة الجيش «وفرار» الضباط كما قيل أو ظنوا فلم تكن قد نُظِّرت بعد فتوى الانسحاب العبقري! وكان الجيش والشعب يحملان المسؤلية لعبد الحكيم عامر أو المواوي كما اطلقوا عليه. . ولما اقنع الاعلام الشعب بالانتصار! . . ظلت الجماهير مقتنعة ان عامر والجيش هزموا مصر وناصر والشعب خلصوها من هذا المأزق. .

فماذا كان بوسع عامر ان يفعل؟

ويقول بغدادي انه ابلغ عبد الحكيم «بما كنت المسه واسمعه من ضباط القوات المسلحة الجوية، ومن أنهم فقدوا الثقة في قياداتهم نتيجة الاخطاء التي حدثت وان هذا يستلزم منه اتخاذ بعض الاجراءات بالنسبة لهؤلاء القادة حتى تعود الثقة بين القادة ومرءوسيهم وعليه أن يجري تحقيقا مع القادة الذين تسببوا باهمالهم في هذه الاخطاء والعمل على نقلهم الى جهات اخرى. وتدخل عبد الناصر مؤيداً ذلك واقترح نقل صدقي محمود الى منصب وكيل وزارة الحربية لشؤون الطيران».

لحظة واحدة؟

اية اخطاء؟!

الأمر الصريح هو عدم الاشتباك مع طيران العدو حفظا على حياة الطيارين. . فما هو الخطأ وكيف يمكن أن يخطأ قادة ويستحقون الاحالة على التقاعد بل والتحقيق ويثور ضباطهم عليهم في ظل هذه الخطة؟!

هل ياترى لم ينفذوا الأمر وسمحوا للطيارين بالدفاع عن شرف البذلة؟

نريد ان نعرف ما هي الاخطاء اذا ما كانت الخطة العبقرية هي بنص حروف قارىء الوثائق وفاتح الخزائن: «على الطيران المصري ان لايشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة»!

وماذا كان بوسع قائد الطيران ان يفعل لتنفيذ هذا الأمر أفضل مما فعل. . أمر الطيارين بالتوجه فوراً الى منازلهم وترك الطائرات خالية للتغرير بالعدو فيضربها ويكسرها ويخسر قنابله على الفاضي فالطيار طار. . بدون طيارة! . .

أما ان هذا اتهام غير مفهوم وتجني على صدقي محمود وعامر بعدما وقعت البقرة، وكثرت السكاكين. . واما ان رواية هيكل كاذبة، ملفقة لستر الهزيمة على طريق العمدة الذي

ترى القملة على ذقنه فيقول من خجله: «سيبها ياولد انا اللي حاططها»! . .

يريد هيكل ان يقول ان ضرب الطيران كان خطة مدبرة، وسقوط سيناء في يد اليهود كان ضربة بارعة من جانبنا. . وهكذا بهذا المنطق وحده تصبح الهزيمة نصراً فنحن اردناها وصممناها!!

نعود الآن «لصحراء» هيكل اوبالاحرى للوادي المقدس طوى، حيث سيتقرر مصير العرب ومصير الشرق الاوسط ومصير مصر خلال القرن الحادي والعشرين، وبعدما ترتوي كل حبة رمل فيها وكل حجر بدم المصريين الشرفاء. . وتطهر الى الابد من الاطماع الدنسة للمغتصبين العنصريين الدخلاء.

ان الغزوة الاسرائيلية لم تكن اكثر من حلقة في سلسلة المواجهة الاسرائيلية ـ المصرية الدائمة. . والتي وعتها اسرائيل منذ وعد بلفور، بل حتى منذ أن بدأ اليهود يفكرون في فلسطين كوطن قومي. . فلم يكن امامهم الا الدولة العثمانية، كحقيقة تاريخية وكسلطة قائمة في فلسطين، وحقيقة الوجود المصري أوإن شئت الفيتوعلى الاحلام الامبراطورية لاسرائيل. . مصر كانت ولاتزال القوة الوحيدة القادرة على مواجهة المخطط الصهيوني، ومن ثم فإن تدمير مصر، تعجيز مصر، هو الهدف الاول والدائم لجميع المسؤولين الصهيونيين، بصرف النظر عن اشخاص ومبادىء الحاكمين في مصر، وسواء اكانت العلاقات ساخنة دموية أومتجمدة، أوحتى طبيعية مع تبادل الاعتراف، وبصرف النظر عن نوايا وافعال السلطة المصرية.

وفي مقابل هذا نحن نزعم ان السلطة المصرية من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ لم يكن في بالها ولا تصورها أمكانية وقوع مواجهة ساخنة مع اسرائيل ومن ١٩٥٦ الى ١٩٦٧ كان مخططها أو سياستها تدور حول تجنب هذه المواجهة بأي ثمن. .

وبالتالي هزمنا. .

ولكن قبل ان نناقش هذه «القضية الكبرى» تعالوا نلقي نظرة على سيناء أرض المعركة. . ويجب أن نقول ابتداء ان الجندي المصري والجندي الاسرائيلي لم يتقابلا في حرب حقيقية الا عام ١٩٤٨ و١٩٧٣ وقد هزمنا بشرف في ١٩٤٨ لأسباب عديدة، ليس اقلها اننا كنا مستعمرة بريطانية، وان جيشنا لم يكن جنوده قد خاضوا حربا قط، ولاتعاملوا مع المعارك الحديثة، بينما كان الجيش اليهودي في معظمه من المحاربين في الحرب العالمية الثانية، وفي معارك لها شهرتها العالمية وخبرتها بحكم القوى الجبارة التي اشتركت فيها، هذا عن اليهود الاسرائيليين واكثر منه طبعا بالنسبة لليهود المتطوعين الذين جاءوا من الخارج. .

أما حرب ١٩٧٣ فقد اثبتت انه اذا ما توفرت قيادة سليمة الى حد ما، وشبه تعادل في السلاح، ولولصالح اسرائيل فإن الجندي المصري افضل من الجندي الاسرائيلي واقدر على

هزيمته ومفاجأته وقتله واسره . . وكل ما تعيرنا به الدعاية الصهيونية . .

وكتب موشي ديان وغولدمائير وإيغال اللون وكل اسرائيلي كتب، هي كتب هادفة في المخطط الدائم وهو تعجيز مصر. . ولذلك فهي حافلة بالاكاذيب والمعلومات المشوهة . . خذ مثلا «موشي ديان» كتب كل تفصيلة في معركة سيناء ١٩٥٦ ونسى أولم يسمع بوجود قرار مصري بالانسحاب! . . لأنه اذا اثبت ذلك في كتابه لسقط كل ادعاء بالبطولة ، اذ اي بطولة في غزو منطقة انسحب جيشها، أويقاتل تحت أمر صريح . بالانسحاب خلال ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة «مهما كان الثمن» فريق مانشستر لكرة القدم لايستطيع أن يلعب تحت هذا الانذار الزمني!!

لذا حذف موشي ديان تماما حكاية قرار الانسحاب هذا . . فلا تجد له أثراً لا في كتاباته عن ١٩٥٦ ولا ١٩٦٧ . .

ومع ذلك ورغم ان كتابه منشور تافه يهدف الى تشويه صورة الجندي المصري واضعاف معنوياتنا، وافقادنا الثقة في قدرة شعبنا على تقديم مقاتلين، ورغم كل ما تعرضت له القوات المسلحة المصرية من افساد وتجهيل على يد القيادة العسكرية من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧ ورغم القرارات السياسية الفاحشة الخطأ والتي لعبت الدور الحاسم في انتصار اسرائيل وبدون قتال في الغالب. فإن ابطالنا ما اتيحت لهم فرصة الاشتباك مع العدو الا واثبتوا بسالتهم وتفوقهم عليه، ليس فقط في معارك اكتوبر بل في معركة سيناء الأولى والثانية . . والدليل ـ كما قلنا ـ ان هذا الموشي لاينسى في كتابه تفاصيل الجندي المصري المقطوعة ساقه . . الخ ولكنه ينسى قرار الانسحاب . ومع ذلك فهويعترف بوقوع قتال شرس دافعت فيه القوات المصرية المحدودة، ببسالة وضراوة وكفاءة عن مواقعها، رغم انها كانت قوات رمزية بسبب القرار الخاطيء الذي اتخذته القيادة على اساس استحالة وقوع هجوم اسرائيلي، والرغبة في تفادي اي استفزاز لاسرائيل وذلك قبل المعركة بشهرين، وكان على هذه القوات أن تتصدى لهجوم كامل شامل جرى الاعداد له منذ اكثر من عامين . . ومع ذلك احبط الهجوم الأول في اكثر من موقع وأوقف تقدم القوات الاسرائيلية طوال الثلاثة ايام الاولى حتى صدر قرار الانسحاب فانهارت المقاومة المصرية، أوقل اوقفت بأمر عسكري من القاهرة . . بعد ان سجلت صفحات من البطولة للجندي المصري الذي كتب بدمه مجد مصر، وخطيئة القيادة، التي خذلته مرتين وهزمته بقراراتها . . ولو كان عبد الناصر صادقا مع نفسه لقال «هزمتُ جيشي» «أنا هزمتُ جيشي» وليس «جيشي هزمني . . » فكيف ينتصر جيش لم يؤمر بالقتال؟!

في ابوعجيله وسدروفه استمرت الوحدات المصرية تقاتل من عصر يوم الهجوم الاسرائيلي الى ظهر اليوم التالي، وهم لايزيدون عن بضع عشرات من الجنود ضد لواء

مدرع اسرائيلي معزز بالطائرات حتى أبيدوا عن آخرهم.

وفي العريش كاد قناص مصري وبعدما سقطت المدينة، كاد أن يصيب موشي ديان ولكن رصاصته قتلت عسكري المراسلة المرافق له «الذي سقط قتيلا الى جانبي» كما يعترف ديان. واضطرت الطائرات الاسرائيلية الى الابتعاد من فوق سماء العريش «المحتلة» من شدة نيران المقاومة التي استمر فيها جنود مختبئون رفضوا قرار الانسحاب، واستمروا في القتال..

وفي ممر متلا ظلت قوات المظلات المعززة بالدبابات والطائرات تقاتل سبع ساعات «وكانت خسائرنا لم يسبق لها مثيل ٣٨ قتيلا ومائة وعشرين جريحا وهذا تهجيص اسرائيلي فالخسائر كانت بالمئات، بدليل أنه صدر قرار عزل قائد المظليين اليهود لعجزه عن القتال امام المصريين. وقائد المظليين لايعزل على ٣٨ قتيلا.. ولا أحد يتوقع منه أن يستولى على ممر متلا بأربعين قتيلا!.. ونحن نزعم ان القتال كان يمكن ان يستمر الى اجل غير محدود لولا «وصول امر الانسحاب» كما يشهد هيكل نفسه.

فليس تغيير القائد الاسرائيلي هو الذي أدى الى سقوط الممر ولكن تغيير القائد المصري في القاهرة لاوامره..

وكذلك فشل اللواء العاشر الاسرائيلي في الاستيلاء على «ام كتاف» في ٣١ اكتوبر رغم حضور موشي ديان بنفسه الى موقع اللواء وحثه الجنود على الاستيلاء على ام كتاف «بأقصى سرعة ممكنة» فقد «بقي هذا الموقع هو وأم شنان في منطقة ابو عجيله في يد العدو وصد تقدمنا في سيناء في القطاع الاوسط. ورغم استيلاءنا على القسيمة وابو عجيلة نفسها وسد الروفه، فقد اجبرنا على الالتفاف واللجوء الى الممرات الترابية، وهذا يعني امكانية أن يخلقوا عنق زجاجة لقوافل التموين وبالتالي يوقفون تقدمنا. «ام كتاف» كانت تتحكم في الطريق الاسفلتي الذي سيحل مشاكلنا، والاستيلاء عليها يفتح لنا محاور لتقدمنا. ولم أجد اجتماعي مع ضباط اللواء مقبولا، وكان واضحا ان ضباطنا يشكون في كفاءة عسكرهم. وقد فقدت صبري مع الضباط ولم أعد راغبا في سماع شكواهم عن الصعاب، كنت اعلم ان رجالهم متعبين وان الامدادات لم تصلهم في وقتها، والليالي باردة، والنهار حار وبنادقهم روكيت وعرباتهم تغرز في الطين، ولكن لم يكن لدى حل فأنا لااملك تغيير طبيعة الارض وعلى ان افتح الطريق الجديد..

«هاجموا ام كتاف في تلك الليلة، ولكن قلوبهم لم تكن معهم (!) فلم يخرجوا بشيء، ومن الناحية الاخرى تقدمت وحدة من اللواء المدرع السابع والثلاثين بتصميم واضح ولكنها فشلت أيضا. كان الضباط يندفعون نحو استحكامات العدو، دون انتظار للدبابات التي تأخر وصولها بخطأ من مخابرات القيادة الجنوبية. ولم تكن هناك خطة محكمة للعمليات.

وعدم تركيز القوة بما يكفي ساهم إيضا في فشلنا. وكذلك اخطأت أنا الى حد ما. اذ ضغطت على قائد الجبهة الجنوبية لفتح الطريق عبر ام كتاف باسرع ما يمكن وهو بدوره ضغط ولكن كان قصدي ان يتم ذلك قبل ظهر اليوم التالي مهما كانت الضحايا. ولكن بعد الاستخدام السيء للواء العاشر. جرى عزل قائد اللواء وايدت هذا التغيير» (ثاني قائد يعزل خلال الحرب بل وعلى أرض المعركة وقائد الطيران المصري يقول ما عندوش بنزين ويبقى قائداً للطيران ١١ سنة اخرى/ج) ولم تسقط ام كتاف حتى جاءت النجدة من القاهرة.. أو الانسحاب..!

هل نستمر في النقل..

تخيل كل المتاعب التي ذكرها موشي ديان عن طبيعة الأرض واضف اليها الآتي:

١ ـ جيش اسرائيل ودولة اسرائيل خلف القوة المهاجمة.. أما ابطال ام كتاف فيعرفون ان بقية الجيش متجهة باسرع ما يمكن بعيدا عن سيناء وانه لا امل في اي نجدة من القاهرة..

٢ ـ وزير الدفاع في معسكر الجيش الاسرائيلي المهاجم.. والقوة المحاصرة لاتعلم ماذا يجري في بقية الجبهة، إلا ان اوامر الانسحاب تصدر من عبد الناصر وليس عامر وان هناك أمراً بالانسحاب العام الى غرب او شرق القناة، لن نختلف.. ومعنى ذلك اننا خسرنا الحرب وسلمنا سيناء كلها أو لاأمل لهم في نجدة أو مدد بل ان قتالهم بلا معنى وقد سقطت سيناء كلها من حولهم او بمعنى اصح «اسقطت» سلمتها قيادتهم في القاهرة بلا حرب!

٣ ـ الطيران الاسرائيلي بكل قوته يغطي القوة المهاجمة ويضرب القوة المحاصرة، والطيران المصري بلا طيارين حرصا على حياتهم!..

ألم يكن من الضروري ان تدرس معركة «ام كتاف» في المدارس المصرية وتوضع عليها الدراسات والافلام خلال العشر سنوات التي انقضت ما بين الحربين بدلا من ان يكون مرجعها الوحيد هو شهادة الاعداء!

ولكن كيف يمكن الاشادة ببطولة من صمدوا ولم ينسحبوا اذا كان الاعلام المصري قد جعل من «الانسحاب» اعظم نصر، واكثر القرارات عبقرية في تاريخ الحروب؟!

خسرنا الحرب مع اسرائيل من الناحية العسكرية:

١ ـ تم الانسحاب من سيناء كلها واحتلتها اسرائيل بالكامل كما احتلت مضيق تيران وأعلنت حرية الملاحة الاسرائيلية فيه.

٢ ـ تحول الجيش المصري بنص عبارة عبد الناصر الى «بقايا جيش محطم»

٣ ـ خسرنا من العتاد الحربي ما قيمته بنص كلمات عبد الناصر: مائة وثلاثة ملايين جنيه مصري (بجنيه ما قبل الاشتراكية!!) أو كل صفقة السلاح الروسي كاملة!

٤ ـ دمرت اسرائيل «طرق المواصلات والسكك الحديدية في سيناء وكذلك قامت بوضع الغام على هذه الطرق»

٥ ـ «والمذابح مازالت مستمرة بطريقة منتظمة ، والتخريب قائم على نطاق واسع وجميع المنشآت الموجودة في سيناء وعلمت انهم يسرقون البترول الخام في سدر وبلاعيم في مراكب تتجه الى ميناء ايلات»

من رسالة عبد الناصر الى محمود فوزي ٥ ديسمبر ١٩٥٦

وهذه هي الرسالة التي علق عليها هيكل وكأنه يخرج لسانه للقراء اذ قال:

«وبرسائل ناصر وفوزي تنتهي قصة السويس كأكمل واشمل انتصار حققه العرب في العصر الحديث بالمعنى الحقيقي للنصر في هذا العصر».

احتلوا الارض وحطموا المنشآت وشحنوا نفطنا.. وانتصرنا.. بل واعظم انتصار!!

اذا هزمنا عسكريا في سيناء فهل انتصرنا سياسيا كما هو الشائع في الاوساط الاقل فجورا من هيكل، التي تعترف بالهزيمة العسكرية ولكن تغطي ذلك بالخلط بين انتصار مصر على الانجليز والفرنسيين ـ إذ أجبر الضغط الامريكي.. والانذار السوفيتي الدولتين على الانسحاب بلا قيد ولا شرط ـ وبين انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة، خاصة وان شروط انسحاب اسرائيل لم تعلن أبداً في مصر، بل وظل المصريون المثقفون لايسمعون بها حتى كان مؤتمر شتورا ١٩٦٢ والعامة لم يسمعوا بها الا عشية حرب ١٩٦٧ اذ عرفوا لأول مرة ان اسرائيل كانت تمر من خليج العقبة ، بل هاهو كتاب يصدر بعد عشرين عاما ومخصص لتحليل «حرب السويس» كما يسميها ـ لايشير بحرف واحد الى شروط انسحاب اسرائيل، ولا ما تنازلت عنه مصر!! نعم.. حرف واحد عن هذا الأمر لم يرد في كتاب هيكل الأمين على تاريخ الناصرية!؟!

استمرار في التزوير والتجهيل..

الحقائق تؤكد ان القيادة المصرية فشلت وهزمت في حرب سيناء سياسيا ودبلوماسيا بما مكن اسرائيل من تحقيق هدفها المرحلي الذي دخلت من اجله الحرب..

وصحيح ان بن غوريون اعلن ضم سيناء وغزه ولكنه هو نفسه فسر ذلك بقوله: «لقد كان تقدمنا في سيناء سريعا.. كان انتصارنا سريعا جدا، وكنت سكران بخمر النصر»

فحتى حلفاء اسرائيل في الغزو ما كانوا يقرونها على ضم سيناء وقد حذر سلوين لويد موشي ديان حرفيا في خلال مفاوضات التآمر على الغزو! «ارجو ألا تراودكم احلام في استغلال الفرصة بضم سيناء».

وقال موشي ديان «بالنسبة الى النهاية لم نكن نريد احتلال سيناء الى الأبد ولكن كنا نريد ضمان حرية الملاحة الى ايلات وتدمير الجيش المصري الذي يهدد اسرائيل في سيناء ،

ووقف عمليات الفدائيين ضد اسرائيل من قطاع غزه».

وقد تحققت هذه الاهداف كاملة.. طبعا استمر اليهود بساومون الى آخر لحظة للحصول على اقصى ما يمكن الحصول عليه من مكاسب.. ولكن هذه كانت اهداف المرحلة أو قل الحد الأدنى الذي يغطي مخاطر ونفقات الحملة.. ولاتنسى ان اسرائيل كما قال بن غوريون كانت على اعتقاد بأنها «لاتستطيع ان تشن وحدها حربا ضد مصر».

وقد لعبت الدبلوماسية الامريكية دور الوسيط بين اسرائيل ومصر، فاستخدمت الامم المتحدة، والخطر الروسي، والامكانيات الامريكية للضغط على اسرائيل لتحقيق الانسحاب من سيناء وغزه. وضغطت على مصر بالاحتلال الاسرائيلي، والبريطاني والفرنسي الى حد ما، ثم بما كان بين امريكا ومصر من علاقات بعضها معروف واكثرها غير معروف، لقبول مطالب اسرائيل.

قادت امريكا المناقشات في الامم المتحدة. وكان ايزنهاور قد بعث برقية لبن غوريون فور العدوان «يقترح فيها سحب اسرائيل لقواتها من سيناء وانه سيقدر تمام التقدير استجابتنا، فلما لم يصل رد اسرائيل طلب هنري كابوت لودج مندوب امريكا عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن حيث قدم قرارا يدعو اسرائيل لسحب قواتها من المنطقة وقد تأجل الاجتماع خمس ساعات بناء على طلب فرنسا وبريطانيا واسرائيل، ولما استؤنف كانت الانباء قد وصلت بالانذار البريطاني ـ الفرنسي، وقد اعتبر ايزنهاور ذلك عملا من اعمال الغش».

وتبنت أمريكا اقتراح إدانة اسرائيل، والامر بانسحابها الى خطوط الهدنة.

وكان الانذار السوفيتي لاسرائيل اكثر تحديدا واقل دبلوماسية من الانذار الموجه لبريطانيا وفرنسا، اذ تحدث عن امكانية زوال اسرائيل.. واستغل الامريكيون ذلك فبعث سفير الولايات المتحدة بمعلومات لاسرائيل «بأن الاتحاد السوفيتي ينوي توجيه ضربة قاصمة لاسرائيل تسويها بالارض».

ولكن بن غوريون قال: «لم يكن يهمني ما يقوله بولجانين، أوما يحتمل أن يفعله. لقد كان اهتمامي كله بموقف الامريكيين فقد كنت اعلم قوة وسائل الضغط التي يملكونها علينا. بما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب.. انني كنت مهتما بالامريكيين اكثر».

وتقول غولداماثير «لم نخض حملة سيناء من أجل كسب أرض ولا نهب أو أخذ اسرى، وأنما كان الشيء الوحيد الذي نريده هو السلام.. أوعلى الاقل الوعد بسلام لعدة سنوات». «كنا قد انتصرنا ولكن الفرنسيين والانجليز خسروا حربهما.. وقد خضع الانجليز فور صدور قرار الامم المتحدة بانسحابهم من منطقة القناة، وكذلك صدر الامر بانسحاب اسرائيل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزه. وبدأت الاربعة شهور ونصف شهر من «وجع القلب» في المعركة الدبلوماسية التي خضناها» «ولكن الرئيس ايزنهاور كان غاضبا وقال اذا لم

تنسحب اسرائيل فسيؤيد فرض عقوبات ضدها في الامم المتحدة. » «واخبرني دلاس اكثر من مرة ان اسرائيل ستتحمل مسؤولية حرب عالمية ثالثة» . «وفكرت اكثر من مرة في ان أهرب من الامم المتحدة واعود لاسرائيل، ولا أواجه دلاس وكابوت لودج رئيس الوفد الامريكي في الامم المتحدة ولكني بقيت وابتلعت مرارتي، وفي النهاية حوالي آخر فبراير، وصلنا الى تسوية ما ستغادر قواتنا غزه وشرم الشيخ مقابل تعهد بأن الامم المتحدة ستضمن حرية الملاحة للسفن الاسرائيلية في مضيق تيران وأنه لن يسمح بعودة الجيش المصري الى غزة »[١٤] .

وبالطبع تسكب غولدا مائير الدمع على ما تنازلت عنه اسرائيل أو ما اجبرتها عليه امريكا من تنازلات. . ومازال الاسرائيليون يقولون ان مناحم بيغين تنازل للسادات عن سيناء!

«غولدا مائير» التي اقيمت لها التماثيل، وخلدت حياتها في السينما بعد ذلك اعترفت وقتها ١٩٥٦ «بدا وكأن العالم كله ضدنا» غولدا ص ٢٩٠ حياتي

ومع ذلك قبل عبد الناصر هذه التنازلات لاسرائيل مع ان العالم كله كان معه[١٥] . !

١ ـ فتح خليج العقبة للملاحة الاسرائيلية وازالة الوجود العسكري المصري في تيران وشرم الشيخ، بل وازالة السيادة المصرية الفعلية هناك وأن بقت اسميا. . وسلمت المنطقة لقوات البوليس الدولي

٢ ـ تجميد الحدود المصرية ـ الاسرائيلية بالبوليس الدولي الذي قبل أن يوضع على جانب واحد من خط الحدود وهو الجانب المصري فأصبحت مصر عمليا في نفس وضعها بعد كامب ديفيد، أي خارج امكانية المواجهة. . وقد علم بعد ذلك انه الى جانب القوات الدولية فقد كانت هناك اتفاقية سرية بين مصر وامريكا بتجميد الوضع عشر سنوات وهو ماحدث

ويجب ان ننبه الى أن «قوات الطوارىء» لم تكن بالتي تنسحب فور طلب مصر، كما حدث، وكما راج ، وانما قرار الامم المتحدة ، كان يشترط لسحبها الرجوع الى الأمم المتحدة. وهذا ما كان في خاطر عبد الناصر عندما طلب سحب القوات، لكي تتاح الفرصة لمناقشة الموضوع في «الجمعية العمومية للامم المتحدة» كما ينص قرار تشكيلها، وعندها تفتح الابواب للخطب والاتصالات وتبريد الموقف بدون حرب، بعدما يكون قد حقق الكسب السياسي. . ولكن النية كانت قد اتجهت لضربه، كانت اسرائيل قد اكملت استعداداتها ورأت ان الوقت قد حان للضربة القاضية، وهي التي دفعت الاحداث الى ماوصلت اليه وباتفاق ومباركة الولايات المتحدة، لذلك فوجىء عبد الناصر باستجابة سكرتير الامم المتحدة للطلب وسط دهشته ودهشة العالم كله، ولم يلتزم بالجزء الخاص

بضرورة عرض الأمر على الجمعية العامة للامم المتحدة! حتى انهم ارسلوا مرسال على عجل يسحب الطلب فقيل لهم فات الاوان! وبالطبع لو كانت اسرائيل أو امريكا لاتريدان الحرب، لما حدث ذلك، وعلى أية حال. . . اية مفاجأة يمكن لمصر أن تمارسها ضد اسرائيل وهي لاتستطيع ان تهجم الا بعد اخطار العالم كله وذلك بطلب سحب قوات الأمم المتحدة؟!

الواقع والذي حدث فعلا ان الجبهة المصرية ـ الاسرائيلية جمدت تماما ولمدة عشر سنوات، واطلقت يد اسرائيل على الجبهات الاخرى ولبناء جهازها العسكري ليصبح اقوى جهاز في الشرق الأوسط، وبنفس القوة، فإن هذا التجميد، اعطى القيادة المصرية، دعما جديداً لخطها السياسي في تجاهل الخطر الاسرائيلي فأهملته تماما، في نفس الوقت الذي وضعها في موقف محرج مع شعبها ومع الفلسطينين ومع الجماهير العربية المطالبة بصدق، بالمواجهة مع اسرائيل. وايضا في حرج مع المزايدين العرب الذين عرفوا بالقيد الذي قيدت مصر به نفسها، فراحوا يستفزون القيادة المصرية بتحديها لمواجهة اسرائيل، وانتقاد سماحها بالمرور الاسرائيلي في خليج العقبة وحماية حدودها بالبوليس الدولي وانكار ذلك على دول المواجهة الأخرى، ومعروف ان عامر اشتكى من الحملة التي صادفته في الخارج حول خليج العقبة. .

ويقول المؤرخ المصري دكتور عبد العظيم رمضان:

«وهذا كله يصور مدى الضغط النفسي والسياسي الذي كان يثقل على القيادة السياسية بسبب وجود القوات الدولية في شرم الشيخ، ومرور الملاحة الاسرائيلية في البحر الأحمر رغم ارادة مصر، حتى دفعها في النهاية الى اتخاذ قرارات فوق امكانياتها العسكرية.»[١٦].

وصدق مصطفى كامل عندما قال قبل ستين سنة. . «إن من يتهاون في حقوق بلاده مرة واحدة، يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان»!

التفريط في ١٩٥٧ أدى الى التورط في ١٩٦٧ ويبدو اننا يجب ان نقف لحظة هنا لنعرض ما هو خليج العقبة ومضيق تيران. والملاحة الاسرائيلية. .

المعروف ان مصر الى ما قبل ١٩٤٨ كانت الدولة الوحيدة التي تطل على البحرين الأحمر والابيض، ومن ثم كانت فكرة قناة السويس، وبالطبع كان التطور التالي في العصر الحديث هو انابيب النفط التي تربط بين المنابع القريبة من البحر الأحمر وبين الاسواق على البحر الابيض أو قريبه منه، ولكن وجود قناة السويس اغنى عن ذلك، ولم يجعل الشركة، ولا الادارة المصرية تفكر في منافستها. .

وفي مشروع التقسيم ١٩٤٧ لم تعط اسرائيل منفذا على البحر الأحمر في الخريطة التي صدر بها قرار الأمم المتحدة، وظلت الاردن هي الدولة التي تطل على البحر الاحمر من

العقبة التي انتزعها الانجليز من السعودية عام ١٩٢٥ وضموها للاردن، وميناء صغير اسمه ام الرشراش، وقد تصدت بريطانيا لأية محاولة اسرائيلية للاقتراب من العقبة التي كانت مع عدن مفاتيح السيطرة البريطانية على البحر الأحمر، ولكن تحت الضغوط الصهيونية والامريكية، سمحت بريطانيا لرجلها في الاردن الجنرال غلوب الذي أمر نائبه في الموقع «برومج» بالانسحاب من أم الرشراش في ٦ مارس ١٩٤٩ واحتلتها اسرائيل في ١٠ مارس ١٩٤٩ دون طلقة واحدة!..

وهكذا اصبحت اسرائيل الدولة الثانية التي تطل على البحرين، وكانت الخطوة التالية هي بناء ميناء وخط انابيب ينقل النفط من ايلات على البحر الاحمر الى اسدود على البحر الأبيض منافسا لقناة السويس وخط التابلاين الذي ينقل النفط السعودي، وخط الآي بي سي الذي ينقل النفط العراقي، كما يربط الميناء الجديد اسرائيل بافريقيا ودول آسيا.. وكانت مصر قد منعت الملاحة الاسرائيلية في قناة السويس منذ لحظة قيام اسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٥

اما خليج العقبة الذي تقع ايلات على رأسه فان طوله مائة ميل، واوسع مناطقه ١٧ ميلا ومدخله ٩ اميال.. تسده جزيرتان تيران وصنافير، وهما سعوديتان وتقعان داخل الثلاثة اميال.. جزيرة تيران تقسمه الى فتحة سعودية مليئة بالصخور وفتحة مصرية عرضها ٤ أميال بها ممران والممر الوحيد الصالح للملاحة هو الممر المصري القريب من شرم الشيخ وراس نصراني.. ولما كان الممر في المياه الاقليمية المصرية بجميع المقاييس حتى التي تقتصر على ثلاثة اميال.. ومن الجانب الآخر مياه اقليمية سعودية، والوجود الاسرائيلي في ام الرشراش اصلا غير شرعي ولا حتى بقرار التقسيم المعترض عليه.. فقد كان من الطبيعي أن تفكر الحكومة المصرية في اغلاق فتحة الخليج من اسفل وبذلك تفقد «ايلات» أوأم الرشراش كل مبررات وجودها باستثناء السباحة وصيد السمك.. وتقف كافة مشاريع الاستفادة من موقع اسرائيل على البحرين..

لذلك اتفقت الحكومة المصرية مع الحكومة السعودية في يناير ١٩٥٠ على استخدام جزيرتي تيران وصنافير ونصبت المدافع في راس نصراني وصرح وزير الحربية المصري مصطفى نصرت (حكومة الوفد):

«ان تزايد نشاط اسرائيل على ساحل ايلات قد اضطرنا الى تدعيم قواتنا المصرية في منطقة مدخل خليج العقبة، فأرسلت قوات مناسبة الى رأس نصراني لتتحكم تحكما تاما في هذا المدخل».

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٥٠ اغلقت حكومة الوفد «الرجعية» المضيق في وجه الملاحة الاسرائيلية.

وفي ١٩٥١/١/١٥ حددت مصر مياهها الاقليمية بستة اميال واعتبرت كل المياه ما بين جزيرتين مصريتين مياها اقليميا.

وفي اول يوليو ١٩٥١ اطلقت البحرية المصرية النار على سفينة بريطانية حاولت اختراق الحصار واعتقلتها ٢٤ ساعة. واستمر الحال على ذلك في حكومة الثورة.

وفي سبتمبر ١٩٥٤ حاولت اسرائيل تحدي الحصار، فأرسلت السفينة «بات جليم» فصادرتها السلطات المصرية، واعتقل بحارتها ثم اعيدوا الى اسرائيل.

وفي سبتمبر ١٩٥٥ منعت مصر الطيران فوق الخليج وتوقفت رحلات شركة العال..

وينقل الدكتور عبد العظيم رمضان ـ عن موشي ديان قوله:

«كانت هذه المضايق هي الهدف الرئيسي للمعركة، ولو توقفت المعارك وفي يدنا شبه جزيرة سيناء دون شرم الشيخ، اذن لظل الحصار قائما على الملاحة الى اسرائيل ولكان ذلك يعني اننا خسرنا المعركة».

ويستعرض د. عبد العظيم رمضان تطورات فتح الخليج كالآتي:

● احتلت اسرائيل شرم الشيخ يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦

● قدمت الهند مشروعا قويا يندد بتأخر الانسحاب في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ وكانت الجمعية العامة قد أقرت قرارا بانسحاب اسرائيل الكامل دون اشارة الى حرية الملاحة. وان همرشولد رفض أن تضمن القوات الدولية حرية الملاحة في خليج السويس»

● ولكن بعد ان تم الاتفاق المصري ـ الامريكي وانسحبت اسرائيل في مارس ١٩٥٧ ارسلت امريكا في ٦ أبريل ١٩٥٧ سفينة امريكية تحمل نفطا ايرانيا لاسرائيل ومرت في خليج العقبة واكتفت مصر بالاحتجاج.. وكان ذلك اول اقتحام للخيلج منذ اغلقته حكومة الوفد».

وتم اكمل نصر في تاريخ العرب الحديث.. !!

الوفد وحكومات ما قبل ١٩٥٢ اغلقت الخليج في وجه اسرائيل، وحكومة ما بعد ١٩٥٢ فتحته، ومع ذلك يقول هيكل بلا حياء: «وحتى سنة ١٩٥٢ رغم اشتراك مصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فإن الرياح في مصر كانت تسير على هوى اسرائيل، وفجأة تغيرت اتجاهات الرياح».

تغيرت؟! نعم.. ولكن لتهب في شراع سفينة اسرائيل.. وحاسبونا على النتائج.. اذا كان ما حققته اسرائيل في ظل الرجعية اكبر مما حققته في ظل الثورية.. فمعك حق يا أمين على التاريخ.. بل حتى حرب ١٩٤٨ التي خسرناها كانت اشرف في وقائعها ونتائجها يا مفرط في الجغرافيا؟!

شقت امريكا الطريق في قلب السيادة المصرية الممزقة، وجاء الدور على اسرائيل لكي

تستعرض وتعربد وتعلن انتصارها، وتلقى الفتوح العلا..

«في اول مايو ١٩٥٧ اتجهت مدمرة اسرائيلية من ايلات الى شرم الشيخ ثم بلدة الشيخ حميد السعودية على بعد كيلومترين، ثم اقتربت الى مسافة كيلومتر واحد من بلدة مقنى على الساحل السعودي. وفي نفس اليوم واليوم التالي اجرت مدمرتان وثلاثة طرادات وطائرات حربية اسرائيلية مناورات على الساحل المصري لخليج العقبة بين ايلات وطابه ووصلت الى المياه السعودية على الضفة الشرقية للخليج»[١٧].

ربما كانت حملة تهنئة بأكمل نصر عربي، ولذلك لم تحرك قيادة مصر ساكنا لأنها على مايبدو كانت مشغولة بدورها باحتفالات «اكمل نصر في تاريخ العرب» فتركت اسرائيل تتجرع هزيمتها في المياه المصرية!!

ويعلق المؤرخ المصري المعاصر د. عبد العظيم رمضان على سكوت مصر «فكأنها وافقت بذلك موافقة صامتة على هذا المرور»

ويقول: «ومرور الملاحة الاسرائيلية في مضيق تيران يعد أضخم مكسب حصلت عليه اسرائيل منذ احتلالها ميناء ام الرشراش في مارس ١٩٤٩، وهو اخطر تطورات الصراع بين مصر واسرائيل منذ انشاء تلك الدولة، فقد فتح البحر الأحمر امام اسرائيل واتاح لها ان تتمتع لاول مرة بمزايا موقعها على بحرين: البحر الاحمر والبحر المتوسط. وقد ترتب على ذلك النتائج الآتية:

اولا - تحول ميناء ايلات الى ميناء عالمي، ومحاولة اسرائيل الاستعاضة به عن قناة السويس لنقل البضائع، والبترول بين آسيا وافريقيا واوروبا. فقد عمدت الى اقامة شبكة من المواصلات بين ايلات والبحر المتوسط، وادخال تحسينات كبرى على الميناء، وقامت بتوسيعه وتقسيمه الى ثلاثة اقسام: قسم جنوبي، وهو ميناء البترول، وتصل اليه السفن التي تحمل البترول الخام الذي يدفع الى معامل التكرير بحيفا. وقسم شمالي، يختص بشحن وتوزيع البضائع، وقسم اوسط يتم فيه تخزين البضائع.

وفي عام ١٩٥٩ كانت هناك ثلاث شركات ملاحية تعمل بواخرها بانتظام بين ايلات والساحل الشرقي لافريقيا. وقد سجل الاسطول التجاري الاسرائيلي تقدما مضطردا منذ عام ١٩٥٩. وعلى سبيل المثال، فقد كانت حمولته في ذلك الحين تبلغ ٣٢١,٠٠٠ طن، فبلغت في سنة ١٩٦٠، ٤٦٢,٠٠٠ طن، وفي سنة ١٩٦١ بلغت مقدار ٦٤٠,٠٠٠ طن. وقامت الخطوط الملاحية بربط اسرائيل باليابان وبورما وسيلان وشرقي افريقيا وغربها واستراليا.

وفي اعقاب فك الحصار عن مضيق تيران، هبت اسرائيل لمد خط انابيب للبترول من ايلات الى معامل التكرير بحيفا. وكانت هذه المعامل تعمل منذ حرب ١٩٤٨ بربع طاقتها

فقط. ومن المعروف ان اسرائيل كانت تنتج حوالى ١٠ في المائة مما تحتاجه من البترول، وتستورد ما تحتاجه كمصدر للطاقة ولصناعة البتروكيماويات من ايران بالخليج العربي. وقد جرى التفكير في انشاء هذا الخط في أعقاب عدوان ١٩٥٦، وتم انجازه على ثلاث مراحل: من ايلات الى بير سبع، ويبلغ طوله ٢٤٠ كيلومترا، وقطره ٨ بوصات، وتم انجازه في منتصف شهر ابريل ١٩٥٧. ومن بير سبع الى اسدوديام، ويبلغ طوله ٧٧ كيلو مترا، وقطره، ٨ بوصات لمسافة ١٥ كيلومترا و١٦ بوصة لمسافة ٦٢ كيلومترا. ومن اسدوديام الى حيفا، ويبلغ طوله ١٣٩ كيلومترا، وقطره ١٦ بوصة. وقد انتهى العمل فيه في منتصف يوليه ١٩٥٨. ومنذ منتصف شهر مايو ١٩٥٩ بدأ إنشاء خط النفط الدولي بين ايلات وحيفا الذي وقعت اتفاقيته في مطلع العام مع جماعة من الممولين الفرنسيين على رأسهم البارون روتشيلد.

وسرعان ما أنشأت اسرائيل مطارا عسكريا شمال ايلات على بعد كيلومترين من الساحل على الجانب الغربي من الطريق العام، يصلح لهبوط الطائرات النفاثة. ويعد مطار ايلات هو المطار الثاني في اسرائيل بعد مطار اللد. وأنشأت اسرائيل طريقا بريا من الدرجة الاولى بين حيفا وايلات يبلغ طوله ٤٦٧ كيلومترا، اطلق عليه الاسرائيليون اسم: «قناة السويس البرية». وقد استطاعت ايلات ان تستقطب سريعا حركة الملاحة من ميناء العقبة الاردني، حتى بلغ حجم السفن التي تصل اليها في عام ١٩٦٧ سبع سفن مقابل كل سفينة تصل الى ميناء العقبة!

ثانيا: تسرب النفوذ الاسرائيلي الى افريقيا، تدعمه الاستشارات الاسرائيلية والامبريالية. وتنوع النشاط الاسرائيلي في الميادين الاقتصادية والثقافية والعسكرية. ومن الطبيعي أن هذه العلاقات قد فتحت أمام الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية الاسرائيلية اسواقا رائجة، استطاعت اسرائيل من خلالها التغلب على الحصار الاقتصادي العربي ومنافسة الصناعات العربية».

وهذا كله من بعض شروط وعلامات «كمال» النصر، وان كان تواضع مؤرخ الناصرية جعله يغفلها تماما فلم يشر بحرف لا الى الخليج ولا الى شرم الشيخ، ولا الى الملاحة الاسرائيلية فهذه قضايا تافهة لا يجوز ان تشغلنا عن النصر الاكبر في «باندونغ» والنصر التاريخي في حرب المائة ساعة على مشروع ايزنهاور..

ثالثا: كذلك نزع سلاح غزه، ومنع الجيش المصري من دخولها وكان هناك منذ عهد الرجعية التي خانت قضية فلسطين، فخرج منها بعد ما بدأت الرياح تهب في غير مصلحة اسرائيل!..

وحرمت مصر من الامكانية الممتازة للقطاع في دعم أي هجوم مصري، بل واوقفت

العمليات الفدائية التي كانت تتم من القطاع .

قالت جولدا مائير: «زال رعب الفدائيين . . تقررت الملاحة في مضيق تيران، وقوات الطوارىء تحركت الى قطاع غزه وشرم الشيخ، وكسبنا نصرا جعل التاريخ العسكري يثبت مرة اخرى قدرتنا على حمل السلاح للدفاع عن انفسنا. »

يقول حمروش وهو يعتذر:

«ضغطت امريكا على اسرائيل للانسحاب وضغطت على مصر لتبقى قوات طوارىء دولية في شرم الشيخ حتى لاتتاح للقوات المصرية مستقبلاِ فرصة قفل خليج العقبة ومنع الملاحة فيه. ولم يشأ جمال عبد الناصر أن يعاند ويواصل تحدي امريكا لأنها وجد في ذلك على حد تعبيره موقفا غير سياسي، وقبل هذا الشرط مرغما كما يقول ناتنج»

وهكذا نرى عبد الناصر يتحدث عن «ارغامه» وهيكله يتحدث عن «أكمل نصر في تاريخ العرب»

«ولم ترسل مصر حاكما عسكريا لغزه كما كانت الامور من قبل، وانما عينت حاكما مدينا ولم ترسل معه قوات عسكرية بل اكتفت بفريق من الشرطة العسكرية».

ونضيف ان مصر كانت لاتفكر في ارسال حتى الحاكم المدني، ولكن ثورة الاهالي هناك ومبادرتهم برفع الراية المصرية فور الانسحاب الاسرائيلي ومطالبتهم بالعودة المصرية الكاملة، ادت الى تطويق هذه الحركة باعادة الادارة المدنية مع قبول شرط اسرائيل بالغاء الوجود العسكري هناك وقد كنا معاصرين هذه الاحداث زمانا ومكانا . .

ويقول: «وقبلت مصر قوات الطوارىء الدولية لتكون حاجزا بينها وبين القوات الاسرائيلية، حتى لاتتكرر الاشتباكات المسلحة التي ظلت تحتل العناوين الرئيسية في الصحف على فترات متقاربة منذ غارة غزه ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى عدوان ١٩٥٦».

اذا انتهت معركة صفقة السلاح، وتحطيم احتكار السلاح وهدير الطائرات والدبابات في شوارع القاهرة، والاستعراضات «السمينة» لا الهزيلة . . انتهى ذلك كله «بحاجز يمنع تكرار الاشتباكات»!

ولا أحد يجادل ان هذا التجميد كان لصالح اسرائيل وحدها . . فقد خرجت منه اكبر قوة سكرية في المنطقة، وخرجت مصر منهوكة القوى ، اكثر عجزا من الناحية العسكرية عما كانت عليه حتى في عام ١٩٥٦ . .

ويريد حمروش ان يقول ان عبد الناصر بقبول قوات الطوارىء قد استبعد نهائيا ـ من جانبه ـ الحرب مع اسرائيل، ولكن نفاقه للناصريين يمنعه أن يقول ذلك صراحة فيلف ويدور ليقول الآتي : بقبول عبد الناصر التجميد هذا «وجدت افكار جمال عبد الناصر التي كان قد عبر عنها الى مجله «الشؤون الخارجية الامريكية في فبراير ١٩٥٥ قبل تصاعد هذا

التوتر، وجدت فرصتها للتحقيق من جديد فقد قال يومئذ: ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الانشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب».

اذن فمحصلة حرب سيناء ١٩٥٦ هي العودة الى سياسة «لا محل للحرب» وكان الظن أن تنبه القيادة المصرية الى انه «لا حل الا الحرب» . . .

عدنا لسياسة العمدة والقملة على قفاه وادعاء انه وضعها قصدا . . فنحن لم نهزم وقوات الطوارىء ليست مطلبا اسرائيليا وانما خطة ناصرية لرفع مستوى الشعب!

وكان هذا بالطبع تقصيراً خطيرا في مسؤولية الامن القومي للوطن، كما ان المكاسب التي حصلت عليها اسرائيل من العدوان كان من بينها الحق المكتسب في الملاحة في خليج العقبة وبالتالي عندما ارادت مصر ان تسترد هذا الحق في ١٩٦٧ كان لدى اسرائيل المبرر العالمي للعدوان الثاني . .

وربما يؤدي مناخ مبادرة روجرز وكامب ديفيد، وما اعلن من تنازلات في العشرين سنة الاخيرة، ربما يؤدي الى استهانة القارىء الحديث بهذه التنازلات، ويعتقد أن القيادة المصرية فعلا كانت مرغمة عليها أو أن ظروفها كانت مماثلة لظروف ١٩٦٧ وما بعدها . . والحقيقة مخالفة تماما، فلم يكن المناخ الدولي في يوم من الايام مناسبا لمصر في تاريخ المواجهة مع اسرائيل كما كان في عام ١٩٥٦ . .

١ ـ الهجوم الاسرائيلي أو العدوان واضح لا شبهة فيه ولا محاولة لاخفائه او ادعاء انه هجوم وقائي، وادانته ٦٤ دولة من بين ثمانين دولة في الامم المتحدة وطلبت الاغلبية الساحقة انسحاب اسرائيل بلا قيد ولا شرط.

٢ ـ اسرائيل تورطت في اسوأ غطاء دولي يمكن أن تلجأ اليه دولة صغرى وهو القتال تحت مظلة بريطانيا وفرنسا الاستعماريتين، أو كما بدت وقتها ـ وهو غير صحيح ـ مخلب قط لهدف استعماري قبيح . . وما كان يمكن لأي يساري أو منتسب لفكر متحرر ليبرالي او اشتراكي أو انساني ان يؤيد أو يدافع عن غزو يقوم به الاستعماران العجوزان او مخلب قط لهما، ولم يكن هناك ثمة مبرر ولا حتى عند اليهود خارج اسرائيل للعدوان . . وانفجرت المعارضة للغزو وتأييد مصر في لندن وباريس وكل عواصم اوروبا تقريبا وانتقد الغزو في مجلس العموم البريطاني، وكاد الاعضاء ان يتضاربوا فرفعت الجلسة لتهدئة الموقف واستقال وزير الدولة البريطاني «انتوني ناتنج» احتجاجا على العدوان. وهو حدث في تاريخ بريطانيا.

ولأول وآخر مرة تتفق امريكا وروسيا ضد اسرائيل وينزلان معا بكل ثقلهما الدبلوماسي والسياسي . . والاقتصادي الى جانب مصر ولفرض الانسحاب . . وقرارات مجلس الامن ضد اسرائيل وبالانسحاب تقدم بها الوفد الامريكي . .

بينما في ١٩٦٧ خرج اليسار الفرنسي كله في مظاهرة وراء سارتر يهتف بالموت للعرب

والمسلمين وجمعوا أربعة مليارات فرنك لدعم اسرائيل ، التي استطاعت ان تقنع العالم أن «الوحش» المصري سيفتك بها ، وكانت امريكا بكل ثقلها خلف اسرائيل . . وهذا يوضح انه ليس بفضل شعبية الزعامة المصرية في ١٩٥٦ كان الموقف العالمي بل بسبب بشاعة الصيغة التي تم بها العدوان، والمكانة التي كانت لمصر قبل أن يحكمها المماليك الجدد.

وبعكس ١٩٦٧ عندما كان الوضع العربي ممزقا، وكثير من النظم العربية يخشى انتصار عبد الناصر اكثر مما يخشى هزيمة مصر . كان الوضع العربي في ١٩٥٦ أفضل بكثير فالحركة الوطنية للأمة العربية في زخمها وطهارتها وبكارتها . . ومصر في حلف عسكري مع الاردن وسوريا ، وقيادة عسكرية تحت امرة القائد العام المصري وفي انتظار اشارة للهجوم على اسرائيل ، واذا كان لايعرف حتى الآن السبب الذي جعل عبد الناصر يمنعهم من الاشتراك في الحرب . . واذا كنا نرفض العذر البارد بأنه رأى المؤامرة في الايام الأولى اكبر مما تصور فآثر تطويقها في خسارة مصر وحدها . . !

حتى مع هذا فقد تغير الوضع في الفترة من ديسمبر (انسحاب الانجليز والفرنسين) ومارس ١٩٥٧ (انسحاب اسرائيل) . اذ كان مازال يملك ورقة فتح جبهة اردنية وأخرى سورية . . فلماذا لم يستخدم هذه الورقة في المساومة والضغط لفرض الانسحاب بلا قيد ولا شرط ودون أن تحقق اسرائيل أي مكسب كما يقضي العرف الدولي وكما كان العالم كله معه في ذلك . . ؟!

وهو وضع لم يكن متاحا بالطبع بعد ١٩٦٧ ؟!

وكانت مصر في ما هو اكثر من تحالف مع السعودية التي وضعت كل امكانياتها تحت تصرف مصر، كما كانت قد جندت كل هذه الامكانيات مع مصر قبل العدوان ومنذ ١٩٥٢ على جميع الجبهات . . وبدلا من وضع ١٩٦٧ حيث كانت مصر تحارب السعودية في اليمن . . كانت مصر واليمن والسعودية في اتحاد دفاعي وحلف مسلح . .

كل الظروف كانت مع عبد الناصر الا عبد الناصر . وقد ابدى ممثل الاتحاد السوفيتي في الامم المتحدة دهشته علنا من قبول مصر لهذه الشروط، وقال انها لاتحتاج لقبول البوليس الدولي[١٨] .

«ولكن اذا كانت هذه رغبتها . . فهو لايمانع»! وعرفنا بعد ثلاثين عاما ان البوليس الدولي كان فكرة مصطفى امين وهيكل والعضو الامريكي في محطة المخابرات الامريكية في مصر!

لماذا قبل عبد الناصر شروط اسرائيل؟!

لماذا لم يعمد ويبدأ عملية تعبئة وبناء القوات المسلحة ، خاصة وانه قد تم له ما اراد «ووفقا لرواية هيكل انقذ الجيش المصري من الفخ الذي نصبوه له، والطيارون احياء عند

صدقي محمود يرزقون والحمدلله . . وحتى لو صدقنا «كذبة» عبد الناصر عن تدمير السلاح المصري ، ورفضنا «صدق» هيكل عن «تدمير بعض المعدات الخفيفة» حتى لو صدقنا ذلك لم يكن «تعويض» السلاح مشكلة وقد فتح السوق السوفيتي ، بل وكان الروس في غاية التحمس وقتها لتصدير السلاح . . لماذا لم يعبىء كل القوى ويبدأ أو يهدد بحرب تحرير سيناء بعد الانسحاب البريطاني والفرنسي . . وحرب ضد اسرائيل وحدها «تقلب» العالم العربي . . بنص تعبير عبد الناصر.

سؤال نضمه الى الاسئلة الحائرة في ضمير الناصريين المخلصين . .

لماذا بعد انسحاب الانجليز والفرنسيين ، خضع عبد الناصر لشروط اسرائيل . . لماذا رفض ان يستغل «النصر» والالتفاف الشعبي والعربي والعالمي حوله لخوض معركة تحرير ضد اسرائيل .

ولكنه لم يفعل . . لماذا؟! . . قولوا لنا ما هي المخاطر التي اراد تجنبها؟

لن نذهب مذهب المخرفين الذين يتهمون عبد الناصر بانه جزء من المؤامرة الصهيونية العالمية ، ومن ثم اقترحوا له تمثالا في اسرائيل .

ولكننا ايضا لانقبل تزوير المزورين الذين يرفضون مواجهة هذا السؤال ، ويصرون على انه انتصر وان كل شيء كان بحسبان . . ؟!

ويضاعف من جريمتهم انهم لم يقتصروا على خداع الشعب والجيش بل خدعوا القيادة نفسها فصدقت انها انتصرت ، وسكت ميدالية مكتوب عليها «سيناء ارض النصر» وجدها الحاكم العسكري الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ في مكتب محافظ سيناء ، فأعطى واحدة منها الى «ياثيل دايان» الجندي في جيش اسرائيل وابنة «موشي ديان» . . قائلا «اظن ان هذه الميدالية من حقنا نحن»[١٩] !

قالت غولدا مائير : «بعد تأميم قناة السويس لم يكن امام عبد الناصر لكي تصبح مصر التي يحكمها ، زعيمة العالم الاسلامي الا شيء واحد هو ابادة اسرائيل»[٢٠]

وفي ديسمبر ١٩٥٦ كان قد تم تأميم وامتلاك القناة ، وهزم وزال اي خطر من الاستعمار القديم . . ولا نقول ما قالته غولدا مائير عن ابادة اسرائيل بل نقول ان زعامة العالمين العربي والاسلامي كانت دانية قطوفها لحاكم مصر الذي يبدأ عملية ازالة اسرائيل برفض المساومة والبدء في تحرير سيناء . .

ولكنه لأمر ما استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . .

هذه هي وقائع التاريخ . . و«نحن حين نتجاهل التاريخ لا نلغيه ولكننا نخرج انفسنا من دائرة حركته»[٢١] . . فما بالك حين لانكتفي بتجاهله ، بل نتعمد تزويره؟!

«باختصار نحن نعتبر معركة تأميم القناة ، نصرا بارزا لمصر ورئيسها عبد الناصر . ونعتبر

معركة سيناء اول هزيمة حاسمة ومصيرية في المواجهة المصرية ـ الاسرائيلية . . تركت بصماتها ولاتزال على تلك المواجهة . .

ننتقل الان الى السؤال الكبير . .

ما هو موقف عبد الناصر من المواجهة المصرية ـ الاسرائيلية؟

هل حقا كانت هذه المواجهة في تصوره هي قضية الأمن القومي لمصر ومستقبل القومية العربية، ومن ثم تحتل قائمة الاولويات في استراتيجيته . . ؟

نحن نقول لا . . بل ونضيف ان العكس تماما هو الذي حكم سلوك عبد الناصر في الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧ . .

ونحب أن نبدأ بناصري شديد الحماسة، بل لعله من اطهر الناصريين نفسا واعفهم يداً ولسانا، وفي مقدمة الذين قيل فيهم « الطريق الى جهنم مرصوف بذوي النوايا الحسنة».

هو «امين هويدي» من ضباط عبد الناصر المقربين له ـ أو هو يعتقد ذلك ـ المؤمنين به، عمل في فترة الثورة العراقية في بغداد، ثم وزيراً للحربية كفترة انتقال ثم مديراً للمخابرات.

يهاجم «امين هويدي» «السذج» و«المغرضين» الذين يقيمون الاحداث الان، قائلين ان عبد الناصر كان عليه ان يترك فلسطين في ذمة التاريخ لنتفرغ لاحوالنا ومشاكلنا وانه كان عليه ان يقفل عليه حدوده، وبذلك يتفادى الصدام مع اسرائيل»[٢٢]

احترنا والله ما بين الهويدي أمين والامين هيكل . .

الأول يقول إن الدعوة الى التفرغ لمشاكل مصر وتفادي الصدام مع اسرائيل لا يصدر الا عن السذج والمغرضين. والأمين هيكل الواصل للخزائن والوثائق يؤكد لنا ان اول من طرح هذا الشعار في مصر بل في الوطن العربي هو الزعيم عبد الناصر الذي قال لـ: ر.ك اختصار ريتشارد كروسمان الذي بدوره قال لـ ب.ج اشاره الى بن جوريون وهذا وحده دليل اكيد على صحة الرواية قال الزعيم انه «لا يشغل نفسه باسرائيل، وانما يركز على التنمية الداخلية في مصر وانه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية»

حتى ان بن غوريون «هرش شعره المنكوش» لما سمع ذلك «وتمتم بصوت خفيض وهو يهز رأسه: هذه انباء سيئة . . انباء سيئة جداً»

ولا اظن ان هناك مجالا للشك بعد هذا الوصف الدقيق للطريقة التي تصرف بها ب.ج عند سماع الخبر . . فهو أولا كان منكوش الشعر كما وصفه شاهد عيان واخبر هيكل، وهو

ثانيـا هرش شعره هذا المنكوش ولم يمسح عليه أوينتفه تماما . . ثم «تمتم» لم يهمس ولا صرخ . . انما «تمتم» وبصوت خفيض . . كل هذه الادلة تجعلنا نصدق انزعاج بن غوريون لأن عبد الناصر غير مشغول باسرائيل ويعمل على انقاص قدرات مصر العسكرية!

وهي حالة معروفة بين العشاق . . حتى أن ام كلثوم تشكو «حتى الجفا محروم منه . . ياريتها دامت ايامه» والاغاني المصرية حافلة بمثل «خليني ع البال يا خلي البال» ولاشك ان بن غوريون كان يعاني من هذه الحالة التي للأسف هيكل هو المصدر الوحيد للاعلام عنها . .

دعنا من الجزء الخاص برأس بن غوريون ومشاعره . . المهم ان عبد الناصر وهذه واقعة مؤكدة بخفض الميزانية وبخطب الرئيس وبمسلكه ، كان يرى عدم التحرش باسرائيل ، عدم الانشغال بها ، والتركيز على مشاكلنا الداخلية . . فلماذا يهاجم «هويدي» هذا الموقف وينسبه للسذج والمغرضين الا اذا كان قد قرر الانضمام الى «جوقه عدم الوفاء» وتشويه سيره الزعيم الخالد؟!

أو لم يقل هروش انه بقبول مصر قوات الطوارىء لتكون حاجزا بينها وبين القوات الاسرائيلية حتى لاتتكرر الاشتباكات تحققت افكار عبد الناصر وهي : «ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الانشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب» .

على اية حال بعد سطر واحد اندفع امين هويدي يثبت أن مصر لم تتحرش قط باسرائيل . . وانها فعلا كانت تود لو أن بينها وبين اسرائيل جبلا من نار فلا يصلون اليها ولاتصل اليهم . . اذ يقول :

«ولكن هل تحرشت مصر باسرائيل حينما قامت بغاراتها الوحشية في غزه واتبعتها بغاراتها في مناطق عديدة بعد ذلك؟ هل تحرشت مصر باسرائيل حينما انضمت الاخيرة الى بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي» .

والجواب على الفور ابدا . . لا تحرشت ولا كشرت ، بل ونضيف : ولا فكرت أو قدرت مواجهة مع اسرائيل خلال ١٥ سنة من الثورة الى النكسة . .

١٥ سنة وسياسة الحكم المصري تدور حول تجنب المواجهة مع اسرائيل ، والاطمئنان الى التأكيدات الامريكية ، والالتزام بالوعود والاتفاقات مع الامريكان بتجنب تصعيد الموقف . . وخمسة عشر عاما لم تتوقف المؤسسة الاسرائيلية عن التفكير والتدبير والتنفيذ للقضاء على الوجود المصري المؤثر في الشرق الاوسط .

وبعد أن يؤكد «أمين هويدي» ان التحرش كان من جانب اسرائيل حتى عام ١٩٥٦ ، يؤكد ان «ابسط قواعد الأمن القومي تشير الى ان «فلسطين» هي من ضرورات الامن المصري ، منذ عصور الفراعنة ، ووجود دولة معادية هناك فيه تهديد قاتل لأمن مصر ، اذن

فسلامة فلسطين من ضروريات الأمن المصري».

وهـذه بديهية لانعارضه في حرف منها. وان كانت السنوات التي تلت عام ١٩٥٢ اتسمت بالعمل على اخفاء هذه الحقيقة عن المصريين، ونجحت تماما في تجهيل المصريين بها. ولا يمكن القول بأن وعي جيل ابريل ١٩٦٧ بهذه الحقيقة كان افضل أوحتى مماثل لوعي جيل ابريل ١٩٤٨.

هذه قضية تحتاج الى «بحث مستفيض». وانما نسأل السيد هويدي، هل التزمت الناصرية بهذه القناعة؟ هل خدمت الامن المصري بأزالة «الدولة المعادية»؟!

لا النتائج ولا النوايا تعزز القول بأن الناصريين فهموا هذه الحقيقة، والا فقد فهموها وعملوا أو انجزوا عكسها تماما. فلا مجال للمقارنة بين قوة «الدولة المعادية» وحجمها عام ١٩٥٢ وما وصلت اليه، وما اصبحت تحمله من تهديد لأمن مصر الوطني في سنة ١٩٧٠.

لقد زحف خطر الدولة المعادية من رفح حتى وصل الى القنطرة، والناصريون الذين تسلموا الحكم ومصر تدافع عن أمنها القومي في قلب فلسطين (غزه)، تركوا الحكم والاسرائيليون اقوى دولة في المنطقة، بل اقوى من دول المنطقة مجتمعة. ممتدة من البحر الى النهر ومن الجولان الى القنطرة. ومدافعها دكت أجمل ثلاث مدن مصرية وسيناء بأكملها أو ثمن الوطن، بمواطنينا هناك تحت الاحتلال الاسرائيلي. والقطاع الذي تسلمه ثوار يوليو أمانة سلموه لليهود هزيمة..

ولم يحدث منذ الاحتلال البريطاني ان كان أمن مصر في اضعف وأخطر مراحله مثلما حدث على يد الناصريين.

هذا من ناحية الواقع، ما تحقق بالفعل، وهو ما تجري المحاسبة عليه في السياسة، ومع ذلك سنقبل طلب الرأفة ونحاسب على النوايا.

هل يمكن تقديم دليل واحد على أنه في الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧! كان «أمن مصر القومي» بهذا المفهوم الذي طرحه ـ عن حق ـ أمين هويدي، أي سلامة فلسطين ومنع قيام دولة معادية فيها. هل من دليل واحد على إن هذا الفهم كان المسيطر حقا على تفكير أو استراتيجية الناصرية؟!

هو بنفسه اعترف بأنه حتى عام ١٩٥٦ لم يقع أي تحرش باسرائيل.. بل اسرائيل هي التي كانت تلح باعتداءاتها لايقاظ القيادة الناصرية من غفلتها وتذكيرها «بالخطر القومي» والأمن المهدد.. اوبالاحرى لعجم عودها والتأكد من فقدانها لارادة القتال، ولتدريب جنودها على الاستهانة بالعدو المصري!

ولكن القيادة المصرية ظلت تقفز خلف الاشباح وتندفع الى جميع المعارك في شتى الميادين الا معركة الامن الوطني. وحتى بعد ١٩٦٧ بعد أن اصبح الخطر الوطني يطل على

بورسعيد والاسماعيلية والسويس. يطلب احدهم من الرئيس عبد الناصر سحب الجيش المصري من اليمن للدفاع عن القاهرة فيرد الرئيس: «واخللى البدر يدخل اليمن؟!»

منع البدر من دخول اليمن، اهم من دخول اسرائيل سيناء، أهم من تهديد اسرائيل للقاهرة أو دمشق وعمان؟!

ثم تتحدثون عن «امن مصر» وتتباكون على قميص فلسطين! متى فكرتم فيها؟! وانتم مشغولون بمحاربة الرجعية والبعثية والشيوعية، وتحرير الكونغو والانتصار في باندونغ؟.. متى؟! اذكروا لنا واقعة واحدة تؤكد ايمانكم فعلا بان ازالة هذه الدولة المعادية هو الضرورة القومية أو الوطنية الأولى! هل تسليم الجيش لقيادة هزمت في حرب ١٩٥٦ في اول مواجهة شاملة مع اسرائيل، ورغم قناعة الرئيس التامة بعجزها العسكري الفاضح، ثم يسلمها بجميع افرادها من الصاعقة الى الطيران الى القائد العام، يسلمها مرة اخرى قيادة الجيش، دليل قناعته بأن اسرائيل هي الخطر القومي القاتل الذي يجب أن يتصدر قائمة الاهميات، وقائمة الولاءات؟!

الم يكن من الواضح لابسط الناس ان القيادة التي هزمت في ١٩٥٦ والتي عجزت عن مواجهة النحلاوي والكزبري. لابد أن تنهزم ضد اسرائيل..؟ فماذا يعني تسليم القيادة العسكرية لها مرة ثانية والدخول بها في حرب أخرى معروف سلفا ان العدو فيها اكثر قوة؟!

المغرضون سيقولون ان الناصرية ارادت هذه الهزيمة، ومن ثم وضعت نفس العناصر المنهزمة في مركز القيادة..

ولكن تمسكا بحسن النية الايكون افضل التفسيرات هو ان هذه القيادة الناصرية لم يكن يعنيها أمن مصر القومي، أولا تدرك «ابسط قواعد الامن القومي» بتعريف هويدي.. أو كانت لاترى تهديدا لأمن مصر من ناحية اسرائيل ومن ثم لم تهتم بتوفير قيادة عسكرية في مستوى هذا الخطر معتقدة أن تصفية الاقطاع في كمشيش أهم، وان مكاسب توزيع شقق الحراسة وتحديد اقامة كمال الدين حسين وعزل بغدادي تبرر وضع عامر وصدقي محمود وجلال هويدي والغول وعلي شفيق وشمس بدران وبقية «النخبة» الاشتراكية على رأس جيش مصر ولو كان الثمن هو ما دفعناه؟

جميل أن يتحلى «هويدي» بالوفاء، وان يتصدى للدفاع عن الناصرية، ولكن بشرط ان يلتزم بالناصرية الحقيقية التي نعرف وقائعها، لا ان يخترع لنا ناصرية جديدة!

الوقائع الثابتة تعززها النتائج تثبت ان حركة ٢٣ يوليو لم تكن مهتمة بأمن مصر الوطني، ولا كانت اسرائيل على قائمة الاولويات.. واول دليل هو موقفها من الجيش عندما وصلت الى السلطة، اذ كان اهتمام القيادة الاول هو تأمين سيطرتها عليه حتى ولو كان ذلك على حساب قدرته القتالية.. ومن ثم اتخذت هذه الاجراءات:

١ ـ تسريح كل من هو فوق رتبة بكباشي وهي رتبة جمال عبد الناصر. وما من «وفي» للناصرية، مهما بلغ تنطعه يستطيع القول ان هذه الرتبة تشكل حدا وطنيا وطبقيا من تجاوزها ولو قبل الثورة بيوم واحد فهو رجعي، ومن كان تحتها فهو في النعيم مع الابرار لمجرد مصادفة أن قائد الانقلاب بكباشي . . !

وهكذا خسر الجيش المصري في قرار واحد ولحظة واحدة كل قياداته الفعلية . . واذا كان هيكل يبرر منع الطيارين من الدفاع عن وطنهم في حرب ١٩٥٦ بأنهم لو ماتوا فسنحتاج الى عشر سنوات حتى نخرج طيارا . . وهو تهجيص . . فكم نحتاج حتى نخرج اللواء أو الفريق أو حتى العميد؟! . .

ولكن المذبحة لم تتوقف بل فصل خلال الثلاثة شهور الأولى من الانقلاب «اكثر من خمسمائة ضابط» .

الثورات الحقيقية تحل الجيش القائم، باعتباره جزءاً من الدولة والنظام، ليحل محله فورا الجيش الثوري الجديد المكون من قواعد الثورة الطبقية وعلى روح جديدة. وقد يضم بعض الكفاءات التي كانت في الجيش القديم التي تنضم عن وعي أو بالدافع الوطني، ولكنه غالبا يعتمد على الروح الثورية، واحيانا على الخبرة القتالية، اذا كانت الثورة قد وصلت الى الحكم على يد جيشها الخاص. المهم ان معنويات الجيش تبدأ من القمة، فهو جيش الثورة، ومن ثم يسهل جدا كسب الكفاءة القتالية والخبرة الفنية، اذا ما توفرت له القيادة الصالحة. وخلال فترة التكوين هذه، يغطي النقص المؤقت بالروح المعنوية العالية، لما يتمتع به افراده من مساواة وانضباط بل تقشف وصوفيه ثورية، واحترام لكرامة الفرد، وطهارة القيادة، واتضاح أهليتها للمسؤولية .

ولكن ما جرى في مصر كان مختلفا تماما، فقد بقي الجيش الملكي بتكوينه وتركيباته ومسلكيته وعلاقاته الاجتماعية والطبقية داخل صفوفه، مع انهيار كامل في مستوى قيادته . . ثم تتابعت اجراءات تكسيحه وتحطيم معنوياته، وتمزيق ترابطه . . فقد رأينا كيف عزل كبار الضباط بالرتبة وليس بالموقف الفردي لكل ضابط، وما في ذلك من ظلم، وما يخلفه من مرارة وهلع في نفوس الباقين، فضلا عن الحرمان من الخبرة التي اشرنا اليها . . ثم فصل خمسمائة ضابط بلا محاكمة، ولا حتى مجالس عسكرية، واغلبهم لم يعرف تهمته حتى اليوم! . . ونستطيع ان نتصور معنويات بقية الضباط خلال تلك المحنة فباستثناء التسعين ضابطا اعضاء تنظيم الضباط الاحرار، كان كل ضابط خارج هؤلاء التسعين يتوقع ان تكون رأسه هي التالية على القائمة السوداء . . فينشغل بحماية هذه الرأس ولو بالوشاية أو التزلف او الافتراء . . ثم كان الاذلال المهين والوحشي والاول من نوعه في تاريخ مصر (باستثناء الايام الاولى للاحتلال البريطاني) للضباط المصريين وهم في الزي الرسمي، في

اشرف مهمة واشرف موقع . . فالجندية وظيفة انسانية، شديدة التعقيد، يتم فيها اقناع انسان عاقل بتعريض نفنسه للقتل من أجل أن يحيا الاخرون من مواطنيه حياة أفضل واكثر أمنا . . ومن ثم لابد من توفر نفسية شديدة الخصوصية، تدور حول ايمانه بأنه بارتداء البدلة العسكرية أصبح في مستوى خاص وله قدسية خاصة لاتمس ما دام لم يُسيء الى شرف هذا الزي . . وهذه القناعة لا يمكن تصورها في ذليل مهان، خائف متلصص دساس . . وقديما قال المصري : «قالوا للكلب انبح وهز ذيلك قال ما اقدرش على الشغلتين» فالنباح الذي هو رمز القوة والحراسة، واليقظة والمبادرة، لا يتفق مع هز الذيل تملقا وتذللا . .

وقد جاءت الثورة بأول تعذيب وحشي للضباط العاملين عندما ضُرب البكباش حسن الدمنهوري ورآه زملاؤه «اثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه . ثم نقل الى السجن الحربي مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو بملابسه الرسمية . وكان اول حكم بالاعدام يصدر على ضباط بالجيش المصري بتهمة اخرى غير الخيانة العظمى»

وتستمر شهادة احمد حمروش، احد الضباط الاحرار التسعين، بل والقريب من عبد الناصر حتى وقوع الانقلاب، والذي كان شاهد عيان . لأنه هو أيضا كان مسجونا . . يقول :

«وكان هذا التعذيب هو بداية التصرفات الهمجية الوحشية من جانب ضباط القيادة ضد زملائهم في السلاح» . «وكان اعتقال ضباط المدفعية والتحقيق معهم بواسطة اعضاء المجلس، كلمة النهاية في وجود تنظيم «الضباط الاحرار» . لان اعضاء مجلس القيادة وجدوا في «الضباط الاحرار» تنظيما يمكن أن يشاركهم، ويضع تصرفاتهم تحت مجهر النقد والمحاسبة» .

بالطبع امتدت نار الارهاب والتصفية الى التسعين ، وحل تنظيم الضباط الاحرار، وقد اعترف شمس بدران للمؤلف (جلال كشك) انه كلف من عبد الناصر وعامر بتصفية تنظيم الضباط الأحرار .

وهذا قانون معروف في كل النظم الديكتاتورية اذ لايمكن ان تتوقف التصفية حتى لايبقى على القمة من الذين قاموا بالانقلاب الا الزعيم وحده . .

وحتى بعدما اخرج من الجيش كل الضباط الذين كانوا ضد ٢٣ يوليو وكل الضباط الذين قاموا بحركة ٢٣ يوليو . . هل ترك الجيش يستعيد روحه القتالية . . ؟ ابدا . . وهذه شهادة ناصري : «استبدلوا بالتنظيم القديم (الضباط الاحرار) تنظيمات خاصة اخرى تعتمد على الضباط المحيطين بهم القريبين منهم المكونين للشل الخاصة الذين تسرب اليهم عدد لم يكونوا من الاحرار أصلا، وانما اظهروا براعة في مخاطبة الغرائز الشخصية لاعضاء مجلس القيادة ، ووضع في مراكز القيادة نوعان من الضباط :

أما اهل الثقة الكاملة المرتبطون باعضاء مجلس القيادة ارتباطا شخصيا وثيقا. واما الضباط الذين لا رأى لهم ولا يهتمون الا بمصالحهم الخاصة . . ولاينفي هذا وجود بعض الاستثناءات».

مؤكد . . والا فمن اين جاءت البطولات التي لمعت كالنجوم في ليل الهزيمة، الذي صنعه النوعان المكونان للظاهرة العامة لضباط الجيش في عهد «الثورة» . . . هذه الاستثناءات هي التي صنعت نصر اكتوبر ١٩٧٣ . .

المهم انه مابين ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ كانت القيادة في الجيش من نصيب دلاديل اعضاء مجلس القيادة، او الذين لا رأى لهم ولا يهتمون الا بمصالحهم الخاصة . . اصبحت الكفاءة والوطنية والاهتمام بالمصلحة العامة هي الاستثناء! هل هذه هي نوعية القيادات التي يمكنها قيادة الجيش في مواجهة اسرائيل؟!

وهل الذي يعين اويقصر القيادات على مثل هذه النوعية، يفكر في أمن مصر القومي ويجعله الهدف الأول، واسمى الواجبات؟! لا بل هذه مسلكية من رأي «أمنه» وأمن سلطته هو أمن مصر القومي . . ولو سقط نصف الوطن تحت الاحتلال الاجنبي . . تماما كما قال «الدوبلير» مايلزكوبلند :

يتابع جمروش شهادته :

«كانت شخصية الضباط الاحرار تستمد قبل الحركة من ارتباطهم بالتنظيم واستعدادهم للنضال والتضحية، ولكنها اصبحت بعد ذلك تستمد من رضا القيادات عليهم واستعدادهم للخضوع والمسايرة» .

الخضوع والمسايرة ومخاطبة الغرائز الشخصية للمسؤولين! استحلفك بالله وبالوطن يا حاج امين هويدي . . وما اعلم عنك والله الا كل خير من ناحية الدين والخلق والوطنية . . هل يحسن العبد الكروالفر؟

هل يحرر مصر ويواجه اسرائيل ضابط يجيد الخضوع والمسايرة؟ . . هل هذه هي الصفات المطلوبة لتحقيق هدف : «بناء جيش وطني قوي»؟! هل هذا سلوك من يهتمون بأمن مصر الوطني؟! هل التحقت بالكلية الحربية وساهمت في انقلاب ٢٣ يوليو لتحسن الخضوع والمسايرة؟!

ولكن اهل الثقة، واهل الوفاء، والناصريون الجدد لديهم شماعة ممتازة يعلقون عليها كارثة الجيش، وهي الزعم بأن عبد الحكيم هو الذي لم يكن كفؤا . . وان عامر هذا استقل بالجيش فلم يعد للزعيم سلطة عليه . .

عظيم! ولكن لماذا عين عبد الناصر عبد الحكيم عامر في هذا المنصب؟ من أجل كفاءاته في قضية «امن مصر الوطني» وما توسمه فيه من قدرة على بناء جيش وطني قادر فعلا على

التصدي للعدو، ولكنه خيب آماله.. وعجز عن تغييره؟!

نقرأ ما يقوله المدافعون:

«كان عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة غير مؤهل في شخصيته لتولي هذا المنصب الخطير، ولكن جمال عبد الناصر عينه فيه خلال أزمة التناقض مع محمد نجيب ليضمن السيطرة على الجيش لثقته من ولاء عبد الحكيم له باعتباره صديق عمره والذي كان يسكن معه في سكن واحد قبل الزواج. ولذا فإن مواجهة عبد الحكيم عامر للعدوان لم تكن ايجابية ولا ديناميكية.. وشخصيته الطيبة المحبوبة لم تكن ذات تأثير نافذ في ظروف المعركة، كان تحريكه للقوات واعداده للخطط، رغم استعانته حتى ذلك الوقت في مكتبه بعدد من خيرة الضباط اركان الحرب، لم يكن متناسباً مع خطورة الموقف، فأصدار أمرا لمحمد رياض محافظ بورسعيد بتولي قيادة القوات المسلحة في بورسعيد وهومدني متخرج من كلية الحقوق، كما أن مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود ترك طائراته فريسه للهجوم وهي رابضة على الممرات الجوية دون تحليق. مما ادى الى تحطيمها فعلا في يوم واحد، رغم ان خطة المعتدين قد قررت لذلك يومين»[٢٣].

حروش هنا غير منصف لصدقي محمود، فحسب رواية الأمين على التاريخ كان ترك الطائرات على الارض بأمر صريح من الرئيس عبد الناصر وخطة مدروسة!! وبالطبع العدو قدر يومين على اساس الاشتباك، ولكن تحطيم طائرات أوأوزرابض على الارض مقصوص الجناح لا يحتاج الا الى ساعة واحدة..

ولكن ليس هذا اخطر ما في شهادة حروش.. فهو يشهد أن:

١ ـ عبد الحكيم عامر غير مؤهل لمنصب القائد العام

٢ ـ عبد الناصر اختاره لعلاقته الشخصية به وسكناه معه في شقة واحدة قبل الزواج.. ولكي يضمن سيطرته على الجيش من خلاله..

هل هذه هي المؤهلات التي تعين بها «الثورات» قادة الجيوش؟! هل هكذا تحمى الاوطان؟!

الملك فاروق أراد أن يعين صهره وزيراً للحربية وليس قائدا عاما للجيش والاول منصب سياسي والثاني فني.. فقامت عليه القيامة..

استحلفك بالله يا حاج أمين.. هل هذا سلوك من يعتبرون اسرائيل هي الخطر الدائم والداهم على أمن مصر القومي والوطني؟!

يقول بغدادي:

«وكنت معتقدا أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لتولى قيادة الجيش الا لغرض سياسي، وأنه يهدف الى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقي المجلس. وذلك عن

طريق مسانـدة الجيش له، وان الـذي يضمن له ذلـك هوتعين عبـد الحكيم قائداً عاما له معتمدا على قوة الصداقة المتينة والتفاهم القائم بينهما. كما كنت اخشى أيضا من تولي عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش في المستقبل اداة تدخل في السياسة العامة ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد. لذا رأيت أن اعترض على اقتراح جمال مبنياً أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة، وذاكراً أن الجيش اذا تدخل في السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضا. ولكن جمال عبد الناصر تمسك باقتراحه مبينا أنه من المنتحيل ان يوكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا فيتحكم في رقابنا على حد تعبيره. وموقفي هذا من تعين عبد الحكيم خلق حساسية منه نحوي لم اعلم بها الا فيما بعد من جمال سالم».

ويستمر بغدادي: «اصبح لا هم للكثير من الضباط الا التقرب من عبد الحكيم وجمال عبد الناصر أو الى من هم قريبين منهما طمعا في منصب أفضل أوخدمة تؤدى لهم. واصبح الجيش مع مرور الوقت اداة قوية في يد جمال وعبد الحكيم وانعزلنا نحن نهائيا عنه. ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية كما سيتضح للقارىء من خلال هذ المذكرات»:

فهذا عضو مجلس ثورة واهم في الثورة مني ومن هويدي وهيكل يشدد ان سياسة عبد الناصر ادت الى فساد الجيش!

ويروي عبد اللطيف بغدادي قصة الضابط العظيم اللواء خسن محمود قائد سلاح الطيران، فهو الوحيد الذي اعترض على تعيين عبد الحكيم عامر قائداً للجيش، واتخذ موقفا يثبت جدية اعتراضه ومبدأيته..

فقد رفض ان يكون مرؤسا لصاغ!.. وقال كلمته المشهورة العامرة بالوعي والتجرد: «عينوه بقوة الثورة رئيسا للجمهورية أو وزيراً للحربية أوحتى ملكا وسنطيع، ولكن الجيش لايقوم الا على الضبط والربط..

يقوم على الخبرة والاقدمية والرتبة.. ومحال أن يوجد جيش يخضع فيه اللواء للصاغ..

وخرج من الجيش مرفوع الرأس..

وعينوا من مكانه؟!

محمد صدقي محمود..!!

ما غيره!

ودفعت مصر الفرق بين أهل الرأي والخبرة والشجاعة وبين أهل الثقة والخضوع والمسايرة.. دمار سلاحها الجوي مرتين.

والغريب أنه رغم معرفة بغدادي بأن تعين عامر يفسد الجيش والسياسة فقد تولى هو

محاولة اقناع «حسن محمود» بقبول فساد الجيش والسياسة، بل وقبل بغدادي الاستمرار في عملية الافساد هذه ١٢ سنة. . على أية حال اذا اختلف الثوريان ظهرت الحقيقة!

مادمنا قد وجدنا الشجاعة لننقد كفاءة عامر واعلان انه غير مؤهل فيجب أن نتحلى بشجاعة اكبر لنقد المسؤول عن هذا التعيين. .

لابهدف الادانة. . فقد مات الجميع، ولكن لأن اثبات عدم كفاءة عبد الحكيم عامر اقل أهمية من تحليل وادانة الاسلوب الذي أوصل عامر لهذا المنصب، والذي إذا لم يكشف ويدان وتحصن البلد ضده يمكن أن يأتي لنا بحكيم آخر! .

ولنفرض كما قلنا ان كل هذا كان خافيا على القيادة السياسية، وانها فوجئت فعلا بما جرى في ١٩٥٦ من أكمل نصر عربي جعلها تبكي في شوارع الاسماعيلية. . لماذا لم تغير الوضع؟!

قائد الجيش غير كفؤ، وتصرف تصرفات لاتليق اثناء المعركة، وقائد الطيران ترك الطائرات تضرب على الارض. . ؟ فهل من المعقول أن نجد نفس القائد العام ونفس قائد الطيران في مواقعهما بعد عشر سنوات ليكررا نفس الخطأ ولكن بحجم اكبر ورتب أعلى؟!

هل هذا معقول؟

لو ان عمدة كفر البطيخ سلم أمن دوار العمودية لغفير لايتمتع بأية موهبة الاثقة العمدة وسكناهما في شقة واحدة! فسرقت الدار ونهب ما فيها، واعتدى على حرمتها. . فكافأه العمده برفع رتبته وزيادة اختصاصه وثبته في موقعه حتى نهب الدوار مرة أخرى بل واقام فيه اللصوص ١٣ سنة. . فأين يكون العمدة من حركة التاريخ. . وهل يليق باهالي كفر البطيخ ان يختصوا الغفير باللوم والعمدة بالثناء؟!

نسأل الحاج أمين هويدي فيقول:

«ان العلاقة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية كانت واضحة ومحددة في حرب السويس وحتى حدوث الانفصال».

عظيم! اذا يجب أن تتحمل القيادة السياسية مسؤوليتها كاملة في هزيمة ١٩٥٦ فقد كانت القيادة العسكرية خاضعة ومنضبطة لتوجيهات القيادة السياسية. وهذا واقع تؤكده الحقائق التي وردت عن ارغام عبد الحكيم عامر على الانسحاب وصدور الأوامر بتوقيع عبد الناصر، والأمر بمنع اشتباك الطيارين مع العدو. .

ولكن الحاج هويدي لايفسر لنا لماذا اذا «عجزت» هذه القيادة السياسة عن عزل صدقي محمود؟!

الأمر يحتاج لخبرة القراد والحاوي الطروب لايجاد مخرج من هذا المأزق، فإذا كان عبد الناصر مسيطرا على الجيش في ١٩٥٦ فكيف سكت على المتسببين في الهزيمة، الحل جاء

به الحاوي الطروب هيكل: لم تكن هناك هزيمة بل اكمل نصر. . والطيران لم يضرب، بل انبطح أرضا عن خطة موضوعه حتى ضربوه وماتوا بغيظهم. . !

فلماذا التغيير؟!

الحاج أمين لم يصل الى هذا المستوى، والحمد لله، ولذلك لم يشر الى الهزيمة ولا النصر، وانما جعل الفساد يدب بعد ١٩٥٦ . . قال

«وأدرك عامر أنه يستمد سلطته من القوات المسلحة فوثق صلته بقادتها وظل يواصل العطاء والمنح لكل من يطلب وأصبح للمشير أظافر وانياب. وكان من الواجب حسم مثل هذه الامور عند بدايتها، ولكن اهمال ذلك أدى بالقيادة العسكرية لكي تشكل بروزا ورميا خطيرا أصبح من الصعب استئصاله واصبحت القيادة السياسية ينقصها القدرة - ولا اقول الرغبة - لازالة هذا الورم وهنا اهتزت كل الامور فتغيرت طبيعة العلاقات داخل القيادة العسكرية فهبط ميزان الكفاءة ليحل محله ميزان الولاء وأصبح التأمين الذاتي وليس الامن القومي هو محل الرعاية والاهتمام».

الحمد لله! ها انت قلتها. . «وليس الامن القومي محل الرعاية والاهتمام» فهل تصنفهم في «السذج» أو المغرضين اذا كنا لانزال نذكر بداية الحديث!! أم المفرطين المقصرين ان لم نقل الخونة المتآمرين. . واي خيانة اكبر من ان لا يهتم ولا يرعى الحاكم الامن القومي لوطننا بشهادتك انت؟!

على اية حال إن المسؤولية من حجم لم يتمكن معه امين هويدي من الاعتذار عنها أو تناسيها فدار حولها واخفى رأسه في رمال الوفاء، أو في قوله «والله اعلم» نعم الله اعلم ونعمى بالله. . ولكنه سبحان وتعالى أمرنا ان نتعلم ونسأل اهل الذكر. .

يقول:

«وهنا يتساءل الكثيرون - وأنا معهم (أي هويدي) لماذا لم تعالج القيادة السياسية الموقف، ربما يكون ذلك لعجز في القدرة بعد اختلاف موازين القوى بين القيادتين، وربما تكون القيادة السياسية قدرت أنه لتصحيح الاوضاع لابد من صدام ولكنها لم تكن مستعدة لهذا الصدام الا على الارض الملائمة وفي الوقت المناسب. ولكن يبقى سؤال قائم! ولماذا لم تعالج القيادة السياسية الموقف قبل أن يستفحل؟ والاجابة على السؤال صعبة وربما يرجعها البعض الى عامل الصداقة، وربما يرجعها البعض الآخر الى تغلب عامل التوازن بين اتجاهات اعضاء مجلس الثورة القديم. والله اعلم».

مرة اخرى: نعم . . الله اعلم. . ولكن تعال نناقش بعض الذي علمته انت وسجلته.

الزعيم الخالد رأى الجيش المصري يفقد صفاته القيادية، وسكت على ذلك من «أجل

الصداقة». ألم نقل لك ان اي محاولة للاعتذار عن هذه «الخطيئة القاتلة» لن تأتي الا «بالعذر الذي هو اقبح من الذنب».. ومتى كان عبد الناصر يقيم وزنا للصداقات؟! ومتى كانت زعامة سياسية تضحى بالوطن وبالأمن القومي، تضحى بالجيش في سبيل صداقة مع قائد الجيش.. هذا مالم نسمع به ولا في عهد الثنائي مراد وابراهيم!..

اليست هذه التفسيرات العقيمة هي التي اعطت المجال لتفسيرات هستيرية تدعى أن قيادة النظام الناصري لها جذور يهودية ومن ثم كان يعنيها أن يحدث ما حدث لمصلحة اسرائيل، وهذا ما جعل فتى مصري دارت به الدنيا بعد النصر الاسرائيلي في ١٩٦٧ يقترح على توفيق الحكيم اقامة تمثال لعبد الناصر في اسرائيل؟!

معذور.. مادام امين هويدي يقول بعد ذلك مباشرة:

«لم يكن عبد الناصر يؤمن بالمبدأ الاصلاحي في معالجة الامور، ولكنه كان قائد ثورة ثم أصبح زعيم أمه اعطته ثقتها في الانتصارات والهزائم على حد سواء.

ولاشك بعد كل هذا الذي قلناه فإن عبد الناصر كان شجاعا الى اقصى حدود الشجاعة وهو يواجه كل الضغوط التي وجهت اليه، فلم يتردد في خوض معركة تلو الاخرى.. وبحكم طبيعته واجه التحديات باجراءات حاسمة وبطريقة مباشرة لاتعرف الالتواء.. الاسواد اسود والابيض ابيض.. «ولعل السرعة الخاطفة التي اتسمت بها ضرباته ترجع الى وضوح الرؤية والتحضير المسبق».

هذه شهادتك في صفحة ١٣٥ فكيف تريد الشاب المصري العاقل، ان يصدق تفسيرك في الصفحة المقابلة تماما (١٣٤) ان عبد الناصر هذا الشجاع الذي لايؤمن بالمبدأ الاصلاحي بل بالبتر الثوري الذي لايعرف «بين بين» بل ابيض واسود.. والذي يواجه التحديات بالاجراءات الحاسمة وبطريقة مباشرة.. كيف تريده ان يصدق انه ترك الجيش يتعفن، واستقلال الوطن يتعرض للخطر خوفا من مواجهة شمس بدران وعلى شفيق!! أوسكت على ذلك حرصا على صداقة عبد الحكيم عامر وذكريات الشقة؟.. أو انه فضل «الالتواء» والانتظار ومسك العصا من النصف تحينا «للارض المناسبة والوقت المناسب» لخوض معركة هذا المشير، ففاتنا تخير الوقت المناسب وأرض المعركة مع اسرائيل لأن قيادتنا كانت منشغلة بتحضيرها لمقاتلة زوج برلنتي؟!

الايعزز هذا في ظن بعض المتسرعين، التفسير العجيب الذي يقول بأن عبد الناصر زج بالجيش في معركة خاسرة لكي تتوفر الارض المناسبة والوقت المناسب للقضاء على عبد الحكيم عامر؟!

هل كان عزل صدقي محمود في عام ١٩٥٦ يسقط النظام؟!

هل كان الزعيم الذي يسقط حلف بغداد، ويعلق «نوري السعيد» في المشنقة ويطرد

غلوب ويحاصر سلوين لويند.. في البحرين.. عاجزا عن اقصاء صدقي محمود عن الطيران..؟ هل كان يعجزه أن يصدر مرسوما باقالته ويفاجىء به عامر ثم يصطلحان، خاصة وأن هويدي يشهد أن الورم لم يبدأ الا بعد ١٩٥٦..

هل كان صدقي محمود اقوى من محمد نجيب ومن البغدادي وجمال سالم وصلاح سالم والنحاس والتنظيم السري للاخوان والشيوعيين؟

الذين ضربوا رئيس مجلس الدولة، وخطفوا رئيس الجمهورية.. كان يعجزهم اخفاء صدقي محمود لوأرادوا..؟!

هل كان عامر سيقوم بانقلاب في ١٩٥٦ على «الزعيم» من اجل صدقي محمود؟ الم تكن سلامة الطيران المصري، وتأكيد سلامة الجيش تستدعي المخاطره باغضاب صديق العمر وشريك شقة العزوبية؟!

ان تعيين «عبد الحكيم عامر» قائدا للجيش كان خطوة محسوبة ومعروفة النتائج، وهي السيطرة على الجيش لحساب لعبة السلطة، ولم يكن في خاطر الذين اتخذوا هذه الخطوة اي اهتمام جدي بالجيش كقوة مقاتلة ضد الخارج.. أو هذا هو ما اتفقت عليه جميع المصادر الناصرية.. واليسارية.

ولم يكن ناصر واعضاء مجلس الثورة هم وحدهم الذين يعرفون سرا اختيار عبد الحكيم عامر، بل عامر ايضا كان يعرف وهذا هو مفتاح اللعبة، فإذا كان المطلوب منه هو تأمين الجيش للسلطة أو لعبد الناصر بالذات بصرف النظر عن كفاءته القتالية ضد العدو الاجنبي، فهو بدوره بحاجة الى تأمين مركزه في الجيش بضباط مرتبطين به أوفياء له بصرف النظر عن كفاءتهم القتالية. الخ. وهو الذي ساهم وضمن تصفية محمد نجيب ويوسف صديق وخالد محي الدين وجمال وصلاح سالم وبغدادي وكمال الدين حسين، يعرف أن هؤلاء جميعا تمت تصفيتهم لانهم فقدوا وزنهم العسكري في الجيش، ومن ثم لايمكن أن يقبل عزله عن الجيش، لا بترفيعه الى منصب اعلى يرفع قدميه عن الأرض كما في الاسطورة اليونانية، ولا بتغيير اركان حربه بعناصر اقل ولاء أو ارتباطا به..

اذا كنا نريد أن نحاسب عبد الحكيم عامر على انه رفض أن ينتحر قبل ١١ سنة فهذه قضية أخرى، وعلى أية حال فقد فعل لما فقد الجيش..

وهذا هو التفسير الذي يطرحه هويدي على استيحاء وينسبه للبعض وهو ان سكوت عبد الناصر على تخريب عامر للجيش المصري، وما ترتب على ذلك، كان بفعل: «تغلب عامل التوازن بين اتجاهات اعضاء مجلس الثورة القديم».

وهو التفسير الاقرب للعقل أو بصراحة الذي يمكننا من الاحتفاظ بعقلنا، فلا نجنح لتفسيرات التمثال اياه..!

كان دمار الجيش على يد عامر هو الثمن الذي دفعه عبد الناصر أو بالاحرى دفعته مصر واضطر عبد الناصر لقبوله مقابل ضمان عامر وبالتالي الجيش الى صفه، ضد خالد وجمال سالم وصلاح سالم ثم بغدادي وكمال الدين حسين وزكريا . . الخ. اي من اجل الانفراد بالسلطة، وتصفية رفاق الانقلاب، ثم لمنع اي محاولة انقلابية، أو ثورة شعبية . .

وهكذا ضحى بالأمن القومي . .

وقد قال كوبلند انه سُئل مرة اذا خير عبد الناصر بين التنازل عن السلطة اودمار مصر فماذا يختار؟! «فقلت بلا تردد سيختار البقاء في السلطة».

لقد عبد المصريون العجل يوما . . ولكن لم يعرف تاريخهم عبادة العار والهزيمة أو تقديس التفريط في الوطن! . .

وضل بني اسرائيل اربعين عاما في التيه لما عبدوا العجل لما رأوا اخواره . . ونحن فتنا بالخوار ثلاثين عاما دون ان نرى حتى العجل . . فانتقلنا من التيه الى الضياع، يشردنا في الآفاق، ويطوف بنا خوار العجل على جيف الاماني نحسبه زئيرا فنفر منه اليه . .

ويقول هويدي انه «من سوء حظ الامة العربية ان القدر لم يمهله حتى يتم ازاله اثار النكسة فمات»!

ولاشك انه من سوء حظه كما قرر هويدي لأنه مات مهزوما، ويضرب المثل بوفاة ستالين مثلا خلال حصار ستالينجر اوقبل أن يطرد الألمان من الاتحاد السوفيتي وان ذلك لوحدث لحملوه مسؤولية الاهمال في الاستعداد . . وهذه طبعا فيها قولان الأول ان ستالين لم يهمل، بل كان يحاول ازالة آثار نكسة الثلاثينات، وستالين لم يهاجم المانيا ولا تحرش بها وهو يعرف انها اقوى منه، ولكنه فعل المستحيل حتى اجل الحرب سنتين، كانت حاسمة في نقل المصانع وتعزيز الدفاعات، ولو استطاع لبقى خارج الحرب حتى يستنزف الرأسماليون انفسهم ثم يضرب ضربته، وستالين استطاع ان يستفيد من هذه الحرب بين الاعداء فاحتل نصف بولندا وفنلندا مما مد خطوط الروس وجعل هذه الدول تتحمل الصدمة الأولى . . أما ان «هتلر» استطاع أن يصل الى ستالينجراد فلم يكن ذلك لعيب خاص في الجيش الروسي أو ستالين، فأداة الحرب الالمانية كانت متفوقة على نحو لم يعرفه تاريخ العالم . . ولنذكر كيف التهم هذا الجيش الألماني غرب اوروبا حتى الساحل . . وستالين كان وطنيا وفي مستوى المسؤلية، اعاد الكنيسة واعاد الوطنية الروسية واخرج الجنرالات من السجون واعادهم للخدمة العسكرية وقال لهم اتركم لوطنيتكم . . وناصر اعتقل محمد نجيب واستمر يدير المعركة بعامر وشمس . . وفي المرة الثانية لم يهتم حتى بالرد على رسالة بغدادي وكمال الدين حسين ولو من باب المجاملة!

القول الثاني ان ستالين عاش وازال آثار العدوان حتى برلين!

وحقق لروسيا اكبر واكمل نصر في تاريخها، ومد الامبراطورية الى حدود لم يحلم بها اشد القياصرة جنونا. فماذا فعل به الروس، عبدوه؟. منعوا انتقاده ؟ اخرجوا جثته من تابوت المجد ونبذوه في العراء وحاسبوه على شبهة التقصير؟!

ومادمت ترى ان الروس كان يحق لهم محاسبته واتهامه بالهزيمة لومات قبل النصر فلماذا تحرم ذلك على المصريين!

«ازالة آثار النكسة»؟!

حتى الوزير امين هويدي يظن ان عبد الناصر كان سيزيل آثار النكسة بالدبلوماسية كما «قيل» انه فعل في عام ١٩٥٦

هيهات..

اما القول بانه لو عاش فكان سيزيلها بالحرب، فهذه فرضية لا يوجد أي دليل عليها.. ولايمكن مطالبتنا بالمراهنة على فرضية لرجل في ذمة الله، والتخلي عن حقيقة أنه عاش بيننا ١٨ سنة فلم يحقق في الصراع مع اسرائيل، الا النكسة تلو النكسة..

كيف يطلب منا التخلي عن حقيقة أن حياته صنعت النكسة، ونقبل فرضية أنه لو طال به العمر لانتصر.. بل ويطلب منا باسم هذه الفرضية ان نتابع المتاجرين باسمه!

هل استبدال فوزي بعامر كان سيحول النظام الذي لم ينتصر في معركة عسكرية واحدة، ولا حتى في اليمن.. الى نظام يهزم اسرائيل ما بعد ١٩٦٧؟!

بل ان «هويدي» أورد قائمة لانتصارات عبد الناصر الاستراتيجية واستشهد بها على انه لم يكن يتبع سياسة قصيرة النفس أورد فعل كما يتهمه الحاقدون وأصحاب المنفعة من ايتام لجان الحراسات.. الخ

هذه القائمة شملت ١٥ هدفا حققها عبد الناصر، ليس من بينها «الهدف القومي والوطني في محاربة اسرائيل» كان هويدي اشرف من أن يزور أويدعي النصر في تلك المعركة أو هذا الهدف الذي فضلا عن أنه يجب كل الاهداف الاخرى، الا انه أيضا هدف واضح لا مجال للادعاء فيه.. فنصره واضح كالصبح، وهزيمته واضحة كئيبة بشعة مذلة فاضحة مفضوحة!

ولسوء حظ الامة العربية ومصر في طليعتها ان هذه المعركة هي التي لايجوز أن يعلو حديث بنصر آخر على حديثها.. وستظل كذلك الى زمن نرجو الايطول..

من ١٩٥٢ - ١٩٥٤ لم تكن اسرائيل على قائمة اهتمامات عبد الناصر باعترافه هو في اكثر من خطاب، وبشهادة هيكل، وقد بلغ من عدم الانشغال باسرائيل، أن بن غوريون كما رأينا هرش شعر رأسه وغمغم بأن هذا مؤسف للغاية..؟

عقدة اليهودي الذي عانى الاهمال قرونا طويلة!..

اسـرائيـل ايضـا لم تحاول التحرش «بالثورة» لاخوفا منها ولكن للتفسير الذي يطرحه د. عبد العظيم رمضان وهذا هو حرفيا بصرف النظر عن تعليقه «الشائق» وتحليله. .
قال

«ويعتبر تتبع العلاقات بين اسرائيل وثورة ٢٣ يوليو من الأمور الشائقة. فلم تكن اسرائيل عند قيام هذه الثورة قد استشعرت الخطر من جانبها لأسباب كثيرة ربما كان على رأسها أن القوى الوطنية قبل الثورة كانت قوى شديدة العداء للصهيونية، فهي التي أمرت جيوشها بدخول فلسطين لتحريرها من العصابات الصهيونية، وهي التي احتلت جزيرتي تيران وصنافير، وهي التي فرضت الحصار على البحر الأحمر وحرمت اسرائيل من الاستفادة من ثمار الغصب والنهب الذي ارتكبته. ولما كانت علاقة الثورة بالولايات المتحدة علاقة ود وتفاهم في ذلك الحين، فمن هنا توهمت اسرائيل أنها سوف تلقى على يد الثورة معاملة أفضل مما تلقته على يد القوى الوطنية القديمة وعلى رأسها الوفد».

هنا يطرح المؤرخ الشريف فرضية ويبرهن عليها بالوقائع ولكن الدجال يطرح فرضية مضادة تماما وهي ان الوضع قبل الثورة كان على هوى اسرائيل بعكس ما حدث في ١٩٥٢ ثم لايقدم دليلا الا ان مصر كانت فقيرة؟!

يقول د. رمضان:

وهذا يفسر انحياز اسرائيل الى صف الثورة في صراعها مع القوى الوطنية القديمة (الوفد والشيوعيين والاخوان المسلمين). فعندما اصدر الوفد برنامجه يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥٢، وفيه: «التمسك بعروبة فلسطين وجامعة الدول العربية، وتأييد شعوب افريقيا في جهادها لنيل استقلالها، ودعم مجموعة الدول الافريقية الآسيوية، وانهاء الاحتلال المشترك من أراضي مصر والسودان وتحقيق الوحدة بينهما». علق راديو اسرائيل على هذا البرنامج غاضبا بقوله: ان حزب الوفد «مازال حزب التطرف السياسي والتعصب الاعمى في أكثرية المسائل التي لاتخص المصريين ولا تتعلق بحياتهم وظروف معيشتهم»! وان هجومه على «النظام الجديد» (الثورة) جاء في شكل كلام مزوق وتعابير منمقه، وعواطف جياشه حول التمسك بأماني مصر القومية والعمل على تغيير الاوضاع في الديار المقدسة وما شاكل ذلك»[٢٥].

اذا فقول الدجال ان اسرائيل لم تكن مهتمة وانه نبح حسه مع بيفان لكي يجعلهم يهتمون، كذب فاسرائيل كانت مهتمة وممتنة!

ونود أن نضيف الى ارشيف المؤرخ المصري بان التعاون أو التفاهم وصل في تلك الفترة الى ان اصدقاء الثورة في المخابرات الامريكية في مصر طلبوا من أمريكا ان تطلب من اسرائيل مدح الاخوان المسلمين في اذاعتها العربية لتشويه سمعتهم وقد حدث ذلك

بالفعل..

اما عن موقف «الثورة» فإن الدكتور عبد العظيم يلفه لنا في قطعة سكر فهو يقول:

«ومن ناحية الثورة، فان انشغالها بالصراع الداخلي ومعركة الجلاء مع الانجليز، قد حجب عن ناظريها الخطر الكامن في وجود اسرائيل على الحدود المصرية، ومن هنا حين أنشأت قيادة الثورة هيئة التحرير في ١٥ يناير ١٩٥٣ كتنظيم سياسي يسد الفراغ الذي سوف ينشأ من حل الاحزاب القديمة، ونشرت هذه الهيئة التي تمثل الثورة ميثاقها واهدافها القومية ومنهاجها في السياسة الداخلية والخارجية ـ جاء هذا البرنامج خاليا من اية اشارة الى فلسطين»[٢٦]!

ونحن لانملك الا الاعتراض على الاعذار التي اوردها المؤرخ المصري، رغم قناعتنا بأنه يشاركنا الرأي وانه اضطر الى وضع هذه الملطفات بحكم ظروف النشر ولكي لايفزع ذوي القلوب الضعيفة. مثل وصفه هذه العلاقة بأنها من الامور «الشائقة» بدلا من ان يقول «الشائكة» أو «الشاذة» أو «الشائنة» لأن الثورة التي جاءت الى الحكم بحجة المزيمة في حرب فلسطين لايمكن ان يسقط من برنامجها «سهوا» قضية فلسطين، وهو البرنامج الذي تناول الثورة وميثاقها واهدافها في السياسة الخارجية والداخلية.. كل هذا لايتسع لاشارة الى قضية فلسطين في برنامج حركة «ثورية» بدأ تجمعها خلال حصار الفالوجا على ارض فلسطين.. وحول حكاية الاسلحة الفاسدة.. الخ

واذا كنت ناسي افكرك! اذا كانت هيئة «التحرير» ومجلس «الثورة» نسوا في زحمة الشغل فلسطين وأمن مصر الوطني، اما كان برنامج الوفد الذي ظهر جديرا بتذكيرهم؟!

وماذا تعني الصلة الحسنة بين الامريكان والثورة «لاسرائيل» الا اذا انعكست في مثل هذا الموقف، وهو ازالة اثار الموقف الوطني للقوى الرجعية بشطب قضية بل اسم فلسطين من برنامج وميثاق واهداف هيئة التحرير، وحل الحزب الذي ذكرها وسجن وشنق من قاتلوا على أرضها..؟!

لايمكن تفسير هذا الموقف الا بالرجوع الى المعامل «س».. الاتفاق الذي تم بين الولايات المتحدة ورجال العهد الجديد قبل الوصول للحكم وبعد الاستيلاء عليه، وهو تجميد قضية فلسطين، والتركيز على المشاكل الداخلية واتاحة فرصة للولايات المتحدة لايجاد حل سلمي دائم.. واسرائيل لا «تتوهم» ولاتنتظر ان تلقى على يد الثورة معاملة افضل.. وانما اسرائيل تدرس وتخطط وتحلل. وهي تعرف ان النظام القديم لايمكن ان يتهادن معها، وقد رأينا باعتراف المؤرخ نفسه أنه كان أي هذا النظام القديم «شديد العداء للصهيونية» خاض حربا شاملة ضدها، عسكريا بالهجوم في ١٥ مايو ١٩٤٨ واقتصاديا باغلاق قناة السويس والمبادرة الناجحة بسد خليج العقبة والحكم بالشلل والموت على كل

مشاريع اسرائيل عبر البحر الاحمر وايلات . . وبوضع قوانين المقاطعة الاقتصادية بل والاصرار على ان تشمل المواد الغذائية رغم معارضة الدول العربية وخاصة التي كانت تبيع وتستورد من اسرائيل .

فلم يكن لدى اسرائيل عواطف أو اوهام نحو النظام القديم ولذلك لم تكن ترغب في اي تحرك يخدم هذا النظام اورجاله ، فالتحرش بمصر في هذه الفترة كان سيضعف «العسكر» الحديثي عهد في السلطة ويكشف عجزهم «العسكري» وهذه كانت اقوى ورقة في يدهم والأمل الذي راهنت عليه الجماهير بعد هزيمة ١٩٤٨ التي نسبت الى السياسيين ، فاذا ثبت ان العسكر اضعف ، واقل قدرة على المقاومة ، فإن الجماهير ستكتشف فداحة الخطأ عندما ضحت بالديموقراطية النسبية بأمل أن يكون المقابل هو القوة الوطنية . . من هنا كانت مصلحة اسرائيل الواضحة في توفير المجال للعسكر لتصفية النظام القديم ، وخاصة التنظيمات العقائدية شبه العسكرية ، التي كانت قضية فلسطين تحتل مكانا بارزا في تفكيرها وبرامجها مثل الاخوان المسلمين ومصر الفتاة . . الخ . . او الوفد الحزب الشعبي ذو التاريخ الديموقراطي والمكانة الدولية البارزة لدى حركات التحرير البورجوازية في آسيا وافريقيا ، والذي اثبت عداوته المؤثرة ضد اسرائيل .

واذا مضينا خطوة ابعد في «اوهام» اسرائيل ، فلا شك انها كانت تتوقع واثبتت الايام صدق نظرتها ، ان النظم العسكرية هي الاكثر مسالمة مع الخارج . . والاقل قدرة على القتال ، كما لعلها كانت تعتقد وكل الظواهر كانت تؤيد هذا الظن ، أن مصر لودخلت في الحكم العسكري فستبدأ دوامة الانقلابات والاعدامات والتصفيات الأمر الذي يستنزف قواها ويشل جيشها عن أي تحرك خارجي . .

يضاف الى ذلك كله الضغط الامريكي الذي طالبها باعطاء فرصة «للمتعقلين» الجدد لكي يمكن تحقيق التسوية . وبالطبع لم تكن اسرائيل لتستجيب لهذا الاتفاق الا لما رأته من عوامل أخرى لصالحها . .

وقد انتهت هذه المرحلة ، بسحق التنظيمات السياسية في مصر وتدمير جمعية «الاخوان» واستقرار الحكم العسكري ونجاحه في فرض اتفاقية الجلاء رغم كل القوى المعارضة . . عندئذ بدأت اسرائيل المرحلة الثانية من الأستراتيجية وهي استفزاز العسكر ودفعهم الى معاداة الولايات المتحدة والغرب لفسخ الاتفاق الامريكي ـ الناصري . . ونسف «علاقة الود والتفاهم بين «الثورة» والولايات المتحدة»

اما غير المقبول على الاطلاق ، ولانملك معه المجاملة ابدا ، فهو قول الدكتور رمضان «على انه لم تكد تستقر الامور في يد الثورة . عبد الناصر بالذات ـ بعد ازمة مارس ١٩٥٤ ، حتى كان يهدد بتطبيق ميثاق الضمان الجماعي العربي في مواجهة اي اعتداء يقع من جانب .

اسرائيل بالقوة»[٣٧].

هل يفهم من هذا ان علاقة الود بين الامريكان والثورة كانت على يد محمد نجيب؟

هل ميثاق هيئة التحرير وبرنامجها وضع بدون علم عبد الناصر؟!

لا . . ليس من مصلحة أحد أن نحول عبد الناصر الى «ملك» أو أمير مؤمنين تؤخذ الدنيا باسمه وهو ليس له من الأمر شيئا . . اذا كانت هناك سياسة تتعلق باسرائيل في الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٤ فهو مخططها وهو منفذها أما انه اذا سئل في مهرجان جماهيري ماذا يفعل اذا ما «اعتدت» اسرائيل؟ . . وليس ماذا سيفعل هو ابتداء لتحرير فلسطين . .

فيرد . . سنطبق ميثاق الضمان الجماعي العربي . . فهذا أضعف الايمان ولو انه لم يطبقه قط! . .

ننتقل اذا لمفاجأة الغارة على غزه في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وسنلاحظ اجماعا غريبا في جميع المصادر الناصرية أو المتصلة بالناصرية في تلك الفترة، او المؤرخة لتلك الفترة، هي «الدهشة» و«المفاجأة» التي قوبلت بها الغارة من جانب السلطة المصرية . . والحديث عن «الوهم» الذي انقشع . . و«مالم يكن في الحسبان» و«الاستيقاظ» على الحقيقة»

يقول حموش: «تم هذا الحادث (اقتحام الحدود المصرية وقتل ٣٨ جنديا داخل معسكر الجيش المصري . . ا) في وقت لم تكن فيه العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية في حالة من التوتر الشديد، بل كانت هناك فرص للتفاهم لم تقبلها المؤسسة العسكرية في اسرائيل».

ويقول بغدادي:

«فوجئنا بغارة عسكرية من الجيش الاسرائيلي على معسكر لنا بالقرب من مدينة غزه، وكان الهجوم ليلا، وبعد عودة بن جوريون الى الحكم بعدة ايام قلائل فقط وكان عدد القتلى من جنودنا سبعة وثلاثين جنديا في مقابل ثمانية جنود اسرائيليين».

وتخون بغدادي الذاكرة فيقول: «ان تلك الغارة كانت بداية لسلسلة من الغارات المتبادلة بين اسرائيل وبيننا».

وليس في السجلات غارة واحد شنت على اسرائيل في عهد عبد الناصر من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧. كل ماحدث هو أنه سمح للفدائيين بالعمل من قطاع غزه أو بين الاردن، وقد اشترك مصريون ولكن على شكل فدائيين ولم تقم مصر بغارة بقواتها النظامية أبدا . . بل يقرر حموش انه بعدما تحرشت اسرائيل بعبد الناصر في عدوان ١٩٥٥ «كانت ردود الفعل عند جمال عبد الناصر هادئة، اوقف عمليات الفدائيين في غزه تحاشيا لاستفزاز الاسرائيليين وخلق مبرر لهم للهجوم».

وقد فهم بغدادي او تصور على حد تعبيره وقتها ان اسرائيل تريد اضعاف نظامهم الوليد، «لما كانت تلك الغارة قام بها الجيش الاسرائيلي نفسه وضد قواتنا النظامية ايضا. فقد

جعلتنا نتصور ونعتقد ان الغرض منها هو العمل على اضعاف نظامنا الثوري الوليد».

وانـه لم يكن أمـامهم من «وسيلة غير دفع اكبر عدد من الفدائيين للتسلل داخل الارض الاسرائيلية للرد على غارة ٢٨ فبراير ١٩٥٥».

ويؤكد هيكل تفسيرنا بل ونجاح المخطط الاسرائيلي، الذي كانت بدايته غارة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وهو نسف العلاقات الامريكية ـ المصرية ودفع مصر الى الاتحاد السوفيتي فيقول:

«وكـانـت هذه الغـارة هي الـدافـع المباشر الذي جعل جمال عبد الناصر يستدعي السفير الامريكي في القاهرة هنري بايرود ويقول له:

«إذا لم تبع لي الولايات المتحدة ما احتاج اليه من السلاح للدفاع عن الأمن القومي لمصر فلسوف اطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي»

ويورد د. عبد العظيم رمضان فقرة غير مفهومة عن ان عبد الناصر كان تحت تأثير وهم غريب، هو الربط بين الشيوعية والصهيونية الا أن هذا الوهم انقشع مع انقشاع سحابات دخـان الغـارة الاسـرائيليـة الـوحشية على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥. وقد عبر عبد الناصر بنفسه عن ذلك في خطبته يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٧ فقال:

«ان دخان الغارة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥، انجلى ليكشف حقيقة خطيرة، تلك هي ان اسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة، وانما اسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار، ومركز تجمع لقوى أخطر من الاستعمار، وهي الصهيونية العالمية».

ويؤكد لنا الدكتور ان عبد الناصر كان يعي خطورة الوجود الصهيوني في خليج العقبة وانه طالب باخلاء اسرائيل للنقب في ١٣ سبتمبر ١٩٥٤..

وهذا ما نقوله ان حذف اسرائيل من برنامج هيئة التحرير ومن اهتمامات قيادة الثورة، لم يكن عن جهـل بخطـر اسـرائيـل.. بل لسبب آخـر. كذلك لانفهم «المفاجأة» في عدوان فبرايـر ١٩٥٥ الا لانـه كان هنـاك اعتقاد ما.. أو تصور ما.. او اتفاق ما يتعارض مع هذه الغـارة.. والا لو كانت العـلاقـة عاديـة فأي غرابـة في «عدوان» اسرائيل.. والصهيونية؟! وقاعدة الاستعمار كما وصفها المصريون من ١٩١٧.. وليس ١٩٥٥...

المفـاجأة هي الارتبـاط أو الـوعـد الذي تم بين قيادة الثورة وبين الامريكان بتجميد قضية فلسطـين والـوعـد بان اسـرائيل لن تتحرش بالعهد الجديد ولن تدخل في حرب معه.. وكما قلنـا من قبـل ان غلطـة النظم العـربية انها تتصور علاقة اسرائيل بامريكا كعلاقة مستعمرة بالـدولـة الحـاميـة الكـبرى.. وان امريكا تستطيع ان تتحكم باستمرار في سياسة اسرائيل بالاتصـال الهـاتفي او بتعليمات يبلغها السفير.. والعلاقة الامريكية الاسرائيلية كما شرحنا اكثر تعقيدا من ذلك، واسرائيل ليست عميلة لامريكا كما يجنح البعض للتبسيط المخل.. فلها قرارها المستقل وخططها الخاصة المتناقضة في اكثر من موقع مع السياسة او حتى المصالح

الامـريكيـة . . وصحيـح ان الـولايـات المتحـدة، لو ارادت، تستطيـع والى اليـوم ان تجبر اسرائيل على الرضوخ لارادتها، ولكن المشكلة في العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية هي ان الـولايـات التحـدة ليست مطلقة اليد في التعامل مع اسرائيل، بل ان المواجهة معها تتحول الى حرب اهليـة داخـل امـريكا، بمعنى مواجهة بين الادارة الامريكية واللولبي الاسرائيلي داخـل وحـول هذه الادارة في قلب امـريكـا . . فالعـلاقة عكس العلاقة المعتادة بين الدولة الكـبرى والـدولـة الصغرى التي تعتمد على حمايتها، ففي هذه الحالة تملك الدولة الكبرى مفـاتيـح قوى داخـل الدولة الصغرى تلعب بها لتوجيه سياستها وفق ارادتها دون حاجة الى استخدام عضلاتها بشكل علني او مباشر، بينما في حالة امريكا وسرائيل، فإن اسرائيل هي التي تملك مفـاتيـح توجيه السياسة الامريكية في داخل المؤسسات الامريكية. ومن هنا كان حرص الادارة الامريكية على تجنب المواجهة العلنية مع اسرائيل الا في الضرورة القصوى . .

على اية حال مرت علاقة الثورة باسرائيل في عهد عبد الناصر بثلاث مراحل :

١ـ مرحلة التـآمـر المشـترك، والواسطة فيه هي الولايات المتحدة، حيث تم الاتفاق بين المخابرات الامريكية والتنظيم الناصرى على استبعاد قضية فلسطين، وتبريد الوضع على الحدود. وهذه المرحلة استمرت من جانب النظام الناصري الى عام ١٩٥٦ . .

امـا من ناحيـة اسـرائيـل فقـد كانت من ناحيـة تحت ضغـط امريكي مكثف، اذ كانت الـولايـات المتحـدة تراهن على النظـام الجـديـد في مصـر من اجـل الحـل النهـائي لمشكلة اسـرائيـل . . ومن ناحيـة كان كل ما يجري في مصـر على هوى اسـرائيـل من ناحية تصفية النظـام الليـبرالي، وضـرب الاحـزاب والحـركـات الوطنية وقيام نظام عسكري . . ومن ثم تركت الامور تمضي في مجراها.

٢ـ مرحلة التحـرش وفصم التحـالف . . وبـدأت من نهاية ١٩٥٤ اوبعدما تأكد خروج الـبريطـانيـين، وبدأت المحاولات الامريكية الجدية في فرص التسوية ولم تكن لتتم في ذلك الـوقت الا على حسـاب الاراضي المحتلة من اسـرائيل، وعلى حساب الاراضى المطلوب احتـلالهـا، ولـذلـك تحركت اسـرائيـل لمنع هذه «الكارثة» وذلك بالتحرش بمصر وسوريا، لتأزيم العلاقات مع امريكا، وفسخ التحالف او الارتباط المصرى ـ الامريكي ودفع البلدين الى محالفـة الـروس، وقـد بدأت هذه المرحلة بمحاولة سخيفة هي المعروفة بعملية «لافون» ويبدو ان المخابرات الاسرائيلية تأثرت او تشجعت بنجاح المخابرات CIA في مصر فارادت ان تنـافسهـا بتخطيط وتنفيذ سياسة اسرائيل، ولما فشلت فشلا ذريعا، اعيدت الى مهمتها الاصلية وتولي ساسة اسرائيل والمؤسسة العسكرية التحرش بالنظام المصري، وكانت غارة فبرايـر ١٩٥٥ ثم غارة ٣١ أغسطس ١٩٥٥ . . اذ «قـام الجيش الاسـرائيـلي بمهـاجمة مركز

البوليس في خان يونس بقطاع غزة، كما هاجم مواقع مصرية اخرى، وكان عدد القتلى من جانبنا نتيجة هذا الهجوم حوالي خمسة وثلاثين قتيلا وخمسة عشر جريحا». ولم يقتصر الامر على استفزاز واحراج النظام «الوليد» بالاعتداءات وانزال الخسائر بالقوات المصرية، بل تجاوزها الى ضم الاراضي. . ففي «۲۰ سبتمبر ١٩٥٥ احتلت قوات اسرائيل منطقة العوجة المنزوعة السلاح. والمتحكمة في عدة طرق، وكلها تؤدي الى داخل الاراضي المصرية».

وبعد توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع سوريا «شنت اسرائيل غارة على سوريا قتل فيها اكثر من خمسين جندي سوري».

وانحصرت ردة الفعل في الصراخ بطلب السلاح من الامريكان، او الاتصال بالروس، ولم يخطر ببال القيادة الثورية ان تقوم باجراء عسكري مضاد، ويصعب تصور ان مصر كانت عاجزة حتى عن حماية مواقع الحدود، ودعنا من الحرب الشاملة! ومع التسليم بما انزله النظام الثوري بالجيش من تصفيات، وفرض المرضي عنهم بدلا من المقاتلين والكفاءات العسكرية، وماانتج عن ذلك من اضعاف للروح المعنوية، الاان الموقف السلبي للقوات المصرية كان موقفا سياسيا، ينبع من الارتباط مع الامريكان، ومن الخوف او الرغبة الشديد في تجنب المواجهة الشاملة مع اسرائيل. .

ولو حدث رد فعل مصري مناسب. لاشتعل الموقف ولانضم اليه كل العرب، ولربما..ربما..توصلنا الى تسوية افضل بكثير مما كان يرجى بقبول القرار ٢٤٢ ومبادرة روجرز. . اوعلى الاقل لخلقنا مناخا عربيا ضد اسرائيل. . ولكن السياسة المصرية ومستشاريها فضلوا تفجير القومية العربية من خلال معركة حلف بغداد. . فكان ان حملت مرض الطفولة معها الى ان ماتت بالسكتة في كامب ديفيد.

وقد وقع حدثان عجلا بانهاء هذه المرحلة:

صفقة السلاح التي تصرف الامريكان ازاءها «بتعقل» فلم يعارضوها، مما ادى الى نزع الفتيل الذي كان يهدد العلاقات المصرية ـ الامريكية، وفي نفس الوقت زرع الديناميت الذي سيفجر هذه العلاقات. ولكنهم خرجوا مؤقتا من مأزق الخيار بين اغضاب اللوبي الاسرائيلي باعطاء عبد الناصر السلاح، اومنع السلاح عنه وتدمير كل ما بنوه في مصر. وهذه هي كلمات السفير الامريكي في مصر هنري بايرود: «ان كل ما بنيناه في مصر مهدد بالانهيار» وذلك بشهادة او نقلا عن هيكل! . .

الامريكان كانوا يبنون في مصر طوال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ ونحن كنا نسجن والبعض يشنق بتهمة تعطيل جهود الثورة في تصفية قواعد الاستعمار في مصر! . .

تم انقاذ الموقف بصفقة السلاح وبدأت امريكا مساعيها لطرح تسوية سلمية، او

شروعات تهدئة، وتعاون مشترك تخفف التوتر وتفتح المجال الاكثر شمولا . .

الحدث الثاني: هو تأميم القناة وقرار بريطانيا وفرنسا الحرب ضد مصر وما كانت اسرائيل تفوت هذه الفرصة ابدا لفتح خليج العقبة وتحطيم الجيش المصري وتجميد او تحييد مصر فترة كافية لبناء قدرة اسرائيل لتحقيق اهداف المرحلة الثالثة.

ويقول موشي ديان انهم في منتصف ١٩٥٥ : «أرسلنا وحدة متطوعين لاكتشاف طريق بري الى شرم الشيخ، وهذا سهل مهمة اللواء الاسرائيلي المدرع الذي احتلها بعد عام ونصف».

ومخطط اسرائيل من فتح خليج العقبة كممر مائي لاسرائيل تنافس به وتزيل دور مصر كحلقة الوصل المائية بين الشرق والغرب. . قديم منذ التفكير في اسرائيل، ومنذ مشروع التقسيم، والالحاح الذي تم على «ترومان» حتى طلب من الوفد الامريكي تليفونيا ضم الساحل لدولة اسرائيل في مشروع التقسيم المعروض وقتها على الامم المتحدة، واستجاب المتهالك على ارضاء الصهيونية الرئيس ترومان[٢٨]

ولكن التطور الجديد عجل تنفيذ هذه الخطة، فقد كانت ـ بحق ـ فرصة العمر. . فاسرائيل كما قال موشي ديان «لاتضيع اية فرصة لضرب مصر» اوكما قال بن زوهار: «كانت ازمة السويس ازمة طارئة وهي لم تغير خطط اسرائيل التي كانت ستهاجم مصر على اية حال، ولكنها سهلت لنا اهم مشكلتين: السلاح والحليف». وهكذا قررت اسرائيل المشاركة في الغزو وتنفيذ هدفها في فتح الخليج. . حتى وان كان ذلك قد ادى الى توتر «مؤقت» في العلاقات مع الولايات المتحدة سرعان ما عالجته القيادة المصرية، بحملتها على مشروع ايزنهاور. .

ونقف هنا لحظة عند رواية غريبة ينسبها هيكل للرئيس، تجعلنا لا ندري احقا يريد هذا الرجل تمجيد عبد الناصر وتبرئة ساحته امام الرأي العام العالمي ؛ ام العكس؟ خاصة وانه اورد هذه الرواية في كتابه «عبد الناصر والعالم» الذي صدر بالانجليزية: الرواية تقول ان الرئيس ايزنهاور بعث روبرت اندرسون الى القاهرة في عيد الميلاد ديسمبر ١٩٥٥ وكانت مهمته قد ابلغت الى جمال عبد الناصر على اساس انها «محاولة امريكية للبحث عن اساس للسلام في الشرق الاوسط» يقوم بها مبعوث خاص يمثل الرئيس ايزنهاور وكان قد اخطر ايضا بالرغبة في ابقاء هذه المهمة سرية، حرصا على توفير فرص النجاح.

«وكان اللقاء الاول بين الاثنين في بيت جمال عبد الناصر، وطار اندرسون بعدها الى تل ابيب والتقى بن جوريون، وتكررت رحلاته ثم عاد يوما بمشروع للاتصال البري بين المشرق والمغرب في العالم العربي يقضي باعطاء طريق علوي فوق ايلات للعرب يمرون فوقه من سيناء الى جنوب الاردن ونظر جمال عبد الناصر الى خريطة قدمها اندرسون وفيها

رسم للطريق العلوي الذي يستعمله العرب، وتحته الطريق العادي الذي تستعمله اسرائيل الى ايلات. وهز رأسه وقال لاتدرسون ان المشروع لاينفع، وراح جمال يفند عمليا عدم جدوى ذلك الاقتراح ثم اضاف ضاحكا: «لنفرض ان أحد رجالنا أحس بنداء الطبيعة وهو يمشي فوق الطريق العلوي، وترك الطبيعة تأخذ مجراها. ثم نزل الرذاذ على سيارة عسكرية اسرائيلية تصادف مرورها على الطريق السفلي فماذا يحدث.. هل تقوم الحرب»[٣٩] ؟!

لم يشأ هيكل ان يقول الاسباب العملية الاخرى، واكتفى بتلك القصة التي تقول لقرائه من الامريكيين والغربيين، ان الرئيس المصري «شخ» على اقتراح المبعوث الشخصي لاكبر رئيس امريكي، والرئيس الوحيد الذي وقف ضد اسرائيل واجبرها على الانسحاب من سيناء في خمسة شهور!!!

وهكذا نكسب الرأي العام..!

وبالهجوم الاسرائيلي بدأت المرحلة الثالثة، والتي كانت في جزء منها امتدادا للمرحلة الثانية، فيما يتعلق بهدف نسف العلاقات المصرية-الامريكية، وهو ما تحقق بنجاح رائع عشية ١٩٦٧.. كما تم تحييد مصر في المواجهة العربية-الاسرائيلية باقامة «حاجز» القوات الدولية، وما ترتب على ذلك من تمزق الجبهة العربية...

وقد أتيحت في هذه الفترة لعبد الناصر اكثر من فرصة لضرب اسرائيل، سواء للتحرير او للتحريك او حتى التسخين.. ولكنه لم يفعل..

لم يفعل عندما كانت الجمهورية العربية المتحدة كالطوق او الكماشة حول اسرائيل.. ولكن اسرائيل المطمئنة لاستحالة اقدام النظام المصري على خوض حرب ضدها، ما دامت هناك فرصة واحدة لتجنب ذلك مهما كان الثمن، اطمئنانا لذلك لم تقصر اسرائيل في التحرش والاستفزاز والضرب والكسب بل قامت بهجوم على سوريا في معركة التوافيق، واكتفى عبد الناصر بطمئنة الامة العربية بان السوريين «ما يحبوش هزار» وانهم ردوا على اسرائيل فورا.. واحتفظ هو للجيش المصري وحده بحب «الهزار»!..

كانت فرصته لشن هجوم من سوريا حيث الجيش المصري والسوري كانا جيشا واحدا، وفرصة لسحب قوات الطوارىء وغلق خليج العقبة لأن اسرائيل معتدية..

ولكن المواجهة مع اسرائيل لم تكن يوما ما في خاطر عبد الناصر.. وظلت الجمهورية العربية المتحدة او الكماشة قائمة ثلاث سنوات سقط خلالها نظام نوري السعيد، وكان الجيش العراقي في الشهور الاولى على اتم الحماسة والاستعداد لخوض الحرب المقدسة لو فعل عبد الناصر ولكنه لم يقدم بل لم يفكر.. مع ان الصحافة الغربية فسرت ثورة العراق على الفور بانها تعني «زوال اسرائيل»!..

وتخيل هجوما على اسرائيل في عام ١٩٥٨ اومطلع ١٩٥٩ من الاقليم الشمالي والجنوبي والعـراق عبر سوريـا اوحتى الاردن . . هل كانت بقيـة الـدول العربية ستتأخر؟ . . . وهل كانت امريكا ستحارب العرب اجمعين وهم في قمة التفافهم حول زعيم الامة العربية؟! . .

وجماهـير تلك الامـة ـ وكـاتب هذه السطـور منهم ـ على استعداد لتقديم حياتهم في سبيل صلاح الـدين ورهن اشـارتـه، اوكما كان عبد الحليم يغني له «جماهير الشعب تدق الكعب تقول كلنا حاضرين»! . . .

ولكن المـارد العـربي تفـرغ للبحث عن جمال عبد الناصر في ثورة العراق وتأمين الشواف وتتبع انباء رفعت الحاج سِرّي . . وتدبير مؤامرة على إمام اليمن وسب خرشوف وايزنهاور معا!

ثم تحطمت إلكماشة ، لأن الفكر الثوري اكتشف ان تحرير الشعب السوري من الشركة الخماسيـة افضل واهم من تحرير فلسطين من النجمة السداسية! . . وهكذا كان الانفصال من سوريا التي حملت جماهيرها «صلاح الدين» بعربته على الاعناق؟! . .

وفي سنـة ١٩٦٤ وصـل التوتـر العـربي ـ الاسـرائيلي الى احدى قممه، عندما اكملت اسرائيل مشاريعها للاستيلاء على المياه العربية، وكانت فرصة اذا شاء عبد الناصر ان يوحد الصف العربي مرة اخرى على الارض الطبيعية للوحدة العربية . . ارض المواجهة القومية والمصـريـة، خاصة وان الحكم في العراق كان قد انقلب مرة اخرى على ظهره الوحدوي . والسوريون هم الذين سعوا يطلبون النجدة او الاحراج! . .

فماذا فعلت القيادة المصرية؟!

اخـرجت من جعبـة «الحـاوي» فكـرة مؤتمر القمة العربي . . اوالمبادرة التي استجاب لها الحكام العرب . . بعد كل ما كيل لهم من تهم وسباب . . مما جعل كاتب عربي يسجل ذلك «كعار التاريخ».

الا ان هذه الاستجابة تؤكد انه كان يتمتع بنفوذ لا مثيل له ، وقدرة غير محدودة في تجميع الارادة العـربيـة ضد اسـرائيـل لوشاء . . ولكن المـواجهـة الحقيقية كانت دائما غير واردة في برنامجه او تفكيره .

وهكـذا كان «مـؤتمـر القمـة» حلا بارعا «لتنفيس» الموقف لاتفجيره ولا حتى مواجهته، واستطـاعت هذه الضـربـة البارعة اعطاء العرب ثلاث سنوات تلهوفيها بمؤتمرات القمة، بعضهـا ينعقـد بالاجمـاع ويفـرح العرب ويغنون، وينشد لها اليمنيون الاشعار . ويعضها يتغيب هذا وذاك ويأسف العـرب ويتصلون به لتطييب خاطـره . . حتى وصلنـا الى النهـاية واسرائيل تضع اللمسات الاخيرة لضربتها الشاملة، ونسي تماما نهر الاردن ومياهه واعلنت القيادة المصرية فشل مؤتمرات القمة، ورفض حضورها لأنها تحولت الى مظلة للرجعية تقيها

من شمس القومية العربية الحارقة! . .

الدعوة للقمة والدعوى ضد القمة لم تكن الا تكتيكات في استراتيجية دائمة هي تفادي المواجهة مع اسرائيل . . وقد نجحت هذه التكتيكات نجاحا لا مثيل عليه . . حتى قررت اسرائيل وقت ومكان المواجهة فاستدرجتنا اليها . .

وفي ١٩٦٧ حشدنا كل الجيش المصري والاحتياطي في سيناء، وتسابقت الدول العربية تطلب تذكرة في قطار المجد . . وقال عبد الحكيم رقبتي ياريس ووضع خطتين للهجوم ، واحدة يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ بما عرف باسم الضربة الاولى، والثانية في شكل عملية محدودة تستهدف الاستيلاء على ايلات والنقب الجنوبي . . ورفض الرئيس الاقتراحين وقال ان «قدرنا» هو ان نتلقى الضربة الاولى التي ثبت انها الضربة الاخيرة . . ومن يدلنا على ميزة واحدة «ممكنة» لمصر، في تلقي الضربة الاولى ، ورفض خطة عامر في البدء بالهجوم فمن حقه أن يحرقنا فوق كتابنا هذا[٣] .

وبعد ٦٧ . . دخلنا في حرب الاستنزاف، وهي كما يجمع كل المؤرخين اليوم كانت لاهداف سياسية، وادت الى استنزاف مصر، فالمعركة كانت تدور فوق مصر وليس في ارض اسرائيل . . معركة بين مدن مصر مصانعها ومدارسها وبين المدفعية والطيران الاسرائيلي! خسرنا فيها ثلاث مدن مصرية وعشرات المصانع وخزان وعدد غير معروف من القتلى والجرحى المصريين . وقد بذل الرئيس عبد الناصر جهدا اثر على صحته في اقناع الروس ببناء حائط الصواريخ حتى يتوقف الطيران الاسرائيلي عن اختراق المجال الجوي المصري خارج سيناء المحتلة ، ونجح فعلا . . ولكن ماذا كانت الخطوة التالية؟ . . هل صعد المواجهة بعدما امن على الجبهة الداخلية من انتقام اسرائيل؟

ابدا قبل وقف اطلاق النار وقبول مبادرة روجرز اي قبول الدخول في سرداب المفاوضات من موقع المهزوم . . ومات ووقف اطلاق النار ساري المفعول .

من هنا فان «البعض» الذي يقول بأن عبد الناصر لم يفكر قط في شن حرب ضد اسرائيل وانه لو عاش الف سنه لما فكر في ذلك يستندون الى واقع ١٨ سنة . .

اما الذين يقولون انه لو عاش لشن الحرب على اسرائيل فان العامة المصريين يقولون : «لو» حرف تمحك! . .

بقيت نقطتان على قائمة انتصارات معركة «السويس» الهيكلية . . واحدة بالسلب والاخرى بالايجاب ، فهو يمن علينا ان الثورة استطاعت ان تكتشف مكر اسرائيل الذي اراد ان تحقق مصر وحدة وادى النيل وبذلك تنشغل عن تصفية اسرائيل وزعامة العالم العربي ، ولكن الثورة افسدت هذا المخطط الشرير، وتخلصت من «ضغوط وادي النيل» وانفصل السودان . . !!

المكسب الاخر هو الوحدة المصرية ـ السورية، التي بلا شك وضعت بذورها في خلال معركة التأميم وفي البيعة العربية الشاملة لبطل معركة التأميم . .

ومن ثم لابأس من القاء بعض الضوء على موضوع السودان، وقصة الوحدة . .

الفصل السادس

بطل الوحدة والانفصال!
ولا السودان دام!

صلاح سالم هو بلا شك اكثر الشخصيات اثارة في مجلس الثورة، وابرزهم خلال العامين الاولين، فترة الصراع ضد محمد نجيب، فقد كان يتولى وزارة الارشاد، وقضية السودان ومسئولية تصفية محمد نجيب في الشارع، بينما كان اخوه يتولى تحقير رئيس مجلس الثورة ورئيس الجمهورية داخل الجهاز الحاكم..

صلاح سالم هو بلا شك اكثر اعضاء مجلس الثورة ذكاء ولانقول مكراً أو دهاء.. وهو ايضا من اكثرهم حماسة، واخلاصا ووطنية.. وصلاح سالم اكتشف السر فجن كما في اساطير السحرة والجان!

وفي لحظة من لحظات التأمل واليأس الصافي غير الحاقد ولا الآسف.. اوقل الاستسلام لقدر لايفهم ولا يقبل.. وكان بغدادي يعزية بأن التاريخ سيحكم بينهم وبين عبد الناصر، رد صلاح سالم «تاريخ مين يا شيخ؟.. ومن أين سيعرف التاريخ هذه الحقائق؟!»

هذه القناعة التي ملأت نفسه انه حتى التاريخ لن يثأر له..

حتى التاريخ لن ينصفه..

حتى التاريخ سيفرض عليه التعتيم والتجهيل فلن يعرف الحقيقة.

حتى التاريخ سيخضع لرقابة «موفق الحموي» وتزوير هيكل وسيصبح كمجلة التحرير يثرثر بالاباطيل والجهل والكذب المتعمد...!!

لعل هذه القناعة، تكون قد غفرت له كل ما ارتكب من ذنوب في حق زملائه اعضاء مجلس الثورة واعضاء تنظيم الضباط الاحرار وحق الوطنيين من رجالات مصر الذين حاربوا الانجليز والسراي.. وحق وطنه الذي ساهم بقدر ما في ضياع نصفه وكبت حرية النصف الاخر..

ونحن سنتناول هنا قصة صلاح سالم من زاوية الدور الذي لعبه في السودان.. وللاسف فقد تحققت نبؤته بخصوص تجهيل التاريخ. فالتاريخ الناصري لايعرف السودان، وتلاميذ التاريخ الناصري لايعرفون السودان، الا انه بلد النميري، والثرثرة الدائمة حول التكامل

والترابط والتزامل . . الخ . . لا احد من هذا الجيل يعرف وحدة وادي النيل، ولا احد دمعت عيناه وعبد الوهاب يقرع السياسيين ورجال الاحزاب . . قائلا:

فلا مصر استقرت على حال . .

ولا السودان دام! . .

لا احد سمع زعيم الامة يقول: «تقطع يدي ولاتقطع السودان» ويترك الوزارة والحكم ولايفرط في السودان . .

لا احد سمع رئيس وزراء مكروه من الشعب يتقرب اليه قائلا: «جئتكم بالسودان»

لا احد سمع فؤاد سراج الدين يقول: «ان فكرة استفتاء السودانيين كانت مستبعدة تماما، ومرفوضة لانه لايمكن اقرار استفتاء اسيوط مثلا».[1]

لا احد يعرف انه لما عرض «محمد صلاح الدين» اقتراحا بطرح فكرة الاستفتاء في السودان كنوع من الشطارة الدبلوماسية، وفي وقت كان من المستحيل قبول ذلك من جانب البريطانيين، رفض مجلس الوزراء الوفدي اقتراحه جملة وتفصيلا، ولكنه طرح الفكرة في خطابه هذا، وهاجمه الوزراء، ووصف طه حسين موقفه بأنه «الخيانة الوطنية العظمى» (. . .) وطلب النحاس باشا استدعاءه على اول طائرة». ولولا انه وصل بعد حرق القاهرة وسقوط الوزارة لنكلت به حكومة الوفد . .

فالى هذا الحد كان ايمان المصريين بوحدة مصر والسودان، وهذه حقيقة قد تفننت «الثورة» في محوها محوا من التاريخ المصري، ومن ذاكرة التاريخ، حتى شب جيل لايعرف عنها شيئا . . ولو عرف لحكم على جيلنا بالاعدام لاننا فقدنا نصف الوطن في اقل من ٣ سنوات، وقد حفظه لنا اسلافنا ما يقرب من قرن ونصف . .

ان الوطنية المصرية نشأت في اطار وحدة وادي النيل، فلم يكن لمصر وجود مستقل متميز بدون السودان . . لقد حصل «محمد علي» على استقلال مصر والسودان جزء لايتجزأ من مصر . . ولذلك فان القومية المصرية ـ السودانية تكونت في وقت واحد وفي اطار سياسي وجغرافي واجتماعي واقتصادي واحد . . ويمكن الاشارة الى ان ثلاثة من اعضاء مجلس الثورة ولدوا في السودان واثنين منهما من ام سودانية . . لكن ضخامة رقعة الوطن، وتخلف النظام الاقتصادي، وبالتالي وسائل الاتصال، ثم سلسلة الاجهاضات التي حدثت لعملية النمو الرأسمالي، بهزيمة محمد علي وقبوله معاهدة لندن (١٨٤٨) ثم احتلال مصر (١٨٨٢) ادى الى وقف عملية التماثل، وبقت الجزر المتخلفة المنعزلة هنا وهناك حتى في داخل الاقليم الشمالي (مصر) وجاء الانجليز فضربوا ستارا عازلا ضد حركة التوحيد التي لو استمرت في مسارها الطبيعي لما وجدت مشكلة السودان، ولا قضية وحدة وادي النيل . .

ولا تنسى ان المفهوم الوطني بالشكل المحدد القواطع كما هو الحال في اوروبا، غير

معـروف في المجتمعـات الاسـلامية والعربية على وجه الخصوص. . فقبل الحملة الفرنسية ومحمـد علي لم يكن هنـاك تميـز قومي اووطني واضـح بين الجزائـري والمغـربي او الليبي والتـونسي، والى سقـوط الـدولة العثمانية لم يكن هناك عراقي وكويتي وسوري. . ولا كانت هناك حدود. ونفس الشيء عن سوري ـ لبناني ـ فلسطيني كانت التقسيمات على أطر اضيق فهنـاك الحلبي والحمـوي والشـامي والغـزاوي والبحراوي والصعيدي والنوبي والدنقلاوي والبقـارة والـدنكـا. . وتحـل النسبـة للاقليم محل النسبـة للقبيلة مع تطـور البنية الاجتماعية والاقتصـاديـة، ولكن التقسيـمات «الوطنية» حديثة العهد جدا مع التحفظ بالنسبة لمصر لأن كيـانهـا لاسبـاب جغـرافيـة كان دائـما اكثر تميزا. . المهم انه لم توجد مشكلة وطنية بين مصر والسـودان. . ولا خطـر في بال مصـري أوسوداني حتى الاحتـلال البر يطاني، وجود افتراق محتوم في المصير فضلا عن تناقض وطني. .

وقـد حاول الانجليـز من جانبهم وقبـل ان يكتشف ذلـك صلاح سالم، تزوير التاريخ، وهم اكبر مزيفي تاريخ عرفهم الجنس البشري. . فادعوا ان ثورة المهدي في السودان كانت حركة استقلالية ضد الاستعمار المصري! في نفس اللحظة التي كانت فيها مصر تسقط تحت الاحتـلال او الاستعـمار الـبر يطـاني! فتأمـل كيف نكون مستعمرين بالفتح والكسر في وقت واحـد!! ولم تكن مصـر قد دخلت في العصـر الـرأسـمالي بعـد فضـلا عن ان تدخـل في الامبر يالي، ولم تكن هناك قومية متغلبة مثل القومية الروسية او التركية حتى يقال انه استعمار اقطـاعي! ولمن شاء فليرجـع الى كتـابنـا عن السـودان ليكشف الاكـاذيب العفنـة للعجوز سلوين لويـد، الـذي يحاول بعـد ربع قرن من «انتصاره» ان يستمر في تزوير التاريخ، رغم الحقـائق المتـاحـة على لسـان الانجليـز انفسهم. .[٢] والتي تؤكـد مدى عمق الارتبـاط مع السـودان في وجـدان الحـركـة الـوطنيـة المصـريـة. ومدى ارتباط تاريخ «المواطنين» في مصر والسودان، اوحتى اذا سمحنا لانفسنا الان بالحديث عن «الشعبين» في مصر والسودان. . وكـذلـك يمكن تصـور مدى المخـاطـرة، ولا اقـول الشجـاعة التى اقدمت عليها الحكومة الجديدة في مصر بقبول مبدأ الاستفتاء، ولكن قرارها هذا ما كان يمكن قبوله، بل ولا حتى صدوره من مجلس الثـورة الا تحت تأثـير قنـاعـة تبلغ حد اليقـين من اغلبية اعضاء المجلس وتنظيم الضباط الاحرار بالاتي:

١ـ ان الشعب السوداني لن يختار الا الوحدة مع مصر اذا ما حررت ارادته في الاختيار.

٢ـ ان هذا الاجراء هو لعبة ذكية تسحب البساط من تحت رجل الانجليز، اذ يجردهم من كل حججهم في المماطلة في الجلاء عن مصر والسودان.

٣ـ وجـود ضغـط امـريكي ووعـد امـريكي. . بأنـه من المستحيـل قبـول الانجليز ضم السودان لمصر دون اجراء يحفظ ماء وجههم! . والوعد بانه لاخدعة في الامر، وان امريكا

تضمن خروج الانجليز من مصر والسودان . .

ويبقى السؤال، اذا كان هذا ما فهمه بسطاء مجلس الثورة، فماذا كان «المعلوم» عند حكماء ٢٣ يوليو؟ . . هل كانوا يعرفون من البداية انه لابد من انفصال السودان . . ام ان عبد الناصر كما يدعي ما يلز كوبلند، وكما تقول معظم الروايات المعاصرة، ترك السودان ينفصل ليتخلص من محمد نجيب ثم صلاح سالم؟! . . هذا ما سنحاول اكتشافه في الصفحات التالية . .

المهم انه حتى ٢٥ مارس ١٩٥٤ كان صلاح سالم يتحدث لمجلس الثورة عن : «المشاكل المتوقعة في السودان بعد ان اصبح مضموننا قيام الاتحاد بين البلدين . وقد اطال في هذا الموضوع»[3] واطال المجلس الاستماع له. وحتى يوليو (١٩٥٤/٧/٢٩) كان «اتلى» رئيس الوزراء السابق والبعيد عن خفايا السياسة الامبراطورية، يتهم المحافظين بالقاء السودان في البحر وانه يتوقع ان «يسقط» السودانيون مرة اخرى في يد المصريين»[4] وفي جلسة مجلس الثورة ٢٥ مارس ١٩٥٤ حدد عبد الحكيم عامر اهداف الثورة كالاتي : «الهدف الاول : الاستعمار والتخلص منه

«الهدف الثاني : السودان وقيام الاتحاد معه

«الهدف الثالث : الاصلاح الزراعي وضمان تنفيذه» .

وصلاح سالم اعتبر «انفصال السودان خيانة وطنية لا يجرؤ على مواجهة الشعب بها ولا حمل مسئوليتها تاريخيا» . وان الذين اتهمهم بالعمل على تحقيق الانفصال (من المصريين) «ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى» .

فهو لم يكن يختلف في تفكيره وتقديره للسودان عن الوزير الوفدي «طه حسين» .

وفي الحقيقة لو ان هذا التصور كان التصور الوحيد لدى القيادة المصرية، لما امكن اتهامهم باكثر من «الغفلة» مع حسن النية، فقد انطلى الزور عليهم وصدقوا ان الانجليز يمكن ان يرحلوا من السودان ويتركوا شعبه يختار الاتحاد مع مصر، كأن الانجليز فعلا كانوا في السودان ستين سنة لتأهيله للاستقلال، وكانوا في صدام مع الحركة الوطنية المصرية طوال هذه الفترة، دفاعا عن حق السودانيين في تقرير المصير، ومن ثم سيقبلون طائعين قرار الاتحاد شرط ان يصدر عن ارادة حرة للسودانيين!! هذا هذر لم يكن الانجليز انفسهم يجرؤ ن على ترديده بشكل جاد . . وبعيدا عن الدعاية الرخيصة . .

وفي اطار هذا التصور كان يمكن ان نلمس العذر للقيادة المصرية الحديثة عهد بالسياسة والاعيبها، اذ انطلقت من قاعدة راسخة في القناعة المصرية، وهي استحالة اختيار السودانيين الانفصال اذا ما اتيحت لهم فرصة الاختيار الحر بعيدا عن ضغط الانجليز . .

وهذا ما حدث فعلا واختار السودانيون الاتحاد . . كذلك يمكن القول ان القيادة

الجـديـدة تفـاءلت وعلى رأسهـا زعيم امه سودانية وأبوه وخاله دفنا في السودان، وساهم هو شخصيا في الحركة الوطنية بالسودان قبل ثلاثين سنة . .

اذن كان لهم عذرهم في المخاطرة او تحدي الانجليز بقبول فكرة «حق تقرير المصير» اذا ما قبلنـا هذا التفسـير . . ولكن صلاح سالم قدم بعـدا اخـر شديد الخطورة، وهو ما يدور حوله حديثنا، اذ اكتشف وهو مكلف بتحقيق وحدة وادي النيل، ان القيادة العليا لها مخطط اخر وانها متفقة على الانفصال. وهذه الرواية او الكشف الصلاحي السالمي تعززها وتعزز هي بدورها الاتفاق الناصري ـ الامريكي . .

ذلـك ان الامـريكيـين عندما بدأو الضغط على الانجليز لحل المشكل الرئيسي بين مصر والغـرب . . اي الجـلاء ووحـدة وادي النيـل . . كانت قضيـة الجـلاء مرتبطة من وجهة نظر الانجليز بقبول استمرار القاعدة البريطانية في منطقة قناة السويس ومبدأ الدفاع المشترك . . اما قضية السودان، فكانت حكومة الوفد قد سدتها سدا محكما غير قابل للحل او المساومة . .

يقـول سلوين لويـد: «في ٨ اكتوبر ١٩٥١ قدم النحاس باشا ثلاثة مشاريع بقوانين الى البرلمان المصري . . الاول يقضي بالغاء المعاهدة البريطانية ـ المصرية لعام ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ الخـاصـة بالسودان. من جانب الحكومة المصرية وحدها، والثاني اعلان وحدة مصر والسودان. والثالث بسلطات ملك مصر والسودان»

ويقــول سلوين لويــد ان هذا الــذي حدث كان جذور ما حدث في ١٩٥٦ وقـد يفهم البعض قصده بأن الغاء المعاهدة والغاء شرعية السلطة البريطانية في السودان كانتا السبب في حريق القـاهـرة ومن ثم وصـول عبـد الناصر الى حكم مصر. وان هزيمة عبد الناصر في السودان قد اذكت عداوته لبريطانيا مما جر الى سلسلة مصادمات انتهت بأزمة السويس . . وكـل هذا صحيـح تاريخيـا، ولكنـه لا يصلح لتفسـير وصفـه بأنـه «جذور» لما حدث في عام ١٩٥٦ . . اعتقـد انـه يقصـد ان النحـاس باشـا هو الـذي طرح مبدأ الالغاء المنفرد للعقود الـدوليـة، او ترجيـح حق السيـادة على الالتزام الدولي، وقبول المخاطرة بالصدام مع قوى كبرى، على قبـول استمـرار انتقـاص الحق الـوطني . . هذا المبدأ الذي تجسد وسيطر على تاريـخ النصف الثـاني من القـرن العشـرين من خلال معركة القناة، انما مارسه الوفد ولاول مرة، وقبل تأميم مصدق للنفط، في الغاء المعاهدة من جانب السلطة المصرية وحدها، وفي مواجهـة مبـاشـرة صريحـة مع «الـدولـة» البريطانية، وليس «شركة» للبريطانيين فيها حصة الأسـد . . وفي مواجهـة ثمانـين الف عسكـري بريطاني فوق ارض مصر فعلا وليس في مواني بريطانيا وقبرص ومالطة . .

النحاس باشا في ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ كان في وضع يشبه وضع عبد الناصر مع فروق كثيرة:

١ ـ عبد الناصر استطاع ان ينتظر حتى تم الجلاء عن مصر فأمن الاستيلاء البريطاني الفوري على القناة، ولكن النحاس باشا لم يكن في مقدوره ذلك، ومن ثم فقد خاطر في مواجهة ثمانين الف عسكري بريطاني..

٢ ـ ظهر عبد الناصر كان مؤمنا من الانجليز والسراي واحزاب الاقليات والقوى المرتبطة بهؤلاء بينما كان الوفد يواجه ذلك كله، ومن هذه القوى، قيادة الجيش نفسه.

٣ ـ كان عبد الناصر مطمئنا للدعم الامريكي والسوفيتي، وهو ما لم يكن متاحا للوفد عندما الغي المعاهدة..

وقد انتصرت هذه العوامل على الوفد، كما انتصرت على مصدق، ودفع الوفد والشعب المصري، ومصدق، والشعب الايراني الثمن فادحا. ولكنهما مهدا الطريق بلا شك لخطوة عبد الناصر..

وقد ردت حكومة بريطانيا بنفس الرد على حكومة الوفد عندما اعلنت في خطاب العرش على لسان ملك بريطانيا يوم ٦ نوفمبر ١٩٥١: «ان حكومتي تعتبر الغاء الحكومة المصرية لمعاهدة التحالف واتفاقية السودان قرارا غير قانوني وبلا فعالية»..

وقد امكن التخلص من توتر الموقف ومنع الانفجار الشامل بحرق القاهرة واقالة حكومة الوفد، ثم بالانقلاب العسكري الذي وضع زعماء الوفد في السجن وكأن تجربة زاهدي طبقت في مصر اولا.. ولكن الوفد كان قد نسف الجسر الذي يمكن ان يعبر عليه اي زيور او «زاهدي» جديد، وذلك بمرسوم «وحدة مصر والسودان» «تحت التاج المشترك» والمناداة بملك مصر «ملكا لمصر والسودان» وقد انتقل اللقب الى الطفل «احمد فؤاد» بعد خلع فاروق، ولكن ما من حكومة مصرية حتى ولو شكلت من متجنسين حديثا كان بامكانها ان تصدر مرسوما يلغي لقب ملك مصر والسودان، وقصره على ملك مصر او اخراج السودان من التاج المشترك، ولذلك كان الحل هو الذي روج له الموظفون الانجليز عندما سموا القانون «تحت المهرج المشترك» لعبا على التشابه بين لفظي crown اي التاج و clown اي المهرج... كان الحل هو «اسقاط التاج المشترك».. وقد حدث واعلنت الجمهورية واختفى ملك مصر والسودان ووصف بما هو ابشع «من المهرج».

وفرح الاطفال.. ولم يعد السودان تحت التاج المشترك ولا حتى مصر.. وبذلك اطلقت يد الثورة في المساومة مع الامريكان والانجليز..

وكان الامريكيون ـ كما تؤكد كل المصادر المنشورة عن تلك الفترة ـ يضغطون لاخراج الانجليز من مصر والسودان.. ولم يكن لدى الامريكان رغم نصائح الانجليز ومطالب جمعيات التبشير والمرتبطين بهم من المصريين مثل هيكل ـ لم يكن لديهم كبير ممانعة من ارتباط السودان بمصر برابطة اتحادية ما، فقد كانوا على ثقة من مركزهم في مصر. ولكن

الاستراتيجية البريطانية منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية، كانت تستهدف فصل السودان نهائيا عن مصر. . وجعله مقرا للامبراطورية البريطانية الافريقية، او الامبراطورية الثالثة كما كانوا يسمونها ويحلمون بها، واستبعاد اي احتمال للاختفاء من الحكم المباشر في السودان قبل نهاية القرن . . . وللمزيد من الاحتياط تم فصل الجنوب وترك الشمال المسلم العربي كآخر ورقة في المساومة، وفي نفس الوقت، كانت بريطانيا تعتمد على «المشكل» السوداني، والاصرار المصري على وحدة وادي النيل، مع العجز عن تحقيقها كمبرر لتأجيل الجلاء عن مصر، تماما كما استخدمت اسرائيل الرفض ـ العاجز العربي في استمرار احتلالها واستمرار عدوانها على قرارات الامم المتحدة مع تحميل العرب المسئولية. فالانجليز، كما اشرنا، يقولون انهم على استعداد للجلاء عن مصر بشرطين: سلامة قناة السويس وتسليم مصر باستقلال السودان، او تخليها عن حقوق «مواطنيها» في السودان من الوحدة الوطنية. . لأنها ـ اي بريطانيا ـ لايمكن ان تتخلى عن الامانة التي في عنقها نحو السودانيين بتسليمهم «للاستعمار المصري» او «الحكومة السيئة التي تستفيد من السودان ولا تفيد بشيء» كما دس هيكل عند المخابراتي الامريكي ضد حكومة مصر!

وهذا منطق الفجور الاستعماري. المهم ان الشرط الاول لم يكن من المستحيل التغلب عليه، أما شرط السودان فكان عقبة حقيقية فبريطانيا لا تفكر في التنازل فيه، والنظام المصري بجميع اتجاهاته لايمكن ان يقبله. . وهكذا استمر اضطرار المفاوض المصري لقطع المفاوضات بسبب «السودان». . ويستمر الامر الواقع وهو الاحتلال البريطاني لمصر والسودان. .

فلما جاءت حركة الجيش في ٢٣ يوليو، وقررت امريكا انها الفرصة الاخيرة. . اذ وجد الحكم القوى الذي يستطيع قبول مالا يرضي به الشعب. . بدأت كما قلنا الضغوط الحاسمة على الانجليز، وهنا قاتلت الامبراطورية العجوز معركتها الاخيرة، وصممت أنها لن تقبل باي حال اتحاد السودان مع مصر. . وكانت تأمل في سقوط النظام اذا ما قبل هذا الانقسام، او تدبير انقلاب بريطاني ضده، يجمد الموقف مرة اخرى، كما كان يحدث في سوريا من تبادل الامريكان والانجليز للانقلابات. . او على الاقل يعجز النظام الجديد عن فرض فصل السودان على الشارع المصري، فتبقى القضية معلقة. . مثل شرط تعليق الجلاء على قبول عودة الاحتلال اذا ما وقع عدوان على تركيا، وهو شرط لم يكن يقصد منه اي هدف عسكري، وانما استفزاز الجماهير او السلطة لرفض المعاهدة. . او في النهاية يتم الجلاء وتتنازل مصر لبريطانيا عن السودان.

وايقنت الولايات المتحدة ان رفض بريطانيا لاتحاد مصر والسودان هو رفض نهائي لا سبيل لتذليله. . لا بالمساومة ولا بالضغط لانه يمثل استراتيجية بريطانية اساسية وسياسة

تاريخية في اضعاف مصر، ومنع امتدادها في افريقيا السوداء، وقضية حيوية لحماية المصالح البريطانية الاستعمارية والصليبية في افريقيا السوداء، ولو كانت وحدة وادي النيل قائمة، لتذكر الاوغنديون انهم كانوا جزءا من السودان، ومن مصر وكان حاكمهم يعين من القاهرة، ولتذكروا وهو الاهم انهم في «وادي النيل» يصبحون اكثر أمنا على دينهم وحريتهم . .

وصادف هذا الموقف البريطاني هوى لدى المبشرين الامريكان، والاستعماريين التقليديين ـ في الادارة الامريكية ـ من اعداء الامتداد العربي الاسلامي في افريقيا، والمدرسة الصهيونية التي ترفض أية تقوية لمصر، والتي تعتقد ان الضغط على الشعب المصري أوخنقه داخل حدود مصر هي أفضل وسيلة لانهيار مقاومته وقبوله السيادة الاسرائيلية على المنطقة . . اوعلى الاقل تقليل فعاليته .

ومن ثم كانت التسوية هي اقناع الانجليز بقبول الجلاء عن السودان مقابل عدم اتحاده مع مصر، واقناع المصريين بالتركيز على تحقيق الجلاء وبناء قوة مصر بدلا من «الجري وراء سراب وحدة وادي النيل» التي لن يسمح بها الانجليز أبدا . .

وهذا ما اقتنعت به وقبلته «الجهات العليا» في مصر والتي كما سنرى كانت اكبر واعلى من مجلس الثورة، وما ضم من بسطاء . . ولكن عملية الاخراج اقتضت الاقتصار على قبول مبدأ حق تقرير المصير مع التأكيد والايعاز، وكل الدلائل كانت تؤكد ذلك، ان السودان لن يقبل الا الاتحاد مع مصر، وحتى اذا ما حاول الانجليز التملص فأن ذلك سيخلق وضعا جديدا يمكن لمصر استثماره . .

وفي نفس الوقت جرى العمل على تنفيذ الاتفاق الانجلو ـ امريكي بفصل السودان وجلاء الانجليز على كره منهم *

قال سلوين لويد: «اعلن حكام مصر الجدد تنازلا لم تقدمه حكومة مصرية من قبل وهو حق السودانيين في تقرير المصير»

وقد مدحهم ايدن في البرلمان، «لأنهم قرروا التركيز على محاربة سوء الادارة في بلادهم، والخلافات الدولية التي ورثوها عن الحكومات السابقة، كما اشاد بقبولهم مبدأ حق تقرير المصير» .

ويعترف بغدادي : «الصخرة التي كانت تتحطم عليها المفاوضات هي مطالبة مصر الدائمة بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصري ، وانجلترا كان يهمها دائما ابعاد السودان عن مصر وتعمل على ان ينال استقلاله الذاتي لأن ذلك يحقق مصالحها»[6] . . .

وبغدادي وان لم تواته الصراحة الكافية لكي يقول وقد «حققنا لبريطانيا مصالحها كاملة» الا انه لم تتوفر له وقاحة هيكل الذي وضع تحقيق مصالح بريطانيا على قائمة انتصارات

الثورة!

ويقول حمروش ان عبد الناصر تفرغ لقضية الجلاء عن مصر بعدما تم فصل «العقدة» السودانية لأول مرة، واتخذ ايضا في قضية الجلاء عدة خطوات «ايجابية» بناء على تقدير شخصي «فقرر من ناحية المبدأ قبول عودة القوات البريطانية الى منطقة القناة اذا هوجمت تركيا. وهو امر كان مرفوضا قبل ذلك من الجانب المصري. وقرر أيضا بعد شهر واحد من توليه وقف النشاط الفدائي بعد ان كان قد بلغ الذروة».

ويحاول بغدادي ان يخفف الامر علينا فيقول انهم نجحوا في استبعاد ايران من الدفاع المشترك! . . ومن الذي اقترح ايران؟ . . ويفوته ان ما قبلوه هو عين الدفاع المشترك، واسوأ مما عرض على حكومة الوفد ورفضته.

وقبل ان ننتقل الى التنفيذ نقول كلمة عن المبدأ . . فقد كان التسليم بحق تقرير المصير هو الاعتراف بانفصال السودانيين عن المصريين، والتخلي عن مبدأ «من غير المعقول ان نستفتي اسيوط مثلا» وليس في التاريخ الا حالات نادرة جدا اعطي فيها بلد حق تقرير المصير واختار غير الانفصال.

ولا يجوز النظر لهذا الامر في ظل الظروف القائمة الآن، وبعد ثلاثين سنة من انفصال السودان، وتشكل اوضاع جديدة، تجاهلها الآن خطأ لا يقل خطورة عن خطيئة تجاهل عناصر الوحدة التي كانت ممكنة منذ ثلاثين سنة . . والذي امتدح شجاعة «الثورة» في حل «العقدة» والاعتراف بالامر الوقع ولو ضد الارادة الشعبية هو الذي اعطى السابقة لانور السادات كي يفعل نفس الشيء . . . وقد تقبل الشعب الأمرين اتفاقية السودان، وكامب ديفيد، وسواء عن حق أو خطأ فقد كان السودان أعز واكثر رسوخا في الضمير الوطني المصري وقتها من حقوق الشعب الفلسطيني عام ١٩٧٨.

يجب ان نضع ذلك في اعتبارنا ونحن نحلل الاحداث التاريخية، فلا ننفعل اليوم، ولا نسخر من مشاعر الأمس.

واذا قيل أن «حل عقدة السودان» كان شرطا لتحقيق الجلاء وما جره من خير، فالرد على ذلك اولا من ادعاءاتهم هم، اذ يهزون ذيولهم تيها ويقولون ان بريطانيا اجبرت على الجلاء بعدما استحال عليها الوجود في القناة بفضل حركة المقاومة المنظمة التي قادها عبد الناصر والمخابرات المصرية ضدهم، لا المقاومة الفوضوية الارتجالية الوفدية . . الخ.

صدقنا . . اذن فالجلاء كان مضمونا فلماذا تطوعت حكومة الثورة بدفع بقشيش بمثل هذا الحجم وهو التنازل عن نصف الوطن الذي تسلمتموه؟! لماذا . . ؟!

ثانيا: لو كانت ٢٣ يوليو فعلا حركة وطنية فضلا عن ثورة لامكن تنظيم مقاومة فعلية ضد الاحتلال لا في مصر وحدها، بل في مصر والسودان، ولتحقق الجلاء وتمت الوحدة

بالاسلوب الفيتنامي . . لا البورقيبي . . وان كان بورقيبة نال «تونس» كاملة .

بدأت الثورة تعالج قضية السودان أو تحل «العقدة» أو تدفع بعض ثمن الجلاء . . فاختارت «صلاح سالم» الذي وصف نفسه بأنه كان يجهل كل شيء عن السودان وقال : «لم اقرأ في حياتي قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى كتابين احدهما لعطا اثناسيوس عن الصيد في جنوب السودان . والثاني لتشرشل بعنوان «حرب النهر» ولم يكن لي صديق سوداني واحد يحدثني واتحدث معه في شؤون بلاده وأهله . ولم أسمع شيئا عن السودان الا من والدي الذي امضى زهرة شبابه وحياته في ربوع القطر»[٧]

وكانت مصر تضم المئات ان لم نقل الألاف ممن عاشوا في السودان ولقضية السودان ولهم صداقات بل ومكانة قيادية لدى السودانيين ، ولكن الثورة لم تختر أحدا منهم ولا استعانت بأحد منهم . . كان لديهم مثلا «فتحي رضوان» وهو صاحب تاريخ عريض في الاتجار بتراث الحزب الوطني ، والتمسك بوحدة وادي النيل . . . ولكنهم اعطوها للصاغ صلاح سالم . . ولم يقصر الرجل . . ولكن حتى «صلاح سالم» لم يكن المسؤول الحقيقي عن السودان لدى «الجهات العليا» في مصر ! ! ولن نشير الى الزعامات المصرية التي كانت لها قوى سياسية وجماهيرية في السودان مثل الوفد والاخوان والشيوعيين فهؤلاء كانوا في السجن أو العزل .

وقد مثل مصر في اللجنة الخماسية التي تولت تنفيذ حق تقرير المصير حسين ذو الفقار صبري ، وهو شقيق علي صبري ، مدير مكتب جمال عبد الناصر للشئون السياسية ، والوثيق الصلة بالامريكان كما جاء على لسان رجال الثورة . . وهو الذي اتهمه صلاح سالم بأنه ينفذ مؤامرة فصل السودان . . ووصفه مايلز كوبلند بقوله : «علي صبري وهو اكبر صديق لنا في مصر» .

ويقول اليوزباشي «محمد ابو نار» وهو مساعد «صلاح سالم» لشئون السودان ان الامريكان «ساعدوا صلاح سالم في دخول جنوب السودان عن طريق اتصالات مستر كافري السفير الامريكي في القاهرة ، ومستر «سويني» ضابط اتصال السفارة»[٨] .

وقد نجح صلاح سالم نجاحا كبيرا في البداية وخاصة في جنوب السودان ، وهو الثغرة التي كان الانجليز يزعمون انها لا يمكن ان تقبل الاتحاد . . فاذا بصلاح سالم يكسبها برقصاته ، أو هكذا حرصت الصحافة البريطانية على تصوير الموقف ، بينما الحقيقة ان الجنوبيين الذين عاملهم الانجليز معاملة الحيوانات وحرصوا على ابقاءهم عراة ومنعوا عنهم الثقافة والحضارة ، وحولوا جنوب السودان الى «سفاري» آدمي . . رأوا زعيما أسمر اللون شديد السمار يتحدى الانجليز ويأتي اليهم ويأكل معهم ويرقص معهم ، ويسب الانجليز في قلب جنوب السودان ويعدهم باخراج الانجليز . . . فعشقوه . .

واجريت الانتخابات في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٣ وتحقق ما كان يأمله الوطنيون في مصر

والسودان، فقد سقط حزب الامة حزب العمالة لبريطانيا والعداوة لمصر سقوطا فاحشا. . وان كان «القارح» العجوز سلوين لويد يفسر ذلك بأنه نتيجة افعال التعايشي «اذ عرفت ان حزب الامة لم يفز بأي دائرة من التي حكمها الخليفة التعايشي»!

والتعايشي حكم السودان كله. والانصار ليس لهم أي علاقة في ذاكرة السودانيين بالتعايشي من ايام حكم التعايشي[9] نفسه الذي اعتقلهم!

المهم فاز الحزب الوطني الاتحادي الذي خاض الانتخابات حول مبدأ «الاتحاد مع مصر» فاز بـ ٥٤ مقعداً وحزب الامة ٢٠ مقعدا، والجمهورية ٤ والمستقلون ١٢ ثم انضم الجمهوري للاتحادي فأصبح له ٥٨ مقعدا وللأمة والمستقلين ٣٢.

ويقول بغدادي:

«وهذا النجاح جعل أملنا في الاتحاد مع السودان كبيرا ولكن هذا الامل خاب وسيأتي ذكر اسباب هذا الفشل»

المهم ان هذه النتيجة لاول انتخابات او استفتاء في تاريخ السودان هي كلمة الفصل في بطلان اي زعم بان الوحدة كانت مطلبا مصريا يستند الى حق الفتح!.. فالاتحاد كان ارادة مصرية ـ سودانية، ولم يكن سرابا.. وان كان تحقيقه صعبا.. بل شديد الصعوبة... ولكنها امكانية تشبث بها الشعب المصري اكثر من نصف قرن ولو على حساب الجلاء عن مصر.. وقاتل الشعب السوداني من اجلها في ١٩٢٤ ووفى لها في ١٩٥٣ في ظل الاحتلال البريطاني...

ثم ضاعت!

هذه قضية لا يجوز أن نهيل عليها التراب ابدا..

لم تنهزم القوى الامبريالية والعميلة ولم تيأس بل بدأت تعمل، راهنت على اخطاء مجلس الثورة في مصر، وعلى اطماع وطموحات السياسيين في السودان.. والحركة السياسية في السودان، كانت صورة من الحياة السياسية في مصر مع فارق عشرين سنة، ومن ثم كانت طموحات السياسيين السودانيين اكثر شبقا وشبابا مع ارتباطهم بالحياة السياسية في مصر. ولاشك ان اقوى ورقة في يد الثورة هي «محمد نجيب» الزعيم المحبوب في كل انحاء العالم العربي، والحل لمشكل السودان، فالقيادات هناك ككل قيادات العالم الثالث ليس فيها عمر يقول لابي ابكر أمدد يدك ابايعك..

لم يكن فيهم من يرضى بأن يصبح الآخر ملك أورئيس السودان وربما كان قطاعا من الاتحاديين يطلب الاتحاد كراهية في حكم عبد الرحمن المهدي اقبح صور التخلف والعمالة وقتها.. ولذلك كان الحل هو ملك مصر والسودان، والملوك لا ينتمون الى أقليم ولا الى طائفة.. والعرش هو رمز للوحدة دائما.. فلما سقط العرش، تحتم أن يكون رئيس مصر هو

رئيس السـودان . . وتنشـاء الظـروف الحسنـة أن يكـون هذا الرئيس نصف مصري ونصف سوداني. فلا غبن ولا سيطرة، ولا نزعة شوفينية يمكن أن تثار. . بل هو بملامحه اكثر سودانية . .

وجـاءت الضـربـات تتـوالى من القـاهرة. . رأى الاشقاء الصغار ما جرى على الاخوة الكبـار من المعـاملة المهينـة لزعيم الأمـة؛ النحـاس، الـذي كان ومـازال بعض زعماء العالم العربي يقلدونه في كل شيء من اللقب «الرئيس الجليل» الى الدروشة. . رأى الاخوان في السـودان، اخـوان مصـر يعلقـون في المشانق، ورأى الشيوعيون السودانيون، الرفاق الرواد يلعقون بلاط السجون، بينما يتودد لهم هم النظام المصري! ولم يكن من العسير عليهم أن يستنتجوا ماذا سيحل بهم اذا ما امتد نظام الحكم الناصري الى هناك. .

وحمـروش حائـر بين فطـرته الوطنية التي آمنت بوحدة وادي النيل ولو في مرحلة الثانوي، وبين ماركسيته التي طرحت لأول مرة في مصر شعار حق تقرير المصير بمفهوم الانفصال وكان ذلـك احـد جرائم الحـركـة المـاركسية في مصر. . اذ كان يفترض ان يتكامل الشعار. يقول حمروش في التعليق على اول وزارة سودانيـة شكلهـا اسـماعيـل الازهري يوم ٩ يناير ١٩٥٤ «الحـزب الـوطني الاتحـادي الـذي يملك الاغلبيـة، شكـل من اعضاء مرتبطين في نضالهم الطـويـل بالشعب المصـري، ووحـدتهم كانت على اساس الاتحاد مع مصر ولكن الامور لم تمض في طريقها الطبيعي».

الحمـد لله! اذن الـوحـدة كانت الطريق الطبيعي وهذه شهادة لو جاءت في وقتها لكلفته عضوية حدتو. . وصحيح ان العقل يكتمل بعد الاربعين، ولكن القرارات المصيرية تؤخذ قبـل ذلـك. . ولأن حمروش ماركسي وليس وحـدويـا متعصباً، بل هو يشهد بأن الشيوعيين وحـدهـم ـ الى جانب الانجليـز طبعـا ـ كانـوا مع حق السـودانيين في الانفصال، وهو ليس متعصبـا ضد النـاصـريـة بل يبذل الجهد في احصاء فضائلها وجهدا اعظم في الاعتذار عن نقائصها. . ولذلك لا يمكن الطعن في شهادته عن اسباب سلوك الأمور الطريق الشاذ. . اي الانفصال قال:

«لم يسلك مجلس القيادة اسلوبا حكيما في التعامل مع السودانيين ولم يواجه زعماءهم بوجه واحـد. . وانـما ترك صلاح سالم يتصـرف في الامـور بطـريقتـه الخـاصة دون مناقشة جماعية مشتركة، وبغير حرص على الاستفادة من علاقة محمد نجيب الطيبة بكافة الزعماء السياسيين».

«ولـذا فان الأمـور لم تمض في طريقهـا الطبيعي. . وتصـرف صلاح سالم في معاملاته مع بعض زعماء السودان باسلوب الضباط وليس بأسلوب السياسيين كما أن تجمع بعض ضباط الصف الثـاني الـذين كونـوا شللا خاصـة لكـل عضـو من اعضاء المجلس حال بينهم وبين

الرؤية الكاملة. وسياسة توزيع الأموال على السياسيين كانت في اغلبها مفسدة»

«وعندما زار عبد الحكيم عامر وصلاح سالم السودان في يناير ١٩٥٤ بعد ايام من تولي الازهري رئاسة الوزارة كان الاستقبال لهما طيبا، وصرح الازهري قائلا: «ان الاتفاقية سوف توضع موضع التنفيذ نصا وروحاً. . .»

«وقام الاثنان بزيارة كافة مناطق السودان، زيارة احتج عليها سلوين لويد وزير الخارجية البريطاني. ولكن الزيارة في مظهرها العلني لم تكن معبرة تعبيرا صادقا عن همسات بدأت تتردد عن خلافات في مجلس القيادة، يبدو أن صلاح سالم قد خاض فيها بصراحته المعهودة، فانعكس ذلك خشية وترددا بين بعض الزعماء السودانيين».

«كانت مصر قادرة حتى هذه اللحظة تحت قيادة محمد نجيب، وبمجلس قيادة موحد ان تستوعب كل الآراء الوطنية في السودان لاقامة اتحاد على اساس ديموقراطي لمصلحة الشعبين. . . ولكن ظهور الخلافات فتح ثغرة مناسبة لاعداء الاتحاد مع مصر ينفذون منها.

كان ظهور الخلافات بين محمد نجيب واعضاء المجلس بداية لانتكاسات واضحة في تنفيذ الاتفاقية. . . وقد وصلت المشكلة الى الذروة عندما فوجئت الجماهير السودانية باستقالة محمد نجيب في فبراير ١٩٥٤.

وكان لهذه الاستقالة وقع عميق في نفوس السودانيين الذين تطلعوا الى الاتحاد مع مصر في وجود محمد نجيب ـ نصف السوداني ـ والذين ادانوا اسلوب التناقضات الحادة بين اعضاء المجلس واعتبروا موقفهم من نجيب متسما بعدم الوفاء، مما عكس عليهم هذه الصفة، وخلق في نفوس السودانيين حذرا من الاتحاد مع اعضاء المجلس، فقامت المظاهرات تهتف لنجيب في شوارع المدن السوادنية.

وهكذا وجد الازهري لنفسه فرصة التحول عن رأيه مدعيا انه كان يقصد بالاتحاد (اتحاد اقاليم وقبائل السودان). واتخذ عدة اجراءات اسفرت عن موقفه تماما.

١ـ رفض هدية من الاسلحة الحديثة عرضتها مصر في اوائل عام ١٩٥٤.

٢ـ رفض ارسال ضباط سودانيين للتدريب في مصر على نفقتها واصر على تدريبهم في بريطانيا.

٣ـ اوقف الصحف الاتحادية وسحب ترخيص بعضها.

٤ـ لم يوافق على رصد مصر لمبلغ ٧٥٠ الف جنيه لتنفيذ مشروعات ثقافية وصحية واجتماعية في ارجاء السودان.

وسافر اسماعيل الازهري الى لندن يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٤ حيث استقبلته الملكة اليزابيث، واقام له تشرشل حفل غداء، وعقد اجتماعا مع لجنة الشئون الخارجية لحزب المحافظين كما نشرت صحيفة الاهرام يوم ٨، ٩ نوفمبر.

وعقب عودته من لندن، اعلنت اقالة محمد نجيب وتحديد اقامته يوم ١٤ نوفمبر واشارت الصحف الى احتمال محاكمته لارتباطه بالاخوان المسلمين».

ويقول «عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتف (لا وحدة بلا نجيب) وكان محمد نجيب قد اصبح رمزا للوحدة عند السودانيين. فمدة خدمته الطويلة هناك. ودفن والده وخاله الضابطين بالجيش في السودان، وعلاقته الوثيقة ومعرفته بكثير من الزعماء والبسطاء هناك جعلت منه شخصية شعبية محبوبة في السودان كما في مصر. وخرجت المظاهرات ايضا في القاهرة تهتف بحياة محمد نجيب منذ الصباح الباكر».

«واسرع من جديد الى القاهرة وفد سوداني في محاولة لانقاذ نجيب من المحاكمة مشكل من نجل السيد علي الميرغني واسماعيل الازهري ومحمد نور الدين وعلي عبد الرحمن ويحيى الفضلي وابراهيم المفتي، واستقبل الوفد جمال عبد الناصر وصلاح سالم وتم الاتفاق بينهما على اصدار هذا البيان الذي نشر في الاهرام يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ وجاء فيه:

(اطلع وفد الحزب الوطني الاتحادي على دقائق الامور، وكان متتبعا لسير الحوادث التي قادت الى الظروف الراهنة في مصر، وهو مقتنع تماما بأن اجراء تنحية اللواء محمد نجيب عن منصبه، كان اجراء لا مفر منه، روعيت فيه مصلحة البلاد العليا اولا واخيرا في تلك المرحلة التي ما كانت لتتحقق للبلاد لو سارت الامور على ما كانت عليه، ولقد تلاقت وجهات النظر مع الحسيب النسيب السيد علي الميرغني ووفد الحزب الوطني الاتحادي والمسئولين في مصر على قفل هذا الموضوع نهائيا بعدم تقديم اللواء محمد نجيب للمحاكمة حتى لا تعطي الفرصة لاعداء البلاد الذين يتربصون للنيل من وحدة الصفوف وتدمير اهداف البلاد).

«قفل هذا البيان موضوع محاكمة محمد نجيب... وقفل ايضا فرصة الاتحاد مع مصر، نتيجة عدة عوامل اساسية نتجت عن تصرفات مجلس القيادة وهي اقالة محمد نجيب. وقسوة محاكمات الاخوان المسلمين الذين كانوا يفرخون في احضان حزب الامة. واعتقال الشيوعيين الذين كان لهم نفوذ كبير في السودان خاصة بين المثقفين والعمال... هذا الى جانب نشاط الانجليز والامريكان في محاولة احتواء اسماعيل الازهري ومبارك زروق.

«وعندما سافر اسماعيل الازهري الى مؤتمر باندونج... لم يقف مع الدول المتحررة، ولكنه اتخذ موقفا التقى فيه مع اتجاهات بعض الدول الرجعية مثل العراق التي كانت تهيىء نفسها للدخول حلف بغداد... كما انه كان قد الف لجنة من اعضاء الحزب الوطني الاتحادي قررت التخلي عن مسألة الاتحاد مع مصر، ووافقت الهيئة العامة للحزب على ذلك.

«واخذت بذور التناقض تنمو بين الازهري ومجلس القيادة ممثلا في صلاح سالم والذي كان قد فقد بعض شعبيته هناك لموقفه الحاد من محمد نجيب، ولكنه دخل في تناطحه مع

الازهري الى ابعد مدى، فقد إثار ضده فريقا من الحزب الوطني الاتحادي بزعامة محمد نور الدين نائب رئيس الحزب، واثار ضده الجنوبيين ايضا كقوة ضغط . . .

وظفت المعركة الى السطح . . . وخطب اسماعيل الازهري في الجماهير يقول ؟ان لحم اكتافي من مصر، وقد دخلتها متنعلا حذاء كاوتش . . ولكن هل يرضيكم ان يحكمنا صلاح سالم والعسكريون في مصر؟ وتصرخ الجماهير بصوت عال ؟لا . . . لا؛ .

واستخدم صلاح سالم في معركته ضد الازهري كل الاسلحة المتاحة له الى جانب انشقاق الحزب وإثارة الجنوبيين . . . فقد قرر التحالف مع الشيوعيين ايضا في معركته ضد الازهري التي تبلورت الى موقفين واضحين . . . اما الاتحاد مع مصر . . . واما الاستقلال الذي اصبح الازهري ينادي به علنا .

اتصل صلاح سالم بالشيوعيين السودانيين لما لاحظه من تأثيرهم السياسي في محاربة الوضع القائم كله . . . واتصل في هذه المرحلة بالشهيدين عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي السوداني والشفيع احمد الشيخ سكرتير عام اتحاد العمال وعضو المكتب السياسي للحزب .

وعندما علم صلاح سالم ان الحزب الشيوعي السوداني هو نواة انفلقت من الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وعملت لفترة تحت اسم الحركة السودانية للتحرر الوطني (حستو) قرر ان يتصل بالشيوعيين المصريين ليساعدوا في اقناع زملائهم في السودان وكان ذلك يوم أول سبتمبر ١٩٥٥» .

ولنترك المسكين صلاح سالم يتعلق بقشة الشيوعيين المصريين «ويجيب» السودان بفتحي خليل والفنان زهدي ! ولنترك صلاح سالم يعدهم بتنفيذ البرنامج الماركسي . . «والافراج عنهم لمدة اسبوع يعودون بعدها الى مكتبه» ومعهم السودان ! . ولكنهم «لم يعودوا» ففي اليوم التالي اختفى المكتب واختفى صلاح سالم واعلن قبول استقالته واعتكافه . .

المهم ان الوحدة ضاعت بسبب صراع مجلس الثورة، واصرارهم على تنحية «محمد نجيب» ولو كان الثمن نصف الوطن . . ودعنا من سب الازهري فلو كان حروش ورفاقه يملكون الانفصال وقتها عن مصر والهرب من حكم العسكر لما ترددوا . . وكل ما تمناه الجيل يضرب وينهار، والديكتاتورية العسكرية البشعة تنشب مخالبها في امانينا واحلامنا . . دون ان تسجل ـ حتى ذلك الوقت ـ أي انتصار ولو اعلامي . . ولم نذهب في البداية الى القول بان الاطاحة بمحمد نجيب كانت كانت ضمن مخطط دفع السودانيين لرفض الاتحاد، على الاقل من الجانب المصري، وان كانت الاطراف الاخرى الانجليزية والامريكية قد سعت واستفادت من تصفية نجيب في سحب البساط من تحت الاتحاديين الحقيقين، وشل تردد المذبذبين . .

كنا نرى ان الصراع على السلطة، ومن أجل أن ينفرد جمال عبد الناصر بالسلطة فقد ضحى بالسودان، ولم يكن اعضاء مجلس الثورة بغافلين عن هذه النتيجة المحتومة . . ووقائع مناقشاتهم في أزمة محمد نجيب حافلة بالأدلة على قناعتهم بتأثير ابعاد نجيب على الاتجاه الوحدوي في السودان . . ومع ذلك رأى عبد الناصر ان استقرار السلطة في يده أهم من الاتحاد مع السودان، ونفس الشيء سيتكرر ويقال لنا عندما فضل ترك عامر في الجيش لمنع الانشقاق في السلطة ولو كان الثمن انفصال سوريا وهزيمة ١٩٦٧ واحتلال سيناء! . .

ويعتقد الناصريون ان الخسائر ترجحها المكاسب، لأن عبد الناصر هو قلب الثورة وضميرها، والامر متروك للقارىء ليقرر هل ربحت مصر أو خسرت ببقاء عبد الناصر في السلطة ١٨ عاما، وفقد السودان وسوريا وسيناء وهي ـ على اية حال ـ وجهة نظر!

خلع محمد نجيب في المرة الأولى مع افتتاح اول برلمان للسودان وبدا الوضع غير طبيعي، ان يستقبل السودانيون أول عهدهم بالبرلمان «مثل البرلمان الذي كان عند الزول المصري» وفي نفس الوقت يلغى البرلمان والدستور والاحزاب في مصر وتعلق الحياة السياسية ثلاث سنوات فترة الانتقال . . ! . .

كانت الاحزاب والقوى السياسية في السودان فرحة بالاستقلال منطلقة الى ممارسة حقوقها التي حرمت منها والتي قاتلت وسجنت في سبيلها ولكن النظام الناصري يصادر هذه الاماني جملة وتفصيلا، فهو لا يؤمن بالحزبية، ويلغي حرية الصحافة، ولا يؤمن بالفصل بين السلطات ويضرب رئيس أعلى محكمة في مصر والذي كان يعتبر شيخ القانونيين في العالم العربي كله. ويقدم مصطفى النحاس للمحاكمة. والنحاس بالنسبة لزعماء السودان، وخاصة الاتحاديين مثل عبد الناصر لزعماء جيل الخمسينات. وتخيل تأثير محاكمة عبد الناصر بتهمة الفساد والافساد امام محكمة الثورة على السراج وبن بللا وعارف . . ؟! وتخيل ان محكمة الثورة هذه تطالب هؤلاء بالوحدة معها؟!

ثم ما جرى على «محمد نجيب» من اذلال وامتهان، حتى العجل الذي خصصه للذبح يوم افتتاح برلمان السودان كان يتضور جوعا! ثم الحملة الرخيصة عليه في الصحف، والسودان مازال بكرا فيه تقاليد الرجولة والقبلية والطهارة . . ولذلك عندما يصرخ الازهري : «هل تريدون ان يحكمنا العسكر تصرخ الجماهير : «لا . . لا . . !» والضباط في مصر اشتكوا ان الناس تبصق عليهم لخيانتهم لنجيب وتصارعهم على السلطة . . فما بالك في السودان؟!

فالحقيقة هي ان السودان انفصل عن النظام الناصري، ولم ينفصل عن مصر، وما كان يمكن أن يختار الديكتاتورية ويتخلى عن الديموقراطية صباح الاستقلال ويغني مع فايزة «بكتني في ليلة عيدي» . . وهل للاستقلال من ثمرة تتعطش اليها الجماهير وتستشهد في

سبيلها وتكافأ بها أحلى وأجمل من الحرية والديموقراطية؟

وهل يمكن ان يختار شعب بارادته الحرة الخضوع لحكم ديكتاتوري يقوم على الغاء الحريات، واقامة المحاكم الخاصة والمعتقلات ويعلق المشانق للعمال وزعماء الاخوان..؟

مقابل ماذا؟

لا شيء.. فلم يكن النظام الناصري قد اتيحت له الفرصة بعد لتحقيق أي انتصار خارجي أو داخلي براق. وعندما قبل السوريون أن يدفعوا الحرية السياسية ثمنا لوحدة مع عبد الناصر كان الوضع مختلفا فلم يكن عبد الناصر بطل الامة العربية وأمل تحررها فحسب بل كان النظام السياسي السوري قد تهر أو احترق، وسقط اكثر من مرة، بل كان الشعب السوري يريد أن يتخلص من ديكتاتورية قبلية يمارسها السراج الى ديكتاتورية متحضرة يمثلها عبد الناصر.. ومع ذلك لم تطق سوريا صبرا على هذه فضحت بالوحدة على امل استرداد الحرية وخسرت الاثنين.

ورغم كارثة الانفصال السوداني، فان الزعامة الناصرية لم تتعلم، أولم تقبل أبدا ان تضحي بالديكتاتورية واقامة نظام ديموقراطي جذاب لتحقيق الوحدة.. بعدما ثبت أنه يستحيل أن يقبل شعب أو بمعنى أصح القوى السياسية في أي بلد عربي التضحية بوجودها في سبيل الوحدة.

واذا كانت الوحدة الرسمية قد سقطت باختيار «الحزب الوطني الاتحادي» الانفصال (حتى ليبدو وكأن الانجليز قد تعمدوا نجاح حزب «الوحدة» في الانتخابات ليأخذ هو نفسه قرار الانفصال فيصبح اجماعيا) فأن الاجهزة المصرية لم تتكيف مع هذه الخسارة أو النكسة الاولى وتحاول تطويقها لتعطي العلاقات الطبيعية فرصة العمل في مناخ ودي، بل دخلت في حرب استفزاز ضد النظام السوداني الوليد.. مما ادى الى تحويل ما كان بالأمس جزءاً لا يتجزأ من الوحدة الوطنية الى عدو سياسي بل وعدو وطني!! واعطت الفرصة للتيار المعادي العميل للانجليز للبروز وتزعم السودان وحشد كل الشوفينية الوطنية، بل الكرامة السودانية خلفه بحجة الدفاع عن استقلال السودان ضد «التدخل» المصري!

وهكذا بعد خمس وخمسين سنة من الحكم الانجليزي للسودان، والحكم الرجعي في مصر، صوت الشعب السوداني بالاغلبية الساحقة للحزب الذي تقدم بشعار وحدة مصر والسودان.. وبعد أقل من عامين من حكم الثورة في مصر وتوليها «قضية السودان» صدر قرار الانفصال بالاجماع، وقاد زعيم حزب الاتحاد حملة «التصدي» لمصر ورفض هدايا مصر ورفض ارسال السودانيين للتدرب في مصر بل وانتقل الحكم للحزب الذي انشأه الانجليز والذي قام على عداوة مصر، والذي كان منبوذاً من المثقفين والوطنيين السودانيين يتحاشونه كما يتحاشى الاشراف اماكن الشبهات. فاذا به بفضل الاجهزة المصرية يصبح المسيطر على

السر الخطير!

هكذا كان المفهوم العام لواقعة النكسة السودانية، أو فقد ان نصف الوطن في مفهوم الوطنيين القدامى، وضياع فرصة وحدة وادي النيل عند الوطنيين الجدد. . مجرد هزيمة في مسلسل الهزائم التي حققتها الناصرية في قضايانا الوطنية والقومية المصيرية . .

ولكن بغدادي في مذكراته كشف عن واقعة مذهلة، وان كنا نرى اليوم ان «المذهل» هوأن لا تقع، فهي متفقة تمام الاتفاق مع تحليلنا ومع النظرية العامة التي تفسر ٢٣ يوليو وتفسر مسلكية عدد من ابرز نجومها والذين استمروا الى نهايتها. .

صلاح سالم كما قلنا شخصية دستوفسكية ، حاد الذكاء قد يصفه البعض بجنون كان اكثر بروزا في شقيقه جمال سالم، متحدث ساخر لاذع مع كثير من البذاءة والقسوة في النقد، وطني متطرف، مع ضحالة سياسية أدت الى سعيه للثقافة فسقط في مستنقع الشيوعية، وتولت السفارة السوفيتية «تجنيده» وتثقيفه. . وصلاح سالم شديد الطموح، رأى نفسه في مخدع الأميرة فايزة، ومرشح لرئاسة الجمهورية الاتحادية لمصر والسودان، واعتبر كما يقول حروش ان «محمد نجيب» نصف السوداني هو منافسه على هذا المنصب! أو هكذا أوحى اليه جمال عبد الناصر، ومن ثم استخدمه في تصفية «محمد نجيب» فأفحش في ذلك.

صلاح سالم عهدوا اليه «بقضية» السودان، واصبحت هذه قضية عمره يقترن مستقبله كله بنجاحه في تحقيق وحدة وادي النيل. . وقد تفرغ «صلاح سالم» لمحاربة الانجليز في السودان، ومحاربة «محمد نجيب» في القاهرة، وفي منتصف عام ١٩٥٤ بدا وكأنه قد نجح اكثر مما يجب في الاثنين، فقد سقط «محمد نجيب» واصبح الاتحاد مضمونا كما قال هو. . وبدأ الانحدار. .

لعبة السلطة كانت تستهدف ضرب نجيب بصلاح والتخلص من صلاح باستنزافه في هذه المعركة، ولكن ذلك لم يكن بالجانب المثير، بل ان صلاح اكتشف ان قوى مصرية تعمل ضده في السودان وتنفذ مخطط الانفصال!

هذه هي الحقيقة الرهيبة التي اكتشفها صلاح سالم، واخفيت عن المصريين ما يقرب من ربع قرن الى ان كشفها بغدادي بصورة سيئة سلبية غير منصفة لرفيق السلاح. . .

قال بغدادي ان صلاح سالم طلب عقد المجلس (مجلس الثورة) يوم الخميس ٢٥ أغسطس ١٩٥٥ ليعرض عليه موقف مصر من الاتحاد مع السودان. وقد انعقد المجلس بغياب عضوين هما جمال سالم وانور السادات. واستدعا المجلس اللواء صالح حرب وزير

الحربية الاسبق والرجل الذي وهب عمره للسودان، والذي كان يعتبر عند السودانيين «الاب الروحي»، وكذلك الاستاذ خليل ابراهيم (؟).. وكان ملخص رأيهما الآتي:

«ولقد قاما بشرح الموقف موضحين أن قيام مصر برشوة كثير من السياسيين السودانيين والمشتغلين هناك كان له أثر سيء على أغلبية أفراد الشعب السوداني. حتى أصبح الشك يتناول كل شخص يتعاون مع مصر لاعتقادهم أن وراء هذا التعاون منه رشوة وقد حصل عليها من مصر. وهذه الصورة السيئة جعلت الكثيرين ممن يؤمنون بالاتحاد مع مصر يبتعدون عن التعاون معها درءاً لهذا الشك ـ كما وأن نور الدين رئيس الحزب الاتحادي هناك والذي تعتمد عليه مصر ضعيف وليست له شخصية، والملتفون من حوله قلة لا تذكر. وقد خلصنا بعد سردهما لهذا الموقف الى أن الأمل في اتحاد مصر مع السودان قد أصبح ضعيفاً للغاية وليس هناك من حل غير إعلان استقلال السودان».

وكانت هذه أول مرة تنفق فيها الاموال على هذا النحو في بلد متخلف مازال يعيش في اخلاقيات قبلية، فحدث سعار في العناصر الضعيفة، وتقزز في غالبية العناصر السياسية التي تحترم نفسها، ونفور واتهام من القواعد المثقفة، وتدخلت المخابرات البريطانية بجذورها الضارية في كل مكان وخبرتها الابليسية فاتهمت كل مؤيد للاتحاد بالقبض، ونشرت الاساطير حول المال المصري واذا كان «محمد ابو نار» قد اكد ان كل الذي انفق هو نصف مليون جنيه فقط، ومع خصم العمولات.. وطباخ السم بيدوقه... الخ. فمازال المبلغ مهولا بمقاييس مصر والسودان في مطلع الخمسينات وكل ما عرضته الدولة المصرية على «الدولة» السودانية ٣/٤ مليون جنيه لتحسين الاوضاع.. فنصف مليون رشاوي القطاع الخاص ليست بسيطة.

المهم ان صالح حرب وضع صوابعه في الشق، وقال في مواجهة مجلس الثورة انه «لا حل بعدما فعلوه الا التخلي عن السودان».

ولاحظ ان جميع الروايات على اختلاف المصادر من وزراء سابقين الى اعضاء مجلس ثورة الى ضباط احرار يمينيين وماركسيين الى صحفيين، كلها تجمع على ان المسئول الاول عن انفصال السودان هو مجلس الثورة..

ويكمل بغدادي القصة فيقول انه بعد شهادة صالح حرب والاستاذ «خليل ابراهيم» راح صلاح سالم يفتش عن قلم يكتب به استقالته! ويفهم من تطور الاحداث انه عثر على قلم وكتب الاستقاله، واختلى بالزعيم وعاد اليهم يبلغهم انه اتفق معه على الاستقالة من جميع المناصب مع البقاء في مجلس الثورة، واتفق معه ايضا على ان «جمال عبد الناصر يقوم بالسفر باكر (على ودنه) الى السودان ليعلن بنفسه هناك هذا الاستقلال عند اجتماع البرلمان السوداني»[10].

وواضح ان الرجلين قد غرر كل منهما بالآخر. . فصلاح سالم يريد توريطه وتحميله مسئولية اعلان ذلك للشعب المصري، وتعريضه لمخاطر لا حدلها في السودان المعبأ بكراهيته على جميع المستويات، وحيث تقام صلوات الغائب والليالي السياسية تحية لضحايا عبد الناصر من الاخوان والرفاق. واكثر من واضح ان آخر ما يفكر فيه الزعيم هو السفر الى السودان لاعلان النبأ السعيد!! فضلا عن أن يسافر باكر أوكما يوضحها بغدادي للتفكه (اي في اليوم التالي لاجتماعنا»!)

كسب وقت قبل كسر العنق. .

ولكن «صلاح سالم» المفلوت اللسان كما وصف نفسه، والضعيف بشكل مثير في فن التآمر، سرعان ما وقع بلسانه في المناقشة وقال «انه يخشى أن يقوم السودانيون الشماليون بالانتقام من المصريين الموجودين هناك»!

ولذلك يقترح ارسال عبد الناصر الى هناك وباكر. . الى هذا الحد كان «يحب» الرئيس!. .

«وتكلم صلاح أيضا عن ضرورة سفر جمال عبد الناصر في اليوم التالي لاجتماعنا ليعلن بنفسه استقلال السودان في اجتماع البرلمان هناك ـ وأن يحمل النواب السودانيين هذه الامانة ليصبح هو ـ أي جمال عبد الناصر ـ بذلك بطل استقلال السودان ـ على حد تعبيره ـ واعترضت على هذا الاقتراح منه مبينا أنه لا يصح أن يذهب الى هناك رئيس النظام هنا في مصر ليعلن بنفسه هذا الاستقلال لأن ذلك سيترتب عنه صدمة للرأي العام الداخلي في مصر. حيث أنه من المفروض أن يذهب جمال إلى هناك ليعود ويعلن أنه قد تم الاتفاق بينهم وبيننا على الاتحاد، لا على الاستقلال. خاصة أن الرأي العام في مصر معتقد بأن الاتحاد سيتم فعلا كما تشير بذلك وسائل الاعلام عندنا.

«وأما بالنسبة إلى اعلان استقلال السودان فوراً فقد اعترض كل من عبد الحكيم وأنا على اتخاذ هذه الخطوة من جانبنا دون القيام بعمل التمهيد اللازم لها، قبل اعلانها حتى لا يكون ذلك مفاجأة للشعب المصري وصدمة له. واقترح السعي إلى محاولة ايجاد جو من الثقة المتبادلة بين السودانيين وبيننا وأن نتركهم هم يقررون الاستقلال عند تقرير المصير، بأمل أن يتم أي نوع من التعاون أو الترابط بين البلدين ـ إن توافرت بينهما الثقة ـ ولقد اتفق معنا جمال عبد الناصر في هذا الرأي.

أبو نار يشرح الموقف:

وطلب صلاح من المجلس أن يستمع الى مساعده في شئون السودان اليوزباشي محمد أبو نار ـ وطالباً أن نستمع إلى رأيه بعد أن نصدر قرارنا في الموضوع حتى لا نتأثر بما سيقوله لنا ـ وذلك على حد قوله ـ ولكننا رأينا أنه من الافضل الاستماع اليه أولا. وشرح أبو نار الموقف

بالسودان وأعطى للمجلس هو الآخر صورة سوداء عن الوضع هناك وموضحا ان ليس هناك اي امل في الاتحاد. ثم استأذن صلاح المجلس بعد ذلك في ان ينسحب من الاجتماع حتى يقرر المجلس ما يراه دون أن يسبب له حرجاً بوجوده فيه».

وهنا سنرى بغدادي متعاوناً تمام التعاون في حماية عبد الناصر، مستعدا ومبادرا في تضليل الرأي العام! فهو يعترض على سفر جمال عبد الناصر الى السودان لاعلان استقلاله كما اقترح «صلاح سالم» سواء عن سوء نية لتحميلها الجمال. أوعن رغبة في أن لا يتحمل وحده المسئولية التاريخية في انفصال السودان، فلم يكن يخطر في باله انها ستمحى هكذا من ذاكرة الجماهير. . بل ستكون المثل البارز على اكذوبة ما يسمى بالرأي العام والرفض الشعبي. . الخ. . اذ استطاع حفنة من الضباط بلا رصيد سياسي معتمدين على القمع وحده، تحطيم هدفا وطنيا متأصلا في عقيدة الجماهير الى حد التقديس دون خسارة على الاطلاق.

اما فكرة اعلان الاستقلال، فيحتمل ان صلاح اقتنع بها لكي لا يتم وكأنه موجه ضد مصر، فنخسر الجلد والسقط كما يقولون. . لأن السودان يدين لمصر باستقلاله المبكر جدا. . ولكن سلوك الناصريين جعله يبدو وكأنه انتزع من مصر وان بريطانيا هي التي دبرته لهم!

ولذا طلب بغدادي أن يتم تضليل أو «تمهيد» الرأي العام لقبول صدمة الانفصال. .

وللجيل الذي خدعوه، وقالوا ان السودان كان عبئا، وفخا ارادت اسرائيل ان تنشغل مصر به! تكفي شهادة عبد الناصر نفسه الذي قال: «اذا كان سيذهب للسودان ويعلن استقلاله. . فالافضل ان يتوجه بعد ذلك، الى الكونغو ولا يعود الى مصر بعد أن يعلن هذا الاستقلال» مع انه وافق صلاح في «الخلوة» على السفر باكر ولكنهما كما قلنا، كان كل منهما يسحب رجل الآخر!

كان لابد من تدويخ الشعب المصري لينسى السودان، وهو ما حققته سلسلة عمليات صفقة السلاح وباندونغ وعدم الانحياز وحلف بغداد ومعركة السد وتأميم القناة، ثم العدوان الثلاثي والخوف على مصر ذاتها والموقف المخزي لحكومة السودان وقتها، ثم الانتصار، مع شيء من السجن والاعتقالات والخوف والجوع والبطش، والكثير من التعتيم على الحقائق والمعلومات. . ونسي السودان، ولم يضطر عبد الناصر للذهاب الى الكونغو، فقد ارسل وعي الشعب ووحدة وادي النيل بدلاً منه الى هناك. . وان كان لم يفته ارسال الجيش بعد ذلك للكونغو! . .

وقبلت استقالة «صلاح سالم» بالأغلبية كما يقول بغدادي، ولكن باحصاء الاصوات نجد انها ٤ أصوات من تسعة هم اعضاء المجلس وهي ليست اغلبية. . والذين قبلوا الاستقالة هم عبد الناصر وزكريا وعامر وحسين الشافعي ورفضها كمال الدين حسين

وحسن ابراهيم وبغدادي، مما يؤكد ان الخلاف كان مع عبد الناصر ومجموعته، وان مجموعة بغدادي أو جبهة الرفض كانت قلوبها مع صلاح وسيوفها عليه.. رغم ان بغدادي يقرر: «ان صلاح لم يكن الا منفذا لسياسة المجلس في السودان. ولم تكن تلك السياسة سياسته هو....».

وهذا صحيح ومن ثم فقد ظلم ظلما بينا بتحميله مسئولية ما جرى والاطاحة به بحجة ذلك، ولكن هذا هو اهون ما في الامر، الذي لم يعرفه بغدادي وقتها ومازال يرفض أن يعرفه، ان ما كان ينفذه صلاح سالم على انه سياسة المجلس، لم يكن سياسة «الجهات العليا» وانه كان يوجد جهاز آخر من زكريا وعلي صبري وحسين ذو الفقار صبري وحمدي عبيد وعبد الفتاح حسن ينفذ سياسة أخرى تماما..

ولا نستبق الاحداث..

يشهد بغدادي: «وكان صلاح نفسه مؤمنا ايمانا قويا وعميقا بالقضية».

وهذه حقيقة لاشك فيها امتزجت فيها الوطنية، مع القناعة المصرية الراسخة لهذا الجيل بتقديس وحدة وادي النيل، مع الطموح الفردي للنجاح في اخطر مهمة عهد له بها، مع الآمال في رئاسة جمهورية وادي النيل، أو اتحاد جمهوريات وادي النيل.. ومن ثم لا يمكن القول ان السودان كان عند صلاح تاكتيك أو وسيلة في لعبة السلطة!.

ورأى «صلاح سالم» أنه قد اعتصر ولم يبق الا أن يقذف به في سلة المهملات حاملا عار فصل السودان، وان عبد الناصر غرر به عندما اتفق معه على ان يستقيل هو مقابل أن يسافر عبد الناصر الى السودان ويعلن استقلاله.. فقبلت الاستقالة، وسخر جمال من فكرة السفر، واكد أن الذي يتحمل مسئولية «استقلال» السودان يحسن ان يذهب الى الكونغو ولا يعود الى مصر..

وانفجر صلاح سالم وقرر أن ينسف المعبد، وان ينطق بالسر الذي أراد كتمه حتى يتحمل عبد الناصر مسئولية سياسته (اي سياسة ناصر) قرر أن يتكلم.. فكان هذا السر الرهيب:

اجتمع مجلس الثورة.. بغياب انور وجمال سالم وفجر صلاح القنبلة قال والراوي بغدادي فقد مات صلاح قبل ان تتاح له الفرصة ليقول كل شيء: قال بغدادي «قال صلاح انه شعر ولمس بالأدلة الملموسة بأن هناك جهات حكومية أخرى وأشخاصاً مسئولين يعملون على استقلال السودان ويشجعون المسئولين السياسيين هناك على السير في هذا الاتجاه. وقد بين أن جمال عبد الناصر كان يعلم بهذا التصرف منهم ولكنه لم يتصرف معهم بالمؤاخذة. ولكن صلاح في أثناء حديثه هذا كان يحاول أن ينفي أن جمال عبد الناصر يداً فيما يجري. ولو أنه في نفس الوقت كان يحاول ان يوقع اللوم عليه. وكان يفهم من سياق حديثه

ان جمال عبد الناصر نفسه يشجع هذه السياسة.

وما ذكره صلاح يتلخص في أن هناك سياسة اخرى تدعو الى استقلال السودان، وأن جمال عبد الناصر يؤيد هذه السياسة. وأراد صلاح أن يثبت وجهة نظره هذه فأورد بعض الأمثلة متهماً بها حسين ذو الفقار صبري عضو لجنة الحاكم العام بالسودان والقائمقام عبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشئون السودان والقائمقام حمدي عبيد رئيس أركان القوات العسكرية بالسودان. وطالب صلاح المجلس بأن يوجه الاتهام اليهم. وأن يستمع الى اقوالهم في هذا الشأن. وهو نفسه لن يحضر هذا الاجتماع اثناء مواجهتهم. وأن علاقته بمجلس الثورة ستحدد في المستقبل على ضوء ما سيتخذه من اجراءات ضدهم. وقد بين ان استقالته مشروطة بتغيير السياسة. وذلك باعلان استقلال السودان فوراً.

وانصرف المجلس بعد أن استمع الى هذا الحديث من صلاح. على ان يجتمع ثانية في مساء نفس اليوم - أي الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٥٥ - وفي هذا الاجتماع الثاني حضر أنور السادات بعد أن عاد من بورسعيد. وطلب سماع الاستاذ احمد قاسم جودة الصحفي بجريدة الجمهورية والذي كان قد زار السودان من فترة بسيطة.

جبهة عبد الناصر وجبهة صلاح سالم:

«ولقد حضر وأعطى صورة للمجلس عما لمسه وسمعه في الخرطوم وبادئاً حديثه بأنه عندما نزل من الطائرة في مطار الخرطوم وجد في انتظاره القائمقام حمدي عبيد، وقد ابتدره بقوله «اظن ان الرئيس قد أرسلك لتعطيه صورة كاملة عن حقيقة الموقف هنا بعد عودتك؟» ولكنه أجابه على هذا التساؤل منه بأنه لم يوفد من قبل الرئيس، وأنه حتى لم يقابله قبل سفره - ولكنه قابل صلاح. ويستطرد قائلا انه شعر أن الناس هناك تعتقد انه هناك جبهتين خاصة بمسألة الاتحاد مع السودان - جبهة جمال عبد الناصر - وجبهة صلاح سالم. وأن - سمعة مصر هناك أصبحت سيئة للغاية بسبب الرشوة التي تعطى وتبذل لكل انسان حتى في الشارع - على حد قوله - مما دعا الناس الى الشك في كل من يتكلم اويدعو الى الاتحاد مع مصر على ان وراء دعوته رشوة قد دفعت اليه. وذكر ان المسئولين هناك يهاجمون مصر بأقسى الكلمات في الحفلات الرسمية وحتى في البرلمان السوداني نفسه. وأن كل المسئولين في السودان قد اساءهم مهاجمة مصر لاسماعيل الازهري في الصحافة والاذاعة المصرية وقد أضر ذلك بالعلاقة بين البلدين. وان الكل في السودان اصبح يدعو الى الاستقلال. كما اوضح ان الصورة التي تعطيها الصحافة المصرية عن الموقف في السودان تختلف تمام الاختلاف عن الحقيقة هناك. وأن هذا ليس من الحكمة في شيء. ولابد أن تعطي

صحافتنا الصورة الحقيقية للموقف. وذلك لاشراك الشعب في تلك المشاكل والتعرف عليها. وحتى لا يفاجأ مستقبلاً بالحقيقة وتكون صدمة له.

وذكر ان نور الدين والذي لايزال واقفاً مع مصر، ويدعو الى الاتحاد، ضعيف ولا شخصية له. وأن جبهته في البرلمان السوداني لا تتعداه هو وشخص واحد آخر معه. وأن انتسابه الى فكرة الاتحاد مع مصر تسيء اليها. وقد أشار من طرف خفي الى ان السودانيين قد فقدوا الثقة في صلاح.

وفي النهاية خرج بنتيجة أنه لا أمل هناك يرجى في نجاح وتنفيذ فكرة الاتحاد بين مصر والسودان ـ نظراً لتلك الظروف. ومقترحاً بأنه لابد من اتخاذ خطوة جريئة لانقاذ الموقف.

وهنا سأله زكريا «ماذا تقصد بخطوة جريئة؟»، وقصد بسؤاله أن يفصح قاسم جودة عن فكرته ويوضحها. فرد قاسم جودة عليه بقوله «أنه يرى مثلا ان يصدر بياناً من الرئيس يصرح فيه بأن مصر لن تتدخل في شئون السودان الداخلية. وأنه يهم مصر أن تكون على علاقة طيبة باخوانهم السودانيين». وذكر لنا قاسم جودة أيضا كل الاحاديث التي جرت بينه وبين بعض المسئولين هناك. وعما دار كذلك في المؤتمر الصحفي الذي كان قد عقده الأزهري وبعض الوزراء.

أسباب تحول الحزب الاتحادي:

واستدعى المجلس بعده عبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشئون السودان وكذا حسين ذو الفقار صبري عضو لجنة الحاكم العام بالسودان وطلب منهما ان يشرحا للمجلس الأسباب والظروف التي جعلت الحزب الاتحادي السوداني يتحول من دعوته الى الاتحاد مع مصر الى الدعوة الى الاستقلال. وهل لايزال هناك أمل يرجى في الاتحاد ـ ولمن ستكون له الغلبة في المستقبل بعد تقرير المصير؟ وهل ستكون لحزب الامة أم للحزب الاتحادي؟ وكذا موقف السيد احمد الميرغني والسيد المهدي واسماعيل الازهري ومستقبل كل منهم السياسي وقوته في المستقبل في السودان، وذلك حتى يتمكن المجلس من أن يرسم السياسة المستقبلة مع السودان على ضوء هذه المعلومات.

وتكلم كل من عبد الفتاح حسن وحسين ذو الفقار صبري وكان كلامهما مسلسلا ومرتبا ويتفق مع المنطق ويخلصان من ذلك في النهاية الى النتائج. ورأيهما كان واحداً تقريباً. وقد أثارا كلامهما كل النقاط التي سبق وذكرها كل من اللواء صالح حرب وقاسم جودة عن ضعف نور الدين. والنتائج التي ترتبت عن فصل اسماعيل الازهري من الهيئة التأسيسية للحزب الاتحادي. ومهاجمة وسائل اعلامنا له. والرشوة والضرر الذي نتج عنها. كما تكلما

عن ماضي السودان وقوة المهدي واعتماده على قوة شعبية كبيرة منظمة ومدربة وذلك بخلاف الميرغني الذي يعتمد على الختمية وربما تكون أكثر عددا من الانصار التابعين للمهدي ولكنهم غير منظمين ولا مدربين. وأنهما لذلك يعتقدان ان النصر في النهاية بعد تقرير المصير سيكون للمهدي. وأشارا الى ان الازهري ليس من الختمية ولا من الانصار ولذا فهو النقطة التي يلتقى عندها كل من المهدي والميرغني، وان الميرغني لا يهمه السودان ولا أي شيء غير ان يكون الرجل الاول في السودان، وأن كرهه للمهدي شديد للغاية. وكانت النتيجة النهائية لاستنتاجهما ومعلوماتهما أنه اصبح لا أمل هناك يرجى في الاتحاد ـ بل سيطالب السودانيون كلا من مصر وانجلترا باعلان استقلال السودان بعد يوم ٢١ نوفمبر القادم مباشرة ـ وهو اليوم المحدد لجلاء كل من الجيش المصري والجيش السوداني عن السودان.

واقترح عبد الفتاح حسن اعلان مصر استقلال السودان فوراً حتى يصبح وكأن مصر هي التي اخذت بنفسها هذه الخطوة قبل تقرير المصير لاثبات حسن نيتها ولاعادة الثقة بين البلدين وذلك بدلا من ان يحصل السودان على استقلاله رغم ارادتنا. وعلى أن تقوم مصر بعمل ميثاق وطني مع كل زعماء السودان يتم فيه الاتفاق على مياه النيل، وعلى عدم ارتباط السودان بأية معاهدات او أحلاف عسكرية مع أية دولة أجنبية.

وقد تناقشنا معهما طويلا حول فكرة اعلان استقلال السودان فوراً. ومدى تأثير ذلك على الرأي العام الداخلي في مصر. خاصة وأن الشعب المصري لا يعلم شيئاً عن حقيقة موقف الاتحاد مع السودان. والامر يستلزم ضرورة القيام بعمل تمهيدي يسبق هذا الاعلان المقترح. حتى لا يصدم الرأي العام عندما يفاجأ بتلك الحقيقة.

وفي النهاية وجه اليهما جمال عبد الناصر الاتهامات التي كان صلاح قد ذكرها في اجتماع صباح نفس اليوم. وطلب منهما الاجابة على تلك الاتهامات، ولكنهما نفيا عن أنفسهما تلك التهم مؤكدين أنهما لم يعملا إلا لتحقيق الاتحاد مع السودان. ذلك لأن هذه هي سياسة الدولة وهما مرتبطان بها.

وبعد انصرافهما بدأ المجلس في استعراض الموقف ومناقشته.

ولقد وافق المجلس على عدم اعلان استقلال السودان. ورأى العمل فوراً وترك مسألة اعلان استقلاله ليقررها السودانيون أنفسهم عند تقرير المصير.

ولما كان الأمل في الاتحاد قد اصبح ضئيلاً ـ لذا رؤى ان نسعى الى تحقيق ولوجزء بسيط منه في شكل رابطة أوتعاون بين البلدين. مع ترك هذا الأمل المنشود في اقامة الاتحاد للأجيال القادمة لتعمل هي على تحقيقه.

وكان جمال عبد الناصر قد أبدى تراجعه عن رأيه السابق في أن يتولى هو مسألة السودان لأنه ـ على حد تعبيره ـ موضوع فاشل. وهو لا يحب لنفسه أن يصبح فاشلاً. كما ذكر ان

الامر ايضا سيحتاج منه الى الدفاع عن سبب فشل الاتحاد مع السودان ـ وهو لا يمكنه الدفاع عنه لو تولى تلك المسئولية. وذلك بخلاف الروح التي يمكنه ان يدافع بها لو كان بعيداً عنها. ومحاولته اقناع الرأي العام في مصر ان انسحاب انجلترا من السودان يعتبر في حد ذاته نجاحاً كبيراً. وطلب جمال من المجلس ان يترك له حرية اختيار الشخص الذي سيكلف بهذه المهمة بدلاً من صلاح.

أجازة لصلاح سالم:

وقد بدأ المجلس بعد ذلك في مناقشة استقالة صلاح سالم ثانية. وكان رأي انور السادات بعد عودته من بورسعيد هي قبول استقالته. كما كان هذا الرأي هو رأي زكريا كذلك. ولقد تحول رأي كمال الى هذا الاتجاه أيضاً ـ وأما حسين الشافعي فلم يتكلم ويبدي رأيه. وكان رأي جمال عبد الناصر إما استمرار صلاح بدون أي تغيير في الوضع القائم أو قبول استقالته ـ وأنه ليس هناك حل وسط. وكان واضحاً من موقف عبد الحكيم أنه مع هذا الرأي ايضا. وكنت أرى ان نأخذ حلا وسطا بحجة انني لست متصوراً الهزة التي ستحدث للنظام داخلياً عندما ستعلن استقالة صلاح دون أية مقدمات. وأن ذلك سيكون اعلاناً عن فشل مسألة الاتحاد مع السودان. وأن هذه الخطوة من جانبنا لو اتخذت فانها تعادل اعلان استقلال السودان تماماً.

ولكن جمال عبد الناصر عارض هذا الرأي بحجة أنه ليس هناك حل وسط. وتمسك بوجهة نظره السابقة. وقد تكلم عبد الحكيم مؤيداً الرأي الذي أبديته. وموضحا ان استقالة صلاح ستكون تقوية للسودانيين وربما تزيد من تشددهم ـ على حد تعبيره ـ وأضفت على قول عبد الحكيم انهم سيعتبرون استقالة صلاح اعترافاً منا ضمنياً بالموافقة على استقلال السودان. وهذا سيقضي على بقية الأمل الضعيف في امكانية تحقيق الاتحاد. وذكرت ان استقالة صلاح مشروطة كذلك بضرورة تغيير السياسة المتبعة وذلك باعلان استقلال السودان فورا. وقد اعاد المجلس قراءة استقالته وتم تقليبها على أوجهها المختلفة ولكنها كانت تقبل هذا الشرط. وقد أيدني في هذا الموقف كل من عبد الحكيم وحسن ابراهيم.

ثم تكلم جمال عبد الناصر ثانية قائلا انه يعتقد ان ما قيل صحيح ولذا فهو يرى أن يأخذ صلاح أجازة. وذاكراً أن السودانيين لابد سيعلمون بها وربما يسعون هم الى الاتصال بنا ـ فان رأينا منهم استعداداً للتفاهم معنا فعلينا في هذه الحالة ان نسير معهم في اتجاه جديد محاولين استرداد الثقة بيننا وبينهم ـ وان لم يكن فيعود صلاح ثانية ويستمر في مهمته.

ولقد وافق المجلس على هذا الرأي ثم أخذ في مناقشة الاجراءات التي يمكن اتخاذها مع

كل من عبد الفتاح حسن وحسين ذو الفقار صبري لأن صلاح كان قد بنى اهمية على ما سيتخذ حيالهما. واتفق على أن يعطي لعبد الفتاح حسن اجازة هو ايضا مع صلاح. وأما حسين ذو الفقار فلقد كان له وضعاً خاصاً بحكم انه عضو في لجنة الحاكم العام بالسودان. ولذا فقد رأى تأجيل اتخاذ اجراء معه.

ولما ذهبت اليه مع حسين وجدنا عنده السفير الروسي، وكان يتكلم معه عن مسألة السودان. وقد أهداه السفير في نهاية الزيارة بعض الكتب عن روسيا والدستور الروسي. وكان صلاح مهتماً بها أشد الاهتمام. وبعد أن انصرف السفير الروسي ذكر لنا صلاح أنه كان قد اتصل بجمال عبد الناصر بعد أن اتصل بي وابلغه بمضمون القرار الذي ذكرته له. وان جمال عبد الناصر اكد له ان ما قلته هو فعلا القرار، ولكنه ـ أي صلاح ـ اعترض عليه اثناء حديثه معه.

وقام صلاح واتصل بجمال عبد الناصر تليفونيا وكان في حالة عصبية شديدة وقال له «ان البغدادي وحسن موجودان عندى الآن ولكن لابد ان تعلم ان هناك مؤامرة كبرى تدبر لعدم اتمام اتحاد مصر مع السودان» ويشترك في هذه المؤامرة بعض المسئولين من داخل مجلس الثورة نفسه ومن خارجه. وأن الذي سيؤدي بالبلاد الى التهلكة هو زكريا محيي الدين وعلي صبري (مدير مكتب جمال عبد الناصر للشئون السياسية) وبكره تعرف انني قلت لك هذا. أن علي صبري ينفذ سياسة الامريكان والانجليز بعدما طلبت اشتراك روسيا في لجنة تقرير المصير ورأوا ان يتخلصوا من صلاح سالم ـ وكيف تثقون في كلام صحفي لا يعرف شيئاً عن السودان، وكل ما أمضاه هناك ٢٤ ساعة في الخرطوم ـ وكيف يبت المجلس في هذه المسألة وهو لا يعرف دقائقها؟». ومستطرداً قائلا: انه يلمس اتحاد السودان مع مصر كما يلمس جمال عبد الناصر نفسه تماماً.

وقد اتهم أنور السادات ايضا في الاشتراك في هذه المؤامرة المزعومة وذلك لارساله قاسم جودة الى السودان. وذاكرا ان قاسم جودة قد أدلى بتصريح هناك على انه موفد من قبل انور السادات لمعرفة حقيقة الوضع بالسودان لابلاغها الى الرئيس جمال عبد الناصر.

وبعد ان انتهى صلاح من حديثه مع جمال أبلغنا أن جمال يطلب منا ان نذهب اليه. ولكن الصمت كان قد خيم علينا بعد حديث صلاح عن تلك المؤامرة المزعومة، والتي تحاك ضد اتحاد مصر مع السودان.

وبعد فترة قصيرة انصرفنا من عنده. وأخذنا طريقنا الى مبنى مجلس الثورة. ووجدنا هناك جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين الذي دعاه جمال للحضور. ثم حضر عبد الحكيم. وطلب منا أن نقص عليهم ماحدث. فذكرت لهم حديث صلاح معي في التليفون في الصباح. ثم حديثنا معه بعد ان التقينا به، وقرار المجلس الذي اتخذ، وتعليق صلاح

عليه بأن الاجازة معناها الاستقالة، ورفضه تنفيذ هذا القرار. وأن استقالته ـ كما ذكر ـ مرتبطة باعلان استقلال السودان فوراً. ثم تكلم جمال عبد الناصر كذلك عن حديث صلاح اليه وتلك المؤامرة المزعومة.

وفي اثناء اجتماعنا هذا حضر صلاح فجأة ودون سابق علم عن حضوره. وبدأ يتحدث عن وجود تلك المؤامرة الكبرى ـ على حد قوله. ومن أن لديه المستندات التي تثبت ذلك. وأطلعنا على برقية من الصحفي اللبناني جبران حايك والذي كان بالسودان بدعوة من الحكومة السودانية. وقد تواجد هناك أثناء وجود قاسم جوده بها. وهذه البرقية التي أطلعنا عليها كانت مرسلة من جبران حايك الى احد وزراء اسماعيل الازهري واسمه «يحيا الفضلي» ويبلغه فيها أنه ـ أي جبران ـ قد اطلع جمال عبد الناصر على وجهة نظرهم. كما ذكر ايضا انه قد اطلعه على حقيقة الموقف بالسودان. وأن مجلس الثورة قد اجتمع على اثر هذه المقابلة لمدة عشر ساعات. وطمأنهم في النهاية خيراً. وانه سيرسل اليهم التفاصيل فيما بعد. كما قرأ صلاح علينا ايضا ما جاء بنشرة المخابرات المصرية والمرسلة من السودان. وقد جاء بها أنه قد سرت اشاعة في السودان عن أن صلاح سالم سيتنحى عن مسألة السودان وسيتولاها بدلا منه انور السادات. وكانت هذه المعلومات مؤرخة بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٥٥. وقد ربط صلاح بين هذه المعلومات وبين ارسال أنور لقاسم جوده الى السودان. وحاول ان يبرز ان هذه المؤامرة المزعومة تهدف الى ابعاده عن قضية السودان ليتولاها انور بدلا منه..

وبعد أن انتهى صلاح من حديثه سأله جمال عبد الناصر عن أسماء الذين يتهمهم من أعضاء مجلس الثورة في هذه المؤامرة.

فأجاب بأنه يتهم أنور السادات وكذا علي صبري بحجة أنه يقوم بتنفيذ سياسة الامريكيين والانجليز في هدم صلاح وابعاده عن مسألة السودان، بعد ان اقترح اشراك روسيا في لجنة تقرير المصير.

وسأله جمال عبد الناصر: «ألست انت الذي اقترحت اعلان استقلال السودان، وذكرت انك اصبحت كرتاً محروقاً، ومن أنك ستختفي نهائيا من عالم السياسة، كما صرحت لي بأنك كنت تخفي عني بعض المعلومات التي تشير الى سوء الموقف في السودان».

وطلب منه جمال أن يعيد ما سبق وذكره صلاح عندما انفرد به في مكتبه يوم تقديم استقالته. فأعاد صلاح ما كان قد سبق وذكره لنا جمال. ولكنه حاول ان يبين ان هذه كانت مناورة منه لكشف المؤامرة التي تهدف إلى ابعاده ـ على حد قوله.

(مناورة على مناورة؟! ج)

وبعد ذلك تناولنا الغداء وأخذنا قسطاً من الراحة.. ثم اجتمع المجلس ثانية ولكن

بدون صلاح.
وبعد أن هدأت ثورة بعض الاخوان على صلاح - تكلم جمال عبد الناصر قائلا «مسألة السودان قد انتهت لأن مجلس النواب السوداني سيجتمع باكر في الساعة العاشرة صباحا ليقرر عمل استفتاء على تقرير المصير ومعنى هذا استقلال السودان. وقد طلب السفير البريطاني مقابلة صلاح ليتكلم معه في هذا الشأن لان هذا يعتبر تغييراً في الاتفاقية ولابد من اخذ موافقة كل من مصر وبريطانيا. وقد أذاعت لندن ان مصدراً مسئولاً في الحكومة البريطانية قد صرح ان انجلترا ليس لديها مانع من الموافقة على مبدأ الاستفتاء». ومستطرداً «وإذا كان هذا هو موقف انجلترا فلن يمكننا المعارضة. والمشكلة الان اصبحت مشكلة صلاح وهي تحتاج الى حل».
واقترح جمال عبد الناصر أن تؤخذ الاصوات على إعطاء صلاح إجازة من عمله. ولقد وافق المجلس بالاجماع على الاجازة. ثم اخذ قرارا من المجلس ايضا بالاجماع على عدم اعلان هذا القرار. ثم نوقش الاجراء الذي سيتبع مع عبد الفتاح حسن وحسين ذو الفقار صبري. فتم الاتفاق على ان يستقيل عبد الفتاح حسن وتعلن استقالته. وأما حسين ذو الفقار صبري فقد وافق المجلس على مبدأ استقالته ايضا ولكن نظراً لانه عضو في لجنة الحاكم العام فلقد ترك الامر لجمال عبد الناصر ليختار من سيحل محله، كما اتفق الاعضاء على ان يتولى جمال عبد الناصر مسألة السودان. وطلب هو أن يعاونه احد اعضاء المجلس في هذا الامر. فرشح له المجلس عبد الحكيم. ولكنه اختار زكريا بحجة ان لديه في المخابرات العامة جهازاً خاصاً بالسودان. ولقد حاول زكريا الاعتذار عن هذه المهمة ولكن المجلس وافق على ان يقوم بهذه المعاونة.
وذكرت لهم ايضا ما قاله صلاح عن خدماته التي أداها للسودان، ومن ان الولايات المتحدة وبريطانيا قد نجحتا في سياستيهما، وتمكنتا من ابعاده، وأنه قال معلقا على ذلك ان هذه مسألة سهلة بالنسبة اليهما - فاذا كانت مصر (المفعوصة) - على حد تعبيره - بتأثيرها بتعيين رئيس جمهورية سوريا - ويقصد به شكري القوتلي - وبتأثيرها ايضا بتسقط رئيس وزراء لبنان - ويقصد بذلك عبد الله اليافي - وانه ليس من الصعب عليهما اسقاط صلاح سالم. وأنهما لا يمكن ان يسكتا عليه بعدما طالب هو بادخال روسيا وأوكرانيا في لجنة تقرير مصير السودان. وبعدما عمل ايضا على الافراج عن الشيوعيين المسجونين بمصر وترحيلهم الى السودان. وبعدما اتفق مع السفير الروسي على بيع اسلحة لنا مقابل تصدير قطن وأرز لروسيا، والدفع على آجال. وذكرت انه قال في النهاية. «على العموم لقد ذقت الأمرين في مسألة السودان، وما قاسيته في الشهر الاخير لا يمكن لأحد ان يتصوره. وأنني لم اكن اترك مكتبي يوميا قبل الثالثة أو الرابعة صباحا. ولم اكن ارى اولادي حتى في العيد رغم بكائهم

رغبة منهم في رؤيتي». كما تكلم عن ابنه المريض الذي يعالج بسويسرا. وصرح بأنه سيعود الى مصر يوم ١٠ سبتمبر ١٩٥٥. وسترافقه ممرضة للقيام بتمريضه، وأنه سيقوم بدفع اجر لها شهريا قدره ٣٦ جم.

ثم في نهاية حديثي أبلغت المجلس بطلباته والتي سبق ذكرها.

وتكلم من بعدي جمال عبد الناصر مبلغا المجلس ان مصطفى امين كان قد اتصل به تليفونيا في مساء اليوم السابق ـ أي ٢٩ أغسطس ١٩٥٥ ـ حوالي منتصف الليل. واخبره انه يود أن يبلغه بمسألة خطيرة علم بها ـ وذهب اليه مصطفى امين. وأبلغه ان صلاح هلال الصحفي بدار أخبار اليوم كان قد زار صلاح سالم صباح نفس اليوم في القناطر الخيرية. علم هذا الصحفي من صلاح أن هناك بعثة عسكرية من الجيش المصري قد سافرت الى روسيا لشراء أسلحة منها وذلك بعد ان تم الاتفاق معها. وان اول شحنة من طائرات الميج والدبابات قد شحنت فعلا الى مصر. وان مصطفى امين قد علق بعد ان ابلغ جمال بهذا الحديث بقوله انهم يتهمونه ـ أي مصطفى امين ـ بأنه امريكي ولكنه مصري اولا وقبل كل شيء. وأن الادلاء بمثل هذه المعلومات لها خطورتها.

ويقول جمال انه قد طلب مصطفى امين تليفونيا بعد ان غادره وطلب منه ان يعيد عليه ثانية الحديث الذي سمعه الصحفي صلاح هلال من صلاح ـ وكان ذلك بغرض ان يقوم جمال بتسجيله اثناء اعادة ذكره».

من الظلم البين ان نقيم موقف او اتهام صلاح سالم من واقع ما كتبه بغدادي. صلاح سالم كان منفعلا، وكان قد وضع يده على السر الخطير، ولكنه كان ايضا مذهولا من هول ما اكتشف، ولم تتح له الفرصة لتجميع كل الادلة، ولا لعرض ما لديه من مستندات مهما تكن قليلة، وهي لابد ان تكون قليلة، كما يفترض في لعبة بهذا الحجم والخطورة معا. .

وقد رفض طلبه «المحاكمة» وان كان يفهم من سياق الكلام أنه حتى الادلة البسيطة التي وجهها اقنعت المجلس باعطاء «عبد الفتاح حسن» اجازة، ثم اجباره على الاستقالة. ونفس القرار كان سيصدر ضد حسين ذو الفقار صبري لولا ان تعلل بعضهم بأنه عضو في لجنة الحاكم العام. . اي ان المجلس اقتنع بأنهم «ارتكبوا» ما يستحق العقاب والابعاد! . . . ولكن لا تحقيق يسألهم لحساب من وبتعليمات من؟ . . والمراكز التي نالها هؤلاء بعد ذلك تؤكد انهم كانوا يتمتعون بثقة الزعيم ووفائه، فقد اكرمهم وكافأهم. .

الفرصة لم تتح لصلاح سالم لشرح اتهامه والبرهنة عليه، وما طرحه تعرض لتشويه من طرف غير محايد، سبق التحقيق واعلن انها «مؤامرة مزعومة» ومن ثم اباح لنفسه ان يحذف ما اورده صلاح مكتفيا باشارة تقول «واورد بعض الامثلة متهما بها حسين ذو الفقار صبري (شقيق علي صبري ج) عضو لجنة الحاكم العام. . الخ. . . »

«تكشيرة» عبد الناصر على مائدة العشاء، رأى بغدادي ان يثبتها للتاريخ! ولكن «بعض الامثلة» التي يقدمها عضو مجلس قيادة الثورة في وزن «صلاح سالم»، الرجل الذي اعترف بغدادي انه وهب كل طاقته ثلاث سنوات لقضية السودان.. يقدم امثلة في اتهام بتآمر مسئولين مصريين على فصل السودان ولا تستحق ان يسجلها بغدادي!

خطأ فادح يفوق الخطيئة!

قلة وفاء لزميل لم يسيء اليه باكثر من تعليق لاذع بين الحين والحين... وغدر به بغدادي حيا، وساهم بل تولى ذبحه... ثم يغدر به ميتا فيصوره «للاجيال» بصورة المجنون!

ما حقك في اخفاء هذه الامثلة..؟ الا يكفي انها اخفيت عن المواطنين ثلاثين عاما؟!

صدقت ياصلاح: «ومن اين سيعرف التاريخ الحقائق»؟

لقد كانت خطوة كبيرة وجريئة وشريفة من بغدادي ان اثبت الواقعة أصلا وهذا دليل على براءته من اللعبة كلها، ولكنه مازال يعيش تحت تأثير قناعته وقتها بأنها «جنون» من صلاح.. وليكن ولكن المؤرخ لا يؤرخ بهواه، بل يثبت كل الحقائق ويترك «للاجيال» ان تفسر وتنتقي!..

بغدادي مطالب امام روح وذكرى صلاح، وأمام هذه الامة التي دفعت كل ما طلب منها باسم وحدة وادي النيل، بغدادي مطالب بذكر «بعض الامثلة»..

ـ اتهام صلاح سالم، عززته شهادة «احمد قاسم جودة»[11]، رجل «انور السادات» الذي جاء يشهد ضد «صلاح سالم» وهذا وحده يعطي ثقلا لما جاء في شهادته، معززا لاتهام صلاح بأن جمال كان يعمل ضده في السودان فقد شهد احمد قاسم جودة «انه شعر ان الناس هناك تعتقد ان هناك جبهتين خاصة بمسألة الاتحاد مع السودان.. جبهة جمال عبد الناصر وجبهة صلاح سالم»

هذا الشاهد جاءوا به خصيصا للشهادة ضد صلاح سالم فاكد ان الناس تعرف بوجود جبهتين: جبهة عبد الناصر وجبهة صلاح سالم وهذا دليل قاطع على ان الناس قد لمست:

ـ وجود نشاط مصري رسمي مضاد لنشاط واهداف صلاح سالم فيما يتعلق بمسألة الاتحاد..

ـ ان هذا النشاط كان نفوذه أقوى و«ماليته» اقوى، وفعاليته أقوى وصوته ارجح.. ولذلك فقد نسبوه لقوة اكبر من صلاح سالم.. الى جمال عبد الناصر هذا اذا لم نقل ان «هذه الجبهة» كانت تذكر ذلك صراحة..

ـ ان هذه الجبهة كانت تعتمد على عناصر (.......) وغير مصرية، واعمال شبه جاسوسية، مثل البرقية الخطيرة التي كانت تستلزم تحقيق المجلس، اوحتى سؤال: «ايه حكاية البرقية دي ياجمال». ولكنها كلفتت مع ان صلاح سالم تمكن من الحصول

عليهـا، وهي دليـل مادي يثبت اجـراء اتصـالات بين جمال عبد الناصر واحد وزراء حكومة الازهري ـ يحيى الفضلي ـ بواسطة شخص لبناني. . . معروف جدا. .

ولا كلمـة ولا تعليق ولا رد من جمال عبـد النـاصـر على هذا الاتصال من وراء ظهر وزير السودان. والمسئول عن السودان. . !!

قدم صلاح سالم هذه الـبرقيـة مواجهـة لعبـد الناصر فلم يعلق عليها، بل ببراعة عرفت عنـه، غير مجرى الحـديث بقـولـه: «من هم من اعضـاء مجلس الثـورة الذين تتهمهم بهذه المؤامرة». . وهكذا نسيت البرقية ولم يفتح فيها حديث آخر. . كما اتسع الخرق على صلاح سالم اذ اندفع يتهم آخرين ولو كان مسيطرا على اعصابه لاصر على ان يسمع اولا تفسيرا لموضوع البرقية. .

لايمكن للمؤرخ او «المحقق» ان يشك بعد ذلك بوجود نشاط لجمال عبد الناصر اوباسم جمال عبد الناصر . . مضاد لنشاط صلاح سالم في موضوع «مسألة الاتحاد مع السودان»

ولما كانت جميع المصادر المعادية لصلاح سالم تؤكد انه كان مؤمنا بالوحدة ايمان جيلنا كله بها الى حد الطمـوح في ان يكـون رئيس الجمهـوريـة الاتحـاديـة. . وانه اثبت فعلا جديته واخلاصه واحترامه لنفسه بأن ربط مستقبله بنجاحه في تحقيق الاتحاد، فلما فشل استقال. . ومن ثم فلا يمكن ان تكـون الجبهـة الثـانية، الا عاملة ضد الاتحاد. . وهذا يعزز بل يؤكد اتهام صلاح سالم، الذي يرفض بغدادي أن يحقق فيه حتى اليوم! وقد اوضحنا اسباب ذلك في بدايـة هذا الحـديث ويمكن ان نضيف عنصـر الخـوف من منافسة نجيب الذي يتفوق ـ وقتهـا ـ شعبيـا في السـودان على جمال، والقنـاعـة بأنـه لا يمكن تصفيـة الاحزاب والقوى السياسية في السودان بـسهولة. . ولم يكن من المعقول ان يحرم النصف المصري مما يتمتع به النصف السوداني. . وكذلك الرغبة في حرق صلاح سالم. .

ـ ويفهم من الحوار ومن الصيغة التي أورده بها بغدادي ان الشهود كانوا مطلوبين لاقناع المجلس بترك الـسـودان . . ولـذلـك يسأل زكـريا محي الدين الشاهد: «ماذا تقصد بخطوة جريئـة» ويعلق بغـدادي في خبث «وكـان قصـده بسـؤاله ان يفصح قاسم جوده عن فكرته «» بوضحها» ولم يتردد الشاهد فطالب باعلان الاستقلال. .

وواضـح ان «صـلاح سالم» شعـر بأن اللعبة التي تجري ليست مجرد مناورة داخلية في لعبة الصراع على السلطة، بل جزء من لعبة اطرافها: امريكا وبريطانيا. . وحاول أن يفسر لماذا تعمل امريكا وبريطانيا ضده، ووجد الجواب، وايضا الملجأ، في روسيا. . فهو اراد ادخال الـروس في مجلس الـوصـايـا الـسـوداني، وهـو يجتمـع بالسفـير الـروسي، وهما يتحدثان في «السـودان» والسفـير «يثقفـه» فيهديه بعض الكتب عن روسيا والدستور الروسي. . «وكان صلاح مهتما بهما أشد الاهتمام» وقد نقل ذلك لعبد الناصر من اكثر من مصدر فاذا اضفنا إلى

ذلك محاولة صلاح سالم االاتصال بالشيوعيين المصريين واتفاقه معهم على «مركسة» مصر مقابل «فتحهم» السودان!. . رأينا ان نهاية صلاح سالم كانت محتومة في مناخ مصر ١٩٥٥ . . .

وقد استطاع بغدادي أن يستفز صلاح سالم فقام منفعلا يكشف عن بعض الاسرار التي وصل اليها، وكان اكثر صراحة في اتهامه هذه المرة. . . فقد قال لعبد الناصر بصريح العبارة - في حدود ما نقله بغدادي :

«هناك مؤامرة كبرى تدبر لعدم اتمام اتحاد مصر مع السودان ويشترك في المؤامرة بعض المسئولين من داخل مجلس الثورة نفسه ومن خارجه. وان الذي سيؤدي بالبلاد الى التهلكة هو زكريا محي الدين، وعلي صبري (مدير مكتب جمال عبد الناصر للشئون السياسية) ويكره تعرف انني قلت لك هذا، علي صبري ينفذ سياسة الامريكان والانجليز بعد ما طلبت اشتراك روسيا في لجنة تقرير المصير ورأوا ان يتخلصوا من صلاح سالم».

وهذا هو ما نشره بغدادي، وقد رأينا تغير موقفه من صلاح سالم، ورأينا حذفه «بعض الامثلة» أو بمعنى اصح «بعض الادلة». ومن ثم فانه يورد هنا «بعض الاتهام». ولا يمكن ان يتحدث صلاح سالم هكذا مع عبد الناصر وامام اثنين من اعضاء المجلس، الا ويعزز كلامه «ببعض الامثلة» الاخرى التي «أوكا» عليها بغدادي فلم يعلنها!

ونحن لا نستبعد ابدا دور علي صبري، ولا حقيقة اتهامه بالامريكية وقد شهد بغدادي بأنه كان يعلم «مدى صداقته بالملحق الجوي الامريكي». وانه هو بالذات الذي اختير للتعامل مع الامريكان. . ومن البداية وهو مكلف بعمليات ذات طابع خاص. اما زكريا فهو الرجل اللغز من البداية للنهاية، وهو على اية حال المرشح المفضل للاشاعات، كرجل التعاون مع الامريكيين. . ودون اهتمام بمدى جدية هذه الاشاعات، فهو بالتأكيد الرجل الذي لم يثق لحظة واحدة في عبد الناصر، ومن ثم سهل عليه التعامل معه، وكان رأيه وسلوكه هو الصبر على الرئيس الى ان يشنق نفسه. . مع الحرص على البقاء الى جانبه حتى تحين هذه اللحظة فيساعده على عقد الحبل. ومن ثم فلا معارضة على الاطلاق، وقد نجح زكريا محي الدين في البقاء حتى عام ١٩٦٧ عندما شنقه عبد الناصر بتعينه خليفة لشئون العار والهزيمة، فتغدى به قبل أن يتعشى هو به. . ثم منعه من التوجه للاذاعه لشرح موقفه، حتى ضربت الجماهير في الشارع كل رجل يشبه زكريا محي الدين! . وتبين ان البكباشي صح هو الأطول نفسا وانه كان ينفذ سياسة زكريا ولكن ببراعة اكثر، فلم يحط نفسه مثلما فعل زكريا بسمعة نزاهة وقوة شخصية وطهارة في السلوك، وهي كلها صفات تخيف الحاكم المتوجس من المنافسين.

وقد ثبت من الوقائع ان زكريا محي الدين كان لديه جهاز مخابرات للسودان لا يعلم به

اعضاء المجلس ولا صلاح، وهو الذي رشحه عبد الناصر ليتولى مسئولية السودان بعد خلع صلاح مما يعزز بل يؤكد تهمة صلاح بوجود نشاط لزكريا لا يعلم هو به، ولكنه بعلم وتوجيه عبد الناصر بالطبع! واتهام صلاح لهؤلاء الاشخاص بالذات يضيف ثقلا للاتهام، ففضلا عن زكريا وهو كما رأينا غارق لاذنيه في مسألة السودان، نجد انور السادات الذي ينفذ أي شيء يأمره به عبد الناصر، والذي ارسل «قاسم جوده» الذي كان يعمل عنده في الجمهورية.. وعلي صبري شقيق حسين ذو الفقار صبري ومدير مكتب عبد الناصر.. وكلها اسماء من المعقول جدا ان تنفذ تعليمات عبد الناصر مهما كانت غرابتها، ومهما بدت مخالفة للمصلحة الوطنية والاتجاه المعلن للنظام.. صلاح سالم لم يتهم حسين الشافعي ولا عبد اللطيف بغدادي.. والا كان جنونا مطبقا..

وبهذه الاتهامات اصبح صلاح سالم في عداء مباشر مع زكريا وانور السادات فضلا عن عبد الناصر.. الذي ادار الجلسة ببراعته الفائقة في هذه الناحية.. فألقى بمسألة السودان في سلة المهملات ودعا المجلس لبحث ما هو اهم وهو «صلاح سالم» قال الزعيم:

«مسألة السودان الآن اصبحت فرعية بعد فقدان كل امل في الاتحاد المسألة الآن اصبحت اجسم مما نتصور، وهي اتهام لبعض من اعضاء المجلس بالخيانة، وكذلك مدير مكتبي، ومعروف انه مدير المكتب للشئون السياسية، ومعنى هذا انني ايضا انفذ سياسة الامريكان والانجليز والمسألة اصبحت اليوم مسألة صلاح والمجلس وليست مسألة السودان، لأن مسألة السودان اصبحت فرعية الآن بعد فقدان كل أمل في الاتحاد».

وهكذا ضاع السودان يازول!

ومن الواضح ان الرعب سيطر على الاعضاء، والا لكان الموقف السليم، حتى ولو كان السودان قد ضاع، والمسألة جسيمة، وهي جسيمة ولكن ليست أهم من السودان، بل هي جسيمة لأنها تتهم اعضاء في مجلس الثورة وقائد الثورة بتنفيذ مخطط امريكي - بريطاني لفصل السودان بعكس السياسة المعلنة والمكلف بها عضو مجلس الثورة المسئول عن السودان! الموقف السليم كان التحقيق في هذا الموضوع، تشكيل لجنة من المجلس أو تحويل المجلس كله الى محكمة باستثناء المتهم صلاح والمتهمين زكريا وانور.

ولكن عبد الناصر طرح القضية بصيغة عجيبة وغريبة وذكية أيضا اذ قرر أنها تحل بفصل صلاح سالم أو قبول استقالته من المجلس..

الاستقالة توجه اتهاما وتطلب تحقيقا.. ولا يجوز قبولها قبل حسم هذا الاتهام واجراء هذا التحقيق. ولكن قضي الامر..

انتقل المجلس بقدرة ساحر، من بحث «خطورة» انفصال السودان، الى «خطورة اتهام صلاح» الى «خطورة» صلاح.. وتحول المجلس من قيادة سياسية ثورية الى «مافيا»!

اجتماع عائلة المافيا لبحث خطورة عضو منشق اصبح «ليس لديه مانع من هدم كل شيء فوق رءوسنا»!

هذا كلام لا يصدر عن قيادة سياسية فضلا عن ثورة!!

واخذ جمال يشرح خطورة صلاح، خاصة بعدما رأى فشل قضية السودان ومن أنه اصبح ليس لديه مانع من هدم كل شيء فوق رؤ وسنا وذلك على حد قوله»[١٢]

هدم كل شيء فوق رؤ وسنا..

كيف يمكن أن يهدم فرد «ثورة» أوحكومة.. الا اذا كان يملك أدلة دامغة على انها سلكت سلوكا لا تسلكه ثورة ولا حكومة؟!..

ولا يشفع لبغدادي قوله بعد ثلاثين سنة: «على حد قوله» مغطيا عورة موقفه «بناقل الكفر ليس بكافر» لان الواضح انه شاركهم الخوف من «خطورة صلاح» لو تكلم.. واقتنع بقدرة صلاح على «هدم كل شيء فوق رؤ وسهم».. واشترك مع الآخرين، في مؤامرة الصمت، فلم يسأل: «ولكن لماذا لا نتحقق من الامر.. هل صحيح كنت تعمل على تنفيذ سياسة خاصة بالسودان غير ما كان صلاح يحاوله؟.. ولماذا؟.. وكيف تفسر لنا هذه البرقية، واجتماعك بالصحفي أو السمسار اللبناني؟ ولماذا يتصل حسين ذو الفقار بحزب الامة من وراء ظهر صلاح سالم المتفرغ لمحاربة حزب الأمة؟!

لم يقل بغدادي ذلك ولا قال: هل استمرارنا هو المسألة الاساسية والسودان مسألة فرعية؟!

لم يقل بغدادي.. اذا كنا قد تأكدنا انه لا أمل في الوحدة، واجمع الشهود على ان تصرفاتنا هي السبب.. الا يستحق الامر وقفة مع النفس، ومراجعة مع الذات.. وغير ذلك من الشعارات! لنحلل كيف انقلب الوضع من اكتساح الاتحاديين للانتخابات الى الاجماع على الانفصال في اقل من سنتين... كيف استطعنا ان «ننجز» في إقل من سنتين ما عجز عنه الانجليز في ستين سنة؟!..

لوحدث ذلك ربما كنا استطعنا تلافي تكرار التجربة في سوريا وبنفس المعدل الزمني تقريبا! اذ حولنا شعب من موقف التنازل الاختياري ـ ولأول مرة في التاريخ ـ عن سيادته ونظامه البرلماني وحرياته ليحمل عربة الحاكم الفرد على اكتافه في سبيل الوحدة، فاذا بالنظام المصري والممارسات «الثورية» تحول هذا الشعب الى عداء الوحدة.. حتى اصبح اقوى سلاح تعتمد عليه حكومات الانفصال، هو التهديد بأن البديل عنها، هو «عودة عبد الناصر»!.. وحتى أصبح العداء بين البلدين شبه وطني!!

لو أن المجلس رفض الصيغة التي طرح بها عبد الناصر القضية، وأصر على التحقيق في اتهامات صلاح سالم لأمكن تلافي الكثير من النكسات.. ولكنهم لم يفعلوا فحق عليهم

العذاب . . وسبحان من سخرهم لكشف خطاياهم بانفسهم!
بغدادي ينبه «الريس» الى ضرورة «الانتهاء» من صلاح قبل أن يعود شقيقه جمال سالم الذي اخلص لبغدادي الى النهاية، وتآمر معه ضد عبد الناصر في قضية التحقيق مع الحاج عبد الناصر حسين (والد الرئيس) . . ! زكريا وانور ثائران ضد صلاح بحكم اتهامه لهما، او كجزء من خطة موضوعة مسبقا.
اما ميوعة عبد الحكيم عامر، فاما انها تقسيم ادوار متفق عليه خارج المجلس كما كان يحدث دائما بينهما . . اولأنه كان بعيدا عن السياسة الخارجية، ومحاولته حفظ التوازن بين ارتباطه بالرئيس، وحرصه في نفس الوقت على الا يستفرد الرئيس بالمجلس . . وايضا لأنه لم يكن بحكم شخصيته «الحبوبة» يحب ايذاء الاصدقاء . . وعلاقته وثيقة بصلاح . . ثم اخيرا فان تفسير مسلكه يحتاج الى معرفة «مزاجه» في تلك الجلسة . . وهو عنصر غير متاح حاليا!
«كمال الدين حسين» كان في عنفوان المبايعة لعبد الناصر، وكان في قمة الرضا ومناصبه تتزايد، والحصة تنمو باخراج واحد من الشركة . . كما ان سذاجته ودروشته جعلته يصرخ بأن اتهامات صلاح لزملائه بهذه الصور: «جريمة منه لا تغتفر»! . .
ضاع موضوع الاتهام . . وانحصر الحديث في صيغته أو مجرد صدوره! وقد فهم صلاح موقف الزملاء على حقيقته . . وقال لبغدادي «انه لا يريد ان يراه ولا أي احد من المجلس «بعدما طعنوه من الخلف» . .
وهذا صحيح لقد ظلم صلاح سالم ظلما فادحا . . وكل من بقي من اعضاء مجلس الثورة يجب ان يتكلم . . فهناك اشارات هنا وهناك تؤكد ان صلاح سالم كان مقتنعا بالادلة على صحة اتهامه للآخرين . . وكان جادا ومصرا على طلب المحاكمة، واتهم المجلس بالتواطؤ لرفضهم هذه المحاكمة، وقد ربط مصيره واستقالته بهذه المحاكمة ولم يمانع ان يقدم فيها كمتهم . . بل ووصل الى قناعة بأن الوطن في خطر بهذه المسلكية التي اكتشفها وان الحل هو ان «يتنازلوا عن السلطة، ويجيبوا هيئة تأسيسية تحكم البلد».
وقال لبغدادي في التليفون: «انه لا يرضى ان يكون برافانا لجمال عبد الناصر وعليه ان يواجه الحقيقة امام البلد والعالم . . اللي عامل لي احزاب داخل المجلس ويجمع كل شيء ومركزها تحت ايده»
ثم كرر أنه يتهمهم بالخيانة ويجب محاكمتهم».
ويزعم بغدادي أنه سأله ان كان متأكداً مما يقول، فلماذا لا يعرض هذه الاتهامات على المجلس حتى يحقق فيها . . وان صلاح سالم رد عليه: المجلس مين؟ وأخذ يتهكم من اعضائه ثم نصحه . . تنازلوا عن السلطة وجيبوا هيئة تأسيسية تحكم البلد . .

«وبما اعدت عليه قولي السابق من ضرورة ان يكون واقعيا والا يلقي التهم جزافا» رد عليه: «الم تسمع قاسم جودة، وما قاله عبيد (حمدي عبيد) له، ألم تتطلع على البرقية المرسلة من جبران حايك؟ اليست هذه مستندات ولا عايزين شهود.. انتم عايزين تدبحوني ولا ايه؟»

الحوار غير منطقي.. او العرض غير دقيق.. فصلاح عرض فعلا اتهامات على المجلس وطلب التحقيق، وهي كافية للبدء في التحقيق، ولكن المجلس تخلى عن مسئوليته التاريخية.. ورغم ذلك يستمر بغدادي في اقتراح عرض الامر على المجلس!.. حتى لو فرضنا صحة الحديث، فهو من ضيق صلاح وعدم رغبته في اهانة بغدادي.. والا لقال له على طريقته يابن.. ما انا باقولك اتهام وأدلة ومستندات ما تطلب التحقيق، ما انا طالب تحقيق اكثر من مرة؟!..

ومن ثم فحوار بغدادي الذي ارادنا ان نصبح واقعيين (وهي في القاموس الناصري تعنى ايضا انتهازيين ج) ونتصور ان صلاح رفض التحقيق، حوار لا أهمية له ويمكن اسقاطه تماما... فهو من طراز قول احدهم «محكمة مين؟ هي دي بلد فيها عدل.. مارحنا المحكمة ولا سألوا فينا»!!

.. باختصار...

لقد وجه صلاح سالم اتهاما في غاية الخطورة

المتهمون عملوا على منع التحقيق ونجحوا في ذلك

بل قرروا القضاء على صلاح قبل أن «يهدم البلد فوق رؤوسهم»

واذا كان بعض الاعضاء غير المتبعين للموقف في السودان، ظلوا مترددين في اقالة صلاح سالم خوفا على خيط الامل في السودان، فقد تولى الرئيس اراحة ضمائرهم في جلسة ٢٨ اغسطس ١٩٥٥.. ترك عبد الحكيم يروي لهم ما جرى بينه وبين صلاح سالم الذي تهكم ـ على حد قول عامر ـ على بعض اعضاء المجلس واستهزأ بهم.. مما جعل هذا البعض يثور ويقرر انهم لا يمكنهم التعاون معه بعد ذلك.

اما من ناحية راحة الضمير فقد بلغهم الرئيس ان موضوع السودان قد انتهى واغلق الملف...

«وبعد ان هدأت ثورة الاخوان على صلاح.. تكلم جمال عبد الناصر قائلا: «مسألة السودان قد انتهت لأن مجلس النواب سيجتمع باكر في الساعة العاشرة صباحا ليقرر على استفتاء عملي تقرير المصير ومعنى هذا استقلال السودان»!

(حتى في هذه كان الرئيس يبلغ المجلس معلومات خاطئة فقد تقرر استقلال السودان بدون استفتاء.. اذ رغم كل حدث كانت لاتزال هناك مخاطرة في اجراء استفتاء ولذلك قرر

المجلس اعطاء نفسه سلطة التقرير وقرر الاستقلال بالاجماع في ١٩ نوفمبر ١٩٥٥).
المهم باي باي سودان!
وهنا انكشف صحة اتهام صلاح لزكريا بأنه يلعب دورا في السودان فقد طلب جمال ان يرشح له المجلس معاونا في مسألة السودان (؟! يعمل ايه؟!) فرشح [١] المجلس عبد الحكيم ولكنه اقترح زكريا «بحجة» ان لديه في المخابرات العامة جهازا خاصا بالسودان؟!
ولقد حاول زكريا الاعتذار عن هذه المهمة ولكن المجلس وافق.. الخ وكان المفروض ان يتساءل أحدهم.. لماذا لديك جهاز خاص بالسودان لا يعلم به صلاح.. ولماذا لم تقدم له المعلومات.. الخ.. ولكن الاعضاء كانت افواههم مملؤة بدم صلاح.. وشاء المايسترو وأن يختار بغدادي ليبلغ صلاح قرار موته بالحياة!.. بل ويتآمر بغدادي، فيخفي على صلاح ـ بناء على تعليمات عبد الناصر ـ انه اتصل بجمال.. ويبكي صلاح حسرة على ان اخاه ليس موجودا..
وبدأت مساومة صلاح، الذي كان واعيا ومبدئيا فرفض أي منصب، ورفض مرتب وزير، ولكنه طلب معاش والبقاء في الاستراحة «بالاقامة الكاملة» أي بما فيها الاكل وغسل الثياب!.. لأنه مديون بمبلغ الفين وخمسمائة جنيه مصري!
ووصف نفسه بأن لسانه فالت، فنصحهم بالا يسمحوا لاحد بالاتصال به.. وطلب الا يزوره أحد من مجلس الثورة..
وكان واضحا أنه سيطر على اعصابه وفلسف الموقف ونظره على ضوء ما استرجعه من حقائق فاستنتج الآتي:
١ـ الولايات المتحدة وبريطانيا نجحتا في ابعاده بسبب مطالبته بادخال روسيا أو اوكرانيا في لجنة تقرير المصير. ولأنه عمل على اخراج بعض الشيوعيين المسجونين في مصر وترحيلهم الى السودان. ولانه اتفق على صفقة سلاح مع روسيا[١٣].
وايضا يمكن القول لأنه كان يعارض الاتفاق الامريكي ـ البريطاني ـ الناصري الخاص بحل عقدة السودان بالقطع...! ولو دون ان يدري بوجوده.
٢ـ واضح ان صلاح لمس وجود التدخل الامريكي، ولكنه لا يعرف سره ولا اسلوبه، ولا كيفية ممارسته مع قائد الثورة.. ولكنه اقتنع بوجود وسيلة ما وان تكن فوق ادراكه.. «فما دامت مصر المفعوصة (وكان المصريون يسمونها المحروسة وأم الدنيا قبل ان يتولى امرها صلاح ورفاقه ج) تستطيع تعيين رئيس جمهورية سوريا واسقاط رئيس وزراء لبنان. فلابد ان أمريكا وبريطانيا لديهما وسيلة لاسقاط صلاح سالم!
وقد حاول عبد الناصر بعد ان بلغته هذه المحادثة، والاشارة الى وجود نفوذ امريكي في السياسة المصرية، حاول نسف «صلاح سالم» وتوجيه تهمة الخيانة له ايضا.. فاستمان

بلعبة دبرها مع «مصطفى امين» الذي بدأ محادثته بتأكيد «انه مصري أولا» . . !! وأن يكن أمريكيا ثانيا . . وهي قصة ابلاغ صلاح سالم للصحفي صلاح هلال يوم ١٩٥٥/٨/٢٩ بصفقة السلاح وهذا اخبرها لمصطفى امين الذي ابلغها على الفور لجمال عبد الناصر واستدعى عبد الناصر بغدادي وخلافه وطلب مصطفى امين وتركه يكرر كلامه . . وعلق عبد الناصر «هذه خيانة من صلاح ويجب ان يحاسب عليها» . . وربط بين هذه القصة، وبين المؤتمر الصحفي الذي عقده دلاس واعلن فيه عن معلومات بوجود عرض روسي لبيع اسلحة لبعض الدول بالشرق الاوسط . .

«وحاول جمال بذلك ان يربط بين هذا التصريح وبين افضاء صلاح لهذا السر والذي لا يعلمه أحد غير اعضاء مجلس الثورة، وعلي صبري وافراد البعثة العسكرية».

واذا كان بغدادي وقتها في قمة ماء السلطة، فلم يستطع الرد على عبد الناصر فلماذا يغص اليوم بالحقيقة؟

دلاس لم يقل ان هناك اسلحة في الطريق كما قال صلاح سالم لمندوب اخبار اليوم أو بالاحرى مندوب عبد الناصر في اخبار اليوم، بل قال ان روسيا عرضت سلاحا على بعض دول الشرق الاوسط.

لن نقول ان الخبر تسرب من عضو مجلس القيادة الذي يتعاون مع الامريكان في تدريب اجهزته . .

ولن نقول انه تسرب من علي صبري الذي نعرف عن طريق بغدادي «مدى صداقته مع الملحق الجوي». ولا عن طريق الروس وهذه لعبة معروفة في الحرب الباردة التي يجري تبريدها اكثر! . .

لن نقول ذلك ولكن سنرد على هذا الاتهام بالخيانة من كتاب بغدادي نفسه صفحة ٢٠٢ اذ يقول بالحرف:

«وقام جمال عبد الناصر بابلاغ سفيرها (امريكا) في القاهرة هنري بايرود في يونيو ١٩٥٥ بوجود عرض من روسيا لبيع سلاح لنا، وعلى اننا سنضطر لقبوله . . .»[١٤]

وهذا ما اعلنه «دلاس» بالحرف بعد شهرين! . . اذا لا خيانة من صلاح . . الذي اخبر صحفيا مصريا، اما الرئيس فقد ابلغ سفير امريكا بلحمه وشحمه وقبل صلاح بشهرين . . وصحيح ان هنري بايرود كان صديقا للضباط وشابا مثلهم ولكنه «امريكي اولا» مثل مصطفى أمين، ولذلك لا تستغرب ان يبلغ حكومته! . . .

فلا معنى للربط بين تصريح دلاس «وخيانة» صلاح الا ان «الميكافيلية» لا تتورع عن اي اسلوب للوصول الى الغرض.

ونستأذن القارىء في المشي قليلا في طريق لعبة السلطة، وعبقرية الزعيم في اللعب

بهؤلاء المساكين البسطاء الذين وضعهم القدر حوله. . فقد طلب من بغدادي ان يبدأ بلعن صلاح: «وطلب مني جمال فجأة ان اقول رأيي وضحك ضحكته التي تخفي وراءها ما يدور في ذهنه من افكار (!!) وشعرت أنه يريد احراجي، فسألته عن السبب الذي دعاه لأن يطلب مني ان اكون البادىء بشرح وجهة نظري، رغم ان العادة جرت ان يبدأ بأخذ الرأي من الذي يجلس بجانبه سواء عن يمينه أو يساره أو بأحدثية الاقدمية في المجلس. . ولكنه لم يجيبني على تساؤلي وانما ضحك وسكت، وسكت انا كذلك لوهلة».

عسى ان يكون قد فهم الآن!

ولعلنا نستشف الروح التي كانت سائدة من الحوار الذي دار بين «حسن ابراهيم» وعبد الناصر فقد شبه حسن ابراهيم مجلس الثورة بعمارة آيلة للسقوط وبدلا من تركها تسقط على من فيها فانه يفضل ان تهدم ويبني محلها فيلا ـ على حد قوله ـ. ولكن عبد الناصر رفض قائلا: واذا لم يكن عنده رأس مال لبناء هذه الفيللا ماذا يفعل؟ هل يسكن في خيمة ويطلب من الناس ان تسكن معه فيها وتشرب من الزير؟!. .

واجابه حسن: اليس هذا افضل من الاستمرار. . الخ. .

ولكن عبد الناصر فضل البقاء في «خرابة» مجلس الثورة على الخيمة. . لأنه لم يجد في مصر «الاستشارات» الكافية لبناء فيللا الحكم الديموقراطي!

واستمر عبد الناصر يلعب لعبة القط والفأر مع عبد اللطيف بغدادي فأصر على ان يبلغه قرارات المجلس وهي الموافقة على طلباته ما عدا السكن في قشلاق العباسية لكي لاتحدثه نفسه مرة اخرى بأن يعيد الماضي من الأول!

وفي اليوم التالي ٣١ اغسطس ١٩٥٥ كان موعد ابلاغ صلاح سالم بالقرارات وايضا كانت «شخصية كبيرة في السفارة الامريكية تبلغ جمال عبد الناصر ان اسرائيل تنوي القيام بعمليات حربية في تلك الليلة وعلى مدى واسع في منطقة غزة بقوة ثلاث كتائب[١٥]. . ثم علمنا بعد ان انتهى اجتماع مجلس الوزراء ان اسرائيل قامت بهجوم مخادع على خان يونس في الساعة التاسعة مساء ولكن في الساعة الثانية عشره عند منتصف الليل بدأت بهجوم على غزة»

ومن ذا الذي يهتم بغزه أو خان يونس: . ولكن قاتلها الله اسرائيل افسدت البهجة بالقضاء على صلاح سالم أو رقم ستة في قائمة الرؤوس الطائرة!

وفي فبراير ١٩٦٢ وبعد أن شاهد انفصال سوريا واللجنة التحضيرية وقبل اعلان الميثاق مات صلاح سالم بعد مرض عضال، ويحاول حمروش ان ينتزع روحه فيقول انه اعترف بين يدي «صديق عمره» جمال عبد الناصر بأنه اعتنق الماركسيه، ويقول حمروش انه نقل ذلك عن خالد محي الدين الذي كان «قد كون شبه حلقه هو ومجدي حسنين (هوما في غيره بتاع

مديرية التحريرج) ولويس عوض (بعينه بتاع المعلم يعقوب ج) وفسر حروش انه اعتنق الماركسية بعد زيارة للاتحاد السوفيتي مع حروش، وهذه اضافة لابد منها لتأكيد دور حروش في عزة الماركسية بأحد السالمين! . .

على اية حال اذا كان صلاح سالم تعلم الماركسية مع لويس عوض ومجدي حسنين فأننا نخشى الا يكون قد عرف منها الا الكفر! . .

ويسجل حروش ان «جنازة صلاح سالم» لم تشهد لها القاهرة مثيلا . . !

ولايفسر لنا لماذا . . ومن كان يذكر صلاح سالم في ١٩٦٢ وقد حذف من التاريخ على يد الأخ الاكبر!

بقى ان نثبت على قبر صالح سالم شهادة المايستر والحقيقي مايلز كوبلند الذي قال: «ان عبد الناصر عرض مصالح مصر للدمار في السودان لكي يتخلص من منافس»

وقبل ان نختم فصل السودان نثبت وثيقتين :

من السفارة الامريكية

سري

القاهرة ٩ اكتوبر ١٩٥١

رقم ٩٢١

«مجموعة من المراقبين الموضوعيين كانوا يتعشون في منزل ضابط الشئون العامة بالسفارة (الامريكية) مستر روبرت باين. Robert payne

وتضم الدكتور عباس عمار من وزارة الشئون الاجتماعية، سامي سميكه بك مدير القسم الصحفي بوزارة الخارجية «محمد هيكل» من دار اخبار اليوم المعارضة (!؟) «سامي سوقي» من وكالة اليونايتدبرس، دكتور «صلاح العبد» من جامعة فؤاد والمهندس نيازي مصطفى بك، والصحفي الدكتور «فؤاد صروف»[١٦]، وكانت غالبيتهم قد وصلت مباشرة لمنزل مستر باين من اجتماع البرلمان (الذي قرر اعلان وحدة وادي النيل)

وبعد ان يستعرض اراء الحاضرين يقول:

«ومن المدهش تماما، انه عندما اتجه الحديث الى السودان كان واضحا تغييرا في المواقع. سامي سوقي كان من الرأي القائل بأن السودانيين سيسرون جدا من الخطاب (خطاب النحاس باشا باعلان وحدة مصر والسودان تحت التاج المشترك والمناداة بالملك ملكا لمصر والسودان) وانهم سيلتفون حول مصر ولكن «محمد هيكل» (محمد حسنين هيكل) أصر على

انهم لن يفعلوا ذلك واكد رأيه بحجة ان السودان فيه حكومة افضل، واقل فسادا مما لدى مصر وان السودان «لن يكسب شيئا وسيخسر كل شيء» من الارتباط بمصر، وان مصر تأخذ فقط من السودان ولاتعطيه شيئا» ١ هـ بحروفه نقلا عن صفحة ٣٩٣ كتاب
Foreign Relations of the united states (1951)

في الجزء الخامس منشور في وشنطن عام ١٩٨٢

مطبوعات وزارة الخارجية الامريكية والتقرير من الوثائق السرية للسفارة الامريكية التي افرج عنها بعد ثلاثين سنة!

هذا رأي هيكل قبل قيام الثورة. وهذا هو «الصحفي الوحيد» الذي اختارته الثورة ليعبر عن افكارها. . وهو أيضا ونجزم بذلك ـ حامل الجنسية المصرية الوحيد الذي فكر على هذا النحو في ٨ اكتوبر ١٩٥١ ونقدم جائزة قيمة لمن يرشدنا الى مصري آخر! . . وهو ايضا من الصحفيين القلائل جدا الذين كانوا يسعون الى موظفي السفارة الامريكية بمثل هذه الآراء قبل ١٩٥٢. .

حظوظ!!

الوثيقة الثانية من كتاب «حركة الاخوان المسلمين في السودان» اصدار معهد الدراسات الافريقية والآسيوية جامعة الخرطوم. اعدها حسن مكي محمد أحمد كدراسة اكاديمية.

صراع الضباط والاخوان بمصر:ـ

عودة نجيب واهتزاز موقف عبد الناصر:

شهد عام ١٩٥٤، ذلك الصراع العنيف بين حركة الاخوان والضباط الاحرار، حول مستقبل مصر السياسي والحضاري وصيغة تعامل الاخوان مع الضباط، ووضعية محمد نجيب كمدخل لطبيعة مستقبل الحكم ومصير الديمقراطية، وقد حاولت سلطة الضباط الاحرار ـ جمال عبد الناصر ـ الاطاحة بمحمد نجيب بعد احداث مارس ١٩٥٤ م في السودان اذ ان الاضطرابات التي واكبت مجيء نجيب لحضور افتتاح اول برلمان سوداني، اظهرت قوة تيار الاستقلاليين، وادت الى ضعضعة موقف، نجيب، إذ ان بعض اسباب قوته مستمد من كونه رمزا لاتحاد السودان مع مصر مما منح جمال عبد الناصر فرصة نادرة لتسوية حساباته مع نجيب، تلك التسوية التي افسدها وقوف الاخوان مع نجيب خصوصا أبان ايام المحنة ٢٤ ـ ٢٧ فبراير ١٩٥٤م، حيث عاد الى مركزه معززا مكرما بقوة الجماهير التي قادها اساسا (الاخوان المسلمون)، بعد أن كان قد قدم استقالته في ٢٤ فبراير ١٩٥٤ م معللة باستحالة تعاونه مع سلطة الضباط الاحرار وكان رجوع نجيب يعني انتصار برامجه وشروطه، كما ظهرت في قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ بعودة الديمقراطية.

مثلت احداث فبراير الخلفية التاريخية لاحداث اكتوبر ١٩٥٤ التي أدت لمحنة الاخوان

المسلمين الثانية، التي أدت الى محاولة حصدهم نهائيا وتصفيتهم، وقد انفجرت المرحلة الثانية من الصراع بعد كسب نجيب والاخوان للفصل الاول كما رأينا مع اعادة فتح ملف القضية المصرية ومراجعة اتفاقية ١٩٣٦ م اذ ما أن ظهرت ارهاصات الاتفاق حتى عارضها الاخوان مما أدى الى اعتقالهم ومحاكمة ضباطهم ـ عبد المنعم عبد الرؤوف وجماعته ـ وأدى ذلك الى تحرج موقف نجيب واختفائه من مسرح الاحداث، وقد انعكس ذلك في قصيدة احمد محمد صالح (الى نجيب في عليائه) التي صدرت في يوم ٢٧ يوليو. ذات يوم توقيع رؤوس الاتفاقية مع بريطانيا حيث ندب فيها الاخوان:

يا ويح مصر ما دهى ابناءها
فمضوا على احقادهم عميانا
ركبوا رؤوسهم فكانت فتنة
هوجاء ما تركت لهم «اخوانا»

اتفاقية جمال ـ هيد واثارها:

وصل التفاهم مرحلة اللاعودة، بعد اتفاقية جمال ـ هيد ١٩ اكتوبر ١٩٥٤م، والتي سمحت بقاعدة للانجليز في القناة مع حقهم في استخدام الموانى والمطارات المصرية في حالة تعرض تركيا أو أي دولة عربية للخطر، مما أدى الى تفجير كل الخلافات القديمة ورفع الاخوان لشعار الجلاء بالدماء كل ذلك أدى الى سلسلة من الصراعات انتهت بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر في الاسكندرية في ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤م ـ تلك المحاولة التي خلفت مناخا دراميا استغله الضباط في تصفية حركة الاخوان المسلمين، واعتقال اعضائها ومصادرة ممتلكاتها واعدام ستة من قيادة الجماعة في ٩ ديسمبر ١٩٥٤ م ـ وهم محمد عبد اللطيف فرغلي، عبد القادر عون، [17] وتأبيد آخرين ومحاكمة مئات لمدد طويلة متفاوتة.

تنسيق المظاهرات مع ازهري مجلس النواب يؤدي صلاة الغائب مذكرة الاتحاد:

هذه الهجمة على الاخوان اوجدت تعاطفا من الرأي العام السوداني مع الاخوان شمل حتى الشيوعيين. واندلعت المظاهرات في أم درمان والخرطوم ومدني وعطبرة والابيض والحصاحيصا وسنار والفاشر. معارضة لنظام الضباط ومعلنة تجاوبها مع الاخوان، وروى على طالب الله، انه اتفق مع اسماعيل الازهري ان لايتعرض البوليس للمظاهرات. مما مد في عمر المظاهرات.

وقد جمعت محنة الاخوان بين تيارات الحركة الاسلامية الثلاث، التي توحدت مرحليا لتعبئة الشعب السوداني ضد سلطة الضباط الاحرار وقام علي طالب الله بتكوين الجبهة الوطنية (ضد) الدكتاتورية العسكرية برئاسته ومثل فيها حزب الامة والشيوعيين. كما قام اعضاء مجلس النواب باداء صلاة الغائب على ارواح شهداء الاخوان. مما كان عاملا فعالا

في ان يطرح الاتحاديون فكرة الوحدة، ويلتفوا اخيرا ـ كما دعى ـ محمد احمد محجوب حول مذكرة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم. دورة دفع الله الحاج يوسف. ويعلنوا بالاتفاق مع حزب الامة الاستقلال التام من داخل البرلمان وقد جاءت المذكرة مطالبة بالاستقلال التام وكفالة الحريات وعدم ربط بلادنا بالاحلاف العسكرية والمعسكرات السياسية التي تؤثر على سيادتنا.

ان من بين الاسباب التي أدت الى اتجاه الاتحاديين الى الاستقلال التام عن مصر بالاضافة الى احداث مارس ١٩٥٤ م واغسطس ١٩٥٥م موقف جمال عبد الناصر من حركة الاخوان بمصر ومخافة السودانيين من الدكتاتورية. وخشيتهم من انسحابها على السودان. زيادة على اشتعال الروح القومية بفعل شعارات الاستقلال. وفي جو هذه الاحداث طلبت السلطات المصرية، تسليم الاخوين المصريين الهاربين جمال عمار ومصطفى جبر. ولكن ذلك لم يتم، نتيجة لتعاطف السلطات هنا مع الاخوان. وكانت هذه تمثل اول بادرة استقلالية من جانب حكومة الحكم الذاتي.

هذا وقد ايد الاخوان اتفاقية الحكم الذاتي بينما عارضها الشيوعيون بتطرف واصدروا كتيب «السودان في الميزان» ـ قاسم امين ـ وقالوا عنها «مرفوضة ولو جاءت مبرأة من كل عيب».

الفصل السابع

بطل الوحدة والانفصال . .
وحدة ما يغلبها غلاب !

من الطبيعي ان ننتقل من «فصل» السودان الى «انفصال» سوريا . . فالحدثان هما ضمن مسلسل الهزائم القومية والوطنية التي نزلت بالأمة العربية والدولة المصرية في العهد الناصري . . والحدثان وان اختلفا في الجذور التاريخية ، وفي تفاصيل التنفيذ . . الا انهما يرجعان في النتيجة لنفس الأسباب : اخطاء القيادة المصرية . .

واذا كان المؤرخون والرواة والشهود قد اعلنوا صراحة ان انفصال السودان تتحمل القيادة المصرية مسئوليته بالكامل ، فإن التقدم الاعلامي الذي حققته هذه القيادة في الفترة من ١٩٥٥ الى ١٩٦١ قد جعل من الممكن تحميل كل القوى الداخلية والعربية والعالمية والتاريخية مسئولية انفصال سوريا الا القيادة المصرية !! كنا قد تعلمنا أن نبرىء انفسنا ونتهم الشيطان ، مع ان مهمة الشيطان هي الافساد ، ومهمة الانسان المؤمن هي ابطال كيد الشياطين . . ومن ثم فلا يفيدنا في شيء أن ندين الاستعمار والرجعية واسرائيل . . وان نبرىء قيادتنا ، فاللص مدان لاجدال في ذلك ، ولكن القانون يعاقب الحارس الغافل أو المهمل الذي يفتح الباب للص . . وصاحب المال الذي يأبى ان يناقش موقف هذا الحارس الفاشل ، بل ويبقيه في منصبه ، ويصنع له تمثالا عند مدخل خزانته ، متآمر على ماله ، مهدد بالافلاس السريع ، ان لم يكن قد افلس فعلا . .

خرج عبد الناصر ـ بطريقة أو اخرى ـ من معركة قناة السويس زعيما للأمة العربية بلا منازع ، وبطلا للتحرير . . والوحدة العربية . . تلك الوحدة المطروحة في الساحة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولكن بصيغ مختلفة ، لم تصل أبداً قبل ١٩٥٨ الى فكرة الوحدة الاختيارية في الدولة الواحدة والعلم الواحد والجيش الواحد . . الخ فمنذ العصر العباسي الثاني ، أو حتى منذ سقوط الدولة الأموية لم تقم الدولة المركزية الواحدة التي تضم كل العالم العربي ، فضلا عن العالم الاسلامي ، ولم يخطر ببال أي داعية للوحدة العربية في العشرينات والثلاثينات والاربعينات ومطلع الخمسينات فكرة الاندماج في دولة واحدة . . حتى جمال عبد الناصر لم يخطر هذا بباله الى اللحظة الاخيرة ، عندما قبل هذه الفكرة كنوع من التحدي أو «البلف»؟!

لكن حزب البعث بدأ يجتر هذا الشعار في الخمسينات خارجا من اطار العمل العربي الذي اتخذ شكل «الجامعة العربية» ومعاهدات الضمان الجماعي، والدفاع المشترك . . الخ وتحمس الجيل الجديد للشعار، وتبناه الضباط الوحدويون والبعثيون في سوريا . . ومع ذلك فاذا كان لأحد ان يحمل شرف «الوحدة الاندماجية» فهي من حق الشيوعيين وزعيم جناحهم العسكري : عفيف البزري بالذات . .

واليك القصة كما يرويها بغدادي الذي كان في قمة السلطة وقتها . . ولكن بقدر! . .

«في ١٩٥٧ كان «انور السادات» وكيلا لمجلس الامة، وسافر الى سوريا، وحضر جلسة مجلس النواب السوري برئاسة اكرم الحوراني واصدر البرلمان السوري بيانا يطلب الوحدة «الفيدرالية» مع مصر . .»

هكذا كان رأى السياسيين بما فيهم قادة حزب البعث، ولكن الأمر انتقل فجأة الى العسكر الذين تولوا استثمار الشعار بعيداً عن خبرة السياسيين وحساباتهم . .

واجتمع مجلس القيادة في الجيش السوري في يناير ١٩٥٨ وكانت ابرز شخصيتين هما عفيف البزري رئيس الاركان، وعبد الحميد السراج مدير المخابرات في الجيش . .

وقرر المجلس طلب الوحدة، وابلاغ القرار لكل من عبد الناصر وشكري القوتلي (رئيس الجمهورية السورية) وكأنهم طرف ثالث!

واختاروا «عفيف البزري» لمحاورة عبد الناصر في القاهرة، والسراج لتبليغ القوتلي الذي لم يكن يملك أن يعص لهم أمرا ، خاصة اذا كان ذلك الأمر يتعلق بالزعيم جمال عبد الناصر . . مع انه بذل كل جهد ممكن لاثناء وتخويف عبد الناصر من الوحدة .

وبدأت الوحدة، كما في مذكرات بغدادي ، بداية عجيبة ، قائمة على فقدان الثقة المشترك، والمقامرة، والكذب المتبادل . . فهو يقول:

«كان الشيوعيون السوريون يخشون قيام هذا الارتباط مع مصر لأنه إن حدث فإنه سيهدد نشاطهم القائم في سوريا . وكان جمال قد علم بحقيقة البزري ، وما يرمي اليه من تمسكه بقيام الوحدة الفورية واراد جمال ـ على حد قوله ـ ان يفوت على الشيوعيين السوريين غرضهم ـ لذا ـ قام بتغيير اتجاهه عند الالتقاء الثاني بوفد مجلس القيادة السوري ، واعلن لهم موافقته على دعوتهم بقيام الوحدة الاندماجية بين البلدين . وعندما رأى البزري ذلك عاد وتراجع عن تمسكه بقيام الوحدة الاندماجية ، واقترح ان يكتفى بقيام اتحاد فيدرالي ولو الى حين . ولكن جمال ظل مصرا على رأيه ومتمسكا بقيام الوحدة . وحدث انقسام في الرأي بين اعضاء الوفد السوري بعد تراجع البزري عن قيام الوحدة الاندماجية» .

والصورة ليست بالضبط هكذا، وأن يكن الجوهر كذلك ، فالحقيقة انه لما اصر عبد الناصر على رفض الوحدة الاندماجية التي كان يعرضها «عفيف البزري» للتحدي والتعجيز

فعلا . ضغط الضباط الوحدويون بقيادة السراج، الذي بدوره كان يريد أن يضرب البزري بعبد الناصر. ضغطوا على البزري واجبروه على قبول الاتحاد الفيدرالي وصدر قرار من مجلس القيادة بذلك ترضية لعبد الناصر فلما جاءوا الى القاهرة، وقد سبقتهم التقارير الى عبد الناصر بمناورة البزري، غلبت عليه شهوة التكتيك وهواية «التحطيب» على الحسابات الاستراتيجية، التي كانت قد أوصلته الى قناعة بخطأ دمج البلدين في دولة واحدةوان الاتحاد الفيدرالي افضل، فهويترك للسوريين حرية ادارة بلدهم، ويعفي السلطة المصرية والوحدة من مسئولية هذه الادارة وسلبياتها ولكه يوحد الموقف ازاء العالم، ويوحد الوطن للمواطن، ويفتح الباب للموجة الوحدوية التي كانت تجتاح الشعب العربي. . وان لم تكن بالقوة الكافية لازاحة الطبقات الحاكمة، او اقناعها بالتضحية بمراكزها ومكاسبها في سبيل وحدة الوطن على الطراز الألماني أو الايطالي!

ولو اصر عبد الناصر على الوحدة الفيدرالية، ربما عاشت الوحدة، وامتدت لتشمل اكثر من بلد عربي. .

ربما. . .

نعم ربما. . تغير مجرى الاحداث بالنسبة لثورة العراق. .

ولكن عبد الناصر لمجرد «لذة» قهر الشيوعيين ـ على حد قول بغدادي ـ تخلى عن كل الدراسات، وطوح بالاستراتيجية، والقى أوراقه على الطاولة متحديا «صولد»!. . فوقع بذلك وثيقة موت الوحدة، فلم يكن يملك لا الاجهزة الوحدوية القادرة حقا على بناء «دولة العرب» ولا الاجهزة المنضبطة القادرة على فرض استمرار حكمه في الاقليم الشمالي. .

كانت دوله كما قيل في الامثال: «لاكراما بررة ولا اقوياء فجرة» بل كانوا فجرة عجزة!!

ووضع عبد الناصر شروط الوحدة:

١ ـ حل الاحزاب السياسية القائمة في سوريا أسوة بالوضع القائم في مصر ذلك لأنه «لا يعقل ـ على حد قوله ـ أن يسمح بقيام احزاب في احد اقليمي دولة الوحدة ولا يسمح بقيامها في الاقليم الآخر!»

مسألة مفهومية!

لا يعقل

لماذا؟ الاحزاب حلت في مصر لأنها كانت «رجعية» والثورة جاءت من خارجها واصطدمت بها وعارضتها الاحزاب ـ على حد قولهم ـ فاستحقت الاعدام السياسي. . آمنا وصدقنا! ولكن ما ذنب الاحزاب في سوريا؟ وهي وطنية لم تقم ضدها الثورة المعنية بحديثنا، بل بالعكس هي التي شدت الرحال تستدعي الثورة لحكم سوريا، وهي التي جاءت تسعى بالوحدة الى الزعيم تجرجر اذيالها، وانجزت بذلك الهدف الاقصى للعمل

الوطني :. فمن جاءك بالوحدة فأنت عنه تتلهى او تتصدى بالحل؟ هل هذا جزاء الاحسان ام جزاء سنمار؟ لم يجد الزعيم حجة الا قوله: «من غير المعقول يكون عندكم احزاب والمصريين ما عندهمش!

. شكرا على اهتمامك يازعيم وهذا والله العشم، ولكن من الذي سجل في اللوح المحفوظ أو في سفر الثورة ان مصر حرمت عليها الاحزاب كما حرمت المراضع على موسى بل حتى أشد، فموسى ارضعته أمه..

ألم تكن هذه هي الفرصة لانشاء الاحزاب الجديدة الوطنية الثورية الوحدوية.: لو تكونت الاحزاب مع ميلاد الوحدة، وعلى مستوى الاقليميين في وقت واحد أي اصبحت احزابا قومية، وبالطبع كان سيهم كل حزب في سوريا أن يكسب ملايين الناخبين المصريين، كما كان سيهم الاحزاب المصرية أن تكون لها قواعدها في الاقليم السوري..
عندها كانت ستقوم الاحزاب القومية التي ترسخ الوحدة وتمتص اخطاءها، وتدافع عنها في الازمات.. عندها كانت الوحدة سترتبط بالديموقراطية ويصبح نداءها اكثر عذوبة، واكثر جاذبية.. بدلا من الصورة العجيبة التي ظهر بها الوضع، وهي: أن على كل الاحزاب الوحدوية في «الاقاليم» العربية الاخرى، ان تكافح حكوماتها سواء التي تسمح بوجودها، أو التي تعارض هذا الوجود، حتى تنتصر على هذه الانظمة، وتستولي على السلطة وتهرع الى عبد الناصر ليحكم باعدمها وتصفيتها أو حلها في دولة الوحدة.. تماما كذكر النحل الذي يموت فور انجاز مهمته البيولوجية بتلقيح الملكة!

مطلب مستحيل.. وغير معقول وغير منطقي وغير ثوري.. وتبين في النهاية انه غير وحدوي نسف الوحدة واصابها بالعقم من اول لحظة..

كان حزب البعث يريد أن يصبح حزب عبد الناصر ليوظف شعبية عبد الناصر وامكانيات مصر، وشعب مصر لتحقيق الوحدة العربية ـ البعثية، وكان عبد الناصر يريد البعث في كل مكان الا في دولة الوحدة، ودولة عبد الناصر.. وكم كان وضعا شاذا ومضحكا ان يكافح البعثيون في العراق والكويت والمغرب من أجل حرية العمل، المحرم عليهم في دولة الوحدة الأم التي يدعون للانضمام اليها!..

وهكذا بدلا من ان تباح الاحزاب في مصر.. في دولة الوحدة..
حُرمت في سوريا.. وأصبح هذا هو النموذج للوحدة المقترحة.. اندماج كامل في الدولة المركز وحل الاحزاب والتشكيلات السياسية..

رغبة عبد الناصر في منع أي كيان سياسي متميز عن «الاجهزة» التي يحكم بها، قضت على الديموقراطية في سوريا، وحفرت قبر الوحدة يوم ميلادها، وخلقت نفورا او لومكتوما عند كل التشكيلات السياسية في الوطن العربي.

الشرط الثاني الذي اشترطه عبد الناصر «هو ابتعاد ضباط الجيش عن الاشتغال بالسياسة أو ممارستها ومن منهم يرغب في مزاولة هذا النشاط فعليه أن يستقيل اولا من الجيش وان يبتعد عنه»[1]

وهو نفس الشرط الذي طرح على اعضاء مجلس الثورة في مصر. وكان العسكر في سوريا يعرفون كما اكتشف العسكر في مصر، ان القصد من هذا الاجراء هو القضاء على قوتهم العسكرية في الجيش، بحيث يصبح الجيش غير مشتغل بالسياسة، ولكنه مسخر ومجند لخدمة سياسة الرئيس وحده. . والا فإن الصيغة الوحيدة التي تؤمن ابعاد الجيش عن السياسة، هي قيام الاحزاب السياسية، واعتبارها المختبر والباب الشرعي الوحيد للعمل السياسي والوصول الى السلطة. . اما الحكم في مصر على سبيل المثال في عام ١٩٥٨، فلا يمكن القول ان الجيش فيه كان لايعمل بالسياسة، لمجرد انه لايحدث تحريك للوحدات العسكرية عند كل تشكيل وزاري، أو ان الوزراء العسكر يرتدون الثياب المدنية ويخرجون من الجيش. .

فالجيش هو مدرسة الكادر. هو المؤسسة التي يخرج منها اكبر نسبة من المسؤولين والمديرين. . واي محاولة لتأريخ الاحداث السياسية في مصر من ١٩٥٢ الى ١٩٧٠ لن تجد اسما مدنيا واحدا يلعب دورا رئيسيا في الاحداث، ونفس الشيء لو فتشنا في قصة الوحدة والانفصال في سوريا فلن نجد من بين ابطال الملهاة المأساوية اسما واحدا ليس من العسكريين. .

وكل عسكر امريكا اللاتينية يخرجون من الجيش اذا وصلوا للحكم ومع ذلك فهم يحكمون بالجيش والحكم عسكري مائة بالمائة، وفي اسرائيل فإن نسبة هائلة من الذين تولوا السلطة من العسكريين ولكن الحكم غير عسكري والجيش لايشتغل بالسياسة، لأن السلطة مرتبطة بالاحزاب

الجيش في مصر وفي دولة الوحدة، هو السياسة، هو السند الأول للحكم، هو المؤسسة الوحيدة التي يستعين بها الحاكم في ادارة الدولة. والجيش اقام الوحدة وهو الذي اسقطها. . ومن ثم فالحديث عن ابتعاد الجيش عن السياسة هو من باب الشعارات المسبوكة وكلام يقال للمدنيين، ولكن العسكر يعرفون هدفه وان تظاهروا بتصديقه، من باب التخادع المشترك. . وتكون النتيجة ان المخلص هو الذي يستجيب ويستقيل من الجيش اما المتآمر فيبقى متربصا مساوما «بالقطاعات».

وهكذا نكلت دولة الوحدة بصناعها! . . حلت الاحزاب التي صوتت في البرلمان على الوحدة لأول واخر مرة في تاريخ الاحزاب العربية، واصبحت عبرة لمن يعتبر. .

وحل البرلمان الذي وافق على الوحدة. .

وأخرج الضباط الوحدويون من الجيش، مما مهد وسهل للضباط الانفصاليين تنفيذ الانقلاب على الوحدة.

لقد نفذ في الجيش السوري، نفس ما جرى في مصر، استؤصل من الجيش كل ضابط اشتغل بقضية الوحدة، فخلا الجو لاعداء الوحدة، وسيطروا على الجيش، وفي نفس الوقت الغيت المؤسسات السياسية التي قادت الشعب للوحدة، واكتفى الزعيم بالشعبية الهائلة التي استقبل بها في سوريا، والتي جعلته يستهين بجميع القوى ويسقطها من حسابه.. ويحلق فوق الواقع، وتدور رأسه بخمر الزعامة التي لم يصل اليها حاكم عربي منذ صلاح الدين..

فما من عربي فضلا عن مصري حملت جماهير دمشق عربته وهو داخلها على الاعناق! لم يعد له مزاحم لا في مصر ولا في سوريا ولا في العالم العربي كله.. وما من حاكم كان يمكن ان يحقق الوحدة والديموقراطية، ولا يخشى على مركزه مثل عبد الناصر.. ولكنه لسوء حظ، الأمة العربية فضل الاستمرار في صيغة الحكم الفردي المطلق.. فاضاع الوحدة.

وهكذا احتفل في يوم واحد وبقرار واحد باعلان الوحدة وحل البرلمانات، والاحزاب السياسية.. ثم اعقب ذلك مصادرة الصحف التي قامت شعبيتها على الدعوة للوحدة مع عبد الناصر وهروب اصحابها الى لبنان ثم الخليج وتحولهم الى الدا اعداء الوحدة!

ولأمر ما راح عبد الناصر يفتش لسوريا عن رئيس وزراء من غير السوريين لأن المشكلة في نظره انه «ليس هناك شخصا سوريا يمكن أن يتولى هذا المنصب ويرضى عنه أهل سوريا ـ على حد تعبيره.»

واستعان عبد الناصر بالصحفي «مصطفى امين» لدراسة الوضع في سوريا وتقديم صورة عن الموقف! «وكان جمال قد ارسل «مصطفى امين» الى هناك بغرض الاتصال بالهيئات المختلفة بها وكذا بالقيادات السياسية التقدمية منها والرجعية كذلك. وقد اعطاه مصطفى امين. على حد قول جمال ـ صورة سوداء عن الموقف هناك، ومقترحا عليه تعييني أو تعيين كمال الدين حسين رئيسا للمجلس التنفيذي السوري»[٢]

ومن الغريب أن يرى مصطفى أمين صورة سوداء في فبراير ١٩٥٨ والشعب السوري بل الامة العربية كانت تعيش فرحة العمر.. ولكن الاغرب ان يكون «مصطفى امين» بالذات هو المصري المدني الوحيد الذي اختاره عبد الناصر ليعرفه بما في سوريا..!

لو كان في مصر تنظيمات أو تنظيم سياسي حقيقي، لتم اتصال قياداته مع القيادات السياسية في سوريا وفهموا لغة بعض وتفهموا حقيقة الوضع.. بل وكان في مصر عدد لا بأس به من المشتغلين بالعروبة والذين كان يتفجرون ايمانا بناصر ولهم اتصالات قوية بالسوريين، لو شاء عبد الناصر ان يتعرف فعلا على «الوضع» السياسي في سوريا. ولكن

النظام في مصر كان بحاجة الى «تقرير» فأرسلوا مخبرا!..

وبدا أن الدنيا قد صفت للرئيس وان كل شيء يسير في طريق الناصرية ويصب فيها.. ووصل المد الناصري الى ذروته في ١٤ يوليو١٩٥٨.. الثورة في لبنان رفعت خط الحدود وضمته للجمهورية العربية المتحدة، وعرش بغداد سقط، ونوري السعيد اكبر عميل بريطاني في المنطقة سقط، وقد كان المناوىء الألد لعبد الناصر أوهكذا كان الظن..

ومع ذلك، بل وربما، بسبب ذلك، كان ١٤ يوليو١٩٥٨ هونقطة الانحدار الذي سيستمر بدون توقف، مهما بدا من انتصارات إعلامية حتى نصل الى القاع في يونيه ١٩٦٧..

ما من نصر حقيقي واحد تحقق بعد ١٤ يوليو١٩٥٨

١٤ يوليو١٩٥٨ دب الذعر في جميع الأوساط العالمية - الا الذين اوتوا العلم - خوفا من أن يتطور الانقلاب العراقي الى حركة وحدوية حقيقية تلتحم مع الجمهورية العربية المتحدة. فكان الاحتلال الامريكي للبنان والاحتلال البريطاني في الأردن..

وللأسف..!

نجحت هذه المظاهرة في بث القلق والاضطراب في قلب عبد الناصر وتفكيره ولذا نراه يقرر مغادرة يوغوسلافيا الى دمشق، ثم يعود فجأة من عرض البحر الى يوغوسلافيا ومنها الى موسكو يطلب حماية، فيؤكد له الروس انهم لا يستطيعون حمايته إذا اقترب من منابع النفط، وانهم لا يرحبون بوحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة، ولن يدعمونها اذا قامت..

يقول بغدادي : «ولكن القادة السوفيت صرحوا له بأنه لايمكنهم اتخاذ موقف المواجهة منهما أو التصدي لهما (امريكا وبريطانيا ج) والا فمعنى ذلك الحرب التي يعملون على تفاديها»[٣]

وقد ادى هذا الموقف والارهاب الغربي، الى التصرفات الآتية من عبد الناصر والتي شكلت تراجعا منه، ألجم الثورة العربية في ذات لحظة انطلاقها مما سبب تعثرها وانكفاءها الى الداخل لتفترس ذاتها..

وربما يقول التاريخ.. ان جمال تخيل ما جرى بعد تأميم القناة، ولم يؤمن جديا بقدرة الشعب العربي أو الامة العربية على مواجهة القوى العالمية، وتحقيق الثورة العربية الشاملة ومن ثم الوحدة العربية..

عبد الناصر الذي لايمكن وصفه «بالثوري» بالمفهوم الجماهيري لهذه الكلمة رفض أن يخاطر بالسلطة في مراهنة على الثورة العربية الجماهيرية..

على اية حال ومهما اختلفت التفاسير.. فلا خلاف على مسلكية عبد الناصر في تلك

الفترة والتي تميزت بالآتي :

١ ـ قررت القيادة المصرية تهدئة الغرب، والامريكان بالذات، فاتفق على وقف الثورة في لبنان، ووافقت مصر على المرشح الامريكي لرئاسة الجمهورية بدلا من شمعون. وكانت الولايات المتحدة قد اختارت «اللواء شهاب قائد الجيش اللبناني. وقام سفير الولايات المتحدة في القاهرة ريموندهير بابلاغ جمال بهذا الاقتراح». الذي كان قد اتصل بدوره بايزنهاور «عبر له فيه عن هذا الرأي ايضا»[4].

وهكذا طويت اعلام معركة مشروع ايزنهاور!

وهكذا ايضا في نفس اللحظة التي وصل فيها المد الثوري الجماهيري والعسكري العربي الى ذروة العداء للغرب، تم التصالح المصري ـ الامريكي!

ويقول بغدادي ان موافقة عبد الناصر على اللواء شهاب كانت لأنه «رفض أن يزج بالجيش في الازمة الطائفية»

وهذا يرجع الى نقص معلومات بغدادي ومعظم رجال الثورة عن الاوضاع العربية، فأزمة لبنان عام ١٩٥٨ لم تكن ازمة طائفية بالمعنى الذي يتبادر للذهن من الحديث عن ازمة ١٨٦٠ أو ١٩٧٥ . . بل لعلها كانت أقل ازمات لبنان طائفية، وقد بدأت بقتل صحفي مسيحي ناصري، وكان قطاعا هاما من المسيحيين في الجبهة المضادة لشمعون، وهي كانت انعكاسا للمد الوحدوي الذي اجتاح المنطقة، والذي اثار يدون ارادة من القيادة الناصرية، بل وقد يقول البعض وعلى الرغم منها ـ احلام المسلمين في التحرر والتعبير عن الذات. وقد أدى شهاب اكبر خدمة للكيان اللبناني بصيغته المسيحية وللغرب. سواء وهو في منصب قائد الجيش، أو فيما بعد كرئيس لجمهورية لبنان. فهو برفضه الزج بالجيش في الازمة «الطائفية» (هل يعني هذا الوصف من بغدادي ان عبد الناصر زج بالجمهورية العربية المتحدة في الازمة الطائفية؟ج) أبقى على الجيش، فقد كانت اغلبيته وقتها من المسلمين بل الناصريين، ولو «زج» به في القتال لذاب في ايام ولانضمت غالبيته لجبهة عبد الناصر بطل العروبة ومحرر المسلمين!

ولكن عبد الناصر فور نزول الامريكان الانجليز، ومصارحة الروس له بجبنهم. . لم يعد يرغب في الاستمرار الثوري، أو تحدي الغرب في لبنان. . واكتفى باتفاق الجنتلمان مع شهاب أن يمارس عبد الناصر كافة اوجه النشاط ضد الدول العربية المعادية له، بشرط الا يمس التركيبة اللبنانية، التي ستزدهر بالاتفاق المصري والعربي المضاد، وشهاب يحتفظ بل يدعم قبضة المسيحيين على لبنان محتفظا بالود مع السلطة المصرية. .

٢ ـ رفض عبد الناصر الوحدة مع العراق، تخوفا من ردود الفعل الغربية والروسية، والقى ماء باردا على الحماسة الأولى للانقلابيين العراقيين. فقد كان المفهوم أو الشعار الذي

تحرك تحته الجيش العراقي، هو اعلان الوحدة الاندماجية فور انتصار الانقلاب مع الجمهورية العربية المتحدة، أو الدولة النواة كما كانت تسمى في اوساط القوميين والوحدويين. ولكن عبد الناصر رفض تحت تأثير الحسابات التي اشرنا اليها. وطلب منهم تمتين مراكزهم أولا . . وهي محاولة لكسب الوقت، واخفاء قرار اتخذ، وهو استحالة الوحدة مع العراق في هذا الوقت، وقناعة بأن الجائزة اكبر من قدرته.

الوحدة الاندماجية الفورية كانت ممكنة في الاسبوع الأول للثورة. ولو تمت، لتجنب العراق الكثير من المآسي، والافتراس الداخلي. . ولو تمت لغطت الاقليم الشمالي (سوريا) وعززت اساس الوحدة المصرية ـ السورية. لأن سوريا لن ترى نفسها ضحية الحجم المصري الاكبر. . بل كان السوريون والعراقيون سيخلقون توازنا صحيا مع الثقل المصري، وفي نفس الوقت يوازن كل منهم الآخر. .

ولانستطيع الاستمرار في «لو». . .

وانما المؤكد ان عدم قيام الوحدة الفورية، قضى تماما على اي أمل للوحدويين في «تمتين انفسهم» بل اعطى الفرصة للتناقضات الداخلية في العراق، والتقسيمات والقوى السياسية التي خنقت خلال نصف قرن من القمع الانجليزي ـ الرجعي . . وكانت تحلم بالتنفس في مناخ ديموقراطي، وأن تمارس خصائصها السياسية . .

وسرعان ما ظهرت الاحزاب والصحف، واصبح لها كيانها الذي تخشى عليه مصير من سبقها على درب الوحدة العازل للحريات! . .

وتكرر التناقض بين القرار والشعار. . لأن حيثيات القرار لا يمكن اعلانها ولا قبولها من «الجماهير» فقد كان لابد من التظاهر بعكس ما يقتضيه القرار. . ولجأ النظام المصري الى الاجهزة للعمل في العراق لضمان ابقاءه في الخط بدون الوحدة. . ووصلت الكادرات من طراز عبد المجيد فريد، الذين راحوا يطبقون النموذج المصري على العراق. ومن ثم قرروا أنه مادام عبد الكريم قاسم هو القائد المعلن للثورة، فلا بد أن يكون هو «محمد نجيب» وبالتالي فأين جمال عبد الناصر العراقي الذي سيخلع «الطرطور» عبد الكريم قاسم؟ ووقع الاختيار بالطبع على عبد السلام عارف. . بل وصل الأمر الى توجيه هذا السؤال الى عبد الكريم قاسم نفسه؟! هل انت محمد نجيب!!

وكان عبد الكريم قاسم جاهزا ومستعدا ومدعوما وراغبا في القتال. . واثبت انه ليس محمد نجيب، فقبض على عبد الناصر عارف وحكم عليه بالاعدام واستكتبه رسائل استرحام!

وتمزقت الثورة العراقية شر ممزق، وسرعان ما تحولت الى اكبر قوة معادية لجمال عبد الناصر، وأول هم وغم يدخل قلبه منذ أن اشتغل بالسياسة!! فما من حكومة ولا نظام

عربي أو اجنبي قال في عبد الناصر من الاهانات وكال له من السباب ما فعله النظام العراقي بعد الانقلاب!
٣ ـ امتلأت نفس عبد الناصر بالمرارة من الاتحاد السوفيتي والشيوعيين العرب وخاصة المصريين، الذين تخلوا عنه بسرعة مدهشة، وبايعوا عبد الكريم قاسم الذي لم يكن يتحلى بصفة واحدة ترجح كفته على عبد الناصر. والشهادة لله!
حز هذا في نفس عبد الناصر وجعله يخوض حربا اعلامية وبوليسية ضد الشيوعيين بالغ فيها واسرف. مما أدى الى شرخ عميق في القوى السياسية الجماهيرية بالمنطقة والى ارتفاع اسهمه ـ مرة اخرى ـ في الغرب، خاصة وقد جاء كنيدي بسياسة دعم اسرائيل، وترضية عبد الناصر يقول بغدادي:
«عملت الولايات المتحدة بناء على نصيحة سفيرها في القاهرة على عودة العلاقات الاقتصادية بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة، وعلى مدنا ببعض احتياجاتنا من القمح والزيوت والشحومات في ظل القانون ٤٨٠ الامريكي الخاص بفائض الحاصلات الزراعية، والذي يسمح بدفع ثمنها بالعملة المحلية مع تقسيط هذا الثمن على أربعين عاما بفائدة مقدارها ٤ /٣٪ سنويا».
وفي ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ في احتفالات النصر ببور سعيد «هاجم جمال في خطابه الذي القاه هناك الشيوعيين السوريين ووصفهم بأنهم انتهازيون وانفصاليون واعداء القومية العربية وامر باعتقال ما يقرب من الثلثمائة شيوعي في مصر»
واستخدمت في السجون السورية وسائل التعذيب البشعة التي كانت متداولة في مصر مما أدى الى وفاة شيوعي بارز هو «فرج الله الحلو» كما هرب عفيف البزري الذي دعا للوحدة وبايع عبد الناصر، هرب الى العراق. والتف الشيوعيون العرب والعالميون على اختلافهم من روس الى صين الى بلغار خلف عبد الكريم قاسم ضد جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة!
واصبح واضحا ان نظام الجمهورية المتحدة، ليس فيه ما يغري قوة سياسية أو قطاع من الطبقات الوسطى المثقفة، فمثلا لم يكن هناك صحفي لبناني ناصري يتمنى العيش أو العمل في صحافة الجمهورية العربية. وهو في لبنان يتمتع بحرية الحركة ويَقبض من اموال مصر، ما لايحلم به صحفي مصري اوسوري. ويتمكن من مقابلة عبد الناصر واجراء حديث معه يبيعه في العالم العربي، ويشكل تذكرة مرور عند الحكام العرب، بينما عاش عبد الناصر ومات لم يعط لصحفي مصري واحد حديثا ولا حتى هيكل» * ونجاح الصحفي المصري في مقابلة «حامد محمود» تغد فتحا أو سدرة المنتهي التي لايمكن تجاوزها!!
انحصرت جاذبية النظام الناصري في عبد الناصر. ولما كان عبد الناصر متاحا على

النطاق العربي، بل هو اقرب واسهل في التعامل والادعاء من جانب الذين هم خارج الجمهورية العربية المتحدة، فقد اصبح الهتاف لعبد الناصر وحب عبد الناصر من بعيد هو القسط الذي يؤدى نحو العلا . . دون حاجة لأي تفكير جدي في الدخول في نظام عبد الناصر. . خاصة بعدما نزل بالقوى الوحدوية في سوريا من سلسلة تصفيات بدأت بالبزري الشيوعي وانتهت بالسراج الناصري مروراً بالبعث وخلافه . .

اصبحت تجربة سوريا عبرة لمن اعتبر، واكبر عقبة في طريق الوحدة العربية!

لم يبق سياسي ولا صحفي ولا نائب عمل للوحدة الا وأجبر على ان يعض سبابة الندم، ويلعن اليوم الذي تمت فيه الوحدة . . واصبحت لعنة السراج وشكري القوتلي على لسان تجار الشنطة في مطار القاهرة اذا ما تعرضوا لنفس المعاملة التي يلقاها المصريون وعلى لسان الوزراء اذا ما عوملوا بنفس الاهمال الذي تعود عليه اصحاب المعالي وزراء مصر!

انتقلت خصائص الشللية والمحسوبية والافساد والتهليب، وسوء معاملة المواطنين، واعتبار المدني مواطنا من الدرجة الثانية، والاستهتار بالاعراف، وادعاء المعرفة وتجاهل الخبرات . انتقل ذلك كله للاقليم الشمالي . .

والزعيم المحلق في آفاق المجد، لايهتم بشيء، ولايخشى أحدا . . بل يتحدى العالم بقبول استقالة ستة وزراء بيد واحدة! حتى السراج يستقيل فينشر خبر استقالته في اربع سطور . .

كل ما خلق الله وما لم يخلق أصبح محتقرا في همته!

ويقول بغدادي : ان اللجنة الوزارية التي شكلت منه وزكريا واكرم حوراني : لم يحدد لها اية اختصاصات واضحة أو اية مسؤوليات، ولم تتضح سلطاتها كذلك. وكان لابد من الرجوع الى القاهرة في اغلب القرارات التي ترى ضرورة صدورها».

ذلك ان الاقليم كان قد أصبح من حصة عبد الحكيم عامر اقرب الاصدقاء الى قلب الزعيم .

واذا كان «الاخوان» في مصر قد تعودوا على هذه المعاملة، فقد كانت غريبة على السوريين . .

ويصعب ان يصدق المؤرخ ان رئيس الجمهورية يقول لمجلس الوزراء انه هو وحده المسؤول الاول امام الشعب وليس هناك من أحد مسؤول غيره! . . «ومن لايعجبه هذا الوضع يمشي» «هكذا جاءت على لسانه وكان يهدف من هذا القول الرد على الوزراء السوريين الذين يرددون انهم غير مشتركين في ممارسة الحكم»[6]

واللي يعجبه الكحل يتكحل . . والذي لايعجبه، عن البلد يرحل . . وقد رحل الوزراء السوريون وأخذوا البلد معهم! .

ولما جلس مع رفاق مجلس الثورة المصري وعاتبه البغدادي على عبارة: «اللي مش عاجبه يمشي مع السلامة..» برره الرئيس بما يمكن وصفه بالعذر الاقبح من الذنب. وايضا بما يصلح لوصف أو تركيز جوهر سياسة الرئيس عبد الناصر الذي قال: «انه رغب بذلك ان يفهم الوزراء السوريين ان موضوع المشاركة في الحكم الذي يتحدثون عنه غير وارد وبعيد المنال»[7]

لماذا؟!

لأن النظام الفردي مثل الفريك لايحب الشريك!

ولكن ما الذي يجبر وزراء وطنيين يحكمون بلدا عربيا، على التخلي عن كل شيء، والتحول الى طراطير. وزراء ديكور لايشاركون في الحكم..؟!

«غير وارد وبعيد المنال»! بغدادي قبل ذلك لأنه لايستطيع الانفصال..

وقد استقال كل وزير لديه كرامة أوطموح سياسي يفوق روح الاستشهاد في سبيل الوحدة، وبقي مع عبد الناصر نوعان.. المرتزقة الذين ليس لديهم ما يخسرونه.. والوحدويون الصوفيون الذين كانوا على استعداد لأية تضحية من أجل أن تبقى دولة الوحدة، وهؤلاء إما انهم مثاليون بلاخبرة ولا جماهير، واما فقدوا جماهيرهم بعد ذلك، لأن هذه الجماهير لم تتح لها الفرصة لتفهم موقفهم وانه قمة في الوطنية والوعي بل والاستشهاد في سبيل امل العرب الاكبر.. بل بدا موقفهم كأنه منافقة، وتكالب على الحكم والمكاسب الشخصية!..

فخسروا ثقة الشعب، واستشهدوا دون بطولة.. وبعضهم من اشرف الرجال مثل اكرم ديري الشهيد الحي!..

وقد مر عام ١٩٥٨ و ١٩٥٩ بدون أزمات لانشغال الجميع بالعراق.. وكما قلنا جاء عبد السلام عارف الى دمشق يعرض الوحدة، أوعلى حد قول بغدادي - ابلغ عبد الناصر عندما اجتمع به في دمشق عقب الثورة مباشرة «عن رغبة الجمهورية العراقية في الانضمام الى الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة» ويعلق بغدادي «وكان هذا الاتجاه على ما يظهر رغبة شخصية منه ولم يكن قد تم اتفاق عليها بينه وبين قاسم».

ولا نتصور ان عارف طرح هذا الأمر دون اتفاق مع قاسم، بصرف النظر عن نوايا قاسم وارتباطاته، وحتى اذا كان استنتاج بغدادي صحيحا، فهولم يكن رغبة «شخصية» بأي حال بل التعبير عن الاتجاه العام للجماهير والاغلبية الساحقة من القوات المسلحة، فالمناخ العام كان مناخ الوحدة، وتحت زعامة عبد الناصر، ولو التقط عبد الناصر الفرصة، ووافق معه وصدر اعلان او اتخذت اجراءات، او توجه عبد الناصر الى بغداد، لتغير مجرى الاحداث، واصبح من الصعب جدا على التيار الاقليمي والانفصالي والقوى العميلة ان تحول الثورة

الى اكبر قوة معادية للوحدة ولناصر وللجمهورية العربية المتحدة! ولكن بدلا من تصعيد الوحدة ، كما قلنا ، عاد عبد السلام عارف الذي وهب حياته لحلم واحد هو تقديم العراق لعبد الناصر زعيم الأمة العربية «صلاح الدين الجديد» ، عاد من دمشق التي توجه لها وفي جيبه مسودة اعلان الوحدة الاندماجية ، عاد باتفاقية تعاون مشترك لاتزيد كثيرا عما كان بين نوري السعيد وصدقي باشا في الجامعة العربية!

وبغدادي هو الذي يقول «ولم يكن عارف هو المتحمس الوحيد في العراق لقيام وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة وانما كان من ضمن المتحمسين لها أيضا وفي أي شكل من اشكال الاتحاد اعضاء حزب البعث العراقي والوطنيون القوميون هناك».

وهؤلاء كانوا يسيطرون فعلا على الشارع وكانوا الاقوى نفوذا في الجيش ، ولو وجدوا شجاعة من عبد الناصر لسيطروا على الموقف تماما ولكن تردد عبد الناصر خذلهم ، واعطى عبد الكريم الفرصة ليجمع الشيوعيين ويسلحهم ويطلقهم على القوى القومية والبعثية ، وانضم للشيوعيين كل عملاء العهد الملكي وعملاء المخابرات البريطانية ، والامريكية والاسرائيلية ، والروسية طبعا ، كما انضم لهم كل الاقليات التي تخشى تدعيم التيار العروبي . أو الاسلامي المتمثل في الاغلبية السكانية للجمهورية العربية المتحدة ومصر بالذات . .

كلهم اصبحوا شيوعيين وحرس شعبي لحماية الثورة من «الطامعين» وجرت تصفية دموية للعناصر البعثية والقومية التي اصبحت بلا قضية ، لأن الوحدة المنتظرة لم تتحقق ، وقامت هذه القوى بمحاولات يائسة للمقاومة ، كان ابرزها ثورة الموصل ، التي لعبت الاجهزة الناصرية دورا ليس بالقليل في نسج مأساة نهايتها ومأساة زعيمها المرحوم عبد الوهاب الشواف . . وإن لم يكن لهذه الاجهزة دور كبير في تفجيرها! . .

ويؤكد بغدادي ان ملحقنا العسكري التعس «كان على اتصال بهم ، وأن جمال عبد الناصر وافق على مدهم بما يحتاجون من السلاح وعلى محطة الارسال كذلك»

هل كانت الاجهزة تريد ان يحقق لها الشواف «الوحدة» وقد عجز أو رفضتها هي من عبد السلام عارف؟! . .

ابدا . . كان الاتفاق واضحا داخل الاجهزة على الاقل على ان الوحدة مستبعدة ، الامر الذي دهش له بغدادي «والاخوان» من الذين كانوا على القمة أو على السطح لايدرون ماذا يجري في البدروم؟!

«وكان عبد المجيد فريد قد ذكر في حديثه انهم لاينوون الدخول في وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، واعتقدنا أنه يقصد أن ليس في نيتهم التقدم بطلب قيامها فور نجاح الانقلاب المزعوم . ولكنه أكد لنا أن الوحدة ليست من اهدافهم»

وهكذا تآمرت الاجهزة الناصرية مع عسكر لايريدون الوحدة، وليست من اهدافهم . . وهذا يعزز رأينا بأن عبد الناصر تخلى عن «الوحدة العربية» كهدف في يوليو١٩٥٨ وفي موسكو . . ولن يحاولها حتى وله أكثر من خمسين الف عسكري في اليمن[٨] ! . .

ولا نزعم اننا نحيط علما بالتفاصيل الكاملة للعوامل التي اوصلته لهذا القرار . .

كان عبد الناصر يلعب لعبة غاية في الخطورة والحسابات الخاطئة ، ففي لحظة تفجر الثورة العربية ، وأيضا أو بالتالي تصاعد النشاط المعادي له على جميع الجهات من الاستعمار لشركات النفط ، للمصالح الاقليمية والتقليدية ، والطائفية والعنصرية ، باختصار كل القوى التي تعادي «شبح» قيام دولة عربية واحدة مستقلة الارادة والموارد! . .

في نفس هذه اللحظة مد عبد الناصر يده لاعداءه وتخلى عن الجماهير ، أو بالتحديد ، عن قوى الثورة .

وفي نفس الوقت ، ولكي يستمر في الساحة ويرضي الجماهير ، ويساوم القوى الكبرى زاد اعتماده على الاجهزة في «ضبط» العراق . . وكانت الاستراتيجية المطروحة هي دعم عبد السلام عارف ، وخلق مراكز قوى هناك تتصارع على السلطة ومن ثم تلجأ اليه لطلب الدعم فيرجح كفتها بامواله واجهزته وشعبيته ، فيبقى النظام العراقي في الجبهة ، دون اثارة القوى المعادية لحد التدخل! باختصار استمرار «معركة» الوحدة دون تحقيقها اومنع تحقيقها! . . اوبالتعبير الذي استخدمه التلاميذ بعد ذلك «تفجير قضية الوحدة» في كل بلد عربي بحيث لاتبقى قوة وحدوية بعد التفجير بل تتحول كل القوى الى عداء واستبعاد الوحدة!

وتصرفت اجهزته عن جهل بواقع العراق ، وتعدد عناصره ، وان الوحدة العربية في بلد مثل العراق ، لاتسنح للتطبيق الا لحظة عابرة في التاريخ ، وبتأثير موجة طاغية تخفي كل الصخور والنتؤات . . فإذا افلتت من طلابها لاتعود!

ونتوقف هنا لحظة عند الرأي الذي طرحه «الاسطى» مايلزكوبلند عندما قال : «كثيرا ما كان المسئولون في وشنطن يقولون لي : اذا كان عبد الناصر يريد حكم العالم العربي فلا شك انه يسير في الاتجاه المضاد ، أو انه فاشل في سياسته الرامية لحكم العالم العربي . ونحن الذين عرفنا عبد الناصر ، نؤكد انه لم يفكر قط في حكم العالم العربي ، ولم تكن له رغبة في حكم العالم العربي فضلا عن الاسلامي او افريقيا بالطريقة التي حكم بها هتلر اوروبا ، وانما كان كل هدفه ان يقرر هو السياسة الخارجية للعالم العربي ازاء القوى الكبرى . ان يعرف الغربيون ان صفقة معه لاتعني مجرد صفقة مع مصر ، وحدها ، بل مع قطاع اكبر من العالم ـ وان تعرف انه من العبث التعامل مع دولة اخرى في المنطقة قبل استشارته ، وقال «ان قوة القومية العربية في اسطورتها وليس في حقيقتها فعبد الناصر لايطمح ولايسعى لازعاج

نفسه بحكم العالم العربي»[9]

ويصرف النظر عن الصورة السوقية او الشديدة التبسيط التي يعرض بها «الاسطى» الامر، فإن المتأمل في اجراءات الناصرية يجدها قد مزقت كل الروابط التي كانت قائمة في الوطن العربي، وسدت كل امكانيات التلاحم أو الوحدة واكتفت «بزعامة» عبد الناصر وقدرته على التحكم في الشارع العربي . .

المهم قرر عبد الناصر ان يبرز عبد السلام عارف على : «انه هو المفجر الحقيقي لثورة العراق والرجل القوى هناك. واتخذت وسائل اعلامنا هذا الخط في الكتابة عنه»[10] بسوقيتها وابتذالها واشاراتها علنا الى حكاية محمد نجيب وجمال عبد الناصر . . الخ[11]

ويقول بغدادي : «واحسست ان هذا ربما يتسبب عنه صدام بين قاسم وعارف متذكرا ما كان قد حدث بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وان نفس الصورة يعاد تكرارها وربما ينتج عنها نفس ماحدث في مصر من صدام وانشقاق، ولما تحدثت الى جمال في هذا الأمر وجدته مقتنعا بما يفعله وبحجة ان عبد السلام عارف متمشيا معنا في سياستنا ـ كما جاءت على لسانه ـ وتجاهل جمال الشك الذي ربما ينتاب قاسم في نوايانا وهو كان بطبعه شكاكا وحذراً».

«وكان عبد السلام عارف قد بدأ يتصرف في نفس الوقت تحت تأثير ما ينشر عنه في وسائل اعلامنا على انها حقيقة وامر واقع. ولم يكن حريصا في الحفاظ على علاقته الشخصية بزملائه ضباط الجيش . . الخ» واستدعاه قاسم الى مكتبه «وأعلن خبر عزله وهو لايزل مجتمعا به ودون أن يعلمه» ثم رحله الى المانيا ليعود مرة اخرى الى العراق، فيلقى قاسم القبض عليه ويبهدله ويحكم عليه بالاعدام.

«وكان قاسم ايضا قد ازداد شكه في اهداف جمال عندما اكتشف ان هناك كثيرين من عملاء السراج قد تسللوا الى الاراضي العراقية ذلك بالاضافة الى نشاط ملحقنا العسكري هناك الذي طلب قاسم سحبه»[12]

ولما نفذت المحاولة الانقلابية، رفض عبد الناصر ان يتورط في الدعم المكشوف، تحسبا للعوامل التي ذكرناها، ورفض اقتراحا (لم يذكر بغدادي مصدره) : «واقترح ارسال طائرات قتال من سوريا الى منطقة القامشلي أو دير الزور السورية حتى تكون قريبة من المنطقة الدائرة عليها القتال. ولتبقى هناك كاحتياطي للظروف. ولكن جمال استبعد الاقتراح تخوفا من انها لو استخدمت لكشفت عن الدور الذي تقوم به الجمهورية العربية المتحدة والذي تحاول اخفائه»!

وهو تفسير غريب، فلم يكن هناك ابله واحد في العالم يشك في تدخل الجمهورية العربية المتحدة، ومحطة الارسال عند الثوار في الموصل من مصر، ولما تبين ـ كالعادة ـ انها غير

المطلوبة، تولت اذاعة داخل الاراضي السورية (الاقليم الشمالي) اذاعة بيانات الثوار! . .

وكان يمكن تسليم الطائرات لضباط عراقيين من المئات اللاجئين في سوريا. ولكن أمراً ما كان قد حكم تصرفات عبد الناصر، واذا كنت من المولعين بالتفسيرات الماركسية، تستطيع القول بأن فقدان الثقة بالشعب والاعتماد على الاجهزة جعل الزعيم يفضل التآمرية على الثورية.

اما نحن فنعتقد ان هذا التفسير صحيح وجزئي. . ويكتمل بتفسيرنا، وهو أن الزعيم اصبح يخاف من الثورة العربية، يخاف من الوحدة العربية، بعد التحذيرات التي قدمت له، وبحكم الحسابات التي ولدت مع ٢٣ يوليو واصبحت كالامراض الوراثية لاشفاء منها. . ومن ثم رأى الاقتصار على «الشغب» دون التصعيد لمجابهة حقيقية وشاملة. .

وكان يمكن أن يطلب من الشواف اعلان حكومة والاعتراف بها ومن ثم تسليمها الطائرات في ساعات. . واي تحرك ناصري على المستوى العلني المنتظر من الدولة النواة. . كان سيفجر ويقوي المدا الثوري الوحدوي بعكس التحرك التآمري عن طريق المخابرات والملحقين العسكريين، والاموال. فهذا الاسلوب لم يحقق الا المزيد من عزلة الجماهير، والمزيد من الاحباط للتيار الوحدوي، فقد رأوا فيما يجري مجرد صراع شخصي. . فحتى «بغدادي» رأى الموقف كذلك اذ يقول: «وكان جمال في حالة ضيق شديد لتدهور الموقف السريع في الموصل. واعتبر أن ما يجري هناك معركة شخصية بينه وبين قاسم وقد وصلتنا برقية من عبد المجيد فريد في بغداد، ذكر فيها ان الشيوعيين العراقيين يتظاهرون في شوارع المدينة يهتفون ضد الجمهورية العربية المتحدة وبسقوط جمال».

واذا كان الشيوعيون هم أول من هتف بسقوط عبد الناصر في شوارع عاصمة عربية، فقد كانت هذه ايضا أول مرة يهتف فيها بسقوط جمال عبد الناصر في الوطن العربي منذ احداث ١٩٥٤. .

ولم يكن حوله من يستطيع أن يردد مع شوقي:

«تلق الهزيمة ثبت الجنان كما كنت تلقي الفتوح العلا. .

وفي تلك الليلة عقدت محكمة الشعب وكال المهداوي من السباب لعبد الناصر ما لم يسمعه حاكم عربي في حياته ولا من صوت العرب!

وذاق جمال من نفس الكأس بل وأمر، وعلى يد «ثورة» فرح بها يوم اعلانها فرحة تفوق الوصف، وحسده عليها اقرب الناس اليه. .

ويسجل بغدادي الم الرئيس:

«ولم نشأ ابلاغه بالحقيقة، ولكنه أصر على معرفتها، وقدم اليه «محمود الجيار» أحد سكرتيريه، مذكره فيها فحوى مادار في المحكمة، وظهر الالم الشديد على وجهه بعد

قراءتها. ولم يشأ ان نراه على تلك الصورة، فاستأذن ودخل الى غرفته». ويشير البغدادي الى ان من اسباب ضيق عبد الناصر ان المشير صدق ماتذيعه صوت العرب نقلا عن المحطة السرية بالغوطة التي تذيع المادة الاذاعية التي «اعدها جمال عبد الناصر بنفسه لتذاع على لسان الشواف القتيل»!!

صدق المشير «الخطير»: «فأرسل سفينة وثلاث طائرات محملة بالأسلحة والذخيرة ليعزز بها النجاح الذي حققته الثورة..»!

واثبت «المهداوي» أنه استاذ «أحمد سعيد» الذي تعرض لمنافسة حادة لدى الجمهور العربي الذي تعود أن يقضي ليالي العرب الى جوار الترانزستور واصبحت الليالي اكثر امتاعا ما بين وصلات احمد سعيد والمهداوي، واشترك عبد الناصر نفسه في الحملة كما يقول بغدادي «وكتب عدة اخبار لتنشر في الصحف ولكنها كانت تهدف الى اثارة الشعب العراقي ضد قاسم».

«وفي نفس الوقت صعد عبد الناصر حملته ضد الشيوعيين ووصفهم بانهم «عملاء لأنهم لايؤمنون بحرية وطنهم، واشار الى الاهانات والاساءات التي مسته شخصيا ومست الجمهورية العربية المتحدة في محكمة الشعب ليلة ٩ مارس (١٩٥٩ ج) واوضح في هذا الخطاب اكثر من اية مرة سابقة موقفه من الشيوعية كما هاجم الشيوعيين مهاجمة عنيفة خاصة العراقيين منهم».

وكان الشيوعيون المصريون والسوريون قد انحازوا كما ذكرنا الى عبد الكريم قاسم ضد عبد الناصر، واعلنوا ان ثورة العراق تخطت ثورية عبد الناصر البورجوازية الصغيرة، وان عبد الكريم قاسم هو الزعيم الطبيعي للثورة العربية البر ولتيارية وان عبد الناصر تحت تأثير طبيعته البورجوازية الصغيرة، وتأثير اطماع الرأسمالية المصرية الاستعمارية، المتطلعة لاستعمار اسواق الوطن العربي، قد باع الثورة للامريكان والذي عقد الصفقة هو «راونتري» الذي اصبح اشهر من حلف بغداد ومشروع ايزنهاور وصدق من قال: «من عاير اخيه برضع لبن كلبه لم يمت حتى يرضعها»!.. اصبح عبد الناصر يتهم في الاذاعات والصحف العربية بأنه عميل الاستعمار!! وكان للشيوعيين في مصر جريدة يترأسها خالد محي الدين، بلغ من قناعة الشيوعيين فيها بأفول نجم البورجوازي الصغير جمال عبد الناصر وعلو نجم البر وليتاري - البتر ولي عبد الكريم قاسم انها راهنت علنا ضد ثورة الموصل التي راهن عليها عبد الناصر بكل ما يملك. فأصدر جمال قرارا يوم ١٢ مارس بابعاد خالد محي الدين عن جريدة المساء «لاعتقاده انه كان متعاطفا مع الشيوعيين العراقيين.»

وستبقى مرارة هذا الموقف الغادر أو اللئيم من الشيوعيين المصريين عالقة بفم عبد الناصر حتى ينتقل الى رحمة الله، مهما اضطرته الحسابات الدولية للافراج عنهم أو حسن

معاملتهم . .

أحس عبد الناصر بغريزة الصعيدي أنه يتحول الى موقف المدافع . . يقول بغدادي : ان عبد النـاصـر اجتمـع بهم يوم ١٣ مارس ١٩٥٩ وإكرم الحوراني والسراج ومصطفى حمدون وطعمة العودة الله : «وتحدث جمال عن أهمية المعركة الدائرة بين العراق والجمهورية العربية المتحـدة وذكـر انـه لابـد لاحـداهما من ان تقضي على الاخـرى. وهو لذلك يرى ان تنقل المعـركـة الى ارض العـراق نفسهـا بغـرض ارهـاق قاسم، وان يتم ذلك عن طريق تشجيع بعض القبائل على شن غارات لاقامة الفوضى في ارض العراق».

وكـان هذا تطـورا محتـوما . . لحلول الاسلوب التآمري، محل العمل الثوري، فبدلا من الاعتماد على الجماهير المنظمة، كان الاعتماد على الجيش، بل على مؤامرة داخل قطاع من الجيش، وأخيرا وصلنا الى اساليب الانجليز وشركات النفط في الاعتماد على اشد العناصر تخلفا، وابعدها عن المفهوم الوحدوي : تحريك القبائل!! بل وجد عبد الناصر نفسه يتعامل مع اعمدة نظام نوري السعيد ووزرائه وشيوخ قبائله! (راجع حادثة زعيم عشائر دليم . في بغـدادي ص٩٩ الجـزء الثـاني) وسخـرت امكـانيـات الجمهـوريـة العـربيـة المتحدة لزرع الفوضى، وتفتيت الوحدة لوطنية في اكبر قطر عربي بالمشرق . . !

ولكن ذلك كله لم يكن ليفيد موقف عبد الناصر، فقد تحول الى موقف المدافع ويدا فعلا ان قاسم اقوى في العراق من عبد الناصر في سوريا، وكانت كل الظروف ضد عبد الناصر، فالـذي استطـاع في ١٩٥٦ ان يجمـع بين تأييد روسيا وامريكا، اصبح يواجه حلفا شيوعيا ـ نفطيا ـ انجليزيا محلي بشماتة ودس الامريكان! . . كان في ١٩٥٩ يخوض معركة خفية يريد ان يتجـاهلهـا ولكنهـا كانت جاريـة بالـدم والـدولار والاسـترليني . . شنتهـا ضده شركات النفـط . . التي رفضت مخططـات المخابرات، وحذلقة المغامرين، وطلبت ابعاد عبد الناصر ولعبـة الامم، عن النفـط . لأنهـا ـ في رأيهـا ـ أقـدر على تدبـير امورهـا هنـاك، ولا تحتاج لبهلوانيات . وفي العلن كان يخوض حربا شرسة ضد الشيوعيين، هم بدأوها وهو اراد استثمارها!

ويقول بغدادي انه علم في فبراير ١٩٥٩ من عبد المحسن ابو النور بوجود محاولة روسية لعمل انقلاب في سوريا . . ولذا فمن الخطأ او تزوير التاريخ، ان نتحدث عن دور الرجعية في انفصـال سوريـا، وفتنة العراق . فالحقيقة ان الروس كانوا الاكثر حماسة والاعلى صوتا، والاوضـح نفـوذا في معـارضـة الـوحدة المصرية ـ السورية، ومعارضة الوحدة مع العراق . . وخـرشـوف هو الـذي قال للوفـد المصـري ان عبـد النـاصر جالس على خازوق الوحدة في سوريـا . . ووصف عبـد النـاصـر في خطـاب رسمي علني بانـه «فتى انفعالي لايستطيع ان يفرض ارادته على العالم العربي!

«وحاول (خرشوف) ايضا اثارة الشعب السوري ولكن بطريقة ملتوية وذلك بقوله ان الوحدة التي تتم دون ان تكون الظروف السياسية والاقتصادية مهيأة لنجاحها فمصيرها الفشل مع مرور الزمن لأن شعب أحد البلدان المتحدة يأخذه الشعور بفقدان استقلاله، كما ان زعماءه السابقين يبعدون الى المؤخرة. . . الخ»[١٣]

وكان عبد الناصر قد صفى كل التشكيلات الوطنية والقومية، والدينية، فأصبح الشيوعيون أهم ان لم نقل التشكيل الجماهيري الوحيد البارز في الساحة العربية ضد عبد الناصر والوحدة. . وإذاعة «صوفيا» اخذت مكانة اذاعة لندن وباريس والشرق الادنى ومالطة خلال حرب ١٩٥٦ . . والسفارات الشيوعية أصبحت هي التي تدير الحرب ضد عبد الناصر نيابة عن «العالم المتقدم» كله! . .

وكانت لحظة نادرة من لحظات التقاء المصالح بين قوى الهيمنة. . كان عبد الناصر يواجه في العراق حلفا غريبا عليه، وجديدا في السياسة العربية بهذا الحجم، وان كانت بذوره او فكرته قد وجدت في السودان، وستصبح اكثر علانية ووضوحا في «عدن» الا وهو تحالف انجليزي ـ روسي. . فبريطانيا كانت تنظر الى جمال عبد الناصر كأخطر رأس حربة امريكية وجهت اليها لطردها من نفط الشرق الاوسط، وكانت قد جربت التعاون مع الشيوعيين السودانيين في معركة فصل السودان ونجحت المحاولة. . وان كان الحجم الشيوعي لم يكن بارزا. . اما في العراق، فقد كانت الواجهة كلها شيوعية في الشارع، وان استمرت السلطة في يد بريطانيا من خلال قاسم وجهاز الدولة، وتم الفتك بالشيوعيين بعد زوال الخطر الناصري، وفي عدن اصبحت السلطة شيوعية، ونجت المصفاة للبريطانيين من ناصر والامريكان. .

وصحيح ان شركات النفط الامريكية كان لها مصالح في العراق، وتضامنت مع السياسة البريطانية ـ الروسية في ابعاد عبد الناصر، الا ان الانجليز كانوا يتوقعون ان تتطلع هذه الشركات الى مساومتهم على حصة اكبر كما حدث في ايران، اذا ما ساء وضع بريطانيا بفعل الزحف الناصري. ويفهم من كلام بغدادي ان عبد الناصر كان مدركا لهذا التحالف ضده ومن ثم حاول ان يقيم محورا ـ مرة اخرى ـ من الدول الصديقة للولايات المتحدة. .
فيقول: «وكانت بريطانيا استمرت تمد العراق بالسلاح رغم انسحابه من حلف بغداد» كما لم تمس المصالح البترولية، وكان تصور الامة العربية ان تأميمها سيأتي على رأس جدول اعمال اي ثورة. .

ويقول بغدادي: «ولاحباط ما تسعي اليه انجلترا عمد جمال الى تدعيم علاقتنا مع كل من لبنان والسعودية والاردن. فاجتمع مع شهاب عند الحدود اللبنانية ـ السورية، واعيدت العلاقات الدبلوماسية مع الاردن في اغسطس ١٩٥٩. . وصفيت الخلافات مع السعودية

واجتمع جمال مع الملك سعود في سبتمبر من نفس العام.»

ولكن الثقة كانت قد انهارت والنظام الناصري استسهل المعارك مع الدول العربية فخسائرها معدومة ـ في الظاهر ـ وعائدها الاعلامي اكبر والمخابرات الامريكية المتغلغلة والاسرائيلية المتربصة سرعان ما تلقي بمؤامرة بين قدمي السلطات المصرية، فتلتقطها بشغف وينطلق صوت العرب الذي اقامته ال CIA وتتمزق العلاقات مرة اخرى[١٤].

وباستثناء اعتقال الشيوعيين والتنكيل بهم في السجون، وخطب السباب ضد روسيا، لم يكن عبد الناصر يستطيع ان يرد على حملات موسكو ونشاطها، بقرارات تلهب حماسة الامة العربية، كما كان الحال في صراعه مع الغرب عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦.. فلا صين غربية يعترف بها، ولا قناة للروس يمكن تأميمها، ولا صفقة سلاح مع الغرب، فقد سقطت مصر في «احتكار السلاح» الفعلي!..

وعلى طريقة المصاطب، جرى نبش القديم والجديد، واعلن عبد الناصر ان الانذار الروسي (١٩٥٦) لم تكن له اهمية «وانهم لم يتدخلوا في المعركة التي كانت دائرة معنا، وان تحركهم جاء يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ بارسال ذلك الانذار المعروف بعد ان اتضح لهم ان القتال سيتوقف»[١٥] وعلق بغدادي: «وقد اراد جمال بهذا التصريح منه، ان يضيع الأثر الذي كان لدى الشعب العربي عن موقف موسكو من قبل وان دورها كان سلبيا ولم تساندنا بصورة فعالة كما يشاع» وفي هذا الخطاب كشف عبد الناصر السر الدفين فقال «ان موقف الروس كان سلبيا عندما نزلت القوات الامريكية في لبنان والبريطانية في شرق الاردن عام ١٩٥٨ عند قيام ثورة العراق»، وذلك برغم ذهابه اليهم في موسكو وطلبه منهم اتخاذ موقف ايجابي ازاء هذه التحركات.

ولكن عبد الناصر الذي كان قد فقد حرية الحركة منذ ان «حطم» احتكار السلاح سيضطر الى ان يبلغ غضبه، عندما يذكره خرشوف بالمثل الروسي «لاتبصق في البئر فقد تضطر للشرب منه»! وجاء الاستسقاء من عبد الحكيم عامر الذي فزع واقترح «التغاضي وعدم الرد على خرشوف خوفا من ان يمتنع الاتحاد السوفيتي عن تنفيذ ما تعاقدنا عليه معه خاصة فيما يتعلق بالسلاح».

ح زمان الغندرة والتنقل بين المعسكرين.. وستحتاج مصر الى ١٣ سنة حتى تستطيع ان تخرج من قبضة «احتكار السلاح» الذي ربطتها به صفقة تحطيم احتكار السلاح! وقبل ان نختتم حديث الروس نقف قليلا عند واقعة الرسالة التي نقلها صلاح سالم في رواية عبد الناصر..

القصة تقول ان صلاح سالم ـ على حد قول البغدادي نقلا عن عبد الناصر ـ اقترح على جمال عبد الناصر دعوة خرشوف لزيارة مصر بمناسبة وضع حجر الاساس لمشروع السد

العـالي في ٩ ينـايـر ١٩٦٠ وان الفكـرة جاءت لصلاح من موظف بالسفارة الروسية. «وكان جمال قد وافق على اتصال صلاح بالسفارة الروسية بطريقة غير رسمية اسوة باتصال هيكل بالسفارة الامريكية والبريطانية».

وهـذا ظلم من بغـدادي لصـلاح سالم فهـذا عضـو مجلس ثورة ولو سابق، وحاكم وكان يستقبل السفير الروسي في مكتبه ومنزله رسميا. . . وذاك مجرد صحفي. . الخ.

المهم «فـوجيء جمال بصـلاح سالم يبلغـه ان موظف السفـارة الـروسيـة، قد حمله رسالة شفوية من خرشوف الى جمال، وقدم الى جمال رسالة مكتوبة بخط يد صلاح الذي اشار في بدايتهـا الى انهـا مترجمـة وانـه ـ أي صلاح ـ يعتقـد بصحة ترجمتها، وجاء فيها ان خرشوف لايمكنـه زيـارة مصـر «وهي تحكم حكما استبداديا وليس فيها حريات والسجون فيها مملوءة بالاحـرار والتقـدميين. وجمل اخرى في حدود هذه المعاني، وكانت تلك الرسالة مثلا صارخا للتدخل في شئوننا الداخلية».

وقـد انكـر السفـير الـروس علمه بالرسالة، بل وسلـم وزير الكهرباء الروسي رسالة من خرشوف (الذي لم يخضرج) مكتوبة بالروسي هذه المرة، ومرفق بها ترجمة عربية تختلف تماما عن الرسالة الشفوية، «فقد تضمنت حتى الاشادة بجهود جمال في سبيل تحقيق حياة افضل للشعب العربي ومحافظته على استقلال الجمهورية العربية المتحدة».

فهل زورها صلاح؟ . .

لايستبعد فقد كان في هذه المرحلة لايتورع عن اي اجراء ينكد على عبد الناصر ويؤذيه. .

ولكن ألم يحسب صلاح حسـاب ما ستسببـه هذه الرسـالـة لعـلاقتـه عند الروس الذين لايحبون ان تزور رسائل على لسانهم؟!. .

أم كانت لعبة روسية لعرك اذن عبد الناصر ثم التراجع على طريقة ما شتمك الا من أبلغك!. .

ام ان القصـة كلهـا «لعبة» من ناصـر لايغـار صدر بغدادي على صلاح الذي كان عبد الناصر يكرهه كراهية فاقت الحد المتعارف عليه بين اعضاء مجلس الثورة. . . !

تراجعت خطـوط الـوحـدة الى دمشق. . وتـدهور الموقف، وارتفعت حدة الاقليمية. . وكـان «هيكـل» يعمـل بهمة في خلق الحزازات والحساسيات وتأليب الضباط السوريين ضد بعضهم وضـد مصـر «بتلميـع» هذا، والتعتيم علي ذاك (انظـر قصـة مقال يا سيادة الزعيم الأوحـد وغضب طعمـة العـودة الله. مذكـرات بغـدادي الجـزء الثـاني ص٦٢). ويكفي للتدليل على هبوط الحماسة للوحدة قبل انقضاء سنة انه خلال اجتماع بتاريخ ٢٩ ـ ٣١ يناير

١٩٥٩ طلب مصطفى حمدون نقل قوات مصرينة كبيرة الى سورية «ويبرر هذا الاقتراح بقوله حتى لايفكر احد في القيام بعمل مضاد للوحدة مع وجود هذه القوة في سوريا لأنه حينئذ سيفكر في النتائج».

ولكن «طعمة العودة لله» الذي كان هيكل قد استفزه بتزويره المعتاد للتاريخ والاحداث عن واقعة اشترك فيها طعمة نفسه ـ اعترض بأن الوقت قد فات، وان ذلك كان ممكنا في اول الوحدة «ووافق الحاضرون على انه فعلا يصعب نقل قوات الى سوريا مع انها جزء من الجمهورية العربية المتحدة، واقترحوا انتظار عدوان اسرائيلي ليجدوا مبرزا!».

كما عبر المجتمعون عن استياء الجيش السوري من تعيين قيادات مصرية له..

والحقيقة انه لاتفسير لاحجام عبد الناصر عن ارسال قوات مصرية ضخمة لسوريا في افراح الوحدة.. ونقل القوة الاساسية للجيش السوري الى مصر مع بقاء الضباط من نفس جنسية الجنود، الى ان يتم تخرج جيل وحدوي. ولكن القيادة فعلت اللامعقول، ابقت الجيش السوري في مواقعه واستفزت ضباطه بتعيين «قومسيير» مصري!!

وليس هناك من تفسير الا الحسابات اياها، والخوف من الاشتباك مع اسرائيل بالقوات المصرية.

في اكتوبر ١٩٥٩ عين عبد الحكيم عامر حاكما لسوريا... بعدما صفيت كل المؤسسات السياسية، وعزل الشعب، وتمت الجفوة مع كل الاحزاب والشخصيات، ولم يبق الا السراج فأرسل له «عامراً» ينازعه الاقليم.. وكان من الطبيعي وقد خلت الساحة لهما ان يصطدما، وهو ما حدث.. ولكن الرئيس أبى ان يستشعر بالخطر يقول بغدادي «ولكن جمال كان دائم الاطمئنان ومعتقدا ان شعبيته بين الجماهير السورية لها من القوة والوزن الى حد ان تقف حائلا دون ما يعتقده الاخرون وان هذه الشعبية هي الكفيلة بضمان الاستقرار هناك. وكان دائم التعبير بهذا المعنى، عندما يذكر امامه هذا التدهور الجاري في الاقليم الشمالي. ولم يكن على ما يظهر مقدراً مدى خطورة الحال وما وصل اليه هناك» واذا اخذنا هذا التفسير بقيمته الظاهرية، فهذا من اخطر عيوب النظم الديكتاتورية، فان الحاكم المطلق، ينام مطمئنا الى ان مخابراته تعلم كل شيء، ولكن هذه الاجهزة قد تخفى عنه الحقائق احيانا، او تخفي عليها الحقائق، وما من مصري غير مرتبط بالمخابرات اومكتب المشير، سافر الى سوريا في عامي ١٩٦٠ و١٩٦١ الا واحس بخطورة الوضع، وتفاقم الاتجاه المضاد للوحدة، ولكن شيئا من ذلك لم يصل الى علم الرئيس، اوعلى الاقل الى قناعته..! (انظر قول مايلز كوبلند: ان عبد الناصر اصبح بينه وبين العالم حاجز لا ينفذ منه الا تمجيده) وكان صمام الأمان في سوريا هوسيطرة السراج على المخابرات، والرهبة التي استطاع ان يزرعها في النفوس.. ولكن عامر سرعان ما انتصر على السراج، ولم يتسع لهما

الاقليم، فرحلوه الى القاهرة، ليوضع على الرف في منصب نائب رئيس الجمهورية لشئون الامن الداخلي بشرط ان يكون مقره في القاهرة وكانت دمشق هي التي بحاجة الى امن داخلي! . .

وكان ذلك في اغسطس ١٩٦١ . . . لماذا؟

اين تتوفر الخبرة القصوى للسراج في شئون الأمن في القاهرة أم في دمشق؟! على اية حال لم يمنح السراج اي سلطات ولا اختصاصات ولا نشاط . .

ولكن نلخص حكاية الانفصال الطويلة، نقول ان القيادة ارتكبت جميع خطاء التي تؤدي الى الانفصال، ولم تترك منفذا للوحدة الابدية! ولا صخرة تستند عليها الا وازاحتها . . ولا حجة تبرر الانفصال الاوقدمتها، ولا ثغرة ينفذ منها الانفصاليون الا وفتحتها أو عمقتها! . .

اعطت السراج كل السلطات الممكنة مفضلة حكم المخابرات، على حكم البرلمان والاحزاب الذي جاء بالوحدة، واطلقت يده ينكل بجميع القوى السياسية، وينشر الرعب بين المشتغلين بالحياة العامة والمثقفين، وقد روى صحفي مصري انه سأل السراج لماذا يسمح بالتداول في سوريا لكتب تتحدث عن الارهاب والتعذيب في سجن المزة، الذي تمتع وقتها بشهرة الباستيل . . فكان رد السراج: «حتى يقرأها المتآمر فيكف عن تآمره»!!

واذا صح هذا عن المتآمر وهو غير صحيح، لان الارهاب لم يمنع ابدا المؤمن واليائس والمغامر بل وحتى المأجور من المحاولة . . فمن المؤكد ان غير المتآمرين كانوا يقرأون ذلك ويصدقونه بدليل ان الحكومة تسمح به، ومن ثم يزداد نفورهم من السلطة وتمسكهم بالسلبية، ورعبهم من النظام وكراهيتهم له.

وبعد ان استثار السراج عداوة كل الناس للنظام الوحدوي، عالج عبد الناصر الامر بفلسفة الحكم الفردي، وهي التضحية بالسراج.

تخطى عامر السراج، في تغيير تشكيل المجالس التنفيذية للاتحاد القومي في سوريا دون الرجوع الى السراج المشرف على الاتحاد القومي هناك، ودون عزله! «واصدر قرارا آخر يؤمن فيه الاهالي في سوريا على حرياتهم، ويطمئنهم كذلك على انه لن يتخذ أية اجراءات تمس حرياتهم. وقد اكد صدور هذا القرار وبالصيغة التي صدر بها ان الحريات في سوريا لم تكن متوفرة من قبل. الامر الذي يدين السراج لانه معلوم انه هو الذي كان مسئولا عن هذا الوضع هناك»[١٦]

ورفض السراج ان يلقيه عامر «عظمة»، بعدما أكله ناصر «لحمه» . . . ويعكس كل الرجعيين والبعثيين الذين انسحبوا أو طردوا من السلطة، دون ان يحملوا اخلافهم الى الشارع، اوعلى الاقل دون معركة علنية مع السلطة الناصرية، فإن السراج وحده نزل الى

الشارع واعلن خلافه. . السراج الذي يمن «هيكل» على الأمة العربية بأنه من جيل عبد الناصر، والذي ما زال حتى الان نجم الناصرية المختار والمثل الذي يضرب لتلاميذ عبد الناصر. . .

«ذهب السراج الى سوريا وقام بدعوة اللجنة التنفذية للاتحاد القومي هناك الى اجتماع، وتحدث اليهم عن ذهابه الى القاهرة كنائب رئيس لشئون الامن فوجد أنه بلا سلطان ولاصلاحيات، وطلب من عباس رضوان وزير الداخلية للاقليم المصري أن يعرض عليه اعمال وزارته، ولكنه لم يره بعد ذلك وكلما كان يحاول الاتصال به يقال له انه ليس بمكتبه»!!

وتخيل نائب رئيس الجمهورية لشئون الأمن يتصل بمرؤسه وزير داخلية تنفيذي للاقليم، فيرد عليه مدير مكتبه بالطريقة البير وقراطية المتجبرة المعتادة: «مش موجود عنده لجنة. . كلمنا بكره بدري!». . ومن الذي يعامل هكذا؟

عبد الحميد السراج، الذي كان مساعدوه يحكمون لبنان ويرعبون الاردن والعراق، ويفزع منه رؤساء جمهورية سوريا وقادة جيشها؟! سقوة كأس الذل والاهمال في القاهرة!.

استطاع السراج بالاقناع أوبالعصبية الاقليمية، أوبالرعب الذي زرعه في النفوس أن يدفع اللجنة التنفيذية الى اصدار قرار بالغاء قرارات عبد الحكيم عامر!

وكان هذا هو أول اعلان بالانفصال ومن «بطل الوحدة» السوري!

اما ضباط المكتب الثاني أورجال السراج، فقد رفضوا تنفيذ اوامر عبد الحكيم عامر بنقلهم، «وشهروا مسدساتهم على الشخص الذي أوفده اليهم لابلاغهم القرار»

وجاهر السراج بقدرته على: «اخراج المشير من سوريا بالبندورة أي بالطماطم»

وهكذا كان اول عصيان علني وتهديد باخراج المشير، من بطل الوحدة وتلميذ الناصرية. . تماما كما كان أول تهجم على عبد الناصر من النظام «الثوري» في العراق!. . ولا عجب فالسراج كان منضبطا على موجة عبد الناصر وقد عرفنا من خصائص هذه الموجة انها لاتتحمل المشاركة، وانها على استعداد لتدمير الوطن في سبيل السلطة. .

وأحضر السراج الى القاهرة تحت تهديد استخدام العنف معه من قبل «احمد الحنيدي» «وهو وزير وعسكري سوري.»

وحضر السراج وعامر الى القاهرة يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٦١

وقدم السراج استقالته يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦١

هكذا كان الوضع بين اكبر ناصريين في سوريا: عبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج. . قبل ستين ساعة من الانفصال. .

فمن الذي اضاع الوحدة؟!

الرجعية؟!

أم الناصرية؟!
من الذي نسف السراج والمكتب الثاني؟
من الذي «مرمط» سمعة الوحدة، وقال للسوريين انه حتى السراج اذا ذهب الى مصر لايطيعه الموظف المصري؟! وان ما سمعه البعثيون عن ان «المشاركة في السلطة بعيدة المنال ومن باب المحال» هوحقيقة عامة ومبدأية وليست موجهة ضد البعثيين وحدهم لميولهم الحزبية، بل حتى ضد الذي نسف انابيب البترول، وحمل سوريا الى عبد الناصر على طبق من لحم الشيوعيين، معطرا بالولاء والحب للزعيم..
من الذي قال للسوريين انه لا مكان لاي سوري في ظل وحدة عبد الناصر؟! من الذي شرخ هيبة المشير و«بهدله» مما شجع على التطاول عليه..
من الذي اوجد حالة الشلل الأمني، وجعل المشير في رحلة ذهاب واياب ما بين القاهرة ودمشق في اسبوع ما قبل الانفصال؟!
من الذي خلع السراج، وسلمه للانفصاليين مقصوص الجناح.. ليعود فيفرح به لاجئا في مصر!!
هل تلام الرجعية لأنها استغلت حالة الفوضى هذه؟..
هل تلام لأنها لم تكن تقل «انتهازية» عن قادة الوحدة وحكام دولة الوحدة؟ الذين نسوا كل المباديء والشعارات في الصراع على السلطة؟!
ما ابرعنا في لوم الشيطان..
ولا بد من حادثة «كوميدية» من طراز مضحكات المتنبي التي هي كالبكا في قصة ساعات الانفصال، فقد اتصل المشير بالرئيس قبل منتصف ليلة الانفصال وابلغه ان الحالة «اخر سلطنة»!.. ليعود فيوقظه بالنبأ العظيم!..
قال سامي شرف للبغدادي «ان المشير اتصل بالرئيس قبل منتصف ليلة الاربعاء ٢٧ سبتمبر بحوالي ساعة وابلغه ان كل شيء هاديء تماما هناك.. ولكن في الساعة الرابعة من صباح الخميس ٢٨ سبتمبر عاد واتصل بجمال وابلغه عن وقوع انقلاب».
وكما في كل ازمة كبرى مرت بمصر، ظهر تخبط وعجز وارتباك الاجهزة، واضطراب وتناقض قرارات القيادة.. ثم «الاحجام» عن اتخاذ القرار المطلوب.. تحت تأثير الحسابات اياها!..
تبين من اول لحظة انه لاوجود للاتصال المفروض توفره في دولة يفصل البحر ودولة معادية بين اقاليمها.. كان يفترض وجود جهز اتصال لا يتعرض للمفاجآت أو التعطل، ولكن بعد ان اخذ الانفصاليون جهاز الارسال الذي يتكلم منه عبد الحكيم عامر اصبح راديو دمشق هو المصدر الوحيد للمعلومات لدى القيادة المصرية التي تدير معركة استرداد الاقليم

المتمرد! . .

وتبين انه لا تشكيلات، ولا وحدات، ولا حتى مبادرات في القوات المسلحة اوعلى المستوى الشعبي يمكنها ان تتحرك. . وعاد المشير الى القاهرة كالأرملة. . .

وقرر جمال عبد الناصر أن يتصرف التصرف المنطقي، والذي انتظره الشعب المصري والشعب السوري، والشعب العربي، بل وكل دول العالم. . فلا أحد ينكر حق الدولة في قمع تمرد يريد أن يمزق وحدة اراضيها، والعالم كله معترف بالجمهورية العربية المتحدة، وعبد الناصر رئيسها الشرعي. ولا احد يتصور ان يقف عبد الناصر مكتوف الايدي، ونصف دولته ينسلخ ودولة الوحدة تنهار تسليما بعدم التدخل!! وهو الذي يحرض على دك العروش، ويعتبر نفسه طرفا اصيلا في السياسة الداخلية لكل بلد عربي. . بل وسيرسل الجيش المصري بعد عام واحد ليقاتل في اليمن خمس سنوات لحماية «انتصار» الشعب اليمني! ومنع البدر من العودة لصنعاء! . . هل يعقل ان يترك دولة الوحدة تتحطم والاقليم ينفصل، والشعب السوري يحرم من المكاسب الاشتراكية؟! والرجعية تعود الى دمشق؟! . .

لم يخطر ببال احد «من اهل الظاهر» ان الزعيم يمكن ان يقبل ذلك ويقف ساكنا. . ولا حتى الزعيم نفسه تصور ذلك، وهكذا اصدر اوامره بتحرك الاسطول والانزال الجوي، واعلن انه سيذهب بنفسه الى هناك ليلهب حماسة الشعب السوري، ويسحق الانفصال. «وكان جمال قد تحمس لفكرة ارسال قوات عسكرية بحرا الى ميناء اللاذقية بعد تأمينه، ثم سفره شخصيا الى هناك، وان ذلك ان تم فقد يتغير الموقف تماما لصالحنا».

ولا احد يستطيع أن يقول الآن على وجه اليقين، ماذا كان سيحدث لو أن عبد الناصر نفذ ذلك فعلا وذهب الى اللاذقية على رأس الاسطول أوحتى بمفرده، ونزل الى الشارع، ودعا الشعب السوري والجيش السوري الى الالتفاف حوله والدفاع عن دولة الوحدة العتيدة؟!

هل كان النحلاوي يستطيع مواجهة عبد الناصر؟!

الحقيقة المؤكدة أنه ما من وضع أسوأ مما حدث كان يمكن ان يقع لو توجه عبد الناصر الى سوريا. .

ولكن عبد الناصر لم يذهب. .

ولا ارسل الاسطول ولا اكمل انزال المظلات، بل اصدر اوامره للدفعة الاولى التي كانت قد هبطت فعلا (٨ ضباط بينهم قائد الصاعقة و ١٢٠ جنديا) «طلب منهم تسليم انفسهم لقائد القوة البحرية في اللاذقية المسمى زيتونة». . .

ولا حاجة للحديث عن سمعة الجيش المصري بعد هذه العملية الفاضحة الفشل،

وبعدما حدث من استعراض لقائد الصاعقة في التليفزيون السوري الذي اقامته مصر على نفقتها لكي يشاهد فيه السوريون منجزات الناصرية، اذ انطلق قائد الصاعقة يسب قيادته!!

لماذا تراجع عبد الناصر؟

وقد ثبت أن الانزال ممكن بدليل نزول الدفعة الاولى؟

لماذا؟

هل الجواب.. هو عجز الجيش والاجهزة..

فكما قلنا ثبت انه لا وجود لاية مراكز قادرة على التحرك في الداخل، أوحتى راغبة فيه، رغم أن الشعب السوري قد صدم بنبأ الانفصال، وظلت ميوله وحدوية اوعلى الاقل متعاطفة مع ناصر ولا تحمله مسئولية ما جرى.

كما ثبت ان الضباط المصريين لا يسيطرون على وحدة واحدة في الجيش السوري الى الحد الذي يمكنهم من شل تحركها فضلا عن تحريكها، ومن ثم فان وجودهم في الجيش السوري لم يخدم اي هدف الا استفزاز السوريين واعطاء مادة إثارة للقوى المعادية!

وثبت ايضا عجز الجيش المصري في مصر عن التحرك بالكفاءة المطلوبة، فقد تأخر الانزال الجوي «عن موعده المحدد باكثر من اربع ساعات» وكان ذلك كافيا لاخماد مقاومة حلب واللاذقية وكانت العناصر الوحدوية قد استمرت مسيطرة على المدينتين حتى العاشرة مساء (٢٨/٩/١٩٦١) في حلب، والى منتصف الليل في اللاذقية.

اي لو ان الفريق صدقي محمود استطاع تنفيذ الانزال في الموعد المحدد له لوصل في ظل السيطرة الكاملة للوحدويين على المدينتين، وكان بالامكان دعم موقفهم حتى وصول الاسطول وعبد الناصر.

ويروي بغدادي ان الوزراء السوريين ظلوا يلحون على عبد الناصر حتى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل في اخماد الانفصال بالقوة. وكان يستطيع بالطبع ان يضع هؤلاء العسكريين والوزراء السوريين على رأس القوات المصرية لتتم عملية القمع وحدويا.. ويصبح السوري الوحدوي يقاتل السوري الانفصالي وان كان الجميع قد توقعوا قتال الدولة ضد الانفصال. ولكن عبد الناصر رفض وقدم تبريراً يؤكد أنه كان يخشى الهزيمة العسكرية لا اي اعتبار آخر فقال: «لوحدث واغرقت لنا باخرتين مثلا وخسرنا المعركة فسنتزل الى الحضيض ونصبح دولة كدولة اليمن».

وما دام رئيس مصر يعتقد ان مصر تنزل الى الحضيض وتتحول الى اليمن باغراق باخرتين.. فإن الوزراء السوريين لم يجدوا ما يقولونه.. فكل منطق يمكن مناقشته الا منطق «الخائف».. وانصرف الوزراء السوريون الى فندق شبرد.. ولعلهم رددوا كلمة عبد

الناصر وهو يطوف حول قناة السويس في عام ١٩٥٦ عندما قال: «هزمني جيشي»! مع تعديل بسيط.. وهو «هزمتنا قيادتنا» أو «هزمنا زعيمنا»

هل كان اذا قرار ارسال المظليين مجرد تبرئة ذمة، وقبول الانفصال كان مقررا وعبد الناصر قد نفض يده من الوحدة، او اقتنع بانها سابقة لاوانها وانها قد تضر مواقعه في مصر ذاتها؟! ام هل اقتنع فعلا انه لايملك القوة ولا القدرة على مواجهة الجيش السوري؟!

أو ان هناك حسابات اخرى لم نحط بها خبرا؟.[17]

المهم ان الشعار المسبوك الذي اطلق لتفسير قبول الانفصال لم يكن صادقا.. فقد أعلن الرئيس ان «السلاح العربي لايقتل العربي»

وبعد أقل من عام سيتفرغ السلاح العربي لقتل العربي ٢٤ ساعة في اليوم وعلى مدى خمس سنوات.. حتى يتدخل السلاح الاسرائيلي ويدمر السلاح العربي والاستقلال العربي..

اما عن المتسبب في الانفصال فنحن نثبت هنا شهادة بغدادي الذي كان وقتها في قلب الصورة، وقلب السلطة، في ذلك الوقت وفي واحدة من اكثر فترات انسجامه وتعاونه مع الزعيم.

قال:

«وأخذ كل من الوزراء السوريين بعد ذلك يشرح الأسباب التي أدت الى تدهور الحالة داخل سوريا والتي تسبب عنها استياء الشعب هناك. وكانت أغلب تلك الأسباب تدور حول أعمال المخابرات ومباحث البوليس بها. وكذا القرارات الاشتراكية التي كانت قد صدرت في يوليو ١٩٦١. كما أن وجود الحكومة بالقاهرة جعل سوريا تفقد شخصيتها.

ولما قاربت الساعة الثانية والنصف صباحا غادرنا منزل جمال وكأننا في حلم، وما حدث ليس بحقيقة، والأمر قد انتهى في ساعات قليلة. وتذكرت حماس الشعب السوري وإيمانه بالوحدة. وكيف استقبل جمال عندما زرنا دمشق في أول مرة عام ١٩٥٨ بعد الاستفتاء على الوحدة ورئاسة جمال للجمهورية. وكيف كان يستقبله بالهتاف والتصفيق والرقص طوال تلك السنوات الثلاث.

وقد مر كل ذلك في ذهني وكأنه شريط سينمائي ولكنه لم يستغرق الا لحظات. وأحسست أن ما حدث كأنه كابوس ثقيل. وأن أملنا في وحدة عربية شاملة قد انهار فجأة، وفي ساعات محدودة، وما حدث سيكون له تأثيره وعاملا مؤخرا دائما لاتمام هذه الوحدة التي هي أمل كل عربي مؤمن بوطنه وبعروبته.

ولا شك أن هناك أخطاء تسبب عنها تدهور في قوة الوحدة وكان يمكن تداركها وعلاجها خاصة تصرفات السراج في سوريا والطرق البوليسية التي كان يتبعها وتذمر الشعب السوري

منها حتى أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد.

وكان جمال يعلم ما يفعله السراج وضيق الشعب السوري وشكواه من هذه الأفعال. ولكن جمال كانت له طريقته الخاصة في معالجة مثل هذه الأمور. وكان يعتقد أنه بالصبر ومع الوقت يمكن حلها ـ هكذا كان يردد دائما عندما تواجهه بعض المشاكل. ولكن هناك بعض الأمور إن لم تعالج فورا فغالبا ما يترتب عنها أضرار بالغة.

وكان هناك أيضا خطأ آخر جسيم ساهم فيما حدث في سوريا وهو طريقة إدارة دفة الجيش وأموره. وعبد الحكيم كان عادة يترك الأمور لمساعديه. وهم كانوا يتخذون ما يرون من قرارات. وأغلب مساعديه قل أن يحسنوا التصرف. وقد أدى تصرف البعض منهم في سوريا الى جرح كرامة وكبرياء كثير من الضباط السوريين. وكثيرا ما كنا نسمع قصصا تؤكد هذا المعنى وكانت تبلغ الى جمال.

وقصة عبد الكريم النحلاوي مدير مكتب عبد الحكيم وكاتم أسرار الجيش في سوريا وهو أحد قادة الانقلاب إن لم يكن أهمهم تؤكد هذا المعنى الذي سبق. فقد عمد الى إجراء حركة تنقلات بين ضباط الجيش السوري ووحداته تم له فيها نقل أغلب الضباط المتفقون على القيام بالانقلاب الى قيادة الوحدات الهامة في المناطق المختلفة وذلك حتى يضمن نجاح الانقلاب. كما أوفد أيضا الضباط السوريون المؤمنون بالوحدة الى بعثات بالخارج زيادة منه في الحيطة.

وقد تم له كل هذا دون أن يشك في نياته عبد الحكيم أو أحد من معاونيه. بل أن مؤامرة الانقلاب نفسها كان قد سبق وعلم بأمرها وذلك قبل حدوثها بثلاثة شهور. وذكر أثناءها أسماء ثلاثة من قادتها وكان النحلاوي نفسه أحدهم. ولكن عبد الحكيم استبعد الأمر لثقته في النحلاوي ولم يحاول التأكد من صحة هذه المعلومات أو يجري تحقيقا فيها. وقد أثير معه هذا الموقف منه بعد عودته مباشرة من سوريا بعد الانقلاب في منزل جمال. فذكر أن النحلاوي غبي وقد استغل في هذه العملية.

وليس بخاف أيضا ما كان يذكر عن مدير مكتبه في مصر البكباشي شمس بدران. والطريقة التي كان يتعامل بها مع الضباط من ذوي الرتب الكبيرة الى أن أصبح هذا موضع تعليق دائم ليس بين الضباط فقط بل وبين المدنيين كذلك. ولم يحاول عبد الحكيم إبعاده عن منصبه أو حتى إيقافه عند حده رغم ضيق الضباط من هذه الأفعال الى درجة أثارت حفيظتهم منه.

وأنه لمن الغريب أن يعلم جمال كل هذا كما كان يعرف أخطاء السراج ولم يحاول معالجة تلك الموضوعات ووضع حد لها رغم استمرارها وتكرارها.

ولا يفوتني كذلك أن أذكر أن من ضمن الأسباب التي أوصلت الحال الى ما وصل اليه

هو أسلوب جمال في الحكم. فالشعب لم يكن له دور إيجابي في السياسة التي ترسم له. وكان هذا الوضع له خطورته في سوريا ومصر على السواء. ولم يكن هناك تنظيم سياسي اللهم إلا تنظيم الاتحاد القومي. وهو نفسه كان تنظيما فاشلا ولا يشارك في وضع السياسة العامة للبلاد. وحتى قراراته نفسها إن اتخذ قرارا لم يكن ملزما لأحد. ومجلس الأمة سلطة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة كان قد أصبح أضحوكة الجميع. ولم يكن يباشر صلاحياته بل وصوته لم يكن مسموعا على الاطلاق. والصحافة لم تكن تقوم بدورها الطبيعي في إبداء الرأي الحر ومناقشة ما كان يجري من أخطاء وإنما اقتصر دورها في الغالب على التمجيد والتهليل للحاكم. وأصبح السباق بين الكتاب فيها على التقرب إليه عن طريق الزلفى والنفاق. وكانت هناك محاباة زائدة لضباط الجيش الذين تركوا خدمته. فقد أصبح لهم الأولوية الأولى في شغل المناصب الرئيسية في الشركات أو التعيين في سفارتنا بالخارج. والشعب كان ينظر الى ما يجري من حوله ولا يملك من أمره شيئا الا أن يعلق على ما يجري كعادته بنكاته وقفشاته لينفس بها عن نفسه وعما يعتمل في صدره من الآم وحسرة، ومتخذا لنفسه موقفا سلبيا من تلك المجريات حتى أصبح في جانب والحاكم في جانب آخر وبعيدا عنه.

تلك كانت هي حقيقة الوضع وليس ماكنا نقرأه في الصحافة أو نسمعه في الاذاعة من أغان كلها مدح وثناء وتمجيد في حكمة الحاكم وقدرته وعدالته. ولم تكن أيضا ما كنا نلمسه في الاجتماعات الشعبية وما يردده الآلاف من جماهير الشعب التي جمعت لأداء الدور المطلوب منها. وكان كل ما يجري من صور حولنا لاتمثل الواقع الأليم انما تمثل نفاقا للحاكم وخداعا للشعب ذاته.

هذا ما كان قد جال بخاطري بعد أن عدت الى منزلي صباح ٢٩ سبتمبر بعد ان عشت صدمة الانفصال المفاجئة والسريعة، فسطرته في يومياتي ولم يكن الا تعبيرا عما في نفسي وربما ضيقي من الحال الذي كنا قد وصلنا إليه.

«ثم جاء يوم الجمعة ٢٩ سبتمبر. وقام جمال بإلقاء خطاب في ميدان الجمهورية. وذكر فيه كيف تمت الوحدة والصعوبات التي واجهتنا في سوريا بعد قيامها. وحمل على الانقلاب والقائمين عليه ذاكرا أنه قد تم بالغدر والخيانة. وأن الرجعية وأعوان الاستعمار وراء هذا الانقلاب. وقص على السامعين ما كان قد تم من إرسال قوات بحرية وجوية من مصر الى اللاذقية ولكنه عاد وأصدر أوامره بعودتها ثانية[١٨] بعد أن كانت قد ترحلت فعلا، ويبرر هذا التصرف منه بأنه لم يرغب في أن يقاتل العربي أخيه العربي. وأشار في كلمته أيضا الى المكاسب التي حققها الشعب السوري من قيام الوحدة مع مصر وطالبه بالمحافظة عليها.»

ومن التفسيرات المطروحة، اتهام الرجعية السورية او الرأسمالية السورية بأنها قامت

بالانفصال ضد القرارات الاشتراكية . .

وهذا يعني ايضا أن «الاشتراكيين» المصريين ضحوا بالوحدة في سبيل الاشتراكية إذ ثبت من التجربة، ان هذه الرأسمالية أو الرجعية قبلت الوحدة، وفرضتها، ولكن الاشتراكية استثارت هذه القوى «القادرة» وفي نفس الوقت لم يثبت ان لها أي عمق طبقي أو جماهيري بالمقابل يستطيع الدفاع عن الوحدة . . فلم تهب جماهير الفلاحين والعمال للدفاع عن مكاسب الاشتراكية التي تحققت في ظل الوحدة والتي كان يمكن ان تتحقق!

واذا جاز لنا ان نتهم «الرأسمالية» بانها فضلت مصلحتها الطبقية على الوحدة فنفس الاتهام موجه للاشتراكيين . . كلاهما رأى ان المصالح الطبقية أهم من الوحدة . . وكلاهما دفع الثمن غاليا، فلا الرأسمالية استمرت في سوريا، ونالت المجتمع الصناعي المتقدم الذي ارادته، ولا «الاشتراكيون» استطاعوا بناء المجتمع الاشتراكي الموعود، لا في ج ع م ولا في مصر وحدها . .

واذا تباهى الرأسمالي بحقيقة ان الوحدة ممكنة في ظل الرأسمالية، والانفصال محتوم بالقرارات اشتراكية . . فيجب الا ينسى انه بدون الوحدة العربية، لا أمل لا في استقرار النظام الرأسمالي ولا ازدهاره في أي قطر عربي بمفرده . .

وبالانفصال طوى علم الوحدة . .

ثبت ان عبد الناصر ليس لديه الطاقة العسكرية لفتح الاقاليم العربية بالقوة . . ولا لديه الجهاز السياسي القادر على قيادة الثورة الوحدوية، ولا النظام السياسي الذي يجذب القوى الوحدوية والمترددة . .

كان الاحتمال الوحيد الذي راهن عليه الوحدويون، هو استمرار انتصارات عبد الناصر ضد الاستعمار واسرائيل، لاستمرار الدفع الثوري في شراع الوحدة القومية . . ولكن بعد معركة القناة، وتصفية الاستعماريين البريطاني والفرنسي من المنطقة (تقريبا) لم تعد هناك معارك سهلة يستطيع كسبها ضدهما . لم تبق الا الساحة الاسرائيلية وهذه قام بينه وبينها حاجز هو القوات الدولية، وهذا الحاجز كان يقوم على قاعدة «صلبة» من الرفض الناصري لأية مواجهة شاملة مع اسرائيل . .

ولأن الزعامة الناصرية كانت تقوم على فرد، وليس على أمة ولانظام ولا مؤسسة، ومن ثم كان لابد أن تبقى له القداسة، وسحر الانتصارات الدائمة ، فلما لم يتحقق ذلك زال مبرر الوحدة . .

والدليل ان هذا الزعيم الذي سعى اليه بالوحدة ضباط عظام مثل البزري والسراج وطعمه العودة واكرم ديري وحنيد . . وعبد السلام والطبقجلي ورفعت الحاج سري . .

رفض الوحدة معه تلميذان من تلاميذه احدهما لاينسى ان الزعيم صافحه مره ونظر الى عينيه نظرة غريبة، والآخر مازال يعيش في خطب وبيانات صوت العرب التي حفرت في عقله من ايام المدرسة الاعدادية ! . . ومع ذلك لم يخطر ببال واحد منهما أن يفعل ما فعله ضباط الجيش السوري أو العراقي . .

وهكذا فإن الزعيم الذي حقق اكبر انفصالين في تاريخ الامة العربية . انفصال السودان عن مصر . . وانفصال الاقليم السوري . . توج بطلا للوحدة العربية . .

وطوبى للمغفلين!!

٣ ب بهجت علي - الزمالك

١١ مارس ١٩٨٤

الهوامش

هوامش : المقدمة

١ غولدا مائير: حياتي ص ٢٨٨

٢ ن.م ص ٤١٥

٣ كتاب لعبة الأمم: مايلزكوبلند

٤ زكريا محي الدين عن حروش.

٥ ويدعي مايلزكوبلند ان عبد الناصر قال له انه موافق على مقالة هيكل، وإن كان الأمر ليس بالبساطة التي عرضها هيكل. وانه وبخ هيكل على المقال! . . انظر: لعبة الامم ص ٢٧٠ ـ ٢٧١

٦ تقرير فريق المستشارين الامريكي من مؤسسة «آرثر ليتل كومباني» في بوسطن.

٧ رسالة مصطفى أمين لعبد الناصر: العرب ٩ فبراير ١٩٨٤

٨ وهو لا يصل الى الفلاحين.

٩ ذكر تقرير للمخابرات الامريكية ان واحدا من زعماء بيروت المسلمين الاربعة، حصل على ٧ ملايين ليرة لبنانية من مصر خلال احداث ١٩٥٨.

هوامش الفصل الأول

١ في سبتمبر ١٩٧٩ بعد سقوط الشاه. . نشر كيرميت روزفلت كتابا بعنوان «الانقلاب المضاد»: الصراع للسيطرة على ايران. اعترف فيه بدوره في خلع مصدق. ولكن بعد الاستيلاء على السفارة الامريكية سحب الكتاب من السوق واعدمت سبعة الآف نسخة. هامش ص ٣٥٦ من حبال الرمال.

٢ واشنطن بوست ١٩/١٠/١٩٨٣.

٣ ن.م.

٤ هيكل . . حرب السويس ص ٦٨

٥ حروش

٦ «حدتو» هو اختصار اسم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني وهو تنظيم ماركسي كان يترأسه اليهودي هنري كوريل وظهر في نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان احمد حروش عضوا فيه، وافشى قرار الثورة لهم يوم الانقلاب

وربما كان هذا سر عدم ثقة عبد الناصر به، كما تهرب من تنفيذ المهمة التي كلف بها في الاسكندرية.

٧ اقرأ رسالة مصطفى امين عن محاولته اقناع الامريكيين خلال الحرب العالمية وما بعدها بان مصلحة امريكا هي مصلحة الشعوب العربية

٨ ص ٢٦٣ من وثائق الخارجية الامريكية عن عام ١٩٥١

٩ ص ١٣ من وثائق الخارجية الامريكية عن عام ١٩٥١

١٠ المخابرات الامريكية.

١١ نعترض على كلمة «عميل» هنا لان مايلز كوبلاند امريكي وموظف كبير في المخابرات الامريكية، والمرء لا يكون عميلا عندما يعمل في مخابرات وطنه. وكون نشاطه ضد وطننا، بل حتى ضد المبادىء الانسانية والمعلنة للمجتمع الامريكي لا يعني ولا يبيح لنا أن نصفه بالعمالة بل هو بالمفهوم الامريكي «من الوطنيين».

١٢ لعبة الامم ص ١٧٥ ـ ١٧٦

١٣ حروش عن عودة من «ميلاد ثورة»!!

١٤ لاحظ اسلوب حروش فهو يحدد شهر مارس وهو الشهر الذي يقول مايلز كوبلند ان الاجتماع والاتفاق تم فيه بين المخابرات الامريكية والضباط الاحرار فكأنه يريد أن يوعز بالتهمة ويتنصل من مسؤولية الاتهام في نفس الوقت.

١٥ معظم الذي اورده حروش وكأنه من تأليفه منقول من كوبلند، الا انه ينقله ولو بدون اشارة يعتبر موافقا عليه.

١٦ ص ١٣ يقصد المخابرات على الأرجح!

١٧ من مهمة الدفاع عن تركيا واليونان ودعت الامريكان للحلول محلها

١٨ ص ١٩٦ وهو يتكلم العربية.

١٩ فوستر دلاس وزير الخارجية. وآلن دلاس مدير المخابرات الامريكية

٢٠ ص ١٣٩ لعبة الامم

٢١ السفير الامريكي الذي حل محل كافري

٢٢ هل خطر ببال الحاج هويدي والذين دهشوا لدور تهامي في عهد عبد الناصر والسادات ان هذه هي صفته؟!

٢٣ لاحظ ان النشاط كان قد انتقل شمالا والشركة هي غطاء للمخابرات.. وذلك مع تصاعد العامل السوري الذي سيحل محل العامل المصري ابتداء من ١٩٦٧.

٢٤ انظر تقرير السياسة الخارجية الامريكية لعام ١٩٥١ المنشور سنة ١٩٨٣

٢٥ ص ٦١ من التقرير المذكور اعلاه.

٢٦ يقصد زعماء سوريا في الخمسينات والستينات.

٢٧ وهذا لايعني المشاركة في السلطة او القرار، بل في الغنيمة، وانظر كيف قامت في مصر طبقة اوبالأحرى قبيلة اسمها «الضباط الاحرار»، لها امتيازات خاصة ومراعاة، ورتب فيما بينها حتى عند التقاعد وشغل الوظائف المدنية. وانظر كيف تضامن مصطفى كامل مراد مع جمال ضد نجيب: «لانه لما نسيب الجيش حنروح فين لازم ندافع عن لقمة العيش.. كنا خايفين على انفسنا حديث في «روز اليوسف».

(٢٨) هذه رواية مشهورة عندما ذهب السفراء العرب لمقابلة الرئيس الامريكي جونسون بعد هزيمة ١٩٦٧.. فأخذ جونسون يحدث كلبه قائلا: جاري المشاغب يزعج جيرانه يا كلبي العزيز فأعطوه علقة... والآن يريدني ان اتدخل وانقذه.»

(٢٩) اقواس المؤلف الامريكي.. وهي طبعا غير ناضجة لهذا النموذج من الديموقراطية الذي قدموه لسوريا بانقلاب الزعيم، ولمصر بانقلاب ٢٣ يوليو!

(٣٠) سيلعب دورا في مصر بعد ذلك كما سيأتي.

(٣١) مايلز كوبلاند

(٣٢) وجاء في كتاب حبال الرمال أن شركة التابلاين تكونت عام ١٩٤٥، وعهد في تنفيذه لشركة امريكية ناشئة في ذلك الوقت هي شركة «بكتل» التي ستصبح من كبرى شركات المقاولات العالمية (وسيتخرج منها وزير خارجية امريكا ج). ولكن المشروع تعثر بسبب حرب فلسطين. ثم رفضت حكومتا لبنان وسورية التوقيع على اتفاقية الخط عام ١٩٤٩» (ص ١٧٨) وحتى هذا الكاتب الشريف يتعمد اغفال الاشارة للظروف السعيدة التي ادت في النهاية الى التوقيع السوري على الاتفاقية في عهد الزعيم الثوري بعدما رفضت في كل عهودنا الرجعية!..

واول دفعة شحنت في انابيب التابلاين كانت في نوفمبر ١٩٤٩.. بعد مقتل الزعيم بحوالي ثلاثة شهور.. فهل تذكر امريكي واحد ان يدهن قبر «الزعيم» بالزيت أوحتى ينقله الى المقبرة الأمريكية؟!

قلة وفاء!..

(٣٣) ويقول مايلز كوبلاند، انه ليس الا في ظل الوحدة، ورئاسة جمال عبد الناصر حتى انه تم «حل الخلاف المزمن بين سوريا (الاقليم الشمالي) والتابلاين. وكان مديرو شركات النفط يقولون انهم يفضلون التعامل مع مسؤول مصري حتى ولو كان معاديا على التعامل مع العرب الآخرين ولو كانوا أصدقاء» ص ٢٦٠

(٣٤) تقرير العلاقات الخارجية المنشور سنة ١٩٨٠ ص ١٠٠٠

(٣٥) نص البرقية لم يرد في الوثائق، ولكن ورد ملخصا لها في صفحة ٩٦٢ يقول: حسني الزعيم كجزء من تسوية شاملة تتضمن تعديلات عملية في الحدود، ابدى استعداده لقبوله ربع مليون لاجيء فلسطيني اذا ما منح مساعدات

اساسية للتنمية. بالاضافة الى تعويضات للاجئين. والبرقية ٧٥٦ اضافت أيضا ان رئيس الوزراء (الزعيم) عاد يكرر رغبته في تصفية مشكلة فلسطين باتباع سياسة خذوهات. على شرط أن لايطلب منه اعطاء كل شيء بينما الجانب الآخر يأخذ كل شيء. «ان هناك فرصة حقيقية لتسوية سريعة للمشكلة الفلسطينية فقط اذا ما عقدت الحكومة الامريكية العزم على دفع الاسرائيليين لمواجهة الوضع بروح المساومة المنصفة والواقعية.» (ص ٩٦٢)

(٣٦) مادح نفسه ابليس فالزعيم لم يكن يفعل اكثر من ترديد ما يضعه كاتب الرسالة في فمه، حتى الاعتراض وطلب تنازلات مقابلة هو من حكمة الامريكين وليس من وطنية الزعيم.

(٣٧) رئيس وزراء اليونان في التسوية التي عقدت بين تركيا واليونان عقب الحرب العالمية الأولى.

(٣٨) ص ١٠٤٦ وثائق الخارجية الامريكية

(٣٩) ص ٥٢ لعبة الامم

(٤٠) ص ٥٣ لعبة الأمم.

(٤١) ألا ترى انه في ١٣ شهرا أزال عرشا وأقام عرشا..!

(٤٢) حتى السبعينات كان مرتضى المراغي يعتقد كما صرح للمؤلف ج. ك ان الانقلاب كان يعد له هو!!

(٤٣) هنا اضطراب أوليس غير واضح.. فهو قال في المقدمة ان روزفلت يشر في مارس، ووافق على مقابلة الضباط الاحرار وان كنا لا نفهم لماذا يمتنع رجل مخابرات عن مقابلة الضباط الاحرار حتى ولو كان لايزال مخلصا للملك؟ على أية حال نحن لا نعلق أهمية كبيرة على حكاية آماله في الملك فقد جاء بعد حرق القاهرة، ولم يكن مجنون واحد يراهن على الملك بدولار.. المهم انه ثابت من الوقائع انه قابل الضباط الاحرار في مارس، وان الانقلاب اتفق عليه وتقرر في مايو ١٩٥٢ ويمكن مطابقة ذلك على بعض التواريخ في مذكرات الضباط الاحرار.

(٤٤) معذرة لو اطلنا في نقل هذا الكلام، ولكنه يعطي فكرة عن «ثقافة» و«فاشية» المتحدث الرسمي باسم ناصر.. كما يعطي فكرة عن طبيعة الحوار وتطور اسلوب الاستهبار، فهم يتحدثون عن «الثورة» ويشرحون الثورات..

(٤٥) حرفيا من لعبة الامم من ص ٥٧ الى ص ٧١.

(٤٦) اوبلمتنان ص ٧٤ لعبة الامم

(٤٧) لعبة الامم ص ٧٤ وقد لاحظ الدكتور «عبد العظيم رمضان» ان برنامج هيئة التحرير خلا من الاشارة الى فلسطين، بينما تضمنها برنامج حزب الوفد، الذي صدر بناء على قرار تطهير الاحزاب أى بعد الثورة!! فتدبريا مغفل!

(٤٨) علاقة هيكل بالسفارة الامريكية قبل ٢٣ يوليو اكثر من معروفة وواضحة من كلام كوبلاند ولكن كيف اصبح ممثل عبد الناصر في أخطر المهام وهي العلاقات المصرية ـ الامريكية، وبهذه السرعة، وبعد ان اصبح جمال عبد

الناصر في السلطة؟! هذا هو لغز أبي الهول. . هل فرضه الجانب الامريكي كوسيط، ام ان علاقته بعبد الناصر سابقة على ٢٣ يوليو وان ناصر كان يعرف ويستفيد من علاقة هيكل بالسفارة الامريكية ؟! سؤال يضاف الى حيرات هويدي . .

(٤٩) وهو الذي سيسميه ايفيلاند ايدلوجي اومفكر النظام الناصري والذي تخصص في زيادة شعبية الرئيس عبد الناصر في العالم العربي!!
عجبي!!

(٥٠) الآن تعرف لماذا كان عبد الناصر لا يحب الاسكندرية . لأن الموقف يحتاج الى اسكندراني اصيل ليعلق على تأليف المخابرات الامريكية في حل مشاكل الحكومة الثورية التي تحكمنا يا ولداه!

(٥١) ص ٩٣ . وقد اوضحنا ان المثل الذي يضربه باستمرار هو الصلح مع اسرائيل، ولكن هناك قرارات اخرى غير شعبية فرضها عبد الناصر بهذه السلطة .

(٥٢) دراسة «قام بها امريكي لا استطيع الافضاء باسمه لحساب صلاح سالم عن الوسائل التي تعين عبد الناصر في ايقاظ مصر. وهذا الامريكي استعان بدراسة ممتازه وضعتها سيدتان من مكتب الدراسات الاجتماعية في جامعة كولومبيا» ص ١١٢ . «في يناير ١٩٥٤ جاء الى مصر «بول لينبرغر» اكبر خبير في البنتاغون في الدعاية السوداء والرمادية. وخلال العشر سنوات التالية كانت اكتشافات المخابرات الامريكية يحررها لينبرغر وتحول الى الكولونيل «حاتم»، مع الدراسات التي قام بها الباحثون الذين اختارهم صلاح سالم، طورت بمساهمة ملاحظات من عبد الناصر نفسه، على ضوء خبرته وتحولت الى دراسة ضخمة وضعها عبد الناصر في حرز حريز في درج مكتبه». وقال ان حضور «بول لينبرغر» هذا كان بتنسيق بين ناصر وكافري وان اول اعماله كانت تحطيم سمعة محمد نجيب. » «مدير المخابرات الامريكية في مصر طلب من وشنطن اقناع الاسرائيليين بمدح الاخوان. باعتبارهم القوة الوحيدة القادرة على خلع عبد الناصر. وهذا ما يعرف في التاكتيك المخابراتي «بمدح العدو» (لتشويه سمعته) ص ١٨٥

(٥٣) وهؤلاء الخبراء الألمان كما جاء في كتابي «لعبة الامم» و«حبال الرمال» قدمتهم المخابرات الامريكية لمصر وفي كتاب لعبة الأمم اسماؤهم، وقد اتفق المؤلفان الامريكيان رغم مابينهما من «عداء» على انهم كانوا بلا جدوى حقيقية بسبب البيروقراطية المصرية .

(٥٤) وهذه هي الشركة الوهمية التي كان يتستر وراءها «مايلز كوبلاند» رئيس المخابرات الامريكية في مصر. وهي التي دربت رجال المخابرات والمباحث المصرية على حماية الثورة، وتخريج «الكوادر السياسية» كما يفتخر عادل حسين. . المخابرات الامريكية اسست الجامعة الثورية للكوادر السياسية يا مهلبية يارز على ماركسية يا!!

(٥٥) ص ١٢٠ خروش

(٥٦) كتاب حبال من رمال ص ٢٠٣

(٥٧) انظر صفحات ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ن. م

(٥٨) ص ١٣ وهو يقول انه اعتمد على قانون حرية المعلومات في تأليف كتابه .

(٥٩) ص ٦١ حبال الرمال.

(٦٠) لاحظ ما قاله كوبلاند عن قناة هيكل ـ ليكلاند التي نقلت رأي عبد الناصر عن النخبة.

(٦١) راجع ما قاله كوبلاند عن هذا الموضوع.
(٦١) ـ ص ٣٢٠ حبال الرمال. وهو نص يحتم على الاسماء التي ذكرها أن تقاضيه لتبرئة سمعتها!

(٦٢) اشار المؤلف الى مايلز كوبلاند في مقدمته ضمن المراجع التي افادته وشكره على ذلك ووصفه بأنه «خريج محترف للمخابرات الامريكية».

(٦٣) ص ٩٥ ـ ٩٦ حبال الرمال.

(٦٤) ترجمنا of the CIA الى «بتاع» السي آي ايه لأنها أدق جدا من أي لفظة فصيحة اخرى دون أي تحيز ضد الفصحى لغتنا الشريفة الخالدة باذن الله.
(٦٥) وهذه ترجمة station وربما كانت كلمة مركز اكثر فصاحة ولكن «محطة» اكثر دلالة: فهم لهم في كل بلد مجموعة مقيمة ولها رئيس اسمها محطة أو station.

(٦٦) كتبها MAHDI وهو خطأ ربما يرجع الى اتقانه اللغة العربية الفصحى!!

(٦٧) وهي التي دربت رجال المخابرات والمباحث الجنائية المصرية في مطلع العهد الثوري!

(٦٨) وقال ان هذه هي طريقة كوبلاند في «تلبيس» محدثه الخبر بقوله ـ كما تعرف بالطبع ـ

(٦٩) هذا هو اجتهادنا في ترجمة .CIA safe house ولم نفهم كيف يكون بيت التهامي بيت الـ CIA الأمن؟!.

(٧٠) وقال ايفيلاند معرضا باسلوب كوبلاند في الحديث عن التهامي: «ولكي يعرف القارىء أي «فتى» كان هذا.. فقد عرفنا نحن فيما بعد أنه اكبر مساعدي عبد الناصر الى وفاته، ثم عين نائبا لرئيس الوزراء للقصر الجمهوري في عهد السادات، واخيرا هو الذي اجتمع في الرباط سرا مع موشى ديان لترتيب الاتفاقات التي سبقت رحلة السادات التاريخية في ١٩٧٧ الى القدس. وحضر مفاوضات كامب ديفيد مع الرئيس كارتر كمستشار للسادات» هامش ص ٩٩

(٧١) لما سأله الامريكي ما هي خبرته كصاغ رقى الى لواء في قيادة الجيوش العربية؟ قال عامر إن العدو المستهدف هو اسرائيل، وهذا يعني اننا ندافع عن ارضنا، ومن ثم فنحن نحتاج الى الوطنية اكثر من الخبرة. وهذا صحيح لو انهم فعلوا واهتموا باطلاق الروح الوطنية للشعب المصري.
(٧٢) قال كوبلاند انه استرق النظر الى جواز بيل ايفيلاند وعرف انه زار لبنان والعراق والاردن واستنتجت من معرفتي بالعلاقة الوثيقة التي تربط ايفيلاند بشمعون ونوري السعيد والملك حسين أنه عمل على اقناعهم بنوع من الاحلاف الدفاعية عن الشرق الاوسط ص ١٤٩ لعبة الأمم. لاحظ تجسسه ولاحظ ان ايفيلاند لم يخبره.. كما لم يخبرنا الوغد النبيل ولو بعد ٢٥ سنة!.

(٧٣) قصة الزيارة كاملة وبها تفاصيل اكثر في صفحات ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ من كتاب حبال الرمال.

(٧٤) شبكة اذاعة وتليفزيون في امريكا.

(٧٥) صحيح نظمت المخابرات الامريكية وشركات النفط وغيرها اكثر من ثورة في امريكا اللاتينية، ولكنها كانت محدودة وفي مجال تنفرد فيه امريكا بالعمل ـ كما لم تحاول هذه الثورات التطلع الى نشر زعامتها خارج حدودها، وطواها النسيان فور اختفاء قائد الانقلاب أو انتهاء اعمال الشركة.

(٧٦) هل يفهم من هذا أن عبد الحكيم عامر لم يكن داخل اللعبة بالكامل؟!

(٧٧) حبال الرمال ص ١٦١

(٧٨) جريدة العرب (لندن) ١٧ يناير ١٩٨٤

(٧٩) لي.. هذا، هو الذي قال «مايلز كوبلند» أنه ألف كتاباً «لمحمد نجيب».

(٨٠) اذ لو تخوف عبد الناصر من ردة الفعل البريطانية ربما لم يؤمم القناة.

هوامش : الفصل الثاني والثالث

١ قصة السويس : آخر المعارك في عصر العمالقة : محمد حسنين هيكل . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. الطبعة الثانية ١٩٨٢

٢ أرجع الى ما قلناه عن خط التابلاين وصراع النفط الامريكي ـ البريطاني لتعرف ان نسف هذا الخط كان أمنية امريكية .

٣ نظرية الحرب المحدودة هذه لطشها هيكل بالكامل من مايلزكوبلند انظر كتاب لعبة الامم .

٤ مذكرات بغدادي .

٥ موشى ديان ص ٢١١ قصة حياتي . .

٦ ص ٣٠٩ مذكرات عبد اللطيف بغدادي جزء اول

٧ مذكرات بغدادي الجزء الاول ص ٣٠٩

٨ العدوان على غزة ١٩٥٥/٨/٣١

٩ وفي تراثنا قالت : «ان الخلط مثل اكل الموز بالعسل وهو من فعل بنات . . . الخ»

١٠ موشى ديان : قصة حياتي ص ١٩٢

١١ اشارت الوثائق الاميركية المنشورة في هذا الكتاب الى محاولات هذا المبعوث ترتيب مقابلة بين عبد الناصر وبن غوريون ولكن كما قال مؤلف حبال الرمال : «كان بن غوريون يفضل التعامل مع مصر بالسلاح وليس بالمفاوضات» .

١٢ موشى ديان ص ٢٠٧ ومن غريب توارد الخواطر هه؟ ان امنية بن غوريون اوحيت اونطقت على السنة مصطفى امين وهيكل وممثل المخابرات الامركية فاقترحوا البوليس الدولي؟! وتذكر محاولات اسرائيل لتلفيق علامات نبوة بن غوريون!!

١٣ موشى ديان : قصة حياتي ص ٢٧٦

١٤ هيكل قصة السويس ص ٣٠

١٥ قلنا مرة من يقرأ لهيكل يظنه كاتبا اجنبيا ففضلا عن تلذذه وتأنقه في الحديث عن الكوارث المصرية ، فهويستخدم

مصطلحات الاجانب مثل «حرب السويس» يعني حرب ١٩٥٦ التي تعرف عند المصريين والعرب اما بحرب القناة أو حرب بور سعيد عند العامة وحرب سيناء . . او العدوان الثلاثي في الاعلام المصري .
ملحوظة ثانية في غاية الاهمية ، وهي ان «هيكل» لايخطيء مرة واحدة ويسمي سيناء، الا باللقب الذي اخترعه وهو «صحراء سيناء» للتقليل من شأنها وتتفيه امرها . سواء خسرها عبد الناصر او استردتها مصر . . بينما سيناء في كتب الجغرافيا هي شبه جزيرة، وليست كلها صحراء ، وهي تشكل ثمن مساحة مصر، وحلقة الوصل بين المشرق والمغرب في الوطن العربي واساس انفراد مصر بانها الدولة الافروآسيوية الوحيدة في العالم واهم مركز استراتيجي في البحر الأحمر بل وعلى ارض سيناء سيتقرر مصير مصر واسرائيل والوطن العربي كله . . في يد من ستكون سيناء . . ستكون الدولة الكبرى في المنطقة ، وهي الحل الوحيد الذي يمنع تحول مصر الى بنغلاديش ففيها الامكانيات الهائلة على جميع الأصعدة، وهي مصدر النفط الوحيد لمصر حاليا ، ولا حد لما يمكن أن تتفجر ارضها الطيبة عنه . . واقرأوا غزل اليهود فيها، ثم قارنوا هذا بموقف هيكل العجيب الذي لايسميها الا «صحراء» سيناء . . ولامرة واحدة تفضل عليها بالثناء صفة الصحراء هذه؟! . .

١٦ سلوين لويد: ١٩٥٦ ص ٣٠ ونفس الكلام ردده ايفيلاند مؤلف حبال الرمال

١٧ سلوين لويد: السويس ١٩٥٦ ص ٤٨

١٨ ن.م ص ٥١

١٩ ن.م ص ٦٦

٢٠ هيكل: قصة السويس ص ٢٤٠

٢١ انظر مذكرات بغدادي الجزء الاول

٢٢ قصة حياتي موش ديان ص ١٩٨

٢٣ ص ٢٠٢ موش ديان .

٢٤ موش ديان ص ٢٠٤.

٢٥ يوميات هيوغيتسكيل بقلم فيليب وليامز.

٢٦ ص ١٧٥ سلوين لويد: سويس ١٩٥٦

٢٧ اقرأ ما كتبه مصطفى امين لهيكل عن استفزاز عامر للجزائريين وكراهيتهم له ولعبد الناصر بعد الانقلاب البومديني . (العرب يناير ١٩٨٤)

٢٨ ص ١٧ هيكل

٢٩ عبد اللطيف بغدادي ص ٢١٢ الجزء الأول. وذلك في اواخر عام ١٩٥٥

٣٠ صفحة ٢٢ هيكل: السويس وطابق ذلك على ما اورده مايلز كوبلاند واشرنا اليه في «فصل الامريكان باريس» حول الاتفاق بين المخابرات الامريكية والضباط الناصريين على استبعاد اسرائيل من برنامج الثورة.

٣١ سلوين لويد: السويس ص ٤٤ وهناك رواية غريبة في ملفات الخارجية الامريكية تقول انه عقب توقيع اتفاقية الجلاء (اكتوبر ١٩٥٤) قابل محمود فوزي السفير الامريكي في مصر وقال ان مصر تلغي طلباتها من السلاح وتريد زيادة المعونة الاقتصادية. (انظر فصل الامريكان باريس).

٣٢ تصريح محمود رياض ٤ مارس ١٩٦٦

٣٣ وكانت مقطوعة مع دمشق ولم تستأنف الا يوم ٣١/ ٥/ ١٩٦٧ ووقعت اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر يوم ٦/١ ومع العراق يوم ٤/ ٦ ونفذت يوم ٥/ ٦ وكان ابرز منجزاتها احتلال اسرائيل للضفة الغربية.. وكل هذا تم في اقل من اسبوع!

٣٤ انظر التقرير السري للسفير الامريكي في الوثائق الامريكية عن الشرق الادنى وجنوب آسيا لعام ١٩٥١ المنشور في عام ١٩٨٢ وقد نشرنا نص ذلك في مجلة أكتوبر ولم ينبس هيكل بحرف!

٣٥ اذكر في منزل الدكتور الشريف وزير المعارف الليبي سنة ١٩٧٢ انني لأول مرة في حياتي كدت اعتدي باليد على المدعو: ف. هـ المحرر وقتها في الاهرام، لأنه كان يحاول اثبات ان سيناء «عبء ولا أهمية لها!»

٣٦ هيكل: قصة السويس ص ٢٠

٣٧ ص ٢١ هيكل: قصة السويس

٣٨ هناك رواية غريبة تنقل عن عبد المجيد ابراهيم صالح وهو صف الضابط الذي دفن الجثث الاسرائيلية في عراق المنشية، اذ يزعم من نقل لي الرواية وهو الاستاذ أ. ط الذي لا شك في وطنيته، وتعاونه الى اقصى حد مع الثورة في سنواتها الاولى، قال ان الرئيس عبد الناصر طلب منه أن يبلغ المختصين ان عبد الناصر هو الذي دفن الجثث وهو الذي يعرف مكانها، وانه بناء على ذلك ارسل لاسرائيل حيث بقي في هذه الرواية حوالي الاسبوع. وعلى ضوء معلومات هيكل لا نستبعد ذلك وان هدف الرئيس عبد الناصر كان الاطلاع على المزيد من خبرة رجل المخابرات الاسرائيلية في محاربة الانجليز وهو ماكان يشغل باله دائما..

٣٩ بغدادي الجزء الاول ص ٧٨ ـ ٨٧

٤٠ بغدادي الجزء الاول ص ٨٧

٤١ أوما يقارب عدد الجثث التي سلمها عبد الناصر لليهود هاها!

٤٢ لابد من مراجعة ما قدمناه في فصل الامريكان عن التهامي هذا، وموقف المخابرات الامريكية من محمد نجيب لتفهم حماسته ومبادراته باعتقال محمد نجيب لحماية الثورة من الانحراف الى الاجتماع مع موشى ديان. وقد ورد في مذكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل من مؤسسي تشكيلات الضباط الاحرار وهي تحت الطبع جاء فيها ان كمال رفعت ابلغه شكوك عبد الناصر في ان التهامي يراقب عبد الناصر ويسجل مكالمته، وانه مسئول بطريقة ما عن وصول معلومات عن الضباط المصريين في روسيا للامريكان وان خرشوف هو الذي ابلغ مصر ذلك.

٤٣ لعبة الأمم ص ١٨٧ والاحرى ان يسميه خيبة الأمم

٤٤ انظر فصل «الامريكان ياريس»

٤٥ عبد اللطيف بغدادي: جزء اول ص ٢٢٢

٤٦ حروش عن جان لاكوتير ص ٤٣

٤٧ انظر حروش في مجتمع عبد الناصر ص ١٦٤ ـ ١٦٥

٤٨ لعبة الامم ص ١٨٧

٤٩ ص ٩٨ هيكل: قصة السويس

٥٠ تقرير السياسة الخارجية المنشور عام ١٩٨٢

٥١ سلوين لويد ص ٧٠٨

٥٢ سلوين لويد ص ١١

٥٣ ص ٢٦ سلوين لويد

٥٤ لعبة الامم ص ٨

٥٥ ن. م. وهو يقصد طبعا معركة الغاء المعاهدة التي شنها الوفد.

٥٦ حبال الرمال ص ١٠٩

٥٧ لعبة الأمم ص ٢١١

٥٨ ص ١٣٢/١٣٣ لعبة الأمم . .

٥٩ ص ١٤١ لعبة الأمم.

٦٠ انظر فصل الأمريكان باريس

٦١ انظر ص ٢١٠ من لعبة الامم

٦٢ حبال الرمال ص ١٥٨

٦٣ ن . م .

٦٤ يوميات غيتسكيل.

٦٥ سلوين لويد ص ٣٦

٦٦ طويلة جدا فقد استغرق بحث موضوع واحه البوريمي يومين كاملين من اجتماعات القمة الانجلو- امريكية بينما خصص للنزاع العربي الاسرائيلي نصف يوم! (حبال الرمال ص ١٥٨)

٦٧ سلوين لويد: السويس ١٩٥٦ ص ٤١/٤٢

٦٨ سلوين لويد ص ٥٨

٦٩ سلوين لويد ص ٦١

٧٠ ص ٤١ احمد حروش: مجتمع عبد الناصر الجديد

٧١ لقد استطاع الاعلام المصري ـ السعودي ان يجعل من حلف بغداد «الخطيئة الاولى» والجريمة التي لا تغتفر من الناحية المبدئية وقد استخدم هذا الشعور بالاثم ضد ما اسموه «الحلف الاسلامي» والذي كان هيكل هو اول من زرع فكرته في رأس عبد الناصر. وما نود قوله هنا أن موقف مصر من الاحلاف لم يكن بهذه الطهارة، فاتفاقية الجلاء في الحقيقة جعلت مصر حليفا اساسيا لبريطانيا وتركيا، وليس في شروط حلف بغداد اكثر من الشروط التي ربطت مصر في اتفاقية الجلاء الا اضافة العراق؟ اقصد ان بريطانيا لها حق احتلال مصر اذا وقع عدوان على تركيا أو على بريطانيا. . فهل الخطيئة والعيب في انضمام العراق لهذا البند؟!. .

وانما عارضت مصر كما قلنا انطلاقا من سياستها التقليدية في رفض المزيد من العلاقة مع بريطانيا، والمنافسة التقليدية بين القاهرة وبغداد، كما زرعها المفهوم الاستعماري، والتي لا مبرر لها، والتي جعلت مصر كما اشرنا تتصدى لنفس الفكرة قبل ظهور عبد الناصر بأكثر من سنة. . ولأن ذلك كان متطابقا مع الخط الامريكي. اما حكاية الحلف الاسلامي فقد زعم هيكل انه اجتمع مع الجنرال اولمستيد رئيس برامج المساعدة الامريكية العسكرية في البنتاغون الذي اقترح على محمد حسنين هيكل الموظف في دار أخبار اليوم وفي نوفمبر ١٩٥٣ عمل «حلف اسلامي» من تركيا وباكستان ومصر. وقد يكون هذا دليلا على ان «هيكل» كان موضع ثقة كبيرة جدا لدى البنتاغون الامريكي لكي يطلعه الجنرال على هذا المخطط الذي لم يكشف عنه الستار للملوك والاباطرة الا بعد ١٤ سنة! وهو لم يكن وقتها اكثر

من موظف في دار اخبار اليوم ، او هذا هو الظاهر للمصريين . . . غير اننا نضع تحفظا واحدا وهو ان الامريكي لا يمكن ان يتحدث عن «حلف اسلامي» يريدون تكوينه . فالامريكان لا يقيمون احلافا تحت اسماء دينية! والحكومة الامريكية لا تستطيع اقناع شعبها أو كونجرسها بدعم ، فضلا عن اتخاذ مبادرة انشاء «حلف اسلامي» والاسلام كان ولا يزال هو العدو الأول في الغرب ومحاربة الاسلام لا محالفته هي التي تثير حماسة الامريكيين. وجون فوستر دلاس يتحدث عن «حلم كل مسيحي» (انظر هيكل قصة السويس ص ١٧٣!). اعتقد الجزء الخاص بالحديث مع الجنرال مجرد فبركة ، اما واقعة تبليغ هيكل لعبد الناصر بوجود مؤامرة «حلف اسلامي» فاعتقد انها صحيحة ، ومن تدبير هيكل أو جهة كان لديها مصلحة في زرع الشك في ذهن البكباشي الشاب القادم من محيط الاخوان والذي كان يتحدث عن الدائرة الاسلامية ، ويؤدي القسم على المصحف أمام «شادي» ويزور قبر حسن البنا كل سنة! . .

وما اكثر ما ستكشف عنه الايام عن هيكل . واخيرا فقد اشار كوبلند الى محاولة امريكية لاستخدام أو خلق زعيم ديني مسلم ولكنها فشلت .

٧٢ ص ١٥٩ لعبة الامم

٧٣ لعبة الامم ص ٢١٦

٧٤ حروش : مجتمع عبد الناصر ص ٥١

٧٥ حروش نقلا عن مراد غالب سفير عبد الناصر في موسكو . .

٧٦ لا حظ ان الروس كانوا يلعبون ايضا لعبتهم ، فهم يعرفون ان عبد الناصر يتعامل معهم كارها مضطرا ، وانه يتحين الفرص لالغاء الاتفاق او الرجوع عنه ، ومن ثم فإن اشاعته يجعل مركزه حرجا ، والتراجع يكلفه غاليا على الصعيد السياسي . . لأن الجماهير ستتساءل . . لماذا ترفض عرضا روسيا بتسليحنا؟!

٧٧ عبد اللطيف بغدادي : المذكرات ص ٢٠٨ الجزء الأول . . ويشفع للبغدادي اخطاءه الانجليزية ما تعكسه من صدق وأنه سجلها كما سمعها وقتها من عبد الناصر وبانجليزيتهم ـ وقتها ـ

٧٨ حروش : مجتمع عبد الناصر

٧٩ ص ١٥١ حبال الرمال .

٨٠ سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٢٩

٨٢ حبال الرمال ص ١٥٧

٨٣ ن . م ص ١٥٨ ولاتنسى ان هذا هو الذي نفى دور المخابرات في قيام الثورة!!

٨٤ ن . م ص ١٥٩

٨٥ الروايات الامريكية والمصرية تقول ان أحمد حسين ذهب الى دلاس ومعه تعليمات بقبول كل الشروط التي قد يعرضها او يطالب بها الوزير الامريكي . ورواية امريكية تقول ان احمد حسين قال مازحا للوزير . . واذا لم تدفعوا

الروس جاهزين.. فانفعل الوزير الخ».
غير انه لا يجوز تحميل «احمد حسين» وحده مسئولية «ابتزاز» الامريكان فقد صرح عبد الناصر لصحيفة نيويورك تايمز في ابريل ١٩٥٦ بأنه «اذا رفض الغرب تمويل السد العالي فان مصر ستضطر بكل تأكيد الى الموافقة على العرض السوفيتي لتمويل هذا المشروع» حروش: مجتمع عبد الناصر ص ٧٨

٨٦ سلوين لويد: السويس ص ٧١

٨٧ احمد حروش ص ٦٩

٨٨ ص ٧٣ وفي الحقيقة فإن اسرائيل هي وحدها التي استفادت من قرار مصر الاعتراف بالصين وفقا لما قاله هيكل نفسه فقد قال بالحرف الواحد: «وكان رد دلاس على قرار مصر بالاعتراف بالصين الشعبية ان صرح لفرنسا باعطاء اسرائيل ثلاثة اسراب من احدث طائرات «الميستير» التي كان انتاجها يتم في فرنسا لحساب حلف الاطلنطي وعلى نفقة الولايات المتحدة.» هيكل ص ١٠٢

٨٩ حبال الرمال ص ١٥٦

٩٠ رسالة منسوبة لمحمود فوزي الى الرئيس عن هيكل قصة السويس ص ١٨٢ /١٨٣

٩١ مذكرات هيوغيتسكيل اعداد فيليب وليامز. نشرتها مجلة المجلة.

٩٢ اسمه «ادريان دانينوس»

٩٣ حروش

٩٤ رفضه كبار المهندسين المصريين مثل «عثمان محرم وعبد العزيز احمد» فحوكم الاول بتهمة الافساد واسقطت الجنسية عن الثاني!

٩٥ المانيا الغربية رفضت مجرد البحث في المشروع مع انها قدمت مساعدات اقتصادية وتمويلية مهمة في العهد الناصري.

هوامش : الفصل الرابع

١ هيكل ص ٥٩

٢ نص عبارة هيكل عن خطط أو اماني اسرائيل لمصر ص ١٨

٣ «قال سلوين لويد في نوفمبر ١٩٥٥ اعلن عبد الناصر ثقة الحكومة المصرية في موقف شركة القناة . وفي يونيه ١٩٥٦ وقع اتفاقية معها» (المصدر المذكور ص ١٣٧)

٤ أحمد حروش ص ٧٩

٥ حروش ص ٨٢

٦ بالنسبة للامريكان لانقطع بشيء غير ان الحوار كان يدور في المخابرات الامريكية ووزارة الخارجية حول هل يؤمم عبد الناصر القناة ردا على سحب تمويل السد، «ولماذا تأخر قرار عبد الناصر بالتأميم» . . وانظر كتاب لعبة الأمم.

٧ هيكل ص ١٧٨ . . رسالة محمود فوزي الى عبد الناصر من نيويورك ٤ اكتوبر ١٩٥٦

٨ ص ٧٣ سلوين لويد: السويس ١٩٥٦

٩ ص ٦٦ سلوين لويد

١٠ سلوين لويد ص ٧٩/ ٨٠

١١ كان يمثل المصالح النفطية الامريكية ولذلك كان اشد الامريكيين في تلك الفترة عداء لبريطانيا، واكثرهم تعرضا لحقد سلوين لويد. وهو الذي عارض السد لكي لايشترك فيه الانجليز!

١٢ وهذا يؤكد ما قلناه عن ان الصدام سابق على القناة بستة اشهر على الاقل!

١٣ ابلغ الامريكان الحكومة البريطانية انهم يعترضون على رئاسة «سلوين لويد» للمؤتمر، وقال «دلاس» له في ٥ اغسطس «ليس من المرغوب فيه أن تترأس المؤتمر . فاوضحت له ان البديل سيكون سلسلة اجراءات تبادل الرئاسة يوميا حسب الحروف الهجائية . . الخ» ص ١٠٩ لويد.

١٤ الدول التي حضرت: بريطانيا فرنسا هولندا ايطاليا. وروسيا اسبانيا الدنمرك. المانيا. النرويج. السويد. امريكا. استراليا. سيلان. الهند . اليابان. نيوزيلاند. باكستان. ايران. .

١٥ الذي اراد هيكل ان يوسطه لاثارة اهتمام اسرائيل بما يجري في مصر!!

١٦ ـ ص ١٣٠ هيكل نقلا عن وثيقة بخط عبد الناصر وفقا لشهادته!

١٧ ـ عبد الناصر والعالم: هيكل ـ وأرجع الى فصل الاميركان واعترفات مصطفى امين حيث نقل هو وهيكل بالطبع الى عبد الناصر تأكيدات المخابرات الأمريكية بانه لن يقع عدوان ما لم توافق عليه امريكا، وامريكا لن توافق وهذا يفسر موقف عبد الناصر «افضل» تفسير ويبعد الشبهات الاخرى التي تقود تفسيراتهم اليها . . .

هوامش الفصل الخامس

١ ص ٢٢٧ هيكل : قصة السويس : ردي علي بانقطة .. المأمور معايا ع الخط بانقطه ! ..

٢ بغدادي ج١ ص ٣٣٦

٣ أمال بلسانه؟! كل الناس تدير التليفون بيدها!.

٤ ص ٢٢٧ هيكل: قصة السويس

٥ ص ٩١ احمد حروش

٦ ص ١٥٠ هيكل

٧ موشى ديان قصة حياتي .

٩ موشي ديان: قصة حياتي ص ٢٣٨ Sphere book ltd - London. story of my life

١٠ ويمكن القول انه كان يعتمد ايضا علي عناصر ستتولى تهوين الأمر على القيادة المصرية وتصويره مجرد مناوشات حدود.. والادلة كثيرة على ان الجاسوسية الاسرائيلية كانت نافذة في عهد عبد الناصر عن اي عهد آخر قبله أو بعده.

١١ ص ٣٣٧ عبد اللطيف بغدادي جزء اول وهذه المركزية في القيادة نسبت بعد ذلك في حرب ١٩٦٧ الى التكتيك الروسي في الدول العربية التي استعانت بالروس في تدريب جيوشها، ولكن هذه الرواية تثبت انها سابقة على تغلغل الروس في القيادة العسكرية المصرية. وفي اعتقادنا انه ليس موقفا عسكريا، بل ينبع من الايدلوجية وطبيعة النظام، فكلاهما الروسي والعربي نظام ديكتاتوري فردي على جميع المستويات لايملك فيه، المستوى الادنى حرية التفكير فضلا عن التصرف.

١٣ مدير بنك مصر

١٤ غولدا مائير ص ٢٩٥

١٥ العالم كان معنا في الامم المتحدة وفي الحقل الدبلوماسي والاعلامي العالمي، والسبب بالطبع لايرجع لحسن النظام المصري أو شعبيته، بل للصيغة التي تم فيها العدوان الاسرائيلي بين امبراطوريتين استعماريتين مكروهتين فاشلتين..

١٦ ص ١١٥ من كتاب المواجهة المصرية الاسرائيلية في البحر الأحمر . ١٩٤٩ ـ ١٩٧٩ صدر في يناير ١٩٨٢ عن مؤسسة روزاليوسف

١٧ دكتور «عبد العظيم رمضان» عن «خليج العقبة ومضيق تيران» لعبد الباري نجم . ونحن لانقبل تفسير المؤرخ الدكتور رمضان بأن مصر سكتت لانها فضلت الاعتراف بالأمر الواقع على الاعتراف لاسرائيل بحق الملاحة في وثيقة مصرية. قبول قوات البوليس الدولي هناك ألغى سيادة مصر فعليا على المنطقة وأصبحت لاتملك وسيلة للرد على التقحم الاسرائيلي حتى لو أرادت . ومن هنا فقبول البوليس الدولي هو قبول رسمي موثق . والدكتور رمضان هو الذي قال: «لايمكن الفصل بين وجود القوات المصرية في شرم الشيخ وبين اغلاق المضيق في وجه الملاحة الاسرائيلية فإذا وقع الشرط الاول وقع الشرط الثاني» ص ١١٤ المصدر المذكور. ولانظن ان هناك خطأ منطقيا ولاتعسفا اذا ما قلنا . . واذا سقط الشرط الأول سقط الشرط الثاني. فقبول سحب القوات المصرية ومنع تواجدها في شرم الشيخ، هو اباحة الملاحة لاسرائيل. وهو ما حدث عشر حجج او عشر سنوات . !

(١٨) انظر رسالة مصطفى امين المنشورة في العرب يناير ١٩٨٤ وفي فصل «الامريكان باريس»

(١٩) راجع : يوميات جندي : يائيل ديان . وكتاب «اخطر من النكسة» : لمحمد جلال كشك ١٩٦٨

(٢٠) ص ٢٨٤ حياتي . . غولدا مائير Dell 1957

(٢١) هيكل ص ٣٠٤ قصة السويس . .

(٢٢) ص ١٢٢ امين هويدي : مع عبد الناصر ـ دار الوحدة بيروت الطبعة الاولى ١٩٨٠

٢٣ لاحظ تحفظ حروش «حتى ذلك الوقت» لأنه مع استقرار الثورة جرى التخلص من خيرة الضباط حتى لم يكن في القيادة العامة يوم ٦ يونيه ١٩٦٧ ضابط واحد يستحق أن يوصف بالكفاءة

٢٥ عبد العظيم رمضان ص ٧٠/ ٧١ المواجهة . . نقلا عن المصري ٢٥ سبتمبر ١٩٥٢!؟

٢٦ عبد العظيم رمضان ص ٧١ برنامج هيئة التحرير عن المصري ٢٣/ ١/ ١٩٥٣

٢٧ د. عبد العظيم رمضان المواجهة ص ٧١ ونص عبد الناصر نقلا عن «تصريحات عبد الناصر في كفر الدوار يوم ١٩ أبريل ١٩٥٤

٢٨ انظر الدراسة الموفقة للدكتور عبد العظيم رمضان: المواجهة المصرية ـ الاسرائيلية في البحر الاحمر.

٢٩ هذه هي الرواية التي نقلها حروش دون فهم فغير معناها تماما.

٣٠ شرحنا رأينا في الضربة المقترحة في كتابنا النكسة والغزو الفكري، ومجلة الحوادث.

هوامش : الفصل السادس

١ ص ٥ احمد حروش: مجتمع عبد الناصر

٢ رحلة في منابع مايو صدر في لندن ١٩٧٦.

٣ بغدادي ج١ ص١٥١

٤ سلوين لويد ص٢٠

٥ انظر الحقد في مذكرات «جيمس روبرتسون» وتعليق سلوين لويد على «سويتي» ضابط الاتصال الامريكي يقول: «وما كان بوسعي أن اتق على على الاطلاق في النصائح التي يقدمها «سويتي» هذا للادارة السودانية. فقد كان يتحدث علانية ضد البريطانيين وكانت معزوفته المفضلة دائماً ـ كما أخبرت ـ هي قوله ان بريطانيا لم تفعل شيئا للسودان، وان ايامنا قد انتهت على اية حال. «(سلوين لويد) وقد رأينا اعتراف روبرتسون بضغط «كافري» وجماعته «ولو كان الثمن بيع السودان»! وتأمل ان الامريكي شهد بان بريطانيا لم تفعل شيئا للسودان بينما «المصري» هيكل يقول العكس فيصف الحكم البريطاني هناك بأنه افضل من حكومة مصر، وان السودان لو تحرر من الانجليز واتحد مع مصر فسيخسر كل شيء ولن يكسب شيئا!

٦ بغدادي جزء اول ص ٧٣

٧ كتاب «صلاح سالم» تأليف الدكتور محمد المعتصم.

٨ حروش مجتمع عبد الناصر

٩ عبد الله التعايشي هو الذي حكم السودان بعد وفاة المهدي الكبير. وكان ضد عائلة المهدي وفي عهده وقع الاحتلال البريطاني واستشهد التعايشي. وآل المهدي وحزب الأمة ضده الى اليوم.

١٠ ص ٢٧٤ ع. بغدادي جزء اول

١١ وان كان هو قد لقى جزاءه ـ رحمة الله عليه ـ وفصل من الجمهورية بالتليفون وهو جالس على مكتبه يمارس مهام رئيس التحرير! ودخل الساعي يستعجله الخروج وهو يتظاهر بأنه يكتب استقالته والساعي ينهره ويطلب الكرسي الجالس عليه لان عندنا ضيوف، وقد رأيت نفس التصرف يفعل مع عدلي حشاد وعندما دالت دولة حاتم! . . وقد كتب قاسم جودة في آخر مقال له «وقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون ما لقينا . . » وياليته كان قد تمثل بهذا البيت قبل أن يتجرع الكأس. ولكن الحكمة لا تأتي العرب الا وهم على حبل المشنقة! . .

١٢ بغدادي! . .

١٣ وذكر صلاح ذلك لبغدادي وحسن ابراهيم دليل قاطع على انه هو كان خلف الصفقة، بل ربما فرضها هو فرضنا على مجرى الأحداث في تاريخ مصر . .

١٤ وانظر ايضا فصل «الامريكان باريس»

١٥ انظر اعترافات مصطفى امين ولاحظ تناقضها مع رواية بغدادي الذي نسب الابلاغ الى شخصية كبيرة في السفارة

١٦ فؤاد صروف هو الذي قدم مصطفى امين لكيرميت روزفلت اذا كنت تذكر الفصل الاول

١٧ عبد القادر عودة .

هوامش : الفصل السابع

١ بغدادي جزء ٢ ص ٣٦

٢ بغدادي جزء ٢ ص ٤١

٣ بغدادي جزء ٢ ص ٥٤

٤ بغدادي جزء ٢ ص ٥٥

٥ وذلك بعد ان اصبح «زعيما» وقد استمر هذا التفكير فترة في عهد السادات حتى شن كاتب هذه السطور حملة على ذلك في مجلة «الحوادث» فتغير وأسهب بل اسرف الرئيس السادات في اعطاء الاحاديث للمصريين!

٦ عبد اللطيف بغدادي ص ٥٧ جزء ٢

٧ ص ٦٨ بغدادي جزء ٢

٨ وان كان «كوبلاند» يزعم أن عبد الناصر: «لم يؤمن أبداً ولا سعى لتحقيق الوحدة العربية. وانما آمن بفائدة الشعار في تجميع موقف شعبي ضد السياسات التي يعارضها في المنطقة». انظر لعبة الامم.

٩ ص ١٩١ لعبة الامم ولاحظ ان الرجل قال في ١٩٦٨ ان «النموذج الناصري هو الذي سينتشر في المنطقة، وقارن ذلك بنوعية «الزعماء» الذين ظهروا وتنحصر سياستهم في لعب دور «البلطجي» او فرض الفيتو على اي تحرك سياسي في المنطقة الا اذا تمت ترضيتهم».

١٠ عبد اللطيف بغدادي جزء ثاني ص ٧٨

١١ راجع مقالات الجمهورية عن الشذوذ الجنسي لعبد الكريم قاسم ومدير مكتبه..

١٢ بغدادي جزء ٢ ص ٧٨ ـ ٧٩

١٣ بغدادي جزء ٢ ص٩٧

١٤ اشهر «مؤامرات» هذه الفترة هي المؤامرة المنسوبة للملك سعود وقد تبين أن الذي ابلغ عبد الناصر عنها وادعى انه البطل الذي رفض المال، هو في الحقيقة، جاسوس متزوج من اسرائيلية غادرت مصر فجر ٦ يونيه ودمر اهم سلاح استراتيجي مصري!!! بل وهناك مؤامرة اخرى ابلغتها لعبد الناصر المخابرات الامريكية بواسطة مصطفى أمين كما ورد في رسالة مصطفى أمين

١٥ ص٩٧ بغدادي جزء ٢ خطاب عبد الناصر يوم ٢٢ مارس ١٩٥٩

١٦ عبد اللطيف بغدادي ص ١٠٨ الجزء الثاني.

١٧ فهناك رأي يقول ان الدخول المصري لسوريا كان بمباركة امريكية للقضاء على خطر قيام نظام يساري متطرف هناك، او اتجاه قيادات الجيش المتصارعة الى المزايدة على الجبهة الاسرائيلية ويقول مايلز كوبلند:

وفقا لقواعد اللعبة كان من الممكن ان نتبادل الآراء مع ناصر حول سوريا في نفس الوقت الذي تحاول فيه اضعاف سيطرته على الدول العربية الأخرى. وكان ناصر بالطبع لايقبل مناقشة عمل مشترك في سوريا، ولكنه كان حريصا على اطلاعنا على تدهور الوضع في سوريا ومدى استغلال الروس له، ولذا أهمية ان نمتنع عن محاولة احداث انقلاب هناك، لأنه على يقين بفشلها ومتأكد انها ستجعل الوضع أسوأ.. وقد استجاب اصدقاء ناصر الامريكان، بأن اكدوا له، أنه على ضوء خبرتنا في حرق اصابعنا في سوريا، ليس لنا أية نيه للتدخل هناك واضفنا أن لدينا معلومات، من مصدر وثيق جدا (روسي هارب) ان الروس يريدون اقامة حكومة موالية لهم، ثم خلق موضع يجعل هذه الحكومة تستدعيهم لنجدتها على غرار ما فعلته الحكومة الامريكية في لبنان بعد سنوات (لعبة الامم ص ٢٢١)

فهل كانت الوحدة ثم الانفصال مجرد عرض خاص على مسرح لعبة الأمم؟..

ياويلنا من متفرجين مغفلين!

١٨ نشير هنا الى واقعة لعلها دعمت اتجاه عبد الناصر للاستهتار بما يسمى بالرأي العام وذلك انه عندما قال انه ارسل الاسطول قوطع بتصفيق حاد دام اكثر من عشر دقائق حتى اضطر هو الى قطعه بتكملة الجملة بأنه امر الاسطول بالعودة من منتصف الطريق لأن العربي لايقتل العربي فانطلق التصفيق بنفس الحدة والحماسة!! للفعل ونقيضه في جملة واحدة.. الامر الذي لخصه صلاح جاهين: «قول مابدا لك احنا رجالك»!

الفهرست

رقم الإيداع ٣٣٦٠ / ٨٩

الترقيم الدولى ٩ - ٢٧ - ١٤٧١ - ٩٧٧

مطابع الزهراء للإعلام العربي
٣ شارع الطيران
مدينة نصر – ت ٦٠١٩٨٨ – ٢٦١١١٠٦
القاهرة